

أما إلى المرتضى

غُرر الفوائد وَدُرر الفتاوى

للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي

٣٥٥ - ٤٣٦ هـ

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

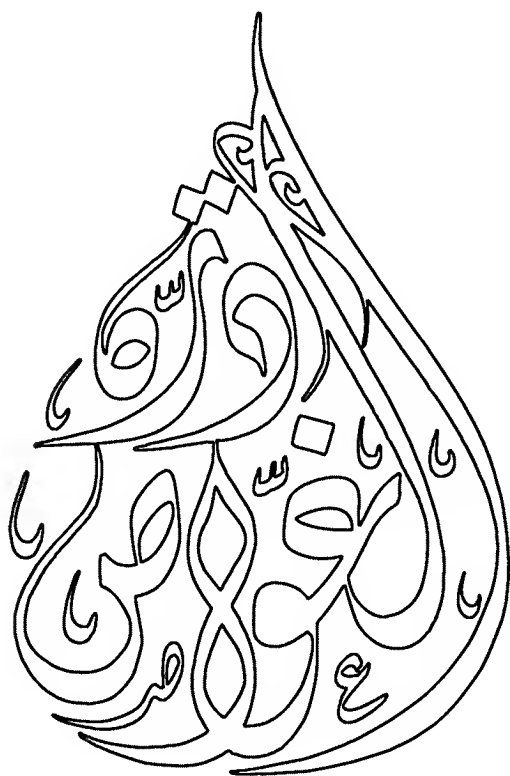
القسم الأول

مكتبة
الدكتور رواد الوائلي

بازار الحيازة الكعبة العريضة
عيسى البابي الحلبي وشركاه



مَكْتَبَةُ
الدُّعَاةِ وَالدُّعَاتِ



الطبعة الأولى

« جميع الحقوق محفوظة »

[١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م]



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

١ - الشريف المرتضى (*)

كانت بغداد في القرن الرابع الهجري موئل العلم ، ومثابة العلماء ، وملتقى الكتّاب والشعراء والأدباء ، فيها غنيت ساحات الخلفاء والملوك والرؤساء بفنون المناظرة والمساجلة والجدل ، وعمرت المكتبات بألوف الكتب المؤلفة والمترجمة ، المطوّلة والمختصرة ؛ وغصّت دور العلماء وحلقات الدروس بطلاب الأدب ، ورواد العلم والمعرفة من شتى الجهات .

وكان للكثير من ملوك بني بويه من لطافة الحسّ ، وزكّاة الطبع ، ورهافة الذوق ،

مصادر الترجمة :

دمية القصر ٧٦-٧٥	أمل الآمل ٤٨٦-٤٨٧
الرجال لأبي العباس النجاشي ١٩٣-١٩٢	لمناه الرواة ٢٥٠-٢٤٩ : ٢
روضات الجنات ٣٧٨-٣٧٤	بغية الوعاة ٣٣٦-٣٣٥
سير النبلاء للذهبي ١١١ قسم ١٣١	تاريخ ابن الأثير ٤١-٤٠ : ٨
شذرات الذهب ٢٥٨-٢٥٦ : ٣	» الإسلام للذهبي (وفيات ٤٣٦)
الفهرست لأبي جعفر الطوسي ١٠٠-٩٧	» بغداد ٤٠٣-٤٠٢ : ١١
لسان الميزان ٢٢٤-٢٢٣ : ٤	» أبي الفداء ١٦٧ : ٢
مرآة الجنان ٥٧-٥٥ : ٣	» ابن كثير ٥٣ : ١٢
معالم العلماء لابن شهر آشوب ٦٣-٦٠	تنمة اليتيمة ٥٦-٥٣ : ١
معجم الأدباء ١٥٧-١٤٦-١٣	جمهرة الأنساب لابن حزم ٥٧-٥٦
المنتظم (وفيات ٤٣٦)	ابن خلكان ٣٣٨-٣٣٦ : ١
النجوم الزاهرة ٣٩ : ٥	

ورجاجة العقل ماهياً لهم أن يكونوا كُتّاباً أو شعراء ؛ وما دفع بعضهم للمشاركة في العلوم ،
والأخذ بنصيب من أطراف الفنون ؛ فخدّبوا على العلماء ، وأغدقوا على الشعراء ؛ وعرفوا
للأدباء أقدارهم ؛ فولّوهم الوزارة والإمارة والقضاء في كثير من الأحيان .

وكانوا أيضاً من شيعة عليّ ، وعلى هوى أحفاده من أبناء الحسن والحسين ، فخصّوهم
بالتكريم ، ومنحوهم أرفع المناصب ، وأدنوهم من نفوسهم ، وقرّبوهم في مجالسهم ،
وظاهروهم في المناظرة ، ودفعوهم إلى الجهر بالرأى والإدلاء بالحجة ؛ وكانوا لهم ردةً حين
يحتدم الجدال ، ويشتدّ اللدّاد بينهم وبين أهل السنّة ؛ ومنّ يشدّ أزرهم من الأتراك وخلفاء
بنى العباس .

في هذه الحقبة النادرة في تاريخ العلوم ، وفي هذا العصر الحالى بأزاهير الفنون والآداب ،
وفي تلك الدولة التي قام في أكنافها العلماء والشعراء والأدباء ؛ عاش الشريف المرتضى على
ابن الحسين ، وأخوه الشريف الرضى محمد بن الحسين ، واتخذوا مكانهما بين ذوى المثالة ،
وأعيان الشرف والفضل من الأعلام ؛ فكان المرتضى عالماً فقيهاً متكلماً ، خبيراً بقرض الشعر ،
بصيراً بمذاهب الكلام ، وكان الرضى شاعراً مطبوعاً متصرفاً ، وكتّاباً بارعاً رائعاً
الديباجة صافي الأسلوب ، مشاركاً في التأليف والتصنيف ؛ وقضيا حياتهما مرعياً الجانب ؛
رفيعي المنزل ؛ مرموقيّ المحلّ عظيمي الخطر والجاه عند خلفاء بنى العباس ، والملوك من بنى
بويه على السواء .

وكانا ينزِعان إلى أعرق المناصب ، وأطيب النّجار ، نَجَلَهُمَا أبو أحمد الحسين بن موسى
ابن محمد بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ؛
وأنجبتَهُما فاطمة بنت الحسين بن الحسن الناصر الأطروش ، صاحب الديلم ، وشيخ الطالبين
وعالمهم وشاعرهم .

وكان أبو أحمد من ذوى النباهة والصيت عند بنى بويه ، ولقبه بهاء الدولة أبو نصر ابن بويه بالطاهر الأوحـد ؛ كما كان من ذوى القدر والجاه عند بنى العباس ؛ وولّوه النظر فى المظالم ونقابة الطالبين مرات ؛ كان يقوم بالسفارة بينهم وبين آل بويه أحياناً ، وبين الحمدانيين أحياناً ، فمحض النصـح ، وبصر بمناهج الرشد ، وأبدى الرأى الأصـيل ؛ وظفر بالمسكنة منهم جميعاً . ومات فى سنة ٤٠٠ . وقد رثاه أبو العلاء المعرى بقصيدته المشهورة :

أودى فليت الحادثات كفافِ مالُ المسيفِ وعنبرُ المُستافِ^(١)
 الطاهرُ الآباء والأبناء والآ رابِ والثواب والألأافِ
 رغتِ الرعود وتلك هدة واجبِ جبلٌ هوى من آل عبد منافِ^(٢)
 بخلت فلما كان ليلة فقده سمح الغامُ بدمعه الذرافِ
 ويقال إن البحر غاض وإنها ستمود سيفاً لجة الرجافِ^(٣)
 ويحرقُ فى رزه الحسينِ تغيرُ الحرسينِ ، بله الدرّ فى الأصدافِ^(٤)

وفىها يذكر الشريـقين ويعزى بهما :

ولقيت ربك فاسترد لك الهدى ما نالت الأيامُ بالإتلافِ
 وسقاك أمواه الحياة مخلداً وكساك شرخ شباك الأفوافِ
 أبقيت فىنا كوكبين سنأهما فى الصبح والظلماء ليس بخافِ
 متأنقين وفى المكازم أرتعاً متألّقين بسوددٍ وعفافِ
 قد رين فى الإرداء ، بل مطرين فى السـ إجداءِ ، بل قرين فى الإسفافِ

(١) سقط الزند ١٢٦٤-١٣٢٠ . كفاف ، أى ليت الحوادث كفت الأذى . والمسيف : من ذهب ماله . والمستاف : الشام . (٢) الهدى : صوت الشئ الساقط ، والواجب : الساقط ؛ ويقال إن المرثى مات فى ذات ليلة برق ورعد ومطر . (٣) السيف : الساحل . والرجاف : من نعوت البحر . (٤) الحرسان : اسم الليل والنهار .

رُزِقَا العلاء فَأَهْلُ نَجْدٍ كَلَمًا نَطَقَا الفَصَاحَةَ مِثْلُ أَهْلِ دِيَاثٍ^(١)
 سَاوَى الرَّضَى الْمُرْتَضَى وَتَقَا سَمًا خُطَطَا الْعِلَا بِتَنَاصُفٍ وَتَصَافٍ

وفي آخرها يقول :

يَا مَالِكِي سَرَّحَ الْقَرِيضَ أَتَنَكُمَا مِنْ بِي سَمُولَةٍ مُسْنِنِينَ عِجَافٍ^(٢)
 لَا تَعْرِفُ الْوَرَقَ اللَّجِينَ وَإِنْ تُسَلِّ تُخْبِرُ عَنِ الْقَلَامِ وَالْخِذْرَافِ^(٣)
 وَأَنَا الَّذِي أَهْدَى أَقْلَ بَهَارَةٍ حُسْنًا لِأَحْسَنِ رَوْضَةٍ مُثْنَفٍ^(٤)

وبعد موته انتقلت وظائفه إلى الشريف الرضي ، ولما مات آلت إلى الشريف المرتضى .

وكان مولد الشريف المرتضى ببغداد في رجب سنة خمس وخمسين وثلاثمائة^(٥) ، وفيها تلقى العلم وشغل به في جميع أدوار حياته ؛ وكان أول عهده بالمدارسه والتأديب على الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالمفيد ، ذهبت به أمه إليه مع أخيه الرضي ؛ وهما في سن الحداثة ، وقبل أن يجاوزا حدَّ الصغر ؛ فأخذاه عنه ، وتخرّجا عليه . ثم صحب المرتضى غيره من العلماء ، وورد شُرْعَتهم ، وحمل عنهم ؛ مثل سهل بن أحمد الديباجي ، وأبي عبيد الله المرزباني ، وأبي الحسن الجندی ، وأحمد بن محمد بن عمران الكاتب ، وغيرهم .

ويبدو مِنْ تَقْصِي أخباره ؛ ومطالعة ما وصل إلينا من كتبه ورسائله أن أعظم الشيوخ الذين تأدب بهم وأفاد منهم هما الشيخ المفيد وأبو عبد الله المرزباني .

(١) دِيَاث : موضع فيه نبط لانصاحه لهم .

(٢) السرح في الأصل : المال الراعي ، والمسنن : الذي أصابته السنة ؛ أي القحط . والعجاف : المهازِيل .

(٣) اللجين : ورق الشجر يخالط بالنوى المروض ، ويلجن بفضه ببعض ، وهو من علف أهل الأماصار . والخذراف : من الحمض ؛ وهو علف أهل البادية .

(٤) الروضة المثاف : التي لم ترع بعد . (٥) الفهرست لأبي جعفر الطوسي ١٠٠ .

فأما الشيخ المفيد فقد كان رأساً من رؤوس الشيعة ؛ وعلماً من أعلامهم ؛ لا يدرك شأوه فيهم ؛ وإليه انتهت رئاسة الإمامية في عصره ، وفي كتبه حُفِظَت أقوالهم وآراؤهم وشروحهم وتأويلاتهم ؛ وعنه تلقى السيد المرتضى الفقه والأصول والتفسير وعلم الكلام ؛ ثم استقل بالرأى فيما بعد ؛ ووضع في ذلك الكثير من الكتب والرسائل والمقالات .

وأما المرزبانيّ فقد كان إماماً من أئمة الأدب ؛ وشيخاً من شيوخ المعتزلة ، وعلماً من أعلام الرواية ؛ وكانت داره مقصد العلماء والمتأدبين ؛ مهبطاً بالكتب والورق والمداد ؛ معدّة للطعام والراحة والنوم ؛ فكان يأخذ عن يزوره من العلماء ؛ ويقرأ لمن يجلس إليه من الطلاب ، وفيما بين ذلك يؤلف الكتب ويصنفها ؛ ومعظم ما رواه السيد المرتضى في كتاب الفرر من الشعر واللغة والأخبار ممّا تلقاه عليه ، ورواه عنه .

ولما علّت به السنّ ، وخلع عن منكبه رداء الشباب عكف في منزله مُخْلِداً إلى القراءة والدرس ؛ واستنزف أيامه في التحصيل والتأليف ، مؤثراً مجالسة العلماء والمستفيدين على مخالطة الرؤساء وذوى السلطان ؛ بل إنه زهد فيما ورّث أبوه من نقابة الطالبين ، والنظر في المظالم ، وأثر بها أخاه الرضىّ - وكان أصغر منه - ليرضى ما كانت تنزع إليه همة أخيه من الرغبة في سَنَى المطالب وبلوغ الأقدار ؛ ويقضى حاجة نفسه من الانقطاع إلى العلم ، والخلوة إلى القراءة والدرس ؛ ولم يتولّ شيئاً من هذه المناصب إلا بعد وفاة أخيه . وأعان على ما يبغي ما يهيأ له من مكتبة عريضة واسعة ؛ تحوى ما عرف من الكتب في حياته ؛ ذكر الثعالبي أنها قُوِّمَت بعد وفاته بثلاثين ألف دينار ، وقدرت بثمانين ألف مجلد ، بعد أن أهدي منها ما أهدي إلى الرؤساء والوزراء .

وكان السيد المرتضى في نعمة سابغة ، وخير كثير ، وثروة قلّ أن تهيأ لمثله من العلماء ؛ روى أنه كانت له ثمانون قرية بين بغداد وكربلاء ، يشقها نهر ينتهي إلى الفرات ؛ وكانت السفن تسير فيه غادية رائحة ، تحمل السّفَر والزوار ؛ وخاصة في موسم الحجيج ؛ وكان لهم فيما يساقط

من ثمار الأشجار العاطفة على النهر؛ فأكهة موقوفة عليهم ، ولغيرهم ممن تحمل السفن ؛ وقدروا ما تُغله هذه القرى بأربعة وعشرين ألف دينار في العام .

وقد تمكن بفضل هذه الثروة من أن يعيش في داره مكفول الرزق ، مقضى الحاجات ، لا يشغله ما يشغل غيره من شئون الدنيا ومطالب الحياة ؛ ولا يصرفه شيء عن القراءة والدرس والتصنيف والفتيا ؛ بل إنه تمكن من أن يقضى حاجة قلبه من البرّ بالناس ، ومواصلة لهم ، والعطف عليهم ؛ وخاصة من كان يمت إلى العلم بصلة ، أو يُبدل إليه برحم ماسة ، فكان منزله داراً للضيافة ، ومدرسة للتعليم والدارسة ، ينقطع فيه التلاميذ والطلاب والمريدون ، ويستروح في رحابه الوافدون من شتى الجهات ، بعد أن يكون قد أدامهم السير وأكلهم السرى ؛ بل إنه جعل للكثير من تلاميذه مرتبات منظمة ؛ وحبوساً موقوفة عليهم ؛ كان أبو جعفر الطوسي^(١) من تلاميذه المنتظمين إليه ، فأجرى عليه اثني عشر ديناراً في كل شهر ، في ثلاثة وعشرين عاماً قضاها في صحبته إلى أن مات ، وكذلك رتب للقاضي عبد العزيز بن البراج^(٢) ثمانية عشر ديناراً في الشهر ؛ وغيرهما كثير . ووقف قرية كاملة ؛ يجري خيرها على كاغد للفقهاء خاصة ؛ رغبة في النفع ، وبث العلم في الناس .

وروى أنه أصاب الناس قحط شديد فاحتال رجل يهودي على تحصيل قوت يحفظ نفسه ففزع إليه ؛ وشفاعته الرغبة في العلم : واستأذنه أن يقرأ عليه شيئاً من علم النجوم ؛ فأذن له ، وأمر بجائزة تجرى عليه في كل يوم ، فقرأ عليه برهة ثم أسلم .

ومن هذه الباب أيضاً ما حكاه ابن خلكان عن أبي زكريا التبريزي أن أبا الحسن على ابن أحمد بن سلك الغالي الأديب كانت له نسخة من كتاب الجهرة لابن دريد في غاية الجودة ،

(١) هو محمد بن علي بن جعفر الطوسي ، ولد سنة ٣٨٥ ، ولزم الشيخ الفيد وتخرج عليه ولما مات سنة ٤١٣ ؛ أزم السيد المرتضى إلى أن مات ، ثم استقل بالإمامة بعده ، وتوفي سنة ٤٠٦ .

(٢) هو عبد العزيز بن نحرير بن البراج ؛ ولد بصر ونشأ بها ؛ ورحل إلى طرابلس وولى قضاءها مدة ، وتوفي سنة ٤٨١ .

فدعته الحاجة إلى بيعها ، فاشتراها الشريف المرتضى بستين ديناراً ، وتصفحها فوجد بها أبياتاً
بخط بائعها أبي الحسين الفالي ؛ وهي :

أُنِسْتُ بِهَا عَشْرِينَ حَوْلًا وَبَعْتُهَا لَقَدْ طَالَ وَجْدِي بِمَعْدَهَا وَحَنِينِي
وَمَا كَانَ ظَنِّي أَنَّنِي سَأُبِيعُهَا وَلَوْ خَلَدْتُنِي فِي السَّجُونِ دِيُونِي
وَلَكِنْ لَضَعْفٍ وَافْتِقَارٍ وَصَبِيَّةٍ صَغَارٍ عَلَيْهِمْ تَسْتَهْلُ شُؤُونِي
فَقُلْتُ وَلَمْ أَمْلِكْ سِوَابِقِ عَبْرَةٍ مَقَالَةَ مَكُونِ الْفُؤَادِ حَزِينِ
«وَقَدْ تُخْرِجُ الْحَاجَاتُ يَا أُمَ مَالِكٍ كَرَأَيْمٍ مِنْ رَبِّ بَهْنِ ضَنِينِ»

فأرجع إليه النسخة ؛ وترك الدنانير ؛ جرياً على عادته من صلته أهل العلم ، وبره بهم .

وقد اجتمع إليه من فنون العلوم وضروب الآداب ما قلّ أن يجتمع لسواه ؛ وضرب
فيها جميعها بسهم وافر ؛ فكان فقيهاً انتهت إليه رئاسة الإمامية في عصره ؛ بعد أن درس
الأصول ، ومحض الحقائق ، واستخرج المسائل ، ونصب نفسه بعد ذلك للفتيا ، فشدّت إليه
الرحال ، ووفدت إليه الناس من كل صُقعٍ ، ووضع لكلِّ كتاباً ؛ فهذه المسائل الديلمية ،
وتلك المسائل الطوسية ، وهذه المسائل المصرية والموصلية وهكذا . وحذق علم الكلام وأصول
الجدل ، فحاجّ النظراء والمتكلمين ، وناظر المخالفين ؛ وكتابه الشافي حجة على طول بابه
في الجدل . وله في تفسير القرآن وتأويل الكتاب ما كشف به عن بحر لا يسبر غوره ؛ ولا
ينال دركه ؛ وقد حفظ من أخبار العرب وأشعارهم ولغتهم ما جعله في الرعيّل الأول من الرواة
والحفاظ والأدباء ؛ وبكل هذا كان إمام عصره غير مدافع ؛ قال ابن بسام : « كان هذا
الشريف إمام أئمة العراق ، بين الاختلاف والاتفاق ؛ إليه فزع علماؤها ، وعنه أخذ عطاؤها ،
صاحب مدارسها ، وجماع شاردها وآنسها ؛ مما سارت أخباره ، وعرفت أشعاره ، وحمدت
في ذات الله مآثره ؛ إلى تواليقه في الدين ، وتصانيفه في أحكام المسلمين ، ممن يشهد أنه قرع

تلك الأصول ، ومن أهل ذلك البيت الجليل^(١) .

وكان بمد هذا شاعرا ، وله ديوان شعر؛ قال ابن شهر آشوب: إنه يُرَبَّى على عشرين ألف بيت ، وذكر بروكلمان أن هناك نسخة منه من مكتبة مشهد . وقد أورد المرتضى طائفة منه في كتاب الغرر، والشهاب، وطيف الخيال ، وذكر الثعالبي في تنمة اليتيمة ، والباخرزي في دمية القصر قدرا منه ، فمن قوله :

أحبُّ ترى نجدٍ ، ونجدٌ بعيدٌ ألا حبذا نجدٌ وإن لم تُقدِّرْبا!^(٢)
يقولون: نجدلست من شعب أهلها وقد صدقوا لكنني منهم حبا
كأنى وقد فارقت نجداً سقاوةً فتى ضلَّ عنه قلبه ينشد القلبيا

ومنه :

يا خليلي من ذؤابة قيس في التصابي رياضة الأخلاق^(٣)
عللاني بذكرهم تطرباني واسقياني دمعى بكأس دهاق
وخذا النوم من جفوني فإني قد خلعت الكرى على العشاق^(٤)

ومنه في الرثاء :

كأنى لما صك سمعى نعيه صُكِتْ بمسنون الفرارين قاضٍ
طواه الردى طى الرءاء وعطَّلت مغاني الحجا عنه وغر المناقبِ
ولما بلوت الأصدقاء ووُدَّهم خلصت إليه من خلال التجاربِ

وسئل إجازة بيت أبي دهب الجمحي :

وأبرزتها من بطن مكة عندما أصات المنادى بالصلاة فأعما

(١) ابن خلسكان: ٣٣٦ . (٢) تنمة اليتيمة ١ : ٥٤ . (٣) تنمة اليتيمة ١ : ٥٥ ،

وابن خلسكان ١ : ٣٣٧ . (٤) روى ابن خلسكان أنه لما وصلت هذه الأبيات إلى البصري

الشاعر قال : « المرتضى قد خلع ما لا يملك على من لا يقبل » . (٥) الفرر ١ : ١١٥ .

فقال :

فطَّيَّبَ سَراهاُ المَقامَ وضوأتُ	بإِشراقِها بينَ الحَطيِّمِ وزمَما
فيارب إن لَقَّيتَ وَجهاً تَحِيَّةً	خَفِيَ وَجوهاً بِالمَدينَةِ سَهَمًا
تَجافِئُ عَن مَسِّ الدَهانِ وطالَما	عَصَمَنَ عَنِ الحِناءِ كَفاً ومَعضِما
وكم مِن جَلِيدٍ لا يَخامِرُه المَوى	شَنَّ عَليه الوجدَ حَتى تَتَيَّما
أهانَ لَهَنَ النَفْسِ وَهِيَ كَريمَةٌ	وألقى إِلَيَّ الحَديثَ المَكَمَّما
تَسفَهِتَ لَما أَن مَرَّرتَ بدارِها	وعُوجِلَتَ دُونَ الحَلمِ أَن تَتَجلَّما
فَعَجَتَ تَقَرَّيَ دارِسا مَتَنَكرًا	وتَسألُ مَصرُوفًا عَنِ النَطقِ أَعجَما
وَيومَ وَقَفنا لِلوداعِ وَكلَّنا	يَعُدُّ مَطيعَ الشوقِ مَن كانَ أَحزَما
نُصرتُ بِقلبٍ لا يَعنُفُ فى المَوى	وعَينِ مَتى اسَتمَطَرتُها قَطرتُ دَما

وتوفى الشريف المرتضى فى ربيع الأول سنة ٤٣٦ هـ ، وصلى عليه ابنه ، ودفن فى داره ، ثم نقل إلى المشهد الحسينى بكربلاء .

٢ - مؤلفاته*

- ١ - « إبطال القياس » ؛ ذكره الذهبي في سير النبلاء .
- ٢ - « الانتصار في الفقه » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب ، وسمياه « الانفرادات في الفقه » ، وطبع ضمن مجموعة الجوامع الفقهية لمحمد بن باقر بطهران سنة ١٢٧٦ ، وطبع منفردا سنة ١٣١٥ .
- ٣ - « إنقاذ البشر من القضاء والقدر » ، ذكره ابن شهر آشوب ، وطبع في النجف ١٩٣٥ ، وطهران ١٣٥٠ .
- ٤ « البرق » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب ، وسماه « المرموق في أوصاف البروق » .
- ٥ - « تتبع الأبيات التي تكلم عنها ابن جني في إثبات المعاني للمعتني » . ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب .
- ٦ - « تكملة أنواع الأعراض من جمع أبي رشيد النيسابوري »^(١) ، ذكره ابن شهر آشوب .
- ٧ - « تفسير الخطبة المشققة » ، نقله صاحب روضات الجنات عن كتاب رياض العلماء .
- ٨ - « تفسير قصيدة السيد الجبري » المعروفة بالقصيدة المذهبة ، وهي القصيدة البائية في مدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وتبلغ ١٧ بيتا ، مطلعها :

(*) اقتصر في سرد كتب المرتضى هنا على ما ذكر أبو العباس النجاشي في كتاب الرجال ، وأبو جعفر الطوسي في كتاب العهرست ، وابن شهر آشوب في كتاب معالم العلماء ، وما لم يذكره واحد من هؤلاء ذكرته منسوبا إلى مصدره .

هلاًّ وقفت على المكانِ المعشِبِ بين الطويلِ فاللّوى من كبكب
ذكرها أبو جعفر الطوسي ، والنجاشي ، وابن شهر آشوب . وطبعت مع الشرح بمصر
سنة ١٣١٣ بعنوان: « القصيدة الذهبية » .

- ٩ - « تفسير قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ » ، ذكره النجاشي .
- ١٠ - « تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي ﴾ » ، ذكره النجاشي .
- ١١ - « تفسير سورة الحمد ، وقطعة من سورة البقرة » ، ذكره النجاشي .
- ١٢ - « تقريب الأصول » ، ذكره النجاشي .
- ١٣ - « تكملة الفرر والدرر » ، ذكره ابن شهر آشوب .
- ١٤ - « تنزيه الأنبياء » ، ذكره أبو جعفر الطوسي وابن شهر آشوب . وطبع بالمطبعة
الحيدرية في النجف سنة ١٣٥٢ .
- ١٥ - « جمل العلم والعمل » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، والنجاشي ، وابن شهر آشوب .
- ١٦ - « جواب الملحة في قدم العالم من أقوال المنجمين » ، ذكره ابن شهر آشوب .
- ١٧ - « الحدود والحقائق » ، ذكره ابن شهر آشوب .
- ١٨ - « الخطبة المقمصة » ، ذكره ابن شهر آشوب .
- ١٩ - « الخلاف في أصول الفقه » ، ذكره النجاشي ، وابن شهر آشوب .
- ٢٠ - « ديوان شعره » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب على ذكر بروكلان
أنه منه نسخة مخطوطة في مكتبة مشهد .
- ٢١ - « الذخيرة في الأصول » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، والنجاشي ، وابن شهر آشوب .
- ٢٢ - « الذريعة في أصول الفقه » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، والنجاشي ،
وابن شهر آشوب .

٢٣ - « الرد على يحيى بن عدى فى اعتراض دليل الموجد فى حدث الأجسام » ، ذكره النجاشى ، وابن شهر آشوب .

٢٤ - « الرد على يحيى بن عدى فى مسألة سماها طبيعة المسلمين » ؛ ذكره النجاشى .

٢٥ - « الرسالة الباهرة فى العثرة الطاهرة » ذكره ابن شهر آشوب .

٢٦ - « رسالة فى المحكم والمتشابه » ، منقول من تفسير النعمانى ؛ ذكره ابن شهر آشوب .

٢٧ - « الشافى فى الإمامة والنقض على كتاب المغنى للقاضى عبد الجبار بن أحمد » ،

ذكره أبو جعفر الطوسى وقال : « إنه لم يؤلف مثله فى الإمامة » ، وذكره أيضا

النجاشى ، وابن شهر آشوب . وقد اختصره أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسى

المتوفى سنة ٤٦٠ ، وطبع الكتاب والمختصر فى العجم سنة ١٣٠١ فى جزأين .

٢٨ - « شرح مسائل الخلاف » ، ذكره النجاشى .

٢٩ - « الشهاب فى الشيب والشباب » ، ذكره أبو جعفر الطوسى ، وابن شهر آشوب ،

وطبع بمطبعة الجوائب سنة ١٣٠٢ .

٣٠ - « طيف الخيال » ، ذكره أبو جعفر الطوسى ، وابن شهر آشوب ، ومنه نسخة

مصورة بدار الكتب المصرية رقم ١٠٣١٣ ز ، عن النسخة المحفوظة بمكتبة الأسكوريال .

٣١ - « غرر الفوائد ودرر القلائد » ، ذكره أبو جعفر الطوسى ، والنجاشى ، وابن

شهر آشوب ، وقد اختصره عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم الملائقى ، وسماه

« غرر الغرر ، ودرر الدرر » ، وأكمل هذا المختصر فى سنة ٧٦٦ ، ومنه نسخة خطية

فى مكتبة طهران ؛ ذكره بروكلمان .

٣٢ - « الفرائض فى نصر الرواية ، وإبطال القول بالعدد » ، ذكره ابن شهر آشوب .

٣٣ - « الفقه الملىكى » ، ذكره ابن شهر آشوب .

- ٣٤ - « الكلام على من تعلق بقوله : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ » ، ذكره النجاشي .
- ٣٥ - « ما تفرد به الإمامية » ، ذكره النجاشي ، وابن شهر آشوب .
- ٣٦ - « مسائل آيات » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب .
- ٣٧ - « مسائل أهل مصر الأولى والأخيرة » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، والنجاشي .
- ٣٨ - « مسائل البادريات » ذكره النجاشي .
- ٣٩ - « المسائل التبانيات » ، ذكره النجاشي ، وابن شهر آشوب .
- ٤٠ - « المسائل الجرجانية » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب .
- ٤١ - « المسائل الحلبية الأولى والأخيرة » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب .
- ٤٢ - « مسائل الخلاف في الفقه » ، لم يتمه ؛ ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب ؛ وذكر بروكلمان أن منه نسخة في مكتبة مشهد (ضمن مجموعة) .
- ٤٣ - « المسائل الرازية » ١٤ مسألة ، ذكره ابن شهر آشوب .
- ٤٤ - « المسائل الرمليات » ، ذكره النجاشي .
- ٤٥ - « المسائل السلارية » ، ذكره ابن شهر آشوب ؛ وذكر بروكلمان أن منه نسخة مخطوطة في مكتبة مشهد (ضمن مجموعة) .
- ٤٦ - « المسائل الصيداوية » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب .
- ٤٧ - « المسائل الطبرية » ، ذكر بروكلمان أن منه نسخة في مكتبة مشهد ، وذكره أيضا الكنتوري في كشف الحجب .
- ٤٨ - « المسائل الطرابلسية الأولى والأخيرة » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب .

- ٤٩ - « المسائل الطوسية » ، لم يتم . ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب .
- ٥٠ - « المسائل الحمديات » ، ذكره النجاشي .
- ٥١ - « مسائل مفردات من أصول الفقه » ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب .
- ٥٢ - « مسائل مفردات » ، نحو مائة مسألة في فنون شتى ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب .
- ٥٣ - « المسائل الموصلية الثلاثة » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، والنجاشي ، وابن شهر آشوب .
- وذكر بروكلمان أن منها نسخة مخطوطة في مكتبة مشهد (ضمن مجموعة) .
- ٥٤ - « مسائل ميافارقين » ، ذكره ابن شهر آشوب ، وذكر بروكلمان أن منه نسخة مخطوطة في النجف ، في مكتبة خاصة ، وأخرى في مكتبة مشهد (ضمن مجموعة) .
- ٥٥ - « المسائل الناصرية في الفقه » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب .
- وقد طبع هذا الكتاب مع كتاب « الجوامع الفقهية » لمحمد بن باقر في طهران ١٢٧٦ .
- ٥٦ - « مسألة في الإرادة » ، ذكره النجاشي .
- ٥٧ - « مسألة في دليل الخطاب » ، ذكره النجاشي .
- ٥٨ - « مسألة في التأكيذ » ، ذكره النجاشي .
- ٥٩ - « مسألة في التوبة » ، ذكره النجاشي .
- ٦٠ - « مسألة في قتل السلطان » ذكره النجاشي .
- ٦١ - « مسألة في كونه تعالى علما » ، ذكره النجاشي .
- ٦٢ - « مسألة في المتعة » ، ذكره النجاشي .
- ٦٣ - « المصباح في أصول الفقه » ، لم يتمه ذكره أبو جعفر الطوسي والنجاشي ، وابن شهر آشوب .

٦٤ - « المقنع في الغيبة » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، والنجاشي ، وابن شهر آشوب .

٦٥ - « المخلص في الأصول » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، والنجاشي ، وابن شهر آشوب .

٦٦ - « المنع في تفضيل الملائكة على الأنبياء » ، ذكره ابن شهر آشوب .

٦٧ - « الموضح عن وجه إعجاز القرآن » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، والنجاشي ، وسميائه « كتاب الصرف » ، وذكره أيضا ابن شهر آشوب .

٦٨ - « نقض الرواية ، وإبطال القول بالعدد » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وذكره أيضا ابن شهر آشوب ، وسميائه « مختصر الفرائض في قصر الرواية وإبطال القول بالعدد » وذكره بروكلمان أن منه نسخة مخطوطة في مكتبة مشهد (ضمن مجموعة) .

٦٩ - « النقض على ابن جني في الحكاية والمحكي » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب .

٧٠ - « نكاح أمير المؤمنين ابنته من عمر » ، ذكره ابن شهر آشوب .

٧١ - « الوعيد » ، ذكره النجاشي .

٣ - أمالى المرتضى

وحيثما يستعرض الباحث كتب العربية النفيسة التي حوت ألوان المعارف ، وزخرت بأشتات الطرائف ، وحفظت بين دفتيها نتاج القرائح ، وحقائق السير والتاريخ والأخبار ، ونصوص الشعر واللغة والغريب فإنه بلا مرءاء يعد منها كتاب أمالى المرتضى - أو كما يسميه مؤلفه غرر الفوائد ودرر القلائد - وينظمه في العقد الذي يضم كتاب الكامل للمبرد، والبيان والتبيين للجاحظ، وعميون الأخبار لابن قتيبة، والمقد لابن عبد ربه، والأغانى لأبى الفرج، وغيرها من الكتب التي حلقت في سماء الآداب العربية كالنجوم، وأرست قواعدها كالأطواد ، وعمرت بها مجالس العلماء وسوامر الأدباء ؛ وتدارسها المتأدبون جيلا بعد جيل ؛ وتداولها النساخ ، وعُدت في مكتبات الدارسين من أكرم الذخائر وأنفس الأعلاق .

وهي مجالس مختلفة ، أملاها في أزمان متعاقبة ؛ تنتمل فيها من موضوع إلى موضوع ، ومن غرض إلى آخر ؛ اختار بعض آى القرآن الكريم؛ مما يُعْمُ تأويله على الخاصة، بله العامة ؛ ويدور حولها السؤال، ويشار الاستشكال؛ وعالج تأويلها وتوجيهها على طريقة أصحابه من المعتزلة، أو أصحاب العدل كما كان يسميهم ؛ وحاول جهده أن يوفق بين تأويل الآيات المتشابهة ، وما دار على السنة العرب من نصوص الشعر واللغة ؛ وفي هذا أبدى تفوقا عجيبا؛ وأبان عن ذهن وقاد، وذكاء متلهب ، وبَصَر نافذ ؛ وأعانه فيما فسر وأول ووجه وفرة محفوظه من الشعر واللغة ومأثور الكلام . وكان الطابع الذي يغلب عليه عرض الوجوه المختلفة؛ والآراء المحتملة، مجوّزا في ذلك إمكان الأخذ بالآراء جميعاً .

وترجع قيمة ما عرض له الشريف في هذه المجالس من تأويل الآيات إلى أنها تُمدّد صورة لتفسير القرآن الكريم عند علماء المعتزلة ؛ مما لم يصل إلينا من كتبهم إلا القليل النادر .

واختار أيضا طائفة من الأحاديث التي يختلف العلماء في تأويلها ؛ ويبدو التعارض فيها

بينها وحاول تفسيرها وتأويلها ؛ بالمنهج الذي عالج به تأويل آى القرآن ؛ مستعيناً بشواهد الشعر واللغة ؛ موضحاً مذهب أصحابه من أهل العدل ؛ مُدلياً بحجّتهم على مَنْ خالف تأويلهم من جماعة أهل السنة، أو أهل الجبر كما كان يسميهم ؛ وناقش ابن قتيبة وأبا عبيد القاسم بن سلام وابن الأنبارى فى ذلك على الخصوص .

ثم عرض لمسائل فى علم الكلام مما اشتجر فيها الرأى ، ودار حولها الجدل ؛ واصطُرعت الأقلام ، وأقيمت المناظرات ؛ مثل القول برؤية الله ، وخلق أفعال العباد ؛ وإرادة الله للقبائح ، والقول بوجوب الأصلح ، وقرر رأى أصحابه ؛ وحاجّ عنهم ، واحتج على خصومهم ؛ وكان فيما جادل وناقش رفيقاً فى الجدل عفيفاً فى المقال .

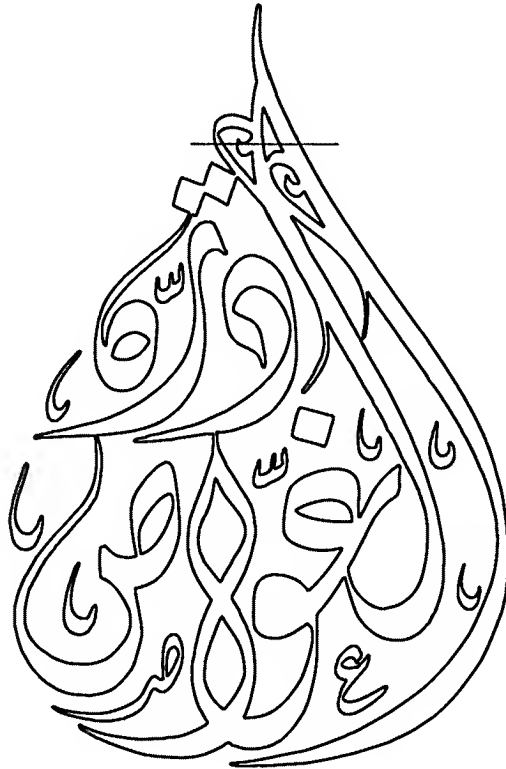
وأودع فى الكتاب بجانب ما بسط من تأويل الآيات والأحاديث وعرض المسائل مختاراتٍ من المصطفى المنخول من الشعر وحرّ الكلام ؛ تناولها بالشرح والنقد والموازنة ، وذكر صدرا من تراجم الشعراء والعلماء والأدباء وأصحاب الأهواء والآراء الخاصة ؛ وأورد طائفة من أشعارهم وأقوالهم ونواديرهم ، ثم استروح بذكر فيض من الطرائف النادرة ، والأجوبة الحاضرة المسكتة ، والأفاكيه الرفيعة ؛ معتمداً فيما أورده على ما وصل إليه من كتب الجاحظ وابن قتيبة والمبرد وأبى حاتم والآمدى وغيرهم ، أو مارواه عن شيوخه ، وأبى عبيد الله المرزبانى على الخصوص .

واختار أيضاً بعض الموضوعات التى كانت مقاصد شعراء العربية فى الجاهلية وصدر الإسلام ؛ كالمدائح والأهاجى والمراثى والسير ووصف الشيب والطيف وغيرها ، وأورد ما قاله الشعراء فيها ؛ ووازن بين الكثير منها ، وتناولها بالنقد فى كثير من الأحيان .

وبهذه الفنون المتنوعة ؛ والفصول المختلفة ؛ والمباحث الجليلة اجتمع للكتاب ميزة كبرى بين الكتب العربية ؛ وعدّ مصدراً ينقل عنه العلماء ، ويحتج به الأدباء ؛ ويرد شرعته القارئون على ممرّ الأجيال .

ويبدو أن هذه المجالس أملاها الشريف في داره على تلاميذه ومريديه ؛ في أزمنة مختلفة متعاقبة ؛ لم يصل العلم إلى التاريخ الذي بدأها فيه ؛ ولكن الثابت أنه فرغ من إملائها يوم الخميس الثامن والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة ؛ كما ذكره الشريف أبو يعلى محمد بن الحسن بن حمزة الجعفرى في آخر نسخته .

أما الزيادات التي في آخر الكتاب ؛ وهي التي عرفت بتسكلة الغرر فهي طائفة أخرى من المسائل التي اختارها فيما كان يمرض له في مجالسه فيما بعد ؛ وأشار بأن تضاف إلى الكتاب ، للتشابه بينهما في المنهج والمنحى ؛ وبهذه التكملة يتم الكتاب .



٤ - نسخ الكتاب

١ - نسخة كتبت في سنة ٥٦٧ ، ووقعت في ملك الحسين بن أبي عبد الله بن إبراهيم الخوجاني ، وقرأها على فضل الله بن علي بن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن الحسين ، وأجاز له روايتها بتاريخ ٥٦٨ عنه ، عن شيخه عبد الرحيم بن أحمد بن الإخوة البغدادي عن أبي غانم العاصمي عن السيد المرتضى ، وعنه أيضا عن النقيب حمزة بن أبي الأعز الحسيني عن أبي المعالي أحمد بن قدامة عن السيد المرتضى ، وعنه أيضا عن السيد المرتضى بن الداعي الحسيني عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الدوريسي . وعلى النسخة حواش كثيرة ، هي مما أملاه فضل الله على تلميذه الحسين بن أبي عبد الله الخوجاني ، أو مما نقله من نسخته ، مقرونة برموز أصحابها ، أو غير مقرونة على الصفحة الأولى من هذه النسخة رموز النسخ التي قابل فضل الله بن علي نسخته عليها ، وأسماء أصحابها ، كتبت على النحو الآتي :

” س : علامة نسخة مولانا الصدر الكبير العلامة ضياء الدين تاج الإسلام ، سلطان العلماء ، أبي الرضا فضل الله بن علي الحسيني الراوندي قدس الله روحه “

” ص : علامة نسخة أبي الصلاح التقى نجم الدين الحلبي ، رحمه الله ، وكان سمع هذا الكتاب على السيد علم الهدى رضي الله عنه بقراءة غيره “

” ش : علامة نسخة السيد أبي السعادات هبة الله بن علي بن عبد الله بن حمزة العلوي الشجري ، وكانت نسخة بخطه رضي الله عنه “

” ج : علامة نسخة الشريف أبي يعلى محمد بن الحسن بن حمزة الجعفرى رحمه الله ، وكان خليفة الشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الحارثى رضى الله عنه والجالس مكانه ، وكتب بخطه فى آخر نسخته من هذا الكتاب : هذا آخر مجلس أملاه سيدنا أدام الله علوه ثم تشاغل عنة بأمور الحج ، ووقع الفراغ منه يوم الخميس الثامن والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة “

وتبدأ هذه النسخة بصفحة فيها مقدمة الفهرست ، وبها التعريفات والرموز الخاصة التى قابل عليها صاحب النسخة واستفاد منها ، ثم يلى ذلك الفهرست ، وفيه عنوانات المجالس وموضوعاتها ، ثم صفحتان بهما نقول وأشعار ثم دعاء كتب فى سنة ٧٦١ ، ثم يلى ذلك صحيفة العنوان ، وهو مكتوب بالخط الكوفى الجميل المزخرف بحلية على شكل زهور ، تحتها اسم المؤلف ، داخل إطار ، بالخط النسخى الجميل ، ثم تحته إطار أكبر ، به نصّ إجازة فضل الله ابن على ، وفى حواشى الصحيفة بمض التملكات وإثبات قراءة كمال الدين المرتضى المرعى على الحسين بن أبى عبدالله الخوجانى من أول الكتاب إلى المجلس الحادى والثلاثين ، وإجازته بتاريخ ٥٨٤ . ثم يلى ذلك أبواب الكتاب ، وعنوانات المجالس فى وسط السطر بخط كبير واضح .

وفى آخر النسخة : « وافق الفراغ من نسخته فى محرم سنة سبع وستين وخمسمائة ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ونعم المولى ونعم النصير » .

وهى مكتوبة بقلم معتاد واضح مضبوط أكثره بالشكل ، وتقع فى ٣١٧ ورقة ، وعدد سطور الصفحة عشرون سطرا ، وأصلها المخطوط بمكتبة الإسكوريال برقم ١٤٥ .

وإلى صديق العلامة الأستاذ محمد بن تاووت الطنجيّ يرجع الفضل في إعانتى على تصوير نسخة منها .

وقد رمزت إلى هذه النسخة بكلمة « الأصل » وأثبت جميع ما فيها من الحواشى .

(٢) نسخة بخط محمد بن أبي طاهر بن أبي الحسين الوراق ، فرغ من كتابتها في منتصف رجب سنة ٥٨٦ برسم مرشد الدين أبي الحسن علي بن الحسين بن أبي الحسن الواراني ، وعليها قراءة للواراني على شيخه الحسن بن الحسين بن علي الدوريسى بتاريخ سنة ٥٨٧ ، بروايته عن فضل الله بن علي بن الحسين الراوندى عن الإمام عبد الرحيم بن الإخوة عن أبي غانم المعصمى عن السيد المرتضى ؛ وكتب ذلك الدوريسى بخطه .

وفي آخر هذه النسخة الزيادات التى رأى السيد المرتضى إضافتها إلى الكتاب ؛ مما لم يذكر فى نسخة الأصل ؛ وهى أيضا بخط محمد بن أبي طاهر بن أبي الحسين الوراق ، كتبها برسم مرشد الدين أبي الحسن الوراق المذكور فى شعبان من السنة نفسها وعلى هذه النسخة ما يثبت أن الحسن بن الحسن بن الحسين انتسخ منها ومن الزيادات نسخة له .

وفى حواش كثيرة ؛ ومنها ما يوافق ما فى حواشى نسخة الأصل .

وقد فقد منها صفحة العنوان الخارجى ؛ ولعله يكون قد ألصقت بها ورقة بيضاء ، وبظهرها فاتحة الكتاب ، وبرأسها حلية بالألوان وعنوانات المجالس مميزة بخط كبير واضح ، وفى آخرها اسم ناسخها وتاريخ النسخ ؛ مرة بعد المجالس ومرة بعد الزيادات . وهى مكتوبة بقلم معتاد ، مضبوطة بالشكل الكامل المتقن ؛ وعدد أوراقها ٢٤٥ ورقة وفى كل صفحة ٢٢ سطرا .

وأصل هذه النسخة مخطوط محفوظ بمكتبة فيض الله بإستانبول برقم ١٤٨٥ ؛ وهى مما

صوّره معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة . وقد رمزت إليها بالحرف « ف » .

٣ - نسخة كتبت لحيدر بن محمد بن زيد بن محمد بن زيد بن عبد الله الحسيني، وعليها سماع لأبي البركات علي بن نصر بن علي بن الأعز الحسيني على حيدر المذكور مؤرخ سنة ٦١٩ .

والموجود منها مجلد واحد ينتهي بآخر المجلس الرابع والثلاثين ، وليس بآخره اسم الناسخ أو تاريخ النسخ ، ومن المؤكد أنها كتبت قبل سنة ٦١٩ ، وهو تاريخ السماع الموجود بالصفحة الأولى .

وبآخر المجلد سماع لحيدر بن محمد صاحب النسخة المذكور، بقراءة علي ابن الأعز وبحضور آخرين ذكرت أسماءهم ، بتاريخ سنة ٦٢٤ .

وقد عورضت هذه النسخة بنسخ أخرى، أشير إلى خلافها في الحاشية بهذا الرمز (خ) . وبها حواش يوافق الكثير منها الحواشي التي ذكرت في الأصل . ويلاحظ أن بعض هذه الحواشي نقلت عن نسخة ابن الشجري ، ويسبقها رمزها المعروف : «ش» أحياناً ، وأحياناً بلفظ «ابن الشجري» .

وقد كتبت بالخط النسخ الجلي الواضح، وضبطت بالشكل الكامل، وعدد أوراقها ٢٨٥ ورقة وعدد سطور كل صفحة ١٣ سطراً ، وهي محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ١٨٣ أدب تيمور .

وقد رمزت إليها بالحرف « ت » .

٤ - نسخة بخط هاشم بن الحسين الحسيني ، فرغ من كتابتها في العاشر من شعبان

سنة ١٠٦٧ ، وذكر في آخرها أنه قابلهما على الأصل الذى كتبت عنه ، وانتهى من ذلك فى السادس عشر من شعبان المذكور .

وهى أربعة أجزاء فى مجلد واحد . وتقع فى ١٨٢ ورقة ، وفى كل صفحة ٢٣ سطرا ؛ كتبت بخط دقيق .

وقد رمزت إليها بالحرف «د»

٥ - نسخة طبعت فى طهران سنة ١٢٧٣ ، ومعها التكملة ، وعليها حواش ، يوافق بعضها ما فى نسختى الأصل ، وف . ولم يذكر فيها ما يشير إلى الأصل الذى طبعت عليه ؛ إلا أنه ذكر فى حاشية ص ٢٠٠ عند آخر المجلس الرابع والعشرين : « هذا آخر المجلدة الأولى من أصل الجعفرى - رحمه الله » . ويؤخذ من هذا أن لها علاقة بنسخة أبى يعلى محمد بن حسن بن حمزة الجعفرى ؛ وهى إحدى النسخ التى قبلت بها نسخة «الأصل» .

وقد رمزت إلى هذه النسخة بالحرف « ط »

٦ - نسخة طبعت فى مصر بمطبعة السعادة سنة ١٣٢٥ ؛ على نفقة السيد أمين الخانجى وأحمد ناجى الجمالى ، وعليها شروح وتعليقات للسيد محمد بدر الدين النعمانى الحلبي ، ثم السيد أحمد أمين الشنقيطى .

ولم يذكر أيها ما يشير إلى الأصل الذى طبعت عليه . والعنوان الذى وضع على هذه الطبعة : «أمالى السيد المرتضى» ، وبه عرف الكتاب .

وقد أشرت إلى هذه النسخة بالحرف « م »

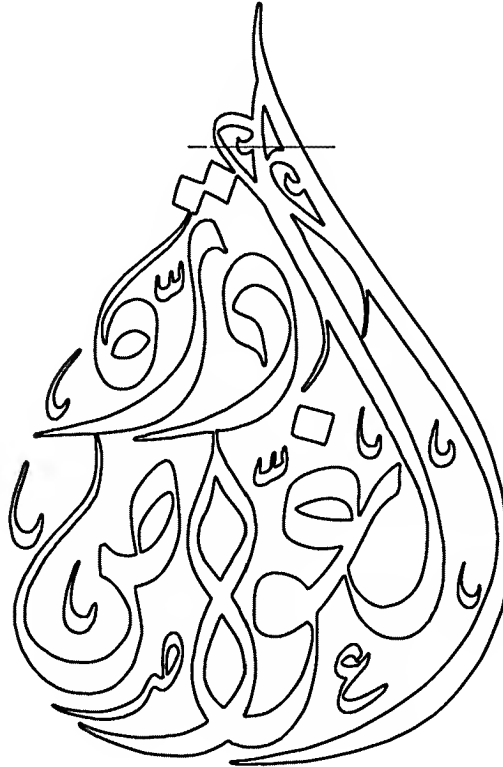
وقد اتخذت نسخة الإسكوريال أصلا للعمل ، وأثبت نصها ، ووضعت فروق النسخ

المخطوطة الأخرى ، أما النسختان المطبوعتان ، فإنى لم أذكر منهما إلا ما انفردا فيه برواية ، وهو قليل .

وقد أثبت جميع حواشى الأصل ، وبعض حواشى نسختى ت ، ف . ووضعت هذه الحواشى بين أقواس تميزا لها عما وضعت من الشرح والتعليق .
وقد بذلت ماوسع الجهد والطاقة ؛ ومن الله التمس الجزاء فيما قصدت ؛ وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

محمد أبو الفضل إبراهيم

مصر الجديدة ٨ شعبان سنة ١٣٧٣
١٢ إبريل سنة ١٩٥٤

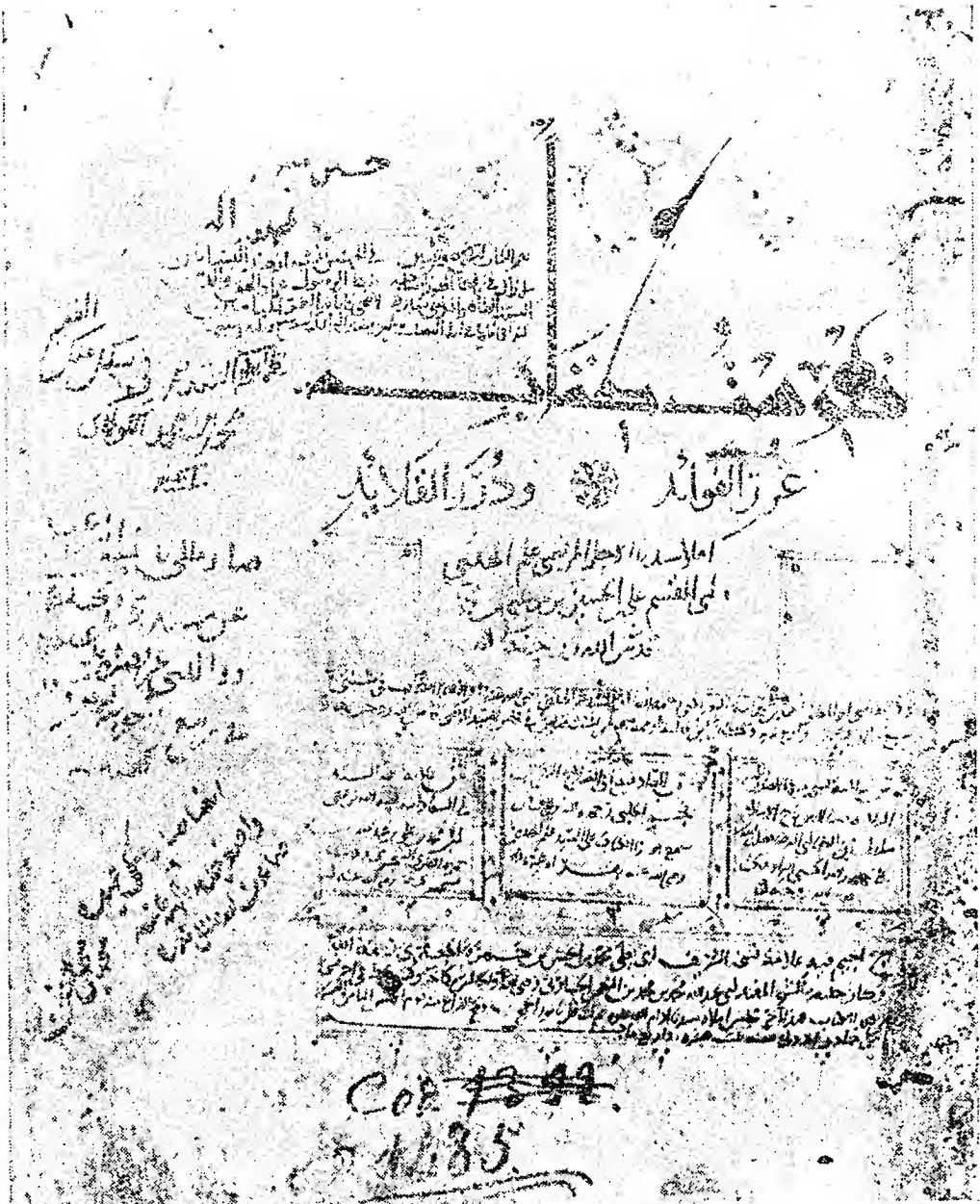


مكتبة الدكتور وازن العطية

لوحة رقم (١)



عنوان الكتاب من نسخة الأصل





مكتبة

أما إلى المرتضى

غُرُ الفوائد وَ دُرُر الفوائد

للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي

٣٥٥ - ٤٣٦ هـ

مكتبة
الدكتور وزير الدين العظمي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَجَالِس

تَأْوِيلُ آيَةٍ

قال الشريف المرتضى قدس الله روحه : إن^(١) سأل سائل عن قول الله تعالى^(٢) : [١٨]
﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَدُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ . [الإسراء : ١٦] .

في هذه^(٣) الآية وجوه من التأويل ؛ كل منها يُبطل الشبهة الداخلة على المبطلين فيها ؛ حتى عدلوا بتأويلها عن وجهه ، ودرّفوه عن بابه .

أولها : أن الإهلاك قد يكون حسناً ، وقد يكون قبيحاً ؛ فإذا كان مُسْتَحَقّاً أو على سبيل الامتحان كان حسناً ، وإنما يكون قبيحاً إذا كان ظُلماً ؛ فتعاقب الإرادة به لا يقتضي تعلّقها به على الوجه القبيح ، ولا ظاهر الآية^(٤) يقتضي ذلك ؛ وإذا علمنا بالأدلة تنزّه القديم تعالى عن القبايح علمنا أن الإرادة لم تتعاقب إلا بالإهلاك الحسن ؛ وقوله تعالى : ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ المأمور به محذوف ؛ وليس يجب أن يكون المأمور به هو الفسق ، وإن وقع بعده الفسق ؛ ويجرى هذا مجرى^(٥) قول القائل : أمرته فمضى ، ودعوته فأبى . والمراد أنني أمرته بالطاعة ، ودعوته إلى الإجابة والقبول .

ويمكن أن يقال على هذا الوجه : ليس موضع الشبهة ما تكلمتم عليه ؛ وإنما موضعها أن يقال : أي معنى لتقدم الإرادة ؟ فإن كانت متعلّقة بإهلاك مُسْتَحَقٍّ بغير الفسق المذكور في الآية فلا معنى لقوله تعالى : إذا أردنا أمرنا ؛ لأن أمره بما يأمر به لا يحسن إرادته ١٥

(١-١) ت ، د ، ف : « قال الله جل من قال » . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « لهذه » .

(٣) ش : « ولا ظاهر الآية » . (٤) ت ، د ، حاشية الأصل (من نسخة) : « وإنما

يجرى » ، وفي حاشية الأصل أيضاً (من نسخة أخرى) : « وإنما هذا يجري » .

للعقاب المستحق بما تقدم من الأفعال ، وإن كانت الإرادة متعلقة بالإهلاك المستحق بمخالفة الأمر المذكور في الآية فهذا الذي تأبونه ، لأنه يقتضى أنه تعالى يريد لإهلاك من لم يستحق العقاب .
والجواب عن ذلك أنه تعالى لم يعاقب الإرادة إلا بالإهلاك^(١) المستحق بما تقدم من الذنوب ؛ والذي حسن قوله تعالى : وإذا أردنا أمرنا ... هو أن في تكرار الأمر بالطاعة والإيمان إغذاراً إلى العصاة ، وإنذاراً لهم ، وإيجاباً وإثباتاً^(٢) للحجة عليهم / : حتى يكونوا متى خلفوا وأقاموا على العصيان والطغيان بعد تكرار^(٣) الوعيد والوعظ والإنذار ممن يحق عليه القول ، وتجب عليه^(٤) الحجة ؛ ويشهد بصحة^(٥) هذا التأويل قوله تعالى قبل هذه الآية : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ . [الإسراء : ١٥] .

والوجه الثاني في تأويل الآية أن يكون قوله تعالى : ﴿ أَمْرًا مُتَرَفِّعًا ﴾ من صفة القرية وصلتها ، ولا يكون جواباً لقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا ﴾ ، ويكون تقدير الكلام : وإذا أردنا أن نهلك قرية من صفتها أننا أمرنا مترفعاً ففسقوا فيها^(٦) ، وتكون « إذا » على هذا الجواب لم يأت لها جواب ظاهر في الآية ، للاستغناء عنه بما في الكلام من الدلالة عليه^(٧) ؛ ونظير هذا قوله تعالى في صفة الجنة : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ

(١) ت ، ف : « يهلك مستحق » . (٢) ساقطة من ت ، د ، ف . (٣) ت ، د : « تكرر » .
(٤) ساقطة من ف . (٥) ت ، ف : « لصحة » . (٦) في ت ، وحاشية الأصل :
« ويكون كأنه قال تعالى : وإذا أردنا أن نهلك قرية مأموراً مترفعاً كررنا القول عليهم ، وأعدنا الوعد لهم ، وأمرناهم ثانياً ففسقوا فيها ، فحق عليها القول . والله أعلم بالمراد » .
(٧) في ت ، ق ، حاشية الأصل ، : « يمكن أن يتمحل » لإذا في الآية جواب ، وهو أن تجعل الفاء في قوله تعالى : ﴿ فَدَمَّرْنَا هَا ﴾ زائدة ، وتعمل « دمرنا » جواباً لإذا ، ولا خلاف في مورد الفاء زائدة في كلام العرب ؛ حكى ابن جنى عن أبي على قال : حكى أبو الحسن عنهم : « أخوك فوجد » بمعنى أخوك وجد . ومن ذلك قولهم : زيدا فاضربه ، وعمرنا فأكرم ، وعلى هذا قوله تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ، وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ ، ويكون معنى الآية على هذا إخباراً عن عزة الله تعالى وقدرته على جميع ما أراد تعالى . وحجة الفاء زائدة ، في بيت الكتاب :

لَا تَجْزَعِي إِنْ مُنْفِسًا أَهْلَكَتُهُ وَإِذَا هَلَكْتُ فَعِنْدَ ذَلِكَ فَاجْزَعِي
الفاء في « فاجزعي » زائدة .

لَهُمْ خَزَنَتُهُمْ سَلَامٌ عَلَيْهِمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ . وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٣-٧٤﴾ [الزمر : ٧٣-٧٤] ، ولم يأت « لإذا » جوابٌ في طول الكلام للاستغناء عنه^(١) .

ويشهد أيضا بصحة^(٢) هذا الجواب قول الهذلي :

حتى إذا أسلكوهم^(٣) في قَتَائِدَةٍ شَلًّا كما تَطْرُدُ الْجَمَالَ الشُّرْدَا^(٤) ه
فحذف جواب إذا ، ولم يأت به ، لأن هذا البيت آخر القصيدة^(٥) .

والوجه الثالث : أن يكون ذكر الإرادة في الآية مجازاً أو اتساعاً وتنبها على المعلوم من حال القوم وعاقبة أمرهم ، وأنهم متى أمرُوا فَسَقُوا وخالفوا ؛ وذكرُ الإرادة يجري هاهنا مَجْرَى قَوْلِهِمْ : إذا أراد التاجرُ أن يفتقرَ أتته النوائبُ من كل جهة ، وجاءه الخسران من كل طريق ، وقولهم : إذا أراد الليلُ أن يموتَ خلطَ في ما كَلِه ، وتسرع إلى كل ماتتوق^(٦) .

(١) حاشية الأصل : « كأن التقدير : إذا جاءوها حضروها وفتحت ؛ أو هموا بدخولها ، وما أشبه ذلك ، والله أعلم » . (٢) كذا في الأصل ، حاشية ت (من نسخة) ؛ وفي ت ، ف : « لصحة » . (٣) د ، ف ، حاشية ت (من نسخة) : « سلكوهم » .

وسلك لغة في أسلك ، وأورده صاحب الكشاف بهذه الرواية عند تفسير قوله تعالى : ﴿ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ . (٤) حواشي الأصل ، ت ، د ، ف : « البيت لعبد مناف بن ربيع الهذلي ؛ في آخر قصيدته التي أولها :

مَاذَا يَغْيَرُ ابْنَتِي رُبْعٌ عَوِيْلُهُمَا لَا تَرَقْدَانِ وَلَا بُوسَى لِمَنْ رَقَدَا

قتائدة : موضع ، والجمالة : أصحاب الجمال ، كالبنالة والحمار ، وانتصاب « شلا » على المصدر ، ودل على فعل مضمر يحصل بظهوره جواب « حتى إذا سلكوهم » المنتظر ، وتلخيصه : حتى إذا أسلكوهم هذا الموضع شلوهم شلا ، يشبه طرد الشرد من الجمال إذا تزاخت على الماء ؛ وهذا كما يقال : طردوهم طرد غرائب الإبل . ومعنى أسلكوهم جعلوا لهم مسلكا ، والسلك : إدخال شيء في شيء تسلكه فيه ، ومنه ﴿ مَا سَلَكَكُمْ ﴾ . وروى أبو عبيدة : « الشرد » (بفتح الشين والراء) ، وقال : تقول : إبل شرد وجاب وطرده .

وانظر الكلام على هذا البيت في (ديوان الهذليين ٢ : ٤٢ ، وأدب الكاتب ٢٤ : ، والاقتضاب ٤٠٢) . (٥) حاشية الأصل : « جواب الشرط جزء لا يتم المشروط دونه ؛ فإذا حذف كان أهول للكلام ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ... ﴾ الآية ، وكقول الفائل : لو رأيت عليا بصفين ، وكقولهم : لو ذات سوار لطمتي » .

إليه نفسه ؛ ومعلوم أن التاجر لم يُرد في الحقيقة شيئاً ، ولا العليل^(١) أيضاً ، لكن لما كان المعلوم من حال هذا الخسران ، ومن حال هذا الهلاك حسن هذا الكلام ، واستعمل ذكر الإرادة لهذا الوجه^(٢) . وكلام العرب وَحْيٌ وإشارات واستعارات ومجازات^(٣) . ولهذا الحال كان كلامهم في المرتبة العليا من الفصاحة ؛ فإن الكلام متى خلا من الاستعارة^(٤) ، وجرى كله على الحقيقة كان بعيداً من الفصاحة ، برياً من البلاغة ، وكلام الله تعالى أفصح الكلام .

[٢ ظ] / والوجه الرابع : أن تُحمل الآية على التقديم والتأخير ؛ فيكون تأخيرها : إذا أمرنا مُتر في قرية بالطاعة فمعصوا واستحقوا العقاب أردنا إهلاكهم ؛ والتقديم والتأخير في الشعر وكلام العرب كثير . ومما يمكن أن يكون شاهداً لصحة هذا التأويل من القرآن قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ ﴾ [المائدة : ٦] ، والطهارة إنما تجب قبل القيام إلى الصلاة ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ ﴾ [النساء : ١٠٢] ، وقيام الطائفة معه يجب أن يكون قبل إقامة الصلاة ؛ لأن إقامتها هي^(٥) الإتيان بجميعها على الكمال .

فأما قراءة مَنْ قَرَأَ آيَةَ بِالْتَّشْدِيدِ فقال : ﴿ أَمَرْنَا ﴾^(٦) ، وقراءة مَنْ قَرَأَهَا بِالْمَدِّ

(١) كذا في الأصل ، د ، وحاشية ت (من نسخة) ، وفي ت ، ف : « المريض » .
 (٢) في حاشيتي الأصل ، ت : « تصوير المجاز في الآية على أن التقدير : إذا قرب هلاك قرية أمرنا متريفيها ففسقوا ؛ وكذلك قودم : إذا أراد المريض ... التقدير : إذا قرب موت المريض خلط ، وكذلك التاجر إذا قرب إفقاره أته النوائب ؛ وهذا كقوله تعالى : ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ ﴾ ؛ أى يقرب أن ينقض ؛ وإنما كنى بالإرادة عن القرب في هذه المواضع لأن المريد للشيء ، المخلى بينه وبينه — ولا مانع هناك — ما أقرب ما يقع مراده ، والله أعلم » .
 (٣) حاشية الأصل : « الإرادة قد تستعمل في الجماد فضلاً عن العقلاء ؛ كقوله تعالى : ﴿ جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ ﴾ ؛ وكقول الراعي النمرى :

فِي مَهْمَةٍ قَلَّتْ بِهِ هَامَاتُهَا قَلَقَ الْفُؤُوسِ إِذَا أَرَدَنْ نَصُولَا

(٤) كذا في الأصل ، وحاشية ت (من نسخة) ، وفي ت : « وإن كان الكلام متى خلا من الاستعارة » ، وفي ف : « فإن كان الكلام متى خلا من الاستعارات » . (٥) حاشية ت (من نسخة) : « هو الإتيان » .
 (٦) هي قراءة شاذة ، عن أبي عثمان النهدي ، والليث عن أبي عمرو ، وأبان عن عاصم . (وانظر القراءات الشاذة لابن خالويه ٧٥) .

والتخفيف فقال : ﴿ آمَرْنَا ﴾^(١) فلن يخرج معنى قراءتيهما عن الوجود التي ذكرناها^(٢) ؛
إلا الوجه الأول ؛ فإن معناه لا يليق إلا بأن يكون ما تضمنته الآية هو الأمر الذي يُستدعى
به الفعل^(٣) .

تأويل خبر

روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « مَنْ تَعَامَ الْقُرْآنَ ثُمَّ نَسِيَهِ لَقِيَ اللَّهَ
تعالى وهو أجذم » .

قال أبو عبيد القاسم بن سلام^(٤) مفسراً لهذا البيت في كتابه غريب الحديث : الأجذم :
المقطوع اليد ، واستشهد بقول المتكلم^(٥) :

وما كنتُ إلا مثلَ قاطعِ كفِّهِ بِكَفِّ له أخرى فأصبحَ أجذماً
وقد خطأ عبد الله بن مسلم بن قتيبة^(٦) أبا عبيد في تأويله هذا الخبر وقال : الأجذم وإن

(١) هي قراءة شاذة أيضاً ، عن خارجة عن نافع ؛ (وانظر المصدر السابق) .

(٢) حاشية الأصل : « قوله أمرنا ، بالشديد : كثرنا ، وأمرنا ، بالتخفيف : جعلناهم أمراء ؛
وإن شئت فالعكس من ذلك ، والصحيح العكس » . (٣) ت ، د ، حاشية الأصل (من نسخة) :
« يستدعى به إلى الفعل » .

(٤) هو أبو عبيد القاسم بن سلام ، اللغوي الفقيه المحدث ، ولد بهراة ، ثم ذهب إلى بغداد ، ودرس
بها الأدب والحديث والفقه ، وولى القضاء بطرسوس ؛ وخرج منها إلى مكة ، وسكنها حتى مات سنة ٢٢٤ .
وكتابه غريب الحديث جمع فيه ما في كتب أبي عبيدة وقطرب والأخفش والنضر بن شميل ، وذكر
أحاديث كل رجل من الصحابة على حدة . قال ابن الأثير : « جمع كتابه المشهور في غريب الحديث والآثار ،
الذي صار أولاً ؛ وإن كان أخيراً ؛ لما حواه من الأحاديث والآثار الكثيرة والمغاني اللطيفة والفوائد الجمة ؛
فصار فيه القدوة في هذا الشأن ، أفنى فيه عمره ؛ حتى إنه قل فيما يروى : إنى جمعت كتابي هذا في
أربعين سنة ، وهو كان خلاصة عمري » . ومنه نسخة مصورة بدار الكتب المصرية منقولة عن نسخة
مخطوطة بمكتبة كبرى في بالستانة . (وانظر إنباه الرواة ٣ : ١٢-٢٣ ، والنهاية لابن الأثير ١ : ٤-٥ .
وكشف الظنون ١٢٠٤) . (٥) هو جرير بن عبد المسيح الضبعي ، والبيت من قصيدة له أولها :

يُعَيِّرُنِي أُمِّي رَجَالٌ وَلَا أَرَى أَخَا كَرَمٍ إِلَّا بَأْنُ يَتَكَرَّمَا

وهي في (ديوانه ١٦٩ ، والأصمعيات ٦٤-٦٥ ، ومختارات ابن السجري ٢٨-١٩) ؛ وخبر القصيدة
في (الخزانة ٤ : ٢١٥-٢١٦) . (٦) هو أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، ولد ببغداد ونشأ =

كان المقطوع اليد ؛ فإن هذا المعنى لا يابق بهذا الموضع . قال : لأن العقوبات من الله تعالى لا تكون إلا وفقاً للذنوب وبحسبها ، واليد لا مدخل لها في نسيان القرآن ، فكيف تعاقب فيه ! واستشهد بقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ [البقرة : ٢٧٥] ، وزعم أن تأويل الآية أن الربا إذا أكلوه ثقل في بطونهم ، ورباً في أجوافهم ؛ لجعل قيامهم مثل قيام^(١) من يتخبطه الشيطان تعراً وتخبلاً . واستشهد أيضاً بما روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « رأيت ليلة أُسري بي قوماً تُقرضُ شِفَاهَهُمْ ، وكلما قُرِضَتْ وَفَتْ ، فقال لي جبريل : هؤلاء خطباء أمتك ، تُقرضُ^(٢) شِفَاهَهُمْ ؛ لأنهم يقولون ما لا يفعلون » . قال : والأجذم في الخبر إنما هو المجذوم ؛ وإنما جاز أن يُسمى المجذوم أجذم ؛ لأن الجذام يقطع ١٠ أعضاءه ويشذبها ؛ والجذم هو القطع .

[٣٠] قال الشريف المرتضى رضي الله عنه : قد أخطأ الرجلان جميعاً ، / وذهباً عن الصواب ذهاباً بعيداً ، وإن كان غلطُ ابن قتيبة أخش وأقبح ؛ لأنه علل غلطه ، فأخرجه إلى أغاليط كثيرة ؛ ونحن نبين معنى الخبر ثم نتكلم على ما أورده .

أمامنى الخبر فهو ظاهر لمن كان له أدنى معرفة بمذاهب العرب في كلامها ؛ وإنما أراد عليه السلام بقوله : يحشر أجذم ؛ المبالغة في وصفه بالنقصان عن الكمال ، وقد ما كان عليه بالقرآن من الزينة والجمال . والتشبيه له بالأجذم من حسن التشبيه وعجيبه ؛ لأن اليد من الأعضاء الشريفة التي لا يتم كثير من التصرف ولا يوصل إلى كثير من المنافع إلا بها ؛ ففاقدوها

== بها ، وأقام بالدينور مدة فغصب إليها ، وحدث ببغداد عن إسحاق بن راهويه وطبقته ، وروى عنه ولده أحمد وابن درستوبه ؛ توفي سنة ٢٧٦ ؛ وكتابه في غريب الحديث ذكره ابن الأثير فقال : « فصنف كتابه المشهور في غريب الحديث والآثار ؛ حذا فيه حذو أبي عبيد ، ولم يودعه شيئاً من الأحاديث المودعة في كتاب أبي عبيد ؛ إلا ما دعت إليه حاجة من شرح وبيان واستدراك ، فجاء كتابه مثل كتاب أبي عبيد أو أكبر » . (وانظر إنباء الرواة ٢ : ١٤٣-١٤٧ ، والنهاية لابن الأثير ١ - ٥ ، وكشف الظنون ١٢٠٤) . (١) ساقطة من ف . (٢) كذا ضبطت بالقلم في الأصل ، وفوت ، ش : « تقرض » بضم التاء وفتح القاف وتشديد الراء المفتوحة .

يفقد ما كان عليه من الكمال، وتفوته المنافع والمرافق التي كان يجعل يده ذريعةً إلى تناولها؛ وهذه حال ناسي القرآن ومضيئه^(١) بعد حفظه، لأنه يفقد ما كان لا بساً له من الجمال، ومستحقاً له من الثواب، وهذه عادة للعرب في كلامهم معروفة؛ يقولون فيمن فقد ناصره ومعينه^(٢) : فلان بعد فلان أجدع، وقد بقي بعده أجدم؛ قال الفرزدق يرثي مالك بن مسمع^(٣) :
تَضَعُ طَوْدًا وَائِلًا بَعْدَ مَالِكٍ وَأَصْبَحَ مِنْهَا مَعْطَسُ الْعَزِّ أَجْدَعًا^(٤) ٥
وإنما أراد المعنى الذي ذكرناه. وللعرب ملاحن في كلامها^(٥)، وإشارات إلى الأغراض، وتلويحات بالمعاني، متى لم يفهمها ويسرع إلى الفطنة بها من تعاطى تفسير كلامهم، وتأويل خطابهم كان ظالماً نفسه، متعدياً طوره.

ونعود إلى الكلام على ما ذكره الرجلان؛ أما أبو غبيد فإن خطأه من حيث لم يَفْطِنْ للغرض في الخبر، وضلَّ عن وجهه، وإلا فلا أجدم هو الأقطع لا محالة كما قال؛ إلا أنه ١٠ لا يليق بهذا الموضع، وإذا أُحْمِلَ عليه لم يُفِدْ شيئاً؛ وإن كانت^(٦) شبهته التي أوقعته في هذا التأويل ظننه أن ذلك يكون على سبيل العقوبة له على نسيان القرآن فليس كما ظن، لأنَّ الجذم^(٧) أولاً ليس بعقوبة؛ لأن الله تعالى قد يجذم^(٨) أوليائه والصالحين من عباده، ويقطع أعضاءهم بالأمراض، وقد ابتدئ خلق مَنْ هونا قص الأعضاء؛ فليس بل لازم في الجذم أن يكون عقوبة. ثم لو كان يستحق ناسي القرآن عقوبةً على نسيانه لكان حفظ القرآن ١٥ بأسره فرضاً واجباً وحباً لازماً^(٩)؛ لأن العقوبة لا تستحق بترك ما ليس بواجب، وليس

(١) كذا ضبطت بالقلم في الأصل، ت، وفي ش: «ومضيئه»، بكسر الصاد وبمدها ياء ساكنة.

(٢) في نسخة بمحاشيتي الأصل، ت: «ومغيته».

(٣) هو مالك بن مسمع الجعدي؛ من بكر بن وائل، كان سيد ربيعة في زمانه، وتوفي سنة ٧٣.

(المعارف: ١٨٤، وجهرة الأنساب: ٣٠١، والإصابة ٦: ١٦٤).

(٤) ديوانه: ٤١٤. (٥) حاشية ف (من نسخة): «كلامهم».

(٦) ت: «وإن كان». (٧) حاشية ت (من نسخة): «الجذام».

(٨) نسخة أبي السعادات الشجري: «يجذم» يضم الياء وفتح الجيم وتشديد الذال المكسورة؛

وضبطت في ت بالوجهين معاً، وفي حواشي الأصل، ت، ف: «الجذم القطع»، وفند جذم (بكسر الذال)

يجذم جذماً فهو أجدم، أي مقطوع اليد. (٩) حاشية الأصل: «الملازمة ممنوعة».

حفظ جميع القرآن كذلك .

- [٣ ظ] وأما ابن قتيبة فإنه غلط من حيث لم يفتن للوجه / في الخبر الذي ذكرناه ؛ من حيث ظن أن العقوبة لا تكون إلا في محل الذنب ، وهذا القول يوجب عليه ألا يجلد ظهر الزاني ، وتختص العقوبة بفرجه ، وكذلك القاذف كان يجب أن يعاقب في لسانه دون سائر أعضائه ؛ والخبر الذي استشهده حجة عليه ، لأننا نعلم أن اللسان أقوى خطأ في باب الكلام ٥ من الشفة ، فلم لم يخص بالعقوبة (١) وحلت بالشفاه دونه ؟ ثم غلطه في تأويل الآية التي أوردها أقبح من كل ما تقدم ؛ لأنه توهم أن ما تضمنته الآية من تحبُّط آكل الربا وتعتُّره عند القيام إنما هو في الدنيا من حيث يتثقل ما أكله في معدته فيمنعه من النهوض ؛ ونحن نعلم ضرورة خلاف ذلك ، ونجد كثيراً من آكل الربا أخف نهوضاً ، وأسرع قياماً ١٠ وتصرُّفاً من غيرهم ؛ بمن لم يأكل الربا قط ؛ والمعنى في الآية ما ذكره المفسرون من أن ما وصفهم الله تعالى به يكون عند قيامهم من قبورهم ، فيلحظهم المثار والزَّلَل والتَّخَبُّل على سبيل العقوبة لهم ، وليكون ذلك أيضاً أمارة لمن يعاقبهم (٢) من الملائكة والخزنة على الفرق بين الولي والعدو ، ومستحق الجنة ومستحق النار . وليس بمعروف ولا ظاهر أن الأجذم هو المجذوم ؛ ورد ابن قتيبة معناه واشتقاقه إلى الجذم الذي هو القطع يوجب عليه ١٥ أن يكون كل داء يقطع الجسد ويفرق أوصاله ؛ كالجذري والأكأة (٣) وغيرها يسمى جذماً ، ويسمى من كان عليه أجذم ، وهذا باطل .

وأما قول الشاعر (٤) :

حَرَّقَ قَيْسٌ عَلَى الْبَلَا دَ حَتَّى إِذَا اضْطَرَمْتُ أَجْذَمًا

فليس من هذا الباب ؛ بل هو من الأجذام الذي هو الإسراع ؛ فكأنه قال : لما اضطرمت

(١) ف : « فلم لم تختص العقوبة به » . (٢) ف ، وحاشية ت (من نسخة) : « ويعاينهم »

(٣) في نسخة بحواشي الأصول ، ت ، ف : « الأكأة ، بالكسر : الحكة ، والأكأة ، بالضم :

اللقمة » . (٤) هو الربيع بن زياد العبسي ، من أبيات في الحماسة بشرح التبريزي ٢ : ٦١ - ٦٣ ،

واللسان (جذم) .

أسرع عني ، وتباعد مني . والإجذام ، بالذال المعجمة والذال غير المعجمة جميعا : الإسراع ؛
فأما قول عنترة في وصف الذئب^(١) :

هَزَجًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ قَدَحَ الْمَكِيبِ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْذَمِ
الْأَجْذَمُ مِنْ صِفَةِ الْمَكِيبِ^(٢) لَا مِنْ صِفَةِ الزَّنَادِ ؛ فَكَأَنَّهُ^(٣) قَالَ : قَدَحَ الْمَكِيبِ الْأَجْذَمِ
عَلَى الزَّنَادِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنِ التَّشْبِيهِ وَوَاقِعِهِ^(٤) .

مَسْأَلَةٌ

قَالَ الشَّرِيفُ الْمُرْتَضَى قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ : كَانَ بَعْضُ الشُّيُوخِ الْمُتَقَدِّمِينَ^(٥) يَقُولُ : لَيْسَ
بِمُتَنَبِّعٍ أَنْ يُتِمَّكَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الظُّلُمِ مَنْ / يَعْلَمُ مِنْ حَالِهِ أَنَّهُ يَرُدُّ الْقِيَامَةَ غَيْرَ مُسْتَحِقٍّ [؛ وَ]
لِشَيْءٍ مِنَ الْأَعْوَاضِ ، أَوْ لِمَا يُوَازِي الْقَدْرَ الْمُسْتَحَقَّ عَلَيْهِ مِنْهَا ؛ فَإِذَا أَرَادَ الْإِنْتِصَافَ مِنْهُ
تَفَضَّلَ عَلَيْهِ بِمَا يُثْقَلُ إِلَى مُسْتَحِقِّ الْعَوَاضِ ، وَيَقُولُ : لَيْسَ هَذَا بِبَعِيدٍ وَلَا مُسْتَحِيلٍ ، لِأَنَّ
الْعَوَاضَ لَيْسَ يَخْتَصُّ بِصِفَةٍ تَمْنَعُ مِنَ التَّفَضُّلِ بِمِثْلِهِ ، وَلَا يَجْرِي فِي ذَلِكَ تَجَرُّى الشُّوَابِ .

(١) مِنَ الْمَعْلُوقَةِ بِشَرْحِ الْبَرْبَرِيِّ ص ١٨٠ ، وَقَبْلَهُ :

وَخَلَا الذُّبَابُ بِهَا فَلَيْسَ بِبَارِحٍ غَرَدًا كِفْعَلِ الشَّارِبِ الْمُتَرَنِّمِ

(٢) فِي حَاشِيَتِي الْأَصْلِ ، ف : « هَذَا مِنْ بَابِ إِجْرَاءِ الصِّفَةِ عَلَى غَيْرِ مَنْ هِيَ لَهُ ، كَقَوْلِنَا : مَرَرْتُ بِرَجُلٍ
حَسَنٍ غَلَاةً . (٣) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ (مِنْ نَسْخَةٍ) : « كَأَنَّهُ » . (٤) د ، م : « مِنْ أَحَدِ التَّشْبِيهِ
وَأَوْفَعِهِ » ؛ وَفِي حَوَاشِي الْأَصْلِ ، ب ، ف : « كَثُرَ اتِّقَالُ الْفَعْلِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْأَجْذَمُ :
الْمَقْطُوعُ الْيَدُ ، وَقَالَ آخَرُونَ : هُوَ الْأَجْذَمُ . وَفِي مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ سِرٌّ ، وَمَعْنَاهُ يَتَضَحُّ بِالْحَدِيثِ الْآخَرِ الَّذِي
رَوَى عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الْفُلَيْنِ ، أَحَدُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ ، حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ . . الْحَدِيثُ
فَلَمَّا شَبَّهِ الْكِتَابَ بِالْحَبْلِ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِهِ ، وَيَحْمِلُ سَبَبًا لِلتَّنَوُّقِ مِنَ الْفَلَاحِ عَنِ تَارِكِهِ وَالْفَاعِلُ عَنْهُ بِالْأَجْذَمِ ،
وَأَمَّا عَنِ الْكَلِمَةِ الْأَجْذَمِ الْمُنْعَةِ ، وَاللَّفْظُ الْمُسْتَكْرَهُ لِأَنَّهُ إِذَا انْقَطَعَ الْحَبْلُ لَمْ يُمْكِنْ أَنْ يُمْسَكَ ، وَإِذَا كَانَتْ
الْيَدُ جُذُمًا أَيْضًا لَمْ يُمْكِنْ الْإِمْسَاكُ ، فَأَرَادَ بِذَلِكَ أَنَّ الْإِمْسَاكَ غَيْرَ حَاصِلٍ ، لِأَمْرِ يَرْجِعُ إِلَى الْيَدِ الْمُسَكَّةِ لَا إِلَى
الْحَبْلِ لِأَنَّ الْحَبْلَ بَاقٍ بِمَانِهِ ؛ فَهَذَا أَحْسَنُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَمَعْنَى النَّسِيَانِ هُوَ تَرْكُ أَحْكَامِهِ ، وَالْأَخْذُ بِحَاجَرِهِ
وَحُدُودِهِ ؛ وَلَا يَرِيدُ ذَهَابَ الْخَفْظِ » . (٥) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ : « أَبُو الْقَاسِمِ الْبَلْخِيُّ » .

وَهُوَ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ السَّكْعِيُّ الْبَلْخِيُّ ، أَحَدُ شُيُوخِ الْمُتَزَلِّةِ ، وَرَأْسُ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ
يُقَالُ لَهُمْ : السَّكْعِيَّةُ ، تَوَفَّى سَنَةَ ٣١٧ . (ابن خلكان ١ : ٢٥٢) .

والمستقر من مذاهب الشيوخ - وهو الصحيح - أن الانتصاف لا يجوز أن يكون موقوفاً على ما يُتفضل به ؛ لأن الانتصاف واجب على الله تعالى من حيث خَلَّى بين عباده وبين الظلم ، فلا يجوز أن يتعلّق إلا بأمرٍ واجب ، والتفضل لفاعله ألا يفعله ، فتتول الحال إلى تعذر الانتصاف . وقالوا : مَنْ يعلم الله تعالى أنه يرد القيامة - ولا أعواض له - يمنعه من الظلم ، ولا يمكنه منه لهذه العلة . ويُحيزون^(١) أن يمكن من الظلم مَنْ يكون في الحال غير مستحقٍّ للعوض ، أو غير مستحقٍّ للقدر الذي يوازى الظلم من العِوض ، بعد أن يكون المعلوم من حاله أنه يرد القيامة وقد استحقَّ من الأعواض ما يوازى ما عليه منها .

قال المرتضى : وهذا القول - نعى تجويز تمكين الظالم من الظلم ، وهو في الحال غير مستحقٍّ للعوض - يبطل بالعلّة التي أبطلنا بها قول مَنْ أجاز الانتصاف بالتفضل ؛ لأنّ نعلم أن تبقيّة المكفّ وغير المكفّ لا تجب ، وللقديم تعالى ألا يفعلها ، فاولم يفعلها واختارم هذا الظالم بعد حال ظلمه لكان الانتصاف منه غير ممكن . وقد تعلّق الانتصاف على هذا القول بما ليس بواجب ؛ كما علّقه مَنْ قدمنا حكاية قوله بما ليس بواجب . وليس لهم أن يقولوا ذلك يحسن ؛ لأن الله تعالى يعلم أنه يُبقيّه فيستحقّ^(٢) أعواضاً ؛ لأن عليهم مثل ذلك إذا قيل لهم : فأجيزوا أيضاً أن يرد القيامة وهو لا يستحقّ العِوض ؛ ويعلم الله تعالى أنه يتفضل عليه بما يقع به الانتصاف .

فإذا قالوا : علم الله تعالى بأنه يتفضل ، لا يخرج التفضل من أن يكون غير واجب ؛ وقيل لهم : وعلم الله تعالى بأنه يُبقي مَنْ لا عِوض له ليستحقّ العِوض ، لا يُخرج التبقيّة من أن تكون غير واجبة ، فاستوى الأمران .

والصحيح أن يقال : إنّه تعالى لا يمكن من الظلم من لا عِوض له في الحال ؛ ليستقيم الكلام ويطرّد .

(١) حاشية الأصل : « أبو هاشم وأصحابه » .

وهو أبو هاشم عبد السلام بن أبي علي الجبائي ، كان هو وأبوه من كبار أئمة المعتزلة ؛ ولهما مقالات على مذهب الاعتزال ؛ وكتب الكلام مشحونة بمذاهبهما واعتقادهما ، توفي سنة ٣٢١ ، (ابن خلكان

١ : ٢٩٢-٢٩٣) . (٢) ت ، وحاشية ف (من نسخة) : « ليستحق » .

مجلس آخر *

تأويل آية

قال الله تعالى (١) : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ ﴾ [ط]
مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿ [الإسراء : ٨٥] .

وقد ظن قوم من غفلة الملحدين وجهالهم أن الجواب عما سُئل عنه في هذه الآية لم يحصل ، وأن الامتناع منه إنما هو لفقد العلم به ، وأن قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ تبكيت وتقريع لم يقعا موقعيهما ؛ وإنما هو (٢) على سبيل المحاجة والمُدافعة عن الجواب .

وفي هذه الآية وجود من التأويل يُبطل ما ظنوه ، وتدلل على ما جهلوه ؛ أولها : أنه تعالى إنما عدل عن جوابهم لعلهم بأن ذلك أدعى لهم إلى الصلاح في الدين ، وأن الجواب لو صدر منه إليهم لازدادوا فساداً وعناداً ؛ إذ كانوا بسؤالهم متعنتين (٣) لا مُستفيدين ؛ وليس هذا بمنكر ؛ لأننا نعلم في كثير من الأحوال ممن (٤) يسألنا عن الشيء أن العدول ١٠ عن جوابه أولى وأصلح في تدبيره .

وقد قيل إن اليهود قالت لكفار قريش : سألوا محمداً ؛ عن الروح فإن أجابكم فليس بنبي ؛ وإن لم يجيبكم فهو نبي ؛ فإننا نجد في كتبنا (٥) ذلك ؛ فأمره الله بالعدول عن ذلك ليكون علماً له ودلالة على صدقه ، وتكذيباً لليهود الرادين عليه ؛ وهذا جواب أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي (٦) .

١٥

* ف : « مجلس ثان » ، وفي حاشيتي الأصل ، ف : « هذا المجلس مما افتتح به الكتاب ، على ما وجد في بعض النسخ » . (١) ف : « إن سأل سائل عن قوله تعالى » . (٢) ف : « هما » . (٣) في ت ، حاشية الأصل (من نسخة) : « معتنين » ، وفي حاشية ف : « أعنت : أتى بالعنت » . (٤) في ت ، حاشية الأصل (من نسخة) : « فيمن » . (٥) حاشية ت (من نسخة) : « كتابنا » . (٦) حاشية ف : « أبو علي من قرية يقال =

وثانيها أن القوم إنما سألوه عن الروح : هل هي محدثة مخلوقة أو ليست^(١) كذلك ؟ فأجابهم إنها من أمر ربى ، وهو أجوابهم عما سألوه^(٢) عنه بعينه ؛ لأنه لا فرق بين أن يقول في الجواب : إنها محدثة مخلوقة ، وبين قوله إنها من أمر ربى ؛ لأنه إنما أراد أنها من فعله وخلقته ، وسواء على هذا الجواب أن تكون الروح التي سألوا عنها هي التي بها قوام الجسد أم عيسى عليه السلام ، أم جبرئيل صلى الله عليه . وقد سمى الله تعالى جبرئيل روحاً ، وعيسى أيضاً مُسمًى بذلك في القرآن .

وثالثها أنهم سألوا عن الروح الذى هو القرآن ، وقد سمى الله القرآن روحاً في مواضع من الكتاب ؛ وإذا كان السؤال عن القرآن فقد وقع الجواب موقعه ، لأنه قال لهم : الروح^(٣) الذى هو القرآن من أمر ربى ، ومما^(٤) أنزله على نبيه صلى الله عليه ؛ ليجمعه دلالة ١٠ وعلماً على صدقه ، وليس من فعل المخلوقين ، ولا ممن يدخل في إيمانهم ؛ وهذا جواب الحسن البصرى .

[ه و] ويقويه قوله تعالى بعد هذه الآية : ﴿ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ، ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾ . [الإسراء : ٨٦] . فكأنه قل تعالى : إن القرآن من أمرى وفعلى^(٥) ومما أنزلته علماً على نبوة رسولى ، ولو شئت لرفعته وأزلته ١٥ وتصرفت فيه ؛ كما تصرف الفاعل فيما يفعل .

لما جاء ؛ وهى من رستاق كارور من ناحية الأهواز ، ويقال لأهل هذه الناحية الربيعيون ؛ لأنهم كانوا استنفروا ليقاتلوا الحسين عليه السلام ، فجاءوا وقد فرغ من أمره ، فطلبوا الأجرة ، فقال ابن زياد : إنكم لم تلبوا بلاه ، وأعطى كل واحد منهم ربع دينار . فلدامت أيامه : أخبرنى بذلك العراقى العلوى البصرى . وكانت وفاة أبى على هذا فى سنة ٣٠٦ . (وانظر ترجمته فى ابن خلكان : ٤٨٠-٤٨١) .

(١) ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « أم ليست » . (٢) ت ، ف : « سألو عنه » .

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « إن الروح » . (٤) ش : « وما أنزله » .

(٥) حاشية الأصل : « ليس فى الآية دليل على قوله : " وفعلى " ؛ كتب هذا الشيخ عبد الرحيم

البغدادى رحمه الله على حواشى نسخة السيد الإمام » .

فصل

قال الشَّريف المرتضى رضى الله عنه : قال أبو مُسلم محمد بن بحر الأصهباني^(١) في قوله تعالى : ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾. [الحجر : ١٩] ؛ قال : إنما خصَّ الموزونَ دونَ الكيل بالذِّكر لوجهين :

أحدهما أن غايةَ الكيل تنتهي إلى الوزن لأن سائرَ المكيالات إذا صارت طعاما دخلت في باب الوزن وخرجت عن باب الكيل ؛ فكأنَّ الوزنَ أعمُّ من الكيل .

والوجه الآخر أن في الوزن معنى الكيل ؛ لأن الوزن هو طلبُ مساواةِ الشيء بالشيء ومقايسته إليه ، وتعديله به ؛ وهذا المعنى ثابتٌ في الكيل ، فخصَّ الوزن بالذِّكر لاشتماله على معنى الكيل .

هذا قول أبي مُسلمٍ ، ووجهُ الآية وما يشهدُ له ظاهرٌ لفظيها غيرُ ما سلكه أبو مسلم ، وإنما أراد تعالى بالموزون المقدَّر الواقع بحسب الحاجة ؛ فلا يكون ناقصاً عنها ، ولا زائداً ١٠ عليها زيادة مُضرّة أو داخلّة في باب العبث . ونظيرُ ذلك من كلامهم^(٢) قولهم : كلام فلان^(٣) موزون ، وأفعاله مقدّرة موزونة ؛ وإنما يراد ما أشرنا إليه ، وعلى هذا المعنى تأوّل المفسرون ذكرَ الموازين في القرآن على أحدِ التأويلين ، وأنها التعديل والمساواة بين الثواب والعقاب ، قال الشاعر^(٤) :

لَهَا بَشَرٌ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ رَخِيمٌ الْحَوَاشِي لَا هُرَاءَ وَلَا نَزْرُ ١٥
والهراء : الكثير ، والنزر : القليل ؛ فكأنه قال : إن حديثها لا يقلُّ عن الحاجة

(١) كان أبو مسلم الأصهباني على مذهب المعتزلة ؛ وصنف التفسير على طريقتهم ، وتوفي سنة ٣٧٠ .

(٢) لسان الميزان ٥ : ٨٩ . (٣) ش : « في كلامهم » .

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « زيد » .

(٤) في م ، وحاشيتي الأصل ، ف : « وهو ذو الرمة » ؛ والبيت في ديوانه : ٢١٢ .

ولا يزيدُ عليها ؛ وهذا يَجْرِي جَرَى أَنْ تَقُولَ : هو موزون . وقال مالك بنُ أسماء
ابنِ خَارجَةَ الْفَزَارِيَّ (١) :

وحديثُ أَلَذَّةٍ هُوَ مِمَّا يَنْعَمُ النَّاعَتُونَ يُوزَنُ وَزْنًا (٢)
منطقُ صَائِبٍ وَتَلَحَّنُ أَحْيَا نَا وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنًا

[٥ ظ] وهذا الوجه الذى ذكرناه أشبهُ بمراد الله تعالى فى الآية ، وأليقُ بفصاحةِ القرآن /
وبلاغتهِ الموفيتين (٣) على فصاحةِ سائرِ الفصحاءِ وبلاغتهم ؛ فأما قولُ الشاعر الذى استشهدنا
بشعره : « وَتَلَحَّنُ أَحْيَانًا » فلم يَزِدِ اللَّحْنَ فى الإعراب الذى هو ضد الصواب (٤) ؛ وإنما أراد
الكنايةَ عن النشئ والتعريضَ بذكره والعدولَ عن الإفصاح عنه ؛ على معنى قوله تعالى :
﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ . [عمد : ٣٠] ، وقول الشاعر (٥) :

وَلَقَدْ وَحَيْتُ لَكُمْ لَكَيْمًا تَفْطَنُونَا وَلَحَنْتُ لَحْنًا لَيْسَ بِالْمُرْتَابِ (٦)

وقد قيل : إن اللحن الذى غنى فى البيت هو الفطنة وسرعةُ الفهم ؛ على ما روى عن

(١) هو مالك بن أسماء بن خارجة بن حصن الفزاري ؛ شاعر إسلامي غزل . (الشعر والشعراء

. (٧٥٨-٧٥٦) .

(٢) حواشى الأصل ، ت ، ف : « حديث معطوف على كلام قبله ؛ أى لها وجهه ، ولها حياه ، ولها
حديث ، أو مثل ذلك . وقوله : « أَلَذَّة » ، أى أستلذه ؛ يقال : لذت به ولذذته ، وقوله : « مما ينعت
الناعتون » ، أى مما ينعت الناعتون . وقوله : « مما يوزن وزنا » ، أى موزونا ، فهو فى موضع الحال .
(٣) حاشية الأصل : « الموفيتين : المشرفتين » .

(٤) حواشى الأصل ، ت ، ف : « المسألة محتملة لأنه يريد باللحن ضد صواب الإعراب ؛
لأن مقابل المنطق الصائب الملحون ، واللحن من الفوانى والفتيات غير مستكره ولا منكسر ، بل قد
يستحب ذلك منهن ؛ لأنه بالتأنيث أشبه ، وللشهوة أدعى ، ومع الغزل أخرى ؛ والإعراب جدد ، وليس الجد
من التعشق والتغزل بشئ ، ثم ما الموجب لأن يتمحل للبيت وجه يسلبه حسن الطباق ؛ ولو أراد به الملاحنة
التي هى الفطنة لكان ملغيا بذكر اللحن ؛ لأن اللحن فى هذا المعنى صائب ، فيذهب الاتساق بذهاب الطباق ؛
فبان لك أن المعنى هو اللحن الذى يضاد صواب الإعراب وإقامته ؛ وإن كان كذلك المعنى الثانى محتملا » .

(٥) هو القتال الكلامي ؛ والبيت فى (الأمل : ١ : ه ، واللسان - لحن) ، وقوله :

هل من معاشر غيركم أدعوهم فلقد سئمتُ دعاء يالأكِلاب!

(٦) حاشية الأصل : « الوحي : الإشارة والرسالة والكلام الخفى ؛ يقال : وحيث إليه فى الكلام ، =

النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « لَعَلَّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَكُونَ الْخَنَ بِحَجَّتِهِ » أى أفطن لها ، وأغوص عليها .

ومما يشهد بما ذكرناه ما أخبرنا به أبو غبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني^(١) قال حدثنا أحمد بن عبد الله العسكري قال حدثنا العنزي قال حدثنا علي بن إسماعيل الزيدى قال أخبرنا إسحاق بن إبراهيم قال : تكلمت هند بنت أسماء بن خارجة فلحنت ، وهى عند الحجاج ، فقال لها : أتلتحين وأنت شريفة فى بيت قيس؟! فقالت : أما سمعت قول أخى مالك لامرأته الأنصارية ؟ قال : وما هو ؟ قالت : قال^(٢) :

مَنْطِقُ صَائِبٍ وَتَلَحَّنُ أَحْيَا نَا وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لِحْنًا

فقال لها الحجاج : إنما عنى أخوك اللحن فى القول ؛ إذا كنى المحدث عما يريد ، ولم يعن اللحن فى العربية^(٣) ، فأصاحى لسانك .

١٠

وقد ظن عمرو بن بحر الجاحظ مثل هذا بعينه وقال : إن اللحن مستحسن^(٤) فى النساء الفرائ^(٥) ، وليس بمستحب منهن كل الصواب والتشبه بفحول الرجال ، واستشهد بأبيات مالك بعينها ، وظن أنه أراد باللحن ما يخالف الصواب^(٦) . وتبعه على هذا الغلط عبد الله ابن مسلم بن قتيبة الدينورى ، فذكر فى كتابه المعروف بعيون الأخبار^(٧) أبيات الفزاري ، واعتذر بها من لحن إن أصيب فى كتابه .

١٥

قال الشريف المرتضى رضى الله عنه : وأخبرنا المرزباني قال أخبرنى محمد بن يحيى

= وأوحيت بمعنى ؟ وقوله : الرتاب ، يجوز أن يكون الرتاب مصدرا كالارتباب ، ويجوز أن يكون مفعولا ، والتقدير : ليس بالرتاب فيه . (١) هو أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني الكاتب صاحب كتاب الموشح ومعجم الشعراء وغيرهما من المصنفات ؛ روى عن ابن دريد وطبقته ، وكان مائلا إلى التشيع ، وهو أحد شيوخ الشريف المرتضى ؛ توفى سنة ٣٨٤ . (ابن خلكان ١ : ٥٠٧-٥٠٨) .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « قوله » . (٣) فى نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « الإعراب » . (٤) فى ت ، ونسخة بحاشية الأصل : « من النساء » .

(٥) حاشية الأصل : « جمع غريرة ؛ وهى التى لم تجرب الأمور » . (٦) الخبر فى (البيان والتبيين ١ : ١٤٧) . (٧) عيون الأخبار ٢ : ١٦١ .

الصُّوْلَى قَالِ حَدَّثَنِي يُحْيَى بْنُ عَلِيٍّ الْمَنْجَمِ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : قُلْتُ لِلْجَاهِظِ : مِثْلَكَ فِي عَقْلِكَ وَعِظْمِكَ بِالْأَدَبِ يُنْشِدُ قَوْلَ الْفَزَارِيِّ وَيُفَسِّرُهُ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ اللَّاحِنَ فِي الْإِعْرَابِ ! وَإِنَّمَا أَرَادَ وَصْفَهَا بِالظَّرْفِ وَالْفِطْنَةِ وَأَمَّا تَوْرِي (١) بِمَا قَصَدْتُ لَهُ وَتَتَنَكَّبُ التَّصْرِيحَ بِهِ ، فَقَالَ لَهُ : قَدْ فَطِنْتَ لَذَلِكَ بَعْدَ ، فَقُلْتُ (٢) : فَغَيَّرَهُ مِنْ كِتَابِكَ ، فَقَالَ : فَكَيْفَ بِمَا سَارَتْ بِهِ الرُّكْبَانُ !

٥ قَالِ الصُّوْلَى : فَهُوَ فِي كِتَابِهِ عَلَى خَطِّهِ .

[٦٠] وَمِنْ حَسَنِ اللَّاحِنِ الَّذِي هُوَ التَّعْرِيزُ وَالْكِنَايَةُ مَا أَخْبَرَنَا بِهِ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبُ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دُرَيْدٍ الْأَزْدِيُّ أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي الْعَنْبَرِ حَصَلَ أَسِيرًا فِي بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ ، فَسَأَلَهُمْ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالُوا : لَا تُرْسِلْ إِلَّا بِحَضْرَتِنَا ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا عَزَمُوا عَلَى غَزْوِ قَوْمِهِ ، فَخَافُوا أَنْ يَنْذَرَهُمْ ؛ فَجَاءَ بَعْدُ أَسُودٌ ، فَقَالَ لَهُ : أَتَعْقِلُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ إِنِّي لِعَاقِلٌ ، قَالَ : مَا أَرَاكَ عَاقِلًا ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى اللَّيْلِ فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ فَقَالَ : هَذَا اللَّيْلُ ، قَالَ : أَرَاكَ عَاقِلًا ، ثُمَّ مَلَأَ كَفَّيْهِ مِنَ الرَّمْلِ فَقَالَ : كَمْ ؟ فَقَالَ : لَا أَدْرِي وَإِنَّهُ لَكَثِيرٌ . فَقَالَ : أَيُّمَا أَكْثَرَ ؟ النُّجُومُ أَمْ النِّيرَانُ (٣) ؟ فَقَالَ : كُلُّهُمَا كَثِيرٌ ، فَقَالَ : أَلْبَغُ قَوْمِي التَّحِيَّةَ ، وَقُلْ لَهُمْ : لِيَكْرِهُوا فَلَانًا - يَعْنِي أَسِيرًا كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ بَكْرِ - فَإِنَّ قَوْمَهُ لِيُكْرِمُونَهُ ، وَقُلْ لَهُمْ : إِنْ الْعَرَفَجِجَ قَدْ أَدْبَى (٤) ، وَشَكَّتِ النِّسَاءُ ؛ وَأَمْرُهُمْ (٥) أَنْ يُعْرَوْا نَاقَتِي الْجُرَاءَ فَقَدْ أَطَالُوا رُكُوبَهَا ، وَأَنْ يَرَكْبُوا جَمَلِي الْأَصْهَبَ (٦) ، بَايَةَ مَا أَكَلْتُ مَعَكُمْ حَيْسًا ، وَاسْأَلُوا عَنْ خَبْرِي أَخِي الْحَارِثَ .

فَلَمَّا أَدَّى الْعَبْدَ الرِّسَالَةَ إِلَيْهِمْ قَالُوا : لَقَدْ جُنَّ الْأَعْوَرُ ، وَاللَّهِ مَا نَعْرِفُ لَهُ نَاقَةً حُمْرَاءَ وَلَا جَمَلًا أَصْهَبَ ، ثُمَّ سَرَّحُوا الْعَبْدَ ، وَدَعَوْا الْحَارِثَ فَقَصَّوْا عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ، فَقَالَ : قَدْ أَنْذَرَكُمُ ،

(١) ت ، وَحَاشِيَةُ الْأَصْلِ (مِنْ نَسْخَةٍ) : « تَوْرَى عَمَّا قَصَدْتُ » . (٢) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ (مِنْ نَسْخَةٍ) : « قُلْتُ » . (٣) م : « أُمُّ التَّرَابِ » . (٤) فِي حَاشِيَتِي الْأَصْلِ ، ف : « الْعَرَفَجِجُ : جَنْسٌ مِنَ الشَّوْكِ ، وَأَدْبَى الرَّمْتُ إِذَا أَشْبَهَ مَا يُخْرَجُ مِنْ وَرْقِهِ الدُّبَا ، وَالدُّبَا : صَفَارُ الْجُرَادِ ؛ وَحِينَئِذٍ يَصَاحُ أَنْ يُوْثَّقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الرَّمْتِ : مِنْ مِرَاعِي الْإِبِلِ ؛ وَهُوَ مِنَ الْحُمْضِ » . (٥) فِي نَسْخَةِ بَحْوَاشِي الْأَصْلِ ، ت ، ف : « وَمَرُّهُمْ » . (٦) فِي حَاشِيَتِي الْأَصْلِ ، ف : « الْأَصْهَبُ : مَا اخْتَلَطَ الْبَيَاضُ بِحُمْرَتِهِ » .

أَمَّا قَوْلُهُ : « أَذْبَى الْعَرْفَجُ » يريد أن الرجال قد استلأموا ولبسوا السلاح ، وقوله : « شَكَتِ النِّسَاءُ » ؛ أى اتخذن الشكاء^(١) للسفر ، وقوله : « الناقاة الحمراء » ، أى ارتحلوا عن الدهناء . واركبوا الصَّمان^(٢) ؛ وهو الجمل الأصهب^(٣) . وقوله : « أَكَلْتُ مَعَكُمْ حَيْسًا » يريد أخلاطاً من الناس قد غزَوْكم ، لأن الحيس يجمع النتمر والسمن والأقيط . فامتثلوا ما قال ، وعرفوا لَحْنَ كلامه .

تَأْوِيلُ خَبَرِ*

رَوَى أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ فِي كِتَابِهِ غَرِيبَ الْحَدِيثِ ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٤) أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ أَحْبَبَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ : فَلَيْسَتْ لَهُ^(٥) لِفَقْرٍ جَلْبَابًا ، أَوْ تَجَفَّافًا^(٦) » .

قال أبو عُبَيْدٍ : قد تأوَّل بعض الناس هذا الخبرَ على أنه أراد به الفقرَ في الدنيا ، قال : وليس ذلك كذلك ؛ لأنَّا نرى فيمن يحبُّهم مثلَ ما نرى في سائر الناس ، من الغنى والفقر ، ولا تميز^(٧) بينهما ، قال : والصَّحيحُ أنه أراد الفقرَ في يوم القيامة ، وأخرجَ الكلامَ مُخْرَجَ ١٠ الموعظة والنصيحة والحثُّ على الطاعات ، فكأنه أراد : مَنْ أَحْبَبَنَا فَلَيْعَدَّ لِقَائِهِ يومَ القيامة ما يَجْبُرُهُ^(٨) مِنَ الثَّوَابِ ، والقُرْبِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَالزُّلْفِ^(٩) عِنْدَهُ .

(١) فِي حَاشِيَةِ الْأَصْلِ ، ف : « جَمْعُ شَكْوَى ، وَهِيَ السَّاءُ الصَّغِيرَةُ » . (٢) حَوَاشِي الْأَصْلِ ، ت ، ف : « الدِّهْنَاءُ : هِيَ أَرْضٌ فِي بِلَادِ تَمِيمٍ ، يَمُدُّ وَيَقْصُرُ . وَالصَّمانُ : أَصْلُهُ الْأَرْضُ الْفَلِيطَةُ ، وَالصَّمانُ : مَوْضِعٌ إِلَى جَنْبِ رَمْلٍ عَالٍ ؛ وَقَالَ :

حَتَّى أَتَى عَلَّمَ الدَّهْنَا يُوَاعِيسُهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّمانِ مَا جَسَمُوا

قَوْلُهُ : « يُوَاعِيسُهُ » ، مِنَ الْوَعَاءِ ، وَهِيَ الرَّمْلُ ، وَهُوَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، أَيْ مَوَاعِيسًا آخِذًا فِي الْإِينِ مِنَ الْأَرْضِ ، وَقَوْلُهُ : « مَا جَسَمُوا » يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ « مَا » اسْتِفْهَامِيَّةً ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ بَعْنِي الذِّي ؛ وَفِي كَلَا الْوَجْهَيْنِ يَكُونُ نَصْبًا لِلدَّلِّ عَلَيْهِ « أَعْلَمُ » مِنَ الْفَعْلِ . (٣) حَاشِيَةُ ف : « أَرَادَ بِالصَّمانِ الْأَرْضَ ؛ وَكُنِيَ عَنْهَا بِالْجَمْلِ الْأَصْهَبِ » . (٤) ف : قَبْلَ هَذَا الْعَنْوَانِ : « مَجْلِسُ آخِرِ » . (٥) ت : « صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ » . (٦) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ (مِنْ نَسْخَةٍ) : « فَلَيْعَدُ » . (٧) التَّجَفَّافُ ؛ بِكسر الناءِ وَفَتْحِهَا : مَا يَجْلُلُ بِهِ الْفَرَسُ مِنْ سِلَاحٍ وَآلَةٍ تَقِيهِ الْجِرَاحَ ، وَقَدْ يَلْبَسُهُ الْإِنْسَانُ أَيْضًا . (٨) ت : « وَلَا تَمِيزُ » ، وَفِي ف ، وَحَاشِيَةُ الْأَصْلِ (مِنْ نَسْخَةٍ) : « وَلَا تَمِيزُ » . (٩) فِي ف ، وَنَسْخَةُ بِحَاشِيَةِ الْأَصْلِ ، ت : « مَا يَجْبُرُهُ » . (١٠) حَاشِيَةُ ت (مِنْ نَسْخَةٍ) : « الزُّلْفَى » .

[٦ ظ] قال أبو محمد عبد الله بن مُسلم بن / قُتيبة : وجهُ الحديث خلافُ ما قاله أبو عُبيد ، ولم يُرد إلا الفقرَ في الدنيا ؛ ومعنى الخبر أن مَنْ أَحَبَّنَا فليصبرْ على التَّكَلُّفِ مِنَ الدنيا والتَّقَنُّعِ فيها ، وليأخذْ نفسه بالكَفِّ عن أحوالِ الدنيا وأعراضِها ؛ وشبهَ الصبرَ على الفقر بالتَّجفافِ أو الجَلْبَابِ ؛ لأنه يسترُ الفقرَ كما يسترُ الجلبابُ أو التَّجفافُ البدنَ . قال : ويشهدُ لصحة هذا التأويل ما رُوى عنه عليه السلام أنه رأى قوماً على بابهِ ، فقال : يا قَنَبَر ، مَنْ هؤلاء ؟ فقال له قَنَبَر : هؤلاء شيعتُكَ ، فقال : مالى لا أرى فيهم سِيماً^(١) الشيعة ؟ قال : وما سِيما الشيعة ؟ قال : نَحْنُ البَطُونُ مِنَ الطَّوَى ، يُبْسُ الشَّفاهُ مِنَ الظَّما ، عُشُ العيونِ مِنَ البِكا ؛ هذا كله قول ابن قتيبة .

والوجهان جميعاً في الخبر^(٢) حَسَنان ؛ وإن كان الوجهُ الذى ذكره ابن قتيبة أحسنَ ١٠ وأنصَحَ^(٣) .

ويمكن أن يكون في الخبر وجهٌ ثالثٌ تشهد بصحته اللُّغة ؛ وهو أن أحدَ وجوه معنى لفظة الفقر أن يُحَزَّ أنفُ البعيرِ حتى يَخْلُصَ إلى العِظْمِ أو قَريبٍ منه ، ثم يُلَوَّى عليه حَبْلٌ ، يُدَلِّلُ بذلك الصَّعْبَ ، يقال : فَقرَه يَفقرُهُ فَقْرًا إذا فَعَلَ ذلك به ، وبعيرٌ مُفَقَّرٌ وبه فَقرَةٌ ، وكلُّ شَيْءٍ حَزَزْتَهُ وأَثَرَتْ فِيهِ فَقَرَّتْهُ تَفْقِيرًا ؛ ومنه سُمِّيَتِ الْفَاقِرَةُ^(٤) ، وقيل سيفٌ مُفَقَّرٌ^(٥) ؛ فيَحْمَلُ^(٦) القولُ عَلَى أَنَّهُ عليه السلام أراد^(٦) : مَنْ أَحَبَّنَا فَلْيَزِمْ نَفْسَهُ وَلِيَخْطُمْهَا وَلِيَقْدُهَا إِلَى الطَّاعَاتِ ، وَيَصْرِفْهَا عَمَّا تَمِيلُ طِبَاعُهَا إِلَيْهِ مِنَ الشَّهَوَاتِ ، وَلِيَذِلِّهَا عَلَى الصَّبْرِ عَمَّا كَرِهَ مِنْهَا ، وَمَشَقَّةٍ مَا أَرِيدُ مِنْهَا^(٧) ؛ كما يُفَعَّلُ ذَلِكَ بِالْبَعِيرِ الصَّعْبِ ؛ وهذا وجهٌ في الخبر ثالثٌ لم يذكر ، وليس يجب أن يُسْتَبْعَدَ حَمْلُ الْكَلَامِ عَلَى بَعْضِ مَا يَحْتَمِلُهُ إِذَا كَانَ لَهُ شَاهِدٌ

(١) حاشية ت (من نسخة) : « سيمياء » ، وفي حاشية الأصل : « سيمياء وسيمياء بمعنى » .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « في هذا الخبر » . (٣) في حاشيتي الأصل ، ف : « نصع الحُضَابِ ، أى لم وصار سواده براقالاصعا » . (٤) حاشية الأصل : « الفاقة : الداهية ؛ وإنما سميت بذلك لأنها كاسرة فقار الظهر ، من قولهم فقره ، إذا أصاب فقار ظهره » . (٥) في حاشيتي الأصل ، ف : « السيف المفقر : الذى فى منته حزوز أى خطوط منقورة » . (٦-٦) ت : « فيحتمل القول أن يكون عليه السلام أراد » . (٧) ط ، م : « بها »

من اللغة وكلام العرب ؛ لأن الواجب على مَنْ يتعاطى تفسير غريب الكلام والشعر أن يذكر كلَّ ما يحتمله الكلام من وجوه المعاني ؛ فيجوز^(١) أن يكون أرادَ المخاطبُ كلَّ واحد منها منفردًا ، وليس عليه العلمُ بمراده بعينه ؛ فإن مراده مغيبٌ عنه ، وأكثرُ ما يلزمه ما ذكرناه من ذكر وجوه احتمال الكلام .

فصل

قال الشريف المرتضى رضى الله عنه : ومَنْ كان من مشهورى الشعراء ومتقدميهم على مذهب أهل العدل ذو الرُّمة ؛ واسمه غِيلان بن عُقبة ، وكُنيتُهُ أبو الحارث ، وذو الرُّمة / [٧ و] لقبٌ لقب به لبیت قاله ، وهو قوله في صفة الولد :

* أشعث^(٢) باقى رُمة التقليد *

والرُّمة : القطعة البالية من الحبل ؛ يقال : حبل أرمام ؛ إذا كان ضعيفًا باليًا ؛ وقيل إنه إنما لقب بذى الرُّمة لأنه كان - وهو غلام - يتفزع ، فجاءته أمُّه بمن كتب له كتابا وعلقتَهُ عليه برُّمة من حبل ؛ فسمي ذا الرُّمة .

ويشهد بمذهبه فى العدل ما أخبرنا به أبو عبيد الله محمد بن عمران المرباني قال حدثنا ابنُ دريد قال حدثنا أبو عثمان الأشناداني عن التورّي عن أبي عبيدة قال : اختصر رُوبة وذو الرُّمة عند بلال بن أبي بردة ، فقال رُوبة : والله ما فحَص طائرٌ أفحوصا ، ولا تقرمَص سبع قرموصا^(٣) إلا بقضاء من الله وقدر ؛ فقال له ذو الرُّمة : والله ما قدر الله على الذئب أن يأكل حلوبة^(٤) عيايل^(٥) ضرائك ؛ فقال رُوبة : أفقدرته أكلها ؟ هذا كذب^{١٥}

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « ويجوز » . (٢) حاشية الأصل : « بكسر التاء ؛ لأن قبله :

* وَغَيْرَ مشجوج القفا موتود * أشعث

وفى حاشية ف : « رمة التقليد ؛ أى الرمة التى يجيئ منها تقليد الوتدبها » ، والبيت فى ديوانه :

١٥٥ . (٣) فى حاشيتي الأصل ، ف « تقرمَص أى اتخذ قرموصا ، وهو الموضع الذى

يأوى إليه » . (٤) فى حاشيتي الأصل ، ف : « الحلوبة : التى بها ابن يحلب ؛ وأكثر ذلك فى النوق ،

وقد تستعمل فى غيرها » . (٥) فى حاشيتي ت ، ف : « عيال الرجل : من يعوله ، وواحد العيال

عيل ، مثل جيد وجياد وجيائد . والضريك : الضرير البائس الفقير ؛ ولا يصرف له فعل ، ولا يقال : ضركه بمعنى ضره ؛ والجمع ضرائك وضركاه » .

على الذئب ثاني^(١) ، فقال ذو الرُّمَّة : الكذب على الذئب خير من الكذب على ربِّ الذئب .
وهذا الخبر صريح في قوله بالعدل واحتجاجه عليه ، وبصيرته فيه ؛ فأما العيال فهو
جمع عَيْل ، وهو ذو العيال . والضرائك : جمع ضَرِيك وهو الفقير .

قال الشريف المرتضى رضى الله عنه : وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا أحمد
٥ ابن محمد المكي عن أبي العيناء عن الأصمعي عن إسحاق بن سويد قال : أنشدني
ذو الرُّمَّة :

وعينان قال الله كونا فكانتا فَعُولانِ بالألْبَابِ ما تفعلُ الخمرُ^(٢)

فقلت له : « فَعُولين » خبر الكون ، فقال لى : لو سَبَّحت رِبَّحت ، إنما قلت : « وعينان
فَعُولان » وصفتهما بذلك . وإنما تحرَّرَ ذو الرُّمَّة بهذا الكلام من القول بخلاف العدل .

١٠ وقد روى هذا الخبرُ على خلاف هذا الوجه ؛ أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني
أحمد بن خالد النحاس^(٤) قال حدثني^(٥) محمد بن القاسم أبو العيناء قال حدثنا الأصمعي
قال : لما أنشد ذو الرُّمَّة قوله :

وعينان قال الله كونا فكانتا فَعُولينِ بالألْبَابِ ما تفعلُ الخمرُ

— وهو يريد : كونا فكانتا فَعُولينِ حيث كانتا^(٦) — قال له عمرو بن عُبيد^(٧) : ويحك ! قلت

١٥ عظيما ، فقل : « فَعُولانِ بالألْبَابِ » ، فقال له ذو الرُّمَّة ، ما أبالي : أقلت هذا أم سَبَّحت ، فلما
علم بما ذهب إليه عمرو قال : سُبْحَانَ الله ! لو عَنيتُ ما ظننتُ كنتُ جاهلا .

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « قوله « ثان » لا يعنى أنه كذب على الذئب مرتين ؛ وإنما المعنى : إنك
كاذب على الخلق في أن أفعالهم ليست بقضاء من الله وقدر ؛ لأنه وإن ذكر الطائر والسبع ؛ فإنه يعنى به الخلق ؛
ثم لما ذكر ذو الرمة الذئب قال رغبة : هذا كذب على الذئب ثان لذلك الكذب الأول الذى
استشهدت عليه بالطائر والسبع » . (٢) ديوانه : ٢١٣ .

(٣) الخبر في (الأغاني ١٦ : ١١٧) ، وفيه : « لوفلت : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ،
والله أكبر ؛ كان خيرا لك » . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « النحاس » .

(٥) حاشية ت (من نسخة) : « حدثنا » . (٦) ت « خبر كانتا » ، ولعله تحريف .

(٧) حاشية الأصل : « كان معتزليا عدليا » .

قال الشريف المرتضى رضى الله عنه : وَمَنْ رَوَى أَنَّهُ كَانَ عَلَى مَذَاهِبِ أَهْلِ الْعَدْلِ مِنْ
شُعْرَاءِ الطَّبَقَةِ الْأُولَى أَعْشَى^(١) قَيْسُ بْنُ ثَعْلَبَةَ ، وَاسْتَشْهَدَ بِقَوْلِهِ :

اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِالْوَفَاءِ وَبِالْعَدْلِ لِي وَوَلَّى الْمَلَامَةَ الرَّجُلَ^(٢)

وَمَنْ قِيلَ إِنَّهُ كَانَ عَلَى مَذَاهِبِ أَهْلِ الْجَبْرِ مِنَ الْمَشْهُورِينَ أَيْضًا لَبِيدُ بْنُ رَيْعَةَ الْعَامِرِيُّ ،

وَاسْتَدْلَّ بِقَوْلِهِ :

إِنَّ تَقْوَى رَبَّنَا خَيْرُ نَفْلٍ وَيَا ذَنْ اللَّهِ رَيْثِي وَعَجَلُ^(٣)

مَنْ هَدَاهُ سُبُلَ الْخَيْرِ اهْتَدَى نَاعِمَ الْبَالِ وَمَنْ شَاءَ أَضَلَّ

وَإِنْ كَانَ لَا طَرِيقَ^(٤) إِلَى نَسَبِ الْجَبْرِ إِلَى مَذْهَبِ لَبِيدٍ إِلَّا هَذَانِ الْبَيْتَانِ فَلَيْسَ فِيهِمَا دِلَالَةٌ عَلَى

ذَلِكَ ، أَمَا قَوْلُهُ :

* وَيَا ذَنْ اللَّهِ رَيْثِي وَعَجَلُ *

١٠

فِيحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ : بَعْلَمَهُ ؛ كَمَا يُتَأَوَّلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا

يَا ذَنْ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ١٠٢] ؛ أَيْ بَعْلَمَهُ ، وَإِنْ قِيلَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ، إِنَّهُ أَرَادَ : بِتَخْلِيَّتِهِ وَتَمَكِّيْنِهِ ،

وَإِنْ كَانَ لَا شَاهِدَ لِذَلِكَ فِي اللَّفْظِ أَمْكَنَ مِثْلُهُ فِي قَوْلِ لَبِيدٍ ؛ فَأَمَّا قَوْلُهُ : « مَنْ هَدَاهُ اهْتَدَى وَمَنْ

شَاءَ أَضَلَّ » فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَصْرُوفًا إِلَى بَعْضِ الْوُجُوهِ الَّتِي يُتَأَوَّلُ عَلَيْهَا الضَّلَالُ وَالْهُدَى

الْمَذْكُورَانِ فِي الْقُرْآنِ ؛ مِمَّا يَلِيْقُ بِالْعَدْلِ وَلَا يَقْتَضِي الْإِجْبَارَ ؛ اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَذْهَبُ ١٥

لَبِيدٍ فِي الْإِجْبَارِ مَعْرُوفًا بِغَيْرِ هَذِهِ الْآيَاتِ ؛ فَلَا يُتَأَوَّلُ لَهُ هَذَا التَّأْوِيلُ ؛ بَلْ يُحْمَلُ مَرَادُهُ عَلَى

مُوَافَقَةِ الْمَعْرُوفِ مِنْ مَذْهَبِهِ .

(١) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ : « قَبِيلَةُ الْأَعْشَى » .

(٢) دِيَوَانُهُ ١٥٥ ؛ وَفِي حَاشِيَتِي الْأَصْلِ ، ف : « اسْتَأْثَرَ اللَّهَ ؛ تَسْتَعْمَلُ مَعَ الْبَاءِ ؛ يُقَالُ : اسْتَأْثَرَ

اللَّهُ بِهِ » . (٣) دِيَوَانُهُ : ٣٩ . (٤) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ (مِنْ نَسْخَةٍ) : « لَا سَبِيلَ » .

مَسْأَلَةٌ

قال الشريف المرتضى رضى الله عنه : اعْلَمْ أَنَّ أَصْحَابَنَا لَمَّا اسْتَدَلُّوا عَلَى نَفْيِ الرُّؤْيَةِ بِالْأَبْصَارِ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى بِقَوْلِهِ : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام : ١٠٣] ، وَبَيَّنَّا أَنَّهُ تَعَالَى تَمَدَّحُ بَنِي الْإِدْرَاكِ^(١) الَّذِي هُوَ رُؤْيَةُ الْبَصَرِ عَنْ نَفْسِهِ عَلَى وَجْهِ يَرْجِعُ إِلَى ذَاتِهِ ؛ فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ فِي ثُبُوتِ الرُّؤْيَةِ لَهُ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ نَقْصٌ وَذَمٌّ . قَالَ لَهُمْ مَخَالِفُهُمْ : كَيْفَ يَتَمَدَّحُ بِأَنَّهُ لَا يُرَى ، وَقَدْ يَشَارِكُهُ فِي نَفْيِ الرُّؤْيَةِ مَا لَيْسَ بِمَمْدُوحٍ ؛ كَالْمَعْدُومَاتِ وَالْإِرَادَاتِ وَالْإِعْتِقَادَاتِ ؟ فَقَالُوا لَهُمْ : لَمْ يَتَمَدَّحْ تَعَالَى بَنِي الرُّؤْيَةِ فَقَطْ ، وَإِنَّمَا تَمَدَّحُ بَنِي الرُّؤْيَةِ عَنْهُ وَإِبْتَاهَا لَهُ ، فَتَمَدَّحُهُ بِمَجْمُوعِ^(٢) الْأَمْرَيْنِ ؛ وَلَيْسَ يَشَارِكُهُ فِي هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ مَشَارِكٌ ؛ لِأَنَّ الْمَوْجُودَاتِ الْمَحْدَثَاتِ عَلَى ضُرُوبٍ ؛ مِنْهَا مَا لَا يَرَى وَلَا يُرَى كَالْإِرَادَاتِ وَالْإِعْتِقَادَاتِ ، وَمِنْهَا مَا يَرَى وَلَا يَرَى كَالْأَلْوَانِ ، وَمِنْهَا مَا يَرَى وَيُرَى كَالْإِنْسَانِ وَضُرُوبِ الْأَحْيَاءِ ؛ وَلَيْسَ فِيهَا مَا يَرَى وَلَا يُرَى ؛ فَثَبَّتَ الْمِدْحَةَ لِلَّهِ تَعَالَى بِمَتَضَمِّنِ الْآيَةِ .

[و٨] فَقَالَ لَهُمُ الْمُخَالِفُونَ : وَكَيْفَ / يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ صِفَةً لَا تَقْتَضِي الْمِدْحَةَ بِانْفِرَادِهَا ، ثُمَّ تَصِيرُ تَقْتَضِيهَا مَعَ غَيْرِهَا ! وَلَنْ جَازَ هَذَا لِيَجُوزَنَّ أَنْ يَتَمَدَّحَ مَتَمَدَّحٌ بِأَنَّهُ شَيْءٌ عَالِمٌ ، أَوْ مَوْجُودٌ قَادِرٌ ؛ فَإِذَا كَانَ لَا مِدْحَةَ فِي وَصْفِ الذَّاتِ بِأَنَّهُ شَيْءٌ وَمَوْجُودَةٌ^(٣) ، وَإِنْ انْضَمَّتْ إِلَى صِفَةِ مَدْحٍ مِنْ حَيْثُ كَانَتْ بِانْفِرَادِهَا لَا تَقْتَضِي مَدْحًا ، فَكَذَلِكَ لَا مِدْحَةَ فِي نَفْيِ الرُّؤْيَةِ عَنْ ثَبُوتِ^(٤) لَهُ ، مِنْ حَيْثُ كَانَتْ بِانْفِرَادِهَا لَا تَقْتَضِي مَدْحًا .

فَأَجَابَ أَصْحَابُنَا عَنْ هَذَا الْكَلَامِ بِأَنْ قَالُوا : لَيْسَ يَمْتَنِعُ فِي الصِّفَةِ أَنْ تَكُونَ لَا تَقْتَضِي مَدْحًا إِذَا انْفَرَدَتْ ، وَتَقْتَضِيهِ إِذَا انْضَمَّتْ إِلَى غَيْرِهَا ، وَمَثَلُوا ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] . وَإِنَّ نَفْيَ السَّنَةِ وَالنَّوْمِ هَاهُنَا إِنَّمَا يَكُونُ مَدْحًا إِذَا انْتَفَى عَنْهُ هُوَ بِصِفَةِ الْأَحْيَاءِ ، وَإِنْ كَانَ بِانْفِرَادِهِ لَا يَقْتَضِي مَدْحًا لِمَشَارَكَةِ ذَوَاتٍ كَثِيرَةٍ غَيْرِ

(١) ت : « بنى إدراك البصر » . (٢) ت : « جميع » ؛ وفي حاشيتها (من نسخة) :

« فتمدح بمجموع الأمرين » . (٣) د ، ونسخة بجواشي الأصل ، ت ، ف : « بأنها شيء موجود » .

(٤) ش : « ثبت » .

ممدوحة فيه ، وفصلوا بين الوصف بالشيء والوجود ، وبين ما ذكروا من حيث لا تأثير لهاتينك^(١) الصفتين في المدح .

واعلم أنَّ صفات المدح المتضمنة للإثبات ما تسكاد^(٢) تفتقر إلى شرط في كونها مدحا . وصفات النفي إذا كانت مدحا فلا بدَّ فيها من شرط ؛ وإنما افترق الأمران من حيث كان النفي أعمَّ من الإثبات ؛ فيدخل تحته الممدوح وغير الممدوح ، والإثبات أشدَّ اختصاصا ؛ • ألا ترى أنَّ ما ليس بعالم من الدّوات وليس بوجود أكثر مما ثبت له العلم والوجود منها ؛ لأنَّ الأول لا يكون إلا غير متناهِ ، والثاني لا بد أن يكون متناهِياً ، فلما شملت صفات النفي الممدوح وغير الممدوح احتاجت إلى شرط يخصها .

وأنت إذا اعتبرت سائر صفات النفي التي يُتَمَدَّح بها وجدتها مفتقرة إلى الشروط ؛ ألا ترى أنَّ من ليس بجاهل إنما يكون ممدوحا بهذا النفي إذا كان حياً ذا كرا ، ومن ليس بعاجز إنما يكون ممدوحا إذا كان أيضاً موجوداً حياً ، ومن ليس بظالم إنما يكون ممدوحا إذا كان قادراً على الظلم وله دواعٍ إليه ، ولا بدَّ في الشرط الذي يحتاج إليه في صفات النفي حتى تكون مدحا من أن يكون أيضاً إثباتاً أو جارياً مجرى الإثبات ، ولا يكون نفياً لأنه إن^(٣) كان نفياً لم يتخصص ، وساوى^(٤) فيه الممدوح ما ليس بممدوح ؛ مثال ذلك أنا إذا مدحنا غيرنا بأنه لا يظلم ، وشرطنا في هذه المدحة أنه لم يدعه داع^(٥) إلى الظلم لم تحصل المدحة ، ١٥ لأنه قد يشاركه في نفي الظلم ونفي الدواعي إليه ما ليس بممدوح ، فلا بدَّ من شرط يجري مجرى الإثبات ؛ وهو أن تقول : وهو ممن تدعوه الدواعي إلى / الأفعال ويتصرف فيها [٨ ظ] بحسب حاجته ودواعيه . فإذا صحت هذه الجملة فالوجه أن نقول : إن المدحة في الآية إنما تتعلق بنفي الإدراك عن القديم تعالى ، لكن بشرط أن يكون مدركاً ، ولا نجعل^(٦) كلَّ

(١) في نسخة بحاشيتي ت ، ف : « لتينك » ، وفي حاشية ت أيضاً (من نسخة أخرى) : « لهاتين » .

(٢) من نسخة بجواشي الأصل ، ت ، ف : « لا تسكاد » .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « إذا » . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « وشارك » .

(٥) ت : « لم يدعه الداعي » . (٦) في الأصل : « ونجعل » ، وصححت في الحاشية ، وفي

حاشيتي الأصل ، ف : « في النسخة المقروءة على السيد رضى الله عنه : « ولا نجعل » ؛ كذا كان بخط الشجري ، وفي نسخة من أيضاً » .

واحدة من الصفتين تقتضى المدح مجتمعا ؛ مع أنَّ كل واحدة لا تقتضيه على سبيل الانفراد.
وليس بمنكر أن يقتضى الشيء غيره بشرط متى وجد حصل المتمتضى ، وإذا لم يحصل^(١)
لم يحصل مقتضاه ، ونفى السنَّة والنوم والظلم عن الله تعالى إنما كان مدحا بشروط معروفة
على نحو ما ذكرناه ؛ وهذا التلخيص في هذا الموضع أوَّلَى وأحسم للشبهة^(٢) مما تقدَّم ذكره.



(١) في نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « لم يوجد » .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « للشبهة » .

مَجْلِسُ آخِرُ*

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل فقال : ما تقولون في قوله تعالى حِكَايَةً عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ [الشعراء : ٣٢] ، وقال في موضع آخر : ﴿ وَأَنَّ أَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ ^(١) [القصص : ٣١] .
والثُعْبَانُ هُوَ الْحَيَّةُ الْعَظِيمَةُ الْخَلِيقَةُ ، وَالْجَانُّ الصَّغِيرُ مِنَ الْحَيَّاتِ ، فَكَيْفَ اخْتَلَفَ الْوَصْفَانِ وَالْقِصَّةُ وَاحِدَةٌ ؟ وَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْعَصَا فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ صِفَةٍ مَا عَظُمَ خَلْقُهُ مِنْ ٥
الْحَيَّاتِ ، وَبِصِفَةٍ مَا صَغُرَ مِنْهَا ؟ وَبِأَيِّ شَيْءٍ تُزِيلُونَ التَّنَاقُضَ عَنْ هَذَا الْكَلَامِ ؟ .

الجواب : أول ما نقوله ^(٢) : إن الذي ظننه السائل من كون الآيتين خبراً عن قصة واحدة باطل ؛ بل الحالتان مختلفتان ؛ فالحال ^(٣) التي أخبر عن العصا فيها بصفة الجان ^(٤) كانت في ابتداء النبوة ، وقبل مصير موسى عليه السلام إلى فرعون ، والحال التي صارت العصا فيها ثعباناً كانت عند لقائه فرعون وإبلاغه الرسالة ؛ والتلاوة تدلّ على ذلك ؛ وإذا اختلفت ١٠
الْقِصَّتَانِ فَلَا مَسْأَلَةَ .

على أن قوماً من المفسرين قد تعاطوا الجواب عن هذا السؤال ؛ إمّا لظنهم أن القصة واحدة ، أو لاعتقادهم أن العصا الواحدة لا يجوز أن تنقلب في حالتين : تارة إلى صفة الجان ،

* كَذَا فِي ت ، وَفِي الْأَصْل ، ف : « مَجْلِسُ آخِرِ ثَالِث » .

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « لم يعقب : لم يرجع ؛ وقيل لم يلتفت ، وقيل لم يعطف ولم ينتظر ؛ يقال : كر على الفوم وما عقب . ويرى أهل النظر أنه مأخوذ من العقب ؛ وروى عن سفيان : لم يعقب : لم يمكث ، ويقال : عقب في الأمر إذا تردد في طلبه مجداً ؛ وقوله تعالى : ﴿ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ﴾ ؛ أى لا يحكم بعد حكمه حاكم ، والمعقب : الذي يكر على الشيء ، وقوله تعالى : ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ يَمِينٍ وَيَدَايَهُ ﴾ ، أى للإنسان ملائكة يعقب بعضهم بعضاً . وقال الفراء : ملائكة الليل تعقب ملائكة النهار ؛ يعنى أنهم يتعاقبون ليلاً ونهاراً » . (٢) ت ، د : « أول ما نقوله في هذا » . (٣-٣) ت : « فالحال التي أخبر أن العصا صارت فيها بصفة الجان ... » .

وتارة إلى صفة الثعبان ؛ أو على سبيل الاستظهار في الحجة ، وأن الحال لو كانت واحدة على ما ظنَّ لم يكن بين الآيتين تناقضٌ ؛ وهذا الوجه أحسنُ ما تَكَلَّفُوا الجوابَ لأجله ؛ لأن الأولين لا يكونان إلا عن غلطٍ أو غفلة ، وذكروا وجهين تزول بكل واحدٍ منهما الشبهة في تأويلها :

- ٥ أحدهما أنه تعالى إنما شبهها بالثعبان في إحدى الآيتين لعظم خلقها ، وكبر جسمها ، وهول منظرها ؛ وشبهها في الآية الأخرى بالجآن لسرعة حركتها ونشاطها وخفتها ؛ فاجتمع لها مع أنها في جسم الثعبان وكبر خلقه نشاطُ الجآن ، وسرعة حركته ؛ وهذا أبهر في باب الإعجاز ، وأبلغ في خرق العادة ؛ ولا^(١) تناقض معه بين الآيتين ؛ وليس يجب إذا شبهها بالثعبان أن يكون لها جميع صفات الثعبان ، ولا إذا شبهها بالجآن أن يكون لها جميع صفاته ،
- ١٠ وقد قال الله تعالى : ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا . قَوَارِيرٌ مِنْ فِضَّةٍ ﴾ [الذهر: ١٥، ١٦] . ولم يُردَّ تعالى أن الفضة قوارير على الحقيقة ؛ وإنما وصفها بذلك لأنه اجتمع لها صفاء القوارير وشفوفها ورقتها ؛ مع أنها من فضة ؛ وقد تشبه العرب الشيء بغيره في بعض وجوهه ؛ فيشبهون المرأة بالطبيرة والبقرة^(٢) ونحن نعلم أن في الطبيرة والبقرة من الصفات مالا يُستحسن أن يكون في النساء ، وإنما وقع التشبيه في صفة دون صفة ، ومن
- ١٥ وجه دون وجه^(٣) .

والجواب الثاني أنه تعالى لم يُردَّ بذكر الجآن في الآية الأخرى الحيَّة ؛ وإنما أراد أحد الجن ؛ فكأنه تعالى خبر^(٤) بأن العصا صارت ثعبانا في الحلقة وعظم الجسم ؛ وكانت مع ذلك كأحد الجن في هول المنظر وإفزازها لمن شاهدها ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ .

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « فلا » . (٢) ت : « والبقرة » .

(٣) ت : « دون آخر » . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « أخبر » .

ويمكن أن يكون في الآية تأويل آخر استخرجناه ؛ إن لم يزد على الوجهين الأولين لم ينقص عنهما ؛ والوجه في تكلفنا له ما بيناه من الاستظهار في الحجّة ، وأنّ التناقض الذي توهم زائل على كل وجه^(١) ؛ وهو أن العصا لما انقلبت حيّة صارت أولاً بصفة الجان وعلى صورته ؛ ثم صارت بصفة الثعبان ؛ على تدرّج ؛ ولم تصر كذلك ضربة واحدة ؛ فتتفق الآيتان على هذا التأويل ، ولا يختلف حكمهما ، وتكون الآية الأولى التي تتضمن ذكر الثعبان ٥ إخباراً عن غاية حال العصا ، وتكون الآية الثانية تتضمن ذكر الحال التي ولّى موسى فيها هارباً ؛ وهي حال انقلاب العصا إلى خلقه الجان ؛ وإن كانت بعد ذلك الحال انتهت إلى صورة الثعبان .

فإن قيل على هذا الوجه : كيف يصح ما ذكرتموه مع قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ ؛ وهذا يقتضى أنها صارت ثعباناً بعد الإلقاء بلا فصل ؟ قلنا : تُفيد^(٢) الآية ما ظنّ ؛ ١٠ وإنما فائدة قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا هِيَ ﴾ الإخبار عن قرب الحال التي صارت فيها بتلك الصفة ؛ وأنه لم يطل الزمان في مصيرها كذلك ، ويجرى هذا مجرى قوله تعالى / : ﴿ أَوْ لَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ [يس : ٧٧] ؛ مع تباعد ما بين [٩ ظ] كونه نطفةً وكونه خصيماً مبيناً ، وقولهم : ركب فلان من منزله فإذا هو في ضيعته ، وسقط من أعلى الحائط فإذا هو في الأرض ؛ ونحن نعلم أنّ بين خروجه من منزله وبلوغه ضيعته زمناً ، ١٥ وأنه لم يصل إليها إلا على تدرّج ؛ وكذلك الهابط من الحائط ؛ وإنما فائدة الكلام الإخبار عن تقارب الزمان ؛ وأنه لم يطل ولم يمتدّ .

(١) ت : « على كل حال » . (٢) ت (من نسخة) : « تقدير » .

تَأْوِيلُ آيَةِ أُخْرَى

قال الشريف المرتضى رضى الله عنه : قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ . أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [الأعراب : ١٧٢ ، ١٧٣] .

- وقد ظنَّ بعضُ مَنْ لا بصيرةَ له ، ولا فطنةَ عنده أن تأويل هذه الآية أن الله تعالى استخرج من ظهر آدم عليه السلام جميع ذريته ، وهم في خلق الذرِّ ، فقرَّرهم بمعرفته ، وأشهدهم على أنفسهم . وهذا التأويل - مع أنَّ العقل يُبطله ويُحيله - مما يشهد ظاهرُ القرآن بخلافه ؛ لأنَّ الله تعالى قال : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ ﴾ ، ولم يقل : من آدم ، وقال : ﴿ مِنْ ظُهُورِهِمْ ﴾ ، ولم يقل : من ظهره ، وقال : ﴿ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ ، ولم يقل : ذُرِّيَّتَه ؛ ثم أخبر تعالى بأنه فعل ذلك لثلاثا يقولوا يوم القيامة : إنهم كانوا عن ذلك غافلين ، أو يعتذروا بِشِرْكِ آبَائِهِمْ ، وأنَّهم نشئوا على دينهم وسُنَنِهِمْ ؛ وهذا يقتضى أن الآية لم تتناول ولدَ آدم عليه السلام لصلبه ؛ وأنها إنما ^(١) تناولت مَنْ كان له آباءٌ مشركون ؛ وهذا يدلُّ على اختصاصها ببعضِ ذُرِّيَّةِ ^(٢) بنى آدم ؛ فهذه شهادة الظاهر ببطلان تأويلهم ، فأما شهادة العقول ^(٣) فمن حيث لا تخلو هذه الذرِّيَّة التي استخرجت من ظهر آدم عليه السلام فخطبت وقرَّرت من أن تكون كاملة العقل ، مستوفية لشروط التكليف ؛ أو لا تكون كذلك ^(٤) .
- ١٥ فإنَّ كانت بالصفة الأولى وجب أن يذكر هؤلاء بعد خلقهم وإنشائهم ، وإكمال عقولهم ما كانوا عليه في تلك الحال ، وما قرَّروا به ، واستشهدوا عليه ؛ لأنَّ العاقل لا ينسى ما جرى هذا المجرى ، وإن بُعد العهد وطال الزمان ؛ ولهذا لا يجوز أن يتصرَّف أحدنا في بلدٍ من [١٠] البلدان وهو عاقل كامل فينسى مع بُعد العهد جميع تصرُّفه المتقدِّم / وسائر أحواله .

(١) ساقطة من ت ، ف . (٢) ت : « ولد آدم » . (٣) ت : « العقل » .

(٤) ت : « أو لا تكون كاملة العقل مستوفية لشروط التكليف » .

وليس أيضاً لتخلُّل الموت بين الحالين تأثير ؛ لأنه لو كان تخلُّل الموت يُزيل الذكر لكان تخلُّل النوم والسُّكْر والجنون والإغماء بين أحوال العقلاء يُزيل ذكرهم لِمَا مضى من أحوالهم ؛ لأنَّ سائرَ ما عدناه مما ينفي المعلوم يجري مجرى الموت في هذا الباب . وليس لهم أن يقولوا : إذا جاز في العاقل الكامل أن ينسى ما كان عليه في حال الطفولية جاز ما ذكرناه ؛ وذلك أنَّنا إنما أوجبنا ذكرَ العقلاء لِمَا ادَّعَوْه إذا كملت عقولهم من حيث جرى لهم ^(١) وهم ٥ كملوا العقول ، ولو كانوا بصفة الأطفال في تلك الحال لم نوجب عليهم ما أوجبناه .

على أن تجوزَ النسيان عليهم ينقُضُ الغرضُ في الآية ، وذلك أن الله تعالى أخبرَ بأنه إنما قرَّرَهم وأشهدهم لثلاث يدَّعوا يوم القيامة الغفلةَ عن ذلك ، وسقوطَ الحجَّةِ عنهم ^(٢) فيه ؛ فإذا جازَ نسيانهم له عاد الأمرُ إلى سقوط الحجَّةِ وزوالِها ، وإن كانوا على الصِّفة الثانية من فقد العقل وشرائط التكليف قُبِحَ خطابهم وتقريرهم وإشهادهم ، وصار ذلك عبثاً قبيحاً ؛ ١٠ يتعالى الله عنه .

فإن قيل : قد أبطلتم تأويل ^(٣) مخالفكم ، فما تأويلها الصحيح عندكم ؟ قلنا في هذه الآية وجهان :

أحدهما أن يكون تعالى إنما عَنَى جماعة من ذُرِّيَةِ بنى آدم خلَقهم وبلَّغهم وأكمل عقولهم ، وقرَّرهم على ألسن ^(٤) رسله عليهم السلام بمعرفته وما يجب ^(٥) من طاعته ، فأقرُّوا ١٥ بذلك ، وأشهدهم على أنفسهم به ؛ لثلاث يقولوا يوم القيامة إنَّا كنَّا عن هذا غافلين ، أو يعتذروا بشرُّك آبائهم . وإنما أتى مَنْ اشتبه عليه تأويلُ الآية من حيث ظنَّ أن اسم الذرية لا يقعُ إلَّا على مَنْ لم يكن كاملاً عاقلاً ؛ وليس الأمر كما ظنَّ ؛ لأنَّا نسمي جميع البشر بأنهم ذرية آدم ؛ وإن دخل فيهم العقلاء الكاملون ، وقد قال الله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ

(١) حاشية الأصل (من نسخة) ، ت ، ف : « عليهم » . (٢) ت ، حاشية الأصل (من نسخة)

« عليهم » . (٣) م : « قول » . (٤) ت ، د ، حاشية ف (من نسخة) : « لسان » .

(٥) د ، ت : « وما يجب عليهم » .

جَنَاتٍ عَذْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ﴿ [الرعد: ٢٣].
ولفظ الصالح لا يطلق إلا على مَنْ كان كاملاً عاقلاً ؛ فإن استبعدوا تأويلنا وسَمَلْنَا الآيةَ على
الْبَالِغِينَ الْمُسْكَلِّينَ ؛ فهذا جوابهم .

[١٠] ^ظ والجواب الثاني أَنَّهُ تعالى / لَمَّا خَلَقَهُمْ وَرَكَّبَهُمْ تَرْكِيبًا يَدُلُّ عَلَى مَعْرِفَتِهِ وَيَشْهَدُ بِقُدْرَتِهِ
ووجوبِ عبادته، وأَراهُمْ العِبَرَ والآيَاتِ والدَّلَائِلَ فِي أَنفُسِهِمْ وَفِي غَيْرِهِمْ كَانَ بِمَنْزِلَةِ الْمَشْهَدِ لَهُمْ
عَلَى أَنفُسِهِمْ ، وَكَانُوا فِي مَشَاهِدَةِ ذَلِكَ وَمَعْرِفَتِهِ وَظُهُورِهِ فِيهِمْ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي أَرَادَهُ تَعَالَى ،
وَتَعَذُّرِ امْتِنَاعِهِمْ مِنْهُ ، وَانْفِكَائِهِمْ مِنْ دَلَالَتِهِ بِمَنْزِلَةِ الْمُقَرَّرِ الْمُعْتَرَفِ ؛ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ إِشْهَادٌ
وَلَا اعْتِرَافٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ ؛ وَيَجْرِي ذَلِكَ مَجْرَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ
دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [فصلت : ١١] ،
١٠ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ تَعَالَى قَوْلٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ ، وَلَا مِنْهُمَا جَوَابٌ ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ شَهِدِينَ عَلَى
أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ ﴾ [التوبة : ١٧] . وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ الْكُفَّارَ لَمْ يَعْتَرَفُوا بِالْكُفْرِ بِالسَّنَةِ ؛
وَإِنَّمَا ^(١) لَمَّا ظَهَرَ مِنْهُمْ ظُهُورًا لَا يَتِمَكَّنُونَ مِنْ دَفْعِهِ كَانُوا بِمَنْزِلَةِ الْمُعْتَرِفِينَ بِهِ ؛ وَمِثْلُ
هَذَا قَوْلُهُمْ : جَوَارِحِي تَشْهَدُ بِنِعْمَتِكَ ، وَحَالِي مُعْتَرِفَةٌ بِإِحْسَانِكَ . وَمَا رَوَى عَنْ بَعْضِ
الْخُطْبَاءِ ^(٢) مِنْ قَوْلِهِ : سَلِ ^(٣) الْأَرْضَ : مَنْ شَقَّ أَنْهَارَكَ ، وَغَرَسَ أَشْجَارَكَ ، وَجَنَى
١٥ ثَمَّارَكَ ؟ فَإِنْ لَمْ تُجِبْكَ حِوَارًا أَجَابَتْكَ اعْتِبَارًا .

وهذا باب كبير ، وله نظائر كثيرة في النظم والنثر ؛ يَغْنَى عَنْ ذِكْرِ جَمِيعِهَا الْقَدْرُ الَّذِي
ذَكَرْنَاهُ مِنْهَا .

(١) د ، ونسخة بمحاشيتي الأصل ، ف : « وإِنَّمَا ذَلِكَ » . (٢) في نسخة بمحاشيتي الأصل ، ت ، ف :

« الحكماء » . (٣) في نسخة بمحاشيتي الأصل ، ت ، ف : « هذا من كلام الفضل بن عيسى بن أبان ،
ذَكَرَهُ فِي قِصَصِهِ » .

تَأْوِيلُ خَبَرِ

قال أبو عبيد القاسم بن سلام فيما يروى عن النبي صلى عليه وآله: «ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن». قال: أراد: يستغنى به، واحتجَّ بقولهم: تغنَّيت تغنياً، وتغانيت تغانياً، وأنشد بيت الأعشى:

وَكَنتُ امْرَأً زَمَنًا بِالْعِرَاقِ عَفِيفَ الْمُنَاحِ طَوِيلَ التَّغْنِ^(١)

وقول الآخر:

كَلَانًا غَنِيٌّ عَنْ أَخِيهِ حَيَاتِهِ وَنَحْنُ إِذَا مِتْنَا أَشَدُّ تَغَانِيًا^(٢)

واحتجَّ أيضاً بقول ابن مسعود: «من قرأ سورة آل عمران فهو غنى»، أى مُسْتغْنٍ، وبالحديث الآخر: «نعم كثر الصُّعْلُوكُ سورة آل عمران يقوم بها^(٣) فى آخر الليل»، والصُّعْلُوكُ الفقير، واحتجَّ بحديث آخر يروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو أنه قال: «لا ينبغي لحامل القرآن أن يظنَّ أنَّ أحداً أُعْطِيَ أفضلَ مما أُعْطِيَ، لأنَّه لو مَلَكَ الدنيا بأسْرِها لكان القرآنُ ١٠ أَفْضَلَ ممَّا مَلَكَه». واحتجَّ أيضاً بخبرٍ يَرْفَعُهُ^(٤) عن عبد الله بن نَهْشِك أنه دخل على سعد^(٥) بيته^(٦)، فإذا مثال رثٍّ، ومتاع رثٍّ، فقال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن».

قال أبو عبيد: فذِكرُهُ المتاع الرثَّ، والمثال الرثَّ يدلُّ على أنَّ التَّغْنَى بالقرآن الاستغناء به

(١) ديوانه: ٢٢، واللسان (غنى).

الى المفردة بن حبناء التميمي؛ وذكره المبرد في (الكامل ٣: ١٤ - بشرح الرصني) ضمن أبيات لعبد الله ابن معاوية، أولها:

رَأَيْتُ فُضَيْلًا كَانَ شَيْئًا مُلَفَّفًا فَكَشَفَهُ التَّمَحْيِصُ حَتَّى بَدَأَ لِيَا

وقبله:

فَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ وَلَكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا

(٣) حاشية الأصل: «بقراءتها». (٤) في نسخة بمحاشي الأصل، ت، ف: «يروي». (٥) حاشية الأصل: «هو سعد بن أبي وقاص». (٦) كذا في الأصل، وحاشية ف: «وفي

د، ف، وحاشية ت (من نسخة): «في بيته».

عن الكثير من المال والمثال هو الفِرَاش ، قال الشاعر^(١) :

بِكُلِّ طَوَالٍ السَّاعِدَيْنِ كَأَنَّمَا يَرَى بِسُرَى اللَّيْلِ الْمِثَالَ الْمَمَّهَدَا^(٢)

— يعنى الفراش . قال أبو عبيد : ولو كان معناه الترجيع لعظمت المِحنةُ علينا بذلك ؛ إذ كان مَنْ لم يُرجِعْ بالقرآن فليس^(٣) منه عليه السلام .

وذكر غير^(٤) أبي عبيد جواباً آخر ، وهو أنه عليه السلام أراد : مَنْ لم يحسِّنْ صوته بالقرآن .

ولم يرجع^(٥) فيه . واحتج صاحب هذا الجواب بحديث عبد الرحمن بن السائب قال : أتيتُ سعداً

— وقد كفَّ بصره — فسأمتُ عليه ، فقال : مَنْ أنت ؟ فأخبرته . فقال : مَرَحَباً يَا بَنِي أَخِي ،

بَلَّغْنِي أُنْكَ حَسَنُ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ ، وقد سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول : « إن هذا

القرآن نزلَ بِحُزْنٍ ، فإذا قرأتموه فابكوا ، فإن لم تبكوا فتباكوا ، فَمَنْ لم يتغنَّ بالقرآن

فليس منا » . فقلوه : « فابكوا أو تباكوا » دليل على أن التغنى التحنين والترجيع . وروى عن

النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يأذنُ اللهُ لشيءٍ من أهلِ الأرضِ إلا لأصواتِ المؤذنين ،

والصوت الحسن بالقرآن » . ومعنى قوله : « يأذن » يستمع له ؛ يقال : أَذِنْتُ للشيءِ أَذْنًا إذا

استمعتُ له ؛ قال الشاعر^(٦) :

صُمُّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذُكِرْتُ بِهِ وَإِنْ ذُكِرْتُ بِسَوْءٍ^(٧) عِنْدَهُمْ أَذِنُوا

(١) نُسبه صاحب اللسان في (مثل) إلى الأعشى .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « أى بدل سرى الليل ؛ كقولك شربت بالخمر ماء ، أى بدل الخمر » .

(٣) في نسخة بحاشيتي ت ، ف : « ليس » . (٤) د ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « وذكر عن

غير أبي عبيد جواب » . (٥) ت ، د ، ف : « ويرجع » . (٦) في نسخة بحواشي الأصل ،

ت ، ف : « يابن » . (٧) هو قنبل بن ضمرة ؛ أحد شعراء الدولة الأموية ، من أبيات في

(الحماسة — بشرح التبريزي ٤ — ١٢٤ ، والاقتضاب ٢٩٢ ، وشواهد المغني ٣٢٦) ، وقبله :

إِنْ يَسْمَعُوا رِيْبَةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا عَنِّي وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا

(٧) ف : « بشر » .

وقال عدى بن زيد العبادي^(١) :

أَيُّهَا الْقَلْبُ تَعَلَّلْ بِدَدَنْ إِنَّ هَمِّي فِي سَمَاعٍ وَأَذَنْ^(٢)

والأذن هو السماع ، وإنما حسن^(٣) تكرير المعنى اختلاف اللفظ . وللعرب في هذا

مذهب معروف ، ومثله :

* وَهِنْدُ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ وَالْبُعْدُ *

فأما الدَدَنْ فهو اللهو/واللعب، وفيه لغات ثلاث: دَدَ على مثال دَمَ، ودَدَا على مثال فَتَى، [١١]
وَدَدَنْ على مثال حَزَنْ ؛ ومنه قول النبي عليه السلام: « ما أنا من دَدٍ ولا الدَدِ مِنْيَّةُ^(٤) » .

فإن قيل : كيف يُحْمَلُ قوله : « لا يأذن الله لشيء ، كإذنه لكذا وكذا » على معنى
الاستماع ، وهو تعالى سامع لكل شيء مسموع ، فأى معنى للاختصاص ؟ قلنا : ليس

المراد ههنا بالاستماع مجرد الإدراك ، وإنما المراد به القبول ، فكأنه عليه السلام قال : ١٠
إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ أَوْ يُثَبِّتُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ كَتَقْبُلِهِ وَثَوَابِهِ عَلَى كَذَا وَكَذَا ،
ومن هذا قولهم : هذا كلام لا أسمع ، وخطبت فلانا بكلام فلم يسمعه^(٥) ، وإنما يريد نفى
القبول لا الإدراك ، والبیت الذي أنشدناه يشهد بذلك ، لأنه قال :

* وَإِنْ ذُكِرْتُ بِسَوْءٍ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا *

ونحن نعلم أنهم يستمعون الذِّكْرَ بالخير والشر معا من حيث الإدراك ؛ فوجه ١٥
الاختصاص ما ذكرناه .

(١) حاشية ت : « العباد قوم كانوا يخدمون النعمان فسماهم العباد وكان عدى هذا منهم » ؛ وحاشية
ف : « قوم اقتطعهم النعمان بخدمة ؛ فكان يقال لهم عباد النعمان ، فنسب عدى إليهم ، وكان نصرانياً » .
(٢) حاشية الأصل : « البعد أقرب من النأي » . (٣) ش ، ف : « وإنما حسن تكرير
المعنى لاختلاف اللفظ » .

(٤) في حاشيتي الأصل ، ف : « قوله عليه السلام : « مني » هذه الهاء للاستراحة ، وهي تدل على
تأكيد امتناعه من اللهو » . وفي ج ، وحاشيتي ت ، ف (من نسخة) : « مني » .

(٥) في حاشيتي ت ، ف : « ومن هذا الباب قوله : دعوت الله حتى خفت ألا يكون الله يسمع ما
أقول ؛ أى يحيب » .

وقد ذكر أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري وجهاً ثالثاً في الخبر ، قال : أراد عليه السلام :
(١) مَنْ لَمْ يَتْلُذْ بِالْقُرْآنِ ، وَيَسْتَحْلِهِ ، وَيَسْتَعِزُّ بِهِ ، تَلَاوَتَهُ كَاسْتِحْلَاءِ أَحْصَابِ الطَّرَبِ لِلْغِنَاءِ
وَالْتِذَاذِهِمْ . وَسَمِيَ ذَلِكَ تَغْنِيّاً مِنْ حَيْثُ يُفْعَلُ عِنْدَهُ مَا يُفْعَلُ عِنْدَ التَّغْنَى بِالْغِنَاءِ ، وَذَكَرَ أَنَّ
ذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِهِمْ : الْمَهَائِمُ تَيْجَانُ الْعَرَبِ ، وَالْحُبَا (٢) حَيْطَانُ الْعَرَبِ ، وَالشَّمْسُ حَمَامَاتُ
الْعَرَبِ (٣) ؛ وَأَنْشَدَ بَيْتَ النَّابِغَةِ :

بُكَاءُ حَمَامَةٍ تَدْعُو هَدِيلاً مُفَجَّعَةً عَلَى فَنٍّ تَغْنَى (٤)

فَشَبَّهَ صَوْتَهَا لَمَّا أَطْرَبَ إِطْرَابَ الْغِنَاءِ بِالْغِنَاءِ ، وَجَمَلُوا الْمَهَائِمَ لَمَّا قَامَتْ مَقَامَ التَّيْجَانِ
تَيْجَاناً ؛ وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي الْحُبَا وَالشَّمْسِ .

وَجَوَابُ أَبِي عُمَيْدٍ أَحْسَنُ الْأَجَوِبَةِ وَأَسْلَمُهَا ، وَجَوَابُ أَبِي بَكْرٍ أَمَدُهَا ؛ لِأَنَّ التَّلْذُّذَ
١٠ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الْمَشْتَهَاتِ ، وَكَذَلِكَ الْاسْتِحْلَاءُ وَالْاسْتَعِزُّ . وَتَلَاوَةُ الْقُرْآنِ وَتَفْهَمُ مَعَانِيهِ
مِنْ الْأَعْمَالِ الشَّاقَةِ ، فَكَيْفَ يَكُونُ مُلْذَافاً مُشْتَهًى (٥) ؟ ! فَإِنْ عَادَ إِلَى أَنْ يَقُولَ : قَدْ تَسْتَحْلِي
التَّلَاوَةَ مِنَ الصَّوْتِ الْحَزِينِ (٦) ، قُلْنَا : هَذَا رَجُوعٌ إِلَى الْجَوَابِ الثَّانِي الَّذِي رَغِبْتَ عَنْهُ ،
وَانْفَرَدْتَ عِنْدَ نَفْسِكَ بِمَا يَخَالِفُهُ .

وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فِي الْخَبَرِ وَجْهٌ رَابِعٌ خَطَرَ لَنَا ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ :
[١٢] / « مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ » مِنْ غَنَى الرَّجُلِ بِالْمَكَانِ إِذَا طَالَ مُقَامُهُ بِهِ ، وَمِنْهُ قِيلَ : الْمَغْنَى وَالْمَغَانِي ،
وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ كَأَنَّ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا ﴾ [الْأَعْرَافُ : ٩٢] ، أَيْ لَمْ يُقِيمُوا بِهَا ، وَقَالَ

(١-١) ف : « مَنْ لَمْ يَتْلُذْ بِالْقُرْآنِ وَلَمْ يَسْتَحْلِهِ وَلَمْ يَسْتَعِزُّ بِهِ » .

(٢) فِي حَاشِيَةِ الْأَصْلِ ، ف : « جَمْعُ حَبْوَةٍ (بِكْسَرِ الْهَاءِ وَضَمِّهَا مَعاً) ، وَالْأَصْلُ فِيهِ الْإِحْتِبَاءُ
بِالسَّيْفِ ، وَالْإِحْتِبَاءُ : شَدُّ الْيَدَيْنِ أَمَامَ الرِّكْبَتَيْنِ ، وَالْإِسْمُ الْحَبْوَةُ » .

(٣) فِي حَاشِيَةِ الْأَصْلِ ، ف : « أَيْ يَنْتَزِلُ مِثْلُهُ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ » .

(٤) فِي حَاشِيَةِ الْأَصْلِ ، ف : « الْمَهْدِيلُ : صَوْتُ الْحَمَامِ وَفَرْخِهَا ، وَيَحْتَمِلُ الْمَغْنَيْنِ ؛ أَيْ تَدْعُو دُعَاءَ
صَوْتِهَا » ؛ وَالْبَيْتُ فِي دِيْوَانِهِ ٧٩ . (٥) فِي حَاشِيَةِ الْأَصْلِ (مِنْ نَسْخَةٍ) ، ف (عَنْ ش) : « شَيْءٌ مُلْذِذٌ ؛
أَيْ يَجْعَلُ عَلَى الْإِلْتِذَاذِ بِهِ ، وَيُقَالُ : لَذِذْتُ بِالشَّيْءِ ، وَلِذْذْتُهُ ، أَوْ وَجِدْتُهُ لَذِيذاً ، أَوْ عَدَدْتُهُ كَذَلِكَ » .

(٦) تَحْتَ هَذِهِ السَّكْمَةِ فِي الْأَصْلِ : « مِنْ نَسْخَةِ الشَّجَرِيِّ » ، وَفِي نَسْخَةِ بَحَاشِيَةِ الْأَصْلِ ، ت

الأسود بن يَعْفَرُ^(١) الإيادي :

وَلَقَدْ غَنَوْا فِيهَا بِأَنْعَمِ غُنْيَةٍ فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الْأَوْتَادِ^(٢)

وقول^(٣) الأعشى الذي أنشده أبو عبيد وهو :

وَكَنتُ امْرَأً زَمَنًا بِالْعِرَاقِ عَفِيفَ الْمَنَاحِ طَوِيلَ التَّغَنِّ

بطول المقام أشبه منه بالاستغناء ، لأن المقام بوصف بالطول ولا بوصف الاستغناء بذلك ،

فكان الأعشى أراد : إنني كنت ملازماً لوطني ، مقيماً بين أهلي ، لا أسافر للانتجاع والطلب ؛ ويجري قوله هذا مجرى قول حسّان بن ثابت الأنصاري :

أَوْلَادُ جَفْنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ^(٤)

أراد بقوله : « حول قبر أبيهم » أنهم ملوك لا ينتجعون^(٥) ، ولا يفارقون محالهم

وأوطانهم ؛ فيكون معنى الخبر على هذا الوجه : مَنْ لَمْ يُقِمَّ عَلَى الْقُرْآنِ ؛ فَلَا يَتَجَاوَزُهُ^(٦) ١٠ إلى غيره ، ولا يتعداه إلى سواه ، ويتخذ مَعْنَى وَمَنْزَلاً وَمُقَاماً فليس منا .

فإن قيل : أليس قد يُتَعَدَّى الْقُرْآنُ إِلَى السُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ وَسَائِرِ أدلة الشرع ؟ فكيف

يُحْظَرُ عَلَيْنَا تَعَدُّيه ؟ قلنا : ليس في ذلك تَعَدٍُّ لِلْقُرْآنِ ، لأنَّ الْقُرْآنَ دَالٌّ عَلَى وَجوب اتِّبَاعِ

السُّنَّةِ وَغَيْرِهَا مِنْ أدلة الشرع ، فمن اعتمد بعضها في شيء من الأحكام لا يكون متجاوزاً

لِلْقُرْآنِ ، ولا متعدياً ؛ فأمّا قوله عليه السلام : « لَيْسَ مِنَّا » فقد قيل فيه : إنه لا يكون على ١٥

أخلاقنا ، واستشهد ببيت النابغة :

(١) في حاشيتي الأصل : « ويعفر (بضم الياء والفاء) ، ويعفر أيضا (بضم الياء وكسر الفاء) .

ويعفر (بضم الياء والفاء) ينصرف لزوال شبه الفعل عنه .

(٢) البيت من قصيدة في المفضليات ٢١٧ ، وفي دءف ، وحاشية الأصل (من نسخة) ، والمفضليات « عيشة » .

(٣) ت : « وبيت » . (٤) ديوانه : ٨٠ ، وأولاد جفنة : ملوك غسان .

(٥) في حاشيتي الأصل ، ف : أي لا يحتاجون إلى الانتجاع ؛ فهم مقيمون في مكانهم .

(٦) حاشية ف : « ويتجاوزوه ويتخذ » ، وفي حاشية الأصل : « قال السيد : في هذا

السلام اضطراب ، والصحيح : « فيتجاوزوه ويتعداه » ؛ إلا أن تكون « لا » زائدة ؛ والمعنى : من لم

يقم على القرآن بحيث لا يتجاوزوه إلى غيره ، ويتعداه إلى سواه ؛ ولم يتخذ معنى ، ويكون قوله « يتخذ »

معطوفاً على « يقم » .

إِذَا حَاوَلْتَ فِي أَسَدٍ فُجُورًا فَإِنَّ لَسْتَ مِنْكَ وَلَاسَتْ مِنِّي^(١)

وقيل إنه أراد : ليس على ديننا ، وهذا الوجه لا يليق إلا بجوابنا الذي اخترناه ، وهو بعمده بجواب أبي عبيد أليق ، لأنه محال أن يخرج عن دين النبي صلى الله عليه وسلم من لم يحسن صوته بالقرآن ، ويرجع فيه ، أو من لم يتلذذ بتلاوته ويستجليها .

مَسْأَلَةٌ

[١٢] / اعلم أن أصحابنا قد اعتمدوا في إبطال ما ظنّه أصحاب الرؤية في قوله تعالى : ﴿ وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ۚ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة ٢٢ - ٢٣] ، على وجوه معروفة ، لأنهم يثبتون أن النظر ليس يفيد الرؤية ، ولا الرؤية من أحدٍ محتملاته ، ودلّوا على أن النظر ينقسم إلى أقسام كثيرة ؛ منها تقليب الحديقة الصحيحة حيال^(٢) المرئي طلباً لرؤيته ؛ ومنها النظر الذي هو الانتظار ؛ ومنها النظر الذي هو التعمّط والرحمة ؛ ومنها النظر الذي هو الفكر والتأمل ، وقالوا : إذا لم يكن في أقسام النظر الرؤية لم يكن للقوم بظاهرها تعالى^(٣) ، واحتجّنا^(٤) جميعاً إلى طلب تأويل الآية من غير جهة الرؤية . وتأولها بعضهم على الانتظار للشواب ، وإن كان المنتظر في الحقيقة محذوفاً ، والمنتظر منه مذكوراً على عادة للعرب معروفة . وسلم بعضهم أن النظر يكون الرؤية بالبصر ، وتحمل الآية على رؤية أهل الجنة لنعم الله تعالى عليهم ؛ على سبيل حذف المرئي في الحقيقة . وهذا كلام^(٥) مشروح في مواضعه ، وقد بينا ١٥ ما يورد عليه ، وما يجاب به عن الشبهة المعارضة في مواضع كثيرة .

وهنا وجه غريب في الآية حكى عن بعض المتأخرين^(٦) : لا يفتقر معتمده إلى العدول عن الظاهر ، أو إلى تقدير محذوف ، ولا يحتاج إلى منازعتهم في أن النظر يحتمل الرؤية ،

(١) ديوانه : ٧٩ . (٢) ت ، حاشية ف (من نسخة) : « في جهة المرئي » .

(٣) ف : « العلق » . (٤) ت ، حاشية الأصل (من نسخة) : « واحتاج جميعنا » .

(٥) ت ، ف : « وهذا الكلام » . (٦) في حاشيتي ت ، ف : « يعني به الصاحب بن

أو لا يحتملها ؛ بل يصح الاعتماد عليه ؛ سواء كان النظر المذكور في الآية هو الانتظار بالقلب ، أو ^(١) الرؤية بالعين ، وهو أن يحمل قوله تعالى : ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ على أنه أراد به نعمة ربها ، لأن الآلاء النعم ، وفي واحدتها أربع لغات : ألا مثل قفاً ، وألى مثل رمى ، وإلى مثل معى ، وإلى مثل حسى ؛ قال أعشى بكر بن وائل :

أَبْيَضُ لَا يَرْهَبُ الْهَزَالَ وَلَا يَقْطَعُ رَحِمًا وَلَا يَخُونُ ^(٢) إِلَىٰ
أراد أنه لا يخون نعمة ، فأراد « بإلى ربها » نعمة ربها ، وأسقط التنوين للإضافة .

فإن قيل : فأى فرق بين هذا الوجه وبين تأويل من حمل الآية على أنه أريد بها ^(٣)
إلى ثواب ربها ناظرة ، بمعنى رائية لنعمه وثوابه ؟ قلنا : ذلك الوجه يفتقر إلى محذوف ، لأنه إذا جعل « إلى » حرفاً / ولم يعلقها بالرب تعالى ، فلا بد من تقدير محذوف ، وفي الجواب [١٣]
الذى ذكرناه لا يفتقر إلى تقدير محذوف ، لأن « إلى » فيه اسم يتعلق به الرؤية ولا يحتاج ^و
إلى تقدير غيره ^(٤) .

(١) ت . « أم » (٢) ديوانه : ١٥٥ ، واللسان (ألى) وفي حاشيتي الأصل ، ف :
« أبيض : كريم ، والهزال كناية عن فلة ذات اليد ، وخيانة النعمة أن يبخل بها » . (٣) ف : « به » .
(٤) في حاشيتي الأصل ، ف : « الوجه الأول أحسن ، وبمجارى كلام العرب أشبه ، وفي الفصاحة
أعرف ؛ وذلك أن وجه الصاحب وإن كان له محل في العربية ؛ فإن لإعمال اسم الفاعل فيما قبله على هذا
الوجه مما يحوج الإنسان إليه مضائق الشعر ؛ والقرآن موضع فصاحة ، ومحل فصاحة ، فالأولى غير هذا الوجه ؛
والله أعلم » .

مَجْلِسُ آخِرِ تَأْوِيلِ آيَةٍ

إِنْ قَالَ قَائِلٌ: مَا تَأْوِيلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْثِقَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلَ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس : ١٠٠] .

وظاهرُ هذا الكلام يدلُّ على أن الإيمان إنما كان لهم فِعْلُهُ بإِذْنِهِ وأَمْرُهُ ، وليس هذا مذهبكم ؛ وإن مُحْمِلَ الإِذْنِ هَاهُنَا على الإرادة اقتضى أَنَّ مَنْ لَمْ يَقْعِ مِنْهُ الإِيمَانُ لَمْ يَرِدْهُ اللَّهُ مِنْهُ ، وهذا أيضا بخلاف قولكم . ثم جَعَلَ الرَّجْسَ الذي هو العذاب على الذين لا يعقلون ؛ وَمَنْ كَانَ فَاقِدًا عَقْلَهُ لَا يَكُونُ مُكَلَّفًا ، فكيف يستحقُّ العذاب ؟ وهذا بالضد من الخبر المروى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْبُهْلَةُ » .

الجواب ، يقال له في قوله تعالى : ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وجوه :

١٠ فيها ، ويأمر به ، ولا يكونُ معناه ما ظنَّه السائلُ من أنه لا يكون للفاعل فِعْلُهُ إلا بإِذْنِهِ ، ويجرى هذا مجرى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥ ؛ ١٤] . ومعلوم أنَّ معنى قوله: ليس لها في هذه الآية هو ما ذكرناه ، وإنَّ كان الأشبهُ في هذه الآية التي فيها ذكرُ الموت أن يكون المرادُ بالإِذْنِ العلم .

ومنها أن يكون الإِذْنُ هو التوفيق^(١) والتيسير والتسهيل ، ولا شبهة في أن الله يوفق

١٥ لفعل الإيمان ويلطف فيه ، ويسهِّل السبيل إليه .

ومنها أن يكون الإِذْنُ العلم من قولهم : أَذِنْتُ لَكَذَا وكَذَا إِذَا سَمِعْتَهُ وَعَلِمْتَهُ ، وَآذَنْتُ فَلَانًا بِكَذَا إِذَا أَعْلَمْتَهُ ؛ فتكون فائدة الآية الإخبار عن علمه تعالى بسائر الكائنات ، فإنه ممن

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « في هذه » .

لا يخفى عليه الخفيات . . وقد أنكر بعض مَنْ لا بصيرة له أن يكون الإِذْنُ (بكسر الالف وتسكين الذال) عبارةً عن العلم ، وزعم أن الذى هو العلم الأذْنُ (بالتحريك) ، واستشهد بقول الشاعر^(١) :

[١٣]
ط / * إِنَّ هَمِّي فِي سَمَاعٍ وَأَذْنٌ *
ظ

- وليس الأمر على ما توهمه هذا المتوهم ، لأن الأذْن هو المصدر ، والإِذْن هو اسم الفعل^(٢) ؛
فيجوزى مجزئ الحذر في أنه مصدر؛ والحذر (بالتسكين) الاسم على أنه لو لم يكن مسموعاً
إلا الأذْن (بالتحريك) لجاز التسكين ، مثل مثلٍ ومثلٍ وشبهٍ وشبهٍ ونظائر ذلك
كثيرة .

ومنها : أن يكون الإِذْن العلم ، ومعناه إعلام الله المكلفين بفضل الإيمان وما يدعو إلى
فعله، ويكون معنى الآية : وما كان لنفس أن تؤمنَ إلا بإعلام الله لها بما يبعثها على الإيمان، ١٠
وما يدعوها إلى فعله .

فأما ظنُّ السائل دخولَ الإرادة في محتمل اللفظ فباطل؛ لأن الإِذْنَ لا يحتمل الإرادة
في اللغة ، ولو احتملها أيضاً لم يجب ما توهمه ، لأنه إذا قل : إنَّ الإيمانَ لا يقع^(٣) إلا
وأنا مُريدٌ له لم ينف أن يكون مُريداً لما لم يقع ، وليس في صريح الكلام ولا دلالة^(٤)
شيء من ذلك .

١٥

وأما قوله تعالى : ﴿ وَيَجْعَلُ الرُّجُسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ فلم يعم بذلك
الناقص العقل ، وإنما أراد الذين لم يعقلوا ويعلموا^(٥) ما وجب عليهم علمه من معرفة الله
خالقهم، والاعتراف بنبوة رسله والانقياد إلى طاعتهم ، ووصفهم تعالى بأنهم لا يعقلون تشبيهاً؛

(١) هو عدى بن زيد العبادي ؛ وقد تقدم اليه بتامه منسوباً إليه في ص ٣٣ .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « ومن هذا الباب الصرم ؛ فإنه مصدر صرم ، والصرم ؛ بالضم
اسم ذلك الفعل الذى هو القطع ؛ لا المصدر . »

(٣) د ، ف ، حاشية ت (من نسخة) : « لم يقع » . (٤) ف ، حاشية ت (من نسخة) :

« ولا في دليله » . (٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « ولم يعلموا » .

كما قال تعالى: ﴿صُمُّواْ بِكُمْ غَمٌّ﴾ [البقرة: ١٨] ، وكما يصف أحدنا من لم يفتن لبعض الأمور، أو لم يعلم ما هو مأمور بعلمه بالجنون وقد العقل .

فأما الحديث الذى أورده السائل شاهداً له فقد قيل إنه عليه وآله السلام^(١) لم يرد بالبُله ذوى الغفلة والنقص والجنون ، وإنما أراد البُله عن الشرّ والقبیح ، وسأهم بلها عن ذلك من حيث لا يستعملونه ولا يعتادونه ، لا من حيث فقدوا العلم به . ووجه تشبيه من هذه حاله بالابله ظاهر ، فإن الأبله عن الشيء هو الذى لا يعرض له ولا يقصد إليه ، فإذا كان المنزّه عن الشر معرضاً عنه ، هاجرا لفعله جاز أن يوصف بالبُله للفائدة التى ذكرناها ؛ ويشهد بصحة هذا التأويل قول الشاعر :

وَقَدْ لَهَوْتُ بِطِفْلةٍ مَيَّدةٍ بِنَهَاءٍ تُطْلَعُنِي عَلَى أَمْرَارِهَا^(٢)

[١٤] / أراد أنها بلهاء عن الشر والريبة ؛ وإن كانت فطنة لغيرها ؛ وقال أبو النجّم العجليّ :
مِنْ كَيْلِ عَجْزَاءَ سَقُوطِ الْبَرْقِعِ^(٣) بِلَهَاءٍ لَمْ تُحْفَظْ وَلَمْ تُضَيَّعْ

أراد بالبلهاء ما ذكرناه . فأما قوله : « سَقُوطِ الْبَرْقِعِ » فأراد أنها تبرّز وجهها ولا تستره ، ثقة^(٤) بحسنه وإدلالاً بجهالة^(٥) ، وقوله : « لَمْ تُحْفَظْ » أراد أن استقامة طرائقها تنفى عن حفظها ، وأنها لعافيا^(٦) ونزاهتها غير محتاجة إلى مسدّد وموقف ؛ وقوله : « لَمْ تُضَيَّعْ » أراد أنها لم تهمل في أغذيتها^(٧) وتنعيمها وترفيها فتشقى ، ومثل قوله : « سَقُوطِ الْبَرْقِعِ » قول الشاعر^(٨) :

(١) ت : « إن النبي صلى الله عليه وآله » ، ف : « إنه صلى الله عليه وآله » .

(٢) الأضداد ص ٢٦٢ ، واللسان (بله) — بلا عزو . والطفلة : الناعمة ؛ وفي ت ، د ، ف :

« ميالة » . (٣) اللسان (بله) .

(٤-٤) حاشية ت (من نسخة) : « بحسنها وإدلالاً بجهالها » .

(٥) ش : « لمفاقتها » ، وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « عف يعف عفا وعفة وعفاة » .

(٦) في حاشيتي الأصل ، ف : « الأولى في معنى لم تضيع أنها لا تخلو من خدم يختصون بها ؛ ليكون

هذا التضيع مطابقاً لذلك الحفظ » . وفي حاشية ت (من نسخة) : « في تغذيتها » .

(٧) هو عمر بن أبي ربيعة ، والبيت في ديوانه ٣٣ .

فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا وَسَلَّمْتُ أَقْبَاتُ وَجُودَ زَهَاهَا الْحُسْنُ أَنْ تَتَقَنَّعًا (١)
ومثله أيضا :

بِهَآ شَرَقُ مِنْ زَعْفَرَانٍ وَعَنْبَرٍ أَطَارَتْ مِنَ الْحُسْنِ الرِّدَاءُ الْمُحِبَّرَا (٢)
أى رمت به عنها ثقة بالجمال والكمال (٣) ، ومثله - وهو مליح (٤) :

٥ لَمَسُونَا بِمَنْجُولِ الْبَرَّاقِعِ حِقْبَةً فَمَا بَالُ دَهْرٍ لَزْنَا بِالْوَصَاوِسِ (٥)
أراد بمنجول البراقع اللاتي يوسعن عيون براقعهن ثقة بحسنهن ، ومنه الطعنة النجلاء ،
والعين النجلاء ؛ ثم قال : ما بال دهر أحوجنا واضطرنا إلى القباح ، اللواتي يضيقن عيون
براقعهن لقبحهن ، والوصاوس : هى النقب الصغار للبراقع ؛ ومما يشهد للمعنى الأول الذى
هو الوصف بالبلاء لا بمعنى الغفلة قول ابن الدُمينة :

بِمَالِي وَأَهْلِي مَنْ إِذَا عَرَضُوا لَهُ بَعْضُ الْأَذَى لَمْ يَدْرِ كَيْفَ يُجِيبُ (٦) ١٠
- ويروى بنفسى وأهلى -

وَلَمْ يَعْتَذِرْ عُذْرَ الْبَرِّ وَلَمْ تَزَلْ بِهِ ضَعْفَةٌ (٧) حَتَّى يُقَالَ مُرِيبٌ (٨)
ومثله :

أَحِبُّ اللَّوَاتِي فِي صِبَاهُنَّ غِرَّةٌ وَفِيهِنَّ عَنْ أَزْوَاجِهِنَّ طِمَاحٌ (٩)

(١) فى الديوان : « أشرفت » وفى حاشية ت (من نسخة) : « أسفرت » ، وفى حاشية الأصل
(من نسخة) : « تتبرقا » . (٢) البيت للشمخ ، ديوانه : ٢٩ . وفى حاشية الأصل ، ت ، ف :
« الشرق : أثر الطيب ؛ يقال : يده من الطيب شرق . وشرقت الشمس : اصفرت من الغروب ؛ ومنه
أحمر شرق : شديد الحمرة ، وشرق الثوب بالصنغ ، ولحم شرق : لا دسم فيه » . والخبر : النقش .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « ثقة بجهاها وكالها » . (٤) فى نسخة بحاشيتي الأصل ، ت :
« حسن » . (٥) حاشية الأصل : « لزنا : أحوجنا » . (٦) الشعر والشعراء ٤٥٩ . وفى ت :
« بأهلى ومالى » . (٧) ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « سكتة » .

(٨) مرريب : أنى برية . وفى حاشية الأصل . « أصل العذر أن تتعقب ذنبا ، والبرى : لاذنبا ؛
لأن أن تتصله قائم مقام العذر للمجرم ؛ فسكانه عذر مجازا » .

(٩) البيتان فى مصارع العشاق ٣٤٧ ، وعزاهما إلى بعض الأعراب ، ورواية البيت الأول فيه :
أَحِبُّ اللَّوَاتِي هُنَّ مِنْ وَرَقِ الصَّبَا وَمِنْهُنَّ عَنْ أَزْوَاجِهِنَّ طِمَاحٌ
وقال : طمح ببصره ؛ إذا رمى به ، وفى حاشية الأصل : « طماح : شماس » .

مُسِرَّاتِ حُبِّ مُظْهِرَاتِ عَدَاوَةٍ تَرَاهُنَّ كَالْمَرْضَى وَهُنَّ صَحَاحٌ
ومثله :

يَكْتَبِينَ الْيَنْجُوجَ فِي كَبَدِ الْمَشِّ تَى وَبُلَهْ أَحْلَامُهُنَّ وَسَامٌ^(١)

أما قوله : « يكتبين » فمأخوذ من لفظ الكباء ، وهو العود ، أراد يتبخرن به ، واليَنْجُوجُ [١٤] هو / العود ، وفيه ست لغات : يَنْجُوج ، وَأَنْجُوج ، وَيَلْنَجُوج ، وَالنَّجُوج ، وَالنَّجَج ، وَيَلْنَجَج .^ظ

فأما كَبَدِ الْمَشِّ ، فهو ضَيْقَتُهُ^(٢) وشدُّهُ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ [البلد : ٤] ؛ وقد روى : « في كَبَّةِ الْمَشِّ » والمعنى متقارب ، لأن الكَبَّةَ هي الصدمة والحمة ، مأخوذ من كَبَّةٍ^(٣) الخيل ؛ وأما الْوَسَامُ فهنَّ^(٤) الحِسان من الوَسامة ، وهي الحُسن .
ويمكن أن يكونَ في الْبَلَهْ جواب آخر ، وهو أن يحْمَلَ على معنى الْبَلَهْ الذى هو الْغَفْلَةُ والنقصان في الحقيقة ، ويكون معنى الخبر أن أكثر أهل الجنة الذين كانوا بُلَهًا في الدنيا ، فعندنا أن الله ينعم الأطفال في الجنة والمجانين والبهائم ، وإنما لم نجعلهم بُلَهًا في الجنة وإن كان ما يصلُ إليهم من النعيم على سبيل الْعَوَاضِ أو التفضل^(٥) لا يفتقر إلى كمال العقل ، لأنَّ الخبر ورد بأن الأطفال والبهائم إذا دخلوا الْجَنَّةَ لم يدخلوها إلا وهم على أفضل الحالات ١٥ وأكملها ، ولهذا صرفنا الْبَلَهَ عنهم في الجنة ، ورددناه إلى أحوال الدنيا ، وإلَّا فالعقل لا يمنع من ذلك كمنعه إياء في باب الثواب والعقاب .

(١) البيت لأبي دؤاد الإباضى ، وهو فى الأصمعيات ٦٨ ، وفى حاشية الأصل : « أى عقولهن بله ، وهن وسام ، وواحد الوسام وسيم » .

(٢) ت : « ضيقة » ، ش : « ضيقته » ، بكسر الضاد وفى حاشيتى ت ، ف : « الضيقة : الضر والبؤس ؛ وهو الضيق أيضا » . (٤) فى نسخة بمحاشيتى الأصل ، ت : « فهى » .

(٤) حاشية الأصل : « وهو ازدحامهما » .

(٥) فى نسخة بمحاشى الأصل ، ت ، ف : « فإن التفضل » . د : « والتفضل » .

تَأْوِيلُ آيَةِ أُخْرَى

قال الله تعالى مخبراً عن يوم القيامة : ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ، وَمَا نُوَخَّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدُّودٍ . يَوْمَ يَأْتِي لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [هود : ١٠٣-١٠٥] . وقال في موضع آخر : ﴿ هَٰذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ . وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ [المرسلات : ٣٥ ، ٣٦] . وفي موضع آخر : ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [الصافات : ٢٧ ، والطور : ٢٥] .

وظاهر هذه الآيات ظاهر الاختلاف ، لأن بعضها يُنبئُ عن أن النطق لا يقع منهم في ذلك اليوم ، ولا يؤذن لهم فيه ، وبعضها يُنبئُ عن خلافه . وقد قال قوم من المفسرين في تأويل^(١) هذه الآيات : إن يوم القيامة يومٌ طويلٌ مُّمتدٌّ ، فقد يجوز أن يُمنَعَ النطقُ في بعضه ، ويُؤذن لهم في بعض آخر^(٢) ؛ وهذا الجواب يُضعف ، لأن الإشارة إلى يوم القيامة بطوله ، فكيف يجوز أن تجعل الحالات فيه مختلفة ؛ وعلى هذا التأويل يجب أن يكون قوله ١٠ تعالى : ﴿ هَٰذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴾ في بعضه ، والظاهر بخلاف ذلك .

والجواب السديد عن هذا أن يقال : إنما أراد الله تعالى / نفى النطق المسموع المقبول [١٥] الذي ينتفعون به ، ويكون لهم في مثله عُذر أو حجة ، ولم ينفِ النطق الذي ليست هذه حاله ، ويجرى هذا مجرى قولهم : خرس فلان عن حُجَّتِهِ ، وحضرنا فلانا يُناظر فلانا فلم يقل شيئاً ، وإن كان الذي وُصِفَ بالخرس عن الحجة ، والذي نفى عنه القول قد تكلم بكلام كثير غزير ، إلا أنه من حيث لم يكن فيه حجة ، ولا به منفعة جاز إطلاق القول الذي حكيناه عليه ؛ ومثل هذا قول الشاعر^(٣) :

(١) ت : « تأويلات » . (٢) ف : « في موضع آخر » .
(٣) هو مسكين الدارمي ؛ وهو ربيعة بن عامر بن أنيف ؛ والبيتان في (معجم الأدباء ١١ : ١٣٢) .
وفي حاشية الأصل : « قبلهما » :

ما ضرَّ جاراً لي أجاورُهُ ألا يكونَ ليأبهِ سِتْرُ

أَعْمَى إِذَا مَا جَارَتِي خَرَجَتْ حَتَّى يُوَارِي جَارَتِي الْخِذْرُ
وَيَصْمُ عَمَّا كَانَ بَيْنَهُمَا سَمِعِي وَمَا بِي غَيْرُهُ وَقُرْ (١)

وقال الآخر :

لَقَدْ طَالَ كِتْمَانُ نِيكَ (٢) حَتَّى كَأَنَّنِي بَرَدَ جَوَابِ السَّائِلِ عَنْكَ أَعْجَمُ (٣)

• وعلى هذا التأويل قد زال الاختلاف ، لأنَّ التساؤل والتلاؤم لا حُجَّةَ فيه .. وأما قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ ، فقد قيل : إنهم غيرُ مأمورين بالاعتذار ، فكيف يعتذرون ؟ ويجاب بحمل الإذن على الأمر ؛ وإنما لم يُؤْمَرُوا به من حيث كانت تلك الحال لا تكليفَ فيها ، وانعباد ملجئون عند مشاهدة أحوالهم إلى الاعتراف والإقرار . وأحسن من هذا التأويل أن يحمل ﴿ يُؤْذَنُ ﴾ ، على معنى أنه لا يُسْتَمَعَ لهم ، ولا يُقْبَلُ عذرهم ، والعملة في امتناع قبول عُذْرِهِمْ هي التي ذكرناها (٤) .

(١) حاشية الأصل : « يريد به ؛ أي بقوله « بينهما » جاره وجارته ؛ لأنه ذكر الجار قبل الجارة في قوله : ما ضر جاراً ... البيت » ، وفي حاشية ف : « بينهما ، أي بين الجار وبين من تخاطبه ؛ والسلام يدل على متخاطبين » . (٢) حاشية الأصل : « كتمان أمرك وعشقك » .

(٣) في حاشيتي ت ، ف : « بعده :

لَأَسْلَمَ مِنْ قَوْلِ الْوُشَاةِ وَتَسْلَمِي سَلِمْتَ وَهَلْ حَيٌّ عَلَى النَّاسِ يَسْلَمُ
(٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « قوله تعالى : ﴿ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ . وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ : لا ينطقون بنطق يفهمهم ، ولا يعتذرون بعذر يفهمهم ، فيكون يعتذرون

داخلاً في حيز النفي ، ولا يمكن حله على الإيجاب إلا إذا كان المعنى على أنهم ينطقون بنطق يفهمهم ؛ لأنه إن حمل على الظاهر كان في السلام تناقض ؛ لأنَّ التقدير إذاً : هذا يوم لا ينطقون فيعتذرون ؛ وهذا تناقض ، لأنَّ الاعتذار نطق ، وإن شئت كان التقدير : لا ينطقون بحال ، ولا يعتذرون ؛ لأنَّ هناك مواقف ؛ فيكون هذا في موقف ؛ ومثله قراءة الحسن والثقفى : ﴿ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُونَ ﴾ ، فقوله : ﴿ يَمُوتُونَ ﴾ معطوف على ﴿ لَا يُقْضَى ﴾ أي لا يقضى عليهم فلا يموتون ؛ كذلك لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ؛ أي فلا يعتذرون ؛ وهذا أحسن ، والله أعلم .

تَأْوِيلُ خَبَرِ

رَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ: « لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ ، فَإِنَّ الدَّهْرَ ^(١) هُوَ اللَّهُ » .
وقد ذكر قومٌ في تأويل هذا الخبر أن المراد به لا تَسُبُّوا الدهرَ ، فإنه لا فِعْلَ له ، وإنَّ الله
مَصْرُفُهُ ومُدَبَّرُهُ ، فحذف من الكلام ذكر المَصْرَفِ والمُدَبَّرِ وقال : « هو الدهر » .

وفي هذا الخبر وَجْهٌ هو أحسنُ من ذلك الذي حَكَيْنَاهُ ، وهو أنَّ الملحدين ، وَمَنْ
فَفَى الصَّانِعِ من العرب كانوا يَنْسُبُونَ ما يَنْزِلُ بِهِمْ من أفعال الله تعالى كالمرض والعافية ،
والجذب والخصب ، والبقاء والفناء إلى الدَّهْرِ ، جهلاً منهم بالصَّانِعِ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ ، ويذنون
الدهرَ ويسبونه في كثيرٍ من الأحوال ، من حيث اعتقدوا أنه الفاعلُ بِهِمْ / هذه الأفعال ، [١٠]
فنهام النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عن ذلك وقال لهم : لا تَسُبُّوا مَنْ فَعَلَ بِكُمْ هذه الأفعالِ مِمَّنْ
تَعْتَمِدُونَ أنه هو الدَّهْرُ ، فإنَّ الله تعالى هو الفاعلُ لها . وإنما قال : إنَّ الله هو الدهرُ من
حيث نَسَبُوا إلى الدهرِ أفعالَ الله ؛ وقد حكى الله تعالى عنهم قولهم : ﴿ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ^ظ ١٠
الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ [الجنانية : ٢٤] . وقال لبيد :

فِي قُرُومٍ سَادَةٍ مِنْ قَوْمِهِ نَظَرَ الدَّهْرُ إِلَيْهِمْ فَأَبْهَلَ ^(٢)
أَي دَعَا عَلَيْهِمْ . وقال عمرو بن قَمَيْثَةَ ^(٣) :

كَأَنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ تِسْمِينَ ^(٤) حِجَّةً خَلَعْتُ بِهَا عَنِّي عِذَارَ لِحَاجِي ^(٥)
عَلَى الرَّاحَتَيْنِ مَرَّةً وَعَلَى الْعَصَا أَنُوْءُ ثَلَاثًا ^(٦) بَعْدَهُنَّ قِيَامِي ١٥
رَمَتْنِي بَنَاتُ الدَّهْرِ ^(٧) مِنْ حَيْثُ لَا أَرَى فَكَيْفَ يَمْنُ يُرْمَى وَلَيْسَ بِرَأْيِي

(١) كذا في الأصل ، ج ، د ، ش . وفي ت ، ف : « فإنَّ الله هو الدهر » .

(٢) ديوانه : ٨٠ . وفي حاشية الأصل : « قروم : جمع قرم ؛ وهو سيد وشريف وكريم ؛
وابتهل ؛ من الباهلة ، أى تضرع وذلل » . (٣) الأبيات في المعمرين ٦٢ ، وحاشية البحترى ٣٢١ .

(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « سبهين » . (٥) في حاشيتي الأصل ، ف : يقول :

« إن تسمين تركنتي لا أضبط أمراً ؛ فكأنني مخلوع العذار » . والضمير في بها يعود إلى تسمين .

(٦) في حاشيتي الأصل ، ف : « أى ثلاث دفعات » .

(٧) في حاشيتي الأصل ، ف : « بنات الدهر : بلاياه وحوادثه » .

فَلَوْ أَنَّهَا نَبَلْ إِذَا لَا تَقِيَهَا وَلَكِنِّي أُرْمَى بِغَيْرِ سِهَامِ
إِذَا مَا رَأَى النَّاسُ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ جَلِيداً حَدِيدَ الطَّرَفِ غَيْرَ كِهَامِ
وَأَفْنَى وَمَا أَفْنَى مِنَ الدَّهْرِ لَيْلَةً وَلَمْ يُفْنِ مَا أَفْنَيْتُ سَلَكَ نِظَامِ^(١)
وَأَهْلَكَ تَأْمِيلُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَتَأْمِيلُ عَامٍ بَعْدَ ذَلِكَ وَعَامِ

٥ وقال الأصمعي: ذم أعرابي رجلاً فقال: هو أكثر ذنباً من الدهر؛ وأنشد الفراء^(٢):

حَمَنِي حَايَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى كَأَنِّي خَاتِلٌ أَذْنُو لَصِيدِ^(٣)
قَصِيرُ الْخَطْوِ يَحْسِبُ مَنْ رَأَى وَلَسْتُ مُقِيمًا أُنَى بِقَيْدِ
وقال كثير^(٤):

وَكُنْتُ كَذِي رَجُلَيْنِ رَجُلٍ صَحِيحَةٍ وَرَجُلٍ^(٥) رَمَى فِيهَا الزَّمَانُ فَشَلَّتِ
وقال آخر^(٦):

فَلَسْتُ الدَّهْرُ الْغَدَاةَ بِهِمْ وَالدَّهْرُ يَرْمِينِي وَمَا أُرْمَى
يَا دَهْرُ قَدْ أَكْثَرْتَ فِجَعَتَنَا بَسْرَاتِنَا^(٧) وَوَقَرْتَ فِي الْعَظَمِ

أما قوله: وقرت في العظم، أراد به: اتخذت فيه وقراً، أو وقيرة، والوقر هو الحفيرة [١٦] العظيمة تكون في الصفا يستنقع فيها ماء المطر، والوقب أيضاً كذلك، والوقيرة أيضاً الحفيرة ١٥ إلا أنها دون الأولين في الكبر.

وكل هؤلاء الذين روينا أشعارهم نسبوا أفعال الله التي لا يشاركه فيها غيره إلى الدهر، فحسن وجه التأويل الذي ذكرناه.

(١) في حاشيتي الأصل، ف: «أى لم يفن ما أفنيت من العمر بشيء حتى يخطئ».

(٢) البيتان في حماسة البحرى ٣٢٣. (٣) ت، ف: «حابل».

(٤) أمالي القالي ١: ١٠٩، من تائيته المشهورة. (٥) ف، حاشية ت (من نسخة): «وأخرى».

(٦) هو الأعرابي، والبيتان في ملحقات ديوانه ٢٥٨، وثانيتها في اللسان (وقر) وفي حاشية

الأصل: بعدهما:

وَسَلَبَتْنَا مَا لَسْتَ تُعَقِّبُنَا يَا دَهْرُ مَا أَنْصَفْتَ فِي الْحُكْمِ

(٧) حاشية الأصل: «جمع السرى، ورجل سرى، والقوم سراة».

مَسْأَلَةٌ

إِعلم أن المنافع التي عرّض الله تبارك وتعالى الأحياء لها ثلاث^(١) : منفعة تفضل ، ومنفعة عوّض ، ومنفعة ثواب ، فأما المنفعة على سبيل التفضل فهي الواقعة ابتداءً من غير سبب استحقاق ، ولفاعلها أن يفعلها ، وله ألاّ يفعلها ، وأما منفعة العوّض فهي المنفعة المستحقة من غير مقارنة شيء من التعظيم والتبجيل لها ، وأما منفعة الثواب فهي المستحقة على وجه التعظيم والتبجيل فمنفعة العوّض تبين من التفضل بالاستحقاق ، والثواب يبين من العوّض ٥ بالتعظيم والتبجيل ، المصاحبين له ؛ فكأن التفضل أصل لسائر المنافع من حيث يجب تقدمه وتأخر ما عداه ؛ لأنه لا سبيل للمتنتفع أن ينتفع بشيء دون أن يكون حياً له شهوة^(٢) ، والابتداء بخلق الحياة والشهوة تفضل ، فقد صح^(٣) أنه لا سبيل إلى النفع بمنفعة العوّض والثواب إلا بعد تقدّم التفضل . فأما المنفعة بالثواب فهي الأصل للمنفعة بالعوّض ؛ لأن الآلام وما جرى مجرى الآلام^(٤) مما يستحقّ به العوّض متى لم يكن فيها اعتبار يُفضى إلى الثواب ، ١٠ ويستحق به لم يحسن فعلها ، وجرى عندنا مجرى العبث ، ولهذا نقول : إن الله تعالى لو لم يكلف أحداً من المكلفين ما كان يحسن منه أن يبتدىء بالآلام^(٥) ، وإن عوّض عليها .

والأحياء على ضروب فمنهم من عرّض للمنافع الثلاث . ومنهم من عرّض لاثنتين ، ومنهم من عرّض لواحدة ، والمكلف المعرّض للثواب لا بد أن يكون منفوعاً بالتفضل من الوجه الذي قلنا ؛ لأنه إذا خلق حياً وفعل له القدرة والشهوة والعقل وضروب التمكين ، فقد ١٥ نفع بالتفضل ، وليس يجب فيمن هذه حاله أن يكون منفوعاً بالعوّض ؛ لأنه لا يتمتع أن يخلو المكلف من ألم يُحدثه^(٥) الله به ؛ فلا يكون معرّضاً للعوّض ؛ فمتى عرّض له فقد تكاملت فيه المنافع ؛ فصار / المكلف مقطوعاً على تعريضه لاثنتين من المنافع ؛ ومجوراً تكامل [١٦] الثلاث له ؛ فأما من ليس بمكلف فمقطوع فيه على إحدى المنافع ، وهي التفضل من حيث

(١) ش ، ومن نسخة بحاشية ت : « ذا شهوة » . (٢) ش ، ومن نسخة بحاشية ت : « وضع » .

(٣) في حاشيتي ت ، ف : « الجارى مجرى الآلام كنقص الأموال والأولاد » .

(٤) في حاشية ت (من نسخة) : « بالآلام » . (٥) ت « يبتدئه » .

خَلِقَ حَيًّا ، وَمُسَكَّنًا مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْمَنَافِعِ ، وَمَشْكُوكٌ فِي تَعْرِيفِهِ لِلْعَوَاضِ مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي بَيْنَا .
وكَمَا قَطَعْنَا عَلَى إِحْدَى الْمَنَافِعِ فِيهِ ، فَتَحْنُ قَاطِعُونَ أَيْضًا عَلَى نَفْيِ التَّعْرِيفِ لِلثَّوَابِ عَنْهُ ، لِفَقْدِ
مَا يُوَصِّلُ ^(١) إِلَيْهِ وَهُوَ التَّكْلِيفُ ، وَلَا بَدَّ فِي كُلِّ حَيٍّ مُحَدَّثٍ أَنْ يَكُونَ مَعْرَضًا لِإِحْدَى هَذِهِ
الْمَنَافِعِ ، أَوْ لْجَمِيعِهَا ؛ وَإِنَّمَا أَوْجِبْنَا ^(٢) ذَلِكَ مِنْ جِهَةِ حِكْمَةِ الْقَدِيمِ تَعَالَى ؛ لِأَنَّ مِنْ جِهَةٍ أَنَّهُ
يَسْتَحِيلُ ^(٣) فِي نَفْسِهِ ، وَإِنَّمَا قُلْنَا إِنَّهُ لَيْسَ يَسْتَحِيلُ ^(٤) ؛ لِأَنَّ كَوْنَهُ حَيًّا وَعَاقِلًا وَذَا شَهْوَةٍ وَقُدْرَةٍ
لَيْسَ مَنفَعَةً بِنَفْسِهِ ، وَإِنَّمَا يَكُونُ مَنفَعَةً وَنِعْمَةً إِذَا فَعَلَ تَعْرِيفًا لِلنَّفْعِ ؛ فَأَمَّا إِذَا فَعَلَ
تَعْرِيفًا لِلضَّرَرِّ أَوْ لِأُوجُهِ مِنَ الْوُجُوهِ ، فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ نِعْمَةً وَلَا مَنفَعَةً ، وَأَوْجِبْنَاهُ مِنْ جِهَةِ
حِكْمَةِ الْقَدِيمِ تَعَالَى ، لِأَنَّهُ إِذَا جُعِلَ الْحَيُّ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ ، فَلَا يَخْلُو مِنْ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِهَا نَفْعَهُ
أَوْ ضَرَرَّهُ ، أَوْ لَمْ يَرِدْ بِهَا شَيْئًا ، فَإِنْ كَانَ الْأَوَّلُ فَهُوَ الَّذِي أَوْجِبْنَاهُ ، وَإِنْ كَانَ الثَّانِي أَوْ الثَّلَاثُ
فَالْقَدِيمُ تَعَالَى مُتَنَزَّهٌ ^(٥) عَنْهُمَا ، لِأَنَّ الثَّانِيَّ يَجْرِي بِجَرَى الظُّلْمِ ، وَالثَّلَاثُ هُوَ الْعَبَثُ بَعِينُهُ ، وَقَدْ
يُشَارِكُ الْقَدِيمُ تَعَالَى فِي النَّفْعِ بِالتَّفَضُّلِ وَالْعَوَاضِ الْفَاعِلُونَ الْمُحَدَّثُونَ ، وَلَا يَصِحُّ أَنْ يُشَارِكُوهُ
فِي النَّفْعِ بِالثَّوَابِ ، لِأَنَّ الصِّفَةَ الَّتِي يَسْتَحِقُّ الْمَكْلَفَ لِكَوْنِهِ عَلَيْهَا الثَّوَابُ ، وَهِيَ كَوْنُ الْفِعْلِ
شَاقًّا عَلَيْهِ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ قَبْلِهِ تَعَالَى ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَظُنَّ فِيمَنْ يَهْدِي إِلَى الدِّينِ وَيُرْشِدُ
إِلَى الْإِيمَانِ ، وَمَا يَسْتَحِقُّ بِهِ الثَّوَابَ أَنَّهُ مَعْرَضٌ لِلثَّوَابِ ، وَذَلِكَ أَنَّ ^(٦) الْمَكْلَفَ قَدْ يَكُونُ
مَعْرَضًا لِلثَّوَابِ ، وَيَصِحُّ أَنْ يَسْتَحِقَّهُ مِنْ دُونِ كُلِّ هِدَايَةٍ وَإِرْشَادٍ يَقَعُ مِنْهُ ، وَلَوْ لَا الصِّفَةُ الَّتِي
جَعَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهَا لَمْ يَصِحَّ ^(٧) أَنْ يَسْتَحِقَّهُ ، فَبَانَ الْفَصْلُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ ؛ عَلَى أَنَّ أَحَدَنَا
وَإِنْ نَفَعَ غَيْرَهُ بِالتَّفَضُّلِ وَبِالتَّعْرِيفِ لِلْعَوَاضِ فَهَذِهِ الْمَنَافِعُ مَنْسُوبَةٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَمُضَافَةٌ
إِلَيْهِ مِنْ قَبْلِ أَنَّهُ لَوْلَا نِعْمَتُهُ وَمَنَافِعُهُ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ مَنَافِعٌ وَلَا نِعْمًا ؛ أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَخْلُقْ
[١٧] الْحَيَاةَ وَالشَّهْوَةَ / لَمْ يَكُنْ مَا يُوَصِّلُ إِلَيْهِمَا مِمَّا ذَكَرْنَا مَنفَعَةً وَلَا نِعْمَةً ، وَلَوْ لَمْ يَخْلُقِ الْمُسْتَهْئِ
ظ الْمَلْدُودَ لَمْ يَكُنْ سَبِيلٌ لَنَا إِلَى النَّفْعِ وَالْإِنْعَامِ ؛ فَبَانَ بِهَذِهِ الْجُمْلَةِ مَا قَصَدْنَاهُ .

(١) حَاشِيَةٌ (مِنْ نَسْخَةٍ) : « يُوَصِّلُهُ » . (٢) فِي نَسْخَةٍ بِحَاشِيَتِي ت ، ف : « وَجِبَ » .

(٣) حَاشِيَةٌ (مِنْ نَسْخَةٍ) : « مُسْتَحِيلٌ » ، وَحَاشِيَةٌ ف (مِنْ نَسْخَةٍ) : « بِمُسْتَحِيلٍ » .

(٤) ت ، وَحَاشِيَةٌ ف (مِنْ نَسْخَةٍ) : « مُتَنَزَّهٌ » . (٥) حَاشِيَةٌ (مِنْ نَسْخَةٍ) : « لِأَنَّ » .

(٦) سَاقِطَةٌ مِنْ ت .

إن سأل سائل فقال : ما تأويل قوله تبارك وتعالى مخبراً عن مهلك قوم فرعون وتورثه نعمهم : ﴿ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ . فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴾ [الدخان : ٢٨، ٢٩] .

وكيف يجوز أن يُضيف البكاء إليهما ، وهو لا يجوز في الحقيقة عليهما ؟ .

الجواب ، يقال له في هذه الآية وجوه أربعة من التأويل :

أولها أنه تعالى أراد أهل السماء والأرض فحذف كما حذف في قوله : ﴿ واسأل القرية ﴾ [يوسف : ٨٢] ؛ وفي قوله تعالى ﴿ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ [محمد : ٤] وأراد أهل القرية ، وأصحاب الحرب ، ويجري ذلك مجرى قولهم : السخاء حاتم ، يريدون : السخاء سخاء حاتم ؛ قال الحطّيب^(١) :

وَشَرُّ الْمَنَآيَا مَيِّتٌ وَسَطَ أَهْلِهِ كَهْلِكَ الْفَتَى قَدْ أَسْلَمَ الْحَيَّ حَاضِرُهُ^(٢) ١٠
أراد شر المنايا ميته^(٣) ميت ؛ وقال الآخر :

(١) البيت في طبقات الشعراء لابن سلام ص ٩٥ ؛ ضمن أبيات أربعة للحطّيب لم تذكر في ديوانه . وفي حاشيتي الأصل ، ف : « قال السيد الإمام عليه السلام : طلبت هذا البيت في شعر الحطّيب فلم أجده فيه » .

(٢) في حواشي الأصل ، ت ، ف : « قوله : « شر المنايا » تقديره شر المنايا موت ميت فيما بين عشيرته ؛ كهلك هذا الفتى في حال أن أسلم الحي حاضر هذا الفتى ؛ لم أن حضاره أسلموا الحي ، ولم ينصروه ، ولم يمنعوا ذمارهم » .

(٣) ف ، ونسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « منية » .

قَلِيلٌ عَيْبُهُ وَالْعَيْبُ جَمٌّ وَلَكِنَّ الْغِنَى رَبٌّ غَفُورٌ^(١)

أراد: غنى رب غفور؛ وقال ذو الرمة:

لَهُمْ مَجْلِسٌ صُحْبُ السَّبَالِ أَذِلَّةٌ سَوَاسِيَّةٌ أحرارها وَعَبِيدُهَا^(٢)

أراد أهل مجلس، وأما قوله: « صُحْبُ السَّبَالِ » فإنما أراد به الأعداء، والعرب تصف الأعداء بذلك، وإن لم يكونوا صُحْبُ الأُسْبُلَةِ، وقوله: « سَوَاسِيَّةٌ » يريد أنهم مستوون متشابهون؛ ولا يقال هذا إلا في الذم.

وثانيها أنه أراد تعالى المبالغة في وصف القوم بصغر القدر، وسقوط المنزلة؛ لأنَّ العرب إذا أخبرت عن عظم المصائب بالهالك^(٣) قالت: كُسِفَتِ الشَّمْسُ لِفَقْدِهِ، وأظلم القمر، وبكاء

(١) البيت لمروة بن الورد، وهو في ملحقات ديوانه: ١٩٨، وهو في شرح المقامات ٢: ١٩٢، والبيان ٩٥: ١، والعقد ١: ٢١٢، وفي حواشي الأصل، ت، ف: « قال مولانا الإمام: كان السيد رضى الله عنه وهم في معنى هذا البيت. ومعنى البيت: أن الشاعر وصف إنسانا بكثرة العيوب؛ إلا أن ماله وغناه يستتران عليه عيوبه، فكأنه قال: قليل عيبه، يعنى يقل ظهور عيبه مع كثرة عيوبه؛ إلا أن الغنى يسترها عليه؛ كأنه رب غفور ستر للعيوب. ومعنى البيت على ما يوافق استشهاد السيد رضى الله عنه أنه يمدح إنسانا ويقول: قليل عيب هذا المدح مع كثرة العيب في الناس؛ ولكن الغنى عما يجزى المعايير هو غنى الله تعالى. والأشبه بالبيت أن يكون هجوا؛ كأنه يهجو إنساناً ويقول: يرى عيبه قليلا مع كثرة العيوب فيه، والذي يقلل عيبه غناه كأنه رب غفور، وأول القطعة:

ذَرِينِي لِلْغِنَى أَسْعَى فَإِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ شَرُّهُمْ الْفَقِيرُ
وَأَبْعَدُهُمْ وَأَهْوَنُهُمْ عَلَيْهِمْ وَإِنْ أَمْسَى لَهُ حَسْبٌ وَخَيْرُ
يَبَاعِدُهُ النَّدَى وَتَزْدَرِيهِ حَلِيبَتُهُ وَيَنْهَرُهُ الصَّغِيرُ
وَتَلْقَى ذَا الْغِنَى وَلَهُ جَلالٌ يَكادُ فَوادٍ صَاحِبُهُ يَطِيرُ
قَلِيلٌ عَيْبُهُ

(٢) ديوانه ١٥٧ وفي حاشيتي الأصل، ف: « العرب إنما تسمى الأعداء صُحْبُ السَّبَالِ؛ لأنَّ أعداءهم كانوا من الروم؛ والروم صُحْبُ الأُسْبُلَةِ، ثم اتسعوا فسموا كل عدو صُحْبُ السَّبَالِ؛ وإن لم يكن من الروم، والقريب من هذا يصفون الأعداء بالزرق العيون. »
(٣) ف، ت (من نسخة): « بالهلك ».

الليل والنهار والسماء والأرض ، يريدون بذلك المبالغة في عظم الأمر وشمول ضرره ؛ قال جرير يَرْتِي عمرَ بن عبد العزيز^(١) :

(١) حاشية ف : « حدث إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي قال : حدثنا عبدالله بن أخت أبي الوزير عن أبي محمد الشامي : كنت غلاماً في خلافة عمر بن عبد العزيز ؛ فلما أخذ عمر في رد الظالم غلظ ذلك على أهل بيته ، وعلى جميع قريش ، فكتب إليهم عبد الرحمن بن الحكم بن هشام :

فَقُلْ لِهَشَامٍ وَالَّذِينَ تَجَمَّعُوا بدابقَ موتوا لاسِلَةً يَدَ الدَّهْرِ
فَأَنْتُمْ أَخَذْتُمْ حَتَفَكُمْ بِأَكْفَكُمْ كباحثةٍ عن مُدَيِّقٍ وهى لَا تَدْرِى
عَشِيَّةً بَايَعْتُمْ إِمَامًا مُخَالَفًا له شَجَنٌ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالْحِجْرِ
فَأَجَابَهُ بَعْضُ وَلَدِ مَرْوَانَ عَنْ هَشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ :

لَنْ كَانَ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ هُوَ الرَّدَى فَمَا أَنْتَ فِيهِ ذَا غَنَاءٍ وَلَا وَفْرٍ
فَأَنْتَ مِنَ الرَّيْشِ الذَّنَابِي وَلَمْ تَكُنْ مِنَ الْجَزَلَةِ الْأُولَى وَلَا وَسَطِ الظَّهْرِ
وَنَحْنُ كَفِينَاكَ الْأُمُورَ كَمَا كَفَى أَبُونَا أَبَاكَ الْأَمْرَ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ

قال القاضي : قول عبد الرحمن بن عبد الحكم في شعره هذا : « بدابق » ، فلم يصرفه ، وفي صرفه وترك صرفه وجهان معروفان في كلام العرب ، والعرب تذكره وتؤنثه ؛ فمن ذكره صرفه ؛ كما قال الشاعر :

* بدابقٍ وَأَيْنَ مِنِّي دَابِقُ *

ومن أنه لم يصرف ؛ كما قال الآخر :

لَقَدْ خَابَ قَوْمٌ قَلَدُوا أُمُورَهُمْ بدابقٍ إِذْ قِيلَ الْعَدُوُّ قَرِيبُ
وقوله :

* كَبَاحِثَةٍ عَنْ حَتَفِهَا وهى لَا تَدْرِى *

هذا مثل يضرب للذى يثير بجهله ما يؤديه إلى هلاكه ، أو الإضرار به ، وأصله أن ناساً أخذوا شاة ليست لهم ، فأرادوا أكلها فلم يجدوا ما يذبحونها به ؛ فعموا بتخليتها فاضطربت عليهم ، ولم تزل تثير الأرض وتبعثرها بقوائمها ؛ فظهر لهم فيما احتفرت مديّة فذبحوها بها ، وصارت هذه القصة مثلاً سائراً . وقول اللرواني : « وأنت من الريش الذنابي » يقال : ذنب الفرس وغيره ، وذنابي الطائر ، وذنابي الوادي وذنابته ، ومدنّب النهر .

[١٧] الشَّمْسُ طَالَعَةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ نَجُومَ اللَّيْلِ وَالْقَمَرُ (٢) ط

وقال يزيد بن مفرغ الحميري :

الرَّيْحُ تَبْكِي شَجْوَهَا وَالْبَرْقُ يَلْمَعُ (٢) فِي الْغَمَامَةِ (٣)

وهذا صنيعهم في وصف كل أمرٍ جلَّ خطبُه ، وعظمُ موقعه ؛ فيصفون النهار بالظلام ،

٥ وأن الكواكب طلعت نهاراً لفقد نور الشمس وضوئها ؛ قال النابغة :

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ وَالشَّمْسُ طَالَعَةٌ لَا النُّورُ نُورٌ وَلَا الْإِظْلَامُ إِظْلَامٌ (٤)

وقال طرفة :

إِنْ تُنَوَّلُهُ فَقَدْ تَمَنَّمُهُ وَتُرِيهِ النِّجْمَ يَجْرِي بِالظُّهْرِ (٥)

ومن هذا قولهم : لأریتك الكواكب بالنهار ، ومعناه أورد عليك ما يُظلم له في عينك

١٠ النهار ، فتظنه ليلاً إذا كواكب .

فأما بيت جرير فقد قيل في انتصاب النجوم والقمر (٦) وجوه ثلاثة : أحدها أنه أراد أن الشمس طالعةٌ وليست مع طلوعها كاسفةٌ نجومَ الليل والقمر ، لأنَّ عظمَ الرزء قد سلَّها ضوءها ؛ فلم يناف طلوعُها ظهور الكواكب . والوجه الثاني أن يكون انتصاب ذلك كما ينتصب في قولهم : لا أكلمك الأبد ، والدهر ، وطوال المسند (٧) ، وما جرى مجرى ذلك ، فكأنه أخبر

(١) ديوانه ٣٠٤ .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « بضحك » .

(٣) البيت من قصيدة له مطلعها :

أَصْرَمْتُ حَبْلَكَ مِنْ أُمَامَةٍ مِنْ بَعْدِ أَيَّامِ بَرَامَةٍ

قال ابن قتيبة : « وهي أجود شعره » ؛ وفي الأغاني ١٧ : ٥٤ - ٥٥ ، والخزانة ٢ : ٢١٣ -

٢١٤ ، ٥١٦ ، ٥٢٠ .

(٤) ديوانه : ٧٢ .

(٥) ديوانه : ٦٥ . وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « يقول : إن تنوله هذه المرأة مرة نوالاً

فقد تمنعه أحياناً ، وتريه النجم ظهراً ؛ وهذا مثل الأمر الصعب » .

(٦) في حاشيتي الأصل ، ف : « عظم الشيء : معظمه ، وعظمه : كبره » .

(٧) حاشية الأصل : « المسند : الزمان ؛ يقال : لا أكله أبد المسند » .

بأنّ الشمس تبكيه ما طلعت النجوم وظهر القمر^(١). والوجه الثالث أن يكون القمر ونجوم الليل باكين الشمس على هذا المرثى المفقود، فبكتهن؛ أى غلبتهن بالبكاء؛ كما تقول: باكاني عبدُ الله فبكيتَه، وكأثرني فكثرتُه، أى غلبته وفضلتُ عليه.

ونالها أن يكون معنى الآية الأخبارَ عن أنه لا أحدَ أخذَ بثأرهم ولا انتصر لهم، لأن العرب كانت لا تبكي على قتيل إلا بعد الأخذ بثأره، وقتل من كان بواءً به من عشيرة القاتل، ٥ فكنتي تعالى بهذا اللفظ عن فقد الانتصار، والأخذ بالثأر؛ على مذهب القوم الذين خوطبوا بالقرآن.

ورابعها أن يكون ذلك كناية عن أنه لم يكن لهم في الأرض عمل صالح يرفع منها إلى السماء. ويطابق هذا التأويل ما روى عن ابن عباس رحمة الله عليه / في قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ ١٨ عَنِّيهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ قيل له: أوتبكيان على أحد؟ فقال: نعم، مصلّاه في الأرض، ١٠ ومصدّعه في السماء. وروى أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «ما من مؤمنٍ إلّا وله بابٌ يصعدُ منه عمله، وبابٌ ينزلُ منه رزقه، فإذا مات بكيا عليه»، ومعنى البكاء هاهنا الإخبار عن الاختلال بعده كما يقال: بكى منزلُ فلان بعده، قال ابن مقبل:

لعمري أيبك لقد شاقني مكان حزنْتُ له أو حزن

وقال مزاحم الغنيلي:

بكت دارهم من أجلهم وتهللت دموعي فأى الجارعين ألوم^(٢)
أستعبراً يبكي من الهون والبلوى وآخر يبكي شجوةً ويثيم^(٣)

(١) حاشية الأصل: «قال مولانا عليه السلام: أراد هذه الصورة: الشمس طالعة ليست بكاسفة؛ ولسكنها مع ذلك تبكي عليك، وستبكي مدة طلوع النجوم والقمر».

(٢) ديوانه ١٥ - ١٦.

(٣) حاشية ف: «المستعبر: الذي يأتي بالعبرة، وهى سين الطلب، و«مستعبراً»، بدل الجارعين.

ويهم، أى يصير هائماً، قال الله تعالى: ﴿فِي كُلِّ وادٍ يهيمون﴾.

فإذا لم يكن لهؤلاء القوم الذين أخبر الله عن بوارهم مقامٌ صالح في الأرض ، ولا عمل كريم يُرفع إلى السماء جاز أن يقال : فما بكت عليهم السماء والأرض .

ويمكن في الآية وجه خامس ، وهو أن يكون البكاء فيها كنايةً عن المطر والسُّقيا ؛ لأن العرب تشبّه المطرَ بالبكاء ، ويكون معنى الآية أن السماء لم تسقِ قبورهم ، ولم تجدْ عليهم بالقطر ؛ على مذهب العرب المعروف في ذلك ؛ لأنهم كانوا يستسقون السحاب لقبور من فقدوه من أعزائهم ، ويستنبتون لمواقع خفرهم الزَّهرَ والرياح ؛ قال النابغة :

فَلَا زَالَ قَبْرُ بَيْنَ ثُبْنَى وَجَاسِمٍ عَلَيْهِ مِنَ الْوَسْمَى طَلٌّ وَوَابِلٌ^(١)
فَيُنْبِتَ حَوْذَانًا وَعَوْفًا مَنُورًا سَاتِبُهُ مِنْ خَيْرِ مَا قَالَ قَاتِلٌ^(٢)

وكانوا يُجرون هذا الدعاء مجرى الاسترحام^(٣) ، ومسألة الله تعالى لهم الرضوان ، والفعل الذي أضيف إلى السماء وإن كان لا يجوز إضافته إلى الأرض — فقد يصح عطفُ الأرض على السماء بأن يقدر لها فعلٌ يصح نسبه إليها ، والعرب تفعل مثل هذا ؛ قال الشاعر :

يَأْلَيْتَ زَوْجِكَ فِي الْوَعَى مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمَحًا^(٤)

(١) ديوانه ٦٢ . والرواية فيه :

سَقَى الْغَيْثُ قَبْرًا بَيْنَ بُضْرَى وَجَاسِمٍ بَغِيثٍ مِنَ الْوَسْمَى قَطْرٌ وَوَابِلٌ
وتبني وجاسم : موضوعان بالشام . وفي حاشيتي الأصل ، ف : « الوسى : أول المطر ، وهو الذي يأتي في الخريف ، والخريف عند العرب ربيع ، والربيع صيف ، والصيف قيظ » .

(٢) حاشية ف : « فينت ، النصب في جواب التني ، والخوذان : نبت ، يقال له بالعربية مشكك ، وعوف : نبت أيضا ، ومنورا : أخرج النور » .

وقال البطليوسي شارح الديوان : « الخوذان والعوف نباتان ؛ إلا أن الخوذان أطيب رائحة ؛ وأنشد سيبويه هذا البيت بالرفع ؛ ولم يجعله جوابا ؛ أراد : وذلك ينبت حوذانا ، أي ينبت الخوذان على كل حال » .

(٣) حاشية الأصل : « قال مولانا عليه السلام عن ابن الأعرابي : إن العرب إنما تستسق القبور لأنها إذا سقيت وعم القطر أعشب المكان ؛ فخره القوم للرعى ، وترحموا على الموتى » .

(٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « روى : « قد غدا متقلدا » ؛ وإذا روى « في الوعى » كان « متقلدا » نصبا على الحال . وقوله : « في الوعى » خبر ليت » .

فعطف الرمحَ على السيف ، وإن كان التقلد لا يجوز فيه ، لكنه أراد حاملاً رمحاً ،
ومثل هذا يقدر/ في الآية ، فيقال : إنه تعالى أراد أن السماء لم تسقِ قبورهم ، وأن الأرض [١٨]
لم تُعشِبْ عليها^(١) ؛ وكلُّ هذا كنايةٌ عن حرمانهم رحمة الله تعالى ورضوانه .

تَأْوِيلُ خَبَرِ

روى أبوهريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : «إِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
أَدْوَمُهَا^(٢) وَإِنْ قُلَّ ؛ فَعَلَيْكُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ بِمَا تُطِيقُونَ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا » .
وفي وصفه^(٣) - عليه السلام - الله تعالى بالمللِ وجوه أربعة :
أَوَّلُهَا أَنَّهُ أَرَادَ نَفَى الْمَلَلِ عَنْهُ ، وَأَنَّهُ لَا يَمَلُّ أَبَدًا ، فَعَلَّقَهُ بِمَا لَا يَقَعُ عَلَى سَبِيلِ التَّبَعِيدِ
كَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ ؛ [الأعراف ٤٠] .
وقال الشاعر :
فَإِنَّكَ سَوْفَ تَحْكُمُ أَوْ تَنَاهَى^(٤) إِذَا مَا شَبَّتَ أَوْ شَابَ الْغُرَابُ^(٥) .

(١) د ، ف ، وحاشية ت (من نسخة) : « عليهم » .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « كان في الأصل المقروء على المصنف « أدومها » [بضم الواو]
والمعروف أدومها [بفتح الواو] » .

(٣) ف ، وحاشية ت (من نسخة) : « في صفته » .

(٤) حاشية الأصل : « تناهى : تلغ الشبخوخة » .

(٥) حواشي الأصل ، ت ، ف : « البيت للناطقة الذبياني ، وقبله :

فَإِنَّ يَكْ عَامِرٌ قَدْ قَالَ جَهْلًا فَإِنَّ مَطِيَّةَ الْجَهْلِ الشَّبَابُ

يهجو عامر بن الطفيل ، يقول : هو معذور فإنه شاب ، ثم قال : سوف تحكم إذا شخت ؛ أو لعلك
لا تحكم أبدا ؛ حتى يشب الغراب ، وذلك لا يكون أبدا ، وتحكم ، أى تصير حكيمًا ، وفعل ، بضم العين :
يمشى . لا يدخل على الإنسان فيصير كالطبع ؛ كقولك : سفه يسفه سفاهة ، ولم يكن سفيها فسفه . وتحكم
من حكم يحكم [بضم الكاف] حكمة ؛ إذا صار حكيمًا » .

أراد أنك لا تحكّم أبداً . فإن قيل : ومن أين قلتَ : إن ماعلقه به لا يقع حتى حكمتُ بأنه أراد نقي الملل على سبيل التأيد ؟ قلنا : معلوم أن الملل لا يشمل البشر في جميع آراهم^(١) وأوطارهم ، وأنهم لا يعرفون من حرص ورغبة وأمل وطمع ، فلهذا جاز أن يعلق ما علم تعالى أنه لا يكون بمللهم .

• والوجه الثاني أن يكون المعنى أنه لا يفضّب عليكم ويطرحكم حتى تتركوا العمل له ، وتعرضوا عن سؤاله ، والرغبة في حاجتكم إلى جوده ؛ فسمّى الفعلين مللاً ؛ وإن لم يكونا على الحقيقة كذلك ؛ على مذهب العرب في تسميتها الشيء باسم غيره إذا وافق معناه في بعض الوجوه ، قال عدى بن زيد العبادي :

ثُمَّ أَضْحَوْا لَعِبَ الدَّهْرِ بِهِمْ وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ يُودِي بِالرَّجَالِ^(٢)
وقال عبيد بن الأبرص الأسدي :

سَأَلْتُ بِنَا حُجْرَ ابْنِ أُمِّ قَطَامٍ إِذْ ظَلَّتْ بِهِ السَّمَرُ الذَّوَابِلُ تَلْعَبُ^(٣)
فنسبنا اللعب إلى الدهر والقنأ تشبيهاً ؛ وقال ذو الرّمة :

وَأَبْيَضَ مَوْشَى الْقَمِيصِ نَصْبَتُهُ عَلَى خَصْرِ مِقْلَاتٍ سَفِيهِهِ جَدِيلُهَا^(٤)

فسمّى اضطراب زمامها ، وشدة تحركه سفهاً ؛ لأن السفه في الأصل هو الطيش وسرعة [١٩] الاضطراب / والحركة ، وإنما وصف ناقته بالذكاء والنشاط . فأما قوله : « وأبيض مَوْشَى القميص » فإنما عني به سيفه ، وقميصه : جفنه ، والمقالات : الناقة التي لا يعيش لها ولد .

والوجه الثالث أن يكون المعنى أنه تعالى لا يقطع عنكم فضله وإحسانه حتى تملّوا من سؤاله ، ففعلهم ملل على الحقيقة ، وسمّى فعله تعالى مللاً ، وليس بملل على الحقيقة للازدواج

(١) حاشية الأصل : « آراهم : جمع أرب ؛ وهو الحاجة » .

(٢) البيت في (الأغاني ٢ : ٣٣) ؛ وفي حاشية الأصل : « أودى ، إذا هلك » .

(٣) ديوانه ٦ ؛ والرواية فيه : « السمر النواهل » .

(٤) ديوانه ٥٥٣ ، وفي حاشيتي الأصل ، ف : « الجديل : زمام من الأديم » .

ومشكلة اللفظين^(١) في الصورة، وإن اختلفا في المعنى، ومثل هذا قوله تعالى : ﴿فَمَنْ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة : ١٩٤] ، ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [التورى : ٤٠] . ومثله قول الشاعر - وهو عمرو بن كلثوم التغلبيّ - .

أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدُنَا عَلَيْنَا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلٍ الْجَاهِلِينَا^(٢)

وإنما أراد المجازاة على الجهل ، لأن العاقل لا يفخر بالجهل ولا يتمدح به .

والوجه الرابع أن يكون الراوى وهمَ وغلط من الضم^(٣) إلى الفتح : وأن يكون قوله «يُمْلَأُ» بالضم لا بالفتح ، وعلى هذا يكون له معنيان : أحدهما أنه لا يعاقبكم بالنار حتى تملوا عبادته^(٤) وتُعْرِضُوا عن طاعته ، لأن المَلَّةَ هى مشتوى الخبز ؛ يقال : ملَّ الرجلُ الخُبْزَةَ^(٥) وغيرها يَمْلُهَا مَلًّا إذا اشتواها في المَلَّةَ . وقيل : إن الجمر لا يقال له مَلَّةٌ حتى يخالطه رماد؛ والمعنى الثانى أن يكون أراد أنه لا يُسْرِعَ إلى عقابكم^(٦) ، بل يحلُم عنكم ويتأنى بكم^(٧) حتى تملأوا حلمه ، وتستعجلوا عذابه ، بركوبكم المحارم وتتأيعكم^(٨) في المآثم^(٩) .

(١) ت ، وحاشية ف (من نسخة) : «اللفظين» . (٢) من المعلقة س ٢٣٨ بشرح التبريزى .
(٣) في الأصل : « في الفتح إلى الضم » ، وفي ت ، د ، ف : « من الفتح إلى الضم » ، والتصويب من حواشى الأصل ، ت ، ف . (٤) ت ، د ، ف : « من عبادته » .
(٥) الخُبْزَةُ : العجينة توضع في الملة حتى تنضج ، وفي حاشية الأصل (من نسخة) : « الخبز » .
(٦) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « رفقا بكم » . (٧) في حاشيتي الأصل ، ف : « التنايع : التماذى في الشر ؛ يقال : تنايع في الخير ، وتنايع في الشر » .

(٨) حاشية ف : « قيل في هذا الخبر إن معناه أن الله لا يمل وإن تملوا ؛ ومثله قول الراجز :

نَحْنُ بَنِي ضَبَّةَ لَا نَفِرُ حَتَّى نَرَى جَاهِجًا تَخِرُّ

يريد : لا نفر وإن خرت جاجنا ؛ أى لا نفر أصلا . وقول الشاعر في بعض الروايات :

وَلَمْ تُشَارِكْ كِكَ عِنْدِي بَعْدُ غَانِيَةً لَا وَالَّذِي أَصْبَحَتْ عِنْدِي لَهُ نِعَمٌ

حَتَّى أَمَرَ عَلَى الشَّقَرَاءِ مُعْتَسِفًا خَلَّ النَقَا بِمَرْوَحٍ لَحْمُهُ زَيْمٌ

فسر ذلك على أنه لم يشاركك لا وهو حتى أمر على الشقراء ، ولا يريد أنه إذا حل ذلك الموضع شاركك غانية .

[قال المرتضى رضى الله عنه] : روى أنه قيل للفرزدق : هل حسدت أحدا على شيء من الشعر ؟ فقال : لا ، لم أحسد على شيء منه إلا ليلي الأخيلية في قولها ^(١) :

وَمُخْرِقٍ عَنْهُ الْقَمِيصُ نَحَالَهُ بَيْنَ الْبُيُوتِ مِنَ الْحَيَاءِ سَقِيماً ^(٢)
حَتَّى إِذَا بَرَزَ اللَّوَاءُ رَأَيْتَهُ تَحْتَ اللَّوَاءِ عَلَى الْخَيْسِ زَعِيماً ^(٣)
لَا تَقْرُبَنَّ الدَّهْرَ آلَ مُطَرِّفٍ لَا ظُلماً أَبَداً وَلَا مَظْلوماً ^(٤)

— ويروى : « إن ظلماً أبدا وإن مظلوما » —

على أنني قد قلت :

وَرَكْبٍ كَانَ الرِّيحَ تَطْلُبُ عَنْدهُمْ لَهَا تَرَةً مِنْ جَذْبِهَا بِالْعَصَابِ ^(٥)
سَرَوَا يَخْبِطُونَ اللَّيْلَ وَهِيَ تَلْفُهِمْ إِلَى شَعْبٍ الْأَكْوَارِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ^(٦)
إِذَا أَبْصَرُوا نَاراً يَقُولُونَ لَيْتَهَا وَقَدْ خَصِرَتْ أَيْدِيهِمْ نَارُ غَالِبٍ ^(٧)

[١٩]
ط
١٠

وليس أبيات الفرزدق بدون أبيات ليلي ، بل هي أجزالُ الفاظها ، وأشدُّ أسراً ، إلا أن أبيات ليلي أطبعُ وأنصح ؛ وقد كانت الفرزدق مشهوراً بالحسد على الشعر والاستكثار لقليله والإفراط في استحسان مستحسنه .

= والبيتان في الحماسة بشرح التبريزي ٣ : ١٣٣ ، من قصيدة نزياد بن حمل ؛ وبمعنى بالشقراء فرسه . والاعتساف : الأخذ في السير على غير هداية ولا دراية . والحل : الطريق في الرمل ، والنقا : الرمل . والروح : النشيط ، والزيم : المسكنز اللحم . (١) من أبيات في (الحماسة — بشرح التبريزي ٤ : ١٥٥ — ١٥٧) ؛ مطلعها :

يَأْيُهَا السَّدِيمُ الْمُلَوَّى رَأْسُهُ لِيَقُودَ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ بَرِيماً

(٢) حاشية (من نسخة) : « وسط البيوت » ، وهي رواية الحماسة .

(٣) م : « رفم اللواء » ، وهي رواية الحماسة . والخيس : الجيش ، سمي بذلك لأنه يكون خمس كتاب ، أو خمسة صفوف : المقدمة ، والميمنة ، والميسرة ، والقلب ، والساق .

(٤) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « لاتقزون الدهر » ؛ وهي رواية الحماسة . وفي حاشية الأصل : « لا ظلماً أبدا ؛ لأنهم لا يهتمون ظلمك ، ولا مظلوماً لأنك لا تقدر أن تنصر منهم » .

(٥) ديوانه ١ : ٣٠ ، والتر : الثأر ، والعصائب : جمع عصابة ؛ وهي الهامة تعصب على الرأس .

(٦) حاشية الأصل : « الشعب : جمع شعبة ، أي جوانب الأكوار ، والأكوار : جمع كور ؛ وهو

الرحل » . (٧) حاشية ت (من نسخة) : « آنسوا ناراً » . خصرت : بردت ، وغالب أبو الفرزدق .

وقد روى أن الكُمَيْت بن زيد الأسدي لما عرض على الفرزدق أبياتاً من قصيدته

التي أولها :

أَتَصْرِمُ الْحَبْلَ حَبْلَ الْبَيْضِ أَمْ تَصِلُ وكيف والشَّيْبُ في فَوَدَيْكَ مُشْتَعِلُ
لما عَبَاتَ لِقَوْسِ الْمَجْدِ اسْتَهْمَهَا حيثُ الجدودُ على الْأَحْسَابِ تَنْتَضِلُ^(١)
أَحْرَزْتَ مِنْ عَشْرِهَا تَسْعًا وَوَاحِدَةً فَلَا أَعْمَى لَكَ مَنْ رَامٍ وَلَا الشَّلَلُ^(٢)
الشمسُ أَدْنَكَ إِلَّا أُمُّهَا امْرَأَةٌ وَالْبَدْرُ أَدَاكَ إِلَّا أَنَّهُ رَجُلُ^(٣)

حسده الفرزدق ، فقال له : أنت خطيب ، وإنما سلم له الخطابة ليخرجه عن أسلوب الشعر . ولما بهره من حسن الأبيات وأفرط بها إعجابه ، ولم يتمكن من دفع فضلها جملة عدل في وصفها إلى معنى الخطابة^(٤) .

(١) في حاشيتي الأصل ، ف : « عَبَات : هيأت ، واجدود ، جمع الجد ؛ وهو البخت ، وتنضل : تناضل وتراعى » . (٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « يقال للراعى المصيب : لا عمى ولا شال » . (٣) في حاشيتي الأصل ، ف : « يعني أن أباك البدر وأمك الشمس ، وإلا تقرير » . (٤) حاشية ف : « حدث إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي عن عبد الله بن إسحاق بن سلام قال : أتى الكُميت برب مجلس يزيد بن المهلب يمتدحه ، فصادف على مابه أربعين شاعراً ؛ فقال للأذن : استأذن لي على الأمير ؟ فاستأذن له عليه ، فأذن له ، فقال : كم رأيت بالباب من شاعر ؟ قال : أربعين شاعراً قال : فأنت جالب التمر إلى هجر ، فقال : إنهم جلبوا دقلاً ، وجلبت زادا ، فقال : هات زادك ، فأنشده :

هَلَّا سَأَلْتُ مَنَازِلًا بِالْأَبْرِقِ دَرَسْتُ وَكَيْفَ سَوَّالٍ مَنْ لَمْ يَنْطِقْ !
لَعِبْتُ بِهَا رِيحَانٌ رِيحٌ عَجَاجَةٌ بِالسَّافِيَّاتِ مِنَ التُّرَابِ الْمَعْنَقِ
وَالهَيْفُ رَاحَةٌ لَهَا يَنْتَاحُهَا طَفَلُ الْعَشِيِّ بِذِي حَنَاتِمَ شُرُقِ
تَصِلُ اللَّقَاحَ إِلَى النَّتَاجِ مَرَبَّةً لِحَفُوقِ كَوْكَبِهَا وَإِنْ لَمْ يَخْفِقِ
غَيْرُنَ عَهْدِكَ بِالْدَّيَّارِ وَمَا يَكُنُ رَهْنِ الْحَوَادِثِ مِنْ جَدِيدِ يَخْلُقِ
إِلَّا خَوَالِدٌ فِي الْمَحَلَّةِ يَبْنِيهَا كَالطَّيِّسَانِ مِنَ الرَّمَادِ الْأَوْرِقِ
وَمُشَجَّحًا تَرَكَ الْوَلَادُ رَأْسَهُ مِثْلَ السَّوَّالِ وَدَمْنَةً كَالْمَهْرَقِ =

وحسدُ الفرزدق على الشعر وإعجابه بجيده من أدلّ دليل على حسن نقده له وقوة بصيرته فيه ، وأنه كان يطربُ للجميل منه فضلَ طرب ، ويعجب منه فضل عجب . وبدلَ أيضاً على إنصافه فيه ، وأنه مستقلٌّ للكثير الصادر من جهته ، فإن كثيراً من الناس قد يبلغ بهم الهوى في الإعجاب والاستحسان لما يظهر منهم في شعر أو فضل إلى أن يعموا عن محاسن غيرهم فيستقلّوا منهم الكثير ، ويستصغروا الكبير .

ولآيات الفرزدق التي ذكرناها خبر مشهور متداول ، أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال أخبرنا أبو عبيدة عن يونس قال : دخل الفرزدق على سليمان^(١) بن عبد الملك وعنده نصيب الشاعر ، فقال له سليمان أنشدني :
[٢٠] فأنشده الأبيات التي تقدم ذكرها ، فأسودَّ وجه سليمان وغازله / فعلمه ، وكان يظن أنه ينشده
١٠ مديحاً له ، فلمّا رأى نصيب ذلك قال : ألا أنشدك ؟ فأنشده :

= دارُ التي تركتك غيرَ ملومةٍ دَنِفًا فإن لم ترع قلبك فاشفقِ
قد كنت قبلُ تتوقُّ من هجرانِها فاليوم إذ شحطَ الزارُ بها تقِ
والحبُّ فيه حرارةٌ ومرارةٌ سائلٌ بذلك من تطعمَ أوزقي
ماذاق بُؤسَ معيشةٍ ونعيمِها فيما مضى أحدٌ إذا لم يعشقِ
حتى بلغ إلى قوله :

مَنْ قَالَ بَتُّ أَخَا الهمومِ وَمَنْ يَبِتْ غَرَضَ الهمومِ وَنَصِيحَتِ بُورَقِ
بَشَرْتُ نَفْسِي إِذْ رَأَيْتُكَ بِالْغِنَى وَوَقَّعْتُ حِينَ سَمِعْتُ قَوْلَكَ لِي ثِقِ
فأمر بالجمع عليه حتى استغاث ؟ فقال : أتاك الغوث ، ارفعوا عنه .

(١) حاشية ف : « قيل : بينما سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام إذ أتى بحجر منقوش ، فطلب من يقرؤه ، فأتى بوهب بن منبه ؟ فقرأه فإذا فيه : ابن آدم إنك لو أبصرت قليل ما بقي من أجلك لزهدت في طول أملك ، ولرغبت في الزيادة من عملك ؟ ولقصرت عن حرصك وحيلك ؟ وإنما يلقاك غدا ندملك ، وقد زلت بك قدمك ، وأسلك أهلك وحشمك ؟ فبان منك الولد القريب ، ورفضك الوالد والنسب ؟ فلا أنت إلى دنياك عائد ، ولا في حيانك ذائد ، فاعمل ليوم القيامة ، يوم الحسرة والندامة فبكي سليمان » .

أَقُولُ لِرَكْبٍ قَافِلِينَ لَقِيَهُمْ قَفَا ذَاتِ أُوشَالٍ وَمَوْلَاكَ قَارِبُ^(١)
 قَفُّوا خَبْرُونِي عَنْ سُلَيْمَانَ إِنِّي لِمَعْرُوفِهِ مِنْ أَهْلِ وَدَّانَ طَالِبُ^(٢)
 فَعَا جُوا فَأَتْنُوْا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكْتُوا أَثْنْتُ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ^(٣)
 فقال له سليمان : أنت أشعر أهل جلدتك^(٤) ؛ وفي بعض الأخبار أن الفرزدق قال ذلك
 في نصيب حين سأله عنه سليمان .

وروى أيضاً أنه لما أنشد نصيب أبياته قال له سليمان : أحسنت ، ووصله^(٥) ولم يصل الفرزدق
 فخرج الفرزدق وهو يقول :

(١) قفاذات أوشال : خلف هذا الموضع ؛ والأوشال : جمع وشل ، بالتحريك ؛ وهو الماء القليل
 يتخلف من جبل أو صخر . وفي حاشيتي الأصل ، ف : « في ديوانه : ذات أوشان ؛ بالنون » .
 وفي معجم ما استعجم للبكري : ٢١٢ : « ذات أوشال : موضع بين الحجاز والشام » وذكر البيت .
 وأراد بالمولى نفسه ؛ والقارب : طالب الماء ليلا .

(٢) ودان ، بفتح الواو : قرية بين مكة والمدينة ، قريبة من الجحفة ؛ وفي حاشيتي الأصل ، ت : « يعني
 أنا من أهل ودان ، ومي أرض للعرب » .
 (٣) وبعده :

فَقَالُوا تَرَكْنَاهُ وَفِي كُلِّ لَيْلَةٍ يُطِيفُ بِهِ مِنْ طَلَبِي الْعُرْفِ رَاكِبُ
 وَلَوْ كَانَ فَوْقَ النَّاسِ حَيٌّ فَعَالُهُ كَفَعْلِكَ أَوْ لِلْفِعْلِ مِنْكَ مُقَارِبُ
 لَقُلْنَا لَهُ شِبْهُ وَلَكِنْ تَعَذَّرْتُ سَوَالِكَ عَنْ الْمُسْتَشْفَعِينَ الْمَطَالِبُ
 هُوَ الْبَدْرُ وَالنَّاسُ الْكَوَاكِبُ حَوْلَهُ وَلَا يُشَبِّهُ الْبَدْرَ الْمُنِيرَ الْكَوَاكِبُ

(٤) الخبر في (الكامل - بشرح المرصفي ٢ : ٢١٧ - ٢١٨ ، والشعر والشعراء ٣٧٢ - ٣٧٣ ،
 واللاكي ٢٩١ - ٢٩٢) ، والأبيات في (البيان والتبيين ١ : ٨٣ ، وأمالى الغالى ١ : ٩٤ ، ومعجم البلدان
 ٨ : ٤٠٥) ؛ ولكنه لم يذكر « ذات أوشال » في موضعها .

(٥) حاشية ف : « حدث محمد بن أحمد عن محمد بن عبدالله عن معاذ صاحب الهروي قال : « دخلت
 مسجد الكوفة ، فرأيت رجلاً لم أر قط أني ثاباً منه ، ولا أشد سواداً ، فقلت له : من أنت ؟ فقال : أنا
 نصيب ، فقلت : أخبرني عنك وعن أصحابك ، فقال : جميل إمامنا ، وعمر أوصفنا لربات الحجال ، وكثير
 أبكنا على الأطلال والدمن ، وقد قلت ما سمعت . قلت : فإن الناس يزعمون أنك لا تحسن أن تهجو ، قال :
 فأقروا لي أني أحسن المدح ؟ قلت : بلى ، قال : ولكني رأيت الناس رجلين : رجلاً لم أسأله فلا يني أن
 أهجو ، ورجلاً سأله فنعي ، فسكانت نفسه أحق بالهجا ؛ إذ سولت لي أن أطالب منه » .

وَحَيْرُ الشَّعْرِ أَكْرَمُهُ رِجَالًا وَشَرُّ الشَّعْرِ مَا قَالَ الْعَبِيدُ^(١)

ولا شبهة في أن أبيات الفرزدق مقدمة في الجزالة والرّصانة على أبيات نصيب ؛ وإن كان نصيب قد غرّب^(٢) وأبدع في قوله :

* وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنَتَ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ *

إلا أن أبيات نصيب وقعت موقعها ، ووردت في حال تليق بها ، وأبيات الفرزدق جاءت في غير وقتها وعلى غير وجهها ؛ فلهذا قدّمت أبيات نصيب .

والفرزدق مع تقدّمه في الشعر وبلوغه فيه إلى الذّروة العليا ، والغاية القصوى شريف الآباء ، كريم البيت ، له ولآبائه مآثر لا تدفع ، ومفاخر لا تجحد . والفرزدق لقبٌ لقب به ، وليس باسمه ، وإنما لقب بذلك لجّهامة وجهه ، وغلظه ؛ لأنّ الفرزدقة هي القطعة الضخمة ١٠ من العجين ، وقيل : إنها الخبزة الغليظة التي يتخذ منها النساء الفتوت^(٣) ، واسمه همام بن غالب ، وكُنيت أبو فراس ، وقيل إنّه كان يُكنى في شبابه بأبي مكيّة^(٤) وهي أغرب كُنيتته^(٥) .

وكان شيعياً^(٦) مائلاً إلى بني هاشم ، ونزاع في آخر عمره عما كان عليه من القذف^(٧)

(١) في نسخة بحاشيتي ت ، ف : « أشرفه فحولا » ، وفي حاشيتي الأصل ، ف : « يعني أن نصيباً حبشياً مملوك » . (٢) ل ، ونسخة في حاشيتي ت ، ف : « أغرب » .

(٣) في حاشيتي الأصل ، ف : « الفتوت والفتيت بمعنى » .

(٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « كان يكنى أبا مكيّة ، ومكيّة بنته ، وذكر ذلك في شعره فقال :

شَاهِدْ إِذَا مَا كُنْتَ ذَامِحِيَّةً بِدَارِيٍّ أُمُّهُ ضَبِيَّةٌ

صَمَحَمَحٍ مِثْلَ أَبِي مَكِّيَّةٍ

— الصمّح : العظيم الرأس ، وأبو مكيّة يعني نفسه » .

(٥) ش : « أعرف كنيته » .

(٦) في حاشيتي الأصل ، ف : « النسبة إلى الشيعة شيعي ، بكسرة صحيحة على الشين ؛ كما تنسب إلى

الجزيرة جيزي ، والجزيرة عملة بمصر ؛ منها أبو الربيع الجيزي » .

(٧) حاشية ت (من نسخة) : « من القرف » ، والقرف : الرمي بالسوء .

والفسق، وراجع طريقة الدين، على أنه لم يكن في خلال^(١) فسقه منسايحاً من الدين جملة. ولا مُهملاً لأمره أصلاً.

ومما يشهد لذلك ما أخبرنا به علي بن محمد الكاتب عن أبي بكر محمد بن يحيى الصولي عن أبي حفص الفلاس عن عبد الله بن سواد/ عن معاوية بن عبد الكريم عن أبيه قال: [٢٠] دخلت على الفرزدق، فجعلت أحادثه، فسمعت صوت حديد يتقمعق، فتأملت الأمر، فإذا هو مقيد الرّجل^(٢)، فسألتُه عن السبب في ذلك، فقال: إني آليتُ على نفسي ألا أنزع القيّد من رجلى، حتى أحفظ القرآن.

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني أبو ذرّ القراطيسي قال حدثنا ابن أبي الدنيا قال حدثني الرياشي عن الأصمعي عن سلام بن مسكين قال: قيل للفرزدق: علامَ تقذف المحصّنات؟ فقال: والله، لله أحبّ إلىّ من عينيّ هاتين، أفتراه يعذّبني بعهما^(٣)! . ١٠ وروى أنّه تعلّق بأستار الكعبة، وعاهد الله على ترك المجيء والقذف اللّذين كان ارتكبهما، وقال:

أَلَمْ تَرَنِي عَاهَدْتُ رَبِّي وَإِنِّي كَبِينٌ رِتَاجٍ قَائِمًا وَمَقَامٌ^(٤)

(١) حاشية ت (من نسخة): « حال » . (٢) حاشية ت (من نسخة): « الرجلين » .

(٣) حاشية ف: « ذكر المبرد في كتابه قال: دخل لبطة بن الفرزدق على أبيه وهو محبوس في سجن مالك بن النضر بن الجارود؛ ومالك عامل على البصرة لخالد بن عبد الله القسري؛ فقال له: يا أبت؛ هذا عمر بن يزيد الأزدي ضرب آفأ ألف سوط ومات، فشد على حمار، فقال الفرزدق: كأنك والله بمثل هذا الحديث قد تحدثت به عن أبيك — والحسن إذ ذاك محبوس عنده — فقال له: يا أبا فراس، فاعندك إن كان ذلك؟ فقال: والله يا أبا سعيد، لله أحبّ إلىّ من سمعي وبصري، ومن مالي وولدي، ومن أهلي وعشيرتي؛ أفتراه يخذلني! فقال الحسن: كلا والله يا أبا فراس » .

وانظر الخبر في (الكامل — بشرح المرصفي ٢: ٧٦ — ٧٧) .

(٤) في حاشيتي الأصل، ف: « الرتاج: الباب المغلق، والباب العظيم أيضا قائما، حال بما يدل عليه

لبين » . وفي ت، د: « قائم » .

عَلَى حَنْفَةٍ لَا أَشْتَمُ الدَّهْرَ مُسْلِمًا وَلَا خَارِجًا مِنْ فِي زُورٍ كَلَامٍ^(١)
أَطْعُمْتُكَ يَا إِبْلِيسَ سَبْعِينَ حِجَّةً فَلَمَّا انْقَضَى عُمْرِي وَتَمَّ تَمَامِي^(٢)
فَزِعْتُ إِلَى رَبِّي وَأَيَّقَنْتُ أَنْنِي مُلَاقٍ لَأَيَّامِ الْخُتُوفِ حِمَامِي^(٣)

وَرَوَى الصُّوَلِيُّ عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَيَّاضِ عَنْ إِدْرِيسَ بْنِ عِمْرَانَ قَالَ : جَاءَنِي الْفَرَزْدَقُ ،
فَتَذَاكَرْنَا رَحِمَةَ اللَّهِ وَسَعَتَهَا ؛ فَكَانَ أَوْثَقَنَا بِاللَّهِ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : أَلَيْكَ هَذَا الرَّجَاءُ وَالْمَذْهَبُ
وَأَنْتَ تَقْذِفُ الْمُحْصَنَاتِ ، وَتَفْعَلُ مَا تَفْعَلُ ! فَقَالَ : أَتَرُونَنِي لَوْ أَذْنِبْتُ إِلَى أَبِي ، أَوْ كُنَّا يَقْذِفَانِي

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « قَالَ مَوْلَانَا السَّيِّدُ : خَارِجًا ، تَقْدِيرُهُ : وَلَا يَخْرُجُ خُرُوجًا ؛ وَذَهَبَ
عَيْسَى بْنُ عَمْرِو بْنِ إِلَى أَنَّهُ فِي مَوْضِعِ الْخَالِ ؛ لِأَنَّهُ قَوْلُهُ : لَا أَشْتَمُ نَصَبَ عَلَى الْحَالِ ؛ كَأَنَّهُ قَالَ : عَاهَدْتُ لَا شَأْنًا
وَلَا خَارِجًا . وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ : تَقْدِيرُهُ : عَاهَدْتُ عَلَى أَنْ أَحْلِفَ لَا شَأْنًا وَلَا خَارِجًا ؛ وَهُوَ حَالٌ مِنَ النَّهْيِ
عَاهَدْتُ ، أَوْ الْمَحْذُوفُ مِنَ الْمَصْدَرِ ؛ وَهُوَ الْفَاعِلُ . وَسَبَّوْهُ بِحِجَّةٍ لَا أَشْتَمُ جَوَابَ الْقَسَمِ ؛ وَلَا مَوْضِعَ لَهُ مِنَ
الْإِعْرَابِ ، وَالْقَسَمُ عَاهَدْتُ . فَقَوْلُهُ : وَلَا خَارِجًا ، أَيْ لَا يَخْرُجُ خُرُوجًا ؛ وَهُوَ مَمْطُوفٌ عَلَى لَا أَشْتَمُ » .
وَفِي حَاشِيَةِ ف أَبْنَى : « ذَكَرَ الْمُبَرِّدُ فِي كِتَابِهِ الْكَامِلِ فِي قَوْلِهِ :

* وَلَا خَارِجًا مِنْ فِي زُورٍ كَلَامٌ *

لِنَمَا وَضَعَ اسْمَ الْفَاعِلِ مَوْضِعَ الْمَصْدَرِ ، أَرَادَ : لَا أَشْتَمُ الدَّهْرَ مُسْلِمًا ، وَلَا يَخْرُجُ خُرُوجًا مِنْ فِي زُورٍ كَلَامٌ ؛
لَأَنَّهُ عَلَى هَذَا أَقْسَمَ ، وَالْمَصْدَرُ يَقَعُ فِي مَوْضِعِ اسْمِ الْفَاعِلِ ؛ يُقَالُ : مَا غُورٌ ، أَيْ غَائِرٌ ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :
﴿ إِنَّ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا ﴾ ؛ وَيُقَالُ : رَجُلٌ عَدْلٌ ، أَيْ عَادِلٌ ، فَعِلَى هَذَا جَاءَ الْمَصْدَرُ عَلَى فَاعِلٍ ؛ كَمَا
جَاءَ اسْمُ الْفَاعِلِ عَلَى الْمَصْدَرِ ؛ يُقَالُ : قَمَّ قَائِمًا ؛ فَبِوَضْعِ مَوْضِعِ قَوْلِكَ : قَمَّ قِيَامًا ؛ قَالَ : وَكَانَ عَيْسَى بْنُ عَمْرِو
يَقُولُ : لِنَمَا قَوْلُهُ لَا أَشْتَمُ حَالٌ ، فَأَرَادَ : عَاهَدْتُ رَبِّي فِي هَذِهِ الْحَالِ ، وَأَنَا غَيْرُ شَائِمٍ وَلَا خَارِجٍ مِنْ فِي زُورٍ
وَلَمْ يَذْكُرِ الَّذِي عَاهَدَ عَلَيْهِ » .

وَانظُرْ (الْكَامِلُ - بِشَرْحِ الْمُرْصَفِيِّ ٢ : ٨١ - ٨٣) .

(٢) د ، وَمِنْ نَسْخَةِ بِحَوَاشِي الْأَصْلِ ، ت ، ف : « تَسْعِينَ » ، وَفِي حَاشِيَةِ الْأَصْلِ ، ف : « أَيْ بَلَقْتُ
غَايَتِي ؛ وَنِسْبَةُ التَّمَامِ إِلَى التَّمَامِ تَرَدُّدٌ عَلَى مَعْنَى التَّأَكِيدِ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ : « لَجُنْ جُنُونُهَا » ، وَالْجُنُونُ لَا يَجُنُّ ، وَلِنَمَا الْمَرَّةُ
يَجُنُّ ؛ وَكَأَنَّ قَالَ :

جُنُونُكَ كَجُنُونٍ وَلَسْتَ بِوَاجِدٍ طَيِّبًا يُدَاوِي مِنْ جُنُونِ جُنُونِي

(٣) ش ، ف : « فَرَرْتُ » ، وَالْأَبْيَاتُ فِي (دِيْوَانِهِ ٢ : ٧٧٠) .

في تنثور ، وتطيب أنفسُها بذلك ؟ قلنا : لا ، بل كانا يرْحمانك ، قال : فأنا والله برحمة ربِّي أوثقُ مني برحمتيها .

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن إبراهيم ^(١) قال حدثنا عبد الله بن أبي سمد ^(٢) الورّاق قال حدثني محمد بن محمد بن سليمان الطّفاوي ^(٣) قال : حدثني أبي عن جدي قال : شهدتُ الحسنَ البصريَّ في جنازة النّوار (امرأة الفرزدق) وكان الفرزدق حاضراً . فقال له الحسن وهو عند القبر : يا أبا فراس ، ما أعددتَ لهذا المضجع ؟ قال : شهادة أن لا إله إلا الله مئتان سنة ، فقال له الحسن : هذا العمودُ فأين الطُّنبُ ! . وفي رواية أخرى أنه قال له : نعمَ ما أعددتَ ، ثم قال الفرزدق في الحال :

[٢١] / أَخَافُ وَرَاءَ الْقَبْرِ - إِنْ لَمْ يُعَافِنِي - أَشَدَّ مِنَ الْمَوْتِ التَّهَابًا وَأَضْيَقًا ^(٤)
إِذَا جَاءَنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَائِدٌ عَنيفٌ وَسَوَاقٌ يَسُوقُ الْفَرَزْدَقَا ^(٥)
لَقَدْ خَابَ مِنْ أَوْلَادِ آدَمَ مَنْ مَشَى إِلَى النَّارِ مَقُولَ الْقِلَادَةِ أَرْزَقًا ^(٥)
يُقَادُ إِلَى نَارِ الْجَحِيمِ مُسْرَبَلًا سَرَائِيلَ قِطْرَانٍ لِبَاسًا مُحَرَّقًا

قال : فرأيتُ الحسنَ يدخلُ بمضجِه في بعض ، ثم قال : حسبُك . ويقال إن رجلاً رأى الفرزدق بعد موته في منامه ، فقال له ما فعلَ بك ربُّك ؟ فقال : عفاً عني بتلك الأبيات ^(٦) .

(١) حاشية ت (من نسخة) : « محمد بن محمد بن إبراهيم » .

(٢) د ، ونسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « سميد » .

(٣) حاشية الأصل : « الطّفاوي : منسوب إلى طفاوة ؛ وهم قوم » .

(٤) الأبيات في ديوانه ٢ : ٥٧٨ ، مع اختلاف في الرواية وترتيب الأبيات ؛ وفي نسخة بحواشي

الأصل ، ف ، ت : « أشد من القبر » ؛ وهي رواية الديوان .

(٥) ف : « مشدود الفلاذ » ، وهي رواية الديوان .

(٦) حاشية ف : « زعم بعض النعمية أن الفرزدق رثي في النوم فقيل له : ما صنع ربك ؟ فقال :

« غفرلي ؛ قيل له : بأي شيء ؟ قال : بالكلمة التي نازعنيها الحسن البصري على شفير القبر » . وفيها أيضاً : « في السكامل ، كان الفرزدق يخرج من منزله فيرى بني تميم والمصاحف في حجورهم فيسربلك ويحجل له =

وأما ما يدلُّ على تشييعه وميله إلى بنى هاشم ما أخبرنا به أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني عمر بن داود العُماني قال حدثنا محمد بن زكريا^(١) الغلابي قال حدثنا مهدي بن سابق قال حدثنا أبو لبيد قال : جاء السكيت إلى الفرزدق فقال : يا عم إني قد قلت قصيدة أريد أن أعريَ ضَما عليك ، فقال له : قل ، فأنشده :

* طَرِبْتُ وَمَا شَوْقًا إِلَى الْبَيْضِ أَطْرَبُ *

فقال له الفرزدق : إلى مَنْ طَرِبْتَ ، تَكَلَّمْتَ أَثْمَكَ ! فقال :

* وَلَا لِعَبَا مَنِّي وَذُو الشَّيْبِ يَلْعَبُ *

ولم تُلهِنِي دَارٌ وَلَا رَسْمٌ مَنَزِلٍ وَلَمْ يَتَطَرَّ بَنِي بَنَانٍ مُخَضَّبُ

= ويقول : إيه فدى لكم أبي وأمي ! كذا والله كان آبؤكم ، قال : ونظر أبو هريرة الدوسي إلى الفرزدق فقال : مهما فعلت فتنطك الناس عليه ، فلا تقنط من رحمة الله ، ثم نظر إلى قدميه فقال : إني أرى لك قدمين لضعيفين ؛ فابتغ لها موقفا صالحا يوم القيامة .
(و) انظر السكامل — بشرح المرصفي ٢ : ٧٩ .

(١) حواشي الأصل ، ف ، ت : « الغلابي : منسوب إلى غلاب ، اسم امرأة ؛ وكان شيعيا .
وفي حاشية ف أيضا : « حدث الغلابي عن محمد بن عبد الله عن علي بن محمد قال : قال أنوشروان لبرزجمهر لما أراد قتله : إني قاتلك ؛ فتكلم بشيء تذكر به ؛ فقال : أيها الملك ، إن الدنيا حديث حسن وقبيح ؛ فإذا استطعت أن تكون حديثا حسنا فكنه ، قال ابن عبد الله : وذكر هذا السلام لابن عائشة فقال : صدق ، هو والله من قوله تعالى : ﴿ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ ، وأنشد ابن عائشة :
أَلَمْ تَرَ أَنَّ النَّاسَ يَخْلِدُونَ بَعْدَهُمْ أَحَادِيثَهُمْ وَالْمَرْءَ لَيْسَ بِخَالِدٍ
وقال أيضا :

وَإِذَا الْفَتَى لَأَقَى الْحِمَامَ رَأَيْتَهُ لَوْلَا الثَّنَاءُ كَأَنَّهُ لَمْ يُولَدِ

وروى محمد بن زكريا الغلابي : كان مريد يكتي أبا إسحاق ، وكانت له نوادر ؛ فبينما هو ذات يوم جالس إذ جاءه أصحابه فقالوا : يا أبا إسحاق ، هلك في الخروج بنا إلى العقيق ، وإلى قباء ، وإلى أحد ؛ ناحية قبور الشهداء ؛ فإن هذا يوم كما ترى طيب ؛ فقال : اليوم يوم الأربعاء ، ولست أبرح من منزلي ، فقالوا له : مات سكره من يوم الأربعاء وفيه ولد يونس بن متى ؟ فقال : بأبي وأمي صلى الله عليه وآله ! وفيه النعمة المحوت ، فقالوا : يوم نصر فيه يوم الأحزاب ، فقال : أجل ! ، ولكن بعد إذ زاغت الأبصار ، وبلغت القلوب الحناجر .

فقال له : إلى من طربت ؟ فقال :

وَلَا أَنَا مِمَّنْ يَزْجُرُ الطَّيْرَ ؛ هَمَّهُ : أَصَاحَ غَرَابًا أُمَّ تَعَرَّضَ ثَعْلَبُ^(١)
وَلَا السَّانِحَاتُ الْبَارِحَاتُ عَشِيَّةً أَمْرَ سَلِيمِ الْقَرْنِ أُمَّ مَرٍّ أَعْضَبَ^(٢)
وَلَكِنْ إِلَى أَهْلِ الْفَضَائِلِ وَالنُّهَى وَخَيْرِ بَنِي حَوَاءَ ، وَالْخَيْرِ يُطْلَبُ

فقال له الفرزدق : هؤلاء بنو دارم ، فقال الكُمَيْت :

إِلَى النَّفَرِ الْبَيْضِ الَّذِينَ بِحَبِّهِمْ إِلَى اللَّهِ فِيمَا نَابَنِي أَتَقَرَّبُ
فقال الفرزدق : هؤلاء بنو هاشم ، فقال الكُمَيْت :

بَنِي هَاشِمٍ رَهْطُ النَّبِيِّ فَإِنِّي بِهِمْ وَلَهُمْ أَرْضِي مِرَارًا وَأَعْضَبُ^(٣)

فقال له الفرزدق : والله لو جُزَّتْهم إلى سواهم لذهب قولك باطلا .

[٢١]
ظ

ومما يشهدُ لذلك ما أخبرنا به أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا الحسن بن محمد قال حدثني ١٠
جدتي يحيى بن الحسن العلوي قال حدثنا الحسين بن محمد بن طالب قال : حدثني غير واحد
من أهل الأدب أن علي بن الحسين عليهما السلام حجَّ فاستجهر^(٤) الناس جماله ، وتشوَّفوا
له ، وجعلوا يقولون : مَنْ هذا ؟ فقال الفرزدق :

(١) ت ، د ، حاشية الأصل (من نسخة) : « في المتن ، قال المرتضى رضى الله عنه : يجب الوقوف
على الطير » ، ثم يبدأ « بهمه » ليعلم الغرض . والزجر هنا : التيمن أو التشاؤم بالطير وغيره .
(٢) السانح من الطير : مامر من مياسرك إلى ميامنك ، والبارح عكسه ، وكان العرب يتيامنون بالسانح ،
ويتشاءمون بالبارح ، والأعضب : مكسور القرن ، وفي ت ، ف بعد هذا البيت : « فقال : إلى من طربت
لأُم لك ! فقال الكُمَيْت ... »

(٣) في حاشيتي الأصل ، ف : « أعني بني هاشم ، أو إلى بني هاشم » .

(٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « يقال : جهرت الرجل واستجهرته ؛ إذا رأيت عظيم المرأة ، وما
أحسن جهر فلان ! أي ما يجتهر من هيئته وحسن منظره ؛ وقيل : اجتهر ؛ أي حملهم بجماله على أن يجهره
عليه السلام ، أي يدركوا جهره » .

هَذَا ابْنُ خَيْرٍ عِبَادِ اللَّهِ كُلَّهُمْ هَذَا التَّقِيُّ النَّقِيُّ الطَّاهِرُ الْعَلَمُ
هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطَائِفُهُ وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ^(١)
إِذَا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَهِي الْكَرَمُ
يَكَادُ يُنْسِكُهُ عِرْفَانٌ رَاحَتَهُ رُكْنُ الْخَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ^(٢)
يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُسَكِّمُ إِلَّا حِينَ يَنْتَسِمُ^(٣)
أَيُّ الْقَبَائِلِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ لِأَوَّلِيَّةٍ هَذَا أَوْ لَهُ نِعَمُ
مَنْ يَعْرِفِ اللَّهَ يَعْرِفُ أَوَّلِيَّةَ ذَا فَالَّذِينَ مِنْ بَيْتِ هَذَا نَالَهُ الْأُمَمُ^(٤)

(١) البطحاء: أرض مكة المنبجعة، والحل، بالكسر: خارج المواقيت من البلاد، والحرم: ما بين المواقيت المعروفة؛ وأراد بهما أهل الحل والحرم.

(٢) الخطيم: الجدار الذي عليه ميزاب السكبة، واتعصب « عرفان » على أنه مفعول له، أي يكاد ينسكه ركن الخطيم؛ لأنه عرف راحته. ويستلم، بمعنى يلمس الحجر الأسود.

(٣) حواشي الأصل، ت، ف: روى أبو الفرج في كتاب الأغاني الكبير هذا البيت: يغضي...

وبينا آخر وهو:

بَكْفُهُ خَيْرُ رَانَ رِيحُهَا عَبَقُ مِنْ كَفِّ أَرْوَعٍ فِي عِرْنَيْنِهِ شَمَمُ

للحزین الـکنانی، قال: مدح بهما الحزین عبد الله بن عبد الملك، وقد حج، وكان أبوه عبد الله

قد وصاه بالألا يحجب الحزین لحب لسانه، ووصفه له بهيئته، فدخل عليه وأشده البيتین. قال أبو الفرج: والناس يروون هذين البيتين في أبيات الفرزدق التي مدح بها زین العابدين عليه السلام.

وقد ذكر أبو تمام في (الجماسة - بشرح التبريزي ٤-١٦٧-١٦٩) الأبيات مذوبة إلى الحزير

الليثي. وانظر تفصيل الخبر وتحقيق نسبة الأبيات في (الأغاني ١٤: ٧٤-٧٧).

(٤) حاشية ف: « روى أنه كان عبد الملك بن مروان لما سمع هذا من الفرزدق قال له: «أو راضو

أيضا أنت! فقال الفرزدق: إن كان حب آل محمد رفضا فأنا هذاك، فقال عبد الملك: قل في مثل ماقلته

فيه، وعلى أن أضعف عطاءك، فقال الفرزدق: وتجيئني بأب مثل أبيه وأب مثل أمه؛ حتى أقول فيك مثل

ماقلته فيه؛ أقول هذا ولا تستحي من الله عز وجل! مر حتى تسقط اسمي من الديوان جملة، فأسقط عطاءه

فبلغ ذلك على بن الحسين عليهما السلام، فبعث إليه، فلما أماء قال: يا أبا فراس؛ خذ مني جميع ما أملكه

ولك الفضل بعد ذلك؛ وما كأنا بك بعد! فقال: يا بن رسول الله، ماقلته فيك لرجاء منوبة؛ وإن نوالا

على الله، وما أؤمله فيكم عند الله عز وجل أحب إلى من ملك عبد الملك؛ فقال: فكم كان عطاؤه الله

حرمته؟ قال: ألف ومائتان في السنة، فوزن له ثمانية وأربعين ألفا، عطاء أربعين سنة، فأخفا

وانصرف.

وفي رواية الغلابي أن هشام بن عبد الملك حج في خلافة عبد الملك - أو الوليد - وهو حديث^(١) السن، فأراد أن يستلم الحجر، فلم يتمكن من ذلك لتزاحم الناس عليه، فجلس ينتظر خلوة؛ فأقبل على بن الحسين عليهما السلام، وعليه إزار ورداء، وهو من أحسن الناس وجهاً، وأطيبهم ريحاً، بين عينيه سجادة، كأنها رُكبة عترة، فجعل يطوف بالبيت، فإذا بلغ الحجر تنحى الناس له حتى يستلمه، همية له وإجلالا. فعاظ ذلك هشاماً، فقال رجل من أهل الشام لهشام: من هذا الذي قد هابه الناس هذه الهمية؟ فقال هشام: لا أعرفه - لئلا يرغب فيه أهل الشام. فقال الفرزدق - وكان هناك حاضراً - : لكني أعرفه، وذكر الأبيات، وهي أكثر مما رويناه؛ وإنما تركناها^(٢) لأنها معروفة.

قال: فغضب هشام، وأمر بحبس الفرزدق بمسقفان، بين مكة والمدينة، وبلغ ذلك على بن الحسين عليهما السلام، فبعث إلى الفرزدق بائني عشر ألف درهم وقال: اعذرنا/ يا أبا فراس، [٢٢] فلو كان عندنا في هذا الوقت أكثر منها لوصلناك به، فردّها الفرزدق وقال: يا بن رسول الله، ما قلت الذي قلت إلا غصبا لله ورسوله، وما كنت لأرّزأ^(٣) عليه شيئا؛ فردّها إليه وأقسم عليه في قبولها وقال له: قد رأى الله مكانك، وعلم نيتك، وشكر لك، ونحن أهل بيت إذا أنفدنا شيئا لم نرجع فيه؛ فقبلها، وجعل الفرزدق يهجو هشاماً وهو في الحبس؛ فما هجاء به قوله:

١٥

تَحْبَسُنِي بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالَّتِي لَهَا رِقَابُ النَّاسِ يَهْوِي مُنِيبُهَا^(٤)
يُقَلِّبُ رَأْسًا لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيِّدٍ وَعَيْنًا لَهُ حَوْلَاءُ بَادَ عُيُوبُهَا

(١) د، ف، حاشية ت (من نسخة): «حدث السن».

(٢) حاشية ت (من نسخة): «تركناها أكثرها».

(٣) ت: «أرزأك». وفي حاشية ف: «يقال: مارزأته شيئا؛ أي لم آخذ منه شيئا».

(٤) ديوانه ١: ١٠١، وفي حاشية الأصل (من نسخة): «يحبسني»، وحاشية ف (من نسخة):

«قلوب الناس يهوي»؛ وهي رواية الديوان.

مكتبة الدكتور وزير الوطنية

مجلد آخر

تأويل آية

إن سأل سائل فقال : ما عندكم في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلَئِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩] .
وظاهر هذه الآية يقتضى أنه تعالى ماشاء أن يكونوا أمة واحدة وأن يجتمعوا على الإيمان والهدى ؛ وهذا بخلاف ما تذهبون إليه ؛ ثم قال : ﴿ وَلَئِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ فلا يخلو من أن يكون عنى أنه الاختلاف خلقهم ، أو للرحمة ؛ ولا يجوز أن يعنى الرحمة ؛ لأن الكناية عن الرحمة لا تكون بلفظة « ذلك » ؛ ولو أرادها لقال : ولتلك خلقهم ، فلما قال ﴿ وَلَئِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ كان رجوعه إلى الاختلاف أولى . وليس يبطل حمل الآية على الاختلاف من حيث لم يكن مذكوراً فيها ؛ لأن الرحمة أيضاً غير مذكورة فيها ، وإذا جعلتم قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ﴾ دالاً على الرحمة فكذلك قوله : ﴿ مُخْتَلِفِينَ ﴾ دالٌّ على الاختلاف ؛ على أن الرحمة هي رقة القلب والشفقة ؛ وذلك لا يجوز على الله تعالى ، ومتى تعدى بها ما ذكرناه ، لم يُعْنَ بها إلا المغفـو وإسقاط الضرر ، وما جرى مجراه ^(١) عن مستحقه ، وهذا مما لا يجوز أن يكونوا مخلوقين له على مذهبكم ، لأنه لو خلقهم للعفو لما حسن منه عقاب المذنبين ومؤاخذة المستحقين .

الجواب ، يقال له : أما قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ ﴾ فإنما عنى به المشيئة التي ينضم ^ط [٢٢] إليها الإلـجاء ، ولم يعن / المشيئة على سبيل الاختيار ، وإنما أراد تعالى أن يخبرنا عن قدرته ^ط ١٥ وأنه ممن لا يفـالـب ، ولا يعصى مقهوراً ؛ من حيث كان قادراً على إلـجاء العبيد ، وإكراههم على ما أراد منهم .

فأما لفظة « ذلك » في الآية فحملها على الرحمة أولى من حملها على الاختلاف ؛ لدليـ

العقل وشهادة اللفظ ، فأما دليل العقل فمن حيث علمنا أنه تعالى كره الاختلاف ، والذهاب عن الدين ، ونهى عنه ، وتوعد عليه ، فكيف يجوز أن يكون شائئاً له ، ومُجَرِّياً^(١) بخلق العباد إليه .

وأما شهادة اللفظ فلأن الرحمة أقرب إلى هذه الكناية من الاختلاف ، وحمل اللفظ على أقرب المذكورين إليها أولى في لسان العرب .

فأما ما طعن به السائل ، وتعلق به من تذكير الكناية ، وأن الكناية عن الرحمة لا تكون إلا مؤنثة فباطل ، لأن تأنيث الرحمة غير حقيقي ، وإذا كُنِيَ عنها بلفظ التذكير كانت الكناية على المعنى ، لأن معناها هو الفضل والإنعام ؛ كما قالوا : سرّني كلمتك ، يريدون سرّني كلامك ، وقال الله تعالى : ﴿ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي ﴾ ؛ [الكهف : ٩٨] ؛ ولم يقل « هذه » ، وإنما أراد هذا فضل من ربى ؛ وقالت الخنساء :

فذلك يا هِنْدُ الرَّزِيَّةُ فاعلمي
وَنيرانُ حَرْبٍ حِينَ شَبَّ وَقَوْدُهَا^(٢)
أرادت الرُّزءَ ؛ وقال امرؤ القيس :

بِرَّهْرَهَةِ رُوْدَةٍ رَخْصَةٍ كَخِرْعُوْبَةِ البَانَةِ المنْفَطِرِ^(٣)

فقال : « المنفطر » ولم يقل المنفطرة ، لأنه ذهب إلى الغصن ؛ وقال الآخر :

هَيْنِئًا لَسَعْدٍ ما قَتَضَى بعد وَقْعَتِي^(٤) بِنَاقَةٍ سَعْدٍ وَالْعَشِيَّةُ بَارِدُ
فذكر الوصف : لأنه ذهب إلى العشي ؛ وقال الآخر :

قَامَتْ تُبَكِّيهِ عَلَى قَبْرِ دِ مَنْ لِي مِنْ بَعْدِكَ يا عامِرُ^(٥)

(١) في حاشيتي الأصل ، ف : « الإجراء يستعمل في المنكر المذموم ؛ يقال : أجرى عليه فعله ، ولا يقال إلا في الشر » .

(٢) ديوانها : ٥٩ .

(٣) ديوانه : ٨ . البرهرة : الرقيقة الجلد ، وازرودة : الرخصة الناعمة ، والخرعوبة : الفضيض الغض ، والمنفطر : المنشق .

(٤) حاشيت (من نسخة) : « وقفني » .

(٥) البيتان في العقد ٣ : ٢٥٩ ، و ٥ : ٣٩٠ ؛ ونسبهما لأعرابية على قبر ابن لها يقال له عامر .

تَرَ كُنْتِي فِي الدَّارِ ذَاغُرِيَّةٍ^(١) قَدْ ذَلَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ نَاصِرٌ

فقال: « ذا غربة » ولم يقل ذات غربة، لأنه أراد شخصا ذا غربة؛ وقال زياد الأعجم:

[٢٢] / إِنَّ الشَّجَاعَةَ وَالسَّاحَةَ ضُمْنَا قَبْرًا يَمْرُو عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ^(٢)

فقال: « ضُمْنَا » ولم يقل ضُمْنَتَا؛ قال الفرّاء: لأنه ذهب إلى أن الساحة والشجاعة مصدران،

والمعرب يقول: قِصَارَةُ الثوب يُعْجِبُنِي؛ لأن تانيث المصادر يرجع إلى الفعل، وهو مذكور.

وقال الفرزدق:

تُجُوبُ بِنَا الْفَلَاةَ إِلَى سَعِيدٍ إِذَا مَا الشَّاةُ فِي الْأَرْطَاةِ قَالَا^(٣)

فذكر الوصف، لأنه أراد التيس؛ فأما الأرطاة فهي واحدة الأرطى، وهي^(٤) شجر

يَنْبُتُ فِي الرَّمْلِ تَسْتَظِلُ بِظِلَالِهِ الظِّبَاءُ مِنَ الْحَرِّ، وتأوى إليه، قال الشماخ:

١٠ إِذَا الْأَرْطَى تَوَسَّدَ أَبْرَدِيهِ خُدُودُ جَوَازِي بِالرَّمْلِ عَيْنِ^(٥)

(١) في العقد: « في وحشة ».

(٢) اللآلي: ٩٢١؛ وبمده:

فَإِذَا مَرَرْتَ بِقَبْرِهِ فَاعْقِرْ بِهِ كَوْمَ الْجِلَادِ وَكُلَّ طَرْفٍ سَابِحٍ

وفي ت، ونسخة بخط بيتي الأصل، ف: « إن الساحة والشجاعة ».

(٣) ديوانه ٢: ٦١٧، وروايته: « فروحت القلوس إلى سعيد ».

(٤) في نسخة بخط بيتي الأصل، ت: « وهو ».

(٥) ديوانه ٩٤، وفي حاشية ت (من نسخة): « توسط أبرديه »، وفي حواشي الأصل،

ت، ف: « قبله ».

إِلَيْكَ بَعَثْتُ رَاحِلَتِي تَشْكِي هُزَالًا بَعْدَ مَقْعِدِهَا السَّمِينِ

إِذَا بَرَكْتُ عَلَى شَرْفٍ وَأَلَقْتُ عَسِيبَ جِرَانِهَا كَمَصَا الْهَجِينِ

إِذَا الْأَرْطَى

المقعد: أصل السنام، والشرف: النجد من الأرض، وعسيب جيرانها: صفحة العنق، والهجين:

الراعى، والجوازي: التي اكتفت بالرطب عن الماء، وأبردا الأرطى: الغداة والعشى؛ وقال خالد بن

كلثوم: أبرده: ظلام؛ الظل بالغداة والعشى؛ وقال ابن دريد: معناه أن البقرة تتوسد بالغداة

الأرطى الذي بلى المغرب، فإذا دارت الشمس دارت معها إلى ناحية المشرق تتوسد الفصون التي مالت عنها

الشمس. والعين: جمع عيائه؛ وهي الواسعة العين.

وقوله: «قالا» من القِيلُولَة لامن القول، على أن قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ كما يدل على الرحمة يدل أيضاً على «أن يرحم»، فإذا جملنا الكناية بلفظة «ذلك» عن أن يرحم كان التذكير في موضعه؛ لأن الفعل مذكور، ويجوز أيضاً أن يكون قوله تعالى ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ كناية عن اجتماعهم على الإيمان، وكونهم فيه أمة واحدة؛ ولا محالة أنه لهذا خلقهم؛ ويوافق هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾؛ [الذاريات: ٥٦]. ٥

وقد قال قوم في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ معناه أنه لو شاء أن يداخلهم أجمعين الجنة، فيكونوا في وصول جميعهم إلى النعيم أمة واحدة، وأجرى هذه الآية مجرى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾؛ [السجدة: ١٣]. في أنه أراد: هداها إلى طريق الجنة، فعلى هذا التأويل أيضاً يمكن أن ترجع لفظة «ذلك» إلى إدخالهم أجمعين إلى الجنة، لأنه إنما خلقهم للمصير إليها والوصول إلى نعيمها. ١٠

فأما قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ فمعناه الاختلاف في الدين والذهاب عن الحق فيه بالهوى والشبهات.

وذكر أبو مسلم ابن بحر في قوله: ﴿مُخْتَلِفِينَ﴾ وجهاً غريباً وهو أن يكون معناه أن خلف هؤلاء الكافرين يخلف سلفهم في الكفر، / لأنه سواء قولك: خلف بعضهم بعضاً، [٢٣] وقولك: اختلفوا^(١)، وسواء قولك: قتل بعضهم بعضاً، واقتتلوا؛ ومنه قولهم: لا أفعل^{١٥} كذا ما اختلف المصران والجديدان، أي جاء كل واحد منهما بعد الآخر.

فأما الرحمة فليست رقة القلب كما ظنه السائل، لكنها فعل النعم والإحسان، يدل على ذلك أن من أحسن إلى غيره، وأنعم عليه يوصف بأنه رحيم به، وإن لم يعلم منه رقة قلب عليه، بل وصفهم بالرحمة من لا يمهدون منه رقة القلب أقوى من وصفهم الرقيق القلب بذلك؛ لأن مشقة النعمة والفضل والإحسان على من لا رقة عنده أكبر منها على الرقيق القلب، ٢٠ وقد علمنا أن من رقق قلبه لو امتنع من الإفضال والإحسان لم يوصف بالرحمة، وإذا أنعم

(١) حاشية الأصل: «سمى الاختلاف اختلافاً لأن الكلام يخلف بعضه بعضاً».

وُصِفَ بذلك ، فوجب أن يكون معناها ما ذكرناه ؛ على أنه لا يمتنع أن يكون معنى الرحمة في الأصل ما ذكرتم^(١) ، ثم انتقل بالتعارف إلى ما ذكرناه كمنظاره . وقد وصف الله تعالى القرآن بأنه هُدًى ورحمة من حيث كان نعمة ، ولا يتأتى في القرآن ما ظنوه^(٢) ؛ وإنما وصفت رقة القلب بأنها رحمة ؛ لأنها مما تجاوره الرحمة التي هي النعمة في الأكثر ، وتوجد عنده ، فحلَّ محلَّ وصف الشهوة بأنها محبة لَمَّا كانت توجدُ عندها المحبة في الأكثر ؛ وليست الرحمة مختصةً بالعفو ؛ بل تستعمل في ضروب النعم ، وصنوف الإحسان ؛ ألا ترى أننا نصِفُ المنعمَ على غيره ، المحسنَ إليه بالرحمة ، وإن لم يُسقط عنه ضرراً ، ولا تجاوز له عن زلة ؛ وإنما سمي العفو عن الضرر وما جرى مجراه رحمةً من حيث كان نعمة ؛ لأنَّ النعمة بإسقاط الضرر تجري مجرى النعمة بإيصال النفع ، فقد بان بهذه الجملة معنى الآية ، وبطلان ما ضمنه السائل ١٠ سؤاله .

فإن قيل : إذا كانت الرحمة هي النعمة ، وعندكم أن نعم الله تعالى شاملةٌ للخلق أجمعين ، فأى معنى لاستثناء ﴿مَنْ رَحِمَ﴾ من جملة المختلفين إن كانت الرحمة هي النعمة ؟ وكيف يصح اختصاصها بقوم دون قوم وهي عندكم شاملة عامة ؟

قلنا : لا شبهة في أن نعم الله شاملة للخلق أجمعين ؛ غير أن في نعمه أيضاً ما يختصُّ بها بعضُ العباد^(٣) ، إما لاستحقاق ، أو لسبب يقتضى الاختصاص / فإذا حملنا قوله تعالى : ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ على النعمة بالثواب ، فالاختصاص ظاهر ، لأن النعمة به لا تكون إلا مستحقة ، فمن استحقَّ الثواب بأعماله وصل إلى هذه النعمة ، ومن لم يستحقَّ لم يصل إليها . وإن حملنا الرحمة في الآية على النعمة بالتوفيق للإيمان واللطف الذي وقع بعده فعل الإيمان كانت هذه النعمة أيضاً مختصة ، لأنه تعالى إنما لم يُنعم على سائر المكلفين بها ؛ من حيث

(١) ت ، حاشية الأصل (من نسخة) : ما ذكر .

(٢) س : « قالوا » .

(٣) ت : « الخلق » .

لم يكن في معلومه تعالى أن لهم توفيقاً، وأن في الأفعال ما يختارون عنده الإيمان؛ فاختصاص هذه النعم ببعض العباد لا يمنع من شمول نعم آخر لهم؛ كما أن شمول تلك النعم لا يمنع من اختصاص هذه .

تَأْوِيلُ خَبَرِ

روى أبو مسعود البدرى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستحي فاصنع ^(١) ما شئت » .

وفي هذا الخبر وجود من التأويل ثلاثة :

أحدها أن يكون معناه : إذا عملت العمل لله جلّ وعزّ وأنت لا تستحي من الناظرين إليك ، ولا تتخوفهم ^(٢) أن ينسبوك فيه إلى الرياء صنعت ما شئت ، لأن فكرك فيهم ، ومراقبتك لهم يقطعانك عن استيفاء شروط عملك ، ويمنعانك من القيام بمحدوده وحقوقه ؛ وإذا طرحت الفكر توفرت على استيفاء عملك .

١٠

والوجه الثانى أن مَنْ لم يستحي من المعايير والمخازى والفضائح صنع ما شاء ، والظاهر ^(٣) ظاهر أمر ، والمعنى معنى تغليظ وإنكار ؛ مثل قوله تعالى : ﴿ اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾ ؛ [فصلت : ٤٠] ، وقوله عز وجل : ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ ؛ [الكهف : ٢٩] ؛ وهذا نهاية التغليظ والزجر والإخبار عن كبر ^(٤) الذنب في أطراح الحياء ؛ ويجرى مجرى قولهم : بعد أن فعل فلان كذا فليفعل ما يشاء ، وبعد أن أقدم على كذا فليقدم على ما شاء ؛ ^(٥) والمعنى المبالغة في عظم ما ارتكبه ، وقبح ^(٥) ما اقترفه .

والوجه الثالث أن يكون معنى الخبر إذا لم تفعل ما تستحي منه فافعل ما شئت ؛

(١) حاشية ت (من نسخة) : « فافعل » .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « خاف وتخوف بمعنى » .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « فالظاهر » .

(٤) حاشية ت (من نسخة) : « عظم الذنب » .

(٥) ت ، د ، ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « وقبيح » .

فكان معنى ^(١) الخبر إذا لم تفعل قبيحاً فافعل ما شئت ، لأنه لا قبيح ^(٢) من ضرور القبايح إلا والحياة يصاحبه ، ومن شأن فاعله إذا قرّع به أن يستحي منه ، فحتى جانب [٢٤] / الإنسان ما يستحي منه من أفعاله فقد جانب سائر القبايح ، وما عدا القبيح من الأفعال ظ فهو حسن .

ويجرى هذا مجرى خبر يروى فيما أظن عن نبينا عليه السلام أن رجلاً جاءه ^(٣) فاسترشده إلى خصلة يكون فيها جماع الخير ، فقال له عليه السلام : « أشرت عليك ألا تكذب بى ، ولن أسألك ^(٤) ما وراء ذلك » . فهان على الرجل ترك الكذب خاصة ، والمعاهدة على اجتنابه دون سائر القبايح ، وشرط على نفسه ذلك ، فلما انصرف جعل كلما هم بقبيح يفكر ^(٥) ويقول : أرايت لو سألتني عنه النبي صلى الله عليه وآله ما كنت قائلًا له ، لأننى إن صدقته افتضحت ، وإن كذبتة نقضت العهد بيني وبينه ؛ فكان ذلك سبباً لاجتنابه لسائر القبايح ^(٦) ، وهكذا معنى الخبر الذى تأولناه ؛ لأن فى اجتناب ما يستحي منه اجتناباً لسائر القبايح .

(١) م : « المعنى » . (٢) م : « لا ضرب » . (٣) حاشية ت (من نسخة) : « أتاه » .

(٤) حاشية ت (من نسخة) : « عما » .

(٥) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « يفكر » ؛ يأسكان الفاء وكسر الكاف .

(٦) حاشية ف : « قال السيد الإمام ضياء الدين : وفي رواية أخرى أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأسلم ثم قال : أنا وأخذ من الذنوب بما ظهر ، وأنا أستستر بخلال أربع : الزنا والسرقه وشرب الخمر والكذب ؛ فأيتين أحبيت تركت ، قال : دغ الكذب ؛ فلما تولى من عند النبي صلى الله عليه وآله هم بانزنا ؛ فقال : يسألني رسول الله صلى الله عليه وآله ، فإن جحدت نقضت ماجملت ، وإن أقررت حددت ، ثم هم بالسرقه ثم بشرب الخمر ؛ فنفكر في مثل ذلك ، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : يا رسول الله ، تركتهن أجمع . قال السيد : إنما كتبت هذه الرواية هاهنا ؛ لأن هذه مفصلة ، وتلك مجملة ، ولأن رأيت السيد غير محقق فيما أورده » .

تَأْوِيلُ خَبَرِ آخِرِ

روى محمد بن الحنفية رحمة الله عليه عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام قال: كان قد كُفِّرَ على مارية القبطية أم إبراهيم في ابن عم لها قبطي كان يزورها ، ويختلف إليها ، فقال لي النبي صلى الله عليه وآله : « خذ هذا السيف وانطلق ، فإن وجدته عندها فاقتله » . قلت : يا رسول الله ، أكون في أمرك إذا أرساتني كالسكة^(١) الحماة ، أمضى لما أمرتني ، أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ؟ فقال لي النبي صلى الله عليه وآله : « بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب » . فأقبلت متوشحاً^(٢) بالسيف ، فوجدته عندها ، فاخترطت السيف ، فلما أقبلت نحوه عرف أني أريده ، فأثى نخلة فرقي إليها ، ثم رمى بنفسه على قفاه ، وشغل رجليه ، فإذا إنه أجب أمسح ، ماله مما للرجال قليل ولا كثير ، قال : فغمدت السيف ورجعت إلى النبي صلى الله عليه وآله فأخبرته ، فقال : « الحمد لله الذي يصرف^(٣) عنا أهل البيت » .

١٠

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه : في هذا الخبر أحكام وغريب ، ونحن نبدأ بأحكامه ، ثم نتلوها بغريبه .

فأول ما فيه أن لقائل أن يقول : كيف يجوز أن يأمر الرسول عليه السلام بقتل رجل على التهمة^(٤) بغير بينة ولا ما يجري مجراها؟ والجواب عن ذلك أن القبطي جائز أن يكون من أهل العهد الذين أخذ عليهم أن تجرى فيهم^(٥) أحكام المسلمين، وأن يكون الرسول عليه السلام [٢٠] تقدم إليه بالانتها، عن الدخول إلى مارية، تخالف وأقام على ذلك ، وهذا نقض للعهد، وناقض

(١) في حاشيتي الأصل ، ف : « السكة : الحديدية التي تكون على طرف آلة الفدان ، والفدان آلة الأكرة » . (٢) توشحت بالسيف ؛ إذا تقادته .

(٣) حاشية ت من نسخة : « صرف » ، و د : « صرف عنا الرجس أهل البيت » ، و ط ، م :

« يصرف عنا الرجس أهل البيت » . (٤) في حواشي الأصل ، ت ، ف : « التهمة ؛ بالتحريك هو

الصحيح » . (٥) حاشية ت (من نسخة) : « عليهم » .

العهد من أهل الكفر مؤذَنَ بالمحاربة ؛ والمؤذَنُ بها مستحقٌّ للقتل .

فأما قوله : « بل ^(١) الشاهد يرى مالا يرى الغائب ^(٢) » فإنما عني به رؤية العلم لرؤية البصر لأنه لا معنى في هذا الموضع لرؤية البصر ، فكأنه عليه وآله السلام قال : بل الشاهد يعلم ؛ ويصحّ له من وجه الرأى والتدبير مالا يصحّ للغائب ؛ ولو لم يقل ذلك لوجب قتلُ الرجل على كل حال ، وإنما جاز منه عليه الصلاة والسلام أن يختار بين قتله والكف عنه ، ويفوض الأمر • في ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام من حيث لم يكن قتله من الحدود والحقوق ، التي لا يجوز العفو عنها ، ولا يسعُ إلا إقامتها ، لأن ناقض العهد ممن إلى الإمام القائم بأمر ^(٣) المسلمين إذا قدرَ عليه قبل التوبة أن يقتله ، أو أن يمنَّ عليه .

ومما فيه أيضا من الأحكام اقتضاؤه أن مجرد أمر الرسول صلى الله عليه وآله لا يقتضى الوجوب ، لأنه لو اقتضى ذلك لما حسنت مراجعته ولا استفهامه ؛ وفي حسنّها ووقوعها موقعها دلالة ^(٤) على أنها لا تقتضى ذلك .

ومما فيه أيضا من الأحكام دلالتُه على أنه لا بأس بالنظر إلى عورة الرجل عند الأمر ينزل فلا يوجد من النظر إليها بدّ إمّا لحدّ يقام ، أو لعقوبة تسقط ، لأن العلم بأنه أمسح أجبّ لم يكن إلا عن تأمل ونظر ، وإنما جاز التأمل والنظر لتبيين : هل هو ممن يكون منه ما قُرف به أولا ، والواجب على الإمام فيمن شهد عليه بالزنا ، وادّعى أنه محبوب أن يأمر ^(٥) بالنظر إليه ، وتبيين أمره ، وبمثله أمر النبي صلى الله عليه وآله في قتل مقاتلة بنى قريظة ، لأنه أمر أن ينظروا إلى مؤتزر ، وكلّ من أشكل عليهم أمره ، فمن وجدوه قد أنبت قتلوه ، ولولا جواز النظر إلى العورة عند الضرورة لما قامت شهادة الزنا ؛ لأن من رأى رجلا مع امرأة واقعا عليها متى لم يتأمل أمرهما حق التأمل لم تصحّ شهادته ، ولهذا قال النبي

(١-١) حاشية ت (من نسخة) : « بل لا يرى الشاهد ما يرى الغائب » .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « بأمر » .

(٣) ط : « وفي حسنّها ووقوعها دلالة .. » ، م : « وفي حسنّها ووقوعها موقعها » .

صلى الله عليه وآله لسعد بن عباد ، وقد سأله عمن وجد مع امرأته رجلا ، أيقنته ؟ / فقال [٢٠]
 صلى الله عليه وآله : لا ، حتى يأتى بأربعة شهداء ، ولو لم يكن للشهداء إذا حضروا تعمدا النظر إلى
 عورتيهما لإقامة الشهادة كان حضورهم كغيبتهم ، ولم تقم شهادة الزنا ؛ لأن من شرطها
 مشاهدة العضو في العضو كالميل في المكحلة .

فإن قيل : كيف جاز لأمر المؤمنين الكف عن القتل ، ومن أى جهة آثره لما وجده
 أحب ، وأى تأثير لكونه أحب فيما استحق به القتل وهو نقض العهد ؟ قلنا : إنه عليه
 السلام لما فوض إليه الأمر في القتل والكف كان له أن يقتله على كل حال ، وإن وجده
 أحب ؛ لأن كونه بهذه الصفة لا يخرج من نقض العهد ، وإنما آثر الكف الذى كان
 إليه ، ومفوضاً إلى رأيه ، لإزالة التهمة والشك الواقعين في أمر مارية ، ولأنه أشفق من أن
 يقتله ، فيتحقق الظن ويلحق بذلك العار ، فرأى عليه السلام أن الكف أولى لما ذكرناه . ١٠

فأما غريب الحديث ^(١) فقله : « شفر ^(٢) برجليه » يريد رفعهما ^(٣) ، وأصله في وصف الكلب
 إذا رفع رجله للبول ، فأما نكاح الشغار ^(٤) - وقد قيل الشغار بالفتح - فهو أن يزوج الرجل
 من هو ولي لها من بنت أو أخت غيره ، على أن يزوجه بنته أو أخته بغير مهر . وكان
 أحد العرب في الجاهلية يقول للآخر : شاغرتني ؛ أى زوجني حتى أزوجك ؛ وأظنه مأخوذاً
 من الشفر الذى هو رفع الرجل ، لأن النكاح فيه معنى الشفر ، فسمى هذا العقد شغاراً ١٥
 ومشاعرة ، لإفضائه في كل واحد من المزوجين ^(٥) إلى معنى الشفر ، وصار اسماً لهذا النكاح
 كما قيل في الزنا سفاح ، لأن الزانيين يتساخنان الماء ، أى يسكبانه ، والماء هو النطفة ، ويمكن
 أن يكون أيضاً الماء الذى يغتسلان به ، فكُنِيَ بذلك عن الزنا ^(٥) ثم صار اسماً له وعلماً
 عليه .

(١) حاشية ت (من نسخة) : « الخبر » . (٢-٢) حاشية ت (من نسخة) : « برجليه »
 يريد رفعهما . (٣) ت ، ف : « الشغار ، بالكسر » . (٤) ت ، ف : « المتزوجين » .
 (٥) حاشية ف : « الزنا والزنا كلاهما صحيح » .

ومن الشَّعْرُ الذى هو رُفْعُ الرجل قول زياد لابنة معاوية ، وكانت عند ابنه ، فافتخرتُ
يوماً عليه ، وتناولتُ ، فشكاها إلى أبيه زياد ، فدخل عليها بالدَّرَّةِ يضربُها ، ويقول لها
أشْغراً وفَخْراً ! وأما قولُ الفرزدق :

شَغَارَةٌ تَقْدُ الفَصِيلَ بِرِجْلِهَا فَطَّارَةٌ لِقَوَادِمِ الأَبْكَارِ^(١)

[٢٦] / فإنه من غريب شعره ، وفسره قال : معنى « شغارة » أنها ترفع رجلها للبول ، وقوله : « تَقْدُ
الفصيل برجلها » ، أى تركله وتدفعه عن الدنوّ إلى الرَضَاع ، ليتوقّر اللبن على الحلب ، وأراد
« بتقذه »^(٢) ، أى تبالغ فى إيلاجه وضربه ، ومنه الموقوذة^(٣) ؛ فأما قوله : « فطّارة
لقوادم الأَبْكَار » ، فالفَطْرُ هو الحلب بثلاث أصابع ، والقوادم هى الأخلاف ، وإنما خصّ
الأَبْكَار بذلك ؛ لأنّ صغر أخلافها يمنع من حلبها ضَبّاً^(٤) ، والضَبُّ هو الحلب بالأصابع
الأربع^(٥) ؛ فكانه لا يمكن فيها لِقَصْر أخلافها إلا الفَطْر ؛ ومعنى البيت تعيرُه نساء جرير
بأنهنّ راعيات ، وذلك مما تُعَيِّر به العربُ النساء ؛ ألا ترى إلى قوله قبل هذا البيت :

كَمْ عَمَّةٍ لَكَ يَا جَرِيرُ وَخَالَةٍ فدُعَاءَ قَدْ حَلَبْتَ عَلَى عِشَارِي^(١)
كُنَّا نَحَازِرُ أَنْ تُضِيعَ لِقَاحَنَا وَلَهُمَا إِذَا سَمِعْتَ دُعَاءَ يَسَارِ^(٢)

ثم تلا ذلك بقوله : شغارة ...

١٥ قال سيدنا المرتضى أدام الله علوه : وعندى أن قوله « شَغَارَةٌ » كناية عن رفع رجلها للزنا
وهو أشبه بأن يكون مراده فى هذا الموضع ، ألا ترى أنه قد وصفها بالوَلَاءِ ، وترك

(١) ديوانه ٢ : ٤٥٢ .

(٢) ف حاشية ت (من نسخة) : « تقذ » .

(٣) فى حاشيتى الأصل ، ف : « الموقوذة : الشاة التى يرميها الراعى بالعصا فتموت » .

(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « ضفا ؛ والضف هو الحلب » .

(٥) م : « الأربع كلها » .

(٦) فى حاشيتى الأصل ، ف . « الدع : اعوجاج فى الزند ، وعلى تتعلق بمحذوف ، كأنه قال
متخفة على ، أو قائمة على » ، والشار : جمع عشراء ؛ وهى الناقة التى أتى عليها من وضعها عشرة أشهر .

(٧) فى حاشيتى الأصل ، ف : « اللقاح : جمع لفعة ؛ وهى الناقة الحديثة العهد بالتاج » .

حفظ اللقاح عند سماعها دعاء يسار ؛ ويسار اسم لراع ؛ فكأنه قد وصفها بالولاء إلى الزنا والإسراع إليه، وترك حفظ ما استخفظته من اللقاح ؛ فالأشبه أن يكون قوله : «شغارة» - مع كونه عقيب البيت الذي ذكرناه - محمولا على ما أشرنا إليه .

فأما قولهم : ذهبوا شغَرَ بغير فليس من هذا في شيء ، وإنما يُراد به أنهم ذهبوا متفرقين متشتتين ، ومثله ذهبوا عباديد وعبايد ، وشعائل وشعارير وأيادي^(١) سبا ؛ كل ذلك بمعنى واحد .

وأما قوله : «إذا أنه أجَبَّ» ، فيعني به المقطوع الذكر ؛ لأن الجَبَّ هو القطع ؛ ومنه بغير أجَبَّ إذا كان مقطوع السنام : وقد ظن بعض من تأول هذا الخبر أن الأَمْسَحَ ههنا هو القليل لحم الألية ، كالأَرَصَع والأَرَسَح والأَزَل^(٢) ، وهذا غلط ، لأن الوصف بذلك لا معنى له في الخبر ، وإنما أراد تأكيد الوصف له بأنه أجَبَّ ، والمبالغة فيه ، لأن قوله : «أَمْسَحَ» [٢٦] يفيد أنه مضطلم^(٣) الذَّكْر ، ويزيد على معنى أجَبَّ زيادة ظاهرة .

أخبرنا أبو عبيد الله المَرْزُبَانِيّ قال حدثني القاسم بن الحسين الورّاق قال حدثنا سليمان ابن داود الطّوسيّ قال حدثنا سوّار بن عبد الله القاضي عن الأصمعيّ قال : دخلتُ على

(١) في حاشيتي الأصل ، ف : «أيادي ، يجوز أن تكون نصباً على الحال ، وعلى المصدر أيضا ؛ فإذا كان حالا كان التقدير : تفرقوا أمثال أيادي سبا ، وإذا كان مصدرا فالتقدير : تفرقوا تفرق أولاد سبا » . وفي حواشي الأصل ، ت ، ف أيضا : « يقال تفرقوا أيادي سبا ، وفي معناه قولان : أحدهما أنه سبا بن يشجب ، والأيادي : الأولاد ، وفيه لأنه من السبي ، ووزنه فعل ؛ وحينئذ ينصرف ، ولانحasar الأولاد أيادي ؛ لأنه يستعان بهم كما يستعان بالأيادي ، والأيادي جمع الجمع ، يد وأيد وأياد » .

(٢) حاشية ف : «الأرصم والأرسح والأزل : قليل لحم الورك » .

(٣) حاشية ف . « مضطلم : مقطوع الذكر » .

الرشيد^(١) في الليل ، فتذاكرنا أحوال القمر ، فقلت : العرب تقول للقمر إذا كان ابنَ ليلة : ما أنت ابن ليلة^(٢) ؟ قال : رضاعُ سُحَيْلَةَ ، حلَّ أهلُها بِرُمَيْلَةَ . قيل له : ما أنت^(٣) ابنَ ليلتين ؟ قال : حديثُ أُمْتَيْنِ ، بكذبٍ وَمَيْنِ . قيل له : ما أنت ابنَ ثلاث ؟ قال : قليل اللِّبَاثِ - وقيل أيضاً : حديثُ فُتَيَاتٍ ، غيرِ جدِّ مؤتلفات - قيل له : ما أنت ابنَ أربع ؟ قال : عَتَمَةُ أُمِّ رُبْعٍ - وقيل : عَتَمَةُ أُمِّ الرُّبْعِ^(٤) - غير جائع ولا مُرْضِعٍ . قيل له : فما أنت^(٥) ابنَ خمس ؟ قال : عَشَاءُ خَلِيفَاتِ فُعَيْسٍ - ويقال : حديث وأنس ، ويقال : سرٌّ ومَسٌّ^(٦) - قيل له : ما أنت^(٧) ابنَ ست ؟ قال سرٌّ وبْتٌ - وقيل : تحدَّث^(٨) وبْتٌ - قيل له : ما أنت^(٩) ابنَ

(١) حاشية ف : « حدث عبيد الله بن محمد النيمي قال : أراد الرشيد سفراً ؛ وأمر الناس أن يتأهبوا لذلك ، وأعلمهم أنه خارج مد الأسبوع ؛ ففضى الأسبوع ولم يخرج ، فاجتمعوا إلى المأمون يسألونه أن يستعلم ذلك ؛ ولم يكن الرشيد يعلم أن المأمون يقول الشعر ؛ فكتب إليه المأمون :

يَاخِرَ مَنْ خَبَّتِ الْمَطِيُّ بِهِ وَمَنْ تَقَدَّى بِسِرِّهِ فَرَسُ
هَلْ غَايَةً فِي الْمَسِيرِ نَعْرِفُهَا أَمْ أَمْرُنَا فِي الْمَسِيرِ مُلْتَبِسُ
مَاعِلِمُ هَذَا إِلَّا إِلَى مَلِكٍ مِنْ نُورِهِ فِي الظَّلَامِ يُقْتَبَسُ
إِنْ سِرَّتْ سَارَ الرَّشَادُ مُتَبِعًا وَإِنْ تَقَفَ بِالرَّشَادِ يَحْتَبِسُ

نقرأها الرشيد وسرَّ بها ، ووقع فيها : يا بئى ، ما أنت والشعر ! أما علمت أن الشعر أرفع حالات الدنى ، وأقل حالات السرى ! والمسير إلى ثلاث إن شاء الله .

- قوله المأمون في شعره : « ومن تقدى بسِرِّه فرس » ، تقدى أى استمر ؛ كما قال ابن قيس الرقيات :
تَقَدَّتْ بِي الشَّهْبَاءُ نَحْوَ ابْنِ جَعْفَرٍ سِوَا عَلِيهَا لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا
أى استمرت وجرت فاصدة إليك .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « أى أستفهمك عن نفسك في حال كونك ابن ليلة . »

(٣) ط ، م : « فما أنت . » (٤) د ، حاشية ف (من نسخة) : « أم ربيع . »

(٥) ت ، د : « ما أنت . »

(٦) في حاشيتي ت ، ف : « مس ، أى ليكن سيرك مساً للضوء . »

(٧) ط ، م : « فما أنت . »

(٨) ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « حدث . »

(٩) د ، ت ، ف : « قيل : ما أنت . » ط ، م : « قيل : ما أنت . »

سبع؟ قال دَلَجَة^(١) ضَبَع^(٢) - وقيل هُدَى لأنس^(٣) ذى الجَمْع ، وقيل : حديث جَمْع ، وقيل : يُضْفَرُ فِي النَّسَمِ^(٤) ، وقيل : يُلْتَقَطُ فِي الْجَزْع - قيل : ما أنت ابن ثَمَان؟ قال : قَرُّ إِضْحِيَّان^(٥) .
 قيل : له : ما أنت ابن تَسْع ؟ قال منقطع الشَّع - وقيل يُلْتَقَطُ فِي الْجَزْع ، وقيل :
 الْوَدْعُ^(٦) ، وقيل عَشِيَّةُ أَهْلِ جَمْع - قيل له : ما أنت ابن عَشْر ؟ قال : ثُلُثُ الشَّهْرِ ،
 - وقيل : مَخْنَقُ الْفَجْرِ ، وقيل : أُوْدِيكَ إِلَى الْفَجْرِ ، وقيل : أَبَادِرُ الْفَجْرِ - قيل له : ما أنت
 ابن إحدى عشرة^(٧) ؟ قال : أَطْلَعَ عِشَاءً ، وَأَرَى بُكْرَةً - وقيل : أَغِيبُ بِسُحْرَةٍ - قيل :
 له ما أنت ابن اثنتي عشرة؟ قال : مُؤَنِّقٌ لِلْبَشَرِ^(٨) ، بِالْبَدْوِ وَالْحَضَرِ . قيل : ما أنت ابن ثلاث
 عشرة؟ قال : قَرْنٌ بَاهِرٌ ، يَعْمَشِي لَهُ النَّازِرُ ؛ قيل له : ما أنت ابن أربع عشرة؟ قال : مُقْتَبِلُ
 الشَّبَابِ ، أَضْيَءُ مُدْجِنَاتِ^(٩) السَّحَابِ - وقيل مُضَيٌّ^(١٠) لِلْسَّحَابِ - قيل له : ما أنت ابن
 خمس عشرة؟ قال : تَمَّ الشَّبَابُ ، وَانْتَصَفَ الْحِسَابُ .

١٠

(١) س : « بضم الدال » ، ت : « بضم الدال وفتحها معا » .

(٢) في نسخة بحاشيتي ت ، ف : « الضبع » .

(٣) ج ، س : « لأنس ذى الجمع » ، بتنوين السين .

(٤) الفسح : سير مضافور مثل الأعنة .

(٥) ت ، س : « قر إضحيان » ، بالإضافة ؛ وفي حاشية الأصل (من نسخة) : « قر إضحيان » ،

بضم الهمزة . وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « قر إضحيان وإيلة إضحيان ، بالكسر ؛ هو المعروف الصحيح » .

(٦) الودع : خرز أبيض يخرج من البحر ؛ معروف .

(٧) في حاشيتي ت ، ف : « يقال : إن ما بعد العشر موضوع لم يرو عن قدماء العرب » .

(٨) في نسخة بحاشيتي ت ، ف : « مؤنق البشر » .

(٩) حاشية ف : « أسمى مدجنات السحاب ؛ التقدير : السحاب المدجنات ؛ وهذا من باب ما يقال

له إضافة الصفة إلى الموصوف في الظاهر ؛ كقول : مررت بحسان النساء ، وجسام الرجال ؛ أى النساء الحسنات والرجال الأجسام » .

(١٠) ت ، ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « مضى السحاب » .

قيل له: ما أنت ^(١) ابن ست عشرة؟ قال: ناقص ^(٢) الخلق، بالغرب والشرق. قيل له: ما أنت ابن سبع عشرة؟ قال: أمكنت المقتفرة ^(٣). قيل له ما أنت ابن ثمان عشرة ^(٤)؟ قال: قليل البقاء، سريع الفناء. قيل له: ما أنت ابن تسع عشرة؟ قال: بطيء الطلوع / بين الخشوع. قيل: ما أنت ابن عشرين؟ قال: أطلع بسجرة، وأضى بالبهرة ^(٥) - وقيل: ثم أهجر ^(٦) بالبهرة - قيل: ما أنت ابن إحدى وعشرين؟ قال: كالقبس؛ يرى بالغلس. قيل: ما أنت ابن اثنين وعشرين؟ قال: لا أطلع إلا ريثما أرى. قيل: ما أنت ابن ثلاث وعشرين، قال: أطلع في قئمة، ولا أجلو الظلمة. قيل له: ما أنت ابن أربع وعشرين؟ قال: لا قر ولا هلال. قيل: ما أنت ابن خمس وعشرين؟ قال: دنا الأجل، وانقطع الأمل. قيل: ما أنت ابن ست وعشرين؟ قال: دنا مادنا؛ فلا يرى مني إلا شفا. قيل: ما أنت ابن سبع وعشرين؟ قال: أطلع بكرأ، ولا أرى ظهرا. قيل: ما أنت ابن ثمان وعشرين؟ قال: أسبق شعاع الشمس. قيل: ما أنت ابن تسع وعشرين؟ قال: ضئيل صغير، فلا يراني إلا البصير. قيل: ما أنت ابن ثلاثين؟ قال: هلال مستنير ^(٧).

قال الأصمى: ثم قلت للرشد: يقال إنه لا يحفظ هذا الحديث من الرجال إلا عاقل،

(١) ت، ف: «قيل ما أنت». (٢) م: «ناقص الخلق».

(٣) حاشية ف (من نسخة): «المقترة».

(٤) في نسخة حاشيتي الأصل، ف: «ثمان عشرة».

(٥) في حاشيتي الأصل، ف «البهرة: نصف الليل؛ يقال ابهار الليل؛ إذا انتصف، وبهرة كل شيء وسطه». س: «البهرة البهرة: الوسط من كل شيء»، وكأنه إشارة إلى نصف النهار؛ ويدل عليه ذكر التهجير؛ والله أعلم.

(٦) في حاشيتي الأصل، ف: «معنى قوله: «أهجر بالبهرة»، أي أطلع نصف الليل، واستعمل الهجير؛ وهو نصف النهار في الليل استعارة».

(٧) ف، وحاشية ت (من نسخة): «مستسر»، وفي نسخة بحاشيتي الأصل، ف: «مستسر»، وفي حاشية

ف: «مستسر، من السرار؛ وهو آخر الشهر». وفي حاشية الأصل أيضا (من نسخة): «مستين».

فقال : خذه عليّ ، قلت : هاتِ ، فأعاده حتّى باغ : « قيل له : ما أنت ابن ثمان ؟ قال : قرأ أضحيان » .

أما قوله : « رَضاع سُخَيْلَة » أراد تصغير سَخْلَة ، والمعنى أن القمرَ يَبْقَى بقدر ما ينزل قوم ، فتَضَعُ شائهم سَخْلَة ، ثم تُرَضِعُها ويرتحلون ، فبقاؤه بالأفق بمقدار هذا الزمان . وقوله : « حَلَّ أهلها برُمَيْلَة » أظنّ أن المعنى فيه الإخبارُ عن قلة اللَّبَّاث وسرعة الانتقال ؛ لأن الرَّمْلَ ليس بمنزل مُقام للقوم ؛ لأنهم كانوا يختارون في منازلهم جَلَدَ^(١) الأرضِ وهَضْبَها والأما كنّ التي لا تستولى السيولُ عليها ، فَخَصَّ الرُّمَيْلَة لهذا المعنى . وقوله « حديثُ أُمْتَيْنِ ، بكذبٍ ومين » يريد أن بقاءه قليل بمقدار ما تَلْقَى الأُمَّةُ الأُمَّة ، فتكذبُ لها حديثاً ثم تفترقان . وقوله : « حديث فتياتٍ ، غير جدٍّ مؤتلفات » ، أراد أنه يَبْقَى بقاء فتيات اجتمعن على غير ميعاد ، فتحدثن ساعة ثم انصرفن غير مؤتلفات . وقوله « عَتَمَة أُم رُبْع »^(٢) ، يقال : عَتَمَتْ إبْلَه ١٠ إذا تأخرتُ عن العشاء ، ومن هذا سَمِّيَتْ صلاة العَتَمَة ؛ لأنها آخرُ الوقت في العشاء ، وقوله « أُم رُبْع » يعنى الناقة ، وهو تأخير حَلْبِها ؛ يريد أن بقاءه بمقدار ما تُحَلَبُ^(٣) ناقة لها ولد ولدتُه في أول الربيع ؛ وهو أول النّساج ، والولد في هذا الوقت يُسَمَّى رُبْعاً ، إذا كان ذكراً ، [٢٧] ظ فإن كان أنثى قيل رُبْعَة ، فإن كان في آخر النّساج قيل هُبْع للذكر وللأنثى هُبْعَة . وقوله : « عِشاء خَلِيفَاتٍ قُعَس » ؛ فالخَلِيفَاتُ اللّواتى قد استبان حملهن ، واحداً خَلِيفَة ، وهى الخاض ؛ ١٥ ولأواحد للخاض من لفظها^(٤) ، وإنما قال : « عِشاء خَلِيفَات » ؛ لأنها لا تُعَشَّى إلى أن يغيب القمر في هذه الليلة ، والقُعَساء الداخلة الظَّهر الخارجة البطن . وقوله : « سِرٌّ وَبَتْ » يريد أنه لا يبقى إلا بقدر^(٥) ما يبيت الإنسان ثم يسير^(٥) ، يريد أنه يبقى بقدر ما يسير الإنسان ثم يبيت ،

(١) الجلد من الأرض : الصلب المستوى .

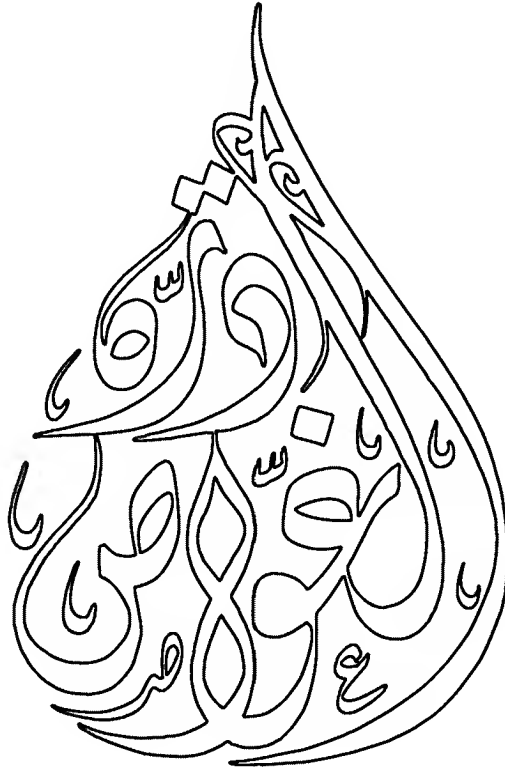
(٢) ط ، م : « أُم الربيع » . (٣) فى نسخة بمحاشيتى ت ، ف : « حلب ناقة » .

(٤) كذا فى ش ، وفى ج : « لفظه » .

(٥) — (٥) من نسخة بمحاشيتى الأصل ، ف : « ما الإنسان ثم يسير يبيت » .

فقلب المعنى لأنه يسير في الضوء .

وقوله : « قرأ إضحيان » ؛ أى ضاحٍ وبارز ، ويقال : « قرأ إضحيان » بالتنوين فيهما جميعاً ، و « قرأ إضحيان » بالإضافة ، ومنه قيل : ليلة إضحيانة ، إذا كانت نقيّة البياض .
وقوله : « منقطع الشسع » ، أراد أنه يبقى بقدر ما تبقى شسع من قدرٍ يمشى به حتى ينقطع .
هـ وقوله : « يُلْتَقط في الجزع » ، أى أنه مضى أبلج ، لو انقطعت مِخْنَقَة فتاة فيها شذورٌ مفصلة بجزعٍ ماضع منها شيء لضياؤه ونقائه . وقوله : « أضيء بالبهرة » ، يعنى به وسط الليل ، لأن بهرة الشيء وسطه . وقوله : « أمكنت المقتفر القفرة » ؛ فالقترف الذى يتبع الآثار ، ومقتفراته مواضعه التى يقصدها ^(١) .



(١) فى نسخة بمحاشيتى الأصل ، ت : « وقفرته : موضع الذى يقصده » .

مَجْلِسِ آخِرِ تَأْوِيلِ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾؛ [الإسراء: ٧٢] فقال: كيف يجوز أن يكونوا في الآخرة عمياً ، وقد تظاهر الخبر عن الرسول عليه وآله السلام بأن الخلق يُحْشَرُونَ كما بُدِنُوا سَالِمِينَ مِنَ الْآفَاتِ وَالْمَاهَاتِ ، قال الله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾؛ [الأعراف : ٢٩]، وقال عز وجل: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾؛ [الأنبياء : ١٠٤]، وقال جل وعلا: ﴿فَبَصَّرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾؛ [ف : ٢٢] . ٥

الجواب ، يقال في هذه الآية أربعة أجوبة^(١):

أحدها أن يكون العمى الأول إنما هو عن تأمل الآيات ، والنظر في الدلالات والمعبر التي أراها الله المكلفين في أنفسهم وفيما يشاهدون ، ويكون العمى الثاني هو عن الإيمان بالآخرة ، والإقرار / بما يُجَازَى به المكلفون فيها من ثواب أو عقاب ، وقد قال قوم: [٢٨] إن الآية متعلقة بما قبلها من قوله تعالى: ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾؛ [الإسراء : ٦٦] إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾؛ [الإسراء : ٧]، ثم قال بعد ذلك: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾؛ يعني^(٢) في هذه النعم ، وعن هذه المعبر ، فهو في الآخرة أعمى ؛ أي هو عما غُيِّبَ عنه من أمر الآخرة أعمى ، ويكون قوله: ﴿فِي هَذِهِ﴾ كناية عن النعم ١٥ لاعتناء الدنيا ويقال : إن ابن عباس رحمه الله عليه سأله سائل عن هذه الآية فقال له: اتل ما قبلها، ونبهه على التأويل الذي ذكرناه .

(١) م : د أوجه . (٢) د ، ف ، حاشيت (من نسخة) : د يعني عن هذه النعم .

والجواب الثاني: ﴿مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ﴾ يعنى الدنيا ﴿أَعْمَى﴾ عن الإيمان بالله والمعرفة بما أوجب عليه المعرفة به ؛ فهو في الآخرة أعمى عن الجنة والثواب ؛ بمعنى أنه لا يهتدى إلى طريقيهما^(١) ، ولا يوصل إليهما ، أو عن الحجة^(٢) إذا سوئل^(٣) ووقوف ، ومعلوم أن مَنْ ضلّ عن معرفة الله تعالى والإيمان به يكون في القيامة منقطع الحجة ، مفقود المعاذير .

• والجواب الثالث: أن يكون العمى الأول عن المعرفة والإيمان ، والثانى بمعنى المبالغة فى الإخبار عن عِظَم ما يناله^(٤) هؤلاء الكفار الجهال من الخوف والغم والحزن الذى أزاله الله عن المؤمنين العارفين بقوله: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس : ٦٢] ، ومن عادة العرب أن تُسمّى مَنْ اشتدَّ همُّه وقوى حزنه أعمى سخين العين ، ويصفون المسرور بأنّه قير^(٥) العين ، قال الله تعالى : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧] .

والجواب الرابع: أن العمى الأول يكون^(٦) عن الإيمان ، والثانى هو الآفة فى العين على سبيل العقوبة ؛ كما قال الله تعالى : ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ . قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا . قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ [صه : ١٢٤ - ١٢٦] . وَمَنْ يُجِيب بهذا الجواب يتأول قوله تعالى : ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَهُ [٢٨] خَلْقٍ نَعِيدُهُ﴾ على أن المعنى / فيه الإخبار عن الاقتدار وعدم المشقة فى الإعادة ؛ كما أنها معدومة فى الابتداء ، ويجعل ذلك نظيرا لقوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ﴾^(٧) عَلَيْهِ﴾ [الروم : ٢٧] ، ويتأول قوله تعالى ﴿قَبْصِرْكَ الْيَوْمَ حَدِيدًا﴾ على أن معناه الإخبار عن قوة المعرفة ، وأن الجاهل بالله فى الدنيا يكون عارفا به فى الآخرة ؛ والعرب

(١) ت ، ف : « طريقهما » . (٢) ت ، ف : « يفقد الحجة » . حاشية الأصل من نسخة : « لفقد الحجة » . (٣) ت ، حاشية ف (من نسخة) : « سئل ووقف » . (٤) فى نسخة بمحاشيتي ت ، ف : « ما ينال » . (٥) ت ، د ، ف : « أنه » . (٦) ساقطة من ف . (٧) حاشية ف : « أهون هاهنا بمعنى الهين ، وإن حمل على المبالغة فهو على مجاز كلام العرب » .

تقول: فلان بصير بهذا الأمر؛ وزيد أبصر بكذا من عمرو، ولا يريدون إِبْصَارَ العين، بل العلمَ والمعرفة؛ ويشهد بهذا التأويل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾، أي: كنتَ غافلاً عما أنت الآن عارف به، فلما أنْ كَشَفْنَا عَنْكَ الْغِطَاءَ بَأْنُ أَعْلَمْنَاكَ وفعلنا في قلبك المعرفة عرفت وعلمت.

فأما الخبر الذي تُدْعَى روايته فهو خبر واحد، ولا حجة^(١) في مثله؛ وإذا عرف لفظه هـ ربما أمكن تأوله على ما يوافق هذا الجواب، ومَنْ^(٢) ذهب إلى الأجوبة الأول يجعل العمى الأول والثاني معاً غير الآفة في العين، فإن عورض بقوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾^(٣) تأوله على العمى عن الثواب أو عن الحجة، وقال في قوله تعالى: ﴿لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ إن معناه: كنت بصيراً في اعتقادي وظنّي، من حيث كنت أرجو الهداية إلى الثواب وطريق الجنة.

والحاصل من هذه الجملة أنه لا يجوز أن يُراد بالعمى الأول والثاني جميعاً الآفة في العين؛ لأنه يؤدي إلى أن كلَّ مَنْ كان مثوف^(٤) البصر في الدنيا؛ من مؤمن وكافر وطائع وعاصٍ يكون كذلك في الآخرة، وهذا باطل وبمثله يبطل أن يراد بلفظة ﴿أَعْمَى﴾ الثانية المبالغة بمعنى أفضل من فلان، ويبطله أيضاً أن العمى الذي هو الخِلَاقَةُ لا يُتَعَجَّبُ منه بلفظة «أفعل» وإنما يقال: ما أشدَّ عماء! ولا يجوز أن يُراد بالعمى الأول العين^(٥) والثاني العمى عن الثواب هـ والجنة أو الحجة، لأننا نعلم أن فيمن^(٦) عميت عينه في الدنيا مَنْ يستحق الثواب، ويوصل إليه، ولا يجوز أن يراد بالأول والثاني العمى عن المعرفة والإيمان، لا على طريقة^(٧) المبالغة والتعجب / ولا على غير ذلك؛ لأننا نعلم أن الجهال بالله تعالى، المعرضين في الدنيا عن معرفته [٢٩] و

(١) ت، وحاشية ف (من نسخة): «واحد لاحجة». (٢) في نسخة بحاشيتي ت،

ف: «يذهب». (٣) في حاشيتي ت، ف: «روى نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم وآله: يحشر الناس يوم القيامة كلهم ولدتهم أمهاتهم حفاة عراة. وفي حديث آخر: غرلا؛ والأغزل: الأكلف؛ ورواه غيره: أن ناسي القرآن يحشر يوم القيامة أعمى». (٤) المثوف: الذي أصابته

الآفة، وفي م: «مكفوف». (٥) ف، ومن نسخة بحاشيتي الأصل، ت: «عمى العين»

(٦) ت، حاشية ف (من نسخة): «ممن». (٧) حاشية ت (من نسخة): «طريق».

لا يجوز أن يكونوا في الآخرة كذلك ؛ فضلاً أن يكونوا على أبلغ من هذه الحالة لأن المعارف في الآخرة ضرورية ، يشترك فيها جميع الناس ، فلم يبق بعد الذي أبطلناه إلا ما دخل في الأجوبة . وعلى الأجوبة الثلاثة الأول إذا أريد بأعمى الثانية المبالغة والتعجب كان في موضعه ؛ لأن عمى القلب وضلاله يتمتع منه بلفظة « أفعل » وإن لم يجز ذلك في

عمى الجارحة ٥

ولن أجب بالجواب الرابع ألاّ يجعل قوله تعالى : ﴿ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى ﴾ لفظه تعجب ، بل يجعله إخباراً عن عماءه من غير تعجب ، وإن عطف عليه بقوله تعالى : ﴿ وَأَضَلَّ سَبِيلًا ﴾ ويكون تقدير الكلام : وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وهو أضل سبيلاً^(١) .

١٠ فإن قيل : ولم أنكرتم التعجب من الخلق بلفظة « أفعل » ؟ . قلنا : قد قال النحويون في ذلك : إن الألوان والعيوب لا يتمتع منها بلفظ التعجب وإنما يُعدّل فيها إلى أشدّ وأظهر وما جرى مجراها ؛ قالوا : لأن العيوب والألوان قد ضارعت الأسماء ، وصارت خِلقة كاليد والرجل ونحو ذلك ؛ فلا يقال : ما أسوده وما أعوره ، كما لا يقال : ما أيداه^(٢) وما أرجله ؛ ويقال : ما أشدّ سواده ! كما يقال : ما أشدّ يده ورجله ! واعتلوا بعلّة أخرى ، قالوا : إن الفعل من الألوان والعيوب على « افعل » و « افعل » ، نحو احمرّ واعورّ واحولّ واحوالّ ، والتعجب لا يدخل فيها^(٣) زاد على ثلاثة أحرف من الأفعال ؛ ألا ترى أنه لا يدخل في انطلق واستخرج ودحرج لزيادته على ثلاثة أحرف^(٤) ؟

(١) حاشية ت ، ف : « لو ذكر رحمه الله المبالغة في الموضعين لكان صواباً ، لأن أفعل في التعجب

فعل ؛ وهو ما هنا اسم كالمبالغة ؛ أولاً ترى أنا نقول في التعجب « ما أحسن » والتقدير : شيء أحسنه » .

(٢) في حاشيتي ت ، ف : « إنما يبنى التعجب من الأفعال دون الأسماء واليد والرجل أسماء » .

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « على ما زاد » ،

(٤) حاشية ف : « إنما امتنعت صورة التعجب في الرباعي ؛ لأن فعل التعجب يكون أبداً أرباعاً

أحرف ؛ أحدها الب النقل والثاني الفعل ؛ فإذا أدخلت على الرباعي لم يكن بد من طرح أحد الحروف ولا يمكن ذلك لأن كلها أصول فعلاها ؛ إذ التعجب يختص الثلاثي فحسب » .

فإن قيل لهم فقد قالوا : عَوِرتُ عينُهُ وحوِلتُ ، قالوا : هذا منقول من «أفعل» وهو في الحكم زائد على ثلاثة أحرف ، يدلّ على ذلك صحة الواو فيه ؛ كما صحت في اسودّ وبيضّ ولولا أنه منقول منه لاعتلت الواو ، فقلت : عارتُ وحالتُ ، كما قيل : خاف وهاب .

وحكى عن الفراء ، في ذلك جوابان : أحدهما أنّ «أفعل» في التعجب فيه زيادة على وصف قبله إذا قال القائل أفضل وأجمل ، فهو أزيد في الوصف من جميل وفاضل ، فلم يقولوا : ما أبيض هـ زيدا ! لثلايسقط / التزيد^(١) ، ولا يكون قبل أبيض وصف يزيد أبيض عليه ، يخالف لفظه [٢٩] ط لفظه ؛ كما خالف أفضل وأجمل فاضلا وجميلا ، فلما فاتهم في أبيض وأحمر علّم التزيد^(٢) أدخلوا عليه ما تبين الزيادة فيه ، وقالوا : ما أظهر حمرة زيد : وما أشد سواد عمرو ! لأن «أظهر» يزيد على ظاهره ، و«أشد» يزيد على شديد^(٣) .

والجواب الآخر أنّ التعجب مبنى على زيادة فصلح أن يتقدّمها نقص وتقصير عن بلوغ التناهي ، فقالوا : ما أعلم زيدا ! ليدلّوا على زيادة علمه ؛ لأنهم في قولهم : عالم وعليم لم يبلغوا في التناهي مبلغ «أعلم» ، ولم يقولوا : ما أبيض زيدا ! لأن البياض لا تأتي^(٤) منه زيادة بعد نقص ، فعدلوا إلى التعجب بأشدّ وأثين وما جرى مجراها ، وهذا الجواب ليس بسديد ؛ لأنّ الألوان قد تتأتى فيها الزيادة بعد نقص ، وقد تدخل فيها المفاضلة ، ألا ترى أنّ ما حلّه قليل أجزاء البياض يكون أخص حالا في البياض مما حلّه الكثير من الأجزاء !

١٥ والجواب الأول الذي حكيناه عن الفراء أصوب ، وإن كان ما قدمناه عن البصريين هو المعتمد^(٥) وقد أنشد بعضهم معترضا على ما ذكرناه قول الشاعر :

(١) في نسخة بحاشيتي ت ، ف : « التزايد » . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « المزيد » .

(٣) في حاشيتي ت ، ف : « متقرر في علم الأصول أن السواد لا يكون أزيد في كونه سواداً من سواد

آخر ؛ وإنما تتكاثر الأجزاء ، فيقال : هذا أشد سواد من ذلك » .

(٤) في نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « لا تتأتى » .

(٥) حاشية ف : « قال ابن السجري : هذان الوجهان متقاربان ، والسيد يفضل الأول ، ولا أدرى

بأيتهما ، إلا أن الأول اعتبار باللفظ والثاني اعتبار بالمعنى » ، وفي حاشية ت : « الجواب الأول مشتمل

على نقي المبالغة في أبيض ، والملة ألا يسقط التزيد ، والجواب الثاني مشتمل على طرف من ذلك الجواب ؛

لأنه يقول إنما لا يمال أبيض على طريق المبالغة ؛ لأن التزايد في البياض لا يتأتى » .

يَا لَيْتَنِي مِثْلُكَ فِي الْبَيَاضِ أَيْضُ مِنْ أُخْتِ بَنِي إِبَاضٍ^(١)
وَأَنْشَدُوا أَيْضاً قَوْلَ الشَّاعِرِ^(٢) :

أَمَّا الْمُلُوكُ فَأَنْتَ الْيَوْمَ الْأُمُّهُمُ لَوْ مَأَّ وَأَبْيَضُهُمْ سِرْبَالُ طَبَّاحٍ
فَأَمَّا الْبَيْتُ الْأَوَّلُ فَإِنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ الْمُبَرَّدَ حَمَلَهُ عَلَى الشَّدُودِ ، وَقَالَ : إِنَّ الشَّاذَّ النَّادِرَ لَا يَطْعَنُ
• فِي الْمَعْمُولِ عَلَيْهِ ، وَالتَّفَقُّ عَلَى صَحَّتِهِ ، وَيَجُوزُ أَيْضاً أَنْ يُقَالَ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي مِثْلُ ذَلِكَ ، وَقَدْ
قِيلَ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي إِنَّ أَيْضُ فِيهِ لَيْسَ هُوَ الَّذِي لِلْمُفَاضِلَةِ ، وَإِنَّمَا هُوَ أَفْعَلُ الَّذِي مَوْثِقُهُ فَعْلَاءُ ،
كَقَوْلِكَ أَيْضُ وَبَيَاضُ ؛ وَيَجْرِي ذَلِكَ كَجَرَى قَوْلِهِمْ هُوَ حَسَنُ^(٣) الْقَوْمِ وَجَهًا ، وَشَرُّهُمْ^(٤)
خُلُقًا ؛ فَكَأَنَّ الشَّاعِرَ قَالَ :^(٥) وَمَبْيَضُهُمْ ، فَلَمَّا أَضَافَهُ انْتَسَبَ مَابَعْدَهُ لِتَمَامِ الْأَسْمَاءِ ، وَهَذَا
أَحْسَنُ مِنْ حَمَلِهِ عَلَى الشَّدُودِ^(٥) .

١٠ ويمكن فيه وجه آخر وهو أن أبيض في البيت وإن كان في الظاهر عبارة عن اللون
[٣٠] فهو في المعنى / كناية عن اللؤم والبخل ، فحمل لفظُ التمتع على المعنى دون اللفظ ،

(١) البيت في اللسان (بيض) ، وروايته فيه :

جَارِيَةٌ فِي دِرْعِهَا الْفَضْفَاضِ أَيْضُ مِنْ أُخْتِ بَنِي إِبَاضِ

وفي حاشية ف : « أبيض ، بالرفع على تقدير : أنت أبيض ، وبالفتح على أنه حال من أنا أو أنت
وإياض : اسم رجل » .

(٢) في حاشيتي ت : « قال السيد المرتضى رضى الله عنه : هو الحنيفة ؛ وإنما أراد ذمه بقلة الفري
في بيته ، فطباخه نقي الثوب » .

والبيت في ديوانه : ١٥ ، وروايته فيه :

إِنْ قُلْتَ نَصْرٌ فَنَصْرٌ كَانَ شَرَفَتِي قَدَمًا وَأَبْيَضُهُمْ سِرْبَالُ طَبَّاحٍ

وهو أيضا في اللسان (بيض) ، وروايته فيه :

إِذَا الرِّجَالُ اسْتَوَوْا وَاسْتَدَّ أَكْلُهُمْ فَأَنْتَ أَبْيَضُهُمْ سِرْبَالُ طَبَّاحٍ

(٣-٣) حاشية ت (من نسخة) : « هو أحسن القوم وجها وأشرفهم خلقا » .

(٤) حاشية ف : « مبيضهم ؛ أى أبيضهم ، لا بمعنى المبالغة » .

(٥) حاشية ف : « تحقيق ما قدره السيد أن يكون أبيضهم سربال طباح » ليس معناه التمتع
والمعنى مبيضهم سربال طباح ، ويؤول المعنى إلى أن سربال طباحه أبيض فحسب ولا يعنى أنه أشد بياضا من
سربال غيره » .

ولو أراد أبيضهم بياض الثوب ونقاءه على الحقيقة لما جاز أن يتعجب بلفظة «أفعل» ، فالذى جَوَزَ تعجبه بهذه اللفظة ماذكرناه .

فأما قول المتنبي :

أَبْعَدُ بَعْدَتَ بَيَاضًا لَابْيَاضَ لَهُ لَأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي مِنَ الظُّلَمِ (١)

فقد قيل فيه إن قوله : «لأنت أسود في عيني» كلام تام ، ثم قال : «من الظلم» أى من جملة الظلم ؛ كما يقال : حرٌّ من أحرار (٢) ، ولثيم من لثام ؛ أى من مجلّتهم ، وقال الشاعر (٣) :

وَأَبْيَضُ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ كَأَنَّهُ شَهَابٌ بَدَأَ وَاللَّيْلُ دَاجٍ عَسَا كَرُهُدُ

كأنه قال : وأبيض كائن من ماء الحديد ، وقوله : «من ماء الحديد» وصف لأبيض ، وليس يتصل به كاتصال «من» بأفضل فى قولك : هو أفضل من زيد ، ولفظة «من» فى بيت المتنبي مرفوعة الموضع ، لأنها ووصف لأسود ؛ وإذا أريد المفاضلة والتعجب كانت منصوبة ١٠ الموضع بأسود (٤) كما تقول زيد خير منك ، فمنك فى موضع نصب بخير ، كأنه قال : قد خارك بخيرك ، أى فضلك فى الخير ؛ وهذا التأويل المذكور فى بيت المتنبي يمكن أن يقال فى قول الشاعر :

* أبيضُ من أختِ بنى إِباضِ *

ويحمل على أنه أراد من مجلّتها ومن قومها ، ولم يرد التعجب وتأوّل على هذا الوجه أولى ١٥ من حمّله على الشذوذ ، فأما قول المتنبي :

* أَبْعَدُ بَعْدَتَ بَيَاضًا لَابْيَاضَ لَهُ *

(١) ديوانه ٤ : ٣٥ ؛ وهو يخاطب الشيب ، وقبلة

ضَيْفُ أَلَمَ بِرَأْسِي غَيْرَ مُحْتَشِمٍ وَالسَّيْفُ أَصْدَقُ فِعْلاً مِنْهُ بِاللَّمَمِ

(٢) ثر ، ف ، وحاشية ت (من نسخة) : « حر من الأحرار ولثيم من اللثام » .

(٣) البيت فى شرح العكبرى لبيت المتنبي ، أورده من غير عزو .

(٤) حاشية ف : « إذا قلت زيد أضرب من عمرو كان الجار مع المجرور فى موضع النصب على المفعول

بمن حال الجار والمجرور ؛ لأنه على تقدير : غالب زيد عمرا فى الضرب فقلبه ؛ فيكون إذا « من عمرو » فى موضع النصب ؛ لأنه فى معنى المفعول على ماذكرناه » .

فاللعنى الظاهر للناس فيه أنه أراد: لا ضياء له ولا نور ولا إشراق، من حيث كان
خُلُوهُ محزنًا مؤذنا بتقضى الأجل؛ وهذا كعمري معنى ظاهر؛ إلا أنه يمكن فيه معنى آخر؛
وهو أنه يريد إنك بياض لا لون بعده، لأن البياض آخر ألوان الشعر، فجعل قوله:
« لا بياض له » بمنزلة قوله: لا لون بعده، وإنما سَوَّغَ ذلك له أن البياض هو الآتى بعد
السواد، فلما نفي أن يكون للشيب بياض كان نفياً لأن يكون بعده لون.

٥١

وقد اختلف القراء في فتح الميم وكسرها من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ﴾
[٣٠] / فَهَوَىٰ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ، فقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو عمرو بفتح الميمين معا، وقرأ عاصم
في رواية أبي بكر وحمزة والكسائي بكسر الميم فيهما معا^(١)، وفي رواية حفص عن عاصم:
لايكسرها، وكسر أبو عمرو الأولى وفتح الأخيرة: ولكل وجه، أما مَنْ تَرَكَ إمالة الجميع؛
فإن قوله حسن، لأن كثيراً من العرب لا يُميلون هذه الفتحة، وأما مَنْ أَمَالَ الجميع فوجه
قوله أن ينحو بالألف نحو الياء، ليعلم أنها تنقلب إلى الياء^(٢)، وأما قراءة أبي عمرو بإمالة الأولى
وفتح الثانية فوجه قوله أنه جعل الثانية أفعَل من كذا مثل أفضل من فلان، وإذا جعلها
كذلك لم تقع الألف في آخر الكلمة؛ لأن آخرها إنما هو من كذا، وإنما تحسن الإمالة في
الأواخر، وقد حذف من «أفعل» الذى هو للتفضيل الجار والمجرور جميعا، وهما رادان في المعنى
١٥ مع الحذف، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَىٰ﴾؛ [طه: ٧]، المعنى
وأخفى من السر، فكذلك قوله تعالى: ﴿فَهَوَىٰ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾، أى أعمى منه في الدنيا
أو أعمى من غيره، ويقوى هذه الطريقة ما عطف عليه من قوله تعالى: ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾
فكما أن هذا لا يكون إلا على «أفعل من كذا» كذلك المعطوف عليه.

(١) ت، ونسخة بحاشيتي ت، ف: « جميعا ».

(٢) في حاشيتي الأصل، ف: « على هذا الوجه لا تميل بحال؛ إلا إذا كانت الكلمة من بنات

الياء؛ فأما إذا لم تسكن من بنات الياء فلا تميل، والأعمى أصله عمى، فهو إذاً من بنات الياء ».

تَأْوِيلُ خَبَرِ

روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « تَقَىءُ الْأَرْضُ أَفْلَاذَ كَبِدِهَا مِثْلَ الْأَسْطُوَانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ فَيَقُولُ فِي مِثْلِ هَذَا : قَتَلْتُ ، وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ الرَّحِمِ ^(١) فَيَقُولُ فِي مِثْلِ هَذَا : قَطَعْتُ رَحِمِي ، وَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ فِي مِثْلِ هَذَا : قَطَعْتُ يَدِي ، ثُمَّ يَتْرَكُونَهُ وَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئًا » .

- معنى « تَقَىءُ » أي تخرج ما فيها من الذهب والفضة ، وذلك من علامات قُرْبِ الساعة ، وقوله : « تَقَىءُ » تشبيه واستعارة من حيث كان إخراجا وإظهاراً ؛ وكذلك تسميته ^(٢) مافي الأرض من الكنوز « كِبِدًا » تشبيهاً ^(٣) بالكبد التي في بطن البعير وغيره ؛ وللعرب في هذا مذهب معروف ؛ قال مُرَّةُ بْنُ مَحْكَانَ ^(٤) السَّعْدِيُّ يَصِفُ قِدْرًا نَصَبَهَا لِلْأَضْيَافِ :
- لَهَا أَزِيْزٌ يُزِيلُ اللَّحْمَ أَزْمَلُهُ عَنْ الْعِظَامِ إِذَا مَا اسْتَحْمَشَتْ غَضَبًا ^(٥)
| تَرْنِي الصَّلَاةَ بِنَبْلِ غَيْرِ طَائِشَةٍ وَفَقًّا إِذَا آنَسْتُ مِنْ تَحْتِهَا لَهْبًا ^(٦) [٣١]
- فوصفها بالغضب تشبيهاً واستعارة ، فأما الأَزِيْزُ فهو الغليان ، والعرب تقول : لجوفه أَزِيْزٌ مِثْلُ أَزِيْزِ الْمِرْجَلِ ، وَالْأَزْمَلُ : الصوت ، واستَحْمَشَتْ ، أي غَضِبَتْ ؛ يقال : حَمَشَهُ أَيِ أَغْضَبَهُ ، وقال النابتة الجعدي في معنى الاستعارة :

(١) ف ، ونسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « لرحم » .

(٢) د ، وحاشية ت (من نسخة) : « تسمية » .

(٣) ش ، ونسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « تشبيه » .

(٤) ضبط بالقلم في ت بفتح الميم ، وفي ف بالفتح والكسر معا .

(٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « استحمت » ، بالبناء للمجهول وفي حاشيتي ت ، ف « أحمت الرجل وحشته ؛ أي أغضبه فاحتمش واستحش ، والحشة الاسم كالحشة ؛ واحتمش الديكان : افتتلا » .

وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « قبله » :

نَصَبْتُ قِدْرِي لَهُمْ وَالْأَرْضُ قَدْ لَبِسَتْ مِنْ الصَّقِيعِ مُلَاءَ جِدَّةٍ قُشْبًا

سلا : جمع ملاءة ، قشبا : جمع قشيب ؛ وهو الجديد .

(٦) في حاشيتي الأصل ، ف : « الصلاة : جمع صال . غير طائشة : غير مخضبة . وفقا ، أي رميا وفقا ؛ شبه ما ترى به النار من نيرانها بالنبل ؛ أي كلما اشتدت النار تحت القدر اشتد غليها بقدر اشتداد انار تحتها » .

سَأَلْتَنِي عَنْ أَنَاسٍ هَلَكُوا شَرِبَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ وَأَكَلُ^(١)

فوصف الدهر بالأكل والشرب تشبيها واستعارة . وقال قوم : معنى البيت شرب أهل الدهر بعدهم وأكلوا .

واختلف أهل اللغة في الأفلاذ ، فقال يعقوب بن السكيت : الفلذ لا يكون إلا للبعير ، وهو قطعة من كبده^(٢) ، ولا يقال فلذ الشاة ، ولا فلذ البقرة ، ويقال : أعطني فلذاً من الكبد ، وفلذة من الكبد ، قال أعشى باهلة :

تَكْفِيهِ حَزَّةٌ فَلِذَا إِنَّ أَلَمَّ بِهَا مِنْ الشَّوَاءِ وَيُرْوَى شُرْبُهُ الْغُمَرُ^(٣)

الغمر : القدح الصغير ؛ وقال يعقوب : ولا يقال : أعطني حُرَّةً من سنام ولا من لحم ، وإنما الحُرَّة في الكبد خاصة ؛ فإذا أرادوا ذلك من السنام واللحم قالوا : أعطني^(٤) حَذِيَّةً من لحم ؛ وهي القطعة الصغيرة ، وفِلَقَةٌ من سنام ، وقال الطوسي^(٥) عن أبي عبيد عن الأصمعي قال : يقال : أعطني حَذِيَّةً^(٦) من لحم ، وحُرَّةً من لحم ؛ إذا كانت مقطوعة طولا ، فإذا كانت مجتمعة قلت : أعطني بَضْعَةً من لحم ، وهَبْرَةً من لحم ، ووَذْرَةً من لحم .

ومثل هذا الحديث قوله : ﴿ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ [الزلزال : ٢] . معناه أخرجت ما فيها من الكنوز ، وقال قوم : عني به الموتى ، وأنها أخرجت موتاها ، فسمي

(١) ت ، د ، ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « بأناس » .

(٢) حاشية الأصل : « ذكر ابن الشجري : الفلذ كبد البعير خاصة ؛ وليس بقطعة من الكبد ؛ وكذا ذكره ابن السكيت » . (٣) من قصيدة له يرثي بها المنتشر بن وهب الوائلي ، أولها :

إِنِّي أُتَيْتُ بِشَيْءٍ لَا أُسْرُ بِهِ مِنْ عَلَوٍ لَا عَجَبُ فِيهِ وَلَا سَخَرُ

وهي في (أمالى اليزيدي ١٣ - ١٨ ، وجهرة الشعر ٢٨٠ - ٢٨٣ ، والأصمعيات ٣٢ ، ٣٥ ، والكامل - بشرح المصنف ٨ : ٢١١ - ٢١٢) ويذكرها المؤلف فيما بعد .

(٤) ش ، س : « حذية » ؛ بضم الحاء وكسر ها .

(٥) حاشية ت : « أبو الحسن علي بن عبد الله الطوسي » .

(٦) كذا ضبط بالقلم في الأصل ، ت ، ف ، وفي الحواشي : « المروف : الحذية ، بالكسر ؛ وهي القطعة من اللحم على الطول . والحذوة (مثناة الحاء) : العطية » .

تعالى الموتى ثَقُلًا^(١) تشبيها بالحمل الذى يكون فى البطن ، لأن الحمل يسمى ثَقُلًا ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَثْقَلْتُ ﴾ [الأعراف : ١٨٩] . والعرب تقول : إن للسيد الشجاع ثَقُلًا على الأرض ، فإذا مات سقط عنها بموته ثَقُلٌ ، قالت الخنساء تَرَى أَخَاهَا صَخْرًا : أَبْعَدَ ابْنِ عَمْرٍو مِنْ آلِ الشَّرِيدِ حَلَّتْ بِهِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا^(٢)

معناه أنه لما مات حلَّ عنها بموته ثَقُلٌ لسؤدده^(٣) وشرفه ، وقال قوم : معنى « حَلَّتْ » [٣١] ظ
زَيَّنَتْ موتها به ، وهو مأخوذ من الحِلْيَةِ ؛ وقال السَّمَرْدُلى اليربوعى يَرَى أَخَاهُ : وَحَلَّتْ بِهِ أَثْقَالُهَا الْأَرْضُ وَأَنْتَهَى لِمَثْوَاهُ مِنْهَا وَهُوَ عَفٌّ شَمَائِلُهُ^(٤)

وروى هشام بن المنذر^(٥) قال : قال زهير بن أبى سلمى المُرْنِى بيتاً ثم أكَدَى ، ومَرَّ به النابغة الذُّبْيَانِى فقال له : يَا أَبَا أُمَامَةَ ، أَجِزْ ، قال : ماذا ؟ قال :

تَزَالُ الْأَرْضُ إِمَامَةً خِفًّا وَتَحْيَا مَاحِيَتَ بِهَا ثَقِيلًا^(٦)
نَزَلَتْ بِمُسْتَقَرِّ الْعِزِّ مِنْهَا

فماذا قال ؟ فأكَدَى والله النابغة أيضا ، وأقبل كعب بن زهير وهو غلام ، فقال له

(١) فى نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « أَثْقَالًا » .

(٢) ديوانها ٢٠١ .

(٣) ت ، ج ، ف : « بسؤدده » .

(٤) البيت من قصيدة مذكورة (فى أمالى اليزيدى ٣٢ - ٣٤ ، والأغانى ١٢ : ١١٣ - ١١٤ ، وأبيات منها فى ابن أبى الحديد ٤ : ٣٨٣ ، وحماسة ابن الشجرى ٨٣) وفى حاشيتى الأصل ، ف : شمائله : أخلاقه ، والواحد شمال ، بالكسر ، قال الشاعر :

* وَمَا لَوْمِى أَخِي مِنْ شِمَالِيَا *

(٥) فى حاشيتى الأصل ، ف : « نسخة ابن قدامة : وروى أبو المنذر همام بن محمد بن السائب قال قال زهير » . والذى فى الأصل يوافق ش ، ص . وفى م : « أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب » .

(٦) ت ، د ، ونسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « تراك » ، وفى حاشيتى الأصل ، ت : « يقول : لمن مت صارت الأرض خفيفة بموتك ، وإن تحيا بقيت ثقبلة » .

أبوه : أجز يا بُنَيَّ ، فقال : ماذا ؟ فأنشده البيت الأول ، ومن الثانى قوله : « بِمَسْتَقَرِّ الْعِزِّ مِنْهَا » فقال كعب :

* فَمَنْعُ جَانِبَيْهَا أَنْ يَزُولَا *

فقال زهير : أنت والله ابنى .

• وإنما خَصَّ الكَبِيدَ من بين ما يشتمل عليه البطن ، لأنه من أطايب الجزور ، والعرب تقول : أطايب الجزور : السَّنام ، والمِلْحَاءُ^(١) ، والكَبِيدُ .

قال سيدنا الشريف الأجل المرتضى ، أدام الله علوه : وإنى لأستحسن قول الخنساء^(٢) ، وقد قيل لها : ما مدحت أخاك حتى هجنت^(٣) أباك ، فقالت :

جَارَى أَبَاهُ فَأَقْبَلَا وَهُمَا يَتَعَاوَرَانِ مُلَاءَةً الْحُضْرِ^(٤)
حَتَّى إِذَا نَزَّتِ الْقُلُوبُ وَقَدْ لَزَّتْ هُنَاكَ الْعَذْرُ بِالْعَذْرِ^(٥)
وَعَلَا هُتَافُ النَّاسِ : أَيُّهُمَا ؟ قَالَ الْمُجِيبُ هُنَاكَ : لَا أَذْرِ
بَرَزَتْ صَفِيحَةُ وَجْهِ وَالِدِهِ وَمَضَى عَلَى غُلُوءَائِهِ يَجْرِى
أَوَّلَى فَأَوَّلَى أَنْ يُسَاوِيَهُ لَوْلَا جَلَالُ السَّنِّ وَالْكُبَرِ
وَهُمَا كَأَنَّهُمَا وَقَدْ بَرَزَا صَقْرَانِ قَدْ حَطَّآ إِلَى وَكْرِ

١٠

(١) الملحاء : وسط الظهر ؛ ما بين الكاهل إلى العجز .

(٢) حواشى الأصل ، ت ، ف : « كانت الخنساء كثيرة المدح لأخيها ، ف قيل لها : قد فضلتك على أهلك ، فقالت هذه الأبيات » . وهى فى (زهر الآداب) ؛ : ٦٧ وحامسة ابن الشجرى ١٠٤ ، والبيت الأول فى خزنة الأدب ٣ : (٢٧٧) .

(٣) ف ، ونسخة بحاشيتى ت ، الأصل : « هجوت » ، وفى حواشى الأصل ، ت ، ف : « وروى : ما أبنت أخاك حتى هجنت أباك » .

(٤) فى حاشيتى الأصل ، ف : « بارى أباه ، تعنى أخاها ، ويتعاوران : يتداولان ، والحضر العدو » .

(٥) فى حاشيتى الأصل ، ف : « نزت : ارتفعت ، ولزت : لصقت ، يعنى ؛ حتى تحرك قلوب النظارة ، والعذر : جرم العذار ؛ يعنى عذارى فرسيهما فى التسابق ؛ وهو استعارة » .

ويقال : إنه قيل لأبي عبيدة : ليس هذه الأبيات في مجموع شعر الخنساء ، فقال أبو عبيدة : العامة أسقط من أن يُجدد عليها بمثل ذلك .

ولعمري إنها قد بلغت في مدح أخيها من غير إزراء على أبيها / النهاية ، لأنها جعلت [٣٢]
تقدّم أبيه له عن قُدرة منه على المساواة ، وعن غير تقصير منه ، وإنما (١) أفرّج له عن السبق معرفةً بحقه ، وتسليماً لكُبره وسنه ، وكأنّ الخنساء نظرت في هذا المعنى إلى قول زهير ٥
يصف حمار وحش (٢) :

فَشَجَّ بِهَا الْأَمَازَ فَهِيَ تَهْوِي هُوِيَّ (٣) الدَّلُو أَسْلَمَهَا الرَّشَاءُ (٤)
فَلَيْسَ لِحَاقِهِ كِلْحَاقِي إِلْفٍ وَلَا كِنَجَاجِيهَا مِنْهُ نَجَاءُ (٥)
يُقَدِّمُهُ إِذَا احْتَفَلَتْ عَلَيْهَا تَمَامُ السَّنِّ مِنْهُ وَالذِّكَا (٦)

١٠ ويشبه أن يكون الكُميت أخذ من الخنساء قوله في مَخْلَد بن يزيد بن المهلب :
مَا إِنِ أَرَى كَأَيْبِكَ أَدْرَكَ شَأْوُهُ أَحَدٌ وَمِثْلَكَ طَالِبًا لَمْ يُلْحَقْ
تَتَجَاذِبَانِ ؛ لَهُ فَضِيلَةٌ سِنَّهُ وَتَلَوْتَ بَعْدُ مُصَلِّيًا لَمْ تُسَبِّقْ (٧)

(١) ت : « وإنه » . (٢) الأبيات في ديوانه : ٦٧ - ٦٩ . (٣) ضبطت في ت بضم الهاء وفتحها معا . (٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « أي شج الحمار بالأذن الأماز ، أي علا الأماز بهن ، والأماز : الأرض الصلبة ، وكذلك المعزاء ، والهوى : السقوط إلى أسفل ، وكذلك الهوى في السير . وبعد هوى من الليل ؛ أي هزيع ؛ وقيل : الهوى [بالضم] الارتفاع . »
(٥) في حاشيتي الأصل ، ف : « يقول : ليس يلحق شيء في السرعة كما يلحق الحمار في سرعته ، والمراد بالإلف صاحبه . ولا كنجائها ؛ أي ليس شيء ينجو كنجائها ، أي ليس شيء ينجو كنجاء الاثنان ؛ أي لا يهرب هارب كبيرها ، ولا يلحق لاحق كلحقه » .

(٦) احتفلت : اجتهدت وتأهبت ؛ ورواية الديوان :

يُفَضِّلُهُ إِذَا اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ تَمَامُ السَّنِّ مِنْهُ وَالذِّكَا

(٧) د ، ش ، ونسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « تنجاريان » ؛ وفي حاشيتي الأصل ، ف : « قوله تنجاذبان ، في موضع الحال من قوله : « ما إن أرى كأبيك » ، ومثلك ، أي مارأيت مثلك ومثل أبيك في حال مجاذبتهما ومجاراتهما في المجد والشرف . وقوله : « له فضيلة سنه » جملة مستأنفة من مبتدأ وخبر ؛ المعنى يقول : إن سبقك أبوك فلا غرو ، فإنه لم يسبق قط ، وإن سبقته فأنت جدير بالسبق » .

إِنْ تَنَزَّعَ وَلَهُ فَضِيلَةٌ سَبَقَهُ
فَبِمَثَلِ شَأْنِ أَبِيكَ لَمْ يُتَعَاقَرِ
وَلَنْ لَحِقَّتْ بِهِ عَلَى مَا قَدْ مَضَى
مَنْ بَعْدَ غَايَتِهِ فَأَحْجَرِ وَأَخْلِقِ

ويشبه هذا المعنى قول المؤمل بن أميل الكوفي المخاربي يمدح المهدي في حياة المنصور:

لَنْ فُتَّ الْمُلُوكُ وَقَدْ تَوَافَوْا
إِلَيْكَ مِنَ السَّهُولَةِ وَالْوُغُورِ^(١)
لَقَدْ فَاتَ الْمُلُوكَ أَبُوكَ حَتَّى
بَقُوا مِنْ بَيْنِ كَابٍ أَوْ حَسِيرِ^(٢)
وَجِئْتَ وَرَاءَهُ تَجْرِي حَثِيثًا
وَمَا بِكَ حَيْثُ تَجْرِي مِنْ فَتُورِ

(١) خبر هذه الأبيات في أمالي النرجاجي : ٦٠ - ٦٢ : « وفد المؤمل بن أميل على المهدي بالري فامتدحه ، فأمر له بعشرين ألف درهم ؛ فاتصل الخبر بالمنصور ؛ فكتب إليه يعذله ويقول : إنما كانت سبيلك أن تأمر للشاعر بعد أن يقوم ببابك سنة بأربعة آلاف درهم ؛ وكتب إلى كاتبه بإفاد الشاعر إليه ، فسأل عنه فقيل له : قد شخص إلى مدينة السلام ، فكتب إلى المنصور بخبره ، فأفاد المنصور قائدا من قواده إلى النهروان يتصفح وجوه الناس ؛ حتى وقع بيده المؤمل ، فأثنى به المنصور ، فقال له : أثبت غلاماً غراً نخدعته ! قال : نعم يا أمير المؤمنين ! أثبت غلاماً غراً كريماً نخدعته فانخدع لي ؛ فكأن ذلك أعجبه ، فقال له : أنشدني ما قلت فيه ؛ فأنشده :

هُوَ الْمَهْدِيُّ إِلَّا أَنْ فِيهِ
مِثَالُ صُورَةِ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ
تَشَابَهَ ذَا وَذَا فَهَمَّا إِذَا مَا
أَنَارَا مُشْكِلاَنِ عَلَى الْبَصِيرِ
فَهَذَا فِي الظَّلَامِ سَرَّاجُ نَارٍ
وَهَذَا فِي النَّهَارِ سَرَّاجُ نَوْرٍ
وَلَكِنْ فَضَّلَ الرَّحْمَنُ هَذَا
عَلَى ذَا الْمَنَابِرِ وَالسَّرِيرِ
وَبِالْمُلْكِ الْعَزِيزِ فَذَا أَمِيرٌ
وَمَاذَا بِالْأَمِيرِ وَلَا الْوَزِيرِ
وَنَقَصُ الشَّهْرِ يَحْمِدُ ذَا وَهَذَا
مُنِيرٌ عِنْدَ نَقْصَانِ الشُّهُورِ
فِيَا بْنَ خَلِيفَةِ اللَّهِ الْمُصَفَّى
بِهِ تَعْلَى مُفَاخَرَةُ الْفَخُورِ
لَنْ فُتَّ الْمُلُوكُ

فقال : أحسنت ، ولكن لا يساوي عشرين ألف درهم ، ثم قال : أين المال ؟ فقال : ها هوذا ، قال ياربيع : أعطه منه أربعة آلاف درهم ، وخذ الباقي ، ففعل ؛ فلما صارت الخلافة إلى المهدي رفع المؤمل إليه يذكر قصته ، فضحك ، وأمر برد المال إليه ، فرد .

(٢) السكابي : المتغير الآون ، والخسير : المبي .

فَقَالَ النَّاسُ مَا مِنْ ذِي إِلاَّ بِمَنْزِلَةِ الْخَلِيقِ مِنَ الْجَدِيرِ^(١)
فَإِنْ سَبَقَ الْكَبِيرُ فَأَهْلُ سَبَقِ
وَإِنْ بَلَغَ الصَّغِيرُ مَدَى كَبِيرِ
وَمِنْ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ الشَّاعِرِ :

حَيَاةٌ جَرَتْ فِي حَبِيَّةٍ فَتَفَاضَلَتْ عَلَى قَدَرِ الْأَسْنَانِ وَالْعِرْقِ وَاحِدُ^(٢) ٥

وَمِمَّا لَهُ بِهِذَا الْمَعْنَى بَعْضُ الشَّبَهِ ، وَإِنْ لَمْ يُذَكَّرْ فِيهِ السَّنُّ وَتَفْضِيلُ الْكَبِيرِ قَوْلُ زُهَيْرٍ :

[٣٢] هُوَ الْجَوَادُ فَإِنْ يَأْخُذْ بِشَاوِهِمَا عَلَى تَكَالُيفِهِ فَمِثْلُهُ لَحِقًا^(٣) ٥

أَوْ يَسْبِقَاهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ مَهْلٍ فَمِثْلُ مَا قَدَّمَ مِنْ صَالِحٍ سَبَقَا

وَرَوَى أَنَّهُ غُرِضَتْ عَلَى جَعْفَرٍ^(٤) بَنُ يَحْيَى بْنِ خَالِدِ الْبَرِّ مَكِّيَّ جَارِيَةِ شَاعِرَةٍ ، فَأَرَادَ أَنْ يَبْلُوهَا

فَقَالَ لَهَا : قُولِي فِي مَعْنَى بَيْتِي زُهَيْرِ الَّذِينَ ذَكَرْنَاها ، فَقَالَتْ :

(١) فِي حَاشِيَتِي الْأَصْلِ ، ف : « أَيْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَبِيكَ مِنَ الْفَرْقِ وَالْتِفَاوُتِ إِلَّا مِثْلُ مَا بَيْنَ الْخَلِيقِ وَالْجَدِيرِ ، وَمَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ » .

(٢) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ : « أَيْ عَلَى الْكَبِيرِ وَالضَّعْفِ فِي السَّنِّ . وَالْعِرْقُ : الْأَصْلُ » .

(٣) الْبَيْتَانِ فِي دِيْوَانِهِ : ٥١ - ٥٢ ؛ وَقَبْلَهُمَا :

يَطْلُبُ شَاوُ امْرَأَيْنِ قَدَّمَمَا حَسَنًا نَالَا الْمُلُوكَ وَبَدَأَا هَذِهِ السُّوْقَا
وَالشَّأَوُ : الْغَايَةُ ، وَأَرَادَ بِالْمُرَأَيْنِ أَبَاهُ وَجَدَهُ .

(٤) حَاشِيَةُ ف : « قِيلَ : لَمَّا قَتَلَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى وَصَلَ بِبَابِ الْجِسْرِ ، رَأْسُهُ فِي نَاحِيَةٍ ، وَجَسَدُهُ فِي نَاحِيَةٍ مَرَّتْ بِهِ امْرَأَةٌ عَلَى حِمَارٍ فَارِهِ ، فَوَقَفَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ نَظَرَتْ إِلَى النَّاسِ فَقَالَتْ بِلِسَانٍ فَصِيحٍ : وَاللَّهِ لَأَنْ صَرْتُ الْيَوْمَ آبَةً ؛ لَأَقْدَكُنْتُ فِي الْمَسْكَارِمِ غَايَةً ؛ ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ :

وَلَمَّا رَأَيْتُ السَّيْفَ خَالِطَ جَعْفَرًا وَنَادَى مُنَادٍ لِلْخُلَيْفَةِ فِي يَحْيَى
بَكَيْتُ عَلَى يَحْيَى وَأَيَقَنْتُ أَنَّهَا قُصَارَى الْفَتَى يَوْمًا مَفَارِقَةُ الدُّنْيَا
وَمَا هِيَ إِلَّا دَوْلَةٌ بَعْدَ دَوْلَةٍ تُخَوِّلُ ذَا نِعْمَى وَتُعَقِّبُ ذَا بَلْوَى
إِذَا أُنْزِلَتْ هَذَا مَنَازِلَ رِفْعَةٍ مِنَ الْمَلِكِ حَطَّتْ ذَا إِلَى غَايَةِ سُفْلَى
ثُمَّ حَرَكْتَ الْحِمَارَ ؛ فَيَكُنَّهَا كَانَتْ رِيحًا لَمْ تَعْرِفْ » .

بَلَّغْتَ - أَوْ كِدْتَ - يَحْيَى أَوْ لَحِقْتَ بِهِ فَنِلْتُمَا خَالِدًا فِي شَأْوٍ مُسْتَبَقٍ
لَكِنْ مَضَى وَتَلَا يَحْيَى فَأَنْتَ لَهُ تَالِي تَعَلَّيْتُ دُونَ الرَّكْضِ بِالْعَنْقِ^(١)

ومن أحسن ما قيل في المساواة والمقاربة - وهو داخل في هذا المعنى، مناسب له - قول عبادة

ابن شبل :

٥ إذا اخْتَرْتَ مِنْ قَوْمٍ خِيَارَ خِيَارِهِمْ فَكُلُّ بَنَى عَبْدٍ الْمَدَانِ خِيَارُ
جَرَوْا بَعْنَانٍ وَاحِدٍ فَضْلُ بَيْنِهِمْ بَأْنُ قِيلَ قَدْ فَاتَ الْعِذَارُ عِذَارُ^(٢)
وقول الكميت بن زيد :

مُصَلِّ أَبَادُ لَهُ سَابِقُ بَأْنُ قِيلَ فَاتَ الْعِذَارُ الْعِذَارُ^(٣)
ومثله قول العتابي - وهو مليح^(٤) جداً :

١٠ كَمَا تَقَازَفُ جُرْدٌ فِي أُعْنَتِهَا سَبَقًا بِأَذَانِهَا مَرًّا وَبِالْعُذْرِ^(٥)

وأول من سبق إلى هذا المعنى زهير في قوله يصف مطايرة البازي القطة^(٦) ومقاربتة لها:
دُونَ السَّمَاءِ وَفَوْقَ الْأَرْضِ قَدَرُهُمَا عِنْدَ الذَّنَابِ فَلَا فَوْتُ وَلَا دَرَكُ^(٧)

وقد لاحظ أبو نواس هذا المعنى في قوله يمدح الفضل بن الربيع ، ويذكر مقاربتة لأبيه
في الفضل^(٨) والسودد :

(١) ش ، وحاشية ت (من نسخة) : « تملل » . وفي حاشيتي الأصل ، ف : « العنق دون الركض ، أى أنك تتعلل بالعنق لبقاء وحشمة لأبيك وجدك ، ولوسرت ركضا لسبقتهما » .

(٢) العذار من اللجام : ماسال على خد الفرس .

(٣) المصلى : الثانى من خيول السبق .

(٤) حاشية ت (من نسخة) : « حسن » .

(٥) ج ، ونسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « تقاذف » ، بفتح الفاء . وفي حاشيتي الأصل ، ف : « تقاذف ، أى تتسابق في عنان واحد ، على حد واحد ؛ لانسبق إحداها على الأخرى إلا بأذن أو بعنان »
وفرس أجرد ؛ قصير الشعر رقيقه .

(٦) د ، حاشية ت (من نسخة) : « للقطة » .

(٧) ديوانه : ١٧٤ ، الذنابي : الذنب ، وفي حاشيتي ت ، ف : « عند الذنابي مستأنف ، أى

الصقر عند ذنابي القطة » . (٨) ف ، ونسخة بحاشية ت : « المجد » .

نَمَّ جَرَى الْفَضْلُ فَانْتَهَى قَدُمًا دُونَ مَدَادٍ مِنْ غَيْرِ تَرْهِيْقٍ^(١)
فَقِيلَ رَاشَا سَهْمًا يُرَادُ بِهِ الدَّ غَايَةُ وَالنَّصْلُ سَابِقُ الْفُوقِ^(٢)

ويشاكل ذلك قولُ البحتري في ابن أبي سعيد الثغرِي :

جَدُّ كَجَدِّ أَبِي سَعِيدٍ إِنَّهُ تَرَكَ السَّمَاءَ كَأَنَّهُ لَمْ يُشْرِفِ^(٣)
قَاسَمَتُهُ أَخْلَاقَهُ وَهِيَ الرَّدَى لِلْمُعْتَدِي، وَهِيَ النَّدَى لِلْمُعْتَنِي
/ فَإِذَا جَرَى مِنْ غَايَةٍ وَجَرَبَتْ مِنْ أُخْرَى التَّقَى شَأْوَا كَمَا فِي الْمَنْصَفِ

ويشبهه أيضاً قوله :

وَإِذَا رَأَيْتَ شَمَائِلَ ابْنِي صَاعِدٍ أَدَّتْ إِلَيْكَ شَمَائِلَ ابْنِي مُخْلَدٍ^(٤)
كَالْفَرَقْدَيْنِ إِذَا تَأَمَّلَ نَاطِرٌ لَمْ يَعْلَمْ مَوْضِعُ فَرَقْدٍ عَنْ فَرَقْدٍ

فأما قول الخنساء: « يتعاوران مُلأة الخُضْر »، فهي تعني بالملأاة الغبار ، وإن عدى بن الرِّقَاع كأنه نظر إليها في قوله يصف حماراً وأنانا :

يَتَعَاوَرَانِ مِنَ الْغُبَارِ مُلَأَةٌ بَيْضَاءُ مُحْدَثَةٌ هُمَا نَسَجَاهَا^(٥)

(١) ديوانه: ٩١ ، وفي حاشيتي الأصل ، ت : « أى من غير مدانة أولحوق » .

(٢) راش السهم : وضع عليه الريش ، والنصل : حديدة السهم ، والفوق : موضع الوتر من السهم]

(٣) ديوانه ٢ : ١٢٢ ، وفي حاشيتي الأصل ، ف : « أى جد كجد أبي سعيد مذكور ، أى جعل السماك غير عال ؛ كأنه قد علاه وذقه » .

(٤) في حاشيتي الأصل ، ف : « يسوى بين ابني صاعد وابني مخلد » ، والبيتان في ديوانه ١ : ١٧٢ ، وروايته : « ... شمائل ابن محمد » .

(٥) البيتان من قصيدته التي مطلعها :

مَا هَاجَ شَوْقُكَ مِنْ مَعَانِي دِمْنَةٍ وَمَنَازِلِ شَغَفِ الْفَوَادِ بِلَاهَا

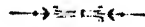
وهي في الطرائف الأدبية : ٩٢-٩٧ ، والبيتان في (معاني العسكري ٢ : ٣١ ، وحاسة ابن الشجري :

٢٧٦-٢٧٧ ، ومجمع المرزاني ٢٥٣ ، وشرح المختار من شعر بشار ٣١٧ ، وزهر الآداب ٤ : ٦٨ .

ومجموعة الداني : ٢٠٣) . ويتعاوران ؛ أى تصير الغبرة للعير مرة ، وللاتان مرة .

تُطْوَى إِذَا وَطِئَ مَكَانًا جَاسِيًا وَإِذَا السَّنَابِكُ أَسْهَلَتْ نَشْرَاهَا^(١)
وهذا المعنى ، وإن كان هو معنى الخنساء بعينه فقد زاد في استيفائه عليها زيادة ظاهرة ،
صار من أجلها بالمعنى أحقّ منها . وقد ابتدأ بهذا المعنى رجل من بني عُقيل فقال
من قصيدة^(٢) :

يُمِيرَانِ مِنْ نَسْجِ الثَّرَابِ عَنِهِمَا قَمِيصَيْنِ أَسْمَالًا وَيَرْتَدِيَانِ ٥



(١) الجاسي : الغليظ من الأرض ، وأسهمت : صارت إلى سهولة الأرض .
(٢) أبيات منها في الخزانة ٣ : ٢٧٦ ، منسوبة إلى ابن مقبل ، وفي زهر الآداب ٤ : ٦٨
منسوبة لأعرابي من بني عقيل .
وقبله :

قِفَارٌ مَرُورَةٌ يَحَارُّ بِهَا الْقَطَا وَيُفْجِي بِهَا الْجَأْبَانِ يَفْتَرِقَانِ
المروراة : المفازة التي لا شيء فيها ، والجأبان : مثنى جأب ؛ وهو الحمار الغليظ من حمر الوحش ، وأراد
بالجأبين الذكر والأنثى .

مَجْلِسِ آخِرِ تَاوِيلِ آيَةٍ *

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ قَالَ
بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿﴾ [يوسف ١٨].
فَقَالَ : كَيْفَ وَصَفَ الدَّمُ بِأَنَّهُ كَذِبٌ ، وَالكَذِبُ مِنْ صِفَاتِ الْأَقْوَالِ لَا مِنْ صِفَاتِ الْأَجْسَامِ ؟
وَأَيَّ مَعْنَى لَوْصَفَهُ الصَّبْرَ بِأَنَّهُ جَمِيلٌ ؟ وَمَعْلُومٌ أَنَّ صَبْرَ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى فَقْدِ ابْنِهِ يُوسُفَ
لَا يَكُونُ إِلَّا جَمِيلًا ؟ وَلِمَ ارْتَفَعَ الصَّبْرُ ؟ وَمَا الْمُقْتَضَى لِرَفْعِهِ ؟

وَالْجَوَابُ ، يُقَالُ لَهُ : أَمَّا ﴿ كَذِبٍ ﴾ فَمَعْنَاهُ أَنَّهُ مُكَذَّبٌ فِيهِ وَعَالِيهِ ، مِثْلُ قَوْلِهِمْ : هَذَا
مَاءٌ سَكَبَ وَشَرَابٌ صَبَّ ؛ يَرِيدُونَ مَصْبُوبًا وَمُسْكُوبًا ؛ وَمِثْلُهُ : مَاءٌ غَوْرٌ ، وَرَجُلٌ صَوْمٌ ،
وَامْرَأَةٌ نَوْحٌ ^(١) ، قَالَ الشَّاعِرُ :

تَظَلَّلَ جِيَادُهُمْ نَوْحًا عَلَيْهِمْ مُقَنَّدَةً أَعْنَتَهَا صُفُونَا ^(٢)

أَرَادَ بِقَوْلِهِ : « نَوْحًا » أَيْ نَائِحَةً عَلَيْهِمْ ، وَمِثْلُهُ : مَا لِفُلَانٍ مَعْقُولٌ ؛ يَرِيدُونَ عَقْلًا ، ١٠
وَمَا لَهُ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ مَجْلُودٌ ، يَرِيدُونَ جَلْدًا ^(٣) ، قَالَ الشَّاعِرُ :

* وَرَدَ هَذَا الْعَنْوَانُ فِي ت ، ف ، وَلَمْ يَرِدْ فِي سَائِرِ الْأَصُولِ .

(١) فِي حَاشِيَتِي الْأَصْلِ ، ف : « الْوَصْفُ بِالْمَصْدَرِ يَفِيدُ قُوَّةَ ذَلِكَ الْفِعْلِ ؛ كَقَوْلِهِمْ : رَجُلٌ صَوْمٌ ؛
يَعْنِي أَنَّهُ لِكثْرَةِ صَوْمِهِ كَأَنَّهُ صَارَ بِكَايَتِهِ صَوْمًا ، وَمِنْ ذَلِكَ : مَاءٌ سَكَبَ وَصَبَّ » .

(٢) صُفُونَا : جَمْعُ صَافِنٍ ؛ وَالصَّافِسُ مِنَ الْخَيْلِ : الْقَائِمُ عَلَى ثَلَاثِ قَوَائِمَ ، وَقَدْ أَقَامَ الرَّابِعَةَ عَلَى طَرَفِ
الْحَافِرِ ، وَالْبَيْتَ لِعَمْرُو بْنِ كَلْثُومٍ ، مِنْ الْمَعْلُوقَةِ ، وَرَوَايَتُهُ فِيهَا :

تَرَكَنَا الْخَيْلَ عَاكِفَةً عَلَيْهِ مُقَنَّدَةً أَعْنَتَهَا صُفُونَا

(وَانْظُرِ الْمَعْلُوقَاتِ - بِشَرْحِ التَّبْرِيزِيِّ : ٢١٧) .

(٣) فِي حَاشِيَتِي الْأَصْلِ ، ف : « بَيْنَ السَّيِّدِ وَرَضَى اللَّهِ عَنْهُ أَنَّهُ كَمَا يَكُونُ بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ ؛ فَقَدْ يَكُونُ
الْمَفْعُولُ بِمَعْنَى الْمَصْدَرِ ؛ وَهِيَ مُتَدَاخِلَانِ فِي هَذَا الْمَعْنَى ؛ فَلِذَا كَانَ الْمَفْعُولُ بِلَفْظِ الْمَصْدَرِ فَلَا تُنْزِلُ الْمَفْعُولَ الْحَقِيقِي هُوَ
الْمَصْدَرُ ، أَلَا تَرَى أَنَّكَ إِذَا قُلْتَ : ضَرَبْتُ زَيْدًا فَعَمَلْتُكَ عَلَى الْحَقِيقَةِ هُوَ الضَّرْبُ لِزَيْدٍ ، وَإِذَا جَاءَ الْمَصْدَرُ بِمَعْنَى
الْفَاعِلِ فَلَا تُنْزِلُ سَبَبَ لَهُ ؛ وَالْفِعْلُ لَهُ طَرَفَانِ : أَحَدُهُمَا إِلَى الْمَفْعُولِ ، وَالْآخَرُ إِلَى الْفَاعِلِ » .

[٣٣]
ظ

/ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ كَوَا لِعِظَامِهِ لَحْمًا وَلَا لِفُؤَادِهِ مَعْقُولًا
وَأَنشَد أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبُ :

قَدْ وَالَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بِقُدْرَةٍ مُبْلِغِ الْعَزَاءِ وَأُذْرِكِ الْمَجَاوِدِ

وقال الفرّاء وغيره : يجوز في النحو : « بدم كذباً » بالنصب على المصدر ؛ لأنَّ ﴿ جَاءُوا ﴾ فيه معنى كذبوا كذباً ، كما قال تعالى : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾ [العاديات : ١]
٥ فنصب ضَبْحًا^(١) على المصدر ؛ لأنَّ العاديات بمعنى الضابحات ، وإنما كان دماً مكذوباً فيه ؛ لأنَّ إخوة يوسف^(٢) ذبحوا سَخْلَةً ، ولطخوا قميصَ يوسف بدمها ، وجاءوا أباهم بالقميص ، وادَّعوا أكلَ الذئب له ، فقال لهم يعقوب^(٣) : يَا بَنِيَّ ، لقد كان هذا الذئب رفيقاً حين أكل ابني ، ولم يُخَرِّقْ قميصه ؛ قالوا : بل قتله اللصوص ، قال : فكيف قتلوه وتركوا قميصه ، وهم إلى قميصه أحوجُّ منهم إلى قتله ! . وقد قيل : إنه كان في قميص يوسف ثلاثُ آيات : حين قُدَّ قميصه من دُبُرٍ ، وحين أُلْقِيَ على وجه أبيه فارتد بصيراً ، وحين جاءوا عليه بدم كذب ؛ فتنبه أبوه على أنَّ الذئب لو أكله لخَرَّقَ قميصه^(٤) .

وأما وصف الصبر بأنه جميل ، فلأنَّ الصبرَ قد يكون جميلاً وغير جميل ، وإنما يكون جميلاً إذا قُصِدَ به وجهُ الله ، وفُعِلَ للوجه الذي وَجِبَ ، فلما كان في هذا الموضع واقماً على الوجه المحمود صحَّ وصفه بذلك . وقد قيل إنه أراد صبراً لا شكوى فيه ولا جَزَع ، ولو لم يصفه بذلك لَظُنَّ مصاحبةَ الشكوى أو الجزع له . وأما ارتفاع قوله : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ فقد قيل إنَّ المعنى : فشأنى صبرٌ جميل ، أو الذي أعتقده صبرٌ جميل^(٥) . وقال قطرب : معناه فصبري صبر جميل ؛ وأنشدوا :

(١) الضبيح : صوت يسمع من جوف الفرس حال العدو . (٢) ت : « يوسف عليه السلام » .

(٣) في حاشيتي ت ، ف : « قال السيد المرتضى رضى الله عنه : وقد قرئ : ﴿ بدم كذب ﴾ وهو

الدم المسفوح » . (٤) في حاشيتي ت ، ف : « يجوز أن يكون « صبر » مبتدأ وخبره محذوف ، ويحتمل أن يكون « صبر » مبتدأ و « جميل » خبره » ، وفي حاشية ف أيضاً : « وهو وإن كان نكرة بقوا مقام المعرفة ؛ وذلك أن أى صبر كان فهو المراد » .

شَكَا إِلَى جَمَلِي طَوَلَ الشَّرَى يَا جَمَلِي لَيْسَ إِلَى الْمُشْتَكَى
الدَّرْهَانِ كَلَّفَانِي مَا تَرَى ^(١) صَبْرٌ جَمِيلٌ فَكِلَانَا مُبْتَلَى

معناه : فليكن منك صبر جميل . وقد روى أن في قراءة أبي : ﴿ فَصَبْرًا جَمِيلًا ﴾
بالنصب ، وذلك يكون على الإغراء ^(٢) ، والمعنى فاصبري بأنفس صبراً جميلاً ، قال ذو الرمة :
أَلَا إِنَّمَا مَيَّ - فَصَبْرًا - بَلِيَّةٌ وَقَدْ يُبْتَلَى الْحُرُّ الْكَرِيمُ فَيَصْبِرُ ^(٣) ٥
وقال الآخر :

أَبَى اللَّهُ أَنْ تَبْقَى لِحَيِّ بِشَاشَةٍ فَصَبْرًا عَلَى مَا شَاءَهُ اللَّهُ لِي صَبْرًا

تَأْوِيلُ خَبَرِ

في الحديث أن قيس بن عاصم قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : « هذا ^[٢٤]
سيد أهل الوبر »؛ فقلت : يا رسول الله ، ما المال الذي ليست على فيه تبعه من طالب
ولا ضيف ؟ فقال عليه السلام : « نِعَمَ الْمَالُ أَرْبَعُونَ ، وَالْكَثْرُ سِتُونَ ، وَوَيْلٌ لِأَصْحَابِ ١٠
الْمِئِينَ ! إِلَّا مَنْ أَعْطَى الْكَرِيمَةَ ، وَمَنْحَ الْغَزِيرَةِ ^(٤) ، وَنَحَرَ السَّمِينَةِ ، فَأَكَلَ وَأَطْعَمَ الْقَانِعَ
وَالْمُعْتَرَّ - وفي رواية أخرى : « إِلَّا مَنْ أَعْطَى مِنْ رِسْلِهَا ، وَأَطْرَقَ فُخْلَهَا ، وَأَفْقَرَ ظَهْرَهَا ،
وَمَنْحَ غَزِيرَتِهَا ، وَأَطْعَمَ الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ »؛ قلت : يا رسول الله : ما أكرم هذه الأخلاق وأحسنها !
إنه لا يحلُّ بالوادي الذي فيه إبل من كثرتها . فقال : « فكيف ^(٥) تصنع في العظيمة ^(٦) ؟
قلت : أَعْطَى الْبَكْرَ ، وَأَعْطَى النَّابَ . قال : « فكيف تصنع في المنيحة ؟ » ، قات : إني ١٥
لأمنح المائة . قال : « فكيف ^(٥) تعطى الطرقة ؟ » ، قات : يَغْدُو النَّاسُ بِإِبِلِهِمْ فَلَا يورَع

(١) هذا البيت ورد في ت ، وحاشية ف .

(٢) حاشية ف : « معنى الإغراء أن يغريه القائل بانتماء الذي أشار إليه ؛ كقولهم : عليك به » .

(٣) ديوانه : ٢٢٥ . (٤) الغزيرة كثيرة اللبن .

(٥) ت ، د ، حاشية ف (من نسخة) : « كيف » .

(٦) ف ، حاشية الأصل (من نسخة) « العطية » .

رجل عن جمل يخطمه^(١) فيمسكه ما بدا له ، حتى يكون هو الذى يرده . وفي الرواية الأخرى قال : « فكيف تصنع فى الإطراق ؟ » ، قالت : يغدو الناس فمن شاء أن يأخذ برأس بعير ذهب به . قال : « فكيف تصنع فى الإفقار ؟ » ، قلت : إني لأفقرُ الناب المدبرة والضرع^(٢) الصغيرة ، قال : « فكيف تصنع فى المنيحة ؟ » ، قلت : إني لأمنح فى السنة المائة ، قال : « فمالك أحب إليك أم مال مواليك ؟ »^(٣) ، قلت : لا ، بل مالى ، قال : « فإن مالك ما أكلت فأفنت ، وأعطيت فأمضيت » . وفي الرواية الأخرى : « ولبست فأبليت ، وسائر مواليك » ، قلت : لا جرم ! والله لئن رجعت لأقن عددها . فلما حضره الموت جمع بنيه فقال : يا بني خذوا عني ، فإنكم لن تأخذوا عن أحد هو أنصح لكم مني ، لا تنوحوا على فإن رسول الله صلى الله عليه وآله لم ينبح عليه ، وقد سمعته ينهى عن النياحة ، وكفّوني فى ثيابي التي كنت أصلي فيها ، وسودوا أكبركم ، فإنكم إذا سودتم أكبركم لم يزل لأبيكم فيكم خليفة ، وإذا سودتم أصغركم هان أكبركم على الناس ، وزهدوا فيكم ، وأصلحوا من^(٤) عيشكم ؛ فإن فيه غنى عن طلب إلى الناس ، وإياكم والمسألة ؛ فإنها آخر^(٥) كسب المرء ، وإذا دفنتموني فأخفوا قبري عن بكر بن وائل ، فقد كانت بيننا نخمشات فى الجاهلية ، فلا [٣٤] آمن سفيها منهم أن يأتي / أمراً يدخل عليكم عينا^(٦) فى أبيكم^(٧) .

(١) ت ، وحاشية ف (من نسخة) : « يخطمه » .

(٢) رواية ابن الأثير فى النهاية (ضرع) : « إني لأفقر البكر الضرع ، والناب المدبر ، أى أعيرهما للركوب ؛ يعنى الجمل الضعيف ، والناقة الهرمة » .

(٣) حاشية ف : « المولى من يملك ؛ من ابن العم والمعتق ؛ ويملك ؛ أى يقريك ، وأصل الولي

القرى .

(٤) م : « وأصلحو عيشكم » ، وحاشية ف (من نسخة) : « وأصلحو من أمر عيشكم » .

(٥) ف ، ونسخة بمحاشيتي الأصل ، ت « أخس » .

(٦) من نسخة بمحاشيتي ت ، ف : « عينا » .

(٧) الخبر بهذه الرواية فى (الفائق ٣ : ١٣٥) ، وفى رواية أخرى فيه أيضا : « وإذا مت فقبوا

قبري من بكر بن وائل ، فإني كنت أناوشهم فى الجاهلية — وروى : أهأوشهم — وروى أغأولهم » .

فأما قوله : « الكُثْرُ سِتُّون » فمعناه الكثير ، تقول العرب : نسأل الله الكُثْرَ ، ونعوذ به من القُلِّ ؛ أى نسأله الكثير ، ونعوذ به من القليل ؛ وقال الشاعر :

فإنَّ الكُثْرَ أَعْيَانِي قَدِيمًا وَلَمْ أَقْتِرْ لَدُنْ أُنَى غُلَامٌ^(١)

وقال الآخر :

وَقَدْ يَنْقُصُ الْقُلُّ الْفَتَى ذُونَ هَمٍّ وَقَدْ كَانَ لَوْلَا الْقُلُّ طَلَاعَ أَنْجِدٍ^(٢)

والكريمة ، يعنى بها كرائم ماله . و « أَمْنَحُ الْغَزِيرَةَ » ، أى أعطيها مَنْ يُحِبُّهَا ويردها ، ومن ذلك الحديث : « الْعَارِيَةُ مُؤَدَّاةٌ ، وَالْمِنْحَةُ^(٣) مُرَدُّودَةٌ ، وَالزَّعِيمُ^(٤) غَارِمٌ ، وَالْدَّيْنُ مَقْضَى^(٥) » فالمنحة الناقصة أو الشاة يدفعها الرجل إلى مَنْ يُحِبُّهَا وينتفع بلبسها ثم يرددها عليه ، والزعيم الكفيل ، ويقال له أيضا القبيل^(٥) والصَّيْبِرُ والجَمِيلُ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴾ [يوسف : ٧٢] ، قال الشاعر :

فَلَسْتُ بِأَمْرِ فِيهَا بِسَلَمٍ وَلَكِنِّي عَلَى نَفْسِي زَعِيمٌ^(٦)

وقال آخر :

قُلْتُ كَفَى لَكَ رَهْنًا بِالرَّضَا فَزَعَمِي يَاهِنْدُ قَالَتْ قَدْ وَجَبَ^(٧)

معناه اكفلى ، ويروى : « فاقبلى » ، من القبيل الذى هو الكفيل أيضا .

(١) البيت فى اللسان (كثر) ، ونسبه إلى رجل من ربيعة ، وفى حاشيتى ت ، ف : « أى لم أكن قبل مكثرا ولا مقثرا ، يصف حاله بالنوسط ، والإقتار : الفقر » .

(٢) البيت فى اللسان (قلل) ، ونسبه إلى خالد بن علقمة الدارمى ، وأشد قبله :

وَيْلَ أُمَّ لَذَاتِ الشَّبَابِ مَعِيشُهُ مَعَ الْكُثْرِ يُعْطَاهُ الْفَتَى التُّلْفَ النَّدَى

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « المنحة » ، وهى والمنحة بمعنى .

(٤-٤) حاشية ت (من نسخة) : « والدين مقضى ، والزعيم غارم » .

(٥) القبيل : الكفيل والعريف ، وقد قبل يقبل قبالة ؛ أى يكفل .

(٦) حاشية ف : « معناه لا أملك إلا نفسى » .

(٧) البيت لعمر بن أبى ربيعة ؛ وهو فى ديوانه ٣٧٨ ، وفى حاشية ف : « أى ضمنت وحلفت على نفسى ألا أجاوز رضاك ، فافعل مثله » .

وقال الفراء : القانع هو الذي يأتيك فيسألك ؛ فإن أعطته قبل ، والمعتز : الذي يجلس عند الذبيحة ، ويمسك عن السؤال ، كأنه يعرض في المسألة ولا يصرح بها ، يقال قنع الرجل قناعة إذا رضى ، وقنع قنوعاً إذا سأل .

فأما قوله : « لا جرم » فقال قوم : معنى جرم كسب ، وقالوا في قوله تعالى : ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ ﴾ [النحل : ٦٢] ، أن « لا » رد على الكفار ، ثم ابتداء فقال : ﴿ جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ ﴾ بمعنى كسب قولهم أن لهم النار ، وقال الشاعر :

نَصَبْنَا رَأْسَهُ فِي رَأْسِ جَذْعٍ بِمَا جَرَمَتْ يَدَاهُ وَمَا اعْتَدَيْنَا ^(١)

أى : بما كسبت . وقال آخرون : معنى « جرم » حق ، وتأول الآية بمعنى حقق قولهم أن لهم النار ؛ وأنشدوا :

وَلَقَدْ طَعَنْتُ أَبَا عُيَيْنَةَ طَعْنَةً جَرَمْتُ فَرَازَةَ بَعْدَهَا أَنْ يَفْضَبُوا ^{١٠}

أراد : حَقَّقْتُ فَرَازَةً ، وروى الفراء « فَرَازَةً » ، بالنصب على معنى كسبت ^(٢) الطعنة [٣٥] فَرَازَةَ الغضب / ، وقال الفراء : لا جرم في الأصل مثل لا بُدَّ ، ولا محالة ، ثم استعملته العرب في معنى حقاً ، وجاءت فيه بجواب الأيمان ، فقالوا : لا جرم لأقومن ؛ كما قالوا : والله لأقومن ، وفيها لغات ، يقال : لا جرم ، ولا جُرم ، بضم الجيم وتسكين الراء ، ولا جَرَمَ ^{١٥} بمحذف الميم ، ولا ذا جَرَمَ ؛ قال الشاعر :

إِنَّ كِلَابًا وَالِدِي لَا ذَا جَرَمٍ ^(٣) لِأَهْدِرَنَّ الْيَوْمَ هَدْرًا فِي النِّعَمِ ^(٤)

* هَدَرَ الْمَعْنَى ^(٥) ذَى الشَّقَاشِقِ اللَّهُمَّ ^(٦) *

(١) البيت في اللسان (جرم) ، ونسبه إلى أبي أسماء بن الضريبة . (٢) د : أ كسبت .
 (٣) البيت في اللسان (جرم) من غير عزو . (٤) لأهدرن : لأصوتن ؛ من الهدير ، و
 تردد صوت البعير في حنجرته . (٥) حاشية ت (من نسخة) : « المعنى » .
 (٦) حواشي الأصل ، ت ، ف : المعنى : الذي يدخل العنة من الإبل ؛ وهى الخطيرة ؛ وذلك أن الله
 اللثيم إذا هاج حبس حتى لا يضرب في النوق الكرام ، ومنه قول الوليد بن عتبة :
 قَطَعْتُ الدَّهْرَ كَالسَّدَمِ الْمَعْنَى تَهْدَرُ فِي دَمِشْقَ فَلَا تَرِيمُ

والناب : الناقة الهرمة ، وجمعها نيب ، ومثلها الشارف ، قال الشاعر :

لَا أَفْتَأُ الدَّهْرَ أَبْكِيهِمْ بِأَرْبَعَةٍ مَا اجْتَرَّتِ النَّيْبُ أَوْحَنْتَ إِلَى بَلَدٍ^(١)

ويقال للبعير أيضا إذا كبر عَوْدًا ، وللا نثى عَوْدَةٌ ، قال الشاعر :

عَوْدٌ عَلَى عَوْدٍ مِنَ الْقَدَمِ الْأَوَّلِ يَمُوتُ بِالْتَرَكِ وَيَحْيَا بِالْعَمَلِ^(٢)

وهذا من أبيات المعاني ، ومعناه بعير عَوْدٌ على طريق متقدم ، وَسُمِّيَ الطريقُ بأنه ٥ عَوْدٌ لتقدمه تشبها بالبعير ، وقوله :

* يموت بالترك ويحيى بالعمل *

أراد أنه إذ سَلَكَ وطُرُقَ ظهرت أعلامه ، ووضحت طرقه ، واهتدى سالكه لسلكه ، ولم يَضِلَّ عن قصده ، فكان هذا كالحياة له ، وإذا لم يُسَلِّكْ طمست آثاره ، وَاَمَّحَتْ^(٣) معالمه ، فلم يَهْتَدِ فيه راكب لقصد ، وكان ذلك كالموت له .

١٠

فأما « الخُمَاشَات » فهي الجنايات والجراحات ، : قال ذو الرُّمَّة يذكر الحمار والأتُن :
رَبَاعٍ لَهَا مُذْ أَوْرَقَ الْعُودُ عِنْدَهُ خُمَاشَاتُ دَخَلَ مَا يُرَادُ امْتِثَالُهَا^(٤)

== وأصله « المعن » ؛ فقلبت لإحدى النونات ياء ، كقولك : تغنيت ، وفي التثنية : وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ، والشفاشق : جمع شفشقة ؛ وهي كالرئة تخرج من فم البعير إذا هاج وَاغْتَلَمَ ، واللهم : الذي يلتهم كل شيء ؛ أي يبتلع ، وفرس لهم : سريع ؛ كأن يلتهم الأرض .
(١) في حاشيتي الأصل ، ف : لا أفتأ ؛ أي لأزال أبكيهم بأربعة ؛ أي بأربعة شئون ؛ وهي مجارى الدمع من الدماغ ؛ ومثله قول الآخر :

* جُودِي بِأَرْبَعَةٍ عَلَى الْجَرَّاحِ *

وقيل بأربعة آفاق من موق العين ، واجترت : إذا أكلت الجرة . والجرة : ما يخرج البعير من فمه ليبتله .

(٢) البيتان في اللسان (عود) ، ونسبهما إلى بشير بن النكث .

(٣) من نسخة بحاشيتي ت ، ف : « أنهجت » ؛ أي بليت .

(٤) ديوانه : ٥٣٣ ؛ وفي حاشيتي ت ، ف : « الرباع من الغنم ماله أربع سنين ، ومن الحافر ماله

سنتين ، ومن الخف ماله سبع سنين والجمع ربع ، وقد أربع » .

يريد بقوله : « ما يراد امتثالها » ، أى ما يراد اقتصاصها ، يقال : أمثنتى من هذا الرجل ، وأقذنتى وأقصنتى بمعنى واحد .

فأما قوله : « لا يورع » ، أى لا يحبس ، ولا يمنع ، يقال ورعت الرجل توريعا إذا منعتهُ وكففته ، والورع هو المتحرج^(١) المانع نفسه مما تدعوه إليه ، يقال ورع ورعا ورعة ؛

٥ قال لبيد :

أَكَلَّ يَوْمَ هَامَتِي مُقَرَّعَةً^(٢) لَا يَمْنَحُ الْفَتَيَانَ مِنْ حُسْنِ الرَّعَةِ^(٣)

ويقال : ما ورع أن فعل كذا وكذا ، أى ما كذب^(٤) ، فأما الورع بالفتح فهو الجبان ، [٣٥] وأما الطروقة / فهي التى قد حان لها أن تطرق ، وهى الحقة . وقوله فى الرواية الأخرى^ط « إلامن أعطى من رسلها » فالرسل اللبن . والإفقار : هو أن يركبها الناس ، ويحملهم على

١٠ ظهورها ، مأخوذ من فطر الظهر ، والإطراق : للفحول هو أن يبذلها لمن يُنزيها على إناث إبله . وذكر الإطراق فى هذه الرواية أحب إلى من الطروقة لأنه قد تقدم من قوله : « إنه يعطى التاب والبكر والضرع والمائة » فلا معنى لإعادة ذكر الطروقة . وقوله فى الجواب « ينفذ الناس فلا يورع رجل » عن جمل يخظمه فيمسكه قائدا له^(٥) ثم يرده « لا يحتمل غير الإطراق ولا يليق بمعنى الطروقة .

١٥ وكان قيس بن عاصم شريفاً فى قومه ، حليماً ويكنى أبا على ، وكان الأحنف بن قيس يقول

(١) ت : « هو الرجل المتحرج » .

(٢) من أرجوزة فى ديوانه ٧-٨ ، وفى حاشيتى الأصل ، ف : « المعنى : أكل يوم أحارب وألبس الله

حتى ذهب شعر مقدم رأسى ، والأقزع : الأصلع ؛ إلا أن الأقزع الذى أدى صلمه إلى وسط رأسه »

(٣) حواشى الأصل ، ت ، ف : « يمكن أن يكون المعنى إن هامته المقزعة التى قزعها أعداؤه تركها

الفتيان من قبيلته على حسن الرعة والتحرج . وهذا الحديث خارج مخرج التذم » .

(٤) حواشى الأصل ، ت ، ف : « قوله : ما كذب [بالتخفيف] أى مالبث أن فعل كذا ،

كذب [بالتشديد] ، أى ماجبن ، وحمل فلان فما كذب [بالتشديد] أيضا ، أى صدق الحملة فى الحرب »

(٥) ت ، د ، ف ، حاشية الأصل من نسخة : « مبادل » .

إنما تعلمت الحلم من قيس بن عاصم ؛ أتى بقاتل ابنه فقال : زَعَبْتُم الفتي ، وأقبل عليه فقال : يا بُنَيَّ لقد نقصتَ عددَكَ ، وأوهنتَ ركنَكَ ، وفَتَّتْ في عضدِكَ ، وأشمتَ عدوكَ ، وأسأتَ بقومك ؛ خلّوا سبيله ؛ وما حلَّ حُبوتُه ، ولا تغيّر وجهه .

وقال ابن الأعرابي : قيل لقيس : بماذا سُدتْ ؟ فقال بثلاث : بذلِ الندي ، وكفّ الأذى ، ونصر المولى .

وذكر المدائني قال : كان قيس بن عاصم يقول لبنيه : إياكم والبغى ، فما بَغَى^(١) قوم قط إلا قَاتُوا وذَلُّوا . وكان الرجل من بنيهِ يَظْلِمُه بعضُ قومه فيُنهي إخوته أن ينصروهُ .

وقيس بن عاصم هو الذي حَفَزَ الحوفزان^(٢) بن شريك الشيباني بطعنة في يوم جدود^(٣) ، فسمى الحارث الحوفزان ؛ وقال سَوَّار بن حَيَّان^(٤) المِنْقَرِي^(٥) :

وَنَحْنُ حَفَزْنَا الحَوْفَزَانَ بطعنة سَقَتَهُ نَجِيعاً من دَمِ الجَوْفِ أَشْكَلاً^(٦)
وَحُمْرَانَ قَسَرَا أَتَزَلَّتْهُ رِمَاخُنَا فَعَالَجَ غُلًّا في ذِرَاعِيهِ مُثْقَلًا^(٧)

(١) ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « فإنه ما بغى » . (٢) حفزه ، أى طعنه من خلفه ، وفي اللسان عن التهذيب أن الحوفزان لقب لجرار من جرارى العرب ؛ وكانت العرب تقول للرجل إذا قاد ألفاً جراراً . (٣) حواشى الأصل ، ت ، ف : « جدود : موضع فيه ماء يسمى بالسكلاب ، وكانت فيه وقعة مرتين ؛ ويقال للسكلاب الأول يوم جدود ؛ وهو لتغلب على بكر بن وائل »

(وانظر خبر يوم جدود فى العقد ٥ : ١٩٩-٢٠١ ، وابن الأثير ١ : ٣٧٢) .

(٤) كذا ضبط بالفلم فى جيم الأصول ، وضبطه ابن السيد فى الاقتضاب ص ١٣٩ : « بجاء مكسورة غير معجمة وباء معجمة بواحدة » ، والبيتان فى (الأغانى ١٢ : ١٤٧ ، وابن الأثير ١ : ٣٧٢ ، واللائى ٢٥٦ ، واللسان - حفز ، شكل) .

(٥) م : « ... المنقري فى ذلك » .

(٦) من نسخة بمحاشيتي الأصل ، ف : « كسته نجيعا » ، والشكاة : حمرة يخاطها بياض ؛ ويسمى الدم أشكل للحمرة والبياس المختلطين فيه .

(٧) من نسخة بمحاشيتي الأصل ، ت : « مقفلا » ؛ وهو حمران بن عمرو بن بشر بن عمرو ؛ وكان على شيبان وذهل واللاهزم ؛ حينما خرجوا لقتال بنى يربوع .

وفي يوم جَدُودٍ يَقُولُ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ :
 جَزَى اللَّهُ يَرْبُوعًا بِأَسْوَأِ سَعْيِهَا إِذَا ذُكِرَتْ فِي النَّائِبَاتِ أُمُورُهَا^(١)
 وَيَوْمَ جَدُودٍ قَدْ فَضَحْتُمْ ذِمَارَكُمْ وَسَالْتُمْ وَالْخَيْلُ تَدْمِي نُحُورُهَا
 / سَتَحِطُّ سَعْدُ الرِّبَابِ أَنْوَافَكُمْ كَمَا حَزَّ فِي أَنْفِ الْقَضِيبِ جَرِيرُهَا [٣٦]

القَضِيبُ : الناقَة المقتَضِبة الصعبة ؛ وفي قيس يقول عبدة بن الطبيب :

عَلَيْكَ سَلَامٌ اللَّهُ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَخَّمَا^(٢)
 سَلَامٌ أَمْرِي جَلَلْتَهُ مِنْكَ نِعْمَةً^(٣) إِذَا زَارَ عَنْ شَحْطٍ بِلَادَكَ سَلَمًا
 فَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلُكُهُ هُلُكَ وَاحِدٍ وَلَكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهْدَمَا^(٤)

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه : ذاكرني بعض الأصدقاء بقول أبي دَهْبَل
 الجُمَحِيِّ وهو يعنى ناقتة : ١٠

(١) الأبيات في (الأغاني ١٢ : ١٤٧) .

(٢) الأبيات في (الأغاني ١٢ : ١٤٨) ، والحامسة - بشرح التبريزي ٢ : ٢٨٥-٢٨٦) .

(٣) رواية التبريزي :

* تَحِيَّةٌ مَنْ غَادَرْتَهُ غَرَضَ الرَّدَى *

(٤) قال التبريزي في شرحه لهذا البيت : « يجوز أن يروى « هلك » بالنصب وبالرفع ؛ فإذا نصبته كان هلكه في موضع البدل من قيس ، وهلك ينتصب على أنه خبر كان ؛ كدأته قال : فما كان هلك قيس هلك واحد من الناس ؛ بل مات لموته خلق كثير ؛ وإذا رفعته كان هلكه في موضع المبتدأ وهلك واحد في موضع الخبر ، والجملة في موضع النصب على أنه خبر كان ، ويشبه هذا البيت قول امرئ القيس :

فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ سَوِيَّةً وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تُسَاقِطُ أَنْفُسًا

إذا رويت « تساقط » بضم التاء .

وَأَبْرَزْتُهَا مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ عِنْدَمَا أَصَاتَ الْمُنَادِي بِالصَّلَاةِ فَأَعْتَمًا^(١)
وسألني إجازة هذا البيت بأبيات تنضم إليه وأجمل الكناية فيه كأنها كناية عن امرأة
لا عن ناقة، فقلت في الحال :

فطِيبَ مَسْرَاهَا الْقَامُ وضوأتُ بإشراقها بينَ الحَظِيمِ وزَمَرَمًا^(٢)
فِيَارَبِّ إِنْ لَقِيتُ وَجْهًا تَحِيَّةً فحَيَّ وَجُوهًا بِالْمَدِينَةِ سُهَمًا^(٣)
تَجَافَيْنَ عَنْ مَسِّ الدَّهَانِ وَطَلَا عَصَمْنَ عَنِ الْحِنَاءِ كَفًّا وَمِعْصَمًا
وَكَمْ مِنْ جَلِيدٍ لَا يُخَامِرُهُ الْهَوَى شَنَّ عَلَيْهِ الْوَجْدَ حَتَّى تَنَلَّيَا^(٤)
أَهَانَ لَهْنِ النَّفْسِ وَهِيَ كَرِيمَةٌ وَأَلْقَى إِلَيْهِنَّ الْحَدِيثَ الْمَكْتَمًا
تَسَفَّهَتْ لَمَّا أَنْ مَرَرْتُ بِدَارِهَا وَعُوجِلَتْ دُونَ الْحِلْمِ أَنْ تَتَحَلَّمَا^(٥)

(١) أصات: نادى، وأعتم: دخل في العتمة؛ والبيت من قصيدة جيدة؛ ذكر منها أبو الفرج هذه
الآيات:

أَلَا عَلِقَ الْقَلْبُ الْمَتِيمَ كُلُّمَا لِحَاجًا وَلَمْ يَلْزَمْ مِنَ الْحَبِّ مَلَزَمًا
خَرَجْتُ بِهَا مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ بَعْدَمَا أَصَاتَ الْمُنَادِي بِالصَّلَاةِ فَأَعْتَمًا
فَمَا نَامَ مِنْ رَاعٍ وَلَا ارْتَدَّ سَامِرٌ مِنَ الْحَيِّ حَتَّى جَاوَزْتُ بِي يَلَمَلَمًا
وَمَرْتُ بِبَطْنِ اللَّيْثِ تَهْوِي كَأَنَّمَا تَبَادَرُ بِالْإِدْلَاجِ نَهْبًا مُقَسَّمًا
وَجَاوَزْتُ عَلَى الْبَزْدَاءِ وَاللَّيْلِ كَاسِرٌ جَنَاحَيْنِ بِالْبَزْدَاءِ وَرَدًّا وَأَذَمَّا
فَمَا ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ حَتَّى تَبِينْتُ بِعَلْيَبَ نَحْلًا مُشْرِفًا أَوْ مَخِيمًا
وَمَرْتُ عَلَى أَشْطَانِ رَوْنَقٍ بِالضُّحَا فَمَا خَزَّرَتْ لِلْمَاءِ عَيْنًا وَلَا فَمَا
وَمَا شَرِبْتُ حَتَّى ثَنَيْتُ زِمَامَهَا وَخِفْتُ عَلَيْهَا أَنْ تَخِرَّ وَتُكَلَّمَا
فَقُلْتُ لَهَا قَدْ بَنَتْ غَيْرَ ذَمِيمَةٍ وَأَصْبَحَ وَادِي الْبِرْكِ غَيْثًا مُدِيمًا

(واظفر الأغاني ٦ : ١٦٣ ، ومعجم البلدان ٦ : ٢١٢-٢١٣ ، والشعر والشعراء ٥٩٧) .

(٢) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « فطيب رياها » . وضوأت : أضاعت .

(٣) سهما : جمع ساهم ؛ وهو المتغير الوجه . (٤) شننن : صبين . (٥) م : « وقفت بدارها » .

فَعُجْتُ تَقَرَّى دَارِسًا مُتَمَكِّرًا وَتَسْأَلُ مَصْرُوفًا عَنِ النُّطْقِ أَعْجُمًا^(١)
وَيَوْمَ وَقَفْنَا لِلْوِدَاعِ وَكُلُّنَا يَمُدُّ مُطِيعُ الشَّوْقِ مَنْ كَانَ أَحْزَمًا
نُصِرْتُ بَقَلْبٍ لَا يُعْنَفُ فِي الْهَوَى وَعَيْنٌ مَتَى اسْتَمَطَرَتْهَا فَطَرَتْ دَمًا^(٢)

وكان أبو دَهَبَل^(٣) من شعراء قريش ، ومن جمع إلى الطبع التجويد ، واسمه وهب بن زَمْعَةَ بن أُسَيْد^(٤) / بن أَحْيَحَةَ بن خلف بن وهب بن حذافة بن جُحَج ، واسمه تَيْم [٣٦] ابن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤى بن غالب ، وكان اسم جُحَج تَيْمًا ، واسم أخيه زيدًا ؛ وهما ابنا عمرو بن هُصَيْص ، فاستبقا إلى غاية ، فمضى تَيْمٌ عن الغاية ، فقليل جَحَج تَيْمٌ فسمى جُحَج ، ووقف عليها زيد فقليل سَهْم^(٥) زيد ، فسمى سَهْمًا^(٦) ؛ فأما كُنْيَتُهُ فهي مشتقة من الدَّهْبَلَةِ ، وهي المشى الثقيل ، يقال دَهَبَلَ الرجل دَهْبَلَةً إذا مشى ثَقِيلًا .

١٠ أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني قال حدثني محمد بن إبراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيى النحوي قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال : قيل لأبي عمرو بن الملا ما يعجبك من شعر أبي دَهَبَل الجُمَحِيِّ ؟ فقال قوله :

يَا عَمْرَ حُمَّ فِرَاقُكُمْ عَمْرًا وَعَزَمَتْ مِنَّا النَّأْيَ وَالْهَجْرَا^(٧)
يَا عَمْرَ شَيْخُكَ وَهُوَ ذُو شَرَفٍ يَرْعَى الزَّمَارَ وَيُكْرِمُ الصَّهْرَا^(٨)
وَاللَّهُ مَا أَحْبَبْتُ مُحِبَّكُمْ لَا ثَبِيًّا خُلِقْتُ وَلَا بَكْرًا^(٩) ١٥

(١) في حاشيتي الأصل ، ف : تقرى : « تتبع » أراد تقرى ؛ وهو تتفعّل من قولك : قروت الأرم والشئ ؛ إذا تتبعته . (٢) من نسخة بجواشي الأصل ، ت ، ف : « مطرت دما » . (٣) وانظر ترجمة أبي دَهَبَل في (الشعر والشعراء ٥٩٦-٥٩٩ ، والاشتقاق ٨١ ، والمؤلف والمختلص للآمدى ١١٧ ، والأغاني ٦ : ١٤٩-١٦٥) . (٤) في ص : « أُسَيْد » ، بفتح الهمزة وكسر السين .

(٥) « سَهْم » ، بالفتح : تغير وجهه ، وسهم ، بالبناء للمجهول : غلب ؛ وضبط في ت : بهما معاً (٦) حاشية ف : سهم : « قبيلة من باهلة ، ومن قريش أيضا » . (٧) الأبيات في (الأغاني ٦ : ١٥٣) ، وفي حاشية الأصل (من نسخة) « وعزمت منى » . (٨) شيخك ؛ يعنى أباه (٩) حاشية ف : « تقدير البيت : ما أحببت ثيباً ولا بكراً كحبي لأياكم »

تَرَعَى عَلَى وَجَدَدِي السَّحْرَا (١)
 حَمَلْتُ بِلَا تَرَةٍ لَنَا وَتَرَا
 تَرَكَتْ بَنَاتِ فَوَادِهِ صُغْرَا (٢)
 أَقْنَاءَ لَا نَثْرًا وَلَا نَزْرَا (٣)
 جَنَّبِي أُرِيدُ بِهَا لَكَ الْعُذْرَا ٥
 عَمَّا يُحَاوِلُ مَعْدِلًا وَعُغْرَا
 يَوْمًا فَخِيمَ عِنْدَهَا شَهْرَا
 إِلَّا لِأَبِي فِيكُمْ عُذْرَا
 وَإِذَا أَقَمْنَا لَمْ تُفِدْ نَقْرَا (٤)
 وَأَرَى لِحُسْنِ حَدِيثِكُمْ شُكْرَا ١٠

[٢٧]

وَرَوَى أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِي لِأَبِي دَهْبَلٍ :
 يَأْتِي مَنْ يَمْنَعُ الْمَعْرُوفَ يُمْنَعُهُ
 وَلَيْتَ رِزْقَ رِجَالٍ مِثْلُ نَائِلِهِمْ
 حَتَّى يَذُوقَ رِجَالٌ غِيبًا مَا صَنَعُوا (٥)
 قُوْتُ كَقُوْتٍ وَوُسْعٌ كَالَّذِي وَسِعُوا (٦)
 - وَيُرْوَى : « ضَيْقٌ كَضَيْقٍ وَوُسْعٌ كَالَّذِي اتَّسَعُوا » .

وَلَيْتَ لِلنَّاسِ خَطَاً فِي وُجُوهِهِمْ
 وَلَيْتَ ذَا الْفُحْشِ لَاقَى فَاحِشًا أَبَدًا
 تَبَيَّنُ أَخْلَاقُهُمْ فِيهِ إِذَا اجْتَمَعُوا ١٥
 وَوَافَقَ الْحِلْمُ أَهْلَ الْحِلْمِ فَاتَدَعُوا (٧)

(١) الإرعاء : الإبقاء ؛ كذا ذكره صاحب اللسان واستشهد البيت .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « أي أسرارها ماثلة إليها » .

(٣) الأقناء : جمع قنو ؛ وهو غصن الجبل .

(٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « نقرا ؛ أي قليلا ؛ وهو صوت يسمع من وقع الإبهام على

الوسطى ؛ يقال : مأعطاه نقرا ونقرة ؛ أي شيئا ؛ ولا يستعمل إلا في النفي » .

(٥) الأبيات في المؤتلف والمختلف ١١٧ .

(٦) حاشية ف : « يجوز أن يكون « قوت » خبر المبتدأ ؛ أي هو قوت ؛ ويجوز أن يكون بدلا

من مثل نائلهم » .

(٧) حاشية ف : « فاتدعوا : فاستراحوا » .

ولأبي دَهْبَلٍ في قتل الحسين بن علي صلوات الله عليهما :
تَبَيَّتُ النَّشَاوِي مِنْ أُمِّيَّةٍ نُومًا وبالطَّفِّ قَتَلْتَنِي مَا يَنَامُ حَمِيمُهَا^(١)
وما ضَيَّعَ الْإِسْلَامَ إِلَّا عَصَابَةٌ تَأَمَّرَ نَوَكَاهَا وَدَامَ نَعِيمُهَا^(٢)
وصارت قناةُ الدِّينِ في كَفٍّ ظَالِمٍ إذا مَالَ مِنْهَا جَانِبٌ لَا يُقِيمُهَا

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن إبراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيى قال
روى أبو عمرو الشيباني لأبي دَهْبَلٍ قال - ويقال إنها للمجننون :

أَتْرَكْتُ لَبْلِي لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا سِوَى كَلِيلَةٍ إِنِّي إِذَا لَصَبُورُ^(٣)
هَبُونِي إِمْرَأًا مِنْكُمْ أَضِلَّ بِعِيرِهِ لَهُ ذِمَّةٌ إِنَّ الدِّمَامَ كَبِيرُ
وَلَصَّاحِبُ الْمَرْوُوكِ أَعْظَمُ حُرْمَةً عَلَى صَاحِبٍ مِنْ أَنْ يَفْضِلَ بِعِيرِ^(٤)
عَفَا اللَّهُ عَنْ لَيْلِي الْغَدَاةَ فَإِنَّهَا إِذَا وَلَّيْتُ حَكَمًا عَلَى تَجْوَرُ

١٠

وروى أبو عمرو الشيباني لأبي دَهْبَلٍ - وقد رواه أبو تمام في الحماسة له^(٥) :
أَقُولُ وَالرَّكْبُ قَدْ مَالَتْ كَهْمُهُمْ وَقَدْ سَقَى الْقَوْمَ كِبَاسَ النَّشْوَةِ السَّهَرُ^(٦)
يَالَيْتَ أَنِّي بَأَثْوَابِي وَرَاحِلَتِي عَبْدٌ لِأَهْلِكَ طُولَ الدَّهْرِ مُؤْتَجَرُ^(٧)
إِنْ كَانَ ذَا قَدَرٍ يُعْطِيكَ نَافِلَةً مِنَّا وَيَحْرِمُنَا مَا أَنْصَفَ الْقَدَرُ!^(٨)

(١) الأبيات في (الأغاني ٦ : ١٦٢ ، ومعجم البلدان ٦ : ٥٢) ، والطف : أرض في ضاء
السكوفة ، كان فيها مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه ، وحميمها : أغرباؤها .

(٢) في الأغاني ومعجم البلدان : « وما أفسد الإسلام ... » .

(٣) الأبيات في الأغاني (٦ : ١٦٤ ، وديوان الحماسة - بشرح التبريزي ٣ : ٢٧٢-٢٧٣)

(٤) حاشية ف : « أصليت بعيري إذا شذ عنك وذهب ، وضللت الطريق إذا شذت عنه وذهبت

(٥) الحماسة - بشرح التبريزي ٣ : ٢٩٦-٢٩٧ . (٦) الحماسة : « كأس النشوة »

(٧) حاشية الأصل (من نسخة) : « هذا الشهر مؤتجر » ، وهي رواية الحماسة .

(٨) وورد بعد هذا البيت في الحماسة :

جَنِيَّةٌ أَوْ لَهَا جَنٌّ يَعْلَمُهَا رَمَى الْقُلُوبَ بِقَوْسٍ مَالِهَا وَتَرَّ

وأخبرنا المربزباني قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال : مثل قول أبي دهل : [٢٨]
 ولو تَرَكونا لا هدى الله أمرهم فلم يُذِجُوا قولاً من الشرّ يُنسج^(١)
 لأوشك صرف الدهر تفريق بيننا وهل يستقيم الدهر والدهر أعوج !
 قول العجاج لرؤبة ابنه يشكوه لما استطال عمره، وتمنى موته :

لما رآني أرعشت أطرافي^(٢) استعجل الدهر وفيه كاف
 يخترم الإلف عن الألف

قال ومثله :

عدمت ابن عم لا يزال كأنه وإن لم أتره منطوي على وتر
 يعين على الدهر والدهر مكتف وإن أستعنه لا يعنى على الدهر

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه ومثل الجميع قول أبي أحمد عبید الله بن عبد الله ١٠

ابن طاهر :

إلى كم يكون العتب في كل ساعة وكم لا تملىن القطيعة والهجرة
 رؤيدك إن الدهر فيه كفاية لتفريق ذات البين فانتظري الدهر

(١) من قصيدة في (الأغاني ٦ : ١٥١-١٥٢ ، والشعر والشعراء ٥٩٨-٥٩٩) ، مطلعها :

تطاول هذا الليل ما يتباجج وأعيت غواشي الهم ما تتفرج

(٢) ديوانه : ٣٩ .

مَجْلِسُ آخِرِ تَأْوِيلِ آيَةٍ *

إن سأل سائل فقال : ما وجهُ التكرار في سورة الكافرين ، وما الذي حَسَّنَ إعادة النفي لكونه عابدا ما يعبدون ؛ وكونهم عابدين ما يعبد ، وذكرُ ذلك مرة واحدة يُغني . وما وجه التكرار أيضا في سورة الرحمن لقوله تعالى : ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ؛ [سورة الرحمن] ، الجواب ، يقال له : قد ذكر ابن قتيبة في معنى التكرار في سورة الكافرين وجهها ، وهو أن

٥ قال : القرآن لم ينزل دَفْعَةً واحدة ؛ وإنما كان نزوله شيئا بعد شيء ، والأمر في ذلك ظاهر ، فكان المشركين أتوا النبي صلى الله عليه وآله فقالوا له : استلم^(١) بعض أصنامنا حتى نؤمن بك ؛ ونصدق بنبوتك ، فأمره الله تعالى بأن يقول لهم : ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ . وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ ﴾ [٣٢] مَا أَعْبُدُ ، ثم غبروا مدة من الزمان وجاءوه / فقالوا له : اعبد بعض آلهتنا ، واستلم بعض أصنامنا يوماً أو شهراً أو حولاً ، لنفعل مثل ذلك بإلهك ، فأمره الله تعالى بأن يقول لهم : ﴿ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ ؛ أي إن كنتم لا تعبدون إلهي إلا بهذا الشرط فإنكم لا تعبدونه أبداً .

وقد طعن بعض الناس على هذا التأويل بأن قال : إنه يقتضي شرطاً وحذفاً لا يدل عليه ظاهر الكلام ، وهو شرطه في قوله : ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ ؛ وإذا كان ما نفاه عن نفسه من عبادته ما يعبدون مطلقاً غير مشروط ، فكذلك ما عطفه عليه . وهذا ١٥ الطعن غير صحيح ، لأنه لا يمتنع إثبات شرط بدليل ، وإن لم يكن في ظاهر الكلام ، ولا يمتنع عطف المشروط على المطلق بحسب قيام الدلالة .

وعن هذا السؤال ثلاثة أجوبة ؛ كل واحد منها أوضح مما ذكره ابن قتيبة .

* لم يذكر في الأصل ، وأثبتته عن ت .

(١) حاشية ف : « من استلام الحجر ، وهو التمسح ، ويقال : استلام الحجر ، والأصل ترك الحجر

لأنه من السلة ؛ وهى الحجر ؛ إلا أن استلام الحجر جرى في كلامهم مبهوماً » .

أولها ما حكيَ عن أبي العباس ثعلب أنه قال: إنما حَسُنَ التكرار؛ لأن تحت كلِّ لفظة معنى ليس هو تحت الأخرى، وتلخيص الكلام: قل: يأيها الكافرون: لا أعبد ما تعبدون الساعة وفي هذه الحال، ولا أنتم عابدون ما أعبد في هذه الحال أيضا، فاخْتَصَّ الفعلان منه ومنهم بالحال، وقال من بعد: ولا أنا عابد ما عبدتم في المستقبل، ولا أنتم عابدون ما أعبد فيما تستقبلون، فاختلف^(١) المعاني وحسن التكرار لاختلافها، ويجب أن تكون السورة على هذا الجواب^(٢) مختصةً بمن المعلوم من حاله^(٣) أنه لا يؤمن. وقد ذكر مقاتل وغيره أنها نزلت في أبي جهل والمستهزئين، ولم يؤمن من الذين نزلت فيهم أحد؛ والمستهزئون هم: العاص ابن وائل السهمي، والوليد بن المغيرة، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث، وعدى ابن قيس.

والجواب الثاني وهو جواب الفراء أن يكون التكرار للتأكيد؛ كقول الحبيب مؤكداً: ١٠
بلى بلى، والممتنع مؤكداً: لا لا؛ ومثله قول الله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ. ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾؛ [التكاثر: ٢، ٣]، وأنشد الفراء:
وكاننَّ وكمَّ عِنْدِي لَهُمْ مِنْ صَنِيعَةٍ أَيْدِي تَتَوَّاهَا عَلَى وَأَوْجَبُوا
وأنشد أيضاً:

١٥ كَمْ نِعْمَةٍ كَانَتْ لَكُمْ كَمْ وَكَمْ

وقال آخر:

نَفَقَ الْغُرَابُ بَيْنَ لُبْنَى غُدْوَةً كَمْ وَكَمْ وَكَمْ يَفِرَّاقِ لُبْنَى يَنْفِقُ^(٤) [٣٨ ط]

وقال آخر:

(١) ط: «فاختلفت المعاني».

(٢) ساقطة من ط، م.

(٣) ساقطة من ت، م.

أَرَدْتُ لِنَفْسِي بَعْضَ الْأُمُورِ فَأَوَّلِي لِنَفْسِي أَوَّلِي لَهَا! (١)

والجواب الثالث - وهو أغربها - أننى لا أعبد الأصنام التى تعبدونها ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ؛ أى : أنتم غير عابدين الله الذى أنا عابده إذ أشركتكم به ، واتخذتم الأصنام وغيرها معبودة من دونه أو معه ، وإنما يكون يكون عابداً له مَنْ أخلص له العبادة دون غيره ، وأفرده بها ؛ وقوله : ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ ؛ أى لست أعبد عبادتكم ، ومافى قوله : ﴿مَّا عَبَدْتُمْ﴾ ٥ فى موضع المصدر كما قال تعالى : ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَّاهَا : وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ : [الشمس : ٧٦] ، أراد : وطَّحَّاهُ إياها وتسويته لها ، وقوله تعالى : ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ ؛ [غافر : ٧٠] ، يريد : بفرحكم ومرحكم ؛ قال الشاعر :

يَا رُبَّعَ سَلَامَةٍ بِالْمُنْحَى بِخَيْفٍ سَلَعٍ جَادَكَ الْوَايِلُ (٢)

١٠ إِنَّ نَفْسٍ وَخَشًا فَمَا قَدْ تَرَى وَأَنْتَ مَعْمُورٌ بِهَا أَهْلُ (٣)

أراد فبرؤيتك معموراً أهلاً ، ومعنى قوله : ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ﴾ ، أى لستم عابدين عبادتى على نحو ما ذكرناه ، فلم يتكرر الكلام إلا لاختلاف المعانى .

وتلخيص ذلك أن النبى صلى الله عليه وآله قال للكفار لا أعبد آلهتكم ، وَمَنْ تَدْعُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، ولا أنتم عابدون إلهى ، فإن زعمتم أنكم عابدون إلهى فأنتم كاذبون ، إذ كنتم ١٥ من غير الجهة التى أمركم بها تعبدونه ، فأنا لا أعبد مثل عبادتكم ، ولا أنتم ما دتم على ما أنتم عليه تعبدون مثل عبادتى .

(١) حواشى الأصل ، ت ، ف : «أولئك : كلمة تحذير ، قال الأصمى : معناه قاربك ماتسكركه والولى : القرب ، وقد وليه يليه . وقال ثعلب : أصبح ما ذكر فى «أولى» قول الأصمى ، وقد قيل فى غير ذلك ، وكان محمد بن الحنفية عليه السلام إذا مات جاره يقول : أولى لى ! كدت أكون السوا المحترم » .

(٢) المنحى : حيث ينحى السيل ؛ أى يميل . والخيف : ما انحدر عن الجبل وارتفع عن السيل ، وأسمى خيف متى . وسلم : يطلق على جملة مواضع فى ديار باهلة وأسد .

(٣) وحشا : خالياً ، وبما ترى ؛ أى بما كنت قد ترى ، وأهل : ذو أهل ؛ وفى حاشية ف «وأنت معمور بها ، يجوز أن يتعلق «بها» بمعمور وبأهل جميعاً . وفى د ، م : «به أهل» .

فإن قيل : أما اختلاف المعبودين فلا شبهة فيه ، فما الوجه في اختلاف العبادة ؟ قلنا : إنه صلى الله عليه وآله كان يعبد مَنْ يخلص له العبادة ولا يشرك به شيئاً ، وهم يشركون ، فاختلقت عبادتهما^(١) ، ولأنه أيضاً كان يتقرب إلى معبوده بالأفعال الشرعية التي تقع على وجه العبادة ، وهم لا يفعلون تلك الأفعال ، ويتقربون بأفعال غيرها ، يعتقدون جهلاً أنها عبادة وقربة .

/ فإن قيل : فما معنى قوله تعالى : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ ، وظاهر هذا الكلام [٣٩] يقتضى إباحتهم المقام على أديانهم ؟ قلنا في هذا ثلاثة أجوبة : أولها أن ظاهر الكلام وإن كان ظاهره إباحة فهو وعيد ومبالغة في النهي والزجر ؛ كما قال تعالى : ﴿ اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾ ؛ [فصلت : ٤٠] . وثانيها أنه أراد لكم جزاء دينكم ، ولي جزاء ديني ، فحذف الجزاء لدلالة الكلام عليه ، وثالثها أنه أراد لكم جزاؤكم ولي جزائي ؛ لأن نفس الدين هو الجزاء ؛ ١٠ قال الشاعر :

إِذَا مَا لَقُونَا لَقَيْنَاهُمْ وَدَنَّاهُمْ مِثْلَ مَا يُقْرِضُونَا

فأما التكرار في سورة الرحمن فإنما حسن للتقرير بالنعم المختلفة المعددة ، فكما ذكرنا نعمة أنعم بها قرّر عليها^(٢) ، ووبّخ على التكذيب بها ؛ كما يقول الرجل لغيره : ألم أحسن إليك بأن خولتكَ الأموال ! ألم أحسن إليك بأن خلصتكَ من المكاره ! ألم أحسن إليك ١٥ بأن فعلت بك كذا وكذا ! فيحسن منه التكرير^(٣) لاختلاف ما يقرره به ، وهذا كثير في كلام العرب وأشعارهم ، قال مهامل بن ربيعة يرثي أخاه كليلاً^(٤) :

(١) ف ، حاشية ت (من نسخة) : « عبادتهما » .

(٢) ت ، ف : « بها » .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « التكرار » .

(٤) من قصيدة مشهورة ، مطلعها :

أَلَيْتُنَا بِذِي حُسْمٍ أُنِيرِي إِذَا أَنْتِ انْقَضَيْتِ فَلَا تَحْجُورِي

وهي في (أمالي الفال ٢ : ١٢٩-١٣٣) وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « قبل هذا البيت :

وَهَمَامُ بْنُ مُرَّةٍ قَدْ تَرَكَنَا عَلَيْهِ الْقَشْعَمَانِ مِنَ النُّسُورِ

على أن ليس عدلاً من كليب إذا طرد^(١) اليتيم عن الجزور^(١)
 على أن ليس عدلاً من كليب إذا ماضيم جيران المجير
 على أن ليس عدلاً من كليب إذا رجف العضاء من الدبور^(٢)
 على أن ليس عدلاً من كليب إذا خرجت مخبأة الحدور
 على أن ليس عدلاً من كليب إذا ما أعلنت نجوى الأمور
 على أن ليس عدلاً من كليب إذا خيف الخوف من الثغور
 على أن ليس عدلاً من كليب غداة تلاتل الأمر الكبير^(٣)
 على أن ليس عدلاً من كليب إذا ما خام جار المستجير^(٤)

وقالت ليلي الأخيلية ترني توبة بن الحمير :

[٣٩] / ولنعم الفتى يا توب كنت إذا التقت صدور الأعالى واستشال الأسافل^(٥)
 ونعم الفتى يا توب كنت ولم تكن لتسبق يوماً كنت فيه تحاول^(٦)

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « اللئيم » .

وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « قال مهمل في هذه القطعة قبل هذا البيت . رؤية أخيه ؛ وهو الذي ثارت لأجله حرب البسوس ؛ وكان سبب تلك الحرب أن كليباً رمى ضرع ناقة البسوس ، فانتظم ضرعها ، فقتل كليب ، وبقيت الحرب فيهم أربعين سنة ، وكان في أواخر تلك الحروب يوم التحلف ، وعلى أن ليس عدلاً ؛ يعني : ليس همهم عدلاً من كليب ؛ ويقال : عندى غلام عدل غلامك [بكسر العين] وهذا المال عدل غلامك [بالفتح] ؛ أى قيمته ؛ قال الفراء : العدل [بالفتح] : ما عادل الشئ من غير جنسه ، والعدل [بالكسر] المثل » . (٢) رجف : تحرك حركة شديدة ، والعضاء : كل شجر له شوك ؛ وفي حاشية الأصل : « أى كان الزمان شتاء » .

(٣) التلاتل : الشدائد ، وفي ت ، ف : « بلبال » ، وفي الأصل ذكر الوجهان معا ، وفي الحاشية :

« البلبال : العت ، والتلاتل : الشدائد ، وفي شعره بالباء » .

(٤) خام : جبن ، وفي نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « خار » .

(٥) حاشية ت (من نسخة) : « في ديوانها : « العوالى » ، وهى رواية ف أيضا .

(٦) ف ، ونسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « تحاول » ، وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « في

نسخة شعرها :

ونعم الفتى يا توب كنت قديمة على الخيل تمرى بها ونعم المنازل
 وقديمة ؛ أى مدة قديمة ، ويجوز أن تكون قديمة بمعنى مقدامة . وتمرىها ، تحملها الجربة .

- وَنِعَمَ الْفَتَى يَا تَوْبَ كُنْتَ لِخَائِفٍ
وَنِعَمَ الْفَتَى يَا تَوْبَ جَارًا وَصَاحِبًا
لَعَمْرِي لَأَنْتَ الْمَرْءُ أَبْكِي لِفَقْدِهِ
[لَعَمْرِي لَأَنْتَ الْمَرْءُ أَبْكِي لِفَقْدِهِ
لَعَمْرِي لَأَنْتَ الْمَرْءُ أَبْكِي لِفَقْدِهِ
لَعَمْرِي لَأَنْتَ الْمَرْءُ أَبْكِي لِفَقْدِهِ
أَبْنَى لَكَ ذَمَّ النَّاسِ يَا تَوْبَ كُلَّمَا
أَبْنَى لَكَ ذَمَّ النَّاسِ يَا تَوْبَ كُلَّمَا
فَلَا يُبْعِدُنكَ اللَّهُ يَا تَوْبَ إِنَّمَا
وَلَا يُبْعِدُنكَ اللَّهُ يَا تَوْبَ إِنَّهَا
وَلَا يُبْعِدُنكَ اللَّهُ يَا تَوْبَ وَالتَّقَى
- أَتَاكَ لَكِي يُجْمَى وَنِعَمَ الْمُجَاهِلُ^(١)
وَنِعَمَ الْفَتَى يَا تَوْبَ حِينَ تَفَاضِلُ^(٢)
بِحِدِّ وَلَوْ لَأَمْتُ عَلَيْهِ الْعَوَازِلُ
وَيَكْذُرُ تَسْهِيْدِي لَهُ لَا أَوَائِلُ^(٣)
وَلَوْ لَأَمَّ فِيهِ نَاقِصُ الرَّأْيِ جَاهِلُ^(٤) ٥
إِذَا كَثُرَتْ بِالْمُحْصِنِ التَّلَاتِلُ^(٥)
ذُكِرَتْ أُمُورٌ مُحْكَمَاتٌ كَوَامِلُ
ذُكِرَتْ سَمَاحٌ حِينَ تَأْوَى الْأَرَامِلُ
لَقِيتَ حِمَامَ الْمَوْتِ وَالْمَوْتُ عَاجِلُ
كَذَلِكَ الْمَنَآيَا عَاجِلَاتٌ وَآجِلُ ١٠
عَلَيْكَ الْغَوَادِي الْمُدْجِنَاتُ الْهَوَاطِلُ^(٦)
- فخرجت في هذه الأبيات من تكرار إلى تكرار لاختلاف المعاني التي عددناها على نحو ما ذكرناه^(٧).

(١) كذا في الأصل ، ف ؛ وفي ت : « المحامل » ، وفي حاشيتها : « المحامل ؛ من المحالة ؛ وهي الدية » .

(٢) ف ، وحاشية ت (من نسخة) : « تناضل » ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « تقاثل » .

(٣) زيادة من م وحاشيتي ط ، ف .

(٤) م : « ناقص العقل » .

(٥) ت : « البلبال » ، وفي حاشية ف : « المتلجم : الذي أشرف على القتل ؛ فكأنه جعل الحما ، والتلاتل : جمع تلتلة ، وهي مضاعف من الرباعي ، يقال : تلتة وتلتلة ؛ كما يقال : كبة وكبيكة ؛ قال تعالى : ﴿ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴾ ، والتلاتل : الأمور العظام » .

(٦) المدجنات : السحاب المظلمة ، والهطلان : تتابع المطر والدمع .

(٧) حاشية ف : « في الجليس والأنيس : من أعجب ما روى في قصتهما أن لبلى الأخيلية بعد موت توبة تزوجت ، ثم إن زوجها بعد ذلك مرّ بقبر توبة ولبلى معه ، فقال لها : يالبي ؛ هل تعرفين هذا القبر ؟ فقالت : لا ، فقال : هذا قبر توبة فسلمى عليه ، فقالت : امض لئلا نك ؛ فاتريد من توبة وقديليت عظامه ؟ =

وقال الحارث بن عباد - :

قَرَّبَا مَرَبَطَ النِّعَامَةِ مِنِّي لَقِيتُ حَرْبُ وَاثِلٍ عَنْ حَيْالٍ^(١)
ثم كرر قوله : « قَرَّبَا مَرَبَطَ النِّعَامَةِ » في أبيات كثيرة من القصيدة للمعنى الذى ذكرناه.

وقالت ابنة عم للنعمان بن بشير ترى زوجها :

وَحَدَّثَنِي أَصْحَابُهُ أَنَّ مَالِكًا أَقَامَ وَنَادَى صَحْبُهُ بَرَحِيلَ
وَحَدَّثَنِي أَصْحَابُهُ أَنَّ مَالِكًا ضَرُوبٌ بَنَصْلِ السَّيْفِ غَيْرُ نَكُولِ
وَحَدَّثَنِي أَصْحَابُهُ أَنَّ مَالِكًا جَوَّازٌ بِمَا فِي الرَّحْلِ غَيْرُ بَخِيلِ
وَحَدَّثَنِي أَصْحَابُهُ أَنَّ مَالِكًا خَفِيفٌ عَلَى الْحَدَاثِ غَيْرُ ثَقِيلِ
وَحَدَّثَنِي أَصْحَابُهُ أَنَّ مَالِكًا صَرُومٌ كَمَا ضَى الشَّفَرَتَيْنِ صَقِيلِ [٤٠]

وهذا المعنى أكثر من أن نحصىه . وهذا هو الجواب عن التكرار في سورة المرسلات

بقوله تعالى : ﴿ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ .

== قال : أريد تكذيبه؛ أليس هو الذى يقول :

وَلَوْ أَنَّ لِيَّ الْأَخِيلِيَّةَ سَلَّمْتُ عَلَى وَدُونِي تَرْبَةً وَصَفَائِحُ
لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْزَقًا إِلَيْهَا صَدَّى مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَاحُ

فوالله ، لا برحت أو تسلمى عليه ؛ فقالت : « السلام عليك يا توبة ورحمك الله ، وبارك لك فيما صرت إليه ؛ فإذا طائر قد خرج من القبر حتى ضرب صدرها ، فشبهت شهقة فانت ، فدفنت إلى جانب قبره ، فنبئت على قبره شجرة ، وعلى قبرها شجرة ، فطائنا والتفتنا » .

(١) مربوط ؛ ضبطت بالقلم في الأصل ، بالفتح والكسر معا ، وفي حاشية ف : « ما كان على فعل يفعل ، بالضم فالصدر والموضع منه ، فعل بالفتح ، وما كان على فعل بفعل بالكسر فالصدر مفعول ، بالفتح ، والموضع مفعول ، بالكسر ، وما كان على فعل بالفتح فكلاهما فيه بالفتح » . وفي حاشية الأصل : « الحيال : ألا تحمل الناقة أو الفرس ؛ يعنى أن الحرب لقيت بعد أن كانت لا تحمل » .

وقد ورد هذا البيت في (أمالي القالى ٣ : ٢٦) ، وبعده :

لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَلِمَ اللَّهُ وَإِنِّي بِمَجَرَّهَا الْيَوْمَ صَالٍ
قَرَّبَا مَرَبَطَ النِّعَامَةِ مِنِّي إِنْ بَيْعَ الْكِرَامِ بِالشَّعْرِ غَالٍ

فإن قيل: إذا كان الذى حسن التكرار فى سورة الرحمن ما عدّده من الآله ، ونعمه فقد عدّ فى جملة ذلك ما ليس بنعمة، وهو قوله: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمْ شَوَاطِلٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٍ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ [آية: ٣٥]، وقوله: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾^(١) [آية: ٤٣، ٤٤]. فكيف يحسن أن يقول بعقب هذا: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ وليس هذا من الآلاء والنعم؟ قلنا: الوجه فى ذلك أن فعل العقاب وإن لم يكن ٥ نعمة فقد كرّه ووصفه والإنذار به من أكبر النعم، لأن فى ذلك زجراً عمداً يستحق به العقاب وبما على ما يستحق به الثواب، فإنما أشار بقوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ، بعد ذكر جهنم والعذاب فيها إلى نعمته بوصفها والإنذار بعقابها ، وهذا مما لا شبهة^(٢) فى كونه نعمة.

فصل

قال سيدنا الشريف الأجل المرتضى ذو المجددين أدام الله علوه : وكما أنه كان فى الجاهلية وقبل الإسلام وفى ابتدائه قوم يقولون بالدهر ، وينفون الصانع ، وآخرون مشركون ١٠ يعبدون غير خالقهم ، ويستنزلون الرزق من غير رازقهم أخبر الله تعالى عنهم فى كتابه ، وضرب لهم الأمثال ، وكرّر عليهم البينات والأعلام ، فقد نشأ بعد هؤلاء جماعة ممن يتستر بإظهار الإسلام ويحقن بإظهار شعاره والدخول فى جملة أهله دمه وماله زنادقة مُلْحِدُونَ ، وكفار مشركون ؛ فمنهم^(٣) عِزُّ الإسلام عن المظاهرة والمجاهرة ، وألجأهم خوف القتل إلى الساترة ؛ وبلية هؤلاء على الإسلام وأهله أعظم وأغلظ، لأنهم يُدْغِلُونَ فى الدين ، ويموّهون ١٥ على المستضعفين ، بجأشٍ رابط ، ورأى جامع ؛ فمُلّ من قد آمن الوحشة، ووثق بالأنسة ، بما يظهره^(٤) من لباس الدين ، الذى هو منه على الحقيقة عارٍ ، وبأثوابه غير متوار ، كما يحكى أن عبد الكريم بن أبى العوّاء قال لما قبض عليه محمد بن سليمان ، وهو والى الكوفة من قبل

(١) حاشية ف : « الحميم : الماء الحار ، والآنى : الذى بلغ نهايته » .

(٢) ش : « وهذا لا شبهة » . (٣) ش : « فمنهم » . (٤) ش : « فيما يظهره » .

[٤٠] المنصور، وأحضره / للقتل، وأيقن بمفارقة الحياة^(١): لئن قتلتُموني لقد وضعتُ في أحاديثكم
 أربعة آلاف حديث مكذوبة مصنوعة^(٢).

والمشهورون من هؤلاء الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، والحما دون: حمّاد الراوية ، وحمّاد
 ابن الزُّبرقان ، وحمّاد عَجْرَد ؛ وعبد الله بن المقفع ، وعبد الكريم بن أبي العوجاء ،
 ٥ وبشار بن بُرْد ، ومُطيع بن إياس ، ويحيى بن زياد الحارثي ، وصالح بن عبد القدوس
 الأزديّ، وعليّ بن خليل الشَّيباني ، وغير هؤلاء، ممن لم نذكره؛ وهم وإن كان عددهم كثيراً
 فقد أقلهم الله وأذلهم^(٣) بما شهدت به دلائله الواضحة ، وحججه اللائحة على عقولهم من
 الضعف ، وآرائهم من السُّخف .

ونحن نذكر من أخبار كل واحدٍ ممن ذكرناه وتهمته في دينه بُذّة^(٤) ، ونومى فيها
 ١٠ إلى جملة^(٥) . والذي دعانا إلى التشاغل بذلك - وإن كانت عنايتنا بغيره أقوى - مسألة مَنْ
 نرى إجابته ، ونؤثر موافقته ، فتكافئناه له ومن أجله ، مع أنه غير خالٍ من فائدة ينفعُ علمها
 ويُتأدب بروايتها وحفظها .

أما الوليد^(٦) فكان مشهوراً بالإلحاد ، متظاهراً بالعناد ، غير محتشم في أطراح الدين أحداً

(١) حاشية ت (من نسخة) : « الدنيا » .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « موضوعة » .

(٣) في ت ، د : « وأذلهم وأرذلهم » .

(٤) بُذّة ، بفتح النون وضمة هاء . (٥) في ت ، د : « جملة كافية » .

(٦) حواشي الأصل ، ت ، ف : « هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ؛ ويكنى أبا العباس

قتله يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، وكان المتولى لذلك عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، وكانت ولاية
 الملعونة سنة وشمسين وثمناً وعشرين ليلة ، وقتل وقد بلغ من السن اثنتين وأربعين سنة ، وقتل معه ولدا
 الحكم وعثمان ، وكان يقال لهما الجملان » . وانظر أخبار الوليد في (الأغاني ٦ : ٩٨ - ١٣٧
 والعقد ٤ : ٤٥٢ - ٤٦٣) .

ولا مراقب فيه بشراً ؛ وفي الحديث أنه وُلِدَ لأُخَى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله غلام فسموه الوليد ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : «سميتموه بأسماء فراعنتكم ! ليكونن في هذه الأمة رجل يقال له الوليد ، لهو شرُّ على هذه الأمة من فرعون على قومه» . قال الأوزاعي : فسألت الزُّهري عنه فقال : إن استُخْلِيفَ الوليد بن يزيد ، وإلا هو الوليد بن عبد الملك .

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال : حدثني محمد بن إبراهيم قال : حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال : كان الوليد بن يزيد بن عبد الملك قد عزم على أن يبنى فوق البيت الحرام قبة يشرب عليها الخمر ، ويُشرف على الطواف ، فقال بعض الحجة^(١) : لقد رأيتُ المجوسَ البناء فوق الكعبة ؛ وهو يقدر مواضع أركان القبة ، فلم تمس^(٢) تلك الليلة حتى وافى الخبرُ بقتل الوليد .

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني عبد الله بن يحيى العسكري / عن أبي إسحاق [٤١]
الطَّلحي قال أخبرني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل عن أبي العالبة عن بعض أهل العلم قال : قال يزيد بن الوليد - وهو الملقَّب بالناقص^(٣) لما ولى : نشدتُ الله رجلاً سمع شيئاً من الوليد إلا أخبر به ! فقام ثور بن يزيد فقال : أشهد لسمعتُه^(٤) وهو يقول :

أسقياني وابنَ حَرْبٍ واسـُـئْـرَـا بإزارِ
واترُكا مَنْ طَلَبَ الجَنَّةَ يَسْعَى فِي خَسَارِ
سأسوسُ النَّاسَ حَتَّى يَرْكَبُوا دِينَ الحِمَارِ^(٥)

وأخبرنا المرزباني قال : أخبرني أحمد بن خالد النخاس قال : حدثنا محمد بن مكحول قال :

(١) حاشية ت (من نسخة) : « بعض الطواف » .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « فلم تمس » .

(٣) ش : « الملقَّب بالناقص » ، وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « قيل له الناقص لأنه كان نقص أعطياتهم » .

(٤) ش : « لقد سمعته » .

(٥) في حاشيتي الأصل ، ف : « أى حتى ينزرو بعضهم على بعض كما تتنازى الحمير » .

نَشَرَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدٍ يَوْمًا الْمَصْحَفَ ، وَكَانَ خَطُّهُ كَأَنَّهُ أَصَابِعُ ، وَجَعَلَ يَرْمِيهِ بِالسَّهَامِ وَهُوَ يَقُولُ ^(١) :

تَذَكَّرُنِي الْحِسَابُ وَلَسْتُ أَذْرِي أَحَقًّا مَا تَقُولُ مِنَ الْحِسَابِ
فَقُلْ لِلَّهِ يَمْنَعُنِي طَعَامِي وَقُلْ لِلَّهِ يَمْنَعُنِي شَرَابِي

٥ قال سيدنا الشريف الأجل المرتضى أدام الله علوه : ويله من هذه الجرأة على الله وبلا طويلا ! وما أقدر الله أن يمنعه طعامه وشرابه وحياته ! وما أولاه اللعين باليم العذاب وشديد العقاب ! لولا ما تيم به المحنة ، وينتظم به التكليف ؛ من تأخير المستحق من الثواب والعقاب ، وتبعيدها من أحوال الطاعات والمعاصي .

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال : حدثني أحمد بن كامل قال : كان الوليد بن يزيد زنديقا ١٠ وإنه فتح ^(٢) المصحف يوما فرأى فيه : ﴿ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ ؛ [إبراهيم : ١٥] ، فاتخذ المصحف غرضا ورماه بالنبل حتى مزقه ؛ وهو يقول :

أَتُوْعِدُ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ فَمَا أَنَا ذَاكَ جَبَّارٍ عَنِيدٍ
فَإِنْ لَأَقِيْتَ رَبَّكَ يَوْمَ حَشْرِ فَقُلْ يَا رَبَّ خَرَفَنِي الْوَلِيدُ ^(٣)

(١) ت : « وهو يقول » .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « افنتج » .

(٣) حاشية ف : « أخبر أبو حاتم عن العتيبي قال : كان الوليد بن يزيد قد نظر إلى جارية من أهيا النساء يقال لها : سفري ، فجن بها ، وجعل يرأسها وتأبى عليه ؛ حتى بلغه أن عيدا للنصارى قد قرب ، وأنها ستخرج فيه ، وكان في موضع العيد بستان حسن ، وكان النساء يدخلنه ، فصاح الوليد صاحب البستان أن يدخله فينظر إليها ؛ فتأبى ، وحضر الوليد وقد تقشف وغير حديثه ، ودخلت سفري البستان ، فجعلت تمشي حتى انتهت إليه ، فقالت لصاحب البستان : من هذا ؟ قل لها : رجل مصاب ، فجعلت تمازحه وتضحكه حتى اشتنى من النظر إليها ومن حديثها ؛ فقبل لها : ويلك ! أتدريين من ذلك الرجل ؟ قلت : لا ، =

وأما حماد الراوية فكان مُنْسَلِخاً من الدين ، زارياً على أهله ، مُدْمِناً لشرب الخمر وارتكاب الفجور .

وقال عمرو بن بحر الجاحظ : كان مُنْقَذَ بن زياد الهلالي ، ومطيع بن إياس ، ويحيى بن زياد ، وحفص بن أبي ودّة^(١) ، وقاسم بن زُنْقُطَة ، وابن المقفع ، ويونس بن أبي فروة ، وحماد مجرد / وعلى بن الخليل ، وحماد بن أبي ليلى الراوية ، وحماد بن الزُّبْرَقَان ، ووالبة بن [٤١] ^ظ الحُبَاب ، وعمارة بن حمزة بن ميمون ، ويزيد بن الفيض ، وجميل بن محفوظ المهلبى ، وبشار ابن بُرْدِ المرَعَث ، وأبان اللاحقى ؛ يجتمعون على الشرب وقول الشعر ، ويهجو بعضهم بعضاً ، وكلٌّ منهم مُتَّبِعٌ في دينه^(٢) .

فقيل لها: الوليد بن يزيد ؛ وإماتة شفى حتى ينظر إليك ؛ فجت بعد ذلك ، وكانت عليه أحر منه عليها ، فقال الوليد في ذلك :

أضحى فؤادك يا وليدُ عميداً صَبّاً قديماً للحسان صَيُوداً
من حُبٍّ واضحة العوارض طفلةً برزت لنا نحو الكنيسة عيداً
مازلتُ أرمُقها بعيني وَاَمَقُ حتى بَصُرْتُ بها تُقْبَلُ عوداً
عود الصَّليب ، فويحَ نَفْسِي مَنْ رَأَى منكم صليبا مثله مَعْبُوداً !
فسألتُ ربِّي أنْ أكونَ مكانهُ وأكونَ في لَهَبِ الجَحِيمِ وَقُوداً

قال القاضي : لم يبلغ مدرك الشيباني هذا الحد من الخلاعة ؛ إذ قال في عمرو النصراني :

يَا لَيْتَنِي كُنْتُ لَهُ صَليباً فكنتُ معه أبداً قَرِيباً
أَبْصُرُ حُسْناً وَأُسْمُ طيباً لا وأشيأَ أَخْشَى ولا رَقِيباً

فلما ظهر أمره وعلمه الناس قال :

ألا حَبِذا سَفَرِي وإن قيل إنني كلِّفْتُ بَنَصْرَانِيَّةَ تَشْرَبُ الخمرَ
يهونُ عليَّ أنْ تَظَلَّ نهارها إلى اللَّيْلِ لا أُولَى نُصَلَّى ولا عَصراً

(١) ش : « ودة » ، بفتح الواو ، وضبط في الأصل بالفتح والضم معا .

(٢) حاشية ف : « حدث أبو الحسن بن راهويه قال : صلى يحيى بن معلى الكاتب - وكان في مجلس فيه أبو نواس ، ووالبة بن الحباب ، وعلى بن الخليل ، والحسين بن الخليل - صلاة ، فقرأ فيها =

وعمل يونس بن أبي فرّوة كتاباً في مثالب العرب وعيوب الإسلام بزعمه، وصار به إلى ملك الروم ، فأخذ منه مالاً . وقال أحمد بن يحيى النحويّ قال رجل يهجو حمّاد الراوية :

نِعَمَ الْفَتَى لَوْ كَانَ يَعْرِفُ رَبَّهُ وَيُقِيمُ وَقْتَ صَلَاتِهِ حَمَّادُ
بَسَطَتْ مَشَا فِرَهُ الشَّمُولُ فَأَنْفَهُ مِثْلُ الْقَدُومِ يَسْتُهَا الْحَدَّادُ
وَأَبْيَضَ مِنْ شُرْبِ الْمُدَامَةِ وَجْهُهُ فَبَيَاضُهُ يَوْمَ الْحِسَابِ سَوَادُ
لَا يُعْجِبُنِكَ بَزُّهُ وَلِسَانُهُ إِنَّ الْمَجُوسَ يَرَى لَهَا أَسْبَادُ^(١)

وكان حمّاد مشهوراً بالكذب في الرواية وعمل الشعر ، وإضافته إلى الشعراء المتقدمين ودسّه في أشعارهم ؛ حتى إن كثيراً من الرواة قالوا : قد أفسد حمّاد الشعر ، لأنه كان رجلاً يقدر على صنعته فيدس في شعر كل رجل منهم^(٢) ما يشاكل طريقتَه ، فاختلط لذلك الصحيح بالسقيم ؛ وهذا الفعل منه ، وإن لم يكن دالاً على الإلحاد فهو فسقٌ وتهاون بالكذب في الرواية^(٣).

وأما حمّاد بن الزُّرَّاقان فهذه طريقتُه في التخريم^(٤) والتهتك ؛ أخبرنا أبو الحسن عليّ

= ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فغلط ، فلما سلم ، فقال أبو نواس :

أَكْثَرَ يَحْيَى غَلَطًا فِي «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»

فقال والبة :

قَامَ طَوِيلًا سَاكِتًا حَتَّى إِذَا أَعْيَا سَجَدَ

فقال على بن الخليل :

بِزْحَرُ فِي مِخْرَابِهِ زَحِيرَ حُبْلَى لِلْوَلَدِ

فقال الحسين بن الخليل :

كَأَنَّمَا لِسَانُهُ شُدَّ بِحَبْلٍ مِنْ مَسَدٍ

(١) حاشية الأصل : « جمع سبد ؛ وهو المال ، وهما اكنابة عن الثياب واللباس » . (٢) سابقاً من م . (٣) توفي حمّاد الراوية سنة ١٥٥ . (وانظر ترجمته في ابن خلكان ١ : ١٦٤-١٦٥) . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « الفجور » ، وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « التخريم التهتك ، وهو أيضا التدين بدين الحرمة ؛ وهم أهل التناسخ » .

ابن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دُرَيْدٍ قال أخبرنا الأَشْنَانُ دَانِيَّ قال : دعا حَمَّادُ بْنُ الزُّبَيْرِ قَانَ^(١) أبا الغول النَّهْشَلِيَّ إلى منزله وكانا يتقارضان^(٢) ، فأنهَرَهُ أَبُو الغُولِ ، فلم يزل المفضل به حتى أجابه ، وانطلق معه ، فلما رجع إلى المفضل قال : ما صنعت أنت وحماد ؟ قال : اصطالحنا على ألا أمره بالصلاة ، ولا يدعوني إلى شرب الخمر ، وأنشد المفضل قوله :

نَمِّمْ الْفَتَى لَوْ كَانَ يَعْرِفُ رَبَّهُ *
٥

وذكر الأبيات التي تقدّمت في الرواية الأخرى منسوبة إلى هجاء حماد الراوية .

فأما حَمَّادُ عَجْرَدَ فشهرته في الضلالة / كشمرة الحمّادين ، وكان يُرْمَى مع ذلك بالتَّثْنِيَّةِ . [٢ : ٤]
أخبرنا أبو عُبَيْدِ اللَّهِ المَرْزُبَانِيُّ قال حدثني عليّ بن عبد الله الفارسيّ قال أخبرني أبي قال حدثني ابن مَهْرُويه^(٣) قال حدثني عليّ بن عبد الله بن سعد قال حدثني السريّ بن الصباح الكوفيّ قال : دخلت على بشار بالبصرة ، فقال لي : يا أبا عليّ ، أما إنّي قد أوجعتُ صاحبكم ، ١٠ وبلغت منه - يعني حمّاد عَجْرَدَ - فقلت : بماذا يا أبا مُعَاذٍ ؟ فقال : بقولي فيه :

يَا بَنَ نِهْيَا رَأْسُ عَلِيٍّ ثَقِيلُ واحتمالُ الرَّأْسَيْنِ خَطْبُ جَلِيلُ
فادُعْ غَيْرِي إِلَى عِبَادَةِ رَبِّي - فَإِنِّي بِوَاحِدٍ مَشْغُولُ

فقلت لِمَ^(٤) أدعُه في عماء ؟ ثم قلت له : قد بلغ حماداً هذا الشعر ، وهو يرّويه على خلاف هذا قال : فما يقول ؟ قلت يقول :

فادُعْ غَيْرِي إِلَى عِبَادَةِ رَبِّي - فَإِنِّي عَنْ وَاحِدٍ مَشْغُولُ
قال فلما سمعه أطرق وقال : أحسنَ والله ابنُ الفاعلة ! ثم قال : إنني لأحتشمك ، فلا تُنشدْ أحداً هذين البيتين ؛ وكان إذا سئل عنهما بعد ذلك قال : ما هما لي !

(١) انظر ترجمته ومراجعتها في (إنباء الرواة ١ : ٣٣٠-٣٣٢) . (٢) حواشي الأصل ، ت ، ف : « يتقارضان : يتجازيان ؛ ويقال ذلك في الخير والشر جميعاً ، أى يقرض بعضهم بعضاً الهجاء » .
(٣) م : « مهرويه » ، بفتح الميم وسكون الهاء وضم الراء وبعدها واو ساكنة وياء مفتوحة .
(٤) م : « لن أدعه » .

وأخبرنا المرزباني قال أخبرني علي بن هارون عن عمه يحيى بن علي عن عمر بن شبة قال حدثني خالد الأرقط قال قال بشار: بلغني أن رجلاً كان يقرأ القرآن وحماد يمشد الشعر، فاجتمع الناس على القارى فقال حماد: علام تجتمعون؟ فوالله ما أقول^(١) أحسن مما يقول! فمقتة الناس على هذا.

٥ وروى ابن شبة عن أبي عبيدة قال: كان حماد عجرد يعبر بشاراً بالقبح؛ لأنه كان عظيم الجسم، مجدوراً، طويلاً، جاحظ العينين، قد تغشاهما لحم أحمر؛ فلما قال حماد فيه:

والله ما الخنزير في نتنه برئعه في النتن أو خمه
بل ريحه أطيب من ريحه ومسه ألين من مسه
ووجهه أحسن من وجهه ونفسه أفضل من نفسه
وعوده أكرم من عوده وجنسه أكرم من جنسه

١٠

[٤٢] / فقال بشار: ويلي على الزنديق! لقد نفت بما في صدره، قيل: وكيف ذلك؟ قال: ما أراد الزنديق إلا قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَن تَقْوِيمٍ﴾؛ [التين: ٤]؛ فأخرج الجحود بها مخرج هجائي، وهذا خبث من بشار وتغلغل شديد لطيف.

وأول من جعل نفي الإلحاد تأكيداً للوصف به، وأخرج ذلك مخرج المبالغة مُساوٍ

١٥ الوراق في حماد عجرد فقال:

لو أن ماني وديصاناً وعصبتهم جاءوا إليك لَمَا قُلْنَاكَ زنديق
أنت العبادة والتوحيد مُدْ خَلَقَا وذا الزنديق نيرنج مخاريق^(٢)

فأما ابن المقفع^(٣) فإن جعفر بن سليمان روى عن المهدي أنه قال: ما وجدت كتاباً

(١) ش: «لا أقول». (٢) توفي حماد عجرد سنة ١٦١؛ (وانظر ترجمته في ابن خلدون

١: ١٦٥-١٦٦) (٣) حاشية ف: «هو الذي يقول:

قَدْ سَلِمَ السَّاكِتُ الصَّمُوتُ كَلَامُ رَاعِي السَّكَّامِ قُوتُ
لَا تُفْشِ سِرًّا إِلَى جَدَارٍ فَرَبَّمَا كَمَتَ الْبُيُوتُ
وَأَعْجَبَا لِمَرَى ضُجُوكِ! مُسْتَيْقِنٌ أَنَّهُ يَمُوتُ

رَزْدَقَةُ قَطٍ إِلَّا وَأَصْلَهُ ابْنُ الْمُتَفَعِّعِ . رَوَى ابْنُ شَبَّةٍ قَالَ : حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ ابْنَ الْمُتَفَعِّعِ وَقَدْ
مَرَّ بِبَيْتِ نَارِ الْمَجُوسِ^(١) بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ ، فَلَمَحَهُ وَتَمَثَّلَ :

يَا بَيْتَ عَاتِكَةَ الذِّى أَتَعَزَّلُ حَذَرَ الْعِدَا وَبِهِ الْفَوَؤُادُ مَوْكِلُ^(٢)
إِنِّى لَأَمْنَحُكَ الصَّدُودَ وَإِنِّى قَسَمًا إِلَيْكَ مَعَ الصَّدُودِ لَأَمِّيلُ^(٣)

وَرَوَى أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ثَعْلَبٌ قَالَ : قَالَ ابْنُ الْمُتَفَعِّعِ يَرْتَفِعُ يَحْيَى بْنُ زِيَادٍ - وَقَالَ الْأَخْفَشُ : هـ
وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ يَرْتَفِعُ بِهَا ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ :

رُزَيْنًا أَبَا عَمْرٍو وَلَا حَيَّ مِثْلُهُ فَلَهُ رَيْبُ الْحَادِثَاتِ بَيْنَ وَقَعٍ !
فَإِنْ تَكُ قَدْ فَارَقْتَنَا وَتَرَكَتَنَا ذَوَى خَلَةٍ مَا فِى انْسِدَادٍ لَهَا طَمَعُ
لَقَدْ جَرَّ نَفْعًا فَقَدْ نَا لَكَ أَنَّنَا أَمِنَّا عَلَى كُلِّ الرِّزَايَا مِنَ الْجَزَعِ

قَالَ ثَعْلَبُ : الْبَيْتُ الْأَخِيرُ يَدُلُّ عَلَى مَذْهَبِهِمْ فِى أَنَّ الْخَيْرَ مَمْزُوجٌ بِالْشَّرِّ ، وَالشَّرُّ مَمْزُوجٌ ١٠
بِالْخَيْرِ .

وَأَخْبَرَنِي عَلَى بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبُ قَالَ أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصَّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْمَغِيرَةُ بْنُ
مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ مِنْ حِفْظِهِ قَالَ حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ خِدَاشٍ قَالَ : كَانَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى

(١) ش : « نَارِ » الْمَجُوسِ .

(٢) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ : « هَذَانِ الْبَيْتَانِ لِلْأَحْوَصِ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَاصِمِ بْنِ أَبِي الْأَفْلَحِ حَمَى الدَّبْرِ ، وَكَانَ
حَمَى الدَّبْرِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَبْلَى ذَاتَ يَوْمٍ بِلَاءً حَسَنًا فَاضْطَعَفَنَ الْمُشْرِكُونَ عَلَيْهِ ،
وَلَمَّا قَتَلَ أَرَادَ الْمُشْرِكُونَ أَنْ يَمْلُؤُوا بِجَنَّتِهِ ، وَكَانَ قَبْلَ الْحَارَبَةِ ، قَدْ رَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ : اللَّهُمَّ احْفَظْ جَنَّتِي مِنَ
الْمُشْرِكِينَ ، فَلَمَّا قَتَلَ رَحِمَهُ اللَّهُ بَعَثَ اللَّهُ جَاعَةً مِنَ النَّعْلِ ، فَلَمْ تَزَلْ عِنْدَهُ تَحْمِيهِ حَتَّى هَجَمَ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ، فُجَاءَ سَيْلٌ
فَاحْتَمَلَهُ ، فَلَمْ يَرِ الْمُشْرِكُونَ جَنَّتَهُ » .

وَالْبَيْتَانِ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ يَمْدَحُ فِيهِمَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ؛ وَهِيَ فِى (الْأَغَانِى ١٨ : ١٩٦ - ١٩٧)
وَأُيُوتٌ مِنْهَا فِى الْخَزَانَةِ (١ : ٢٤٨) ؛ وَهِيَ عَاتِكَةُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ مَعَاوِيَةَ . وَأَتَعَزَّلُ :
أَتَجَنَّبُ وَأَكُونُ بِمَعَزَلٍ ، وَالْعِدَا : جَمْعُ عَدُوٍّ ؛ يُقَالُ بِالْإِضْمَارِ وَالْكَسْرِ .

(٣) أَمْنَحُكَ : أَعْطَيْكَ ؛ وَالْبَيْتُ مِنْ شَوَاهِدِ السَّكَافِيَّةِ ، عَلَى أَنَّ « قَسَمًا » تَأْكِيدٌ لِلْقِسْمِ الْمَفْهُومِ مِنْ
قَوْلِهِ : « إِنِّى لَأَمْنَحُكَ الصَّدُودَ » .

عبد الله بن المقفع ، وكان ابن المقفع يحب ذلك ، فجمعهما عبّاد بن عبّاد المهلبى فتحدّثا ثلاثة أيام ولياليهنّ ، فقليل للخليل : كيف رأيت عبد الله ؟ قال : ما رأيت مثله ، وعلمه أكبر [٤٣] من عقله ، / وقيل لابن المقفع : كيف رأيت الخليل ؟ قال : ما رأيت مثله ، وعقله أكبر من علمه . قال المغيرة : فصدقا ، أدّى ^(١) عقل الخليل الخليل إلى أن مات أزهد الناس ^(٢) ، وجعل ابن المقفع أداه إلى أن كتب أمانا لعبد الله بن عليّ فقال فيه : ومضى غدر أمير المؤمنين بعمه عبد الله ففساؤه طوالق ؛ ودوابه حبس ^(٣) ، وعبيده أحرار ، والمسامون في حل من بيعته . فاشتد ذلك على المنصور جدّا وخاصة أمر البيعة ، وكتب إلى سفيان بن معاوية المهلبى وهو أمير البصرة من قبله بقتله ، فقتله .

وكان ابن المقفع مع قلة دينه جيّد الكلام ، فصيح العبارة ، له حكم وأمثال مستفادة ؛ ١٠ من ذلك ما روى من أن يحيى بن زياد الحارثى كتب إليه يلتمس معاودة الإخاء والاجتماع على المودة والصفاء ، فأخّر جوابه ، فكتب إليه كتابا آخر يستترّ فيه ، فكتب إليه عبد الله : إن الإخاء رِقٌّ ؛ فكرهت أن أملكك رِقّي قبل أن أعرف حُسن ملكتك . وكان يقول : « ذلّل نفسك بالصبر على الجار السوء ، والعشير السوء ، والجلس السوء ، فإنّ ذلك لا يكاد يُخطئك » .

وكان يقول : « إذا نزل بك أمرٌ مهمّ فانظر ؛ فإن كان ممّا له حيلة فلا تعجز ، وإن كان مما لا حيلة فيه فلا تجزع » . ١٥

ودعاه عيسى بن عليّ إلى الغداء فقال : « أعزّ الله الأمير ! لست يوفى للكرام أكلا » ، قال : ولم ؟ قال : « لأنّى مزكوم والزّكمة قبيحة الجوار ، مانعة من عشرة الأحرار » . وكتب إلى بعض إخوانه : « أمّا بعد ، فتعلّم العلم ممّن هو أعلم به منك ، وعلمه منّ

(١-١) حاشية الأصل (من نسخة) : « فإن عقل الخليل أداه إلى أن مات أزهد الناس » .
(٢) الحبس ، بالضم : ما وقف ؛ وهو جمع الحبس ؛ وفي الحديث : « ذلك حبس في سبيل الله » ؛ أى موقوف على الفزاة ، يركبونه في الجهاد .

أنت أعلمُ به منه ، فإنك إذا فعلتَ ذلكَ عَلِمْتَ ما جَهِلْتَ ، وحفظت ما عَلِمْتَ .
وقال لبعض الكتاب : « إياك والتَّبَعِ لَوْ خَشِيَ الكلام طمعاً في نَيْلِ البلاغة ، فإن ذلك هو العيُّ الأكبر » .

وقال لآخر : « عليك بما سَهِّلَ من الألفاظ ؛ مع التجنُّب لالفاظ السَّفَلَةِ » .
وقيل له : ما البلاغة ؟ فقال : « التي إذا سمعها الجاهلُ ظنَّ أنه يُحَسِّنُ مثلها » .
وقال : « لا تحدِّثْ مَنْ تخافُ تكذِيبه ، ولا تسألْ مَنْ تخافُ منعه ، ولا تعدَّ بما لا تقدر على ^(١) إِنْجازه ، ولا تَضْمَنَ ما لا تَثِيقُ بالقدرة عليه ، ولا ترجُ ما تُعَنَّفُ برجائه ، ولا تُقَدِّمَ ^(٢) على ما تخافُ العجز عنه » .

وقال لبعض إخوانه / : « إذا صاحبتَ مَلِكاً فاعلم أنهم قد يُدَسَّبُونَ إلى قلة الوفاء ، [٤٣]
فلا تُشْعِرَنَّ قَلْبَكَ استبطاءه ، فإنه لم يشعِرْ أحداً قَلْبَهُ إلا ظهر على لسانه إن كان سَخِيفاً ^(٣) ، ١٠
وعلى وجهه إن كان حليماً » .

وكان يقول : « إنَّ مما سَخَى بنفس العالم عن الدنيا علمه بأن الأرزاقَ لم تُقسَمَ فيها على قدر الأخطار » ^(٤) .

فأما ابن أبي العوّاء فقد ذكرنا ما رُوِيَ من اعترافه بدسّته في أحاديث النبي صلى الله عليه وآله أحاديث مَكْذُوبَةٍ . ورُوِيَ أنه رأى عدلاً قد كُتِبَ عليه آية الكرسيّ فقال لصاحبه : ١٥
لَمْ كُتِبْتَ هذا عايه ؟ فقال : لئلا يُسْرِقَ ، فقال : قد رأينا مصحفاً سَرَقَ ! .
ولبشارٍ فيه :

قُلْ لِمَعْبِدِ الْكَرِيمِ يابنِ أَبِي الْعَوِّ جَاءَ بَعَثَ الْإِسْلَامَ بِالْكَفْرِ مُوقاً ^(٥)

(١) ش : « ولا تعد ما لا تقدر عليه » .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « لا تتقدم » .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « سفيفاً » . (٤) توفي ابن المفع سنة ١٤٢ ، وانظر ترجمته وأخباره في كتاب أمراء البيان (١ : ٩٩-١٢٩)

(٥) الأبيات في الأغاني (٣ : ٢٥) ، و الموق : الحق في غباوة .

لَا تُصَلِّيْ وَلَا تَصُومُ فَإِنْ صُمْتَ فَبَعْضَ النَّهَارِ صَوْمًا رَقِيقًا^(١)
لَا تُبَالِي إِذَا أَصَبْتَ مِنَ الْخَمِّ رِ عَمِيقًا أَلَّا تَكُونَ عَمِيقًا
لَيْتَ شِمْرِي غَدَاةً خُلِّيتَ فِي الْجَنَّةِ دِ حَنِيفًا خُلِّيتُ أُمِّ زِنْدِيقًا^(٢)

فَأَمَّا بَشَارُ بْنُ بُرْدٍ فَرَوَى الْمَازِنِيَّ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ لِبَشَارٍ : أَتَا كُلُّ لَحْمٍ وَهُوَ مُبَايِنٌ
لِدِيَانَتِكَ؟ - يَذْهَبُ إِلَى أَنَّهُ تَنَوَّى^(٣) - فَقَالَ بَشَارٌ : إِنَّ هَذَا اللَّحْمَ يَدْفَعُ عَنِّي شَرَّ هَذِهِ
الظَّلَامَةِ .

قَالَ الْمُبَرِّدُ : وَيُرْوَى أَنَّ بَشَارًا كَانَ يَتَعَصَّبُ لِلنَّارِ عَلَى الْأَرْضِ ، وَيَصُوبُ رَأْيَ إِبْلِيسَ
فِي الْاِمْتِنَاعِ عَنِ السَّجُودِ ، وَرَوَى لَهُ :

النَّارُ مُشْرِقَةٌ وَالْأَرْضُ مُظْلِمَةٌ وَالنَّارُ مَعْبُودَةٌ مُذْ كَانَتِ النَّارُ

وَرَوَى بَعْضُ أَصْحَابِهِ قَالَ : كُنَّا إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ نَقُومُ إِلَيْهَا ، وَيَقْعُدُ بَشَارٌ ، فَتَجْعَلُ
حَوْلَ ثِيَابِهِ^(٤) تَرَابًا ؛ لِنَنْظُرَ : هَلْ يَصَلِّي ، فَنَعُودُ وَالتَّرَابُ بِحَالِهِ وَلَمْ يَقُمْ إِلَى الصَّلَاةِ .

أَخْبَرَنَا أَبُو عُبَيْدِ اللَّهِ الْمَرْزَبَانِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْفَارْسِيُّ قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبِي
قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ مَهْرُوبٍ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ خَلَادٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : كُنْتُ أَكَلَمُ بَشَارًا وَأَرَدْتُ
عَلَيْهِ سَوْءَ مَذْهَبِهِ بِمِثْلِهِ إِلَى الْإِلْحَادِ ، فَكَانَ يَقُولُ : لَا أَعْرِفُ إِلَّا مَا عَايَنْتُ أَوْ عَايَنَهُ مُعَايِنٌ ؛
١٥ وَكَانَ الْكَلَامُ يَطْوُلُ بَيْنَنَا ، فَقَالَ لِي : مَا أَظُنُّ الْأَمْرَ^(٥) يَا أَبَا مَخْلَدٍ إِلَّا كَمَا يُقَالُ : إِنَّهُ خَذْلَانٌ ؛
وَلِذَلِكَ أَقُولُ :

(١) : ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « رقيقاً » .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « المحلى : العارض ، للجيش ، أى أن العارض إذا كتب اسمه كتب مسلماً أو زنديقاً » .

(٣) التوبة : فرقة من الكفرة تزعم بإثنية الإله ؛ إله للخير وهو النور ، وإله للشر وهو الظلمة ؛ وانظر (الملل والنحل للشهرستاني ١٤٣ ، وكشاف اصطلاحات الفنون ١ : ١٩٨-١٩٩) .

(٤) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) « حوالى ثوبه » .

(٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « ما أظن ما الأمر ... » .

[٤٤] طِبِعْتُ عَلَى مَا فِي غَيْرِ مُخَيَّرٍ هَوَايَ وَلَوْ خَيْرْتُ كُنْتُ الْمُهَذَّبَا
أُرِيدُ فَلَا أُعْطَى وَأُعْطَى وَلَمْ أُرَدْ وَغِيْبَ عَنِّي أَنْ أُنَالَ الْغَيْبَا
وَأَصْرَفُ عَنْ قَصْدِي وَعِلْمِي مُبْصِرٌ فَأَمْسَى وَمَا أَعْقَبْتُ إِلَّا التَّعْجِبَا

قال الجاحظ : كان بشار صديقاً لواصل بن عطاء الغزال قبل أن يُظهر مذهبَه المَكروهة ،

وكان بشار مدح واصل بن عطاء ، وذكر خطبته التي نزع منها الرأء^(١) ، وكانت على البديهة
فقال :

تَكَفَّ الْقَوْمُ وَالْأَقْوَامُ قَدْ حَفَلُوا وَحَبَرُوا خُطْبًا نَاهِيكَ مِنْ خُطْبٍ !
فَقَامَ مُرْتَجِلًا تَغْلِي بِدَاهَتُهُ كَهْرَجَلِ الْقَيْنِ لَمَّا خُفَّ بِاللَّهَبِ^(٢)
وَجَانِبَ الرَّاءِ لَمْ يَشْعُرْ بِهِ أَحَدٌ قَبْلَ التَّصَفُّحِ وَالْإِغْرَاقِ فِي الطَّابِ

ومثل ذلك قول بعضهم في واصل بن عطاء :

وَيَجْعَلُ الْبُرَّ قَمَحًا فِي تَكَلُّمِهِ وَجَانِبَ الرَّاءِ حَتَّى احْتَالَ لِلشَّعْرِ
وَنَمَّ يَقُلْ مَطَرًا وَالْقَوْلُ يُعْجِلُهُ فَعَاذَ بِالْغَيْثِ إِشْفَاقًا مِنَ الْمَطَرِ

فلما أظهر بشار مذهبَه هَتَفَ^(٣) به واصل ، وقام بذكره وتكفيره وقعد ، فقال

بشار فيه :

١٥ مَالِي أَشَايِعُ غَزَاً لَا لَهُ غُنْقٌ كِنِيقِ الدَّوِّ إِنْ وَلَّى وَإِنْ مَثَلَا^(٤)
غُنْقَ الزَّرَافَةِ مَا بَالِي وَبَالِكُمْ تُكْفَرُونَ رِجَالًا أَوْ كُفَرُوا رِجَالًا^(٥)

(١) نشرها الأستاذ عبد السلام هارون في المجموعة الثانية من نوادر المخطوطات .

(٢) حاشية الأصل : (من نسخة) : « فقال مرتجلا » ؛ والقين في الأصل : الحداد ؛ ثم قيل لسكـ
طامل بالنار : قين ، وأراد بالقين هاهنا الصباغ .

(٣) هتف به : فضحه ، والهتاف في الأصل الصياح .

(٤) النقيق بكسر النونين : ذكر النعام ، والدو والدوية والدواية : الغلاة .

(٥) حواشي الأصل ، ت ، ف : « غنق ، نصب على الـم ؛ شبه واصلًا بالزرافة ، والزرافة : الحيوان

المعروف ، وعنقه أصحابه ؛ يقال : هم إليه غنق ؛ أى متتابعون .

فلما تتابع على واصل ما يشهد بإلحاده قال عند ذلك : أما لهذا الأعشى الملحد ! أما لهذا
 المشنف المسكني^(١) بأبي معاذٍ مَنْ يقتله ! أما والله لولا أَنَّ الغيلة سجيّةٌ من سجايا الغالية
 لدستتُ إليه من يميع بطنه في جوف منزله على مضجعه ، أو في يوم حفله ، ثم كان لا يتولّى
 ذلك إلا عُقيلٌ أو سدوسيٌّ ، فعدل واصل بن عطاء من الضرير إلى الأعشى ، ومن الكافر
 إلى الملحد ، ومن المرعث إلى المشنف ، ومن بشار إلى أبي معاذ ، ومن الفراش إلى المضجع
 وزاد قوم فقالوا : ومن أرساتٍ إلى دستت ، ومن يبقر إلى يميع ، ومن داره إلى منزله ،
 [٤٤] ومن المغيرة^(٢) إلى الغالية / ، والأول أشبه بأن يكون مقصوداً ، وما ذكّرت^(٣) ثانياً قد
 يتفق استعماله من غير عدول عن استعمال الراء .

فأما قوله : « لا يتولّى ذلك إلا عُقيلٌ » أو « سدوسيٌّ »^(٤) ، فلأن بشاراً كان مولى لهم ،
 ١٠ وذكره بنى سدوس لأن بشاراً كان ينزل فيهم . فأما لقب بشار بالمرعث فقد قيل فيه ثلاثة
 أقوال : أحدها أنه لقب بذلك لبيت قاله وهو :

قال ريمٌ مرعثٌ فآثر الطرف والنظر
 لست والله قاتلي^(٥) قلتُ أو يغلب القدر

والقول الثاني أنه كان لبشار ثوبٌ له جيان : أحدهما عن يمينه ، والآخر عن شماله ،
 ١٥ فكان إذا أراد لبسه يضمه عليه ضمّاً ، من غير أن يدخل رأسه فيه ، فشبه استرسال الجييين
 وتدلّيهما بالرعات ، وهى القرطة ، فقيل : المرعث ، وقال أبو عبيدة : إنما سمى المرعث لأنه
 كان يلبس في صباه رِعائاً ، وهذا هو القول الثالث .

وكان بشار مقدماً في الشعر جداً حتى إن كثيراً من الرواة يلحقه بمن تقدم عصره عليه

(١) ت ، د ، حاشية الأصل (من نسخة) : « المسكنى » .

(٢) المغيرة : فرقة من غلاة الشيعة ، أصحاب المغيرة بن سعيد العجلي ، وكان مولى لخالد بن عبد الله

القسرى ، وادعى النبوة لنفسه . (وانظر مفاتيح العلوم ٢٠ ، والفرق بين الفرق ٢٢٩) .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « وما ذكر » .

(٤-٤) ساقط من م .

(٥) ت ، ج ، ش : « فائلى » .

من المجودين . وأخبرنا المرزباني عن محمد بن يحيى الصولى قال حدثنا محمد بن الحسين
اليسكري^(١) قال : قيل لأبي حاتم : من أشعر الناس ؟ قال الذى يقول :

ولها مَبْسِمٌ كَفَرَّ الْأَقاحى وَحَدِيثُ كَلَوْشَى وَشَى الْبُرُودِ
نَزَلَتْ فِي السَّوَادِ مِنْ حَبَّةِ الْقَدَا بِ وَنَالَتْ زِيَادَةَ الْمُسْتَرِيدِ
عِنْدَهَا الصَّبْرُ عَنْ لِقَائِي وَعِنْدِي زَفَرَاتُ يَا كُنَانَ صَبْرَ الْجَلِيدِ

- يعنى بشاراً ؛ قال : وكان يقدمه على جميع الناس ، ولما قال بشار :

بَنَى أُمَيَّةَ هُبُّوا طَالَ نَوْمُكُمْ إِنَّ الْخَلِيفَةَ يَعْقُوبُ بْنُ دَاوُدَ^(٢)
ضَاعَتْ خِلَافَتُكُمْ يَا قَوْمٍ فَالْتَمِسُوا خَلِيفَةَ اللَّهِ بَيْنَ الرِّقِّ وَالْعُودِ^(٣)
فَبَلَغَ ذَلِكَ الْمَهْدِيَّ فَوَجَدَ عَلَيْهِ ، وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ قَتْلِهِ^(٤) .

(١) من نسخة بحاشيتي ت ، ف : « محمد الحسن السكري » .

(٢) هو أبو عبد الله يعقوب بن داود وزير المهدي ، (وانظر أخباره وتفصيل أسباب قتله ، في

الفغري ١٦٠-١٦٣) . (٣) ت ، ج ، د ، ف : « الناي والعود » .

(٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « كان حماد مجرد قال في بشار :

لَهُ مُقَلَّةٌ عَمِيَاءُ وَاسْتَبَصِيرَةٌ إِلَى الْأَيْرِ مِنْ تَحْتِ الثِّيَابِ تُشِيرُ

فقال بشار : - وكتب بها إلى العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وكان حماد يعلم ولده :

يَا أَبَا الْفَضْلِ لَا تَنْمَ وَقَعَ الذُّبُّ فِي الْغَمِّ
إِنَّ حَمَادَ عَجَزِدَ إِنَّ رَأْيَ سَوْءَةٍ هَجَمَ
بَيْنَ فَخْذَيْهِ حَرَبَةٌ فِي غِلَافٍ مِنَ الْأَدَمِ
كَلَّمَا غَبَّتْ سَاعَةٌ بِجَمَجِ الْمِيمِ بِالْقَلَمِ

فقال العباس : مالى ولبشار ! اصرفوا حماداً عني ، فقال حماد : لقد فرق بيني وبين رزقي بشعره ،

وسوف أفرق بينه وبين حياته بشعر أ قوله ، فقال :

بَنَى أُمَيَّةَ هُبُّوا طَالَ نَوْمُكُمْ إِنَّ الْخَلِيفَةَ يَعْقُوبُ بْنُ دَاوُدَ
ضَاعَتْ خِلَافَتُكُمْ يَا قَوْمٍ فَالْتَمِسُوا خَلِيفَةَ اللَّهِ بَيْنَ الرِّقِّ وَالْعُودِ

ونسبهما إلى بشار ، فبلغ ذلك المهدي فقتله « وكان مقتل بشار سنة ١٦٧ . (وانظر ترجمته ومراجعتها في الشعر والشعراء : ٧٣٣-٧٣٦) .

مَجْلِسُ آخِرِ تَأْوِيلِ آيَةٍ *

فأما مطيع بن إلياس الكِنَاني^(١) فأخبرنا أبو عُبَيْدِ اللَّهِ المَرْزُبَانِيُّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ هَارُونَ [٤٠] عَنْ عَمِّهِ يَحْيَى بْنِ / عَلِيٍّ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ المَدَنِيِّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الكَاتِبِ قَالَ أَخْبَرَنِي أُمِّي قَالَ: رَأَيْتُ بَنَتًا لِمَطِيعِ بْنِ إِيَّاسٍ قَدْ أَتَتْ بِهَا فِي أَوَّلِ أَيَّامِ الرِّشِيدِ ، فَأَقْرَتَ بِالزَّ نَدَقَةٍ وَقَرَأَتْهَا وَتَابَتْ ، وَقَالَتْ : هَذَا شَيْءٌ عَلَمْنِيهِ أَبِي ، فَتَقَبَّلَ الرِّشِيدُ تَوْبَتَهَا ، وَوَرَدَهَا إِلَى أَهْلِهَا .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ بْنِ الجُرَّاحِ فِي أَخْبَارِ مَطِيعِ بْنِ إِيَّاسٍ أَنَّهُ كَانَ يَرْمِي بِالزَّ نَدَقَةٍ ، وَرَوَى أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ أَحَاطَ بِهِ أَهْلُ بَيْتِهِ ، فَأَقْبَلُوا يَقُولُونَ لَهُ : قُلْ يَا مَطِيعُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَلَا يَقُولُ حَتَّى إِذَا صَارَتْ نَفْسُهُ فِي ^(٢) ثَغْرَتِهِ كَرَّ يَنْفَسُ ^(٣) ، ثُمَّ أَهْوَى إِلَى السَّكَّامِ ، فَقَالُوا لَهُ : قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَتَكَلَّمَ كَلَامًا ضَعِيفًا فَتَسَمَّعُوا لَهُ ، فَإِذَا هُوَ يَقُولُ :

كَلَفَ نَفْسِي عَلَى الزَّمَانِ وَفِي أَيِّ زَمَانٍ دَهْتَنِي الْأَزْمَانُ
حِينَ جَاءَ الرَّبِّيعُ وَاسْتَتَبَلَ الصَّيْفُ وَطَابَ الطَّلَاءُ وَالرَّيْحَانُ^(٤)
قَالَ المَرْزُبَانِيُّ : وَهَذَا الْحَدِيثُ يَرْوِيهِ ^(٥) الهَيْثَمُ بْنُ عَدَى لِيَحْيَى بْنِ زِيَادٍ .

فَأَمَّا يَحْيَى بْنُ زِيَادٍ الحَارِثِيُّ^(٥) فَهُوَ يَحْيَى بْنُ زِيَادِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ المَدَّانِ

(١) انظر مطيع بن إلياس وأخباره في (الأغاني ١٢-٧٥-١٠٥) .
(٢-٣) ت ، د ، ف : « ثَغْرَتِهِ نَفْس » ، ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « فِي ثَغْرَةِ نَحْوِ نَفْس » . ط : « فِي ثَغْرَاتِهِ نَفْس » .
(٣) الطَّلَاءُ : الخمر .
(٤) حاشية ت (من نسخة) : « رَوَاهُ » .
(٥) انظر يحيى بن زياد في (معجم الشعراء للمَرْزُبَانِيِّ ٤٩٧-٤٩٨) .

ابن الديان الحارثي السكوفي . وزباد بن عبید الله هو خال أبي العباس السفاح ، ويكنى يحيى أبا الفضل ، وكان يُعرف بالزُّنديق : وكانوا إذا وصفوا إنسانا بالظُّرف قالوا : هو أظرف من الزُّنديق - يعنون يحيى - لأنه كان ظريفاً ، وهذا المعنى قصد أبو نواس بقوله :

* تَبِهَ مُغْنٍ وَظَرْفٌ زَنْدِيقٌ *^(١)

قال الصولي : وإنما قال ذلك لأن الزُّنديق لا يرعُ عن شيء^(٢) ولا يتمتع بمن يدعى^(٣) إليه ، فنسبه إلى الظرف لمساعدته على كل شيء ، وقلة خلافه .

وروى أنه قيل ليحيى بن زياد - وهو يوجد بنفسه - قل : لا إله إلا الله ، فقال :

* لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْغُبُطُ وَالْجَلَّاجُ *^(٤)

ثم أغمرى عليه ، فلما أفاق أعيد عليه القول فقال :

* وَبَازِلٌ تَغْلَى بِهِ الْمَرَّاجِلُ *^(٥)

١٠

وروى محمد بن يزيد قال : قال مطيع بن إلياس يرثي يحيى بن زياد - وكانا جميعاً مرميين

بالخروج عن الملة :

يَا أَهْلَ بَكُوا نَقْلِي الْقَرِحَ وَلِلْدُمُوعِ الْهَوَامِلِ السُّفْحَ^(٦)

رَاحُوا بِيَحْيَى إِلَى مُغَيَّبَةٍ فِي الْقَبْرِ بَيْنَ التَّرَابِ وَالصَّفْحِ^(٧)

(١) ديوانه : ٨٩ ، صدره :

* وَصَيْفٌ كَأْسٍ مُحَدِّثُهُ مَلِكٌ *

(٢) في حاشيتي ت ، ف : « يقال : ورع ورع ورعا ، ورعة ، فهو ورع ؛ أي تقى . »

(٣) م : « لا يدع شيئاً » .

(٤) ت ، ش ، ف : « والخلخل » ، د : « القرط والخلخل » . والغبيط : الرجل ؛ وهو للنساء

يُشَدُّ عَلَى الْهُودِجِ . وفي حاشيتي الأصل : « الغبيط : قتب يأخذ جميع ظهر البعير » .

(٥) البازل : البعير إذا كان في التاسعة ؛ سمي بذلك لأنه يزل نابه ؛ أي ينشق .

(٦) ت ، ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « السواكب » .

(٧) الصفح : جم صفيحة ؛ وهي الحجارة العراض .

[٤٥]
 ظ
 / رَا حُوا بِيَحْيَى وَلَوْ تُسَاعِدُنِي الْـ أَقْدَارُ لَمْ يَبْتَكَرْ وَلَمْ يُرْحَ (١)
 يَا خَيْرَ مَنْ يَحْسُنُ الْبُكَاءُ الْـ يَوْمَ وَمَنْ كَانَ أُمْسٍ لِلْمِدَحِ
 قَدْ ظَفَرَ الْحُزْنَ بِالشَّرُّورِ وَقَدْ أُدِيلَ مَكْرُهُنَا مِنَ الْفَرَحِ
 ولمطيع يرثيه :

•
 انظُرْ إِلَى الْمَوْتِ كَيْفَ بَادَهُهُ وَالْمَوْتُ مُقَدَّامَةٌ عَلَى الْبَهْمِ (٢)
 لَوْ قَدْ تَدَبَّرْتَ مَا صَنَعْتَ بِهِ قَرَعْتَ سِنًّا عَلَيْهِ مِنْ نَدَمِ
 فَاذْهَبْ بِمَنْ شِئْتَ إِذْ ذَهَبْتَ بِهِ مَا بَعْدَ يَحْيَى لِلرُّزْءِ مِنْ أَلَمِ

وأما صالح بن عبد القدوس فكان متظاهرا بمذاهب الثنوية ، ويقال إن أبا الهذيل
 العلاف ناظره فقطعه ، ثم قال له : على أى شيء تعزم يا صالح ؟ فقال : أستخير الله وأقول
 ١٠ بالاثنتين ، فقال أبو الهذيل : فأيهما استخرت لا أم لك !!

وروى أن أبا الهذيل ناظره في مسألة مشهورة في الامتراج الذى ادّعوه بين النور والظلمة
 فأقام عليه الحجة فانقطع ، وأنشأ يقول :

أبا الهذيل هَذَاكَ اللَّهُ يَا رَجُلُ فَأَنْتَ حَقًّا لَعَمْرِي مُعْضِلٌ جَدِلُ

وروى أنه رُؤِيَ يصلى صلاة تامة الركوع والسجود ، فقيل له : ما هذا ومذهبك
 ١٥ معروف ! قال : سنة البلد ، وعادة الجسد ، وسلامة الأهل والولد .

ويقال إنه لما أراد المهدي قتله على الزندقة دحا إليه بكتاب وقال له : اقرأ هذا ، قال :
 وما هو ؟ قال : كتاب الزندقة ، قال صالح : أوتعرفه أنت يا أمير المؤمنين إذا قرأته ؟ قال :
 لا ، قال : أفتقتنى على مالا تعرف ! قال : فإني أعرفه ، قال صالح : فقد عرفته ولست بزنديق
 وكذلك أقرؤه ولست بزنديق .

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « لم يتبكر ولم ترح » .

(٢) البهم : جمع بهمة ؛ وهو الشجاع .

وذكر محمد بن يزيد المبرّد قال : ذكر بعض الرواة أنّ صالحاً لما نُوْظِرَ فيها قُذِفَ به من

الزندقة بحضرة المهديّ قال له المهديّ : ألسْتَ القائل في حفظك ما أنت عليه :

رُبَّ سِرٍّ كَتَمْتُهُ فَكَاثَى أَخْرَسْتُ أَوْ ثَنَيْتُ لِسَانِي خَبِلُ
/ولو أنّي أبدَيْتُ لِلنَّاسِ عِلْمِي لَمْ يَكُنْ لِي فِي غَيْرِ حَبْسِي أَكْلُ

[٤٦]

قال صالح : فإني أتوب وأرجع ، فقال له المهديّ : هيهات ! ألسْتَ القائل :

وَالشَّيْخُ لَا يَتْرُكُ أَخْلَاقَهُ حَتَّى يُوَارَى فِي ثَرَى رَمْسِهِ
إِذَا ارْعَوَى عَاوَدَهُ جَهْلُهُ (١) كَذَى الضَّنَى عَادَ إِلَى نَكْسِهِ (٢)

ثمّ قدّم قَتِيلَ ، ويقال إنه صلبه على الجِسر بيغداد .

ومن شعره (٣) وهو في الحبس :

خَرَجْنَا مِنَ الدُّنْيَا وَنَحْنُ مِنْ أَهْلِهَا فَلَسْنَا مِنَ الْأَحْيَاءِ فِيهَا وَلَا أَمْوَتِي
إِذَا دَخَلَ السَّجَّانُ يَوْمًا لِحَاجَةٍ عَجَبْنَا وَقُلْنَا جَاءَ هَذَا مِنَ الدُّنْيَا
وَنَفَرَحُ بِالرُّوْيَا فَجُلُّ حَدِيثِنَا إِذَا نَحْنُ أَصْبَحْنَا الْحَدِيثُ عَنِ الرُّوْيَا (٤)

(١) ف ، حاشية ت (من نسخة) : « عاد إلى جهله » .

(٢) حاشية الأصل : « عاد إلى نكسه ؛ أي عاد إلى غيه رجوع الناقه من المرض » .

(٣) وردت هذه المقموعة في إنباه الرواة ١ : ٦٢ ، ومجمع الأدباء ٣ : ١٥٥ ، منسوبة إلى صالح ابن عبد القدوس ، وفي المحاسن والأضداد ٤٥-٤٦ منسوبة إلى عبد الله بن معاوية ، وفي عيون الأخبار ١ : ٨١-٨٢ ، من غير عزو ، وورد منها البيت الأول والثاني في رسالة الغفران ١٤٢ منسوبين لولد صالح ، وفي مقدمة التزوييات ٢٧ منسوبين لرجل كان في السجن على عهد ملوك بني العباس ، يقال إنه من ولد صالح بن عبد القدوس ، ومطالعها :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو إِنَّهُ مَوْضِعُ الشَّكْوَى وَفِي يَدِهِ كَشْفُ الْمَضَرَّةِ وَالْبَلْوَى

(٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « هذا المعنى الأحنف المكيّ وإن كان قريب اللفظ :

وَأَعْلَمُ فِي الْمَنَامِ بِكُلِّ خَيْرٍ فَأُصْبِحُ لَا أَرَاهُ وَلَا يَرَانِي
وإن أبصرتُ شرًّا في منامِي لَقِيتُ الشَّرَّ مِنْ قَبْلِ الْأَذَانِ

فَإِنْ حَسَنْتُ لَمْ تَأْتِ عَجَلَى وَأَبْطَأْتُ وَإِنْ قَبَحْتُ لَمْ تَحْتَبَسْ وَأَتَتْ عَجَلَى
طَوَى دُونَنَا الْأَخْبَارَ سِجْنٌ مُمَنَعٌ لَهُ حَارِسٌ تَهْدَا الْعُيُونُ وَلَا يَهْدَا
قَبْرُنَا وَلَمْ نُدْفَنْ فَنَحْنُ بَتَعَزَلِ مِنَ النَّاسِ لَا نُخْشَى، فَنُغَشَى وَلَا نَغْشَى
أَلَا أَحَدٌ يَاوِي لِأَهْلِ حَمَلَةٍ مُتَمِيمِينَ فِي الدُّنْيَا وَقَدْ فَارَقُوا الدُّنْيَا

قال سيدنا الشريف المرتضى ذو المجدين أدام الله غلوه : وأظن أن ابن الجهم لاحظ قول صالح : « فَنُغَشَى وَلَا نَغْشَى »^(١) في قوله يصف الحبس :
يَبْتَ يُجَدِّدُ لِلْكَرِيمِ كَرَامَةً وَيُرَارُ فِيهِ وَلَا يَزُورُ وَيُخَفِّدُ^(٢)

وأما علي بن الخليل فذكر محمد بن داود قال : كان علي بن الخليل - وهو مولى يزيد بن مزيد الشيباني ، ويكنى أبا الحسن ، وهو كوفي - مُتَمَهِّمًا بِالزُّنْدَقَةِ ، فطلبه الرشيد عند قتله الزنادقة ، فاستتر طويلا ، ثم قصد الرقة^(٣) وبها الرشيد ، فمدحه ومدح الفضل بن الربيع .

وروي^(٤) أنه لما قدم الرشيد للمظالم بالرقة حضر شيخ حسن الهيئة ، حسن الخطاب ، معه قصيدة ، فأشار بها ، فأمر الرشيد بأخذها منه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا أحسن [٤٦] قراءة لها من غيري ، / فأذن لي في قراءتها ، ففعل ، فقال : إني شيخ كبير ، ولا آمن ط

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « حمله السيد رضي الله عنه على أن قوله : « فَنُغَشَى ... » كلام مستأنف ، وأن الغشيان واقع ، والبيت الذي ذكر أنه نظر إليه يدل على ذلك ؟ ومراد الشاعر غير هذا - والله أعلم ؟ وهو أن يكون « نفثى » منصوبا بإضمار أن بعد العاء التي تجيء بعد النفي ، ويكون غشيان الناس إياهم منفيًا .

(٢) يحفد : يخمد ، وفي م : « يحمد » ، والبيت من قصيدة قالها في الحبس حين حبسه المتوكل ؟ وهي في ديوانه مره ٤ ، والمحاسن والأضداد ٤ ، ٣ ، وأولها :

قَالَتْ حُبِسْتُ فَقُلْتُ لَيْسَ بِضَائِرِي حَبْسِي وَأَيُّ مُهَنْدٍ لَا يُنْعَمُ

(٣) الرقة : مدينة مشهورة على الجانب الأيسر للفرات بولاية حلب ؛ وهي وطن ربيعة الرقي الشاعر ■

المشهور .

(٤) الخبر في (الأغاني ١٣ : ١٣-١٤) .

الاضطراب إذا قت ، فإن رأيت أن تأذن لي في الجلوس فعلت ، فقال : اجلس ، فجلس ،
ثم أنشأ يقول :

يا خيرَ مَنْ وَخَدَتْ بَارُخْلُهُ
تَطْوِي السَّبَاسِبَ فِي أَرْمِئِهَا
لَمَّا رَأَتْكَ الشَّمْسُ طَالِعَةً
خَيْرُ الْخَلَائِفِ (١) أَنْتَ كُنْتَهُمْ
وَكَذَاكَ لَا تَنْفَكُ خَيْرَهُمْ
مِنْ غَضَبَةٍ طَابَتْ أَرْوَمُهَا
فَوْقَ النُّجُومِ فُرُوعُ نَبْعَتِهِمْ
إِنِّي رَحَلْتُ إِلَيْكَ مِنْ فَرَاعٍ
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّنِي رَجُلٌ
بَقَرٍ أَوَانِسَ لَا قُرُونَ لَهَا
وَأَجَازِبُ الْفِتْيَانِ بَيْنَهُمْ
لِلْمَاءِ فِي حَافَتِهَا حَبَبٌ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ فِي بَنِيَّتِهِ
نَجِبُ الرِّكَابِ بِمَهْمَةٍ جَلَسِ (٢)
طَى التَّجَارِ عَمَائِمَ الْبَرَسِ (٣)
سَجَدَتْ لَوُجُوهِكَ طَاعَةُ الشَّمْسِ
فِي يَوْمِكَ الْمَاضِي وَفِي أَمْسِ
تُحْسِي وَتُصْبِحُ فَوْقَ مَا تُحْسِي
أَهْلَ الْعَفَافِ وَمُنْتَهَى الْقُدْسِ
وَمَعَ الْحَضِيضِ مَنَابِتُ الْفَرَسِ
كَانَ التَّوَكُّلُ عِنْدَهُ تَرْمِي
أَصْبُو إِلَى بَقَرٍ مِنَ الْإِنْسِ
يَقْتَنَانِ بِالتَّطَوُّلِ وَالْحَبْسِ
صَهْبَاءَ مِثْلَ مُجَاجَةِ الْوَرَسِ
نَظْمٌ كَطَى صَحَائِفِ الْفَرَسِ (٤)
مَا إِنْ أَضَعْتُ إِفَامَةَ الْخَمْسِ

فقال له هارون : مَنْ أَنْتَ ؟ قال : علي بن الحاييل الذي يقال إنه زنديق ، قال : أنت
آمين ، وكتب إلى محمدويه ألا يعرض له .

ومن تركنا ذكره من هؤلاء أكثر من ذكرناه ، وإنما اعتمدنا من كان بهذه البلية

(١) وخذت : أسرع ، ونجب : جمع نجيب ، وهو وصف للنافة الخفيفة السريعة ، والمهمه : البلد
الفقر ، والجلس : الغليظ من الأرض .

(٢) السباسب : جمع سبب ؛ وهي الفلاة ، والتجار : جمع تجر ، وتجرجر : جمع تاجر ؛ كقولهم :
صاحب وصحب وصحاب ، والبرس : القطن .

(٣) م : « الخلائق » .

(٤) حاشية الأصل : « ذكر س : الحباب طرائق الماء ، واخب ما يعلو المائعات من النفاخات » .

أشهر ، وأمره فيها أظهر ، وأوردنا مع ذلك قليلا من كثير ، وجملة من تفصيل .

وإذ قد ذكرنا جملة من أخبار أهل الضلالة ، والمفادين للجهالة ، حسب ما سئلنا ، فنحن ننبهها بشيء من أخبار أهل التوحيد والعدل ، ومُلحح حكاياتهم ، ومستحسن ألفاظهم ، [٤٧] لِيُعْلَمَ الفرق بين من رَجَحَتْ / بَيَعَتْهُ ، وبين من خَسِرَتْ صَفَقَتُهُ ، فقد سئلنا أيضا ذلك .

٥ اعلم أن أصول التوحيد والعدل مأخوذة من كلام أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - وخُطبه ، فإنها تتضمن من ذلك مالا زيادة عليه ، ولا غاية وراءه ، ومن تأمل المأثور في ذلك من كلامه علم أن جميع ما أسهب المتكلمون من بعد في تصنيفه وجمعه ، إنما هو تفصيل لتلك الجمل ، وشرح لتلك الأصول ، ورؤى عن الأئمة من أبنائه عليهم السلام من ذلك ما يكاد لا يحاط به كثرة ، ومن أحب الوقوف عليه ، وطلبه من مظانه أصاب منه الكثير الغزير ، الذي ١٠ في بعضه شفاء للصدور السقيمة ، ونتاج للعقول العقيمة ؛ ونحن نقدّم على ما يزيد ذكره شيئا مما روى عنهم في هذا الباب .

فمن ذلك ما روى عن أمير المؤمنين عليه السلام ^(١) وهو يصف الله تعالى : « بمضادته ^(٢) بين الأشياء علم أن لا ضد له ، وبمقارنته بين الأمور علم أن لا قرين له ، ضادّ النور بالظلمة ، والخشونة باللين ، واليبوسة بالبلل ، والصرد ^(٣) بالحرور ؛ مؤلف بين متعادياتها ^(٤) ، مفرق بين متدانياتها » . ١٥

(١) ت : « ... عليه السلام أنه قال وهو يصف ... » .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « أي ينصب المضادة بين الضدين يستدل على أن لا ضد له ؛ لأن لا يقدر على ذلك لا بد أن يكون متوحداً بصفات الجلال ، التي تحيل أن يكون للموصوف بها ضد » .

(٣) في حاشيتي ت ، ف : « الصرد : البرد ؛ وهو فارسي معرب ، يقال : يوم صرد وصرد [بـ كـ] الراء وفتحها] ، وصرد الرجل [بكسر الراء] بصرده صردا [بفتحها] » .

(٤) ف ، ونسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « متباعداتها » .

وروى عنه عليه السلام أنه سئل : بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ ؟ فقال : بما عَرَفَنِي به ، قيل : وكيف عَرَفْتُكَ ؟ فقال : « لا تشبّهه صورة ، ولا يُحَسَّنَ بالحواس الخمس ، ولا يقاس بقياس الناس » . وقيل له عليه السلام : كيف يحاسب الله الخلق ؟ فقال : كما يرزقهم ، فقيل : كيف يحاسبهم ولا يرونه ؟ فقال : كما يرزقهم ولا يرونه .

وسأله رجل فقال : أين كان ربُّكَ قبل أن يخلُقَ السماء والأرض ؟ فقال عليه السلام : هـ
أين سؤالٌ عن مكان ، وكان الله ولا مكان .

وروى عن أبي عبد الله الصادق ^(١) عليه السلام أنه سأله محمد الحلبي فقال له : هل رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربّه ؟ قال : نعم رآه بقلبه ، فأما ربُّنا جلّ جلاله فلا تدركه أبصارُ الناظرين ، ولا تحيط به أسماعُ السامعين .

وروى صفوان بن يحيى قال : دخل أبو قرّة الخدّث على أبي الحسن الرضا ^(٢) عليه السلام . ١٠
فسأله ^(٣) عن أشياء من الحلال والحرام والأحكام والفرائض ، حتى بلغ إلى التوحيد ، فقال له أبو قرّة : إنا روينا أن الله تعالى قسم الكلام والرؤية ، فقسم لموسى الكلام ، ولمحمد صلى الله عليه وآله الرؤية ، فقال الرضا عليه السلام : فمن المبلغُ عن الله تعالى إلى الثقلين : الجنّ والإنس أنه لا تدركه الأبصار ، ولا يحيطون به علماً ، وليس كمثله شيء ؟ أليس محمد عليه السلام نبياً صادقاً ؟ قال : بلى ، قال : فكيف يحىء رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرهم أنه جاء من عند الله تعالى يدعوهم ١٥
إليه بأمره ، ويقول : لا تدركه الأبصار ، ولا يحيطون به علماً ، وليس كمثله شيء ، ثم يقول :

(١) هو الإمام أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وأمه فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر ، ولد بالمدينة سنة ٨٠ ، وروى عن أبيه وجده القاسم وطبقتهما ، وقد ألف تصنيده جابر بن حباب الصوفي كتاباً في ألف ورقة يتضمن رسائله ؛ وتوفي سنة ١٤٨ ، ودفن بالبقيع ؛ (شذرات الذهب ١ : ٢٢٠) .

(٢) هو الإمام أبو الحسن علي الرضا بن موسى السكاظم بن جعفر الصادق ، ثامن الأئمة الاثني عشر ، توفي بطوس سنة ٢٠٤ ، وصلى عليه المؤمنون ؛ ودفن بجانب الرشيد . (شذرات الذهب ٦ : ٦٠) . (٣) حاشية ت (من نسخة) : « فساء له » .

سأراه بعيني وأحيط به علماً ؛ أما تستحيون ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا أن يكون يأتي عن الله تعالى بشيء ، ثم يأتي بخلافه من وجه آخر ! قال أبو قرّة : فإنه يقول : ﴿ وَلَقَدْ رَأَوْهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴾ [النجم : ١٣ ، ١٤] ، فقال عليه السلام : ما بعد هذه الآية يدل على ما رأى ؛ حيث يقول : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ [النجم : ١١] ، يقول ما كذب فؤاد محمد ما رأت عيناه ، ثم أخبر بما رأى ، فقال : ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ [النجم : ١٨] ، وآيات الله غير الله ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ [صه : ١١٠] ، فإذا رآته الأبصار فقد أحاط به العلم . فقال أبو قرّة : فأكذب بالرؤية ؟ فقال الرضا عليه السلام : إذن القرآن كذبها ، وما أجمع عليه المسلمون أنه لا يحاط به علماً ، ولا تدركه الأبصار ، وليس كمثل شيء .

١٠ وأتى أعرابي أبا جعفر محمد بن عليّ عليهما السلام^(١) فقال له : هل رأيت ربك حين^(٢) عبدته ؟ فقال : لم أكن لأعبد شيئاً لم أره ، فقال : كيف رأيت ؟ فقال : لم تره الأبصار بمشاهدة العيان ، بل رآته القلوب بمقتضى الإيمان ؛ لا يدرك بالحواس ، ولا يقاس بالناس ، معروف بالآيات ، منعمت بالعلامات ، لا يجور في قضيته ؛ هو الله الذي لا إله إلا هو . فقال الأعرابي : الله أعلم حيث يجعل رسالته !

١٥ وروى أن شيخاً حضر صفين مع أمير المؤمنين عليه السلام فقال له : أخبرنا يا أمير المؤمنين [٤٧] عن مسيرنا إلى الشام ، أكان بقضاء من الله تعالى وقدر ؟ قال له : / نعم يا أخا أهل الشام ، والذي فاق الحبة ، وبرأ النسمة ، ما وطئنا موطناً ، ولا هبطنا وادياً ، ولا علونا تلعة إلا بقضاء من الله وقدر ، فقال الشامي : عند الله أحسب عناي يا أمير المؤمنين ، وما أظن أن لي أجراً في سعي إذ كان الله قضاؤه على وقدره ! فقال له عليه السلام : إن الله قد أعظم

(١) هو الإمام أبو جعفر محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم ؛ أحد الأئمة الاثني عشر ؛ عوف

بيفداد سنة ٢٢٠ ؛ (شذرات الذهب ٢ : ٤٨) .

(٢) ش : و حتى .

لكم الأجر على مسيركم وأنتم سائرون ، وعلى مقامكم وأنتم مقيمون ، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ، ولا إليها مضطرين ، ولا عليها مجبرين .

فقال الشامي : وكيف ذلك والقضاء والقدر ساقانا ، وعنهما كان مسيرنا وانصرافنا ؟ فقال له عليه السلام : يا أبا أهل الشام ، لعلك ظننت قضاءً لازماً ، وقدراً حتماً ؛ لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب ، وسقط الوعد والوعيد ، والأمر من الله والنهي ، وما كان المحسن أولى بثواب الإحسان من المسيء ، والمسيء أولى بعقوبة الذنب من المحسن ؛ تلك مقالة عبدة الأوثان ، وحزب الشيطان ، وخصماء الرحمن ، وشهداء الزور ، وقدريّة هذه الأمة ومجوسها ؛ إن الله أمر عباده تحييراً ، ونهاهم تحذيراً ، وكلف يسيراً ، وأعطى على القليل كثيراً ، ولم يُطع مكرهاً ، ولم يُعص مغلوباً ، ولم يكلف عسيراً ، ولم يرسل الأنبياء لعباً ، ولم ينزل الكتب إلى عباده عبثاً ، ولا خلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً ؛ ذلك ظن الذين كفروا ، فويل للذين كفروا من النار !

قال الشامي : فما القضاء والقدر الذي كان مسيرنا بهما وعنهما ؟ قال : الأمر من الله بذلك والحكم ، ثم تلا : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾ [الأحزاب : ٣٨] ، فقام الشامي فراح مسروراً لما سمع هذا المقال ، وقال : فرجت عني فرج الله عنك يا أمير المؤمنين ، وأنشأ يقول :

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته يوم الحساب من الرحمن غفرانا^(١) ١٥
أوضحت من أمرنا^(٢) ما كان ملتبساً جزاك ربك بالإحسان إحساناً^(٣)

وروي أن أبا حنيفة النعمان بن ثابت قال : دخلت المدينة ، فرأيت أبا عبد الله [جعفر ابن علي]^(٤) عليه السلام ، فسلمت عليه ، وخرجت من عنده ، فرأيت^(٥) ابنه موسى^(٦) عليه السلام

(١) حاشية ف : « في رواية * يوم النشور من الرحمن رضوانا * » .

(٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « أوضحت من ديننا » .

(٣) حاشية ف : « في رواية : جزاك ربك عنا فيه إحساناً * » .

(٤) تسكلة من ت . (٥) ت ، ش : « فأيت » .

(٦) هو المعروف بموسى الكاظم ، أحد الأئمة الاثني عشر ؛ توفي سنة ١٨٣ ؛ (شذرات الذهب ١ : ٤ : ٣٠)

[٤٨] في دِهْلِيْزِهِ، قَاعِدًا فِي مَكْتَبِهِ، / وَهُوَ صَغِيرُ السِّنِّ فَقُلْتُ لَهُ : أَيْنَ يُحَدِّثُ ^(١) الْغَرِيبَ إِذَا كَانَ ^(٢) عِنْدَكُمْ وَأَرَادَ ذَلِكَ ؟ فَنَظَرُ إِلَىَّ ثُمَّ قَالَ : يَتَجَنَّبُ شَطُوطَ الْأَنْهَارِ ، وَمَسَاقِطَ ^(٣) الثَّمَارِ ، وَأَفْنِيَةَ الدُّوَرِ ، وَالطَّرِيقَ النَّافِذَةَ ، وَالْمَسَاجِدَ ، وَيَضَعُ وَيَرْفَعُ بَعْدَ ذَلِكَ حَيْثُ شَاءَ . قَالَ : فَلَمَّا سَمِعْتُ هَذَا الْقَوْلَ نَبُلَ فِي عَيْنِي ، وَعَظُمَ فِي قَلْبِي . فَقُلْتُ لَهُ : جُعِلَتْ فِدَاكَ ! فَمَنْ الْمَعْصِيَةُ ؟ فَنَظَرَ إِلَىَّ ثُمَّ قَالَ : اجْلِسْ حَتَّى أَخْبِرَكَ ، فَجَلَسْتُ ، فَقَالَ : إِنَّ الْمَعْصِيَةَ لَا بَدَّ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْعَبْدِ أَوْ مِنْ رَبِّهِ ، أَوْ مِنْهُمَا جَمِيعًا ؛ فَإِنْ كَانَتْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ أَعْدَلُ وَأَنْصَفُ مِنْ أَنْ يُظْلِمَ عَبْدُهُ ، وَيَأْخُذَهُ بِمَا لَمْ يَفْعَلْهُ ، وَإِنْ كَانَ مِنْهُمَا فَهُوَ شَرِيكُهُ ؛ وَالْقَوَى أَوْلَى بِالْإِنْصَافِ عَبْدُهُ الضَّعِيفُ ، وَإِنْ كَانَتْ مِنَ الْعَبْدِ وَحْدَهُ فَعَلِيهِ وَقَعَ الْأَمْرُ ، وَإِلَيْهِ تَوَجَّهَ النَّهْيُ ، وَلَهُ حَقُّ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ ، وَوُجِبَتْ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ ، قَالَ : فَلَمَّا سَمِعْتُ ذَلِكَ قُلْتُ : ﴿ ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آ ن عَمْرَان : ٣٤] .

١٠ وَقَدْ نَظِمَ هَذَا الْمَعْنَى شِعْرًا فَقِيلَ :

لَمْ تَخْلُ أَعْمَالُنَا إِلَّا نَدْمٌ لَهَا	إِحْدَى ثَلَاثِ خِلَالٍ حِينَ نَأْتِيهَا
إِنَّمَا تَفَرَّدَ بَارِيْنَا بِصَنْعَتَيْهَا	فَيَسْقُطُ اللَّوْمُ عَنَّا حِينَ نُنْشِئُهَا
أَوْ كَانَ يَشْرِكُنَا فِيهَا فَيَلْحَقُهُ	مَا سَوْفَ يَلْحَقُنَا مِنْ لَأْمٍ فِيهَا
أَوْ لَمْ يَكُنْ لِلْإِلَهِ فِي جَنَابَيْهَا	ذَنْبٌ فَهَا الذَّنْبُ إِلَّا ذَنْبُ جَانِبَيْهَا ^(٤)

١٥ وَأَحَدُ مَنْ تَظَاهَرَ مِنَ الْمُتَنَبِّهِينَ بِالْقَوْلِ بِالْعَدْلِ ، الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيُّ ، وَاسْمُ أَبِيهِ يَسَارٌ ، مِنْ أَهْلِ مَيْسَانَ ، مَوْلَى لِبَعْضِ الْأَنْصَارِ ، وَكَانَ اسْمُ أُمِّهِ خَيْرَةَ ، مَمْلُوكَةٌ لَأُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَيُقَالُ إِنَّ أُمَّ سَلَمَةَ كَانَتْ تَأْخُذُ الْحَسَنَ إِذَا بَكَى فَتَسْكُتُهُ بِثَدْيِهَا ،

(١) حَاشِيَةُ ت (مِنْ نَسِخَةِ) : « يَضَعُ » .

(٢) م : « الرَّجُلُ » .

(٣) حَاشِيَةُ ت (مِنْ نَسِخَةِ) : « وَمُسْقُطٌ » .

(٤) فِي حَوَاشِي الْأَصْلِ ، ت ، ف : « زِيَادَةٌ فِي آخِرِ هَذِهِ الْقِطْعَةِ :

سَيَعْلَمُونَ إِذَا الْمِيزَانُ شَالَ بِهِمْ أَهْمُ جَنَوَهَا أَمْ الرَّحْمَنُ جَانِبُهَا

فكان يَدِرّ عليه ، فيقال إنَّ الحِكمة التي أوتيها الحسن من ذلك ، وبلغ الحسنُ من السن تسعا وثمانين سنة .

فمن تصرّحه بالعدل ما رواه عليّ بن الجعد^(١) قال : سمعت الحسن يقول : مَنْ زَعَمَ أَنَّ المعاصي من الله عز وجلّ جاء يوم القيامة مسودًّا وجهه ، ثم قرأ : ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ [الزمر : ٦٠] . وقال داود بن أبي هند : ٥ سمعت الحسن يقول : كلُّ شَيْءٍ بقضاء وقدر^(٢) إلا المعاصي . [٨ : ٤] ط

وكان الحسن بارع الفصاحة ، بليغ المواعظ ، كثير العالم . وجميع كلامه في الوعظ وذم الدنيا أو جلّه مأخوذ لفظاً ومعنى ، أو معنّى دون لفظ ؛ من كلام أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب عليه السلام ، فهو القدوة والغاية^(٣) .

فمن ذلك قوله عليه السلام : « شيئان أحدهما مأخوذ من الآخر ، أحدهما أكثر شيء ١٠ في الدنيا ، والآخر أقلُّ شيء في الدنيا : العِبر والاعتبار » .

وقوله عليه السلام : « مثَلُ الدنيا والآخرة ، مثَلُ المشرق والمغرب ، متى ازدادت من أحدهما قرباً ، ازدادت من الآخر بُعداً » .

وقوله : « شتّان بين عمليّن : عملٌ تذهب لذّته ، ويبقى تبعته ، وعملٌ تذهب مؤنّته ويبقى أجره » .

١٥

وقوله في وصف الدنيا : « ما أصف من دارٍ أولها عناء ، وآخرها فناء ، في حلالها حساب ، وفي حرامها عقاب ، مَنْ صَحَّ فيها أَمِنَ^(٤) ، وَمَنْ فَرَّطَ فيها ندم ، ومن استغنى

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « عليّ بن الجعد لم يلق الحسن ؛ فإن علياً مات سنة ثلاثين ومائتين ، والحسن مات سنة عشرين ومائة ، وولد عليّ بن الجعد سنة أربع وثلاثين ومائة . قال القتيبي : عليّ بن الجعد مولد أم سلمة الخزرومية ، امرأة أبي العباس أمير المؤمنين ، وولد سنة ست وثلاثين ومائة ، ومات ببغداد سنة ثلاثين ومائتين ، وفيها مات عبد الله بن طاهر » .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « بقضاء الله وقدره » . (٣) ت : « فهو في ذلك القدوة والغاية » .

(٤) حاشية ف : « قوله : من صح فيها أَمِنَ ، يعني أن الإنسان إذا صح جسمه أَمِنَ الأحوال الدنيوية والأخروية ، وإذا مرض ندم على التقصير » .

فيها فِتْنٌ ، وَمَنْ افْتَقَر فيها حَزَنٌ .
وقوله في كلام له : « فَيَأْيُهَا الذَّامُّ لِلدُّنْيَا ، وَالْمَعْتَلُّ ^(١) بفرورها ، مَتَى اسْتَدَمَّتْ ^(٢) إِلَيْكَ ؟
بَلْ مَتَى غَرَّكَ ؟ أَمْضِاجُ آبَائِكَ مِنَ الثَّرَى ؟ أَمْ بِمَنَازِلِ أُمَّهَاتِكَ مِنَ الْبِلَى ؟ كَمْ مَرَّضَتْ
بِكَفِّكَ ؟ وَكَمْ عَالَجَتْ بِيَدَيْكَ ؟ تَبْتَغِي لَهُمُ الشِّفَاءَ ، وَتَسْتَوْصِفُ لَهُمُ الْأَطْبَاءَ ؛ مَثَلَتْ لَكَ بِهِمُ
الدُّنْيَا نَفْسَكَ ، وَبِمَصْرِعِهِمْ مَصْرَعَكَ » .

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه : وهذا باب إن وإجناه اغترفنا من ثبج ^(٣)
بحر زاخر ، أو شؤبوب ^(٤) غمامٍ ماطر ؛ وكلُّ قولٍ في هذا الباب لقائل إذا أُضِيفَ إليه ،
أو قُورِسَ به كان كإضافة القطرة إلى الغمرة ^(٥) ، أو الحصاة إلى الحرة ^(٦) ، وإنما أشرنا
إليه إشارة ، وأوماناً إليه إيماء ، ثم نعود إلى ما كنا فيه .

١٠ روى أن أعرابياً سمع كلامَ الحسن البصريّ فقال : المؤمن فصيح إذا لفظ ، نصيح
إذا وعظ .

وروى أن الحسن تلا يوماً : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَالْجِبَالِ ﴾ [الأحزاب : ٧٢] ، ثم قال : « إِنَّ قَوْمًا غَدَوْا فِي الْمَطَارِفِ ^(٧) الْعِتَاقَ ، وَالْمَاءَ
الرَّقَاقَ ، يَطْلُبُونَ الْإِمَارَاتَ ، وَيَضِيْعُونَ الْأَمَانَاتَ ، يَتَعَرَّضُونَ لِلْبَلَاءِ ، وَهُمْ مِنْهُ فِي عَافِيَةٍ ؛ حَتَّى
١٥ إِذَا أَخَافُوا مَنْ فَوْقَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْعِفَّةِ ، وَظَالَمُوا مَنْ تَحْتَهُمْ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ أَهْزَلُوا ^(٨) دِينَهُمْ
[٤٩] وَأَسْمَنُوا بَرَادِيَهُمْ ، وَوَسَّعُوا دَوْرَهُمْ ، وَضَيَّقُوا قُبُورَهُمْ ؛ أَلَمْ تَرَهُمْ قَدْ جَدَّدُوا / الشِّيَابَ
و

(١) ت ، ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « المقتل » .

(٢) حاشية الأصل : « قوله عليه السلام استدمت ، أى فعلت ما يلام عليه » .

(٣) ثبج البحر : وسطه أو معظمه . (٤) الشؤبوب : الدفعة من الطر .

(٥) الغمرة : الماء الكثير الذى يغمر من خاض فيه .

(٦) الحرة : أرض سوداء ذات حصى .

(٧) المطارف : جمع مطرف ؛ وهو كساء من خز ذو أعلام .

(٨) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « هزلوا » .

وَأَخْلَقُوا الدِّينَ ، يَتَكَبَّرُ أَحَدُهُمْ عَلَى شِمَالِهِ ، فَيَأْكُلُ مِنْ غَيْرِ مَالِهِ ؛ طَعَامُهُ غَضَبٌ ، وَخَدَمُهُ سُخْرَةٌ ؛ يَدْعُو بِحُلُوهٍ بَعْدَ حَامِضٍ ، وَبِحَارٍ بَعْدَ بَارِدٍ ، وَرَطْبٍ ^(١) بَعْدَ يَابِسٍ ؛ حَتَّى إِذَا أَخَذَتْهُ الْكِطَّةُ ، تَجَشَّأَ مِنَ الْبَشَمِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا جَارِيَّةُ ، هَاتِي حَاطُومًا (يَعْنِي هَاضُومًا) يَهْضِمُ الطَّعَامَ ؛ يَا أَحْيَمِيقَ ! لَا وَاللَّهِ لَنْ تَهْضِمَ إِلَّا دِينَكَ ، أَيْنَ جَارِكَ ! أَيْنَ يَتِيمُكَ ! أَيْنَ مَسْكِينُكَ ! أَيْنَ مَا أَوْصَاكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ ! » .

وَذَكَرَ يَوْمًا الْحِجَاجَ فَقَالَ : « أَتَانَا أُعْيِمِشُ أُخْيِفِشُ ، لَهُ جُمَيْمَةٌ يُرَجِّلُهَا ، وَأَخْرَجَ إِلَيْنَا بَنَاتَا قِصَارًا ، وَاللَّهِ مَا عَرِقَ فِيهَا عَنَانٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَقَالَ : يَا عَمُونِي ، فَبَايَعْنَاهُ ، ثُمَّ رَقِيَ هَذِهِ الْأَعْوَادَ يَنْظُرُ إِلَيْنَا بِالتَّصْغِيرِ ، وَنَنْظُرُ إِلَيْهِ بِالتَّعْظِيمِ ؛ يَا مُرْنَا بِالْمَعْرُوفِ وَيَحْتَنِبُهُ ، وَنَبْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَنَرْتَكِبُهُ . »

وَرَوَى عِيسَى بْنُ عَمْرِو قَالَ : قَالَ الْحَسَنُ : « إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ ظُلْمَةٌ ^(٢) فَاقْدَعُوهَا ، ١٠ فَإِنَّكُمْ إِنْ تُطِيعُوهَا تَنْزِعُ بِكُمْ إِلَى شَرٍّ غَايَةٍ ، وَحَادِثُوا هَذِهِ النُّفُوسَ ، فَإِنَّهَا سَرِيعَةُ الدُّثُورِ . » قَالَ عِيسَى بْنُ عَمْرِو : فَحَدَّثْتُ بِذَلِكَ أَبَا عَمْرٍو بْنَ الْعَلَاءِ ، فَعَجِبَ مِنْ فَصَاحَتِهِ . وَكَانَ يَقُولُ فِي بَعْضِ كَلَامِهِ : « مَا يَشَاءُ أَنْ تَرَى أَحَدَهُمْ أُبَيَّضَ بَضًّا ، يَمْلُخُ فِي الْبَاطِلِ مَلَخًا ، يَنْفُضُ مَذْرُوبَهُ وَيَقُولُ : هَإِنْدَا فَاعْرِفُونِي . »

قَالَ : فَالْبُضُّ ، هُوَ الرَّخْصُ اللَّحْمُ ، وَلَيْسَ هُوَ مِنَ الْبَيَاضِ عَلَى مَا يَظُنُّهُ قَوْمٌ ؛ لِأَنَّهُ ١٥ قَدْ تَكُونُ الرَّخَاصَةُ مَعَ الْأُدْمَةِ . وَأَمَّا قَوْلُهُ « يَمْلُخُ » فَإِنَّ الْمَلَخَ هُوَ التَّدْنِي وَالتَّكْسُرُ ، يَقَالُ مَلَخَ الْفَرَسَ إِذَا لَبَّ ^(٣) ؛ قَالَ رُوْبَةُ يَصِفُ الْحِمَارَ :

* مُعْتَرِمُ التَّجْلِيحِ مَلَاخُ الْمَلَقِ ^(٤) *

(١) ف ، ونسخة بحاشيتي ت ، ف : « ورطب » .

(٢) الظلمة : الكثيرة الطلع إلى الشيء ؛ أى أنها كثيرة الميل إلى هواها تشبهه حتى تهلك صاحبها ، قال في اللسان : « وبعضهم يرويه بفتح الطاء وكسر اللام ، وهو بمعناه ، والمعروف الأول » .

(٣) في اللسان (ملخ) وحاشيتي ت ، ف : « يملخ في الباطل ملخا ؛ أى يمر فيه مرا سريعا » .

(٤) الاعتزام : انضى على جهة واحدة ، والتجليح : شدة الإقدام ، والملق : ما استوى من الأرض . =

والمذروان^(١) : فرعا الأليتين : قال عنتره :

أَحْوَلِي^(٢) تَنْفُضُ اسْتُكَ مِذْرَوِيَهَا لَتَقْتُلَنِي فَهَإِنْدَا نَحْمَارَا

هذا قول أبو عبيد ؛ وقال ابن قتيبة ردًا عليه : ليس المذروان فرعى الأليتين حسب ؛

بل هما الجانبان من كل شيء ؛ تقول العرب : جاء فلان يضرب أضدرية ، ويضرب عطفية ،

وينفض مذرويه ، وهما منكباه. وذَكَرَ أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا مِنْ فَصَحَاءِ الْعَرَبِ يَقُولُ : قَنَّعَ ٥

الشَّيْبَ مِذْرَوِيَهُ ، يَرِيدُ جَانِبِي رَأْسِهِ ، وَهِيَ فَوْدَاهُ ، وَإِنَّمَا سَمِيَ بِذَلِكَ ، لِأَنَّهُمَا يَذْرِيَانِ ؛ أَيْ

== وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : وقوله :

* إِذَا تَتَلَّاهُنَّ صَلَّالُ الصَّعَقِ *

— أى تلا الحمار الأثنى ، والصلال : المصوت ، والضعق : شدة الصوت ؛ وحمار صعق : شديد

الصوت . وبعده :

* يَرْمِي الْجَلَامِيدَ بِجَلْمُودٍ مَدَقِ *

والبيت من أرجوزته التي مطلعها :

* وَقَاتِمِ الْأَعْمَاقِ خَاوِيِ الْخُتْرِقِ *

وهي في (ديوانه ١٠٤-١٠٨) ، وأبيات منها مشروحة في (الخزائن ١ : ٣٨-٤٤) .

(١) حاشية ف : « قوله المذروان ؛ أى أطراف الأليتين ، وليس بمثنى على واحد هو مذرى ، خلافا لما

يقوله أبو عبيد ؛ إذ لو كان ذلك كذلك لكان مذريران ؛ لأن الواو إذ وقعت رابعة فصاعدا قلبت ياء قياسا

على « مغزيان » ، ألا ترى إلى المذرى الذى يميز به الطعام إذ انثى يقال « مذريران » ؛ فقول : « مذروان » لأطراف

الأليتين ، كذا ورد عنهم في صورة النسبة ، وإن لم يكن تثنية لواحد مذكور .

(٢) ت ، د ، ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « أنحوى » ، وهو مخاطب عمارة بن زياد العيسى

وكان بلغه أنه يقول لقومه : قد أكثرتم ذكر هذا العبد ؛ وددت أنى لقيته خاليا حتى يعلم أنه

عبد ؛ وبعده :

مَتَى مَا تَلَقَّنِي فَرْدَيْنِ تَرْجُفُ رَوَانِفُ أَلْيَتَيْكَ وَتُسْتَطَارَا

والمروانف أعلى الأليتين ؛ والبيتان من قطعة في (حسان ابن الشجرى : ٨ ، واللالى ٨٣ ، والخزائن

يُشِيْبَان ، وَالذَّرَى وَالذَّرْوَةَ^(١) الشَّيْبُ ، قَالَ : وَهَذَا أَصْلُ الْحَرْفِ ، ثُمَّ اسْتَعْمِرَ لِلْمُسْكِبِينَ ، وَالْأَلْيَتَيْنِ ، وَالطَّرْفَيْنِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، قَالَ أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي عَائِدٍ الْهَذَلِيُّ يَذْكُرُ قَوْسًا :

عَلَى عَجَسٍ هَتَافَةٍ الْمَذْرُوءِ — زَوْرَاءَ مُضْجَعَةٍ فِي الشَّمَالِ^(٢)

أَرَادَ قَوْسًا يَنْبِضُ^(٣) طَرَفَاهَا . قَالَ : فَلَا مَعْنَى لَوْصَفِ الرَّجُلِ الَّذِي ذَكَرَهُ الْحَسَنُ بِأَنَّهُ يَحْرُكُ أَلْيَتَيْهِ ؛ وَلَا مِنْ شَأْنٍ مِنْ يَبْذُخُ^(٤) وَيَتِيهِ عَلَى نَفْسِهِ وَيَقُولُ : هَإِنَذَا فَأَعْرِفُونِي أَنْ يَحْرُكَ أَلْيَتَيْهِ ؛ وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنَّهُ يُضْرِبُ عِطْفِيهِ ، وَهَذَا مِمَّا يُوَصَّفُ بِهِ الْمَرِحُ الْمُخْتَالُ ، وَرَبَّمَا قَالُوا : جَاءَنَا يَنْفُضُ مَذْرُوءِيهِ ، إِذَا تَهَدَّدَ وَتَوَعَّدَ ، لِأَنَّهُ إِذَا تَكَلَّمَ وَحَرَّكَ رَأْسَهُ نَفَضَ قُرُونَ فَوْدِيهِ ، وَهِيَ مَذْرُوَاهُ .

قَالَ سَيِّدُنَا الشَّرِيفُ الْأَجَلُ الْمُرْتَضَى أَدَامَ اللَّهُ عُلُوَّهُ : لَيْسَ الَّذِي ذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ بِعَبِيدٍ ، لِأَنَّهُ مِنْ شَأْنِ الْمُخْتَالِ الَّذِي يُزْهَى بِنَفْسِهِ أَنْ يَهْتَزَّ وَيَتَشَتَّى ، فَيَتَحَرَّكُ أَعْطَافُهُ وَأَعْضَاؤُهُ ؛ وَمَذْرُوَاهُ ١٠ مِنْ جَمَلَةٍ مَا يَهْتَزُّ وَيَتَحَرَّكُ ، لِأَنَّهُمَا بَارِزَانِ مِنْ جِسْمِهِ ، فَيُظْهِرُ فِيهِمَا الْإِهْتَزَّازَ ، وَإِنَّمَا خُصَّ الْمَذْرُوءَانِ^(٥) بِالذِّكْرِ مَعَ أَنْ غَيْرَهُمَا يَتَحَرَّكُ أَيْضًا ، عَلَى طَرِيقِ التَّقْبِيحِ عَلَى هَذَا الْمُخْتَالِ وَالتَّهَجُّجِ لِفَعْلِهِ . وَقَوْلُ ابْنِ قَتِيْبَةَ لَيْسَ مِنْ شَأْنِ مَنْ يَبْذُخُ أَنْ يَحْرُكَ أَلْيَتَيْهِ لَيْسَ بِشَيْءٍ ، لِأَنَّ الْأَغْلَبَ مِنْ شَأْنِ الْمُخْتَالِ الْبَدْخُ الْإِهْتَزَّازُ وَتَحْرِيكُ الْأَعْطَافِ ؛ عَلَى أَنَّ هَذَا يُلْزِمُهُ فِيمَا قَالَهُ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ

(١) حَوَاشِي الْأَصْلِ ، ت ، ف : الْعَجَبُ مِنْ ابْنِ قَتِيْبَةَ كَيْفَ خَلَطَ الْمَهْمُوزَ بِالْمَعْتَلِ ، وَإِنَّمَا هُوَ الذَّرَاءُ بِالْهَمْزِ شَيْبُ مَقْدَمِ الرَّأْسِ ، وَقَدْ ذَرَى يَذْرَأُ ، وَرَجُلٌ أَذْرَأُ وَامْرَأَةٌ ذَرَاءٌ ؛ وَهِيَ الذَّرَّةُ ، وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ ذَكَرَهُ فِي إِصْلَاحِ غَلَطِ أَبِي عُبَيْدٍ . وَفِي حَاشِيَةِ ف أَيْضًا : « الذَّرَاءُ : هُوَ شَيْبُ مَقْدَمِ الرَّأْسِ ؛ وَهُوَ مَهْمُوزٌ لَا غَيْرَ ، وَأَصْلُ الْمَذْرُوءِينَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مِنْ ذُرُو الرِّيحِ ، وَقَدْ صَحَّ أَنَّهُ إِذَا كَانَ بِمَعْنَى الشَّيْبِ كَانَ ذَرَاءً ، مَهْمُوزًا ، فَلَوْ كَانَ مِنَ الذَّرَّةِ الَّتِي هِيَ الشَّيْبُ لَسَكَانٌ مَذْرَأَيْنِ » .

(٢) دِيْوَانُ الْهَذَلِيِّينَ ٢ : ١٨٥ . وَالْعَجَسُ : مَقْبِضُ الْقَوْسِ ، وَهَتَافَةُ الْمَذْرُوءِينَ ؛ أَيْ اطْرَفِيهَا صَوْتُ نَفْضٍ ، وَزَوْرَاءَ : مُعْجَجَةٌ .

(٣) الْإِنْبَاسُ : التَّصْوِيتُ .

(٤) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ (مِنْ نَسْخَةٍ) : « يَبْذُخُ » .

(٥) ش : « خَمْسُ الْمَذْرُوءِينَ » .

من شأن كل متوعد أن يحرّك رأسه ، وَيَنْقُضْ مَذْرُوبَهُ ؛ فإذا قال : إن ذلك في الأكثر قيل له مثله .

وكان الحسن يقول : « يا بن آدم ، جمعاً جمعاً ، سرطاسرطاً^(١) ، جمعاً في وعاء ، وشدّاً في وكاء ، وركوب الذلول ، ولبس اللين ؛ حتى قيل مات ، فأفضى والله إلى الآخرة ، فطال حسابه » .

وكان يقول : « مسكين^(٢) ابن آدم ، مكتوم الأجل ، مكنون العِلل ؛ أسير جوع ، صريع شبع ، إنَّ مَنْ تَوَلَّاهُ الْبَقَّةُ ، وتقتله الشَّرْقَةُ ، لبادي الضَّعف ، فريسة الحنف » .
وكان يقول : « ما أطال أحد الأمل ، إلا أساء العمل » .

وكتب إلى عمر بن عبد العزيز : « أما بعد ، فإن طول البقاء إلى فناء ، نفذ من فرائدك الذي ١٠ لا يبقى ، لبقائك الذي لا يفنى ، والسلام » .

وكان يقول : « إذا رأيت رجلاً ينافس في الدنيا فنافسْه في الآخرة » . وسأله رجل : ما حالك ؟ فقال : بأشدّ حال ، ما حال مَنْ أصبح وأمسى ينتظر الموت ، ولا يدري ما يفعل الله به !! .

[٥٠] / وكان يقول : « يا بن آدم ، بُسِطَتْ لكَ حَفيْفة ، ووَكِّلَ بِكَ مَلِكُانِ كَريمان ، يَكْتَبانِ عَمَلَكَ ١٥ فَأَمِلْ مَا شِئْتَ ، وَأَكْثِرْ وَأَقَلِّ » . وفي خبر آخر : « وَكِّلَ بِكَ مَلِكُانِ كَريمان ، رِيقُكَ مَدادُهُما ، وَلِسَانُكَ قَلَمُهُما » .

روى أبو بكر الهذلي قال : لما وفد^(٣) عمرُ بن هبيرة والياً على العراق نزل واسطاً ، فبعث

(١) السرط : الباع .

(٢) حواشي الأصل ، ت . ف : يجوز : « مسكينُ ابن آدم » ، ويكون قد حذف التنوين لانتماء الساكنين ؛ من باب قوله تعالى ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ ، وقول الشاعر :

عَمْرُو الَّذِي هَشَمَ التَّرِيدَ لِقَوْمِهِ وَرِجَالُ مَكَّةَ مَسْنَتُونَ عِجَافُ

(٣) من نسخة محاشيتي الأصل ، ت : « قدم » .

إلى الشعبي وإلى الحسن البصريّ ، فقال لهما : إن يزيد بن عبد الملك عبداً أخذ الله ميثاقه ، وانتجبه لخلافته ، وقد أخذ بنواصينا ، وأعطيناه عهدنا ومواثيقنا وصفقة أيدينا ، فوجب علينا السمع والطاعة ، وإنه بمنى إلى عراقكم غير سائل إياه ، إلا أنه لا يزال يبعث إلينا في القوم نقتلهم ، وفي الضياع نقبضها ، أو في الدور نهديمها ، فنؤليه من ذلك ما ولّاه الله ، فما تريان ؟ فأما الشعبيّ فقال قولاً فيه بعض اللين ؛ وأما الحسن فإنه قال له : يا عمر ، إني أنهارك عن ٥
الله أن تعرض له ، فإن الله ما نمتك من يزيد ، ولا يمنعك يزيد من الله ؛ إنه يوشك أن ينزل إليك ^(١) ملك من السماء ، فيستنزلك من سريرك ، ويخبرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك ؛ ثم لا يوسعه عليك إلا عملك ، إن هذا السلطان إنما جعل ناصراً لدين الله ، فلا تركبوا دين الله وعباد الله بسلطان الله تدلّوهم به ، فإنه لا طاعة لخلق في معصية الخالق جل وعزّ . وذكر عن الشعبيّ أنه قال : كان والله الحسن أكرمنا عليه .

٩٠ وروى أبو بكر بن عياش قال : قال مسامة بن عبد الملك للحسن : عطيني فقال : إذا نزلت عن المنبر فاعمل بما تكلمت به ، فقال : عطيني ، فقال : أوليت قط ؟ فقال : نعم ، قال : فما كنت تحب أن يؤتى إليك فإنه إلى من وريته .

وعن ثابت البنانيّ قال : قال رجل للحسن : آخذ عطائي أم أدعه حتى آخذه من حسناتهم يوم القيامة ؟ فقال له : قم ويحك خذ عطاءك ! فإن القوم مفاليس من الحسنات يوم القيامة . ١٥
وولد للحسن غلام ، فنهأه بعض أصحابه ، فقال الحسن : « نحمد الله على هبته ، ونستريده من نعمه ، ولا مرحبا بمن إن كنت غنياً أذهلني ، وإن كنت فقيراً أتعبني ؛ لا أرضى بسعيي له سمياً ، ولا بكدي له في الحياة كدّاً ، أشفق عليه من الفاقة بعد وفاتي ، وأنا في حال لا يصل إلى / من همه حزن ، ولا من فرحه سرور » .
[٥٠]
ظ

وكان الحسن يقول : « لو لم يكن من شؤم الشراب إلا أنه جاء إلى أحب خلق الله إلى الله فأفسده ، لكان ينبغي للماقل أن يتركه » - يعني العقل .

وعزّى جاراً له يهودياً فقال : « جزاك الله عن مصيبتك بأعظم ما جازى به أحدا من أهل مِلَّتِكَ » . وهذا تخاضع منه مليح ، لأنه لم يدّع له بالثواب الذى لا يستحقه الكفار ، وأراد بالجزاء العوض الذى يستحقه الكافر مع استحقاق العقاب .

وكان الحسن يقول : « ليس للفاسق المعلن بالفسق غيبة ، ولا لأهل الأهواء والبدع غيبة ، ولا للسلطان الجائر غيبة » .

وقال فى قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ قال العلم ، ﴿ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ [البقرة : ٢٠١] قال : الجنة .

وخرج الحسن فى جنازة معها نوايح ، فقال له رجل : أما ترى يا أباسعيد هذا ؟ وهم الرجل بالرجوع ، فقال له الحسن : إن كنت كلما رأيت قبيحاً تركت له حسناً أسرع ذلك فى دينك : وذكرته عنده الدنيا فقال :

أَحْلَامُ نَوْمٍ أَوْ كِظْلٌ زَائِلٌ إِنَّ اللَّيْبَ بِمَثَلِهَا لَا يُخَدِّغُ
وكان يتمثل :

الْيَوْمَ عِنْدَكَ دَلُّهَا وَحَدِيثُهَا وَغَدًا لِنَفْسِكَ كَفُّهَا وَالْمِعْصَمُ^(١)

وعن أبى عبيدة قال : لما فرغ الحجاج من خضراء^(٢) واسط نادى فى الناس أن يخرجوا فیدعوا له بالبركة ، فخرج الناس ، وخرج الحسن ، فاجتمع عليه الناس ، فخاف أهل الشام على نفسه أن يقتلوه ، فرجع وهو يقول : قد نظرنا يا أخبت الأخبثين ، وأفسق الفاسقين ،

(١) حاشية ف : « قبله :

لَا تَأْمَنَنَّ أُنْثَى حَيَاتِكَ وَاعْلَمَنَّ أَنْ النِّسَاءَ وَمَا لَهُنَّ مُقَسَّمٌ

وبعده :

كَالْبَيْتِ يُصْبِحُ خَالِيًا مِنْ أَهْلِهِ وَيَحُلُّ بِعَدِّكَ فِيهِ مَنْ لَا تَعْلَمُ

(٢) حاشية الأمل : « خضراء واسط : بنية كان ابتناها الحجاج » ، وفى م : « قصر واسط

فأما أهل السماء فمقتوك ، وأما أهل الأرض فغروك ، ثم قال : أب الله تعالى للميثاق الذى أخذه على أهل العلم ليبيننه للناس ولا يكتمونه . ثم انصرف وبلغ الحجاج ذلك فقال : يا أهل الشام - وهم حوله : الله (١) ليقومن (٢) غبيد من عبيد أهل البصرة ، ويتكلم فى بما يتكلم ، ولا يكون عند أحد منكم تغيير ولا نكير ! قالوا : ومن ذاك أصلحك الله ! استقنا دمه ، فقال : على به ، وأمر بالنطع والسيف فأحضرا ، ووجه إليه ، فلما دنا الحسن من الباب ، ٥
حرك شفتيه والحاجب ينظر إليه ، فلما دخل قال له الحجاج : هاهنا ، وأجاسه قريبا من فرشه ، وقال له : ما تقول فى على وعثمان ؟ قال : أقول قول من هو خير منى عند من هو شر منك ، قال موسى عليه السلام لفرعون إذ قال له : ﴿ مَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى . قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾ [طه : ٥١ - ٥٢] ؛ عليم على وعثمان عند الله تعالى ، فقال له الحجاج : أنت سيد العلماء يا أبا سعيد ، ثم دعا بغالية فغلل بها لحيته ، فلما خرج ١٠
الحسن أتبعه الحاجب ، فقال : يا أبا سعيد ، لقد دعاك لغير ما فعل بك ، ولقد أحضر السيف والنطع ، فلما أقبلت رأيتك قد حركت شفتيك بشيء ، فما قلت ؟ قال : قلت يا معدتى عند كرتى ، يا صاحبي عند شدتى ، ويا ولى نعمتى ، ويا إلهى وإله آبائى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب أرزقنى مودته ، واصرف عني أذاه ومعرته ؛ ففعل ربي عز وجل ذلك .

١٥

وكان الحسن يقول : ما زال النفاق مقموعا حتى غمهم هذا عمامة ؛ وقُلْد سيفاً .
- معنى الحجاج .

(١) حواشى الأصل ، ت ، ف : « هم كثيرا ما يتصرفون فى القسم ؛ وذلك لكثرة تردده فى كلامهم فتارة يحذفون الفعل ، كقولك بالله ، وأخرى يحذفون خبر المبتدأ ، كقولك لعمري ، وتارة يحذفون حرف القسم من غير عوض ، كقولك : الله لأفعلن ؛ بالنصب ، والله لأفعلن بالجزم ، وتارة يحذف الحرف عن عوض ، كقولك آله ، وهاته . »

(٢) حواشى الأصل ، ت ، ف : « لا بد من النون فى صحة اللام فى جواب القسم ؛ وحذفها ضعيف ؛ ومع ضعفه جائز ؛ كقولك : والله ليقوم زيد ، والفصيح بالنون ؛ وإنما تحرى ذلك فيه لأن الغرض بالقسم التوكيد ؛ فينبغى أن يكون مؤكدا . »

وروى أبو بكر الهذلي أن رجلاً قال للحسن: يا أبا سعيد، إن الشيعة تزعم أنك تبغض علياً عليه السلام، فأكتب بيكي طويلاً، ثم رفع رأسه فقال: لقد فارقكم بالأمس رجل كان سهماً من مراي ربنا عز وجل على عدوه، رباني هذه الأمة، ذو شرفها وفضلها، وذو قرابة من النبي صلى الله عليه وآله قريبة، لم يكن بالنومة عن أمر الله، ولا بالغافل عن حق الله، ولا بالسروقة من مال الله، أعطى القرآن عزائمها فيما له وعليه، فأشرف منها على رياض موقنة، وأعلام بيئة، ذلك ابن أبي طالب يا لكع! وكان الحسن إذا أراد أن يحدث في زمن بني أمية عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال أبو زينب.

وشهد الحسن جنازة فقال: إن أمراً هذا^(١) آخره لينبغي أن يزهد فيه، وإن أمراً هذا أوله لينبغي أن يحذر منه^(٢). وعن حميد الطويل قال: خطب رجل إلى الحسن ابنته، وكنت السقيفة بينهما - فرضيه، وأراد أن يزوجه فأثنت عليه ذات يوم وقلت: وأزيدك يا أبا سعيد، إن له خمسين ألفاً، قال: أقات له خمسون ألفاً! ما اجتمعت من حلال - قات: يا أبا سعيد، إنه والله ما علمت لو رع مسلم، فقال: إن كان جمعها من حلال، لقد ضن بها عن حق! لا يجري بيني وبينه صهر أبداً.

وقيل لعلي بن الحسين عليهما السلام: قال الحسن البصري ليس العجب ممن هلك كيف هلك، وإنما العجب ممن نجا كيف نجا! فقال عليه السلام: أنا أقول: ليس العجب ممن نجا كيف نجا؛ إنما العجب ممن هلك كيف هلك مع سعة رحمة الله!

وأتى عليه السلام يوماً الحسن البصري وهو يقصّ عند الحجير فقال: أترضى يا حسن نفسك للموت؟ قال: لا، قال: فعملك للحساب؟ قال: لا؛ قال: فتم دار للعمل غير هذه الدار؟ قال: لا، قال: فله في أرضه مماذ غير هذا البيت؟ قال: لا، قال: فلم تشغل الناس عن التطواف^(٣).

(١-١) م: «إن أمراً هذا أوله لينبغي أن يحذر منه، وإن أمراً هذا آخره لينبغي أن يزهد فيه»

(٢) كذا في الأصل، ت، ج، ش، ف، وفي نسخة بحاشيتي ت، ف: «الطواف».

وكانت وفاة الحسن البصري سنة ١١٠؛ (وانظر ترجمته في ابن خلكان ١: ١٢٨-١٢٩)

مَجْلِسُ آخِر

وَمَنْ تَظَاهَرَ بِالْعَدْلِ وَاشْتَهَرَ بِهِ وَاصِلُ بْنُ عَطَاءِ الْغَزَّالِ ، وَيَكْنَى أبا حُدَيْفَةَ ، وَقِيلَ :
إِنَّهُ مَوْلَى بَنِي ضَبَّةَ ، وَقِيلَ : مَوْلَى بَنِي مَخْزُومَ ، وَقِيلَ : مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ .

وَرَوَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ غَزَّالًا ، وَإِنَّمَا لَقَّبَ بِذَلِكَ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَكْثُرُ الْجُلُوسَ فِي الْغَزَّالِينَ ،
وَقِيلَ : إِنَّهُ كَانَ يَجْلِسُ فِي الْغَزَّالِينَ عِنْدَ رَضِيْعٍ لَهُ يَعْرِفُ بِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْغَزَّالِ . وَذَكَرَ الْمُبَرِّدُ :
أَنَّ^(١) وَاصِلًا كَانَ يَلْزِمُ الْغَزَّالِينَ ، لِيَعْرِفَ الْمُتَعَفِّفَاتِ مِنَ النِّسَاءِ ، فَيَصْرِفُ صَدَقَتَهُ إِلَيْهِنَّ^(٢) ،
وَلَقَّبَ بِذَلِكَ كَمَا لَقَّبَ أَبُو سَلَمَةَ حَفْصُ بْنُ سَلِيمَانَ بِالْخَلَّالِ ، وَهُوَ وَزِيرُ أَبِي الْعَبَّاسِ^(٣) السَّفَّاحِ ،
وَلَمْ يَكُنْ خَلَّالًا ، وَإِنَّمَا كَانَ مَنْزِلُهُ بِالْكَوْفَةِ بِقَرْبِ الْخَلَّالِينَ ، وَكَانَ يَجْلِسُ عِنْدَهُمْ فَسُمِيَ خَلَّالًا ،
وَمِثْلُهُ أَبُو عَلِيٍّ الْحِرْمَازِيُّ^(٤) ، وَهُوَ مَوْلَى ابْنِ هَاشِمٍ ، وَإِنَّمَا لَقَّبَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ يَنْزِلُ فِي
بَنِي الْحِرْمَازِ ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ يَزِيدَ الْخُوَزَيْنِيِّ ، وَلَيْسَ بِخُوَزِيٍّ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَنْزِلُ^(٥) بِمَكَّةَ
بِشُعْبِ الْخُوَزِ ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْقُبَيْرِيُّ ، لِأَنَّهُ نَزَلَ^(٦) الْمَقَابِرَ .

١٠

وَكَانَ وَاصِلٌ أَلْفَغَ فِي الرَّأْيِ ، قَبِيحَ اللَّشْفَةِ ؛^(٧) فَكَانَ يَخْلُسُ مِنْ كَلَامِهِ الرَّأْيَ^(٨) ، يَعْدِلُ
عَنْهَا فِي سَائِرِ مَحَاوِرَاتِهِ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا طَرَفًا مِنْ ذَلِكَ فِي أَخْبَارِ بَشَّارِ بْنِ بَرْدٍ^(٨) .

(١) انظر السكامل بشرح المصنف ٧ : ١١٤ . (٢) في السكامل : « فيجعل صدقه لهن » .

(٣) حواشي الأصل ، ت ، ف : « أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال هو الذي قيل فيه :

إِنَّ الْوَزِيرَ وَزِيرَ آلِ مُحَمَّدٍ أَوْدَى فَمَنْ يَشْمَاكَ كَانَ وَزِيرًا

إِنَّ السَّلَامَةَ قَدْ تَبَيَّنُ وَرَبَّمَا كَانَ السُّرُورُ بِمَا كَرِهَتْ جَدِيرًا

وَكَانَ يَمِيلُ إِلَى أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ . وَانْظُرْ أَخْبَارَهُ فِي الْغُرَى : ١٣٣ .

(٤) هو أبو علي الحسن بن علي الحرمازي ؛ أَعْرَابِي رَاوِيَةٌ ، وَكَانَ أَيْضًا شَاعِرًا ، وَالْحِرْمَازُ : أَبُو حَيٍّ

مِنْ تَقِيمٍ ؛ وَهُوَ الْحَارِثُ بْنُ مَالِكٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ تَقِيمٍ ؛ (وَانْظُرِ الْفَهْرَسْتُ : ٤٨) .

(٥) حاشية ت (من نسخة) : « منزله » .

(٦) حاشية ت (من نسخة) : « ينزل بالمقابر » .

(٧-٧) حاشية ت (من نسخة) : « فكان يخلص كلامه من الرأْي » .

(٨) انظر ص ١٣٩-١٤٠ من هذا الجزء .

وذكر أبو الحسن البرذعي المتكلم أن إنساناً سأل عمرو بن عُبيد أو غيره عن شيء في القدر بحضرة واصل بن عطاء ، فتكلم السائل بشيء أغضب عمرًا ، فأجابه عمرو بجواب لم يَرْضَه واصل ، فقال له واصل : إياك وأجوبة الغضب فإنها مندمة ، والشيطان يكون معها ، [٥٢] وله في تضاعيفها همزة ^(١) ، وقد أوجب الله جلّ وعز على نبيه / عليه السلام أن يستعبد من هزات الشيطان ، وأن يكونوا معه بقوله : ﴿ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾ ؛ [المؤمنون : ٩٧] ؛ إلى خاتمة الآية ، ^(٢) وقلما شاهدتُ أحداً أجاب فتثبت في جوابه ^(٣) ، ^(٤) وما يُطلق به لسانه ^(٥) فلحقه لوم .

قال البرذعي : انظر إلى واصل كيف كلمَ عمرًا ، فأخرج الرأى من كلامه ، فقال في موضع « والشيطان يحضرها » : « يكون معها » . وقال : « قد أوجب الله على نبيه » ، ولم يقل : ١٠ « أمره » . وقال : « وأن يكونوا معه » بدلا من قوله . « ويحضره » ثم قال : « إلى خاتمة الآية » ولم يقل : « إلى آخر الآية » .

قال سيدنا الشريف المرتضى أيده الله : ومما لم يذكره البرذعي أنه عدل عن افتتاح الآية من أجل الرأى أيضاً ، لأن أولها : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾ ؛ ولولا قصدُهُ إلى العدول لكان ذكرُها واجبا من ابتدائها ^(٦) ؛ لاسيما وفي ابتدائها تعليم وتوقيف على كيفية ١٥ دعائه والاستمادة به .

وقيل إن رجلا قال له : كيف تقول أسرج الفرس ؟ قال : ألبس الجواد . وقال له آخر : كيف تقول : ركب فرسه ، وجرّ رحله ، قال : استوى على جواده . وسحب عامله .

وذكر أبو الحسن الخياط أن واصلًا كان من أهل مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وآله ٢٠ ومولده سنة ثمانين ومات سنة إحدى وثلاثين ومائة .

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « هز الشيطان وسوسته وغلبته على العقل » .

(٢-٢) نسخة بمحاشية ت : « وقلما شاهدتُ أحداً أجاب فتثبت في جوابه » .

(٣-٣) من نسخة بمحاشيتي الأصل ، ت : « وما ينطلق به لسانه » .

(٤) ش : « من حيث ابتدأ بها » .

وكان واصل ممن لقي أبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وصحبه ، وأخذ عنه ، وقال قوم : إنه لقي أباه محمداً عليه السلام ، وذلك غلطاً ؛ لأن محمداً توفي سنة ثمانين أو إحدى وثمانين ، وواصل وُلد في سنة ثمانين .

وواصل هو أول من أظهر المنزلة بين المنزلتين ؛ لأن الناس كانوا في أسماء أهل الكبار من أهل الصلاة على أقوال ؛ كانت الخوارج تسميهم بالكفر والشرك ، والمرجئة تسميهم بالإيمان ، وكان الحسن وأصحابه يسموهم بالنفاق ، فأظهر واصل القول بأنهم فساق غير مؤمنين ، ولا كفار ، ولا منافقين .

وكان عمرو بن عبيد من أصحاب الحسن وتلاميذه ، فجموع بينه وبين واصل لينظره فيما أظهر من القول بالمنزلة بين المنزلتين ، فلما ووقفوا على الاجتماع ذكر أن واصل أقبل ومعه جماعة من أصحابه إلى حلقة الحسن ، وفيها عمرو بن عبيد جالس ، فلما نظر إلى واصل ، وكان / في عنقه [٥٢ ط طول واعوجاج قال : أرى غمماً لا يفلح صاحبها ! فسمع ذلك واصل فلما سلم عليه قال له : يا بن أخي ، إن من عاب الصنعة عاب الصانع ، للتعليق الذي بين الصانع والمصنوع ^(١) ؛ فقال له عمرو بن عبيد : يا أبا حذيفة ، قد وعظت فأحسنست ، ولن أعود إلى مثل الذي كان مني .

وجلس واصل في الحلقة ، وسئل أن يكلم عمرأ فقال واصل لعمرو : لم قلت إن من أتى كبيرة من أهل الصلاة استحق اسم النفاق ؟ فقال عمرو : لقول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور : ٤] ، ثم قال في موضع آخر : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [التوبة : ٦٧] ، فكان كل فاسق منافقاً ؛ إذ كانت ألف ولام المعرفة موجودتين في الفاسق ؛ فقال له واصل : أليس قد وجدت الله تعالى يقول : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [المائدة : ٤٥] ، وأجمع أهل العلم على أن صاحب ٢٠

(١) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « بين الصنعة والصانع » . ومن نسخة بحاشية ت أيضا :

« بين الصنعة والصانع » .

الكبيرة يستحق اسم ظالم ؛ كما يستحق اسم فاسق ؛ فالأ كَفَرَتْ صاحب الكبيرة من أهل الصلاة بقول الله تعالى : ﴿ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٥٤] ، فعرّف بألف ولام التعريف اللتين في قوله : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ، كما قال في القاذف : ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ، فسمّيته منافقاً لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ! فأمسك عمرو ، ثم قال له واصل : يا أبا عثمان ؛ أيّما أولى أن يُستعمل في أسماء

المحدثين من أمتنا؟ ما اتفق عليه أهل الفرق من أهل القبلة ، أو ما اختلف فيه؟ فقال عمرو : بل ما اتفقوا عليه أولى ، فقال له واصل : ألسنت تجد أهل الفرق على اختلافهم يسمون صاحب الكبيرة فاسقاً ، ويختلفون فيما عدا ذلك من أسمائه ؛ لأن الخوارج تسميه مشركاً فاسقاً ، والشيعة تسميه كافر نعمة فاسقاً ! — قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه : يعنى بالشيعة الزيدية^(١) — والحسن يسميه منافقاً فاسقاً ، والمرجئة^(٢) تسميه مؤمناً فاسقاً ؟ فاجتمعوا

على تسميته بالفاسق ، واختلفوا فيما عدا ذلك من أسمائه ، فالواجب أن يُسمّى بالاسم الذي اتفق عليه وهو الفاسق ؛ لاتفاق المختلفين عليه ، ولا يسمى بما عدا ذلك من الأسماء التي [٥٣] اختلف فيها ، فيكون صاحب الكبيرة / فاسقاً ، ولا يقال فيه إنه مؤمن ولا منافق ، ولا مشرك ولا كافر نعمة^(٣) ، فهذا أشبه بأهل الدين .

١٥ فقال له عمرو بن عبّيد : ما بيني وبين الحق عداوة ، والقول قولك ، فليشهد عليّ من حضر أني تارك المذهب الذي كنت أذهب إليه ؛ من نفاق صاحب الكبيرة من أهل الصلاة ،

(١) الزيدية : ثلاث فرق ؛ الجارودية والسليمانية ، والإبترية ؛ يجمعها القول بإمامة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ؛ في أيام خروجه في زمان هشام بن عبد الملك ؛ (وانظر الفرق بين الفرق : ١٦ ، والمثل والنحل للشهرستاني ٨٧ ، ومفاتيح العلوم ٢١) .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « المرجئة في القديم غير الذين لا يؤيدون العقاب ؛ بل هم الذين كانوا يؤخرون علماً عليه السلام عن غيره من الصجاية ؛ والإرجاء : التأخير » .

وانظر (الفرق بين الفرق ١٩ ، والمثل والنحل للشهرستاني ٧٨ ، ومفاتيح العلوم ٢٠ ، وكشاف اصطلاحات الفنون ٥٧٨) .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « ولا كافر » .

قائلٌ بقول أبي حذيفة في ذلك ، وأنى قد اعتزلت مذهب الحسن في هذا الباب . فاستحسن الناس هذا من عمرو .

وقيل إن اسم الاعتزال إنما اختصت به ^(١) هذه الفرقة لاعتزالهم مذهب الحسن بن أبي الحسن في تسمية مُرتكب الكبيرة من أهل الصلاة بالنفاق ؛ وحكى غير ذلك .

وقيل إن قتادة بعدموت الحسن البصري كان جالساً بحجاسه ، وكان هو وعمرو بن عبيد جميعاً رئيسين متقدمين ^(٢) في أصحاب الحسن ، فجرت بينهما نفرة ، فاعتزل عمرو مجلس قتادة ، واجتمع عليه جماعة من أصحاب الحسن ، فكان قتادة إذا جالس بحجاسه سأل عن عمرو وأصحابه فيقول : ما فعلت المعتزلة ؟ فسموا بذلك .

قال سيدنا الشريف المرتضى ذوالمجددين أدام الله علوه : أما ما ألزمه واصل بن عطاء ^(٣) لعمرو بن عبيد أولاً فسد يد لازم ^(٤) ، وأما ما كلمه به ثانياً فغير واجب ولا لازم ؛ لأن الإجماع وإن ١٠ لم يوجد في تسمية صاحب الكبيرة بالنفاق أو غيره من الأسماء كما وجد في تسميته بالفسق فغير ممتنع أن يسمى بذلك لدليل غير الإجماع ، ووجود الإجماع في الشيء وإن كان دليلاً على صحته ، فليس فقدّه دليلاً على فسادهِ ؛ وواصل إنما ألزم عمرًا أن يعدل عن التسمية بالنفاق للاختلاف فيه ، ويقتصر على التسمية بالفسق للاتفاق عليه ، وهذا باطل ، ولو لم يذكره للزمه أن يقال : قد اتفق أهل الصلاة على استحقاق صاحب الكبيرة من أهل القبلة الذم ١٥ والعقاب ، ولم يتفقوا على استحقاقه التخليد في العقاب ، أو نقول إنهم اجمعوا على استحقاقه العقاب ، ولم يجمعوا على فعل المستحق به ، فيجب القول بما اتفقوا عليه ، ونفى ما اختلفوا فيه . فإذا قيل استحقاقه ^(٥) للخلود ، أو فعل المستحق به من العقاب ، وإن لم يجمعوا عليه ،

(١) ت : « إنما اخص » . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « مقدمين » .

(٣) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « عمرو بن عبيد » .

(٤) حاشية ت (من نسخة) : « واجب » .

(٥) حاشية ت (من نسخة) : « استحقاق الخلود » .

[٥٣] فقد علم بدليل غير الإجماع؛ قيل له مثل ذلك فيما عوّل عليه ، وبطل على / كل حال أن يكون
الاختلاف في القول دليلاً على وجوب الامتناع منه ، وهذا ينتقض بمسائل كثيرة ذكرها
يطول .

على أن المقدمة التي قدمها لا تشبه ما ألزم عليها ، لأن الإجماع أولى من الاختلاف فيما
يتعارض ويتقابل ، والإجماع والاختلاف في الموضع الذي كلم عليه واصل عمرًا في مكانين ؛
لأن الإجماع هو على تسميته بالفسق ، والاختلاف هو في تسميته بما عداه من الأسماء ، فلا
تعارض بينهما ؛ وله أن يأخذ بالإجماع في موضعه ، ويعوّل فيما الاختلاف فيه على دلالة غير
الإجماع ، لأن فقد الإجماع من القول لا يوجب بطلانه .

وحكى أن واصلًا كان يقول : أراد الله من العباد أن يعرفوه ثم يعملوا ، ثم يعملوا ، قال
الله تعالى : ﴿ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ ﴾ ، فعرفه نفسه ، ثم قال : ﴿ اخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾ ؛ [طه : ١٢] ،
فبعد أن عرفه نفسه أمره بالعمل . قال : والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَالْعَصْرِ . إِنَّ
الْإِنْسَانَ لَقَفٍ خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ - يعني صدقوا - ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا
بِالْحَقِّ . وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ . ﴾ علموا وعملوا وعادوا .

وروى المبرّد قال : حدثت أن واصل بن عطاء أقبل في رُقَّةٍ فأحسّوا بالخوارج ، وكانوا
قد أشرفوا على العطب ، فقال واصل لأهل الرُقَّة : إنَّ هذا ليس من شأنكم فاعتزلوا ودعوني
وياهم ، فقالوا : شأنك ، فقال الخوارج له : ما أنت وأصحابك ؟ قال : مشركون مستجبرون
ليسمعوا كلام الله ، وقيموا حدوده ، فقالوا : قد أجرناكم ؛ قال : فعلمونا أحكامه ، فعملوا
يعلمونه أحكامهم ، وجعل يقول : قد قاتلنا أنا ومن معي ، قالوا : فامضوا مصاحبين فإنكم
إخواننا ؛ قال لهم : ليس ذلك لكم ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ
فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾ ؛ [التوبة : ١] ، فأبلغونا مأمنا ، فساروا
بأجمعهم حتى بلغوا الأمان .^(١)

وحكى أن محمداً وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن كانا ممن دعاها^(١) واصل إلى القول بالعدل ، فاستجابا له ، وذلك لما حجَّ واصل ، ودعا الناس بمكة والمدينة^(٢) .

وحكى أبو القاسم البلخي أن عبد الله قال لابنه محمد : كلَّ خصالك محمودية يابني إلا قولك بالقدر ، قال : يا أبة ، أفشيء أقدر على تركه / ^(٣)أولا أقدر على تركه^(٣) ؟ فورد الكلام على رجل [٥٤] عاقل فقال : لا عابثتك عليه أبدا . قال أبو القاسم : يقول إن كنت أقدر على تركه فهو قولي ، وإن كنت لا أقدر فلم تما تبنى على شيء لا أقدر عليه .

فأما عمرو بن عبيد فيكنى أبا عثمان ، مولى لبني العدوية ، من بني تميم ، قال الجاحظ : هو عمرو بن عبيد بن باب . وباب نفسه من سبي كابل ؛ من سبي عبد الرحمن بن سمرة ، وكان باب مولى لبني العدوية قال : وكان أبوه عبيد شريطاً ، وكان عمرو منزهداً ، فكانا إذا اجتازا معاً على الناس قالوا : هذا شرُّ الناس أبو خير الناس ، فيقول عبيد : صدقتم ؛ هذا إبراهيم ، وأنا تارخ .

قال علي بن الجعد : وهو عبيد بن باب ، وكان بواباً للحكم بن أيوب ، قال : وكان باب مكارياً ، له دكان معروف يقال له دكان باب ، وكان فارسياً ، وللفرزدق معه خبر مشهور تركنا ذكره لشهرته وفحش فيه .

وذكر أبو الحسين الخياط أن مولد عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء جميعاً في سنة ثمانين ، ١٥ قال : ومات عمرو بن عبيد في سنة مائة وأربع وأربعين ؛ وهو ابن أربع وستين سنة .

روى أن عمراً استأذن علي المنصور ، فدخل عليه الربيع^(٤) فقال له : بالباب رجل

(١) حاشية ت (من نسخة) : « ممن دعاها » .

(٢) وانظر ترجمة واصل في (معجم الأدباء ١٩ : ٢٤٦-٢٤٧ ، وابن خلكان ٢ : ١٧٠ ،

وفوات الوفيات ٢ : ٣٩٥-٣٩٦ ، ولسان الميزان ٦ : ٢١٤-٢١٥ ، وعبون النوارخ وشذرات الذهب - وفيات سنة ١٣١) . (٣-٣) ساقط من م .

(٤) هو الربيع بن يونس بن محمد ، حاجب أبي جعفر المنصور ، ووزيره بعد أبي أيوب المدرياني .

وفي سنة ١٧٠ ، (وانظر ترجمته وأخباره في ابن خلكان ١ : ١٨٥-١٨٦) .

قال: إني عمرو بن عبيد، وكانت على المنصور جُبَّة يمانية محققة^(١): فقال: ويلك يا ربيع! عمرو بالباب؟ قال: نعم، قال: هات لي قميصاً أبيض، فأناؤه به، فألقاه عليه، ثم قال: دُر من خافي؛ فذط الجبة وازرُرْ على. قال الربيع: ولم أكن أرى أحداً يوقرُه المنصور حتى رأيت عمرو بن عبيد. فدخل عليه رجل آدمٌ مربوع الكدنة^(٢)، بين عينيه أثر السجود، حسن الأدب، حسن اللسان؛ كأنه لم يزل مع الملوك في توقيره للخليفة، وإعظامه إياه، قال: فسلم، فاجتذبه المنصور ليجلس معه فأبى، وطرح نفسه بين يديه، فسأله واحتفى^(٣) به، فلما أراد عمرو القيام قال له: عِظْنِي يا أبا عثمان وأوجز، قال له: إن ما في يدك لست بوارثه عن أحد، وإنما هو شيء صار إليك، وقد كان في يد غيرك قبلك، ولو دام لك لبقى في يد الأول، والسلام. وروى الأصمعيّ قال: قال مطر الوراق لعمرو بن عبيد: إني لأرحمك مما يقول الناس فيك، فقال عمرو: أسمعني^(٤) أقول فيهم شيئاً؟ قال: لا، قال: فإياهم فارحم!

[٥٤] وقال خالد بن صفوان لعمرو بن عبيد: لم لا تأخذ مني فتقضى ديننا إن كان عليك وتصلُ رحمك؟ فقال له عمرو: أما دينٌ فليس عليّ، وأما صلةٌ رَحِمِي فلا يجب عليّ، وليس عندي. قال: فما يمنعك أن تأخذ مني؟ قال: يمنعني أنه لم يأخذ أحدٌ من أحد شيئاً إلا ذلَّ له، وأنا والله أكره أن أذلَّ لك.

ويقال إن ابن كهيعة أتى عمرو بن عبيد في المسجد الحرام، فسلم عليه، وجلس إليه، وقال له يا أبا عثمان ما تقول في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء: ١٢٩]؟ فقال: ذلك في محبة القلوب التي لا يستطيعها العبد ولم يكلفها^(٥)، فأما العدل بينهن في القسمة من النفس والكسوة والنفقة فهو مُطَبَّق لذلك، وقد كلفه بقوله

(١) حاشية الأصل: « محققة، يعني أن نسبتها إلى الين صحيحة ». وفي م: « مخففة ».

(٢) الكدنة: غلظ اللحم على الجسم.

(٣) حاشية ت (من نسخة): « وأحني به ».

(٤) ت: « أسمعني ». (٥) ت: « ولا تكلفها ».

تعالى: ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ﴾ فيما تطيقون ﴿فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ ؛ بمنزلة مَنْ ليست أيتها ، ولا ذات زوج . فقال ابن لهيعة : هذا والله هو الحق .

ويقال إن عمرو بن عبيد أتى يونس بن عبيد يعزيه عن ابن له ، فقال له : إن أباك كان أصلك ، وإن ابنك كان فرعك ، وإن امراً ذهب أصله وفرعه لحري أن يقل بقاءه . وقيل إن عبد الله بن عبد الأعلى أخذ هذا المعنى فقال :

صَحِبْتُكَ قَبْلَ الرُّوحِ إِذْ أَنَا نُطْفَةٌ ثَعْمَانُ فَمَا يَبْدُو لَعَيْنٍ مَصُونُهَا
أَرَى الْمَرْءَ دَيْنًا لِلْمَنَآيَا وَمَالِهَا مِطَالٌ إِذَا حَلَّتْ بِنَفْسٍ دُيُونُهَا
فَمَاذَا بَقَاءُ الْفَرْعِ مِنْ بَعْدِ أَصْلِهِ سَتَأْتِي الَّذِي لَاقَى الْأَصُولَ غُصُونُهَا
وأول من سبق إلى هذا المعنى امرؤ القيس في قوله :

فَبَعْضَ اللَّوْمِ عَازِلَتِي فَإِنِ سَتَغْنِيَنِي التَّجَارِبُ وَانْتِسَابِي^(١)
إِلَى عِرْقِ الثَّرَى وَشَجْتِ عُرُوقِ وَهَذَا الْمَوْتُ يَسْلُبُنِي شَبَابِي
وأخذ ذلك لبيد في قوله :

فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَصْدُقْكَ نَفْسُكَ فَانْتَسِبْ لَعَلَّكَ تَهْدِيكَ الْقُرُونُ الْأَوَائِلُ^(٢)
فَإِنْ لَمْ تَجِدْ مِنْ دُونِ عَدْنَانَ وَالِدًا وَدُونَ مَعْدٍ فَلْتَرَعَكَ الْعَوَائِلُ^(٣)
/ وأخذه أيضاً في قوله :

[٥٥]

تَوَدَّ ابْنَتَايَ أَنْ يَعِيشَ أَبُوهُمَا وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ رَبِيعَةٍ أَوْ مُضَرٍّ^(٤)
ونظر إليه محمود الوارق وإبراهيم بن العباس الصولي ؛ أما محمود ففي قوله :
إِذَا مَا انْتَسَبْتَ إِلَى آدَمِ فَأَمَّ يَكُ بَيْنَكُمَا مِنْ أَبِ
وَجَازَتْ سِنُوكَ بِكَ الْأَرْبَعِينَ وَصِرْتُ إِلَى الْجَانِبِ الْأَجْنَبِ

(١) ديوانه : ١٣٣ . (٢) ديوانه : ٨٨ .

(٣) حاشية الأصل : « وجد بخط ابن السكيت رحمه الله : ولترعك (بضم الزاي في الثانية وضعها في الأولى) ؛ وهو من زاع يزوع بمعنى وزع ، ولترعك من الروع ، وزوع من السكف . »
(٤) ديوانه : ١ : ٢٨ .

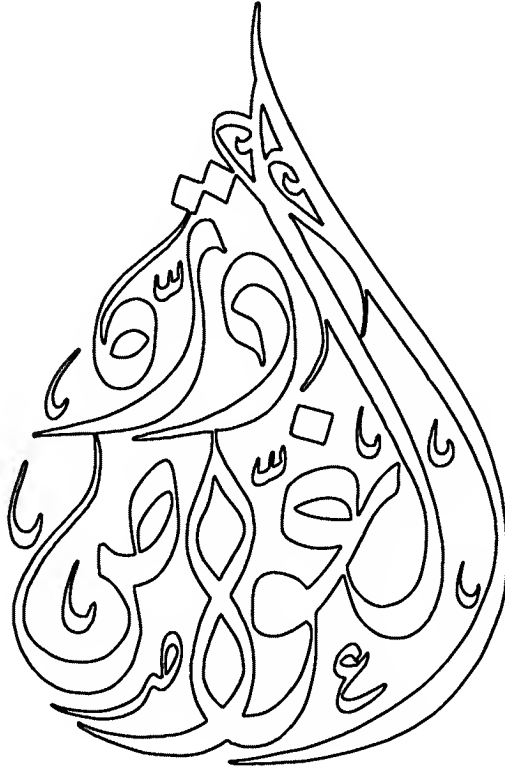
وَدَبَّ الْبَيَاضُ خِلَالَ السَّمَوَاتِ فَأَصْبَحَتْ فِي شَيْءٍ الْأَشْهَبِ
وَكَيْفَ تَوَمَّلُ طُولَ الْحَيَاةِ إِذَا كَانَ حِلْمُكَ لَمْ يَعْزُبِ

وأما إبراهيم في قوله :

نَعَى نَفْسِي إِلَى أَبِي وَخَبَّرَ أَيْنَ مُنْقَلَبِي ^(١)
لِمَوْعِظَةٍ رَأَاهَا فِي أَيْمِهِ كَمَا رَأَيْتُ أَبِي

وَكُنَّ أَبَا نَوَاسٍ لِحَظِّ هَذَا الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ :

وَمَا النَّاسُ إِلَّا هَالِكٌ وَابْنُ هَالِكٍ وَذُو نَسَبٍ فِي الْهَالِكِينَ عَرِيق ^(٢)
إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَيْبٌ تَكْشَفَتْ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابٍ صَدِيقٍ



مجلد آخر

قال: رُوِيَ أَنَّ عَمْرُو بْنَ عَبِيدٍ دَخَلَ عَلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمْرٍو النَّعْلَانِيَّ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ فَقَالَ لَهُ :
إِنَّ اللَّهَ تَعَبَّدَكَ فِي حَالِ الصَّحَّةِ بِالْعَمَلِ بِجَوَارِحِكَ وَقَلْبِكَ ، وَوَضَعَ عَنْكَ فِي هَذِهِ الْحَالِ عَمَلَ
الْجَوَارِحِ ، وَلَمْ يَكْلِفْكَ إِلَّا الْعَمَلَ بِقَلْبِكَ ، فَأَعْطِهِ بِقَلْبِكَ مَا يَجِبُ لَهُ عَلَيْكَ .

وَرُوِيَ أَنَّ قَوْمًا اجْتَمَعُوا إِلَى عَمْرٍو بْنِ عَبِيدٍ ، فَتَذَاكَرُوا السَّخَاءَ فَأَكْثَرُوا فِي وَصْفِهِ ،
وَعَمْرٍو سَاكَتْ ، فَسَأَلُوهُ عَمَّا عِنْدَهُ فَقَالَ : مَا أَصْبَحْتُ صَفْتَهُ ؛ إِنَّ السَّخِيَّ مَنْ جَادَ بِمَالِهِ تَبَرُّعًا ،
وَكَفَّ عَنْ أَمْوَالِ النَّاسِ تَوَرُّعًا .

وَذَكَرَ إِسْحَاقُ بْنُ الْفَضْلِ الْهَاشِمِيُّ قَالَ : إِنِّي لَعَلَى بَابِ الْمَنْصُورِ يَوْمًا ، وَإِلَى جَنْبِي
عُمَارَةُ^(١) بْنُ حَمْزَةَ ، إِذْ طَلَعَ عَمْرٍو بْنُ عَبِيدٍ عَلَى حِمَارٍ ، فَتَزَلَّ عَنْ حِمَارِهِ ، ثُمَّ دَفَعَ^(٢) الْبَسَاطَ
بِرَجْلِهِ وَجَلَسَ دُونَهُ ، فَالْتَفَتَ إِلَى عُمَارَةَ فَقَالَ : لَا تَزَالِ / بَصُرْتُكُمْ تَرْمِينَا مِنْهَا بِأَحْمَقٍ ؛ [٥٦]
فَمَا فَصَلَ كَلَامَهُ مِنْ فِيهِ حَتَّى خَرَجَ الرَّبِيعُ وَهُوَ يَقُولُ : أَبُو عُمَانَ عَمْرٍو بْنُ عَبِيدٍ ! قَالَ : ١٠
فَوَاللَّهِ مَا دَلَّ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى أُرْسِدَ إِلَيْهِ ، فَأَتَكَأَهُ^(٣) يَدَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
جُعِلَتْ فِدَاكَ ! فَمَرَّ مَتَوَكَّنًا^(٤) عَلَيْهِ ؛ فَالْتَفَتَ إِلَى عُمَارَةَ فَقُلْتُ : إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي اسْتَحْمَقْتُ^(٥)

(١) هُوَ عُمَارَةُ بْنُ حَمْزَةَ بْنِ مَيْمُونٍ ، مِنْ وَلَدِ عِكْرَمَةَ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ ؛ أَحَدُ الْكُتَّابِ
الْبُلْفَاءِ ، وَكَانَ سَخِيًّا جَوَادًا ، وَلَهُ أَخْبَارٌ مَأْثُورَةٌ فِي الْكُرَمِ وَالْجُودِ وَالتَّيِّبَةِ ، قُلْدَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّفَاحُ ضِيَاعَ
أَلِ مَرْوَانَ ، وَقُلْدَهُ أَبُو جَهْفَرٍ الْمَنْصُورُ دِيوَانَ خَرَجِ الْبَصْرَةِ وَنَوَاحِيهَا . (وَانظُرْ تَرْجُمَتَهُ وَأَخْبَارَهُ فِي كِتَابِ
الْوُزَرَاءِ وَالْكِتَابِ لِلْجَهْشِيَارِيِّ : ٩٠ ، ١١٠ ، ١٢٥ ، ١٣٣ ، ١٤٧ ، وَتَارِيخُ بَغْدَادِ ١٢ : ٢٨٠ -
٢٨٠) .

(٢) ش ، وَحَاشِيَةُ ت (مِنْ نَسْخَةٍ) : « رَفَعَ » .
(٣) حَوَاشِي الْأَصْلِ ، ت ، ف : « أَتَكَأَهُ يَدَهُ ؛ كَأَنَّهُ جَعَلَهُ مَتَكِّئًا عَلَيْهَا ، وَأَصْلُ النَّاءِ فِي هَذِهِ
الْكَلِمَةِ بِالْوَاوِ ؛ يُقَالُ : أَوْكَأْتُ فَلَانًا إِذَا جَعَلْتُ لَهُ مَتَكِّئًا » .
(٤) مِنْ نَسْخَةٍ بِحَوَاشِي الْأَصْلِ ، ت ، ف : « مَتَكِّئًا » .
(٥) ف ، وَحَاشِيَةُ ت (مِنْ نَسْخَةٍ) : « اسْتَحْمَقْتُهُ » .

قَدْ أُدْخِلَ وَتُرِكْنَا ، فقال : كَثِيرًا مَا يَكُونُ ذَلِكَ ، فَأُحَالُ اللَّبَثُ ، ثُمَّ خَرَجَ الرَّبِيعُ وَهُوَ
مَتَوَكِّيٌّ عَلَيْهِ . وَالرَّبِيعُ يَقُولُ : يَا غُلَامَ ، حِمَارُ أَبِي عُمَانَ ، فَمَا بَرِحَ حَتَّى أَتِيَ بِالْحِمَارِ ، فَأَقْرَهُ
عَلَى سَرَّجِهِ ؛ وَضَمَّ إِلَيْهِ نَشْرًا^(١) ثَوْبَهُ ، وَاسْتَوْدَعَهُ اللَّهَ .

فَأَقْبَلَ عُمَارَةَ عَلَى الرَّبِيعِ فَقَالَ : لَقَدْ فَعَلْتُمْ الْيَوْمَ بِهَذَا الرَّجُلِ مَا لَوْ فَعَلْتُمُوهُ بَوَلَىٰ عَهْدِكُمْ
لَقَضَيْتُمْ ذِمَّامَهُ . قَالَ : فَمَا غَابَ عَنْكَ مِمَّا فَعِلَ بِهِ أَكْثَرُ وَأَعْجَبَ ، قَالَ عُمَارَةُ : فَإِنْ اتَّسَعَ لَكَ
الْحَدِيثُ خُذْنَاهُ .

فَقَالَ الرَّبِيعُ : مَا هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعَ الْخَلِيفَةُ بِمَكَانِهِ ، فَمَا أَهْمَلَ حَتَّى أَمَرَ بِمَجْلِسٍ فَفُرِشَ
لُبُودًا ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَيْهِ وَالْمُهَدِّيُّ مَعَهُ عَلَيْهِ سَوَادُهُ وَسَيْفُهُ ؛ ثُمَّ أَذِنَ لَهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ سَلَّمَ
بِالْخِلَافَةِ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ وَمَا زَالَ يُدْنِيهِ حَتَّى أَتَكَأَهُ نَحْذَهُ وَتَحَفَّى بِهِ ، ثُمَّ سَأَلَهُ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ عِيَالِهِ ،

١٠ يُسَمِّيهِمْ رَجُلًا رَجُلًا ، وَامْرَأَةً امْرَأَةً ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا عُمَانَ ، عَظُنَا فَقَالَ : أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ

مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ^(٢) بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ^(٣) : ﴿ زُوَالِ الْفَجْرِ . وَلَيَالٍ عَشْرٍ . وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴾ ؛

[الفجر : ١-٣] ، وَمَرَّ فِيهَا إِلَى آخِرِهَا ، وَقَالَ : إِنَّ رَبَّكَ يَا أَبَا جَعْفَرٍ لِبَالِ مِرْصَادٍ ، قَالَ : فَبَكَى بَكَاءً شَدِيدًا ؛

كَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ تِلْكَ الْآيَاتِ إِلَّا تِلْكَ السَّاعَةَ ، ثُمَّ قَالَ : زِدْنِي ، فَقَالَ : إِنْ اللَّهُ أَعْطَاكَ الدُّنْيَا بِأَسْرَهاةٍ

فَاشْتَرِ نَفْسَكَ مِنْهُ بِمَعْضُومِهَا ، وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي صَارَ إِلَيْكَ إِنَّمَا كَانَ فِي يَدِ مَنْ كَانَ

١٥ قَبْلَكَ ، ثُمَّ أَفْضَى إِلَيْكَ ، وَكَذَلِكَ يُخْرِجُ مِنْكَ إِلَى مَنْ هُوَ بَعْدَكَ ، وَإِنِّي أَحْذَرُكَ لَيْلَةً

تَمُخَّضُ^(٣) صَبِيحَتُهَا عَنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ . قَالَ : فَبَكَى أَشَدَّ مِنْ بَكَائِهِ الْأَوَّلِ حَتَّى رَجَفَتْ

جَنْبَاهُ .

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى أَنَّهُ لَمَّا انْتَهَى إِلَى آخِرِ السُّورَةِ قَالَ : إِنَّ رَبَّكَ لِبَالِ مِرْصَادٍ لِمَنْ عَمِلَ مِثْلَ

عَمَلِهِمْ ، أَنْ يُنْزَلَ بِهِ مِثْلُ مَا نَزَلَ بِهِمْ ، فَأَتَى اللَّهَ ، فَإِنْ مِنْ وَرَاءَ بَابِكَ نِيرَانًا تَأْجَّجُ مِنَ الْجَوْرِ .

(١) النَشْرُ ، بِالتَّحْرِيكِ : الْمُنْتَشِرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .

(٢-٢) سَاقَطَ مِنْ ط ، ف ، م .

(٣) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ (مِنْ نَسْخَةٍ) : « تَمُخَّضُ » .

ما يُعمل فيها بكتاب الله ولا بسنة رسول الله^(١) . فقال : يا أبا عثمان ؛ إنا لنكتب إليهم في الطوامير^(٢) ، / نأمرهم بالعمل بالكتاب والسنة ، فإن لم يفعلوا فما عسى أن نصنع ! فقال له : [٥٦]
مثلُ أذن الفأرة يُجْزِيكَ من الطوامير ، الله تكتب إليهم في حاجة نفسك فينفذونها ، وتكتب إليهم في حاجة الله فلا ينفذونها ؛ إنك والله لو لم ترض من عمالك إلا بالعدل إذا لتقرب إليك به مَنْ لا نيّة له فيه .

قال سيدنا أدام الله علوه : رجعنا إلى نسق الحديث ، فقال له سليمان بن مجالد : رفقاً بأمر المؤمنين ، فقد أتعبتهم منذ اليوم ، فقال له : بمثلك ضاع الأمر وانتشر ، لا أباك ! وماذا خفت على أمير المؤمنين أن بكى من خشية الله ! .

وفي رواية أخرى أن سليمان بن مجالد لما قال له ذلك رفع عمرو رأسه فقال له : من أنت ؟ فقال أبو جعفر : أو لا تعرفه يا أبا عثمان ؟ قال : لا ، ولا أبالي ألا أعرفه ! فقال : هذا أخوك ١٠ سليمان بن مجالد ، فقال : هذا أخو الشيطان ، وبلك يابن أم مجالد ! خزنت نصيحتك عن أمير المؤمنين ، ثم أردت أن تحول بينه وبين من أراد نصيحتته ! يا أمير المؤمنين ؛ إن هؤلاء اتخذوك سُلماً لشهواتهم ، فأنت كالآخذ بالقرنين وغيرك يجلب ، فاتق الله فإنك ميتٌ وحدك ، ومحاسبٌ وحدك ، ومبعوثٌ وحدك ، ولن يغني عنك هؤلاء من ربك شيئاً ! فقال له المنصور : يا أبا عثمان ؛ أغنى بأصحابك أستعين بهم ، فقال له : أظهر الحق يتبعك أهله ، قال : بلغني أن محمد بن عبد الله ١٥ ابن الحسن^(٣) كتب إليك كتاباً ، قال : قد جاءني كتاب يشبه أن يكون كتابه ، قال : فماذا أجبت ؟ قال : أو لست قد عرفت رأيي في السيف أيام كنت تختلف إلينا ؟ وإني لا أراه ، قال : أجل ! ولكن تحلف لي ليطمئن قلبي ! قال : لئن كذبتك تقية لأحلفن لك تقية ، قال له : أنت الصادق البار ، وقد أمرت لك بعشرة آلاف درهم ، تستعين بها على زمانك ؛

(١) م : « رسوله » . (٢) الطوامير : جمع طومار ؛ وهو الصحيفة .

(٣) هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ؛ الملقب بالنفس الزكية ؛ وكان من أفضل أهل بيته ؛ علماً وفقهاً وشجاعةً وجوداً ؛ قتله أبو جعفر المنصور سنة ١٤٥ هـ ؛ (وانظر ترجمته وأخباره في مقاتل الطالبين ٢٣٢-٢٩٩) .

فقال : لا حاجة لى فيها ، قال المنصور والله لتأخذنّها ، قال : والله لا أخذنّها ، فقال له المهدي : يحلف أمير المؤمنين وتحلف ! فترك المهدي وأقبل على المنصور وقال : من هذا الفتى ؟ فقال : هذا ابني محمد ، وهو المهدي وهو ولي العهد ، قال : ^(١) والله لقد سميتّه أسماء ما استحقها بعمل ^[٥٦] ^ظ ، وألبسته لبوساً ماعو من لبوس الأبرار / ولقد مهّدت له أمراً أمتع ما يكون به أشغل ^(٢) ما تكون عنه ! ثم التفت إلى المهدي فقال : نعم يا بن أخي ، إذا حلف أبوك حلف عمك ؛ لأن أباك أقدر على الكفارة من عمك ؛ قال المنصور : يا أبا عثمان ، هل من حاجة ؟ قال : نعم ، قال ما هي ؟ قال : ألا تبعث إليّ حتى آتيك ؛ قال : إذا ^(٣) لا نلتقي ، قال : عن حاجتي سألتني ، ثم ودّعه ونهض ؛ فلما ولي أتبعه بصره وأنشأ يقول :

كُلُّكُمْ طَالِبٌ صَيْدٌ كُلُّكُمْ مَاشٍ رَوَيْدٌ ^(٤)

غَيْرَ عَمْرٍو بْنِ عُبَيْدٍ

١٠

وروي أن هشام بن الحكم قدم البصرة فأتى حلقة عمرو بن عبيد فجلس فيها وعمرو لا يعرفه ، فقال لعمرو : أليس قد جعل الله لك عينين ؟ قال : بلى ، قال : ولم ؟ قال : لأنظر بهما في ملكوت السموات والأرض فأعتبر ، قال : وجعل لك فماً ؟ قال : نعم ، قال : ولم ؟ قال : لأذوق الطعوم ^(٥) ، وأجيب الداعي ؛ ثم عدّ عليه الحواس كلها ، ثم قال : وجعل لك قلباً ؟ قال : نعم : قال : ولم ؟ قال : لتؤدي إليه الحواس ما أدركته ، فيميز بينها ، قال :

١٥

(١-١) ت : « والله لقد سميتّه اسماً ما استحقه بعمل » .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ت : « قوله : « أمتع » مبتدأ ، و « أشغل » نصب على الحال ؛ وهو

ساد مسد خبر المبتدأ كقولك : أخطب ما يكون الأمير قائماً » .

(٣) في حاشيتي الأصل ، ت : « إذا انتصب » إذا لم يكن الفعل الذي بعدها معتمداً على ما قبلها ؛ يقول

لك القائل : أنا أكرمك ؛ فنقول : إذا أحببك ؛ فإن قلت : أنا إذا أحببك رفعت ؛ لاعتماده على الابتداء التي

هو أنا ؛ وكذلك : إن تكرمني [بالجزم] إذا أكرمك ، وإذا وقعت على فعل الحال أنغيت أيضاً ؛ هـ

لمن يتحدث بمحدث : إذا أظنك كاذباً ؛ فنخبر عن حال الظن » .

(٤) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « يمشي رويد » .

(٥) حاشية ت (من نسخة) : « المطعوم » .

فَأَنْتَ لَمْ يَرْضَ لَكَ رَبُّكَ تَعَالَى إِذْ خَلَقَ لَكَ خَمْسَ حَوَاسٍ حَتَّى جَعَلَ لَهَا إِمَامًا تَرْجِعُ إِلَيْهِ ؛
أَتَرْضَى ^(١) لِهَذَا الْخَلْقِ الَّذِينَ ^(٢) جَسَّابُهُمُ الْعَالَمُ إِلَّا يَجْعَلُ لَهُمْ إِمَامًا يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ ؟ فَقَالَ لَهُ عَمْرُو :
ارْتَفِعْ حَتَّى نَنْظُرَ فِي مَسْأَلَتِكَ ، وَعَرَفَهُ ؛ ثُمَّ دَارَ هَشَامٌ فِي حَلَقِ الْبَصْرَةِ فَمَا أُمِسَى حَتَّى
اختلفوا .

وروى أبو عُبَيْدَةَ قَالَ : دخل عمرو بن عبَّيد على سليمان بن عليّ بن عبد الله بن العباس ٥
بالبصرة فقال له سليمان : أَخْبِرْنِي عَنْ صَاحِبِكَ - يَعْنِي الْحَسَنَ - حِينَ يَزْعُمُ أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ
السلام قَالَ : « إِنِّي وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ آكُلُ الْحَشَفَ بِالْمَدِينَةِ وَلَمْ أَشْهَدْ مَشْهَدِي هَذَا » يَعْنِي :
يَوْمَ صِفِّينَ ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ عَبِيدَ : لَمْ يَقُلْ هَذَا ؛ لِأَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلامُ شَكٌّ ،
وَلَكِنَّهُ يَقُولُ : وَدَّ أَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ الْحَشَفَ بِالْمَدِينَةِ ، وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْفِتْنَةُ ؛ فَقَالَ : فَقَوْلُهُ فِي
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ : « يُفْتِنَانَا فِي الْقَمَلَةِ وَالْقَمَيْلَةِ ، وَطَارَ بِأَمْوَالِنَا فِي لَيْلَةٍ » ؟ فَقَالَ لَهُ : وَكَيْفَ ١٠
يَقُولُ هَذَا ، وَابْنُ عَبَّاسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمَا لَمْ يَفَارِقْ عَلِيًّا حَتَّى قُتِلَ وَشَهِدَ صَلَاحَ الْحَسَنِ ؟ وَأَيُّ مَالٍ
يَجْتَمِعُ فِي بَيْتِ الْمَالِ بِالْبَصْرَةِ مَعَ حَاجَةِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلامُ إِلَى الْأَمْوَالِ / وَهُوَ يَفْرُغُ بَيْتَ مَالٍ [٥٧]
الْكُوفَةِ فِي كُلِّ خَمِيسٍ وَيَرْضُشُهُ ؟ قَالُوا : إِنَّهُ كَانَ يَقِيلُ فِيهِ ، فَكَيْفَ يَتْرَكُ الْمَالَ يَجْتَمِعُ بِالْبَصْرَةِ ؟
وَهَذَا بَاطِلٌ .

قال الجاحظ : نازع رجل عمرو بن عبَّيد في القَدَرِ فقال له عمرو : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ فِي كِتَابِهِ ١٥
مَا يَزِيلُ الشَّكَّ عَنْ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ
عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [أَخْبَر : ٩٢ - ٩٣] ، وَلَمْ يَقُلْ : لَنَسْأَلَنَّهُمْ عَمَّا قَضَيْتُ عَلَيْهِمْ أَوْ قَدَرْتُهُ
فِيهِمْ ، أَوْ أَرَدْتُهُ مِنْهُمْ ، أَوْ شِئْتُهُ لَهُمْ ؛ وَلَيْسَ بَعْدَ هَذَا الْأَمْرِ إِلَّا الْإِقْرَارُ بِالْعَدْلِ أَوِ السَّكُوتُ عَنْ
الْجَوْرِ الَّذِي لَا يَجُوزُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى .

(١) ت : « فَكَيْفَ يَرْضَى ... » . (٢) ت : « وَلَنْدَى »

قال خلاد الأرقط : حدثني زميلُ عمرو بن عبيد قال : سمعته في الليلة التي مات^(١) فيها يقول : اللهم إن كنت تعلم أنه لم يعرض لي أمران قط؛ أحدهما لك فيه رضا، والآخر لي فيه هوًى إلاّ قدّمتُ رضاك على هوأى فاعفر لي .

ومرَّ أبو جعفر المنصور على قبره بمَرَّان - وهو موضع على ليال من مكة على طريق البصرة -

فأنشأ يقول :

صَلَّى الْإِلَهَ عَلَيْكَ مِنْ مُتَوَسِّدٍ قَبْرًا مَرَرْتُ بِهِ عَلَى مَرَّانِ
قَبْرًا تَضَمَّنَ مُؤْمِنًا مُتَخَشِّعًا عَبْدَ الْإِلَهِ وَدَانَ بِالْفُرْقَانِ^(٢)
وَإِذَا الرِّجَالُ تَنَازَعُوا فِي شُبْهَةٍ فَصَلَ الْخِطَابَ بِحِكْمَةٍ وَبَيَانِ
فَلَوْ أَنَّ هَذَا الدَّهْرَ أَبْقَى صَالِحًا أَبْقَى لَنَا عَمْرًا أبا عُثْمَانَ

١٠ فأما أبو الهذيل العلاف فهو محمد بن الهذيل بن عبيد^(٣) الله بن مكحول العبديّ وقال أبو القاسم البلخيّ : هو من موالى عبد القيس ، وولد في سنة أربع وثلاثين ومائة ، وقال أبو الحسين الخياط : ولد سنة إحدى وثلاثين ومائة ، وقيل : إنه توفي في أول أيام المتوكل سنة خمس وثلاثين ومائتين وسنة مائة سنة .

قال البرزعيّ : لحق أبا الهذيل في آخر عمره خَرَفٌ ؛ إلاّ أنه لم يكن يذهب عليه معرفة المذهب والقيام^(٤) بحجّته ، وكُفَّ بصره قبل وفاته ؛ وأخذ أبو الهذيل الكلام عن عثمان الطويل صاحب واصل بن عطاء .

[٥٧] وقيل إنّ أبا الهذيل في حدائته بلّغه أن / رجلاً يهودياً قدم البصرة ، وقطع جماعةً من متكلميها ، فقال لعنه : ياعم ، امض بي إلى هذا اليهوديّ حتى أكلمه ، فقال له عمه : يا بنيّ ،

(١) توفي عمرو بن عبيد سنة ١٤٤ ، وانظر ترجمته أيضاً في (ابن خلكان ١ : ٣٨٤-٣٨٥

والمعارف ٢١٢ ، وتاريخ بغداد ١٢ : ١٦٦-١٨٨) .

(٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « بالقرآن » .

(٣) ت : « ابن عبد الله » . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « ولا القيام » .

كيف تكلمه وقد عرفت خبره ، وأنه قطع مشايخ المتكلمين ! فقال : لا بد من أن تمضى بي إليه ، فمضى به قال : فوجدته يقرر الناس على نبوة موسى عليه السلام ، فإذا اعترفوا له بها قال : نحن على ما اتفقنا عليه إلى أن نجتمع على مائدعونه ؛ فتقدمت إليه ، فقلت : أسألك أم تسألني؟ فقال : بل أسألك ، فقلت : ذاك إليك ، فقال لي : أتعترف بأن موسى نبي صادق ، أم تنكر ذلك فتخالف صاحبك ؟ فقلت له : إن كان موسى الذي تسألني عنه هو الذي بشر بنبي عليه السلام ، وشهد بنبوته ، وصدقه فهو نبي صادق ، وإن كان غير من وصفت ؛ فذلك شيطان لا أعترف بنبوته ؛ فورد عليه ما لم يكن في حسابه . ثم قال لي : أقول إن التوراة حق ؟ فقلت : هذه السألة تجرى تجرى الأولى ، إن كانت هذه التوراة التي تسألني عنها هي التي تتضمن البشارة بنبي عليه السلام فتلك حق ، وإن لم تكن كذلك فليست بحق ، ولا أقر بها . فبُهِتَ وأفحِمَ ولم يدر ما يقول ، ثم قال لي : أحتاج أن أقول لك شيئاً بيني وبينك ، فظننتُ ١٠ أنه يقول شيئاً من الخير ، فتقدمتُ إليه فساررتني فقال لي : أمك كذا وكذا ، وأم من علمك لا يَكُنْ ، وقدّر أني أثبُّ به ، فيقول : وثبُّوا بي ، وشعّبوا عليّ ، فأقبلتُ على من كان في المجلس فقلت : أعزكم الله ! ألسنتم قد وقفتُم على سؤاله ^(١) إياي ، وعلى جوابي إياه ؟ قالوا : بلى ! قلت : أفليس عليه أن يرَدَّ جوابي أيضاً ؟ قالوا : بلى ، قلت لهم : فإنه لما ساررتني شتمني بالشم الذي يوجب الحدّ ، وشم من علمني ، وإنما قدّر أني أثب عليه ، فبدّعي أننا واثبنا ، ١٥ وشعّبنا عليه ، وقد عرفتكم شأنه بعد الانقطاع ، فانصروني ، فأخذته الأيدي من كل جهة ، فخرج هارباً من البصرة .

وعن أبي العيلاء قال : قال لي أبو الهذيل : ما معنى الخسف ؟ فقلت : أن تنقلب الأرض ؛ أعلاها أسفلها ، فقال : إلّا يَكُنْ هذا اليوم بالأرض فإنه لَبِ الناس .

وقال أبو الهذيل : قال لي المزدل بن غيلان العبدى ، وكان من سادات عبد القيس ، ٢٠ وكان يجتمع إليه أهل النظر : يا أبا الهذيل ، إن في نفسي شيئاً من قول القوم في الاستطاعة ،

[٥٨] فَبَيَّنَ لِي / مَا يَذْهَبُ بِالرَّيْبِ عَنِّي ، فَقَالَ : خَبَّرَنِي عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَسَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ ؛ [النوبة : ٩] ، هَلْ يَخْلُو مِنْ أَنْ يَكُونَ أَكْذَبَهُمْ لِأَنَّهُمْ مُسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ ^(١) ^(٢) وَهُمْ تَارِكُونَ لَهُ ، فَاسْتَطَاعَةَ الْخُرُوجِ فِيهِمْ وَلَيْسَ يَخْرُجُونَ ، فَقَالَ : ﴿ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ أَيُّ هُمْ يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ ^(٣) وَهُمْ يَكْذِبُونَ فَيَقُولُونَ : لَسْنَا نَسْتَطِيعُ ، وَلَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا ، فَأَكْذَبَهُمُ اللَّهُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ ، أَوْ يَكُونَ عَلَى وَجْهِ آخَرَ : يَقُولُ : ﴿ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ أَيُّ إِنْ أُعْطِيَهُمُ الْاسْتَطَاعَةُ لَمْ يَخْرُجُوا ؛ فَتَكُونُ مَعَهُمُ الْاسْتَطَاعَةُ عَلَى الْخُرُوجِ وَلَا يَخْرُجُونَ ؛ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ ؛ قَدْ كَانَتْ الْاسْتَطَاعَةُ عَلَى الْخُرُوجِ وَلَا يَكُونُ الْخُرُوجُ ، وَلَا يُعْقِلُ لِلآيَةِ مَعْنَى ثَلَاثَ غَيْرِ الْوَجْهِينَ الَّذِينَ وَصَفْنَا ^(٣) .

١٠ وَحَكَى سَلِيمَانُ الرَّقِّي أَنَّ أَبَا الْهَذِيلِ لَمَّا وَرَدَ سُرَّ مَنْ رَأَى نَزَلَ فِي غُرْفَةٍ إِلَى أَنْ يُطْلَبَ لَهُ دَارُ تَصَاحُّحِهِ ، قَالَ : فَهَرَرْتُ بِهِ فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا الْهَذِيلِ ، أَنْتَ نَزَلَ فِي مِثْلِ هَذَا النَّزْلِ ! فَأَنْشَدَنِي : يَقُولُونَ زَيْنُ الْمَرْءِ يَا مَيَّ رَحْلُهُ أَلَا إِنَّ زَيْنَ الرَّحْلِ يَأْمِي رَاكِبَهُ وَعَنْ مُجَالِدٍ ^(٤) قَالَ : رَأَيْتُ رَجُلًا ، وَقَدْ سَأَلَ أَبَا الْهَذِيلِ وَهُوَ فِي الْوَرَّاقِينَ بِقَصْرِ وَضَّاحٍ فَقَالَ لَهُ : مَنْ جَمَعَ بَيْنَ الزَّائِنَيْنِ ؟ فَقَالَ لَهُ : يَا بَنَ أَخِي ، أَمَّا بِالْبَصْرَةِ فَأِنَّهُمْ يَقُولُونَ : الْقَوَادُونَ ؛ وَلَا أَحْسِبُ أَهْلَ بَغْدَادٍ يَخَالِفُونَهُمْ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ ، فَمَا تَقُولُ أَنْتَ ! قَالَ : نَحْجِلُ الرَّجُلُ وَسَكَتَ .

وَقَالَ أَبُو الْهَذِيلِ : قُلْتُ لِرَجُلٍ مِمَّنْ يَنْفِي الْحَرَكَةَ - وَلَمْ يَسْمَعْهُ ، وَزَعَمَ قَوْمٌ أَنَّهُ الْأَصَمُّ - : خَبَّرَنِي عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ الزَّائِنَةُ وَالزَّائِنُ فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ ؛ [النور : ٢] ، وَذَكَرَ الْقَاضِي فَقَالَ : فَاجْلِدُوهُ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ^(٥) ، فَأَيُّهُمَا أَكْثَرُ ؟ فَقَالَ : حَدُّ ^(٦) .

(١) ت : « للخروج » (٢-٢) ساقط من م . (٣) ت ، ج ، ش : « الذين ذكرنا » .

(٤) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « عن أبي مجالد » .

(٥) يشير إلى قوله تعالى « وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ » (٦) حاشية ت (من نسخة) : « جلد الزاني » .

فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ؛ [النور : ٤] . (٦) حاشية ت (من نسخة) : « جلد الزاني » .

الزَّانِي ، قلت : بَكِّمْ ، قال : بعشرين ، قلت : لَخَدَّثْنِي ^(١) عن الجلد ، أهو يدُ الجلاد ؟ قال : لا ، قلت : أهو السَّوْطُ ؟ قال : لا ، قلت : فهو ظهر المجلود ؟ قال : لا ، قلت : أهو الانفراجُ الذى بين السَّوْطِ وظهر المجلود ؟ قال : لا ، قلت : أَفَتَمَّ شَيْءٌ غير هذا هو الجلد ؟ قال : لا ، قلت : فَإِنَّمَا تَقُولُ أَنَّ لَاشَيْءَ أَكْثَرُ مِنْ لَاشَيْءٍ بعشرين ! فانقطع .

وقال أبو الهذيل : قلت لمجوسى : ما تقول فى النار ؟ قال : بنت الله ، قلت : فالبقر ؟ قال : ٥ ملائكة الله ؛ قَصَّ أَجْنَحَتَهَا ، وَحَطَّهَا / إِلَى الْأَرْضِ يُحَرِّثُ عَلَيْهَا ، فقالت : فإلما ، قال : نور [٥٨] ظ الله ، قلت : فما الجوعُ والعطش ؟ قال : فَقَرَّ الشَّيْطَانُ وَفَاقَتُهُ ، قلت : فَمَنْ يُحْمِلُ الْأَرْضَ ؟ قال : بَهْمَنُ الْمَلِكِ ، قلت : فما فى الدنيا شرٌّ من المجوس ، أخذوا ملائكة الله فذبجوها ، ثم غسلوها بنور الله ، ثم شوَّوها ببنت الله ، ثم دفعوها إلى قَرَّ الشَّيْطَانِ وَفَاقَتِهِ ، ثم ساجَّوها على رأس بَهْمَنِ الْمَلِكِ أَعَزَّ مَلَائِكَةَ اللَّهِ ! فانقطع المجوسى ، وخجل مما لزمه . ١٠

ودخل أبو الهذيل يوماً على الحسن بن سهل بفهم الصَّلَحِ ^(٢) ، وعنده فتى قد رفع مجلسه ، فقال أبو الهذيل : مَنْ هَذَا الْفَتَى الَّذِى قَدْ رَفَعَهُ الْأَمِيرُ ، لِنُوفِيَّتِهِ بِمَعْرِفَتِهِ حَقَّةً ؟ قال : رجل من أهل النجوم ، قال : مِنْ أَهْلِ صِنَاعَةِ الْحِسَابِ أَمْ الْأَحْكَامِ ؟ قال : الْأَحْكَامِ ، قال : ذَلِكَ عَمَلٌ يَبْطُلُ ، أَفَأَسْأَلُهُ ؟ قال : سَلْ فَأَخَذَ أَبُو الْهَذِيلِ تَفَاحَةً مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَقَالَ : آكُلُ هَذِهِ التَّفَاحَةَ أَمْ لَا ؟ قال : نَأْكُلُهَا ، فَوَضَعَهَا أَبُو الْهَذِيلِ وَقَالَ : لَسْتُ آكُلُهَا ، قال : فتعيدها إلى ١٥ يدك وأعيد النظر ، فَوَضَعَهَا وَأَخَذَ غَيْرَهَا ، فقال له الحسن : لِمَ أَخَذْتَ غَيْرَهَا ؟ قال : لِثَلَا يَقُولَ لِي : لَا تَأْكُلْهَا فَآكُلْهَا خِلَافاً عَلَيْهِ فَيَقُولَ لِي : قَدْ أَصَبْتُ فِي الْمَسْأَلَةِ الْأُولَى .

وقال النعمان المَنَانِي يوماً لأبِي الْهَذِيلِ : دُلَّ عَلَى حَدُوثِ الْعَالَمِ بِغَيْرِ الْحَرَكَةِ وَالسَّكُونِ ، فقال له أَبُو الْهَذِيلِ : مِثْلُكَ مِثْلُ رَجُلٍ قَالَ لَخَصْمِي : احْضُرْ مَعِيَ إِلَى الْقَاضِي وَلَا تَحْضُرْ بَيِّنَتَكَ .

(١) حاشية ت (من نسخة) : « نخبرنى » . (٢) فى حاشيتى الأصل ، ت : « فم الصلح :

موضع قريب من واسط » .

وذكر محمد بن الجهم^(١) صاحب الفراء قال : رأيت أبا الهذيل وقد جاء إلى الديوان في أيام المأمون فسأل سهل بن هرون بن راهيئون أن يكتب له كتابا في حاجة له إلى حفصويه صاحب الجيش ، ونهض أبو الهذيل ؛ فأملى على سهل بن هرون :

إِنَّ الضَّمِيرَ إِذَا سَأَلْتُكَ حَاجَةً لِأَبِي الْهَذِيلِ خِلَافُ مَا أُبْدَى
فَإِذَا أَنَاكَ لِحَاجَةٍ فَاغْدُ لَهُ حَبْلَ الرَّجَاءِ بِمُخْلَفِ الْوَعْدِ
وَأَلِنْ لَهُ كَنْفًا لِيَحْسُنَ ظَنُّهُ فِي غَيْرِ مَنْفَعَةٍ وَلَا رِفْدِ
حَتَّى إِذَا طَالَتْ شَقَاوَةُ جَدِّهِ وَرَجَا الْغِنَى فَاجْبِهْهُ بِالرَّدِّ
وَإِنْ اسْتَطَعْتَ لَهُ الْمَضَرَّةَ فَاجْتَهِدْ فِيمَا يَضُرُّ بِأَبْلَغِ الْجَهْدِ
/ وَانْظُرْ كَلَامِي فِيهِ فَاذْمُ بِهِ خَلْفَ الثُّرَيَّا مِنْكَ فِي الْبُعْدِ^(٢)
وَكَذَلِكَ فَافْعَلْ غَيْرَ مُحْتَشِمٍ إِنْ جِئْتُ أَسْأَلُ فِي أَبِي الْهِنْدِيِّ^(٣)

[٥٩]
و
١٠

قال سيدنا المرتضى أدام الله تأييده : ويشبه هذا المعنى ما أخبرنا به أبو عبيد الله المرزباني قال : حدثني محمد بن أبي الأزهر قال : حدثنا أبو العيناء قال : كان لي صديق فجاءني يوماً فقال لي : أريد الخروج إلى فلان العامل ، وأحببت أن تكون معي إليه وسيلة ، وقد سألت من صديقه ، فقيل لي : أبو عثمان الجاحظ ، وهو صديقك ، فأحب أن تأخذ لي كتابه إليه بالعناية ، قال : فصرت إلى الجاحظ ، فقال لي : في أي شيء جاء أبو عبدالله ؟ فقلت : مُسَكِّمًا وقاضياً الحق ، وفي حاجة لبعض أصدقائي وهي كذا وكذا ، فقال : لا تشغلنا الساعة عن المحادثة ، فإني في غد أوجه إليك بالكتاب ، فلما كان من الغد وجهه إلي بالكتاب مختوماً فقلت لابني : وجه هذا الكتاب إلى فلان ، ففيه حاجته ، فقال لي : إن أبا عثمان بعيد الغور فينبغي أن تفضّه وتنظر مافيه ، ففعل فإذا في الكتاب : « كتابي إليك مع من لا أعرفه ،

(١) حاشية الأصل : « محمد بن الجهم السمرى » .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ت : « أى أخف كلامي هذا » .

(٣) حاشية ت : « أبو الهندي اسم رجل كان خاصا به وملازما له » .

وقد كلنى فيه مَنْ لا أَوْجِبَ حَقُّهُ ، فإن قضيتَ حاجته لم أَحَدُكَ ، وإن رددته لم أَذُمَّكَ .
فلما قرأت الكتاب مضيتُ من فوري إلى الجاحظ ، فقال : يا أبا عبد الله ، قد علمتُ أَنَّكَ
أنكرت ما فى الكتاب ، فقلت : أو ليس موضع نَكِرة ! فقال : لا ، هذه علامة بينى
وبين الرجل فيمن أعتنى به ، فقلت : لا والله ، مارأيتُ رجلاً أعلمَ بِطَبْعِكَ وما جُيِلَتْ عليه من .
هذا الرجل ! - أعنى صاحب الحاجة - أعلمتُ أَنَّهُ لما قرأ الكتاب قال : أمَّ الجاحظ عشرة ٥
آلاف ، وأمَّ مَنْ يسأله ... فقلت : يا هذا ؟ أنشيتَ صديقنا ؟ فقال : هذه علامتى فيمن أشكره !
وفى رواية أخرى أَنَّ أبا العيناء سلمَ الكتاب إلى صاحب الحاجة وقال له : فضِّرَ
الكتاب ، فقال : إنه مختومٌ فقال : طِينَةٌ أَهْوَنُ مِنْ ظَنَّةٍ .

قال سيدنا المرتضى أدام الله علوه : وأظن أَنَّ أبا العيناء تنبَّه على فضِّ الكتاب وقراءته
بمخبر طَرْفة بن العبد والمتلمس الصُّبُعِيِّ^(١) ، وذلك أَنهما وَفَدَا على عمرو بن هند ونادماه ، ١٠
واحتظيا به ، ثم أفضى الأمر إلى أَنَّ هجاء كلُّ واحد منهما وعرض به بالشعر
المشهور^(٢) فحَنَقَ عليهما ، وهَمَّ بقتلِهما ، ثم أشفق من ذلك ، وأراد قتلَهما بيدٍ غيره ،
وكان على طَرْفة أحنق ، فعلم أَنه إن قتله هجاء المتلمس : فكتب لهما كتاباً إلى البحرين ،
وقال لهما : إني قد كتبت لكما بَصِلة ، فاشخصا لقبضها ؛ فخرجا من عنده ، والكتابان فى
أيديهما ، فمرَّ بشيخ جالس على ظهر الطريق ، مُتَكَسِّفاً يتبرز ، ومعه كسرة خبز يأكل ١٥
منها ، ويتناول القملَ من ثيابه فيقصعه ، فقال أحدهما لصاحبه : ما رأيتُ أعجب من هذا
الشيخ ! فسمع الشيخ مقالته فقال : وما ترى من عَجَبِي^(٣) ! أَدْخِلْ طَيِّباً ، وأخرج خبيثاً ،
وأقتل عدوًّا ، وإن أعجبَ منى لَمَنْ يَحْمِلُ حَتْفَهُ بيده ، وهو لا يدري ! فأوجس المتلمس فى

(١) فى حاشيتى الأصل ، ت : « هو من بنى ضبيعة بن ربيعة ، واسمه جرير بن عبد المزى ، وقيل
ابن عبد المسيح » . (٢) انظر تفصيل الخبر وأبيات الهجاء فى (الأغاني ٢١ : ١٢٧ ، والشعر
والشعراء ١٣١ - ١٣٢ ، و ١٣٧ - ١٣٨ ، ومعجم البلدان ٧ : ٢٠٨ ، والخزانة ١ : ٤١٢ - ٤١٧ .
٤٤٦ ، و ٧٣ : ٣ و بجم الأمثال ١ : ٣٥٠ - ٣٥٢ وديوان طرفة : ٦ - ٥ ، وديوان المتلمس ١٧٢ -
١٧٦) . (٣) م : « عجب » .

نفسه خيفة ، وارتاب بكتابه ، ولقيه غلام من أهل الحيرة ، فقال له : أنقرأ يا غلام ؟ قال : نعم ، ففطن خاتم كتابه ، ودفعه إلى الغلام فقرأه ، فإذا فيه : « إذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه ، واصلبه حياً » .

فأقبل على طرفه فقال له : تمنن^(١) والله لقد كتب فيك بمثل هذا ، فادفع كتابك إلى الغلام يقرأه عليك ، فقال : كلاً ، ما كان لي جسور على قومي بمثل هذا ، ولم ياتفت إلى قول المتلمس ، فألقى المتلمس كتابه في نهر الحيرة ، وقال :

قَذَفْتُ بِهَا بِالشَّيْءِ مِنْ جَنْبِ كَافِرٍ كَذَلِكَ أَفْنُو كُلَّ قِطِّ مُضِلٍّ^(٢)
رَضِيتُ لَهَا بِالماءِ كَمَّا رَأَيْتُهَا يَجُولُ بِهَا التَّيَّارُ فِي كُلِّ جَدُولٍ
كافر : نهر بالحيرة ، وأفنو : أقتنى ، والقط : الكتاب : والتيار : معظم الماء وكثرته .
وقال المتلمس أيضاً :

مَنْ مُبْلَغُ الشُّعْرَاءِ عَنْ أَخَوَيْهِمْ نَبَأٌ فَتَصَدَّقْتُهُمْ بِذَلِكَ الْأَنْفُسِ^(٣)
أُودِيَ الَّذِي عَلِقَ الصَّحِيفَةَ مِنْهُمَا وَنَجَا حِذَارَ حَبَائِهِ التَّلَمُّسِ
أَلْقَى صَحِيفَتَهُ وَنَجَّتْ كُورُهُ وَجَنَاهُ مُجَمَّرَةٌ الْمَنَاسِمِ عِرْمَسِ^(٤)
عَيْرَانَةٌ طَبِخَ الْهَوَاجِرُ لِحِمَمَهَا فَكَأَنَّ نِقَبَهَا أَدِيمٌ أَمَلَسِ^(٥)
أَطْرِيفَةُ بِنِ الْعَبْدِ إِنَّكَ حَائِنٌ أَبْسَاحَةُ الْمَلِكِ الْهُمَامِ تَمَرَسِ !
أَلْقَى الصَّحِيفَةَ لَا أَبَا لَكَ إِنَّهُ يُخْشَى عَلَيْكَ مِنَ الْحَبَاءِ النَّقْرَسِ

(١) من نسخة بجواشي الأصل ، ت ، ف : « تعلم » .

(٢) ديوانه : ١٧٦ . (٣) الأبيات في ديوانه ١٩١-١٩٢ ، والخزانة ٣ : ٧٣ والأغاني

٢١ : ١٢٧ وأخوام : طرفه والتلمس . (٤) الوجناء : الناقة الصلبة ؛ مشتقة من الوجين ؛

وهي الأرض الصلبة ، ومجرة : بمنزعة ، والمناسم : جمع منسم ، ومنسم خف البعير كالظفرين في مقدمته ؛
بهما يستبان أثر البعير الضال . والعرمس في الأصل : الصخرة ؛ شبهت بها الناقة ؛ ورواية الديوان :

أَلْقَى صَحِيفَتَهُ وَنَجَّتْ كُورَهُ عَنَسٌ مَدَاخِلَةُ الْفَقَارَةِ عِرْمَسِ

(٥) العيرانة : الناقة الصلبة التي تشبه غير الوحش لقوتها ، والنقبة هاهنا : اللون .

النقرس هاهنا : الداهية ، ومضى طرفه بكتابه إلى البحرين ، فأمر به المعلي بن حنّس^(١) المبدى فقتل ؛ فقال المتلمس^(٢) :

عَصَانَا^(٣) فَمَا لَاقَى رَشَادًا وَإِنَّمَا تَبَيَّنَ^(٤) فِي أَمْرِ الْغَوِيِّ عَوَاقِبُهُ
فَأَصْبَحَ مَحْمُولًا عَلَى ظَهْرِ آلَةٍ تَمْجُ نَجِيعَ الْجَوْفِ مِنْهُ تَرَائِبُهُ
فَالَا تَجَلَّلَهَا يُعَالُوكَ فَوْقَهَا وَكَيْفَ تُوَفِّي^(٥) ظَهْرَ مَا أَنْتَ رَاكِبُهُ !
ولحق المتلمس ببلاد الشام ، وهجا عمرًا ، وبلغه أن عمرًا يقول : لئن وجده بالعراق
ليقتلنّه ، فقال :

آلَيْتُ حَبَّ الْعِرَاقِ الدَّهْرَ أَطْعَمُهُ وَالْحَبُّ يَا كُنْهُ بِالْقَرِيَةِ الشُّوسُ^(٦)
وجرى المثل بصحيفة المتلمس ، فقال الفرزدق يذكر الشعراء الذين أورثوه أشعارهم^(٧) :
وَهَبَ الْقَصَائِدَ لِي النَّوَابِغُ إِذْ^(٨) مَضَوْا وَأَبُو يَزِيدَ وَذُو الْقُرُوحِ وَجَرُولُ
وَأَخُو بَنِي قَيْسٍ وَهَنَّ قَتْلَنَهُ وَمُهَاجِلُ الشُّعْرَاءِ ذَاكَ الْأَوَّلُ
يعنى بالنوابغ : النابغة الذبياني والجمدي ، ونابغة بن شيبان ، ويعنى : بأبي يزيد الحبيل
السعدي ، وجرول هو الخطيئة ، وذوالقروح امرؤ القيس ، وأخو بني قيس هو طرفه . ومعنى
قوله : « وهن قتلنه » ، يعنى : القصائد التى هجا بها عمرو بن هند ، ويقال إن صاحب المتلمس
وطرفة فى هذه القصة هو النعمان بن المنذر ، وذلك أشبه بقول طرفة :

أَبَا مُنْذِرٍ كَانَتْ غُرُورًا صَحِيفَتِي وَلَمْ أُعْطِكُمْ فِي الطَّوْعِ مَالِي وَلَا عِرْضِي^(٩)
أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبَقَ بَعْضَنَا حَتْمًا نَيْكَ^(١٠) بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ
وأبو منذر هو النعمان بن المنذر ، وكان النعمان بعد عمرو بن هند ، وقد مدح طرفة النعمان
فلا يجوز أن يكون عمرو قتله ، فيشبهه أن تكون القصة مع النعمان .

(١) من نسخة بجواشى الأصل ، ت ، ف : « حنيس . (٢) ديوانه : ١٩٣-١٩٤ .
(٣) حاشية ت (من نسخة) : « عصاني » . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « بين » .
(٥) ش : « توقي » ، بكسر القاف المشددة . (٦) ديوانه : ١٨٠ ؛ و « حب » ،
منصوب على نزع الخافض ؛ والبيت من شواهد (الكتاب ١ : ١٧) ، ومن نسخة بجواشى الأصل :
« فى القرية » . (٧) ديوانه ٢ : ٧٢٠ . (٨) حاشية الأصل : « من نسخة » : « كلمهم » .
(٩) ديوانه : ٤٨ . (١٠) حاشية الأصل : « حنانيك ؛ أى تخننا بعد تخنن » .

مَجْلِسُ آخِرِ

وكان أبو سهل يَشْرُ (١) بن المعتز من وجوه أهل الكلام ، ويقال إن جميع معتزلة

بمعد ٦٠] / من مستجيبه .

وقال أبو القاسم البلخي : إنه من أهل بغداد ، وقيل : من أهل الكوفة ، وذكر الجاحظ أنه كان أبرص .

وَحِكِي أَنَّهُ كَانَ يَوْمًا فِي مَجْلِسِهِ ، وَعِنْدَهُ أَصْحَابُهُ وَمَعَهُ مُجَبِّرٌ يَسْأَلُهُمْ وَيَقُولُ : أَنْتُمْ تَحْمَدُونَ اللَّهَ عَلَى إِيمَانِكُمْ ؟ وَهُمْ يَقُولُونَ : نَعَمْ ، فَيَقُولُ لَهُمْ : فَكَيْفَ يَحِبُّ أَنْ يُحَمَّدَ عَلَى مَا لَمْ يَفْعَلْ ، وَقَدْ ذَمَّ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ ، فَيَقُولُونَ لَهُ : إِنَّمَا ذَمَّ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُحَمَّدَ عَلَى مَا لَمْ يَفْعَلْ ؛ مِمَّنْ لَمْ يَمُنْ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَدْعُ إِلَيْهِ ؛ وَهُوَ يَشْغَبُ إِذَا قُبِلَ ثُمَامَةُ (٢) بْنُ أَشْرَسَ ، فَقَالَ يَشْرُ لِلْمَجَبِّرِ : قَدْ سَأَلْتَ الْقَوْمَ وَأَجَابُوكَ ، وَهَذَا أَبُو مَعْنٍ فَاسْأَلْهُ عَنِ الْمَسْأَلَةِ فَقَالَ لَهُ : هَلْ يَحِبُّ عَلَيْكَ أَنْ تَحْمَدَ اللَّهَ عَلَى الْإِيمَانِ ؟ قَالَ : لَا ، بَلْ هُوَ يَحْمَدُنِي عَلَيْهِ ، لِأَنَّهُ أَمَرَنِي بِهِ فَفَعَلْتُهُ ، وَأَنَا أَحَدُهُ عَلَى الْأَمْرِ بِهِ ، وَالتَّقْوِيَةِ عَلَيْهِ ، وَالدَّعَاءِ إِلَيْهِ ؛ فَانْقَطَعَ الْمَجَبِّرُ . فَقَالَ يَشْرُ : شَغَبْتُ فَمَهَلْتُ .

قَالَ الْجَاحِظُ : وَكَانَ يَشْرُ يَقَعُ فِي أَبِي الْهَذِيلِ ، وَيَنْسُبُهُ إِلَى النِّفَاقِ ، فَقَالَ وَهُوَ يَصِفُهُ : أَبُو الْهَذِيلِ لِأَنَّهُ يَكُونُ لَا يَعْلَمُ ، وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ يَعْلَمُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَعْلَمَ ، وَيَكُونُ عِنْدَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُ ، وَلِأَنَّهُ يَكُونُ مِنَ السُّفْلَةِ ، وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مِنَ الْعِلْيَةِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْعِلْيَةِ ، وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مِنَ السُّفْلَةِ ، وَلِأَنَّهُ يَكُونُ نَبِيلَ الْمَنْظَرِ ، سَخِيفَ الْخَبَرِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ نَبِيلَ الْخَبَرِ ، سَخِيفَ الْمَنْظَرِ ؛ وَهُوَ بِالنِّفَاقِ أَشَدُّ عُجْبًا مِنْهُ بِالْإِخْلَاصِ ، وَكَبَاطِلُ مَقْبُولِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ حَقِّ مَدْفُوعٍ .

(١) بشر بن المعتز ؛ انتهت إليه رئاسة المعتزلة ببغداد ؛ وتوفي سنة ٢١٠ . (لسان الميزان ٢ : ٣٣) .

(٢) ثُمَامَةُ بْنُ الْأَشْرَسِ النَّخَعِيِّ ؛ مَوْلَى بَنِي نَعِيرٍ ؛ كَانَ زَعِيمَ الْقُدْرِيَّةِ فِي زَمَنِ الْمَأْمُونِ وَالْمُعْتَصِمِ وَالْوَائِقِ ، وَهُوَ الَّذِي دَعَا الْمَأْمُونِ إِلَى الْإِعْتِزَالِ ؛ تَوَفَّى سَنَةَ ٢١٣ ؛ (لسان الميزان ٢ : ٨٣ ، والفرق بين الفرق ١٥٧) .

ولبشر أشعار كثيرة ، يحتاج فيها على أهل المقالات . وذكر الجاحظ أنه لم ير أحداً أقوى^(١) على الخمس والمزدوج^(٢) على ما قوى عليه بشر ، وإنه كان أكثر في ذلك وأقدر من أبان اللاحق^(٣) ، وهو القائل :

إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا أَقْوَى لَوْ مَا تَقُولُ فَأَنْتَ عَالِمٌ
أَوْ كُنْتَ تَجْهَلُ ذَا وَذَا لَكُ فَكُنْ لِأَهْلِ الْعِلْمِ لَازِمٌ
أَهْلُ الرِّيَاسَةِ مَنْ يُدْ أَرْعَاهُمْ رِيَاسَتَهُمْ فَظَالِمٌ
سَهَرَتْ عُيُونُهُمْ وَأَنْد تَعْنِ الَّذِي قَاسَوْهُ حَالِمٌ
لَا تَطْلُبَنَّ رِيَاسَةً بِالْجَهْلِ أَنْتَ لَهَا مُخَاصِمٌ
/ لَوْ لَا مَقَامُهُمْ رَأْيَ تَعْنِ الدِّينَ مُضْطَرِبَ الدَّعَائِمِ

[٦١]

فأما أبو إسحق إبراهيم بن سيار النظام ؛ فإنه كان مقدماً في العلم بالكلام ، حسن الخاطر ، شديد التدقيق والغوص على المعاني ؛ وإنما أدّاه إلى المذاهب الباطلة التي تفرّد بها واستشعبت منه تديقه وتغلّغله . وقيل : إنه مولى الزبائدين من ولد العبيد ، وإن الرّقّ جرى على أحد آبائه .

وقيل للنظام : ما الاختصار ؟ فقال : الذي اختصاره فساد . وقال لرجل : أتعرف فلاناً المجوسى ؟ فقال : نعم ، ذاك الذي حلق وسط رأسه ، كما يفعل اليهودى ، فقال النظام : ١٥ لا مجوسى عرفت ، ولا يهودى وصفت .

قال الجاحظ وذكر عبد الوهاب الثقفى فقال : هو أحلى من أمن بعد خوف ، وبرء بعد سقم ،

(١) حاشية الأصل : « من نسخة » : « قوى » .

(٢) حاشية الأصل : « الخمس من الشعر : ما كان خمسة مصارع مقفاه ، يخالفها الخامس أو يوافقها ، والمزدوج : هو المنوى » .

(٣) هو أبان بن عبد الحميد بن لاحق ؛ شاعر مكثر ؛ وأكثر شعره مزدوج ومسمط ؛ (وانظر الفهرست ١٦٣) .

(٤) هو أبو إسحاق بن سيار النظام البصرى ، شيخ الجاحظ ، وأحد رموس المعتزلة ؛ وإليه تنسب الفرقة النظامية ؛ (وانظر آراءه في الفرق بين الفرق ١١٣) .

وَحِصْبٍ بَعْدَ جَدْبٍ ، وَغْنًى بَعْدَ فَقْرٍ ، وَطَاعَةَ الْمَحْبُوبِ ، وَفَرَجَ الْمَكْرُوبِ ، وَمَنْ الْوَصْلُ ^(١)
الدَّائِمُ ، مَعَ الشَّبَابِ النَّاعِمِ ؛ وَلِلنِّظَامِ شِعْرٌ كَثِيرٌ صَالِحٌ ، فَمِنْهُ :

يَا تَارِكِي جَسَدًا بِغَيْرِ فُؤَادٍ أَسْرَفْتَ فِي الْهُجْرَانِ وَالْإِبْعَادِ
إِنْ كَانَ يَمْنَعُكَ الزِّيَارَةُ أَعْيُنُ فَادْخُلِي عَلَى بَعْلَةِ الْعَوَادِ
كَيْمَا أَرَاكَ وَتِلْكَ أَعْظَمُ نِعْمَةٍ مَلَكَتْ يَدَاكَ بِهَا مَنِيْعَ قِيَادِي
إِنَّ الْعُيُونَ عَلَى الْقُلُوبِ إِذَا جَنَّتْ كَانَتْ بَلِيَّتَهَا عَلَى الْأَجْسَادِ

وله :

تَوَهَّمَهُ ^(٢) طَرْفِي فَأَلَمَ خَدَّهُ فَكَانَ ^(٣) مَكَانَ الْوَهْمِ مِنْ نَظْرِي أَثَرُ
وَصَافِحَهُ قَلْبِي فَأَلَمَ كَفَّهُ فَمَنْ صَفَحَ قَلْبِي فِي أَنْامِلِهِ عَثَرُ
وَمَرَّ بِقَلْبِي خَاطِرًا فَجَرَحَتْهُ وَلَمْ أَرَ خَلْقًا ^(٤) قَطُّ يَجْرَحُهُ الْفِكْرُ
يَمُرُّ فَمِنْ لَيْنٍ وَحُسْنٍ تَعَطَّفِ يُقَالُ بِهِ سُكْرٌ وَلَيْسَ بِهِ سُكْرُ

ويقال إن أبا العتاهية ، قال : أنشدت النظام شعراً :

إِذَا هَمَّ النَّدِيمُ لَهُ بِالْحِظِّ تَمَشَّتْ فِي مَحَاسِنِهِ السَّكَاوُمُ

فقال : ينبغي أن ينادم هذا أعمى .

١٥ قال سيدنا المرتضى أدام الله علوه : وأبيات النظام تتضمن معنى بيت أبي العتاهية ،
[٦١] ولسنا ندرى أيهما أخذ من صاحبه ، والنظام يكرر هذا المعنى / كثيراً في شعره ، فمن ذلك
ط قوله :

رَقَّ فُلُوهُ بُزَّتْ مَرَايِلُهُ عَلَّقَهُ الْجَوُّ مِنْ اللَّطْفِ ^(٥)
يَجْرَحُهُ اللَّحْظُ بِتَكَرُّرِهِ وَيَشْتَكِي الْإِيْمَاءَ بِالطَّرْفِ

(١) حاشية ت (من نسخة) : « الوصال » . (٢) ف ، ونسخة بحاشيتي الأصل ، ت

« تأمله » . (٣) من نسخة بحاشية ت : « فصار » . (٤) من نسخة بحاشية الأصل :

« جسما » . (٥) حاشية ت : « يعني أن في سراييله نفلا واعتمادا باقيا ، فلو بزت لعلقه الجو » ،

وحكى أن أبا النظام^(١) جاء به وهو حدث إلى الخليل بن أحمد ، ليعلمه ، فقال له الخليل يوماً يمتحنه ، وفي يده قدح زجاج : يا بني ، صف لي هذه الزجاج ، فقال : أتمدح أم بدم ؟ قال : بمدح ، قال : نعم ، تريك القذى ، لا تقبل الأذى ، ولا تستر ماورا ؛ قال : فذمه ، قال : سريع كسرهما ، بطل^(٢) جبرها ، قال : فصِفْ هذه النخلة ، وأوماً إلى نخلة في داره ، فقال : أتمدح أم بدم ؟ قال : بمدح ، قال : هي حُلُو مجتناها ، باسق منتهاها ، ناضر أعلاها ؛ قال : فذمه ، قال : هي صعبة المرتقى ، بعيدة المجتنى ، محفوفة بالأذى ؛ فقال الخليل : يا بني ، نحن إلى التعلم منك أحوج .

قال سيدنا المرتضى أدام الله علوه : وهذه بلاغة من النظام حسنة ، لأن البلاغة هي وصف الشيء ذمّاً أو مدحاً بأقصى ما يقال فيه .

وشبه بهذا المعنى خبر لبيد^(٣) المشهور في هجائه^(٤) البقلة ، التي امتحن بهجائها ، ١٠ واختبر بدمها ، فقال فيها أباغ ما يقال في مثلها ، وذلك أن عماراً وأنساً وقيساً والربيع بن زياد العباسيين وفدوا على النعمان بن المنذر ، ووفد عليه العامريون بنو أم البنين^(٥) ، وعليهم أبو البراء عامر بن مالك جعفر بن كلاب ، وهو ملاعب الأستة ، وكان العامريون ثلاثين رجلاً ،

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « كان النظام شاعراً فصاحراً متكاملاً ، وبالعكس منه أبو نواس » .

(٢) من نسخة بحاشية ت : « بعيد » . (٣) في حاشيتي الأصل ، ف : « كان لبيد صحابياً

مخضرم ، وبق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله زماناً ، وكان مستبصراً حسن الطريقة ، وكان لا يقول الشعر بعد إسلامه . ويقول : عوضني الله البقرة وآل عمران والمخضرم : الذي أدرك الجاهلية والإسلام » .

وانظر الخبر ضمن ترجمة لبيد وذكروا نسبه وأخباره في (الأغاني ١٤-٩٠-٩٨ ، والخزانة ٤ : ١١٧ ،

وجالس ثعلب ٤٤٩-٤٥٠ ، وشعراء النصرانية ٧٩٠ ، والعمدة ١ : ٢٧ ، والحيوان ٥ : ١٧٣) .

(٤) من نسخة بحاشية ت : « وهجائه » . (٥) هي فاطمة بنت الخرشب الأثمارية ؛ إحدى

المنجيات من العرب ؛ وكان يقال إنها السكاملة ؛ روى أن عبد الله بن جعدان لقيها وهي تطوف بالكعبة ؛

فقال لها : نشدتك الله برب هذه البنية ! أي بنيك أفضل ؟ قالت : الربيع ؛ لابل عماره ؛ لابل أنس ؛

مسلكتهم إن كنت أدري أيهم أفضل ، (وانظر الأغاني ١٦ : ١٩) .

وفيهمْ لَبِيدٌ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ كَلَابٍ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ غُلَامٌ لَهُ ذُوَابَةٌ ، وَكَانَ الرَّبِيعُ ابْنُ زِيَادٍ الْعَبْسِيُّ يَنَادِمُ النِّعْمَانَ ، وَيَكْثُرُ عِنْدَهُ ، وَيَتَقَدَّمُ عَلَى مَنْ سِوَاهُ ، وَكَانَ يُدْعَى السَّكَّامِلَ ، لَشَطَّاطِهِ ^(١) وَبَيَاضِهِ وَكَمَالِهِ .

فَضْرَبَ النِّعْمَانُ قُبَّةً عَلَى أَبِي بَرَاءٍ ، وَأَجْرَى عَلَيْهِ وَعَلَى مَنْ كَانَ مَعَهُ الثَّرْلَ ، فَكَانُوا يَحْضُرُونَ النِّعْمَانَ لِحَاجَتِهِمْ ، فَافْتَخَرُوا يَوْمًا بِحَضْرَتِهِ ، فَكَادَ الْعَبْسِيُّونَ يَغْلِبُونَ الْعَامِرِيِّينَ ، وَكَانَ الرَّبِيعُ إِذَا خَلَا بِالنِّعْمَانِ طَمَنَ فِيهِمْ ، وَذَكَرَ مَعَابِيَهُمْ ؛ فَفَعَلَ ذَلِكَ مَرَارًا لِعِدَاوَتِهِ لِبَنِي جَعْفَرٍ ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَسْرَوْهُ ، فَصَدَّ النِّعْمَانُ عَنْهُمْ حَتَّى نَزَعَ الْقُبَّةَ عَنْ أَبِي بَرَاءٍ ، [٦٢] وَقَطَعَ / الثَّرْلَ ، وَدَخَلُوا عَلَيْهِ يَوْمًا فَأَرَاوْا مِنْهُ جَفَاءً ، وَقَدْ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ يَكْرَهُهُمْ ، وَيَقْدَمُ بِجَانِبِهِمْ ، فَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ غَضَابًا ، وَهَمُّوا بِالْإِنْصِرَافِ ، وَلَبِيدٌ فِي رِحَالِهِمْ يَحْفَظُ أَمْتَهُمْ ، وَيَغْدُو بِإِبْلِهِمْ فِيرْعَاهَا ، فَإِذَا أَمْسَى أَنْصَرَفَ بِهَا .

فَأَنَاهُمْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَهُمْ يَتَذَكَّرُونَ أَمْرَ الرَّبِيعِ ، فَقَالَ لَهُمْ : مَا كُنْتُمْ ^(٢) تَتَنَاجَوْنَ ؟ فَكْتُمُوهُ ، وَقَالُوا لَهُ : إِلَيْكَ عَنَا ، فَقَالَ : أَخْبِرُونِي ، فَلَعَلَّ لَكُمْ عِنْدِي فَرْجًا ، فَزَجَرُوهُ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا أُحْفَظُ لَكُمْ مَتَاعًا ، وَلَا أُسَرِّحُ لَكُمْ بَعِيرًا ^(٣) أَوْ تُخْبِرُونِي ؟ وَكَانَتْ أُمُّ لَبِيدٍ عَبْسِيَّةً فِي حِجْرِ الرَّبِيعِ ، فَقَالُوا لَهُ : خَالُكَ قَدْ غَلَبَنَا عَلَى الْمَلِكِ ، وَصَدَّ ^(٤) عَنَا وَجْهَهُ ، فَقَالَ : هَلْ تَقْدِرُونَ أَنْ تَجْمَعُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُ غَدًا حِينَ يَقْعُدُ الْمَلِكُ فَأَرْجِزَ بِهِ رَجْزًا مُمِضًا مُؤَلَّمًا ، لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ النِّعْمَانُ بَعْدَهُ أَبَدًا ؟ قَالُوا لَهُ : وَهَلْ عِنْدَكَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالُوا : فَإِنَّا نَبْلُوكَ بِشْتَمٍ ^(٥) هَذِهِ الْبَقْلَةُ - وَقَدَامَهُمْ بَقْلَةٌ دَقِيقَةُ الْقَضْبَانِ ، قَلِيلَةُ الْوَرَقِ ، لِاصْقَةِ فُرُوعِهَا بِالْأَرْضِ ، تَدْعَى التَّرْبَةَ - فَاقْتَلَعُوهَا مِنَ الْأَرْضِ وَأَخْذَهَا بِيَدِهِ ، وَقَالَ : « هَذِهِ الْبَقْلَةُ التَّرْبَةُ التَّفِيلَةُ الرِّذْلَةُ ، الَّتِي لَا تَذُكِّي نَارًا ، وَلَا تُؤْهِلُ دَارًا ، وَلَا تَسْتَرُ جَارًا ، عَوْدُهَا ضَائِلٌ ، وَفُرْعُهَا ذَلِيلٌ ، وَخَيْرُهَا قَائِلٌ ، بَلَدُهَا شَاسِعٌ وَنَبْتُهَا خَاشِعٌ ، وَآكَلُهَا

(١) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ : « الشَّطَّاطُ هُوَ اسْتَوَاءُ الْقَامَةِ وَحُسْنُهَا ، وَالشَّطَطُ : الْخِلَافُ وَالْجَدَلُ » .

(٢) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ : « مَا لَكُمْ » . (٣) مِنْ نَسْخَةِ بِحَاشِيَتِي ت : « إِبْلًا » .

(٤) حَاشِيَةُ ت (مِنْ نَسْخَةِ) : « وَأَصْدَعْنَا » . (٥) حَاشِيَةُ ت (مِنْ نَسْخَةِ) : « فَاشْتَمَ » .

جائع ، والمقيم عليها قانع ؛ أقصر البقول فرعاً ، وأخبثها مرعى وأشدّها قلعاً ، فحزباً^(١) لجارها وجدعا ! اتقوا بنى عباس ، أرجعه عنكم بتعس ونكس ، وأتركه من أمره فى لبس . فقالوا له : نصبح ونرى فيك رأينا .

فقال لهم عامر : انظروا إلى غلامكم هذا ، فإن رأيتموه نأثما فليس أمره بشيء ، إنما تكلم بما جرى على لسانه ، وإن رأيتموه ساهراً فهو صاحبكم ، فرمقوه بأبصارهم ، فوجدوه قد ركب رَحْلاً يكدم واسطته ؛ حتى أصبح فلما أصبحوا ، قالوا : أنت والله صاحبه ، فلقوا رأسه ، وتركوا له ذؤابتين ، وألبسوه حُلّة ، وغدوا به معهم ، فدخلوا على النعمان فوجدوه يتغذى ومعه الربيع ، ليس معه غيره ، والدار والمجالس مملوءة ، بالوفد فلما فرغ من الغداء أذن للجعفرين فدخلوا عليه ، والربيع إلى جانبه ، فذكروا للنعمان حاجتهم ، فاعترض الربيع فى كلامهم ، فقام ليبد : وقد دهن أحد شِقَى رأسه ، وأرخى إزاره ، وانتعل نعلًا واحدة . وكذلك [٦٢] كانت الشعراء تفعل فى الجاهلية إذا أرادت الهجاء . فمثل بين يديه ، ثم قال :

يَارُبَّ هَيَّجَاهِي خَيْرٌ مِنْ دَعَا^(٣) إِذْ لَا تَزَالُ هَامَتِي مُقَرَّعَةً
نَحْنُ بَنَى أُمِّ الْبَنِينَ الْأَرْبَعَةَ وَنَحْنُ خَيْرُ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةٍ
الْمُطْعَمُونَ الْجَفْنَةَ الْمُدْعَاةَ^(٤) وَالضَّارِبُونَ الْهَامَ تَحْتَ الْخَيْضَةِ

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « غربا » [بفتح الراء] ، وفى حاشية ت (من نسخة) : « غزيا » .
(٢) حاشية ت (من نسخة) : « فألقوا » . (٣) الأرجوزة فى ديوانه ٨-٧ ، وقبل هذا البيت فى رواية ثعلب : ١

* لَا تَزَجُرِ الْفَتَيَانَ عَنْ سُوءِ الرَّعَّةِ *

والرعة : حالة الأحمق التى رضى بها . (٤) كذا فى ت ، وفى الأصل ، دف : « المددعة »
بالتال المعجمة . وفى حاشية الأصل : « حقه » المددعة » بالذال غير المعجمة ؛ وهى المملوءة ، والددعة تحريك المكياى ونحوه ليسم الشئ ، ودعدت الشئ ملأته ، وجفنة مددعة أى مملوءة ، قال ليبد أيضا يصف ماء بين القيا من السيل :

فَدَعَدَا سُرَّةَ الرِّكَاةِ كَمَا دَعَدَعَ سَاقِي الْأَعَاجِمِ الْغَرَبَا

- والركاء : واد معروف ، أما الددعة ؛ فهو التفريق ؛ ولم يسم فى معنى اللز بالذال ، والله أعلم .

مَهْلًا أَبَيْتَ اللَّعْنُ لَا تَأْكُلْ مَعَهُ إِنَّ اسْتَهَ مِنْ بَرَصٍ مُلَمَعَهُ
وَإِنَّهُ يُدْخِلُ فِيهَا إصْبَعَهُ يُدْخِلُهَا حَتَّى يُوَارِيَ أَشْجَعَهُ
كَأَنَّهُ يَطْلُبُ شَيْئًا ضَيَّعَهُ

فَلَمَّا فَرِغَ لِبَيْدِ النَّعْمَانِ إِلَى الرَّبِيعِ يَرْمُقُهُ سَرْزَرًا ، وَقَالَ : كَذَلِكَ أَنْتَ ؟ قَالَ : كَذِبٌ
٥ وَاللَّهِ ابْنُ الْحَقِّ اللَّيْمُ ! فَقَالَ النَّعْمَانُ : أَفَ لِهَذَا الطَّعَامُ ، لَقَدْ خَبَثَ عَلَى طَعَامِي ! فَقَالَ
الرَّبِيعُ : أَيْتَ اللَّعْنُ ! أَمَا إِنِّي قَدْ فَعَلْتُ بِأَمِّهِ لَا يَكُنِي ، وَكَانَتْ فِي حِجْرِهِ - فَقَالَ لِبَيْدُ : أَنْتَ
لهَذَا السَّكَّامُ أَهْلٌ ، أَمَا إِنَّهَا مِنْ نِسْوَةٍ غَيْرُ فُئَلٍ ، وَأَنْتَ الْمَرْءُ قَالَ هَذَا فِي يَتِيمَتِهِ (١) .

قَالَ سَيِّدُنَا آدَامُ اللَّهِ عَلَوَّهَ : وَجَدْتُ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : أَمَا إِنَّهَا مِنْ نِسْوَةٍ فُئَلٍ ، وَإِنَّمَا قَالَ
ذَلِكَ لِأَنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ الرَّبِيعِ ، فَنَسَبَهَا إِلَى الْقَبِيلِ ، وَصَدَّقَهُ عَلَيْهِ تَهْجِينًا لَهُ وَلِقَوْمِهِ .

١٠ فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِهِمْ جَمِيعًا فَأَخْرَجُوا ، وَأَعَادَ عَلَى أَبِي بَرَاءِ الْقُبَّةَ ، وَانْصَرَفَ الرَّبِيعُ إِلَى مَنْزِلِهِ ،
فَبَعَثَ إِلَيْهِ النَّعْمَانُ بَضْعٍ مَا كَانَ يُحِبُّهُ بِهِ ، وَأَمَرَهُ بِالْانْصِرَافِ إِلَى أَهْلِهِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ : إِنِّي
قَدْ تَخَوَّفتُ أَنْ يَكُونَ قَدْ وَقَعَ فِي صَدْرِكَ مَا قَالَ لِبَيْدُ ، وَلَسْتُ بِرَأْمٍ حَتَّى تَبْعَثَ إِلَيَّ مَنْ
يَجْرِدُنِي ، لِيَعْلَمَ مَنْ حَضَرَكَ مِنَ النَّاسِ إِنِّي لَسْتُ كَمَا قَالَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ : إِنَّكَ لَسْتَ صَانِعًا
بِاتِّفَاقِكَ مِمَّا قَالَ لِبَيْدُ شَيْئًا ، وَلَا قَادِرًا عَلَى رَدِّ مَا زَلَّتْ بِهِ الْأَلْسُنُ ، فَالْحَقُّ بِأَهْلِكَ ؛ ثُمَّ كَتَبَ
١٥ إِلَيْهِ النَّعْمَانُ فِي جُمْلَةِ أُبَيَّاتٍ جَوَابًا عَنْ أُبَيَّاتٍ (٢) كَتَبَهَا إِلَيْهِ الرَّبِيعُ مَشْهُورَةً :

(١) مِنْ نَسْخَةِ بِحَاشِيَتِي الْأَصْلِ ، ت : « رَبِيبَتِهِ » .

(٢) الْأُبَيَّاتُ بِرِوَايَةِ صَاحِبِ الْأَغَانِي :

لَنْ رَحَلْتُ رِجَالِي إِلَّا لِي سَعَةٍ	مَامِثُهَا سَعَةً عَرَضًا وَلَا طُولًا
بِحَيْثُ لَوْ وَزَنْتُ لَحْمًا بِأَجْمَعِهَا	لَمْ يَعْدِلُوا رِيْشَةً مِنْ رِيْشِ سَمُوبِلَا
تَرَعَى الرِّوَاءُ أَحْرَارَ الْبَقُولِ بِهَا	لَا مِثْلَ رَعِيْكُمْ مَلَحًا وَغَسُوبِلَا
فَابْرُقْ بِأَرْضِكَ يَا نَعْمَانُ مُتَكِنًا	مَعَ النَّظَامِيِّ يَوْمًا وَابْنَ تَوْفِيلَا

قَدْ قِيلَ ذَلِكَ إِنْ حَقَّا وَإِنْ كَذِبًا فَمَا اعْتَذَرُكَ مِنْ شَيْءٍ إِذَا قِيلَ! (١)

وأخبرنا بهذا الخبر أبو عبيد الله الرزباني قال حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا / [٦٣]
أبو حاتم عن أبي عبيدة ، وأخبرنا به أيضا الرزباني قال حدثني محمد بن أحمد الكاتب قال :
حدثنا أحمد بن عبيد بن ناصح النحوي قال : أخبرنا محمد بن زياد بن زبَّان عن الكلبي عن
عبد الله بن مسلم البكاوي (٢) — وكان قد أدرك الجاهلية — وفي حديث كل واحد زيادة على الآخر ،
ولم نأت بجميع الخبر على وجهه ، بل أسقطنا منه ما لم نحتاج إليه ، وأوردنا ما أوردنا منه
بألفاظه .

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه : أما قوله : « نَحْنُ بَنِي أُمِّ الْبَنِينَ » فإنه نصبٌ
على المدح ، والعرب تنصب على المدح والذم جميعاً . وأم البنين هي بنت عمرو بن عامر بن ربيعة
ابن صَعْمَةَ ، وكانت تحت مالك بن جعفر بن كلاب ، فولدت له منه عامر بن مالك مُلَاعِب ١٠
الأسنَّة ، وطُفَيْل بن مالك فارس قُرْزُل ، وهو أبو عامر بن الطُفَيْل ، وقرزل فرس كانت له ،
وربيعة بن مالك أبا لبید ، وهو ربيع المقترين ، ومعاوية بن مالك معوّد الحُكَّام ، وإنما سمي
معوّد الحُكَّام بقوله :

أَعُوذُ مِثْلَهَا الْحُكَّامَ بَعْدِي إِذَا مَا الْحَقُّ فِي الْأَشْيَاءِ نَابَا

(١) البيت من مقطوعة ذكرها صاحب الأغاني ؛ وهي :

شَرُّدُ بَرَحْلِكَ عَنِّي حَيْثُ شِئْتُ وَلَا	تُكْثِرُ عَلَيَّ وَدَعَّ عَنْكَ الْأَبَاطِيلَا
فَقَدْ ذُكِرْتَ بِشَيْءٍ لَسْتُ نَاسِيَهُ	مَاجَاوَرَتْ مَحَرَّ أَهْلِ الشَّامِ وَالنَّيْلَا
فَمَا اتَّقَاؤُكَ مِنْهُ بَعْدَ مَا جَزَعْتُ	هُوجُ الْمَطِيِّ بِهِ نَحْوُ ابْنِ سَمُوِيلَا
قَدْ قِيلَ ذَلِكَ إِنْ حَقَّا وَإِنْ كَذِبًا	فَمَا اعْتَذَرُكَ مِنْ قَوْلٍ إِذَا قِيلَا!
فَالْحَقُّ بِحَيْثُ رَأَيْتُ الْأَرْضَ وَاسِعَةً	وَانْشَرِبَهَا الطَّرْفَ إِنْ عَرَضَاوْ إِنْ طَوَّلَا

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « البكاوي »

وولدتْ عُبيدةَ الوضاح ؛ فهؤلاء خمسة ، وقال لبيد : « أربعة » ، لأن الشعر لم يمكنه من ذلك ^(١) .

وأما الجفنة المدَّعة ^(٢) فهي المملوءة . وأما الخيضة ، فإن الأصمعي يذكر أن لبيداً قال : « تحت الخيضة » ؛ يعنى الجلبة ، فسوته الرواة . وقيل : إن الخيضة أصوات وقع السيوف ، والخيضة أيضاً البيضة التي تلبس على الرأس ، والخيضة الغبار ، والقول يحتمل كل ذلك .
وأما : « أبيت اللعن » ، فإن أبا حاتم قال : سألت الأصمعي عنه فقال : معناه أبيت أن تأتي من الأمور ما تلعن عليه .

وأما : « الأشاجع » ؛ فهي العروق والمصب الذي على ظهر الكف .

وقد روى : * أكل يوم هامتي مقرعة *

١٠ والقزع : تساقط بعض الشعر والصوف وبقاء بعضه ، يقال : كبش أقزع ونعجة قزعاء .

فأما الجاحظ فهو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب ، مولى لأبي القميس عمرو بن قلع الكِناني ثم القُقيمي . وذكر المبرِّد أنه ما رأى أحراً على العلم من ثلاثة : الجاحظ ، والفتح بن خاقان ، وإسماعيل بن إسحاق القاضي ؛ فأما الجاحظ فإنه كان إذا وقع في يده كتاب قرأه من أوله إلى آخره ، أي كتاب كان . وأما الفتح / بن خاقان ^(٣) فإنه كان يحمل الكتاب في خُفِّه ، فإذا قام بين يدي المتوكل للبول أو للصلاة أخرج الكتاب فنظر فيه وهو يعيش حتى يبالغ الموضع الذي يريده ، ثم يصنع مثل ذلك في رجوعه إلى أن يأخذ

(١) قال صاحب الخزائن (٤ : ١٧٤) : قول السيد المرتضى : إن لبيدا إنما قال أربعة وهم خمسة

لضرورة الشعر ؛ هذا قول انفراد ؛ وهو قول فارغ ؛ والصواب كما قال ابن عصفور في الضرائر : لم يقل إلا أربعة وهم خمسة على جهة الغلط ؛ وإنما قال ذلك لأن أباه كان قد مات وبقى أعمامه وهم أربعة .

(٢) في الأصل : « المدععة » ، وصوابه من ت ؛ وانظر الحاشية رقم ٢ ص ١٩١ ، من هذا الجزء .

(٣) هو الفتح بن خاقان وزير المتوكل ؛ قتل معه سنة ٢٧٤ ؛ (النجوم الزاهرة ٢ : ٣٢٥) .

مجلسه . وأما إسماعيل بن (١) إسحاق فإني مادخلتُ عليه قطُّ إلا وفي يده كتاب ينظر فيه ، أو يَلْبَسُ الكُتْبَ لطلب كتاب ينظر فيه .

قال البَلْخِيُّ : تفرّد الجاحظ بالقول بأن المعرفة طِبَاعٌ ، وهي مع ذلك فعل للعباد على الحقيقة ، وكان يقول في سائر الأفعال إنها تنسب إلى العباد على أنها وقعت منهم طباعاً ، وأنها وجبت بإرادتهم ، وليس بجائز أن يبلغ أحدٌ فلا يعرف الله تعالى ؛ والكفار عنده بين معانيدٍ ، وبين عارفٍ قد استغرقه حبه لمذهبه وشغفه به وإلفه وعصبيته ؛ فهو لا يشعر بما عنده من المعرفة بخلافه .

وكان الجاحظ ملازماً لمحمد بن عبد الملك الزيات (٢) ، وكان منحرفاً عن أحمد بن أبي دؤاد ، للعداوة التي كانت بين أحمد ومحمد ، فلما قبض على محمد بن عبد الملك الزيات هرب الجاحظ ، ف قيل له : لم هربت ؟ فقال : خِفْتُ أَنْ أَكُونَ ثَانِيَّ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي التَّنُورِ ! يريد : ما صُنِعَ ١٠ بمحمد بن عبد الملك من إدخاله تنوراً فيه مسامير ، كان هو صنعه ليعذب الناس فيه ، فعذب به حتى مات .

وروى أنه أتى بالجاحظ بعد موت ابن الزيات وفي عنقه سلسلة ، وهو مقيد في قيصٍ كَمَلٍ ، فلما نظر إليه ابن أبي دؤاد قال : والله ما علمتُك إلاّ متناسياً للنعمة ، كنفورا للصنعة ، معدناً للمساوىء ، وما فُتِنَنِي باستصلاحِي (٣) لك ، ولكنّ الأيام لا تُصلح منك ١٥ لفساد طويّتك ، ورداءة دَخِيلَتِكَ (٤) ، وسوء اختيارك ، وغالب طبعك ؛ فقال الجاحظ : خَفِضْ عَلَيْكَ أَيْدِكَ اللَّهُ ! فوالله لأنّ يكون لك الأمر على خيرٍ من أن يكون لي عليك ، ولأنّ أسيء وتُحسن أحسنُ في الأحدوثِ عنك من أن أحسن قُتْسِيء ، ولأنّ تعفوَ عني في حال قُدْرَتِكَ

(١) هو إسماعيل بن إسحاق القاضى البصرى الفقيه المالكي ؛ صنف في القراءات والفقه ؛ وكان إماماً في العربية ؛ قال المبرد : هو أعلم بالتصريف مني ؛ وتوفي سنة ٢٨٢ ؛ (شذرات الذهب ٢ : ١٧٨) .

(٢) هو محمد بن عبد الملك بن أبان ، المعروف بابن الزيات ؛ كان وزير المعتصم ، وله شعر سائر جيد ، وديوان رسائل ، وتوفي سنة ٢٣٣ ؛ (ابن خلكان ٢ : ٥٤) . (٣) حاشية الأصل :

« أي ما فوتني استصلاحك ، والباء للتعمية » . (٤) ت : « داخلتك » .

أَجْلُ بكَ مِنَ الْإِنْتِقَامِ مِنِّي ، فَقَالَ ابْنُ أَبِي دَوَادٍ : قَبِّحَكَ اللَّهُ ! فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُكَ إِلَّا كَثِيرَ تَرْوِيقِ اللِّسَانِ ، وَقَدْ جَعَلْتَ بَيَانَكَ أَمَامَ قَلْبِكَ ، ثُمَّ اضْطَغَنْتَ فِيهِ النِّفَاقَ وَالْكَفَرَ ؛ يَا غَلَامَ صِرْ بِهِ إِلَى الْحَمَامِ ، وَأَمِطْ عَنْهُ الْأَذَى . فَأَخَذَتْ عِنْدَ السَّلْسَلَةِ / وَالْقَيْدِ ، وَأَدْخَلَ الْحَمَامَ ، وَأَمِطْ عَنْهُ الْأَذَى ، وَحَمَلَ إِلَيْهِ تَحْتَ مِنْ ثِيَابٍ وَطَوِيلَةٍ وَخَفٍّ ، فَلَبِسَ ذَلِكَ ، ثُمَّ أَتَاهُ فَصَدَّرَهُ فِي مَجْلِسِهِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : هَاتِ الْآنَ حَدِيثَكَ يَا أَبَا عَثْمَانَ !

وَقَالَ الْمُبَرَّدُ : سَمِعْتُ الْجَاهِظَ يَقُولُ : احْذَرِ مَنْ تَأْمَنُ ؛ فَإِنَّكَ عَلَى حَذَرٍ مِنْ تَخَافِ .
وَقَالَ الْجَاهِظُ : قُلْتُ لِأَبِي يَعْقُوبَ الْخُرَيْمِيِّ الشَّاعِرِ : مَنْ خَلَقَ الْمَعَاصِيَ ؟ قَالَ : اللَّهُ ، قُلْتُ : مَنْ عَذَّبَ عَلَيْهَا ؟ قَالَ : اللَّهُ ، قُلْتُ : فَلَمْ ؟ قَالَ : لَا أَدْرِي وَاللَّهِ !
وَكَانَ الْجَاهِظُ يَقُولُ : يَنْبَغِي لِلْكَاتِبِ أَنْ يَكُونَ رَقِيقَ حَوَاشِي الْكَلَامِ ، عَذَبَ يَنْبِيعِهِ ، إِذَا حَاورَ سَدَّدَ سَهْمَ الصَّوَابِ إِلَى غَرَضِ الْمَعْنَى .

وَقَالَ : لَا تَكَلِّمُ الْعَامَّةَ بِكَلَامِ الْخَاصَّةِ ، وَلَا الْخَاصَّةَ بِكَلَامِ الْعَامَّةِ .
وَقَالَ سَوَّارُ بْنُ أَبِي شُرَاعَةَ : كُنْتُ عِنْدَ الْجَاهِظِ ، فَرَأَانِي أَكْتُبُ خَطًّا رَدِيئًا فِي وَرْقٍ رَدِيءٍ مُتَقَارِبِ السَّطُورِ ، فَقَالَ لِي : مَا أَحْسَبُكَ تَحِبُّ وَرَثَتَكَ ، فَقُلْتُ : وَكَيْفَ ذَاكَ ؟ قَالَ : لِأَنِّي أَرَاكَ تُسَيِّئُ بِهِمْ فِيمَا تَخْلُفُهُ !

وَذَكَرَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرَّدُ قَالَ : سَمِعْتُ الْجَاهِظَ يَقُولُ لِرَجُلٍ آذَاهُ : أَنْتَ وَاللَّهُ أَحْوَجُ إِلَى هَوَانٍ مِنْ كَرِيمٍ إِلَى إِكْرَامٍ ، وَمِنْ عِلْمٍ إِلَى عَمَلٍ ، وَمِنْ قُدْرَةٍ إِلَى عَفْوٍ ، وَمِنْ نِعْمَةٍ إِلَى شُكْرِ .

وَقَالَ الْمُبَرَّدُ قَالَ لِيَ الْجَاهِظُ يَوْمًا : أَتَعْرِفُ مِثْلَ قَوْلِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الْقَاسِمِ .
وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُؤْطِنُ نَفْسَهُ عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنْوِبُ
فَقُلْتُ : نَعَمْ ، قَوْلُ كَثِيرٍ ، وَمِنْهُ أَخَذَ :
فَقُلْتُ لَهَا يَا عَزُّ كُلُّ مُصِيبَةٍ إِذَا وُطِّنَتْ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتْ

وروى يموتُ بن المزرع لخاله عمرو بن بحر الجاحظ في الجَمَاز^(١) يهجوهُ :

نَسَبُ الْجَمَازِ مَقْصُورٌ إِلَيْهِ مُنْتَهَا
تَنْتَهَى الْأَحْسَابُ بِالنَّاسِ وَلَا تَمْدُو قَفَا
يَتَحَاجِي مَنْ أَبُو الْجَمَّازِ فِيهِ كَاتِبَاهُ
لَيْسَ يَدْرِي مَنْ أَبُو الْجَمَّازِ إِلَّا مَنْ يَرَاهُ

٥

/ أخبرنا المرزباني قال: أخبرنا علي بن هرون قال أنشدني وكيع قال أنشدني أبو العيناء [٦٤]
قال أنشدني الجاحظ لنفسه في الخطاب :

زُرْتُ فَتَاةً مِنْ بَنِي هِلَالٍ فَاسْتَعَجَلْتُ إِلَى السُّؤَالِ
مَالِي أَرَاكَ قَانِيَّ السَّبَالِ كَأَنَّمَا كَرَعْتُ فِي جِرْيَالِ^(٢)
مَا يَبْتَغِي مِثْلَكَ مِنْ أَمْثَالِي تَنْحَقُّ قُدَّامِي وَمِنْ حِيَالِي

١٠

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه: قوله : « كَأَنَّمَا كَرَعْتُ فِي جِرْيَالِ » مليح
قوى، ولا يشبه شعر الجاحظ لئنه وضعف كلامه .

وذكر أبو العيناء قال حدثني إبراهيم بن رباح قال أنشدني الجاحظ يمدحني :

بَدَا حِينَ أَثَرِي بِإِخْوَانِهِ فَقَلَّلَ عَنْهُمْ شِبَاةَ الْعَدَمِ
وَذَكَرَهُ الْحَزَمُ رَبِّبَ الزَّمَانِ فَبَادَرَ بِالْعُرْفِ قَبْلَ النَّدَمِ

١٥

قال إبراهيم : فذا كرتُ بهما أحمد بن أبي دؤاد فقال : قد أنشدنيهما يمدحني بهما ، ثم
لقيت محمد بن الجهم فقال : قد أنشدنيهما يمدحني بهما ، وقال يموت بن المزرع : سمعت خالي
الجاحظ يقول : لا أعرف شعراً يفضل قول أبي نواس :

(١) الجَمَاز ؛ لقب له ؛ ومعناه الرناب ؛ واسمه محمد بن عمرو بن عطاء ؛ شاعر أديب
بصري ؛ وكان ماجنا خبيث اللسان ذا نادرة ؛ وكان أكبر سنان من أبي نواس ؛ دخل بغداد في أيام المتوكل ؛
وقد أعجب به المتوكل يوماً فأمر له بمشرة آلاف درهم ؛ فأخذها وانحدر ، فأت فرحاً بها ؛ (تاريخ بغداد
٣ : ١٢٥-١٢٦) . (٢) السكرع : أن يشرب الرجل بفيه من النهر ، والجريال : صفوة الخمر .

وَدَارِ نَدَامَى عَطَّالُوهَا وَأَذَلَجُوا بِهَا أَثَرٌ مِنْهُمْ جَدِيدٌ وَدَارِسُ^(١)
 مَسَاحِيبُ مِنْ جَرِّ الزُّقَاقِ عَلَى التَّرَى وَأَضْعَافُ رِيحَانٍ : جَنِيٌّ وَبَابِسُ
 حَبَسْتُ بِهَا صَحْبِي فَجَدَدْتُ عَنْدهُمْ وَإِنِّي عَلَى أُمُثَالِ تِلْكَ لَحَابِسُ
 وَلَمْ أَدْرِ مَنْ هُمْ غَيْرَ مَا شَهِدْتُ بِهِ بَشَرَقِي سَابَاطَ الدِّيَارِ الْبَسَابِسُ^(٢)
 أَقَمْنَا بِهَا يَوْمًا وَيَوْمًا وَثَالِثًا وَيَوْمًا لَهُ يَوْمُ التَّرَحُّلِ خَامِسُ
 تَدَارُ عَلَيْنَا الرَّاحُ فِي عَسَجَدِيَّةٍ حَبَبَهَا بِأَنْوَاعِ التَّصَاوِيرِ فَارِسُ
 قَرَارَتِهَا كِسْرَى وَفِي جَنَابَتِهَا مَهًا تَدْرِيهَا بِالْقِسِيِّ الْفَوَارِسُ^(٣)
 / فَلَلْخَمْرِ مَا زُرْتُ عَلَيْهِ جُيُوبُهَا وَلِلْمَاءِ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْقَلَانِسُ
 [٦٥]
 قال الجاحظ : فأنشدتها أباشعيب القلال^(٤) فقال : يا أبا عثمان ، لو نُقِرَ هذا الشعر لطنَّ !

١٠ قلت : ويلك ! ما تفارق الجرار والحزف حيث كنت ! .

قال سيدنا أبيه الله : أخذ أبو نواس قوله :
 وَلَمْ أَدْرِ مَنْ هُمْ غَيْرَ مَا شَهِدْتُ بِهِ بَشَرَقِي سَابَاطَ الدِّيَارِ الْبَسَابِسُ
 من قول أبي خراش الهذلي :
 وَلَمْ أَدْرِ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِدَاءَهُ سَوَى^(٥) أَنَّهُ قَدْ سُلَّ عَنْ مَا جِدَّ مُحَضْ
 ١٥ ويقال إن أبا خراش أول من مدح من لا يعرفه ، وذلك أن خراش بن أبي خراش أسر
 هو وعروة بن مرة ، فطرح رجل من القوم رداءه على خراش حين شغل القوم بقتل عروة
 ونجّاه . فلما تفرغوا له قال : أفات مني ، ويقال : بل رآه في الأسر رجل من بني عمه ،
 فألقى عليه رداءه ليُجِيرَه به ، وقال له : النجاء ويلك ! فقال أبو خراش في ذلك :
 حَمِدْتُ الْإِلَهَ^(٦) بَعْدَ عُرْوَةِ إِذْ نَجَا خِرَاشٌ وَبَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

(١) ديوانه : ٢٩٥ ، والكامل - بشرح المرصفي ٥٤ : ٢ . (٢) البسابس : الخوالى ، وساباط : موضع

ببلاد فارس . (٣) تدرجها : تختلها . (٤) حاشية ت : « أبو شعيب هذا صقر بن عبد الرحمن القلال » .

(٥) ت : « ولكنه » . (٦) الأبيات من قصيدة في (ديوان الهذليين ٢ : ١٥٧ - ١٥٨)

وأما الفال ١ : ٢٧١ ، ديوان الحماسة ٢ : ٢٨٠ - ٢٨٤ ، والشعر والشعراء ٦٤٧ - ٦٤٨) .

(٧) من نسخة بحاشية ت : « إلهي » .

فَاقْسَمْتُ لَا أَنْسَى قَتِيلًا رُزِئَتْهُ
بِجَانِبِ قَوْسِي ^(١) مَا مَشَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ
عَلَى أَنَّهَا تَعْفُو الْكُلُومُ وَإِنَّمَا
نَوَكَّلُ بِالْأَذْنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَخْفَى
وَلَمْ أَدْرِ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِذَاءَهُ
سِوَى أَنَّهُ قَدْ سُلَّ عَنْ مَا جِدَّ يَحْضُرُ

وأخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال حدثني إبراهيم بن محمد بن شهاب قال
حدثنا أبو الحسن أحمد بن عمر البردعي المتكلم قال : صِرْتُ إِلَى مَنْزِلِ الْجَاهِظِ فِي أَوَّلِ ٥
مَاقِدِمَتُ مِنْ بَلَدِي ، وَقَدْ اعْتَلَّ عِلَّتَهُ الَّتِي فُلِجَ فِيهَا ، فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ ، فَخَرَجَ إِلَى خَارِجٍ مِنْ
مَنْزِلِهِ ، فَقَالَ لِي : يَقُولُ لَكَ : وَمَا تَصْنَعُ بِشِقِّ مَائِلٍ ، وَلَعَابِ سَائِلٍ ! فَانصرفت عنه .

وذكر يموت بن المزرع قال : وَجَّهَ الْمُتَوَكِّلُ فِي السَّنَةِ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا أَنْ يُجْمَلَ إِلَيْهِ الْجَاهِظُ
مِنَ الْبَصْرَةِ ، وَسَأَلَهُ الْفَتْحُ ذَلِكَ ، فَوَجَدَهُ لَا فَضْلَ فِيهِ ^(٢) ، فَقَالَ لِمَنْ أَرَادَ حَمْلَهُ : وَمَا تَصْنَعُ بِأَمْرِي
أَيْسَ بَطَائِلٍ ، ذِي شِقِّ / مَائِلٍ ، وَلَعَابِ سَائِلٍ ، وَفَرَجِ بَائِلٍ ، وَعَقْلِ زَائِلٍ ، وَلَوْنِ حَائِلٍ ! . [٦٠]
ظ

وذكر المبرد قال : سَمِعْتُ الْجَاهِظَ يَقُولُ : أَنَا مِنْ جَانِبِي الْأَيْسَرِ مَفْلُوجٌ ، فَلَوْ قَرِضَ
بِالْمَقَارِيزِ مَا عَلِمْتُ ، وَمِنْ جَانِبِي الْأَيْمَنِ مُنْقَرَسٌ ، فَلَوْ مَرَّ بِهِ الذَّبَابُ لَأَلَمْتُ ، وَبِي حِصَاةٌ
لَا يَنْسِرُحُ لِي الْبُولُ مَعَهَا ، وَأَشَدُّ مَا عَلَيَّ سِتٌّ وَتَسْعُونَ !

وقال يوماً لمتطبيب يشكو إليه عاتته : قَدْ اصْطَلَحَتْ الْأَضْدَادُ إِلَى جَسَدِي ، إِنْ أَكَلَتْ
بَارِدًا أَخَذَ بَرَجْلِي ، وَإِنْ أَكَلَتْ حَارًّا أَخَذَ بِرَأْسِي . وَتَوَفَّى فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ . ١٥

(١) كَذَا ضَبَطَ فِي ت ؛ بِضَمِّ الْقَافِ وَفَتْحِ السِّينِ ؛ وَضَبَطَ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ بِفَتْحِ الْقَافِ وَسُكُونِ
الْوَاوِ ؛ وَزَانَ « سَكْرِي » ، وَهِيَ بِلَدٍ بِالسَّرَاةِ .

(٢) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ : « مِنْ نَسْخَةٍ » : « لِأَفْضَلِ عِنْدَهُ » .

مَجْلَدٌ آخَرُ تَأْوِيلُ آيَةٍ

٥ إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ ، وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ، وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ؛ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ ؛ [البقرة : ١٧٧] .

فقال : كيف ينبغي كَوْنُ تولية الوجوه إلى الجهات من البرِّ ، وإنما يفعل ذلك في الصلاة ، وهي برٌّ لا محالة ؟ وكيف خبر عن البرِّ «بِمَنْ» والبرُّ كالصدر ، و«مَنْ» اسم محض ؟ وعن أيِّ شيء كُنِيَ بالهاء في قوله تعالى : ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾ ؛ وما المخصوصُ بأنها كناية عنه وقد تقدمت أشياء كثيرة ؟ وعلى أيِّ شيء ارتفع ﴿الْمُوفُونَ﴾ ؟ وكيف نَصَبَ ﴿الصَّابِرِينَ﴾ ، وهم معطوفون على الموفين ؟ وكيف وحَّد الكناية في مواضع وجمَّعها في آخر ؟ فقال : ﴿مَنْ آمَنَ﴾ و ﴿آتَى الْمَالَ﴾ و ﴿أَقَامَ الصَّلَاةَ﴾ ، ثم قال : ﴿وَالْمُوفُونَ﴾ ، و ﴿الصَّابِرِينَ﴾ ؟ .

يقال له : فيما ذكرته أولاً جوابان :

١٥ أحدهما أنه أراد تعالى : ليس الصلاة هي البرُّ كلُّه ؛ لكنه ماغدد في الآية من ضروب الطاعات وصنوف الواجبات ، فلا تظنوا أنكم إذا توجهتم إلى الجهات بصلاتكم ، فقد أحرزتم البرَّ بأسره ، وحزتموه بكماله ، بل يبق عليكم بعد ذلك معظمه وأكثره . والجواب الثاني أن النصاري لما توجهوا إلى المشرق ، واليهود إلى بيت المقدس ، واتخذوا

هانين الجبهتين قباتين ، واعتقدوا في الصلاة إليهما أنهما / برّ وطاعة خلافاً على الرسول صلى [٦٦]
الله عليه وآله أ كذبهم الله تعالى في ذلك ، وبَيَّن أن ذلك ليس من البر ، إذ كان منسوخاً^١
بشرية النبي صلى الله عليه وآله؛ التي تلزم الأسود والأبيض ، والعربي والعجمي ، وأن البرّ
هو ما تضمنته الآية .

٥ فأما إخباره «بمن» ففيه وجوه ثلاثة :
أولها أن يكون معنى «البرّ» ههنا البارّ وذا البرّ ، وجعل أحدهما في مكان الآخر؛ والتقدير:
ولكن البارّ مَنْ آمَن بالله؛ ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ
غَوْرًا ﴾ [الملك : ٣٠] ، يريد غائراً ، ومثل قول الشاعر :

تَرَ تَعْمَارَ تَعَتْ حَتَّى إِذَا دَا دَّ كَرَتْ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِذْبَارُ^(١)

١٠ أراد أنها مقبلة مدبرة ، ومثله :

تَظَلُّ جِيَادُهُمْ نَوْحًا عَلَيْهِمْ مُقْلَدَةً أَعْمَتَهَا صُفُونَا^(٢)

أراد نائحة عليهم ، ومثله قول الشاعر :

هَرَبِيْقِي مِنْ دُمُوعِهِمَا سِجَامًا ضُبَاعَ^(٣) وَجَاوِي نَوْحًا قِيَامًا

والوجه الثاني أن العرب قد تُخْبِر عن الاسم بالمصدر والفعل ، وعن المصدر بالاسم ،

فأما إخبارهم عن المصدر بالاسم فقوله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾ ، وقول ١٥
العرب : إنما البرّ الذي يصل الرحمَ ويفعل كذا وكذا ، وأما إخبارهم عن الاسم بالمصدر
والفعل فمثل قول الشاعر :

لَعَمْرُكَ مَا الْفِتْيَانُ أَنْ تَنْبِتَ اللَّحَى وَلَكِنَّمَا الْفِتْيَانُ كُلُّ فِتْيٍ نَدٍ^(٤)

(١) البيت للخنساء ؛ ديوانها : ٧٨ ، والكمال - بشرح الرصافي ٨ : ١٧٦ ، واللسان ١٩ :

١٣٥ ، وتاج العروس ٨ : ٧٣ ، وخزانة الأدب ١ : ١٣٨ ، وهو في وصف بقرة وحشية ، وقبلة :

فما عجول على بَوِّ تَطْيِيفُ بِهِ لَهَا حَنِينَانِ إِصْفَارُهُ وَإِكْبَارُهُ

(٢) البيت لعمر بن كلثوم ؛ من المعنقة - بشرح التبريزي : ٢١٧ ؛ وانظر ص ١٠٥ من هذا الجزء .

(٣) ضباع : اسم امرأة ؛ وأصله : « ضباغة » . (٤) في حاشيتي الأصل ، ف : « مقرر =

تَجَمَّلَ « أَنْ تَنْبَتَ » وهو مصدر خبراً عن الفتیان .

والوجه الثالث أن يكون المعنى : ولكن البرَّ برٌّ مَنْ آمَنَ ؛ فحذف البرَّ الثاني ، وأقام
« مَنْ » مقامه ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَأَشْرُ بُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾ ؛ [البقرة : ٨٣] ، أراد :
حبَّ العجل ، قال الشاعر :

وكيفَ تَوَاصِلُ مَنْ أَصْبَحَتْ خَلَاتُهُ كَأَنِّي مَرَّ حَبٍّ (١)

أراد : كخلالة أبي مرَّ حَبٍّ ؛ وقال النابغة :

[٦٦] / وَقَدْ خِفْتُ حَتَّى مَا تَزِيدُ مَخَافَتِي عَلَى وَعِلٍّ فِي ذِي الْمَطَارَةِ عَاقِلٍ (٢)

أراد على مخافة وَعِلٍّ . وتقول العرب : بنو فلان يطوُّهم الطريق ، أى أهل الطريق .
وحكى عن بعضهم : أطيبُ الناس الزُّبْدُ ، أى أطيبُ ما يأكلُ (٣) الناس الزُّبْدُ ، وكذلك
١٠ قولهم : حَسِبْتُ صَبَاحِي زَيْدًا ، أى صَبَاحَ زَيْدٍ ، وروى عن ابن عباس فى قوله تعالى :
﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ﴾ ؛ [النور : ٦١] ، أى ليس على مَنْ أَكَلَ مع الأعمى حرج ،
وفى قوله تعالى : ﴿ رَأَيْتُمْ كَيْفَ كَلَّمَهُمْ ﴾ ، [الكهف : ٢٢] ، وذكروا أنه كان راعياً تَبِعَهُمْ .
فأما مَنْ كنى عنه بالهاء فى قوله تعالى : ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى ﴾ ففيه
وجوه أربعة :

== فى الصناعة أن يكون المبتدأ والخبر هو هو ؛ أو ما يقوم مقام ذلك ويمجرى مجراه ؛ وهو احتراز من قولك
مثلاً : أبو يوسف أبو حنيفة ؛ يعنى يقوم مقامه ؛ فإذا كان كذلك فالواجب أن يكون الجزءان من المبتدأ
والخبر جشئين أو حديثين ؛ حتى لا ينخرم هذا الأصل الذى أصلوه ؛ فإذا وجدت شيئاً من ذلك قد اختلف
فإنما هو على ضرب من الاحتمال والحجاز ؛ كهولك : الهلال الليلة ؛ لأن التقدير حدوث الهلال الليلة ؛ كأن
التقدير : حدوث الهلال وقع الليلة ؛ فالواقع هو الحدوث ، والحدوث هو الواقع . والبيت المستشهد به ،
التقدير فيه : لمرك مافتوة الفتیان ، فحذف المضاف وأقام المضاف مقامه ، والتقدير : مافتوة الفتیان نبتة
البحى . (١) خللته : مودته ، وأبو مرَّحِب كناية عن الظل ، والبيت للنايفة الجمعدى ، وقبله :

وبعضُ الأخلاءِ عندَ البلاءِ والرُّزْءِ أروغُ من ثعلبٍ

وانظر اللسان (رحب) . (٢) ديوانه : ٦٤ ، ومعجم البلدان ٨ : ٨٤ . وذو المطارة :

اسم جبل ؛ وعاقِل : متحصن ، وفى حواشى الأصل ، ت ، ف : « يمكن أن تجعل « ما » فى البيت زيادة ،
والتقدير : حتى تزيد : ويمكن أن يكون على القلب ؛ أى ما تزيد مخافة وعِل على مخافتي ؛ وهو كثير ،
والوعِل : الضأن الوحشى . (٣) حاشية ت (من نسخة) : « ما أكل الناس » .

أولها: أن تكون الهاء راجعةً على المال الذي تقدم ذكره ، ويكون المعنى : وآتى المال على حبّ المال ، وأضيف الحب إلى المفعول ، ولم يذكر الفاعل : كما يقول للقائل : اشتريت طعامي كاشتراء طعامك ، والمعنى كاشتراكك طعامك .

والوجه الثاني أن تكون الهاء راجعةً إلى ﴿ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾ ، فيكون المصدر مضافاً إلى

الفاعل ، ولم يذكر المفعول لظهور المعنى ووضوحه .

والوجه الثالث أن ترجع الهاء إلى الإيتاء الذي دلّ ﴿ آتَى ﴾ عليه ، والمعنى : وأعطى

المال على حبّ الإعطاء ، ويجرى ذلك مجرى قول القطامي :

هُمْ الْمُؤُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُؤُوكِ لَهُمْ ^(١) وَالْآخِذُونَ بِهِ وَالسَّاسَةُ الْأُولُ ^(٢)

فكّنى بالهاء عن الملك ، لدلالة قوله : « المؤوك » عليه ، ومثله قول الشاعر :

إِذَا نَهَى السَّفِيهُ جَرَى إِلَيْهِ وَخَالَفَ وَالسَّفِيهُ إِلَى خِلَافٍ ^(٣)

أراد : جرى إلى السّفه الذي دلّ ذكر السّفه عليه .

والوجه الرابع: أن تكون الهاء ترجع إلى الله تعالى ؛ لأن ذكره تعالى قد تقدم ، فيكون

المعنى : وآتى المال على حبّ الله ذوى القربى واليتامى . فإن قيل : فأى فائدة فى ذلك ، وقد علمنا

الفائدة فى إيتاء المال مع محبته والضنّ به ، وأن العطية تكون أشرف وأمدح ، فما الفائدة

فيما ذكرتموه ؟ وما معنى محبة الله ، والمحبة عندهم هى الإرادة ، والتقديم تعالى لا يصح أن

يراد ؟ .

قلنا : أما المحبة عندنا فهى الإرادة ، إلا أنهم يستعملونها كثيراً مع حذف متعلقها مجازاً

[٦٧]

وتوسماً ، فيقولون : فلان يحب زيدا ، إذا أراد منافعته ، ولا يقولون : زيد / يريد عمراً ؛ بمعنى

(١) حاشية ت (من نسخة) : « هم » . (٢) جهرة الأشعار : ٣١٦ ؛ وهو آخر قصيدته

التي مطلعها :

إِنَّا مَحْيُوكَ فَاسْلَمَ أَشْهَاءُ الطَّلَلِ وَإِنْ بَلَيْتَ وَإِنْ طَالَتْ بِكَ الطُّوَلُ

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « الخلاف » . وحاشية الأصل (من نسخة) : « اختلاف » .

أنه يريد منافعه ، لأن التعارف جرى في استعمال الحذف والاختصار في المحبة دون الإرادة ، وإن كان المعنى واحداً .

وقد ذكر أن لقولهم: زيد يحب عمراً مزيةً على قولهم: يريد منافعه، لأن اللفظ الأول ينبيء عن أنه لا يريد إلا منافعه ، وأنه لا يريد شيئاً من مضاره ، والثاني لا يدل على ذلك ، فخصت له مزية ؛ وعلى هذا المعنى نصف الله تعالى بأنه يحب أوليائه والمؤمنين من عباده ؛ والمعنى فيه أنه يريد لهم ضروب الخير ، من التعظيم والإجلال والنعم ؛ فأما وصف أحدنا بأنه يحب الله تعالى فالمعنى فيه أنه يريد تعظيمه وعبادته والقيام بطاعته ، ولا يصح المعنى الذي ذكرناه في محبة العباد بعضهم بعضاً ؛ لاستحالة النافع عليه . ومن جوز عليه تعالى الانتفاع لا يصح أيضاً أن يكون محباً له على هذا المعنى ، لأنه باعتقاده ذلك قد خرج من أن يكون عارفاً به ، فمحبتته في الحقيقة لا تتعلق به ولا تتوجه إليه ؛ كما تقول في أصحاب التشبيه : إنهم إذا عبدوا من اعتقدوه إلها فقد عبدوا غير الله تعالى .

فأما الفائدة في إعطاء المال مع محبة الله تعالى فهي ظاهرة ؛ لأن إعطاء المال متى قارنته إرادة وجه الله وعبادته وطاعته استحق به الثواب ، ومتى لم يقترن به ذلك لم يستحق الفاعل به ثواباً ، وكان ضائعاً . وتأثير ما ذكرناه أبلغ من تأثير حب المال والضمن به ؛ لأن المحب للمال / الضنين به متى بذله وأعطاه ، ولم يقصد به الطاعة والعبادة والقربة لم يستحق به شيئاً من الثواب ؛ وإنما يؤثر حبه للمال في زيادة الثواب ؛ متى حصل ما ذكرناه من قصد القربة والعبادة ، ولو تقرب بالعطية ، وهو غير ضنين بالمال ، ولا محب له لاستحق الثواب . وهذا الوجه لم نسبق ^(١) إليه في هذه الآية ، وهو أحسن ما قيل فيها .

وقد ذكر وجه آخر ؛ وهو أن تكون الهاء راجعةً إلى ﴿ مَنْ آمَنَ ﴾ أيضاً ، وينتصب ذوى القربى بالحب ، ولا يجمل « لآتى » منصوباً لوضوح المعنى ، ويكون تقدير الكلام : وأعطى المال في حال ^(٢) حبه ذوى القربى واليتامى ، على محبته أيامهم ؛ وهذا الوجه ليس فيه

(١) حاشية ت (من نسخة) : « لم يسبق » . (٢) ت « على حبه » ، وفي حاشية ت أيضاً

(من نسخة) : « على حال حبه » .

مَزِيَّةٌ فِي بَابِ رَجُوعِ الْهَاءِ الَّتِي وَقَعَ عَنْهَا^(١) السُّؤَالُ ، وَإِنَّمَا يَتَبَيَّنُ مِمَّا تَقْدِمُ بِتَقْدِيرِ انْتِصَابِ ذَوِي الْقُرْبَى بِالْحُبِّ ، وَذَلِكَ غَيْرَ مَا وَقَعَ السُّؤَالُ عَنْهُ ؛ وَالْأَجُوبَةُ الْأُولَى أَقْوَى وَأُولَى .

فَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَالْمُؤْفُونِ﴾ ، فِي رَفْعِهِ وَجْهَانِ :
أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ مَرْفُوعًا عَلَى الْمَدْحِ ؛ لِأَنَّ النِّعْتَ إِذَا طَالَ وَكَثُرَ رُفِعَ بَعْضُهُ ، وَنُصِبَ بَعْضُهُ عَلَى الْمَدْحِ ؛ وَيَكُونُ الْمَعْنَى : وَهُمْ الْمُؤْفُونُ بِمَهْدِهِمْ ، قَالَ الرَّجَّازُ : وَهَذَا أَجُودُ الْوَجْهَيْنِ . ٥
وَالْوَجْهُ الْآخَرُ أَنْ يَكُونَ مَعْطُوفًا عَلَى ﴿مَنْ آمَنَ﴾ ، وَيَكُونُ الْمَعْنَى : وَلَكِنَّ ذَا الْبِرِّ وَذَوِي الْبِرِّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْفُونُ بِمَهْدِهِمْ .

فَأَمَّا نَصْبُ ﴿الصَّابِرِينَ﴾ فَفِيهِ وَجْهَانِ :
أَحَدُهُمَا الْمَدْحُ ، لِأَنَّ مَذْهَبَهُمْ فِي الصِّفَاتِ وَالنِّعَمَاتِ إِذَا طَالَ أَنْ يَعْتَرِضُوا بَيْنَهَا^(٢) بِالْمَدْحِ أَوِ الذَّمِّ ، لِيُمَيِّزُوا الْمَدْحَ أَوِ الذَّمَّ وَيُفَرِّدُوهُ ، فَيَكُونُ غَيْرَ مُتَّبِعٍ لِأَوَّلِ الْكَلَامِ ؛ مِنْ ذَلِكَ ١٠
قَوْلُ الْخَرِيقِ بِنْتِ بَدْرِ بْنِ هِشَامٍ :

لَا يَبْعَدُنْ قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ سَمُّ الْعَدَاةِ وَآفَةُ الْجُزْرِ^(٣)
النَّازِلِينَ بِكُلِّ مُعْتَرِكٍ وَالطَّيِّبِينَ مَعَاقِدَ الْأُزْرِ

فَنَصَبْتُ ذَلِكَ عَلَى الْمَدْحِ ، وَرَبَّمَا رَفَعُوها جَمِيعًا ، عَلَى أَنْ يَتَّبِعَ آخِرُ الْكَلَامِ أَوَّلَهُ ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْصِبُ « النَّازِلِينَ » وَيَرْفَعُ « الطَّيِّبِينَ » ، وَآخَرُونَ يَرْفَعُونَ « النَّازِلِينَ » وَيَنْصَبُونَ ١٥
« الطَّيِّبِينَ » ؛ وَالْوَجْهُ فِي النِّصْبِ وَالرَّفْعِ مَا ذَكَرْنَاهُ ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ ، أَنْشَدَهُ الْفَرَّاءُ :

إِلَى الْمَلِكِ الْقَرْمِ وَابْنِ الْهَمَامِ وَلَيْثَ الْكُتَيْبَةِ فِي الزُّدْحَمِ
وَذَا الرَّأْيِ حِينَ تَغْمُ الْأُمُورُ بِذَاتِ الصَّلِيلِ وَذَاتِ اللَّجْمِ

فَنَصَبَ « لَيْثَ الْكُتَيْبَةِ وَذَا الرَّأْيِ » عَلَى الْمَدْحِ . وَأَنْشَدَ الْفَرَّاءُ أَيْضًا :

(١) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « عنها » .

(٢) ش ، حاشية ت (من نسخة) : « فيها » . (٣) ديوانها : ١٢ ، والآلي : ٤٨ ، ٥ .

وفوائد أبي زيد ١٠٨ ، والكامل — بشرح المرصفي ٦ : ١٥٨ .

فَلَيْتَ الَّتِي فِيهَا النُّجُومُ تَوَاضَعَتْ عَلَى كُلِّ غَثٍّ مِنْهُمْ وَسَمِينٍ
غُيُوثُ الْحَيَا فِي كُلِّ مَحَلٍّ وَلَزِيَّةٍ أَسُودُ الشَّرَى يَحْمُيْنَ كُلَّ عَرَبِينَ^(١)

ومما نصب على الذم قوله :

سَقَوْنِي الْخَمَرَ ثُمَّ تَكَنَّفُونِي عُدَاةَ اللَّهِ مِنْ كَذِبٍ وَزُورٍ^(٢)

و الوجه الآخر في نصب : ﴿ الصَّابِرِينَ ﴾ أن يكون معطوفاً على ذوى القربى ، ويكون
[٦٨] المعنى : وآتى المال على / حبة ذوى القربى والصابرين ؛ قال الزجاج : وهذا لا يصلح إلا أن
يكون ﴿ والموفون ﴾ رفيع^(٣) على المدح للمضمرين ، لأن ما في الصلة لا يعطف عليه بعد العطف
على الموصول ، وكان يقوى الوجه الأول .

وأما توحيد الذِّكْر في موضع وجمعه في آخر ؛ فَلِأَنَّ ﴿ مَنْ آمَنَ ﴾ لفظه لفظ
١٠ الوَحْدَةِ ، وإن كان في المعنى للجميع^(٤) فالذِّكْر الذى أتى بعده موحّداً أُجْرِىَ على اللفظ ،
وما جاء من الوصف بعد ذلك على سبيل الجمع مثل قوله تعالى : ﴿ وَالْمُؤْفُونَ ﴾ ، ﴿ وَالصَّابِرِينَ ﴾
فعلى المعنى .

وقد اختلفت قراءة القرّاء^(٥) السبعة في رفع الراء ونصبها من قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ
الْبِرُّ ﴾ ، فقرأ حمزة وعاصم في رواية حفص ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ ﴾ بنصب الراء ، وروى هُبَيْرَةُ عَنْ
١٥ حفص عن عاصم أنه كان يقرأ بالنصب والرفع ، وقرأ الباقر بالرفع ، والوجهان جميعاً
حسنان ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الاسْمَيْنِ : اسم ليس وخبرها معرفة ، فإذا اجتمعا في التعريف

(١) اللزبة : الشدة ، والشرى : مأسدة بناحية الفرات . (٢) البيت لعروة بن الورد ،
ديوانه : ٤٨ ؛ وهو في (الكتاب ١ : ٢٥٢) ؛ من أبيات يصف فيها ما كان من فعل قوم امرأته
حين احتالوا عليه وسقوه الخمر ؛ حتى أجابهم إلى مفاداتها ؛ وكانت سبية عنده ؛ (وانظر الخبر والأبيات
في الأغاني ٣ : ٧٥ - ٧٧ - طبعة دار الكتب المصرية) . (٣) ش ، وحاشية ت (من نسخة)
« رفعا » . (٤) من نسخة بحاشيتي ت ، الأصل : « للجميع » .
(٥) ت : « القراءة » .

تكافأ في جواز كون أحدهما اسماً والآخر خبراً ؛ كما تكافأ النكرات ^(١) .
وحجة من رفع « البر » أنه : لأن يكون « البر » ^(٢) الفاعل أولى ؛ لأنه ليس يشبه الفعل ،
وكون الفاعل بعد الفعل أولى من كون المفعول بعده ؛ ألا ترى أنك إذا قلت : قام زيد ، فإن
الاسم يلي الفعل . وتقول : ضرب غلامه زيد ، فيكون التقدير في الغلام التأخير ، فلولا أن
الفاعل أخص بهذا الموضع لم يجوز هذا ؛ كما لم يجوز في الفاعل : ضرب غلامه زيداً ، حيث لم يجوز
في الفاعل تقدير التأخير ؛ كما جاز في المفعول به ، لوقوع الفاعل موقعه المختص به .

وحجة من نصب « البر » أن يقول : كون الاسم أن وصلتها أولى لشبهها بالمضمر في أنها
لا توصف ، كما لا يوصف المضمر ؛ فكأنه اجتمع مضمر ومظهر ؛ والأولى إذا اجتمعا أن
يكون المضمر الاسم من حيث كان أذهب في الاختصاص من المظهر .

حدثنا أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى بن جنيقا الدقاق قال أخبرنا أبو عبد الله ١٠
محمد بن أحد الحكيم الكاتب قراءة عليه قال أُملي علينا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوي
ثعلب قال أخبرنا ابن الأعرابي قال قال ابن الكلبي : لما كان بعد يوم الهباءة جاوز قيس
ابن زهير النمر بن قاسط فقال لهم : إني / قد جاورتكم واخترتكم ، فزوجوني امرأة قد [٦٨]
أدبها الغنى ، وأذلها الفقر ، في حسب وجمال ؛ فزوجوه ظبية بنت الكيس النمرى . وقال
لهم : إن في خلافاً ثلاثاً ؛ إني غيورٌ ، وإني فخورٌ ، وإني أنفٌ ، ولست أفخر حتى أبداً ، ١٥
ولا أغار حتى أرى ، ولا آنف حتى أظلم .

فأقام فيهم حتى ولد له ، فلما أراد الرحيل عنهم قال : إني موصيكم بخصال ، وناهيكم
عن خصال ؛ عليكم بالأناة ، فإن بها ثنال الفرصة ، وتسويد من لاتعابون بتسويده ، وعليكم
بالوفاء ؛ فإن به يعيش الناس ، وبإعطاء من تريدون إعطاءه قبل المسألة ، ومنع من تريدون

(١) حاشية ت : « لا يجوز أن يكون اسم ليس وخبرها نكرتين ؛ فلا أدري كيف يتكافأان !
ولله يريد التكافؤ في غير هذا الموضع » . (٢) ت : « الاسم » .

منعه قبل الإلحاح ، وإجارة الجار على الدهر ، وتنقيس المنازل عن بيوت الأياحي (١) ، وخطب الضيف بالعيال ؛ وأنها كم عن الرّهان ؛ فإن (٢) به تَكَلَّتْ مالكاً أخى ، والبغى ، فإنه قتل زهيراً أبى ، وعن الإعطاء فى الفضول فتمجزوا عن الحقوق ، وعن الإسراف فى الدماء ، فإن يوم الهباءة الرمنى العارحقه ، ومنع (٣) الحُرْمَ إلّا من الأُ كفاء ؛ فإن لم تصيبوا لها (٤) الأ كفاء فإن خيرَ مناكها القبور ، أو خيرَ منازلها ؛ واعلموا إني كنت ظالماً مظلوماً ؛ ظلمنى بنو بدر بقتلهم مالكاً أخى ، وظلمتهم بأن قتل من لا ذنب له .

قال سيدنا المرتضى أدام الله علوه : أما قوله : « أنها كم عن الرّهان » فأراد المراهنة فى سباق الخيل ، وذلك أن قيس بن زهير راهن خديفة بن بدر الفزارى على فرسيه : داحس والغبراء ، وفرسى خديفة : الخطار والحنفاء - وقال بعض بنى فزارة : بل قرزل والحنفاء - ١٠ وكان قيس كارهاً لذلك ؛ وإنما هاجه بينهما بعض بنى عبد الله بن غطفان - وقيل : بل رجل من بنى عبس - والخبر فى شرح ذلك مشهور (٥) ؛ ثم وقع الانفاق على السباق ، وجعلوا الغاية من واردات (٦) إلى ذات الإصا (٧) ، وجعلوا التّصبة (٨) فى يد رجل من بنى ثعلبة بن سعد ، يقال له حصين ، وبدر رجل من بنى المُشراء من بنى فزارة ، وملئوا الرّكة ماءً ، وجعلوا السابق أول الخيل يكرع فيها . ثم إن خديفة بن بدر وقيس بن زهير أتيا المدى الذى أرسلت الخيل منه (٩) ينظران إليها وإلى خروجها ؛ فلما أرسلت عارضها ، فقال خديفة : خدعتك

(١) حاشية ت (من نسخة) : « اليناى » . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « فإنى » .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « وعليكم بمنع الحرم » . (٤) حاشية ت (من نسخة)

« لهن » . (٥) هو خبر الحرب المعروفة بحرب داحس والغبراء ؛ وهى تشمل يوم المريقب ، ويوم

ذى حسا ، ويوم اليمرية ، ويوم الهباءة ، ويوم الفروق ، ويوم قطن ، ويوم غدير قلهى ، وانظر تفصيل

الحرب وما قيل فيه من الشعر فى (العقد ٥ : ١٥٠ - ١٦٠ ، والأغانى ١٦ : ٢٣ - ٣٢ ، وسيرة ابن هشام

١ : ٣٠٦ - ٣٠٨ ، وشرح ديوان الحماسة للتبريزى ١ - ٣٩٧ - ٣٩٨ ، ٣ : ٣٤ - ٤٢ ، وابن الأثير ١ : ٣٤٣ - ٣٥٥ ، وجمع الأمثال ٢ : ٥١ - ٦١ ، وشرح العيون ٨٩ - ٩١ ، ومعجم البلدان - إصاد ، هباءة ،

وشرح القلائض ٨٣ - ١٠٨) . (٦) واردات : موضع عن يسار طريق مكة . (٧) ذات الإصا : ردهة فى

ديار عبس . (٨) حاشية ت (من نسخة) : « الفضية » وهو تحريف (١) حاشية الأصل (من نسخة) : « فيه » .

ياقيس ، فقال قيس : « تَرَكَ الخِدَاعَ مَنْ أَجْرَى مِنْ مائة » ؛ يعنى من مائة غلوة ، فأرسلها مثلاً ، ثم / ركضاً ساعة ، فجعات خيلٌ حذيفةً تتقدم خيلَ قيس ، فقال حذيفة : « سَبَقَتْ [٦٩] يا قيس ؛ فقال قيس : « جَرَى المذَكِّيَّاتِ غلاب » ، فأرسلها مثلاً - والمذَكِّيَّاتِ : المسانُ من الخيل (١) - وروى : « غلاب » كما يُتَغَالَى (٢) بالفبيل . ثم ركضاً ساعة ، فقال حذيفة : « إنك لا تركضُ مَرَكِضًا ، سَبَقَتْ خيلُك ؛ فقال قيس : « رُوْبِدَ يعلون الجَدَد » ، فأرسلها مثلاً ٥ وروى : « يَمْدُون الجَدَد » ، أى يَمْدُونُ الجَدَدَ إلى الوَعَث (٣) .

وقد كان بنو فزارة أكرموا بالثنية كيماً لينظروا ؛ فإن جاء داحسٌ سابقاً أمسكوه وصدّوه عن الغاية ؛ فجاء داحسٌ سابقاً ، فأمسكوه ، ولم يعرفوا الغبراء ، وهى خلفه مصلية حتى مضت الخيلُ ، وأسبّات من الثنية ، ثم أرسلوه فتمطّر (٤) فى آثارها ، فجعل يندرها (٥) فرساً فرساً ، حتى انتهى إلى الغاية مصلياً (٦) ، وقد طرّح الخيلَ غيرَ الغبراء ، ولو تباعدت ١٠ الغايةُ سَبَقَهَا (٧) . فاستقبلتها بنو فزارة فاطمعوها ، ثم حلّوها (٨) عن البركة ، ثم لطموا داحساً ، وقد جاء متوالين ، ثم جاء حذيفة وقيس فى آخر الناس ، وقد دفعهم بنو فزارة عن سبقهم ، ولطموا فرسهم (٩) ، وجرى من الخلف فى أخذ سبق ماقد شرحته الرواة . وقد قيل فى بعض الروايات : إن الرهان والسبق (١٠) كان بين سَحل بن بدر وبين قيس ، وفى ذلك يقول قيس :

(١) أى أن المذكى يغالب مجاريه فيغلبه لقوته ، وفى مجمع الأمثال (١ : ١٤٤) : « يجوز أن يراد أن ثانى جريه أبداً أكثر من بادية وثالثه أكثر من ثانيه ؛ فسكانه يغالب بالثانى الأول والثالث الثانى ؛ فجريه أبداً غلاب » . (٢) حاشية الأصل : « الماء : الرى فى الهواء » .

(٣) الجدد : الأرض الصلبة ، والوعث : السهلة . (٤) يقال : تمطرت الخيل إذا ذهبت مسرعة .

(٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « يندرها » ، أى يسقطها .

(٦) المصلى من الخيل : التالى للسابق . (٧) ت : « لسبقها » .

(٨) حلّوها عن البركة ؛ أى منعوها من ورد الماء . (٩) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت :

« فرسيهما » . (١٠) ش ، ونسخة بحاشية الأصل : « السابق » .

كَمَا لَاقَيْتُ مِنْ حَمَلِ بْنِ بَدْرِ وَإِخْوَتِهِ عَلَى ذَاتِ الْإِصَادِ
هُمْ فَخَرُّوا عَلَى بَغِيرِ فَخْرٍ وَرَدُّوا دُونَ غَايَتِهِ جَوَادِي
وَقَدْ دَلَفُوا إِلَى بِفَعْلٍ سَوْءٍ فَأَلْفَوْنِي لَهُمْ صَعْبَ الْقِيَادِ^(١)
وَكُنْتُ إِذَا مُنِيتُ بِمُخَصِّمٍ سَوْءٍ دَلَفْتُ لَهُ بِدَاهِيَةِ نَادٍ^(٢)

ثم إن قيساً أغارَ على عوف بن بدر فقتله وأخذ إبله ، فبلغ ذلك بني فزارة فهموا بالقتال ،
حمل الربيع بن زياد العبسي دية عوف ، مائةُ عُشْرَاءِ مُتَلِيَةٍ^(٣) .

ويقال إن قيساً قتل ابناً لحذيفة ، يقال له مالك ، وأن حذيفة كان أرسله إليه يطلب منه السَّبَقَ^(٤) ،
فقطعنه فدقَّ صُلْبَهُ ، وإن الربيع بن زياد حمل ديتَه مائةُ عُشْرَاءِ ، فسكن الناس عن القتال .
[٦٩] ثم إن مالك بن زهير نزل موضعاً يقال له اللَّقَّاطَةُ^(٥) / قريباً من الحاجر ، ونكح امرأة يقال
لها مُلَيْكَةُ بنت حارثة ، من بني غراب من فزارة ، فبلغ ذلك حذيفة بن بدر ، فدسَّ إليه
١٠ فُرْسَانًا فقتلوه ، وكان الربيع بن زياد العبسي مجاوراً لحذيفة بن بدر ، وكانت تحت الربيع مُعَاذَةُ
بنت بدر ، فلما وقف على الخبر قال :

نَامَ الْخَلِيُّ وَمَا أُغْمَضُ^(٦) حَارِ مِنْ سَيِّئِ النَّبَأِ الْجَلِيلِ السَّارِي
مِنْ مِثْلِهِ تُمَشَّى النِّسَاءُ حَوَاسِرًا وَتَقُومُ مُعَوَلَةً مَعَ الْأَسْحَارِ^(٧)

(١) في حاشيتي الأصل ، ف : « الدلوف : تقارب الخطو ؛ مثل مشى الشيوخ ؛ ولا يستعمل إلا في
الدم » . (٢) ناد : صعبة . (٣) في حاشيتي الأصل ، ف : « العشراء : الناقة التي يأتي على

حملها عشرة أشهر ؛ فتكون أقوى بولدها ؛ وجمها : عشر . ومتلية ؛ أي تتلوها أولادها » .
(٤) السبق : اللال المحاطر عليه . (٥) اللقطة : موضع قريب من الحاجر ؛ من منازل بني فزارة .

ذكره باقوت ؛ وقال إنه قتل فيه مالك بن زهير .

(٦) رواية الحماسة : « لم أغمض » ، والنمأس : النوم بعينه .

(٧) م : « تمشى » ؛ قال التبريزي : « وتمشى أجرد ؛ لأن طبعه : « وتقوم معولة مع الأسحار » ،
فكانه قال : « تمشى حواسر وتصبح بواكي » ، « وحواسر » ؛ أي يأتي عليهن المساء وقد طرحن خرهن ؛
فعل النساء يصبن بكبار قومهن .

مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ فُلَيَّاتٍ نَسَوْنَا بَوَاجِهَ نَهَارٍ (١)
يَحِدُ النِّسَاءَ حَوَاسِرًا يَنْدُبْنَهُ يَضْرِبْنَ أَوْجُهَهُنَّ بِالْأَحْجَارِ (٢)
قَدْ كُنَّ يَخْبَأْنَ الْوُجُوهَ تَسْتَرًا فَالْيَوْمَ حِينَ بَدُونَ لِلنُّظَّارِ (٣)
أَفْبَعَدَ مَقْتَلَ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ تَرْجُو النِّسَاءَ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ (٤)
مَا إِنْ أَرَى فِي قَتْلِهِ لَذَوِي الْحِجَى إِلَّا الْمَطَى تُشَدُّ بِالْأَكْوَارِ (٥)
وَمُجَنَّبَاتٍ مَا يَذُقْنَ عَذُوفَةً يَفْذُقْنَ بِالْمَهْرَاتِ وَالْأَمْهَارِ (٦)
وَمَسَاعِرًا صَدَأَ الْحَدِيدُ عَلَيْهِمْ فَكَأَنَّمَا طُلِيَ الْوُجُوهُ بِقَارٍ (٧)

فأما مقتل زهير بن جزيمة العبسيّ أبي قيس ، فاختلفت الرواة في سببه ، فيقال إن هوازن

- (١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « قد عليه ذكر الإتيان مع النسوة » ؛ ورواية المرزوقي في الحماسة : « فليأت ساحتنا » ، قال : وأكثر من رأيناه يروى : « فليأت نسوتنا » ؛ ورأيت الأستاذ الرئيس أبا الفضل بن العميد يقول : لاني لأتعجب من أبي تمام مع تكلفه رم جوانب ما يختاره من الأبيات ، وغسله من درن الأنفاظ ، كيف ترك تأمل قوله : « فليأت نسوتنا » ؛ وهذه لفظة شنيعة : « ووجه النهار : صدره . (٢) ت : « بالأسحار » ، وهي رواية الحماسة ، وفي نسخة بحاشية الأصل : « بالأسيار » . (٣) ف ، ونسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « برزن » ؛ وهي رواية الحماسة . ت : « قدأبرزن » . (٤) المراد بعواقب الأطهار مراجعة الأزواج إلى أزواجهن بعقب أطهارهن ؛ وفي حواشي الأصل ، ت ، ف ، تعليقا على قوله : « زهير » ، بإسكان الياء : « جعل عروض الضرب الثاني من الكامل مقطوعة ، وردها من متفاعلين إلى فعلن » ؛ وهذا الحذف يسميه المتأخرون القطع ، وسماه الخليل الإقعاد ؛ وسماه ابن قتيبة الإنواء ؛ لأنه نقص من عروضه قوة ، (وانظر العمدة ١ : ٩٤ ، والشعر والشعراء ٤٣ ، وشروح سقط الزند ١١٤٦) . (٥) رواية الحماسة — بشرح التبريزي : « لذوى النهى » . وتشد بالأكوار ، أى تشد عليها الأكوار . (٦) المجنبات هنا : الحيل تجنب إلى الإبل في الغزو . والعذوف والعذوفة أدنى ما يؤكل ، ورواية الحماسة : « عذوفا » ، والمهرات : جمع مهرة ؛ قال التبريزي في معنى البيتين : « ما أرى في قتل مالك بن زهير رأيا لذوى العقول ؛ إلا أن تركب الإبل وتجنب الحيل ، ويسار بها سيرا عيفا ؛ حتى ترى أجنحتها ، فتبان بنا إلى عدونا ، فنغير عليهم ، ونسفك دماءهم » . (٧) المساعر : جمع مسعر ، والمسعر : هو الشجاع ؛ كأنه آله في إسماع الحرب وإيقادها ؛ وصدأ الحديد آت من اتصاله بالدروع ولبسها .

ابن منصور كانت تؤتى الإناوة زهير بن جذيمة ، ولم تكثر عامر بن صعصعة بعد ، فهم أذل من يد في رحم ، فأت عجز من هوازن زهير بن جذيمة بسمن في نجي ، واعتذرت إليه ، وشكت السنين اللواتي تابعت على الناس ، فذاقه فلم يرض طعمه ، فدعها - أي دفعها - بقوس في يده عطل^(١) ، في صدرها ، فسقطت فبدت عورتها ، ففضبت من ذلك هوازن ، وحقته إلى ما كان في صدرها^(٢) من الغيظ ، وكانت يومئذ قد أمرت بنو عامر بن صعصعة - أي كثرت - فآلى جعفر بن كلاب قتال : والله لأجعلن ذراعي هذه وراء عنقه^(٣) حتى أقتل أو يقتل^(٤) ؛

وفي ذلك يقول خالد بن جعفر :

أَرِيْفُونِي إِرَاغَتَكُمْ فَإِنِّي وَحَذَفَةَ كَالشَّجَى تَحْتَ أَوْرِيدِ^(٥)
مُقَرَّبَةً / أَوَاسِيهَا بِنَفْسِي وَأَلْحِفُهَا رِدَائِي فِي الْجَاهِدِ
أَمَلَّ اللَّهُ يُمَكِّنُنِي عَلَيْهَا جِهَارًا مِنْ زُهَيْرٍ أَوْ أُسَيْدِ
فَأَمَّا نَتَقَفُونِي فَاقْتُلُونِي فَمَنْ أَتَقَفَ فَلَيْسَ إِلَى خَالِدِ^(٦)

ويقال بل كان السبب في ذلك أن زهير بن جذيمة لما قتل في غنى من قتل بابنه شأس وافى عكاظ ، فلقيه خالد بن جعفر بن كلاب - وكان حديثاً - فقال : يا زهير ، أما آن لك أن تستغنى وتكف ! - يعني مما قتل بشأس - فأغلظ له زهير وحقره ، فقال خالد : اللهم أمكن يدي هذه الشمرء القصيرة من عنق زهير بن جذيمة ، ثم أعنى عليه ، فقال زهير : اللهم أمكن يدي هذه البيضاء^(٧) الطويلة من عنق خالد ، ثم خل بيننا ، فقالت قريش : هلكت

(١) قوس عطل : لاوتر عليها . (٢) حاشية ت : من نسخة : « و صدورها » .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « من وراء » .

(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « أو أقتله » . (٥) أريفوني ؛ أي اطلبوا لي ، والشجا :

ماعرض في الخلق من عظم وغيره . وفي حاشيتي ، ف : « حذفة : اسم فرس خالد ؛ وذكره الجوهري

في صحاح اللغة ، ويتخيل للناظر فيه أن يكون معنى حذفة حذيفة بن بدر وقوله : « كالشجا تحت الوريد »

شبه نفسه بالشجا ، وجعل حذفة كالوريد ؛ و « مقربة » في البيت الثاني مفعول « أريفوني » فرسا مقربة

والله أعلم . (٦) إما تنقفوني ؛ أي إما تصادفوني ؛ وفي اللسان : تنقته نقفا ؛ أي صادفته ؛ وأنشد :

فَأَمَّا نَتَقَفُونِي فَاقْتُلُونِي فَإِنِ اتَّقَفَ فَسَوْفَ تَرَوْنَ بَالِي

(٧) ت : « السماء » .

والله يازهير ، قال : أنتم والله الذين لا عِلْمَ لكم . ثم أجمع خالد بن جعفر على قَصْد زهير وقَتْلِهِ .
 واتفق نزول زهير بالقرب من أرض بنى عامر ، وكانت تماضر بنت عمرو بن الشريد
 امرأة زهير بن جذيمة وأم ولده ، فرَّ به أخوها الحارث بن عمرو بن الشريد ، فقال زهير لابنائه : إن
 هذا الحارث أطليعة عليكم فأوثقوه ، فقالت أخته لبيها : أيزوركم خالكم فتوثقونه ؟ وقالت تماضر
 لأخيها الحارث بن عمرو بن الشريد : إنه ^(١) لا يريدني أكبثناك وقُروُتكَ - وإلا كبثناك الغم ،
 والقروُت ^(٢) السكوت - فلا يأخذن فيك ما قال زهير ، فإنه رجل بيذارة غيذارة شئوءة .
 - فالأثرم : البذارة : الكثير الكلام ، والغثيذارة : السَّيِّءُ الخلق - ثم حابوا له وطباً ،
 وأخذوا عليه يميناً ألاَّ يُخبر ^(٣) عليهم ، ولا يُنذِرَ بهم أحداً ؛ فخرج الحارث حتى أتى
 بنى عامر ، فقمعد إلى شجرة يجتمع إليها بنو عامر ، وألقى الوطبَ تحتهما والقوم ينظرون ، ثم
 قال : أيتها الشجرة الذليلة ، اشربى من هذا اللبن ، وانظري ما طعمه . فقال قوم : هذا رجل
 مأحود عليه . وهو يخبركم خبراً ، فذاقوا اللبن فإذا هو حلو لم يقرئ بَمد ، فقالوا : إنه يخبرنا
 أن مطلبنا قريب ، فركب خالد بن جعفر بن كلاب ومعه جماعة ، وكان راكباً فرسه حذفة ،
 فاقوا زهيراً ، فاعتنق خالد زهيراً ، وخرَّأ عن فرسيهما ، ووقع خالد فوق زهير ونادى :
 يا بنى عامر ، اقتاتوني والرجل ، واستغاث زهير ببنيه ، فأقبل إليه ورقاء بن زهير يشد ^(٤) بسيفه .
 فضرب خالد ثلاث ضربات ، فلم تُغن شيئاً ، وكان على خالد درعان قد ظاهر بينهما ، ثم ١٥
 ضرب خنجر رأس زهير فقتله ، ففي ذلك يقول ورقاء بن زهير :

رَأَيْتُ زُهَيْرًا تَحْتَ كَلْكَلِ خَالِدٍ فَأَقْبَأْتُ أَسْمَى كَالْمَجُولِ أَبَادِرُ ^(٥)
 إِلَى بَطْلَيْنِ يَنْهَضَانِ كِلَاهِمَا يُرِيدَانِ نَصْلَ السَّيْفِ وَالسَّيْفُ دَارِ ^(٦) [٧٠]

(١) ت : « إني » . (٢) حواشي الأصل ، ت ، ف : « قرت الدم يقرت قرونا إذا ماتت تحت الجلد ؛ وقرت إذا تغير من حزن يصيبه ، والقروُت : السكون » .
 (٣) حاشية ت (من نسخة) : « ألا يخبر عنهم » . (٤) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) :
 « يشد » . (٥) المجول من النساء والإبل : الواله التي فقدت ولدها .
 (٦) تسكئة من ت ، والأغاني ، والعقد .

فَمَلَّتْ يَمِينِي يَوْمَ أَضْرَبُ خَالِدًا وَيَسْتُرُهُ مِنِّي الْحَدِيدُ الْمَظَاهِرُ^(١)
فَيَالَيْتَ أَنِّي قَبْلَ^(٢) ضَرْبَةِ خَالِدٍ وَيَوْمَ زُهَيْرٍ لَمْ تَلِدْنِي تُمَاضِرُ!

فأما خبر الهباءة فإن بنى عبس وبني قزارة لما التقوا إلى جنب جعفر الهباءة^(٣) في يوم
قائظ ، فاقتتلوا - ولخبرهم شرح طويل معروف - استجار حذيفة ومن معه بجعفر الهباءة ليعتبرد^(٤)
فيه ، فهجم عليه القوم ، فقال حذيفة يابني عبس ، فأين العود^(٥) ؟ وأين الأحلام ؟ فضرب
حمّل بن بدر بين كتفيه وقال : « اتق ماثور القول بعد اليوم » ، فأرسلها مثلاً ، وقتل قر وراش
ابن همي حذيفة بن بدر ، وقتل الحارث بن زهير حملاً ، وأخذ منه ذا النون ، سيف مالك بن
زهير أخيه ، وكان حمل بن بدر أخذه من مالك بن زهير يوم قتل ، فقال قيس في ذلك :

تَعْلَمُ أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ مَيِّتٌ عَلَى جَعْفَرِ الْهَبَاءَةِ لَا يَرِيمُ
وَلَوْ لَا ظُلْمُهُ مَا زِلْتُ أَبْكِي عَلَيْهِ الدَّهْرَ مَا طَلَعَ النُّجُومُ
وَلَكِنَّ الْفَتَى حَمَلَ بْنَ بَدْرِ بَغَى وَالْبَغْيُ مَرْتَعُهُ وَخِيمُ^(٦)
أَظُنُّ الْحِلْمَ دَلَّ عَلَى قَوْمِي وَقَدْ يُسْتَجْهَلُ الرَّجُلُ الْحَلِيمُ
وَمَارَسْتُ الرُّجَالَ وَمَارَسُونِي فَمُعَوِّجٌ عَنِّي وَمُسْتَقِيمُ
وقال قيس أيضاً :

شَفَيْتُ النَّفْسَ مِنْ حَمَلِ بْنِ بَدْرِ وَسَيِّئِي مِنْ حَذِيفَةَ قَدْ شَفَانِي
فَإِنْ أَلَكُ قَدْ بَرَدْتُ بِهِمْ غَايِلِي فَلَمْ أَقْطَعْ بِهِمْ إِلَّا بَنَانِي^(٧)

(١) المقد ، ونسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف ، : « ويمنعه » . ويراد بالحديد هنا الدرع ؛ ويقال :
ظاهر الدرع ؛ إذا لم يعضها على بعض . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « يوم ضربة خالد » .
(٣) الهباءة : أرض في بلاد عطفان ؛ وجعفر الهباءة : مستنقع فيها .
(٤) حاشية ت (من نسخة) : « ليعتبرد » .

(٥) حاشية الأصل : « يقال سرودد عود ، أي قديم » . (٦) حاشية الأصل (من نسخة) :
« مصرعه خيم » . (٧) حاشية ت من نسخة : « شفيت بهم » ، وروى ياقوت بعد هذا البيت :
فلا كانت الغبرا ولا كان داحس ولا كان ذاك اليوم يوم دهاني

مَجْلِسُ آخِرُ

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً/صُمُّ بُكْمٌ عُمْى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾؛ [البقرة: ١٧١] . [٧١] و

فقال : أى وجهٍ لتشبيه الذين كفروا بالصاغ^(١) ، والغنم ، والكلام يدل على ذمهم ووصفهم بالغفلة وقلة التأمل والتمييز ، والناعق بالغنم قد يكون مميزاً متأملاً محصلاً ؟

يقال له فى هذه الآية خمسة أجوبة :

أولها أن يكون المعنى : مثل واعظ الذين كفروا والداعى لهم إلى الإيمان والطاعة كمثل الراعى الذى ينعى بالغنم وهى لا تعقل معنى دعائه ، وإنما تسمع صوته ولا تفهم غرضه ؛ والذين كفروا بهذه الصفة لأنهم يسمعون وعظ النبي صلى الله عليه وآله ودعائه وإنذاره فينصرفون^(٢) عن قبول ذلك ، ويُعْرِضُونَ عن تأمله ، فيكونون بمنزلة مَنْ لم يعقله ولم يفهمه ؛ لا اشتراكهما فى عدم الانتفاع به . وجاز أن يقوم قوله : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ١٠ مقام الواعظ والداعى لهم ؛ كما تقول العرب : فلان يخافك خوف الأسد ؛ والمعنى نخوفه^(٣)

الأسد ، فأضاف الخوف إلى الأسد وهو فى المعنى مضاف إلى الرجل ، قال الشاعر :

فَلَسْتُ مُسْلِمًا مَا دُمْتُ حَيًّا عَلَى زَيْدٍ بِتَسْلِيمِ الْأَمِيرِ

أراد بتسليمى على الأمير ، ونظائر ذلك كثيرة .

والجواب الثانى أن يكون المعنى : ومثل الذين كفروا كمثل الغنم التى لا تفهم نداء^{١٥} الناعق ، فأضاف الله تعالى المثل الثانى إلى الناعق ؛ وهو فى المعنى مضاف إلى المنعوق به ،

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « الناعق » ، وفى ت : « الصاغ : الناعق »

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « فيضربون » . (٣) م : « كخوفه من الأسد » .

على مذهب العرب في قولها : طلعتِ الشَّمْسُ ، وانتصب المود على الحرِّباء^(١) ، والمعنى وانتصب الحرِّباء على المود ؛ وجاز التقديم والتأخير لوضوح المعنى ؛ وأنشد الفراء :

إِنَّ سِرَاجًا لَكَرِيمًا مَفْخَرُهُ تَحَلَّى بِهِ الْعَيْنُ إِذَا مَا تَجَهَّرُهُ^(٢)
معناه يَحَلَّى بِالْعَيْنِ ؛ فَقَدَّمَ وَأَخَّرَ . وأنشد الفراء أيضاً :

كَانَتْ فَرِيضَةً مَا تَقُولُ كَمَا كَانَ الزَّنَاءُ فَرِيضَةَ الرَّجْمِ

المعنى كما كَانَ الرَّجْمُ فَرِيضَةَ الزَّنَا ، وأنشد أيضاً :

وَقَدْ خَفْتُ حَتَّى مَا تَزِيدُ مَخَافَتِي عَلَى وَعَلٍ فِي ذِي الْمَطَارَةِ عَاقِلٍ^(٣)

/أراد ما تَزِيدُ مَخَافَةَ وَعَلٍ عَلَى مَخَافَتِي ، ومثله :

[٧١]
ط

* كَأَنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَمَاوُهُ^(٤) *

أراد كَأَنَّ لَوْنَ سَمَائِهِ أَرْضُهُ ، ومثله :

١٠

تَرَى الثَّوْرَ فِيهَا مُدْخِلَ الظِّلِّ رَأْسُهُ وَسَائِرُهُ بَادٍ إِلَى الشَّمْسِ أَجْمَعِ^(٥)

أراد مُدْخِلَ رَأْسِهِ الظِّلَّ ، وقال الراعي :

فَصَبَّحَتْهُ كِلَابُ الْغَوْتِ يُؤْسِدُهَا مُسْتَوْضِحُونَ يَرَوْنَ الْعَيْنَ كَالْأَثَرِ^(٦)

يُرِيدُ أَنَّهُمْ يَرَوْنَ الْأَثَرَ كَالْعَيْنِ ؛ وقال أبو النجم :

(١) الحرَّباء : حيوان كالغظاة ؛ يدور مع الشمس . (٢) يقال حلَّى فلان بعيني وفي عيني إذا

أعجبك ؛ والبيتان في اللسان (حلا) ، وفي م : « تجلَّى » ، تصحيف .

(٣) البيت للابغة ، وقد مر ذكره ص ٢٠٢ ، وانظر ما سبق في تفسيره . (٤) الرجز لرؤبة ، وقبله :

* ومهمة مغبرة أرجأوه * (٥) البيت من شواهد (الكتاب ١ : ٩٢) ؛ قال

الأعلم : « الشاهد فيه إضافة مدخل إلى الظل ، ونصب الرأس به على الاتساع والقلب ، وكان الوجه أن

يقول : مدخل رأسه الظل ؛ لأن الرأس هو الداخل في الظل ، والظل المدخل فيه ؛ وهو وصف هاجرة

قد أجبأت الثيران إلى كنسها ، فتري الثور مدخلا لرأسه في ظل كناسه لما يجد من شدة الحر ، وسائر

بارز للشمس » . (٦) يذكر نورا ، والغوت : قبيلة من طيء ، ويؤسدها : يفرها ؛ ومستوضحون :

صيادون ينظرون : هل يرون شيئا ؛ يقال استوضح الرجل ، إذا نظر ليرى شيئا أو أثرا ، يريد أن يرى

الصيد عندهم إذا رآه يكون بمنزلة الصيد نفسه لا يخفى عليهم . (وانظر معاني الشعر لابن قتيبة ٧٤٢)

* قَبْلَ دُنُو الْأُفُقِ مِنْ جَوَازِهِ *

فَقَلَبَ ، وقال العباس بن مرداس :

فَدَيْتُ بِنَفْسِي نَفْسِي وَمَالِي وَلَا آلُوهُ إِلَّا مَا يُطِيقُ

أراد فديت بنفسى نفسه ، وقال ابن مقبل :

وَلَا تَهَيَّبْنِي الْمَوْمَةَ أُرْكَبُهَا إِذَا تَجَاوَبَتِ الْأَصْدَاءُ بِالسَّحَرِ^(١)

أراد لا أتهيب المومة ؛ وهذا كثير جداً^(٢) .

والجواب الثالث أن يكون المعنى : ومثل الذين كفروا ومثلنا ، أو مثلهم ومثلك يا محمد

كمثل الذى ينق ؛ أى مثلهم فى الإعراض ومثلنا^(٣) فى الدعاء والتنبية والإرشاد كمثل الناقى

بالفهم ، فحذف المثل الثانى اكتفاء بالأول ؛ ومثله قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ لَكُم سِرَابِيلَ

تَقِيكُمْ الْحَرِّ ﴾ [النحل : ٨١] ، أراد الحر والبرد ، فاكتفى بذكر الحر من البرد ، وقال ١٠

أبو ذؤيب :

عَصَيْتُ إِلَيْهَا الْقَلْبَ إِنِّي لِأَمْرِهَا مَطِيعٌ فَمَا أُدْرِى أُرْسِدُ طِلَابُهَا^(٤)

أراد أُرْسِدُ أم غى ، فاكتفى بذكر الرشد لوضوح الأمر .

والجواب الرابع أن يكون المراد : ومثل الذين كفروا فى دعائهم للأصنام التى يعبدونها

من دون الله وهى لا تعقل ولا تفهم ، ولا تضر ولا تنفع كمثل الذى ينق دعاء ونداء بما ١٥

(١) معانى ابن قتيبة ١٢٦٤ ، واللسان - هيب ؛ يقال : تهيبنى الشئ بمعنى تهيبته أنا ؛ كذا ذكره

صاحب اللسان واستشهد بالبيت . والمومة : المفازة ؛ والأصداء : جمع صدى ؛ وهو البوم .

(٢) حاشية ت : « ومن المألوف قوله تعالى : ﴿ مَا إِنْ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ ﴾ ، وإنما هو :

تنوء العصبه بها ، وقوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ﴾ ؛ يريد بخلف رسوله

وعده ؛ وإنما جرى القلب فى كلام العرب انشاعاً فى الظاهر ؛ لأن المعنى فيه لا يشكك .

(٣) د ، حاشية ت (من نسخة) : « ومثلك » . (٤) ديوان الهذليين ١ : ٧١ ؛

والرواية فيه :

عَصَانِي إِلَيْهَا الْقَلْبُ إِنِّي لِأَمْرِهِ سَمِيعٌ فَمَا أُدْرِى أُرْسِدُ طِلَابُهَا

لا يسمع صوتَه جملة ، والدعاء والنداء على هذا الجواب ينتصبان يَنْعِقُ ، وإلا توكلد للكلام ؛
ومعناها الإلغاء ؛ قال الفرزدق :

[٧٢] هُمُ الْقَوْمُ إِلَّا حَيْثُ سَلُّوا سَيُوفَهُمْ / وَضَحَّوْا بِلَحْمٍ مِنْ مُجِلٍّ وَمُحَرِّمٍ ^(١)
والمعنى : هم القوم حيث سلُّوا سيوفهم .

٥ والجواب الخامس أن يكون المعنى : ومثل الذين كفروا في دعائهم الأصنام ^(٢)
وعبادتهم لها واسترزاقيهم إياها كمثل الرّاعى الذى ينعق بالغنم ويناديهما ؛ فهى تسمع
دعائه ونداءه ولا تفهم معنى كلامه ، فشبه مَنْ يدعو الكفار من العبودات دون الله جلّ
اسمه بالغنم ، من حيث لا تعقل الخطاب ولا تفهمه ، ولا نفع عندها فيه ولا مضرة .

وهذا الجواب يقارب الذى قبله ، وإن كانت بينهما مزية ظاهرة ؛ لأن الأول يقتضى
ضربَ المثل بما لا يسمع الدعاء ولا النداء جملة ، ويجب أن يكون مصروفاً إلى غير الغنم
وما أشبهها مما يسمع وإن لم يفهم . وهذا الجواب يقتضى ضربَ المثل بما يسمع الدعاء والنداء
وإن لم يفهمهما ، والأصنام من حيث كانت لا تسمع النداء ^(٣) جملة يجب أن يكون داعيها
ومناديها أسوأ حالاً من منادى الغنم . ويصحّ أن يصرف إلى الغنم وما أشبهها مما يشارك
فى السماع ، ويخالف فى الفهم والتمييز .

١٥ وقد اختلف الناس فى ﴿ يَنْعِقُ ﴾ فقال أكثرهم : لا يقال نَعَقَ يَنْعِقُ إلا فى الصياح
بالغنم وحدّها ؛ وقال بعضهم نَعَقَ يَنْعِقُ بالغنم والإبل والبقر ؛ والأول أظهر فى كلام العرب ؛
قال الأخطل :

فَانْعِقْ بِضَائِكَ يَا جَرِيرُ فَإِنَّمَا مَنَّتْكَ نَفْسُكَ فى الْخَلَاءِ ضَلَالاً ^(٤)

(١) ديوانه ٢ : ٧٦٠ ، وفى ت ، ونسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « حين » ، وفى حاشية الأصل

أيضاً : « نضير هذا فى مورد « إلا » للتوكيد دون الاستثناء قولهم : « أسألك إلا غفرت لى » .

(٢) م : « نلاستام » . (٣) ت : « الدعاء والنداء » ، ف : « الدعاء » .

(٤) ديوانه : ٥٠ .

ويقال أيضاً: نَعَقَ الغراب ونَقَقَ؛ بالغين المعجمة؛ إذا صاح من غير أن يمدَّ عنقه ويحركها؛ فإذا مدها وحركها ثم صاح قيل: نَعَبَ ، ويقال أيضاً: نَعَبَ الفرس ينمب وينعب نعباً ونعيباً ونعباناً، وهو صوته؛ ويقال: فرسٌ مُنْعَبٌ، أى جواد، وناقاة نعابة؛ إذا كانت سريعة.

تَأْوِيلُ خَبَرِ

رَوَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ خَرَجَ مَعَ أَصْحَابِهِ إِلَى طَعَامٍ دُعُوا إِلَيْهِ^(١)؛ فَإِذَا^(٢) بِالْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ صَبِيٌّ يَلْعَبُ مَعَ صَبِيَّةٍ فِي السَّكَّةِ، فَاسْتَنْتَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَمَامَ الْقَوْمِ، فَطَفِقَ الصَّبِيُّ يَفْرِثُ مَرَّةً هَاهُنَا، وَمَرَّةً هَاهُنَا، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يُضَاحِكُهُ^(٣)، ثُمَّ أَخَذَهُ^(٤)، فَجَمَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ تَحْتَ ذَقْنِهِ، وَالْأُخْرَى / تَحْتَ فَأْسِ رَأْسِهِ، [٧٢] وَأَقْنَعَهُ قَبْلَهُ، وَقَالَ: «أَنَا مِنْ حُسَيْنٍ وَحُسَيْنٌ مِنِّي، أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا، حُسَيْنٌ سَبَطَ مِنَ الْأَسْبَاطِ».

قال الشريف أدام الله علوه: معنى استننل تقدم، يقال: استننل الرجل استننلاً، وأبرئاً أبرئاً^(٤)، وأبرئذع أبرئذعاً؛ إذا تقدم، هكذا ذكره ابن الأنباري.

ووجدت بعض المتقدمين في علم اللغة يحكى في كتاب له قال: تقول: "استننلت الأمر استننلاً إذا استعددت له"، واستننل الرجل تفرّد من القوم، ويقال: استننل أشرف. والمعاني تقارب، والخبر يليق بكل واحد منها. وحكى هذا الرجل الذي ذكرناه في كتابه في إبرئناً وأبرئذع أيضاً أنه من الاستعداد.

١٥

فأما السكة، فهي المنازل المصطفة، والنخل المصطف.

(١) ت، د، د له، (٢) في حاشيتي الأصل، ف: «تقول خرجت فإذا زيد على الطريق؛ لإعني الوقت؛ والتقدير: خرجت والوقت وقت حضور زيد على الطريق؛ وكذلك أكرمك إذا أنت صديقي؛ ليست إذا لما مضى من الزمان؛ بل هي تعليلية، والتقدير: أكرمك لأنك صديقي».

(٣-٢) ساقط من م. (٤) ص: «أبرئاً».

ومعنى طَفِقَ ما زال ، قال الشاعر :

طَفِقْتُ تَبْكِي وَأُسَعِدُهَا فَكَلَامًا ظَاهِرُ الْكَمَدِ^(١)

وفأس الرأس : طَرَفَ الْقَمَحْدُوَّةِ^(٢) المشرف على القفا .

ومعنى «أقنعه» رفعه ، هكذا ذكر ابن الأنباري . وقال غيره : يقال أقنع ظهره إقناعاً إذا

طأطأه ثم رفعه برفق .

فأما الأسباط فأصلها في ولد إسحاق عليه السلام كلقبائل في بني إسماعيل عليه السلام .
وقال ابن الأنباري : هم الصَّبِيَّة والصَّبَوَة ، بالياء والواو معاً .

حدثنا أبو القاسم عبد الله بن عثمان بن يحيى بن جنيقة قال أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن أحمد
الحكيمي قراءة عليه قال أُملي علينا أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب قال أخبرنا ابن الأعرابي
١٠ أنه قيل لابنة الخُسّ : ما مائة من العز ؟ قالت : « موئيل يشف الفقر من ورائه ، مال
الضعيف ، وحرقة العاجز » . قيل لها : فما مائة من الضأن ؟ قالت : « قرية لا حصى بها » ،
فيل : فمامائة من الإبل ؟ قالت : « بنخ^(٣) ! كجال ومال ، ومئني الرجال » ، قيل لها : فما مائة من
الحليل ؟ قالت : « طغى عند من كانت ، ولا توجد » . قيل : فمامائة من الحُمُر ؟ قالت : « عازبة
الليل ، وخزى المجلس ، لا لبن فيحلب ، ولا صوف فيجتر^(٤) » ، إنزُرْ بغير هادلي^(٥) ، ولا
١٥ أُرْسِلْ وَلَي^(٦) .

وبهذا الإسناد عن ابن الأعرابي قال : قيل لابنة الخُسّ - والخُصّ والخُصف ، قال : كل ذلك

١٢٣ يقال - : ما أحسن شيء ؟ قالت : « غادية ، في أثر سارية ، في نبخاء قاوية » - قال : / نبخاء ،
أرض مرتفعة ، لأن النبات في موضع مشرف أحسن - . وقالوا أيضاً : « نفخاء » ، أي رابية ،

(١) ت : « الجلد » . (٢) القمحدوة : الهنة النشرة فوق القفا وأعلى القذال خلف الأذنين

(٣) د ، ت ، ج : « غ بخ » ، بتنوين الحاء . (٤) د : « فيجز » . (٥) من نسخة بمواش

الأصل ، ت ، ف : « أدلى » . (٦) ت : « وإن أرسلته » ، والخبر في المهر ٢ : ٤٥٠ .

ليس بها رمل ولا حجارة ، قال : والجمع التَّفَاخِي^(١) ، ونبتُ الرابية أحسنُ من نبت الأودية ، لأن السيلَ يصرعُ الشجرَ فيمتدِّفه في الأودية ، ثم يُلقَى عليه الدَّمَنُ^(٢) .

قال الشريف أدام الله علوه : ومما يدل أن نبت الرابية أحسنُ قولُ الأعشى :

مَارَوْضَةُ مِنْ رِيَاضِ الْحَزَنِ مُعْشِبَةٌ خَضْرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَطِلٌ^(٣)

وقال كثير :

فَمَارَوْضَةُ بِالْحَزَنِ طَيِّبَةُ النَّوَى يَمُجُّ النَّدى جَنَجَانُهَا وَعَرَارُهَا^(٤)

(١) في حاشيتي ت ، ف : « قال الجوهري : التَّفَاخِي : الأكمة ، والتفخاء من الأرض مثل النبخاء ، وأبوت النار وفوت ؛ أي خلت » . (٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « الدمن : جمع دمنة ؛ وهو حاتلبد من الثراب والعش وكسار العبدان ؛ والخبر في (مجالس) ثلث ٣٤٣ ، والمخصص ١٠ : ١٤٣ ، واللسان - نبيح ، تفتح . (٣) حواشي الأصل ، ت ، ف : « بعده :

يُضَاحِكُ الشَّمْسَ مِنْهَا كَوْكَبٌ شَرِيقٌ مُؤَزَّرٌ بِمَعِيرِ النَّبْتِ مُكْتَمِلٌ

يَوْمًا بِأَطْيَبِ مِنْهَا تَشْرَرُ رَاحِمَةٌ وَلَا بِأَحْسَنِ مِنْهَا إِذَا دَنَا الْأَصْلُ

— كوكب الشيء : معظمه ، والنبت إذا عم وكثر قيل اكتمل ، وقوله : « إذا دنا الأصل » ، يعني أن الزهر إذا كان في الأصل كان أحسن للبعد عن برد الغداة . والأبيات في ديوانه : ٤٣ :

(٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « الجنجات والعرار : نباتان ، ومده :

بِأَطْيَبِ مِنْ أَرْدَانِ عَزَّةَ مَوْهِنًا وَقَدْ أُوقِدَتْ بِالْمَنْدَلِ الرَّطْبِ نَارُهَا

وللبعض قصة ؛ وهي أن كثيرا أقبل ذات يوم راكبا ، فاعترضت له في الطريق عجوز قد أوقدت في روثه ، فتضجر عليها كثير ، وتأفف في وجهها ؛ فقالت : أنت القائل :

فَمَا رَوْضَةُ بِالْحَزَنِ طَيِّبَةُ النَّوَى يَمُجُّ النَّدى جَنَجَانُهَا وَعَرَارُهَا

بِأَطْيَبِ مِنْ أَرْدَانِ عَزَّةَ مَوْهِنًا وَقَدْ أُوقِدَتْ بِالْمَنْدَلِ الرَّطْبِ نَارُهَا

قال : نعم ؛ قالت : والله لو أوقد بالمندل على هذه الروثة اطابت ! هلا قلت كما قال سيدك ومولاي امرؤ القيس :

أَلَمْ تَرَيَانِي كَمَا جِئْتُ طَارِقًا وَجَدْتُ بِهَا طَيِّبًا وَإِنْ لَمْ تَطْيَبِ !

فانسكسر كثير وخجل . وقيل إنه أعصاها مطرفا كان معه وقال : « استريحه على » ؛ (وانظر ديوان امرؤ القيس ٧٣ ، وديوان كثير ١ : ٩٣) .

نَحْنُ الْحَزَنَ لِلْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرْنَا .

وبهذا الإسناد عن ابن الأعرابي قال : العرب تقول جاءنا بطعامٍ لا يُنَادَى وَلِيدُهُ ؛ إذا جاء بطعامٍ كثير لا يُرَاد فيه زيادة ، ووقع في أمر لا يُنَادَى وَلِيدُهُ ؛ يقول لا يُدْعَى إليه الصبيان ، ولا يستعان إلا بكبار الرجال فيه .

٥ قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه : وفي ذلك قولان آخران ؛ أحدهما عن الأصمعيّ قال : أصله من الشدة تصيب القوم حتى تُذهَلَ المرأة عن ولدها فلا تُناديه لما هي فيه ، ثم صار مثلاً لكل شدة ، ولكل أمرٍ عظيم . والقول الآخر عن السكّابيّ قال : أصله من السكثرة والسَّعة ، فإذا أهوى الوليدُ إلى شيء لم يُزَجَرْ عنه حَذَرُ الإفساد ، لَسعة ما هم فيه ، ثم صار مثلاً لكل كثرة ؛ قال الفراء : وهذا القول يُستعان به في كل موضع يراد به الغاية ، وأنشد :

لَقَدْ شَرَعَتْ كَفًّا يَزِيدَ بْنَ مَزِيدٍ شَرَائِعَ جُودٍ لَا يَنَادَى وَلِيدُهَا

وبالإسناد الذي تقدم عن ابن الأعرابيّ قال : دخل وَدْفَةٌ^(١) الأسدى على معن بن زائدة الشيبانيّ فقال : إن رأيتَ أكرمك الله أن تضعني من نفسك بحيث وضعتُ نفسي من رجائك ؛ فإنك قد بلغتَ حالاً لو أعتقني الله فيها بكرمك من تنصّف^(٢) الرجال بعدك لم يكن كثيراً ، وإني قد قدّمتُ الرجاء ، وأحسنُ الثناء ، ولزمتُ الحِفاظ ، ثم أنشأ يقول :

يَا مَعْنُ إِنَّكَ لَمْ تُنْعِمْ عَلَى أَحَدٍ فَشَابَ نَعْمَاكَ تَنْغِيصٌ وَلَا كَدَرُ
/ فَانْظُرْ إِلَى بَطْرِفٍ غَيْرِ ذِي مَرَضٍ فَرُبَّمَا صَحَّ لِي مِنْ طَرَفِكَ النَّظَرُ
أَيَّامَ وَجْهِكَ لِي طَلَقٌ يُخْبِرُنِي إِذَا سَكَتَ بِمَا تُخْفِي وَتَضْطَمِرُ
وَمِنْ هَوَاكَ شَفِيعٌ لَيْسَ يُغْفِلُنِي وَإِنْ نَأَيْتُ وَإِنْ قَاتَ بِي الذِّكْرُ

[٧٣]
ط

(١) ودفة ؛ بالفاء ، وضبط في الأصل ، ت بفتح الدال وإسكانها معا .

(٢) حاشية ت ، ف : « التنصّف : الخدمة ؛ يقال تنصفه إذا خدمه ، والنصيف : الخادم » .

قَدْ كُنْتَ أَثَرْتَ عِنْدِي مَرَّةً أَثَرًا فَقَدْ تَقَارَبَ يَعْفُو ذَلِكَ الْأَثَرُ
فَاجْبُرْ بِفَضْلِكَ عَظْمًا كُنْتَ تَجْبُرُهُ واجمعُ بفعلك ماقدُ كَادَ يَنْتَشِرُ^(١)
مَا نَازَعَ الْعُسْرُ فِي الْيُسْرِ مَذْعَلَتْ كَفَى بِحَبْلِكَ إِلَّا ظَفَرَ الْيُسْرِ
وَقَدْ خَشِيتُ وَهَذَا الدَّهْرُ ذُو غَيْرٍ بَأْنُ يُدَالِ لَطُولِ الْجَفْوَةِ الْعُسْرِ^(٢)
وَإِيْمًا^(٣) كَانَ مِنْ عُسْرٍ وَمَيْسَرَةٍ فَإِنَّ حَظَّكَ فِيهِ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ ٥

فقال معن : أو ما كننا أعطيناك شيئاً ؟ قال : لا ، قال : أما الذهبُ والفضةُ فليسَا عندنا ، ولكن هاتِ تخنناً^(٤) من ثيابي يا غلام ؛ فدفعه إليه ، وقد كان تحمل عليه^(٥) بابت عيَّاش وحبيب بن بُدَيْل ، فأعطاها معه تخنتين ، وقال : غرمتني يا ودفة تخنني ثياب ! .

قال سيدنا الشريف أدام الله علوه : وكان معن بن زائدة جواداً شجاعاً شاعراً ، ويكنى أبا الوليد ، وهو معن بن زائدة بن عبد الله بن زائدة بن مطر بن شريك بن عمرو بن مطر ، ١٠ وهو أخو الحوفزان بن شريك ، وكان معن من أصحاب ابن هُبيرة^(٦) ، فلما قُتل رثاه معن فقال :

أَلَا إِنَّ عَيْنًا لَمْ تَجْدُ يَوْمَ وَاسِطٍ عَلَيْكَ بِجَارِي دَمْعِهَا لَجَمُودُ^(٧)
عَشِيَّةَ قَامَ النَّاحَاتُ وَشَقَّقَتْ جُيُوبُ بَأْيَدِي مَأْتَمٍ وَخُدُودُ^(٨)
فَإِنَّ تَمْسَ مَهْجُورِ الْفَنَاءِ فَطَالَمَا^(٩) أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الْوُفُودِ وَفُودُ
فَإِنَّكَ لَمْ تَبْعُدْ عَلَى مَتَعِدٍ بَلَى كُلُّ مَنْ تَحْتَ التُّرَابِ بَعِيدُ^(١٠) ١٥

(١) ت : « بفضلك » . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « بطول الجفوة » .

(٣) م : « وإن ما » . (٤) التخت : وعاء تصان فيه الثياب :

(٥) من نسخة بمحاشيتي الأصل ، ف : « لايه » ، وتحمل إليه ؛ أي تشفع .

(٦) حواشي الأصل ، ت ف : « قتل ابن هبيرة السفاح » . (٧) حواشي الأصل ، ت ، ف :

« روى أبو تمام هذه القطعة في الحماسة لأبي عطاء السندی » . (و انظر ديوان الحماسة - بشرح التبريزي

٢ : ٢٩٥ - ٢٩٦) . (٨) حاشية الأصل : « المأتم : جماعة النساء للزنا » .

(٩-٩) م : « مهجور الجناب فطالما » ، ورواية الحماسة : « مهجور الجناب فرما » ؛ قال التبريزي :

« الرواية المختارة : « وربما » بالواو ؛ وذلك أن جواب الشرط من قوله : « فإن تمس مهجور الفناء »

« فإنك لم تبعد على متعهد » ، وبصير : « ربما أقام » بيان الحال فيما تقدم من رياسته .

(١٠) أي على متعهد يتعهدك بالذكر والبكاء .

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني يوسف بن يحيى المنجّم عن أبيه قال حدثني محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال حدثني أبو زيد بن الحَكَم بن موسى قال حدثني أبي قال : كان [٧٤] معن بن زائدة / من أصحاب يزيد بن عمرو بن هبيرة ، وكان مستتراً ، حتى كان يوم الهاشمية ^(١) ، فإنه حَضَرَ وهو معتمٌ متلثمٌ ، فلما نظر إلى القوم وقد وثبوا على المنصور تقدّم فأخذ بِلِجَام بَنَاتِهِ ، ثم جعل يضربهم بالسيف قدّامه ، فلما أفرجوا له وتفرّقوا عنه قال له : مَنْ أَنْتَ وَيَحْك ! قال : أنا طَلِيبُكَ مَعْنُ بن زائدة . فلما انصرف المنصور حَبَادَ وكَسَاه ورتبه ، ثم قلده اليمين ، فلما قدم عليه من اليمين قال له : هَيْه يامعن ! تَعْطِي مَرْوَانَ بن أبي حَفْصَةَ مائة ألف درهم على أن قال لك :

مَعْنُ بن زَائِدَةَ الَّذِي زِيدَتْ بِهِ شَرْفًا عَلَى شَرَفِ بَنِي شَيْبَانَ
إِنْ عُدَّ أَيَّامُ الْفَعَالِ فَإِنَّمَا يَوْمُهُ : يَوْمُ نَدَى وَيَوْمُ طَعَانِ ١٠

فقال : كَلَّا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَكِنْ أُعْطِيَتْهُ عَلَى قَوْلِهِ :

مَا زِلْتَ يَوْمَ الْهَاشِمِيَّةِ مُعْلِنًا بِالسَّيْفِ دُونَ خَلِيفَةِ الرَّحْمَنِ
فَمَنْعْتَ حَوَازَتَهُ ، وَكُنْتَ وَقَاهُ مِنْ وَقَعِ كُلِّ مُهَنَّدٍ وَسِنَانِ

فقال له : أَحْسَنْتَ يامعن !

١٥ وفي خبر آخر أنه دخل على المنصور ، فقال له : ويليكَ ^(٢) ! مَا أَظُنُّ مَا يَقَالُ فِيكَ مِنْ ظُلْمِكَ لِأَهْلِ الْبَيْتِ وَاعْتِسَافِكَ إِيَّاهُمْ إِلَّا حَقًّا ! قال : وكيف ذاك يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قال : بَلَّغْنِي أَنَّكَ أُعْطِيتَ شَاعِرًا كَانَ يَلْزِمُكَ أَلْفُ دِينَارٍ ، وَهَذَا مِنَ السَّرَفِ الَّذِي لَا شَيْءَ مِثْلَهُ ، فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّمَا أُعْطِيَتْهُ مِنْ فُضُولِ مَالِي وَغَلَّاتِ ضِيَاعِي وَفَضَلَاتِ ^(٣) رِزْقِي ، وَكَفَفْتُهُ عَنْ عِرْضِي ، وَقَضَيْتُ الْوَاجِبَ مِنْ حَقِّهِ عَلَيَّ وَقَصِدِهِ إِلَيَّ وَمِلَازِمَتِهِ لِي ، قَالَ ٢٠ فَجَعَلَ أَبُو جَعْفَرٍ يَنْكُتُ بِقَضِيبٍ فِي يَدِهِ الْأَرْضَ وَلَمْ يَمَآوِدْهُ الْقَوْلُ .

(١) الهاشمية : مدينة بناها السفاح بالقرب من الكوفة ، والحجرفي (ابن خلدون ٢ : ١٠٩)

(٢) ت : « ويليكَ يامعن ! » . (٣) حاشية ت (من نسخة) : « وفضلات » .

وأخبرنا المرزباني قال أخبرني علي بن يحيى عن عبد الله بن أبي سعد الوراق عن خالد ابن يزيد بن وهب بن جرير عن عبد الله^(١) بن محمد المعروف بمنقار من أهل خراسان - وكان من ولاية الرشيد - قال : حدثني معن بن زائدة قال : كنا في الصحابة سبعمائة رجل ، فكنا ندخل على المنصور في كل يوم ، قال : فقلت للربيع : اجعاني في آخر من يدخل عليه ، فقال لي : لست بأشرفهم فتكون في أولهم ، ولا بأخسهم نسباً فتكون في آخرهم ، وإن مرتبتك [٧٤]^ط لتشبه^(٢) نسبك . قال : فدخلت على المنصور ذات يوم ، وعلى دراعة فضفاضة ، وسيف حنفي^(٣) أقرع بنعله الأرض ، وعمامة قد أسدلنها من قدامي وخلي ، فسلمت عليه وخرجت ، فلما صرت عند الستر صاح بي : يا معن ! صيحة أنكرتها ، فلبيته فقال : إلى ، فدنوت منه ، فإذا به قد نزل عن فراشه إلى الأرض ، وجثا على ركبتيه ، واستل عموداً من بين فراشين ، واستحال لونه ، ودرت أوداجه ، وقال : إلك لصاحبى يوم واسط ، لا نجوت إن نجوت منى ! قال : ١٠ قلت : يا أمير المؤمنين ، تلك نصرتى لباطلهم ، فكيف نصرتى لحقك ؟ قال : فقال لي : كيف قلت ؟ فأعدت عليه القول ، فما زال يستعيدنى حتى رد العمود إلى مستقره ، واستوى متربعا ، وأسفر لونه وقال : يا معن ، إن باليمن هنأت ، قات : يا أمير المؤمنين ، « ليس لمكتوم رأى » - وهو أول من أرساها مثلاً - فقال : أنت صاحبى ، فاجلس ، قال : فجلست ، وأمر الربيع بإخراج كل من كان في الدار ، وخرج الربيع ، فقال لي : إن صاحب اليمن قد هم بالمعصية ، وإنى أريد أن ١٥ آخذه أسيراً ، ولا يفوتنى شيء من ماله ، قلت : ولانى اليمن وأظهر أنك قد ضمنتى إليه ، ومُر الربيع أن يزيج علتى في كل ما أحتاج إليه ، ويخرجنى في يومى هذا لئلا ينتشر الخبر ، قال : فاستل عهداً من بين فراشين ، فوقع فيه اسمى وناولنيه ، ثم دعا الربيع فقال : يا ربيع ، إنا قد ضممننا معنناً إلى صاحب اليمن ، فأزح علته فيما يحتاج إليه من السلاح

(١) حاشية ت (من نسخة) : « عبید الله » . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) :

« كنسبة نسبك » . (٣) السيوف الحنفيه : نوع منها ينسب إلى الأخنف بن قيس ؛ لأنه أول من أمر باتخاذها ، والقياس أحنفية ؛ (الفاموس) .

والسكرع، ولا يُمسي إلا وهو راحل، قال : ثم ودّعني فودعته، وخرجت إلى الدهليز، فلقيني أبو الوالي فقال : يا معن؛ أعزز عليّ أن تضمّ إلى ابن أخيك ! قال : فقلت له : إنّه لا غضاضة على الرجل يضمّه سلطانه إلى ابن أخيه . وخرجت إلى اليمن، فأثيت الرجل ، فأخذته أسيراً ، وقرأت عليه العهد ، وقعدت في مجلسه .

٥ وروى عمر بن شبّة قال : اجتمع عند معن بن زائدة ابنُ أبي عاصية وابنُ أبي حفصة والضمرى، فقال: لِيُنْشِدْنِي كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ أُمْدَحَ بَيْتِ قَالِهِ فِيّ ، فَأَنْشِدَهُ ابْنُ أَبِي حَفْصَةَ :
مَسَحَتْ رَيْبُهُ وَجْهَ مَعْنٍ سَابِقًا لَمَّا جَرَى وَجَرَى ذَوُو الْأَحْسَابِ
/ فقال له معن : الجواد يعثرُ فَيُمسَحَ وجهه من العثار والغبار وغيرها . [٧٠]
وأنشده الضمرى :

١٠ أَنْتَ أَمْرُؤٌ هَمُّكَ الْمَعَالَى وَدَلُّوْكَ مَعْرُوفُكَ الرَّبِيعُ

— وروى : « ودون معروفك الربيع » —

وَشَأْنُكَ الْحَمْدُ تَشْتَرِيهِ يُشِيعُهُ عَنْكَ مَا يُشِيعُ^(١)

فقال له : ما أحسن ما قلت ! إلا أنك لم تسمني ولم تذكرني ، فمن شاء اتحلّه .
وأنشده ابنُ أبي عاصية :

١٥ إِنْ زَالَ مَعْنُ بْنُ زِيَادٍ^(٢) لَمْ يَزَلْ لِنَدَى إِلَى بَلَدٍ يَبْعِرُ مُسَافِرٍ^(٣)
ففضله عليهم .

وروى أنّه أتى معنُ بن زائدة بثلاثمائة أسير ، فأمر بضرب أعناقهم ، فقال له شاب منهم : يا أخا شيبان^(٤) ، نناشدك الله أن تقتلنا عطاشا ! فقال : اسقوهم ماء ، فلما

(١) من نسخة بجوانشى الأصل ، ت ، ف : « من يشيع » .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « شريك » . (٣) في حاشيتي الأصل ، ف : « التقدير :

إن زال معن بن زياد لم يزل لندى يبعر مسافر إليه ؛ يعنى أن عفاته بعد زواله يتودعون ولا يسافرون لعدم من يقصد » . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « يا أخا بني شيبان » .

شربوا قال : يا أخا شيان ، نناشدك الله أن تقتل أضيادك ! فقال : أطلقوهم .

وذكر أحمد بن كامل أن الخوارج قتلت معن بن زائدة بسجستان في سنة إحدى وخمسين ومائة^(١) .

وروى أن عبد الله بن طاهر كان يوما عند المأمون ، فقال له : يا أبا العباس ، مَنْ أشعُرُ مَنْ قال الشعر في خلافة بني هاشم ؟ قال : أمير المؤمنين أعرفُ بهذا مِنِّي ، قال : قلْ عليَّ كلِّ حال ، قال عبدُ الله : أشعرهم الذي يقول في معن بن زائدة :

أيا قبرَ معنٍ كنتَ أوَّلَ حُفْرَةٍ مِنْ الْأَرْضِ خُطَّتْ لِسَمَاحَةٍ مَضْجَعُهَا^(٢)
أيا قبرَ معنٍ كيفَ وَاَرَيْتَ جُودَهُ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبَرُّ وَالْبَحْرُ مَتْرَعَا
بَلَى قَدْ وَسَمْتَ الْجُودَ وَالْجُودُ مَيِّتٌ وَلَوْ كَانَ حَيًّا ضِغْتَ حَتَّى تَصَدَّعَا

والأبيات للحسين بن مطير الأسدي ، وهي تزيد على هذا المقدار ، وأولها :
أَلِمَّا بِمَعْنٍ^(٣) ثُمَّ قَوْلَا لِقَبْرِهِ سَقَّتْكَ الْغَوَادِي مَرَبَعًا ثُمَّ مَرَبَعَا
وفيها :

فَتَى عَيْشَ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ كَمَا كَانَ بَعْدَ السَّيْلِ بَجَرَاهُ مَرْتَعَا
وَلَمَّا مَضَى مَعْنٌ مَضَى الْجُودُ وَانْقَضَى وَأَصْبَحَ عِرْنَيْنُ الْمَسْكَرِمِ أَجْدَعَا

(١) وانظر ترجمة معن وأخباره في (تاريخ بغداد ١٣ : ٢٣٥-٢٤٤ ، وابن خلكان ٢ : ١٠٨)
(٢) الأبيات في (ديوان الحماسة - بشرح التبريزي ٢ : ٣٩٠-٣٩٢) ، وهي أيضا في تاريخ بغداد وابن خلكان .
(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « أَلِمَّا عَلَى مَعْن » .

مَجْلِسُ آخِرِ تَأْوِيلِ آيَةٍ

[٧٥] قال سيدنا الشريف الأجل ذوالمجدين / أطال الله بقاءه : إن سأل سائل فقال : ما الوجهُ في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ ؛ [آل عمران : ٢١] ، وفي موضع آخر : ﴿ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ ؛ [آل عمران : ١٨١] ؛ وظاهرُ هذا القول يقتضى أن قتلهم قد يكون بحق . وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴾ ؛ [المؤمنون : ١١٧] . وقوله : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ ؛ [الرعد : ٢] ، وقوله : ﴿ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ ؛ [البقرة : ١٧٤] ، وقوله تعالى : ﴿ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِجْزَاءً ﴾ ؛ [البقرة : ٢٧٣] ؛ والسؤالُ عن هذه الآيات كلها من وجهٍ واحد وهو الذى تقدم .

الجواب ، أن للعرب فيما جرى هذا المجرى من الكلام عادةٌ معروفةٌ ، ومذهباً مشهوراً ، عند مَنْ تَصَفَّحَ كلامهم وفَهِمَ عنهم . ومرادهم بذلك المبالغة فى النفي وتأكيد كيدهِ ؛ فمن ذلك قولهم : فلان لا يُرْجى خيره ؛ ليس يُريدون أن فيه خيراً لا يُرْجى ، وإنما غرضهم أنه لا خيرَ عنده على وجه من الوجوه ؛ ومثله : قلما رأيتُ مثلاً هذا الرجل ، وإنما يُريدون أن مثله لم يرَ لا قليلاً ولا كثيراً ؛ وقال امرؤ القيس :

على لاجِبٍ لا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ ^(١) إِذَا سَافَهُ الْعَوْدُ الدِّيَافِ جَرَّ جَرّاً ^(٢)

١٥ يصف طريقاً ؛ وأراد بقوله : « لا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ » أنه لا منارَ له فَيُهْتَدَى بها .

(١) من نسخة بحاشية الأصل : « بمنارة » . (٢) ديوانه : ١٠١ ، واللاحب : الطريق

المنقاد الذى لا ينقطع . والمنار : جمع منارة ؛ وهى العلامة التى تجعل بين الحدين ؛ ورواية الديوان : « النباطى »

والعود : المسنن من الإبل ، والدِّيافي : منسوب إلى دِياف ، قرية بالشام معروفة^(١) .
وسافه : شمة^(٢) ، والجرجرة مثل الهدير ؛ وإنما أراد أن العود إذا شمه عرفه فاستبعده ،
وذكر ما يلحقه فيه من المشقة ، فجرجر لذلك ؛ وقال ابن أحر :

لا تفرغ الأرنب أهوالها ولا ترى الضب بها ينجر

أراد : ليست بها أهوال فتفرغ الأرنب ؛ وقال النابغة :

يحفه جانباً نيق وتنبهه مثل الزجاجة لم تكحل من الرمـد^(٣)

أراد : ليس بها رمـد فتكحل له ؛ وقال امرؤ القيس أيضاً^(٤) :

وصم حوام ما يقين من الوجى كأن مكان الردف منه على رال

/ يصف حوافر فرسه . وقوله : « ما يقين من الوجى » فالوجى هو الحفا ، و « يقين » ؛ [٧٦]

أى يتوقن ، يقال : وقى الفرس إذا هاب المشى ، فأراد أنه لا وجى بحوافره فيتهيب
الأرض من أجله ، والرال : فرخ النعام ، وشبه إشراف عجزه بعجز الرال ؛ وقال الآخر^(٥) :

(١) ت : « وهى قرية » ، وفي معجم البلدان : « وقيل من قرى الجزيرة ، وأنها نبط الشام » .

(٢) م : « شمه وعرفه » . (٣) حاشية ت : « الهاء فى يحفه للحمام ، والنيق : أرفع موضع

فى الجبل ، ومثل الزجاجاة عين المرأة التى وصفها » ، وفى حاشية الأصل : « وقيله :

واحكم كحكم فتاة الحى إذ نظرت إلى حمام سراع وارد الممد

قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا إلى حمامتنا ونصفه فقد

— والنمد : الماء القليل .

وفتاه الحى : هى بنت الحس ، عن الأصمى ، وعن أبى عبيدة : زرقاء اليمامة . وذكر أبو حاتم أنه كان
لهاقظة ، ومر بها سرب من القضا بين جبلين ؛ فقالت : ليت هذا الحمام لى ، ونصفه لى حمامتى فيتم لى مائة ؛
فنفروا فإذا هى كما قالت ، وأرادت بالحمام القضا ، وكانت جملة الحمام ستا وستين . واظر الأبيات وشرحها
فى ديوان النابغة — بشرح البطلاني ٢٣ ، ٢٤ . (٤) ت ، وحاشيتى الأصل ، ف « يصف
فرسا ، وقيله :

سليم الشظا عبل الشوى شنج النساء له حجابات مشرفات على الفالى

— الشظا : عظم مستدق لاصق بعظم الذراع . والحجبة على الورك ، وهما حجتان مشرفتان على الحاصرتين

فجهما بما حوا اليهما . والفالى يعنى به الفائل ؛ فقلبه ، والفائل : لحم على خربة الورك ؛ واظر الديوان : ٦٥ .

(٥) هو أعشى باهالة ؛ من قصيدة يرثى بها المنتشر بن وهب .

لَا يَغْمِزُ السَّاقَ مِنْ أَيْنَ وَلَا وَصَبَ وَلَا يَعْصُ عَلَى شُرْطُوهِ الصَّفَرُ^(١)
أَرَادَ : لَيْسَ بِسَاقِهِ أَيْنَ وَلَا وَصَبَ فَيَغْمِزُهَا مِنْ أَجْلِهِمَا ؛ وَقَالَ سُؤَيْدُ بْنُ أَبِي كَاهِلٍ :
مِنْ أَنْاسٍ لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ عَاجِلُ الْفُحْشِ وَلَا سُوءُ الْجَزَعِ^(٢)

وَلَمْ يَرِدْ أَنَّ فِي أَخْلَاقِهِمْ فُحْشًا آجِلًا^(٣) وَلَا جَزَعًا^(٤) ؛ وَإِنَّمَا أَرَادَ نَفَى الْفُحْشِ
وَالْجَزَعِ عَنْ أَخْلَاقِهِمْ . وَمِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ : فَلَانْ غَيْرَ سَرِيعٍ إِلَى الْخَنَاءِ ، وَهُمْ يُرِيدُونَ أَنَّهُ
لَا يَقْرَبُ الْخَنَاءَ ، لَا نَفَى الْإِسْرَاعِ حَسْبُ . وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ وَهُوَ يَهْجُو ابْنَ جَعْفَرِ بْنِ كَلَّابٍ ،
وَيَعْتَرِهُمُ بِقَتْلِ مَنْهُمْ أَصِيبُوا فِي حُرُوبِهِمْ ، فَحَمَلَتِ النِّسَاءُ هَؤُلَاءِ الْقَتْلَى حَتَّى أَتَيْنَ بِهِمْ الْحَى^(٥) :
وَلَمْ تَأْتِ عَيْرَ أَهْلِهَا بِالَّذِي^(٦) أَتَتْ بِهِ جَعْفَرًا يَوْمَ الْهَضَيْبَاتِ عَيْرُهَا^(٧)
أَتَتْهُمْ بِعَيْرٍ لَمْ تَكُنْ هَجْرِيَّةً وَلَا حِنْطَةً الشَّامِ الْمَزِيَّتَ خَيْرُهَا

١٠ . يَعْنِي أَنَّ الْعَيْرَ إِنَّمَا تَحْمِلُ التَّمْرَ أَوِ الطَّعَامَ إِلَى الْحَى ، فَحَمَلَتْ عَيْرُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْقَتْلَى ، وَقَوْلُهُ :
« لَمْ تَكُنْ هَجْرِيَّةً » ؛ أَيْ لَمْ تَحْمِلِ التَّمْرَ ، وَذَلِكَ لِكثْرَةِ التَّمْرِ بِهَجَرَ ، ثُمَّ قَالَ : « وَلَا حِنْطَةً
الشَّامِ الْمَزِيَّتَ خَيْرُهَا » ، وَلَمْ يَرِدْ أَنَّ هُنَاكَ حِنْطَةً لَيْسَ فِي خَيْرِهَا زَيْتٌ ؛ لَكِنَّهُ أَرَادَ أَنَّهَا لَمْ
تَحْمِلْ تَمْرًا وَلَا حِنْطَةً ، ثُمَّ وَصَفَ الْحِنْطَةَ وَمَا يُجْعَلُ فِي خَيْرِهَا مِنَ الزَّيْتِ .

(١) كَذَا فِي جَمِيعِ الْأَصُولِ ؛ وَهُوَ يُوَافِقُ مَا فِي اللَّائِي : ٧٥ ، وَالْكَامِلِ - بِشَرْحِ الْمَرْصُفِيِّ ٨ : ٢١٢ ؛
وَرَوَايَةُ جَهْرَةَ الْأَشْعَارِ ٢٨٢ ؛ وَفِي مَلْحَفَاتِ دِيوَانَ الْأَعْمَشِيِّ ٢٦٨ :

لَا يَتَارَى لِمَا فِي الْقَدْرِ بَرَقْبُهُ وَلَا يَعْصُ عَلَى شُرْطُوهِ الصَّفَرُ
لَا يَغْمِزُ السَّاقَ مِنْ أَيْنَ وَلَا وَصَبَ وَلَا يَزَالُ أَمَامَ الْقَوْمِ يَقْتَفِرُ

وَهِيَ تُوَافِقُ رَوَايَةَ الْمُؤَلَّفِ فَمَا بَعْدَ . وَالتَّأْرِي : النَّعْبِيسُ وَالْمَكْتُ ، وَالصَّفَرُ : حَبَّةٌ فِي الْبَطْنِ تَعْصُ
الْمَرْسُوفَ إِذَا جَاعَ صَاحِبُهُ . وَلَا يَغْمِزُ السَّاقَ : لَا يَخْنِجُهَا وَالْإِفْتِقَارُ : أَنْ يَوْكُلَ الْخَبْزَ قَفَارًا .

(٢) الْمَفْضَلِيَّاتُ : ١٩٥ . (٣) ت ، د : « خَشَا عَاجِلًا وَلَا آجِلًا » .

(٤) ت ، د ، ف : « وَلَا جَزَعًا غَيْرَ سَيِّئٍ » . (٥) دِيْوَانُهُ ٢ : ٤٥٩ .

(٦) ت ، د ، و : نَسْخَةٌ بِحَاشِيَتِي الْأَصْلِ ، ف : « كَالَّذِي » . (٧) الْمَفْضَلِيَّاتُ : مَوْضِعٌ كَانَ فِيهِ يَوْمٌ
مِنْ أَيَّامِ الْعَرَبِ ؛ هُوَ يَوْمٌ طَخَفَ ؛ ذَكَرَهُ الْبَكْرِيُّ فِي مَعْجَمِ الْمُسْتَعْجَمِ : ١٣٥٤ ، وَأُورِدَ الْبَيْتُ .

وعلى هذا يقع تأويل^(١) الآيات التي وقع السؤال عنها ، لأنه تعالى لما قال : ﴿وَيَقْتُلُونَ
النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ دلّ على أن قتلهم لا يكون إلاّ بغير حق ، ثم وصف^(٢) القتل بما لا بد
أن يكون عليه من الصفة ، وهي وقوعه على خلاف الحق ؛ وكذلك : ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ
إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ ، إنما^(٣) هو وصف لهذا الدعاء ، وأنه لا يكون إلاّ عن غير
برهان^(٣) ، وقوله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ وجهه أيضا أنه لو
كان هناك عمداً / رأيتموه ، فإذا نفى رؤية العمدة نفى وجود العمدة ؛ كما قال : «لَا يُهْتَدَى [٧٦]
بِمَنَارِهِ» ، أى لا منار له من حيث علم أنه لو كان له منار لاهتدى به ، فصار نفى الاهتداء بالمنار
نفياً لوجود المنار . وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ تغليظ وتأكيد في
تحذيرهم الكفر ، وهو أبلغ من أن يقول : «ولا تكفروا به» ، ويجرى مجرى قولهم :
فلان لا يسرع إلى الخفا ؛ وقبلما رأيت مثله إذا أرادوا به تأكيد نفى الخفا ونفى رؤية مثل ١٠
المذكور . وكذلك قوله : ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ ، معناه لا مسألة تقع منهم ، ومثل
الأول : ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ ؛ والفائدة أن كل ثمن لها لا يكون إلا قليلا ،
فصار نفى الثمن القليل نفياً لكل ثمن ، وهذا واضح بحمد الله ومّنه .

(١) حاشية ت (من نسخة) : «تأويل» . (٢) حاشية ت (من نسخة) : «ولمّا وصف» .

(٣-٣) ساقط من م .

بَابُ

في ذكر شيء من أخبار المعمرين وأشعارهم ومستحسن كلامهم

أحد المعمرين الحارث بن كعب بن عمرو بن وعلة بن خالد^(١) بن مالك بن أد^(٢) المذحجي، ومذحج^(٣) هي أم مالك بن أد، نسب ولد مالك إليها، وإنما سُميت مذحجاً^(٤) لأنها ولدت على أكمة تسمى مذحجاً، واسمها مدلة بنت ذى منجشان^(٥).

قال أبو حاتم السجستاني: جمع الحارث^(٦) بن كعب بنيه لما حضرته الوفاة فقال:

«يا بني، قد أتى على ستون ومائة سنة، ما صاغت يميني^(٧) يمين غادر، ولا قنعت^(٨) نفسي بخلة فاجر، ولا صبوت بابتة عم ولا كنة، ولا طرحت عندي مؤسسة قناعها، ولا بحث لصديق سر، وإني لعل دين شعيب النبي عليه السلام، وما عليه أحد من العرب غيري، وغير أسد بن خزيمة، وتميم بن مُرّة، فاحفظوا وصيتي، وموتوا على شريعتي: إلهكم فاتقوه يكفكم المهمل من أموركم، ويصلح لكم أعمالكم؛ وإياكم ومعضيتي^(٩)، لا يُحِلّ بكم الدمار، ويوحش منكم الديار. يا بني، كونوا جميعاً ولا تفرقوا فتكونوا شيعاً، وإن موتاً في عز خير من حياة في ذل وعجز، وكلّ ما هو كائن كائن، وكلّ شيء جميع إلى تباين. الدهر^(١٠) صرّفان: فصرّف رخاء، وصرّف بلاء^(١١)، واليوم يومان: فيوم حبرة، ويوم

(١) كذا في جميع الأصول، وفي حاشية الأصل: «ذكر س: هذا سهو، وهو كعب بن عمرو

ابن علبة بن جلد بن مالك. ووعلة وخالد تصحيف وغلط».

(٢) في حاشية الأصل، ت: «صرفت العرب «أددا»، ولم يجعلوه من باب عمر وزفر».

(٣) حاشية الأصل: «ذكر س: قال أبو جعفر محمد بن حبيب: مذحج هي أخت مدلة، واسمها

مدلة بنت منجشان بن كلة بن زدمان. من حير». (٤) حاشية ت: «بخط ش: الصواب ألا تصرف

مذحج للتأنيث والتعريف». (٥) س: «مهنجشان»، ت: «مهنجشان».

(٦) لم يذكر فيما طبع من أخبار المعمرين لأبي حاتم. (٧) حاشية ت (من نسخة):

«ما صاغت يميني». (٨) حاشية ت (من نسخة): «قعت»، بإسكان التاء.

(٩) ت: «ومعضيتي الله». (١٠-١١) ش: «والدهر ضربان: فصرّف رخاء، وصرّف بلاء».

عَبْرَةً ، والناس رجالان : فرجل مَعَكَ ورجل عليك ، وتزوَّجوا الأكفاء ، وليستعملن في طيِّهن الماء ، وتجنَّبوا / الحُمَّاء ؛ فإن ولدها إلى أفنٍ ما يكون ، إلا أنه لراحة لقاطع القرابة ، [٧٧] وإذا اختلف القومُ أمكنوا عدوِّهم منهم ، وآفة العدد اختلاف السكِّمة ؛ والتفضُّل بالحسنة بقي السيئة ، والمكافأة بالسيئة الدخول فيها . العمل السوء يُزيل النِّعماء . وقطيعة الرَّحِم تُورث الهمَّ ، وانتهاك الحرمة يُزيل النعمة ، وعقوق الوالدين يعقب النَّكد ، وبحق العدد ، ويخرب البلد ، والنصيحة تجر الفضيحة ، والحقد يمنع الرِّفْد ، ولزوم الخطيئة يعقب البلية ، وسوء الرِّعة يقطع أسباب المنفعة ، والضغائن تدعو إلى التباين ؛ ثم أنشأ يقول :

أَكُنْتُ شَبَابِي فَأَفْنَيْتُهُ وَأَفْنَيْتُ بَعْدَ دُهُورٍ دُهُورًا
ثَلَاثَةُ أَهْلِينَ صَاحِبِيهِمْ فَبَادُوا وَأَصْبَحْتُ شَيْخًا كَبِيرًا
قَلِيلَ الطَّعَامِ عَسِيرَ الْقِيَامِ قَدْ تَرَكَ الدَّهْرُ خَطَوِي قَصِيرًا
أَيِّتْ أَرَايَ نُجُومَ السَّمَاءِ أَقْلَبُ أُمْرِي بُطُونًا ظُهُورًا

١٠ قوله : « ولا صبوت بآبنة عم ولا كنة » ، الصَّبَوَةُ هي رَقَّةُ الحُبِّ ، ^(١) والسكِّنة . امرأة أخى الرجل وامرأة ابن أخيه ^(٢) .

فأما المومسة ، فهي الفاجرة البغي ، وأراد بقوله : « إنها لم تطرَحْ عنده فناعها » أى لم تَبْتَدَلْ ^(٣) عنده وتَبَسَّطُ ، كما تفعل مع من يريد الفجور بها .

١٥ وقوله : « فيوم حَبْرَةٍ ويوم عَبْرَةٍ » ، فالْحَبْرَةُ : الفرح والسرور ، وَالْعَبْرَةُ تكون من ضِدِّ ذلك ؛ لأنَّ الْعَبْرَةَ لا تكون إلا من أمر محزن مؤلم .

وأما الأفن ، فهو الخُمُق ؛ يقال : رجل أفين ؛ إذا كان أحمق ؛ ومثل من أمثالهم : « وَجَدَانُ الرَّقَيْنِ ؛ يُغَطِّي عَلَى أَفْنِ الْأَفِينِ » ، أى وَجَدَانُ الْمَالِ يَنْطَي عَلَى مُخْمَقِ الْإِحْمَقِ ، ^(٤) وَوَاحِدُ الرَّقَيْنِ رِقَّةٌ ، وهى الفضة .

٢٠

(١-١) حاشية الأصل (من نسخة) « والسكِّنة هي امرأة ابن الرجل وامرأة أخيه » .

(٢) من نسخة بمحاشني الأصل ، ت : « لم تبتدل » .

فأما قوله : « النصيحة تَجِرُ الفضيحة » ، فيشبه أن يكون معناه أن النصيحة إذا نَصَحَ لمن لا يقبل نصيحته ، ولا يُصْنَعُ إلى موعظته فقد افتضح عنده ؛ لأنه أفضى إليه بسرّه وباح بمكنون صدره .

فأما « سوء الرّعة » ، فإنه يقال : فلان حَسَنَ الرّعة والتورّع ، أى حَسَنُ الطريقة .

٥ ومن المعمرين المستوغر ، وهو عمرو بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ابن مرّ بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر .

وإنما سُمِّيَ المستوغر بيتاً قاله ، وهو :

[٧٧] / يَنْشُ الْمَاءُ فِي الرَّبَلَاتِ مِنْهَا نَشِيشَ الرَّضْفِ فِي اللَّبَنِ الْوَغِيرِ^(١) ط

الرَّبَلَات : واحدها ، رَبْلَةٌ ، وَرَبْلَةٌ ، بفتح الباء وإسكانها ، وهى كلّ لحمة غليظة ؛ ١٠ هكذا ذكر ابن دريد .

وَالرَّضْف : الحجارة المحماة ، وفى الحديث : « كأنه على الرّضف » ؛ واللبن الوغير : لبن تُلقَى فيه حجارة مُحَمَّاة ثم يشرب ، أَخَذَ مِنْ وَغْرَةِ الظَّهيرة ، وهى أشدُّ ما يكون من الحرّ ؛ ومنه : وَغَرَ صَدْرُ فلان يَوْغَرُ وَغَرًا ، إذا التهب من غضبٍ أو حقد .

وقال أصحاب الأنساب : عاش المستوغر ثلاثمائة سنة وعشرين ، وأدرك الإسلام أو كاد

١٥ يدرك أوله .

وقال ابن سلام : .. كان^(٢) المستوغر قديماً ، وبقي بقاءً طويلاً حتى قال :

وَلَقَدْ سَمِئْتُ مِنَ الْحَيَاةِ وَطُولِهَا وَعَمِرْتُ^(٣) مِنْ عَدَدِ السِّنِّينَ مِثْلَيْنَا
مِائَةً أَتَتْ مِنْ بَعْدِهَا مِائَتَانِ لِي وَازْدَدْتُ مِنْ عَدَدِ الشُّهُورِ سِنَيْنَا
هَلْ مَا نَقَى^(٤) إِلَّا كَمَا قَدْ قَاتَنَا يَوْمٌ يَكُرُّ وَلَيْلَةٌ تَحْدُونَا

(١) ت : « ذى الربلات » ، د : « بالربلات » والبيت فى اللسان (وغر) ، والمعمرين ٩-١٠ .

(٢) طبقات الشعراء : ٢٩٠-٣٠ . (٣) فى الطبقات : « وازددت » .

(٤) بقى ؛ بالألف ، يريد بقى ، بالياء : لغة طائية .

وهو القائل :

إِذَا^(١) مَا الْمَرْءُ صَمَّ فَلَمْ يُكَلِّمْ^(٢) وَأُودَى سَمُّهُ إِلَّا نِدَايَا^(٣)
وَلَا عَبَّ بِالْعَشَى بَنَى بَنِيهِ كَفَعَلَ الْهَرَّ يَحْتَرِشُ الْعَظَايَا
يُلَاعِبُهُمْ وَوَدُّوا لَوْ سَقَوْهُ مِنْ الذَّبَّانِ مُتَرَعَةً مِلَايَا^(٤)
فَلَا ذَاقَ النَّعِيمَ وَلَا شَرَّابًا وَلَا يُشْفَى مِنَ الْمَرَضِ الشَّفَايَا ٥

أراد بقوله : « صَمَّ فَلَمْ يُكَلِّمْ » ، أى لم يسمع ما يكلم به ، فاختصر ؛ ويجوز أن يريد
أنه لم يكلم للناس من استماعه فأعريض عن خطابه لذلك . وقوله : « وَأُودَى سَمُّهُ إِلَّا نِدَايَا »
أراد أن سممه هلك ؛ إلا أنه يسمع الصوت العالى الذى ينادى به .

وأما قوله : « وَلَا عَبَّ بِالْعَشَى بَنَى بَنِيهِ » ، فإنه مبالغة فى وصفه بالهرم والحرف ، وأنه
قد تنهى إلى ملاعبة الصبيان وأنسهم به . ويشبه أن يكون خَصَّ الْعَشَى بذلك لأنه وقت
رواح الصبيان إلى بيوتهم واستقرارهم فيها .

وقوله : « يَحْتَرِشُ الْعَظَايَا » / أى يصيدها ، والاحتراش أن يقصد الرجل إلى جُحْر^[٧٨]
الضَّبِّ فيضربه بكفه ليحسبه الضب أفعى ، فيخرج إليه فيأخذه ، يقال : حَرَشْتُ الضَّبَّ ،
واحترشته ؛ ومن أمثالهم : « هذا أجلٌ من الحَرَشِ » ، يضرب عند الأمر يُستعظم ،
ويُتكلم بذلك على لسان الضب . قال ابن دريد : قال الضب لابنه : اتَّقِ الحَرَشَ ، قال : ١٥
وما الحَرَشُ ؟ قال : إذا سمعت حركة بيباب الجُحْرِ فلا تخرج ؛ فسمع يوماً وقع الحِخْفَار فقال :
يَأْبَةُ ، أهذا الحَرَشُ ؟ فقال : « هذا أجلٌ من الحَرَشِ » ؛ فجعل مثلاً للرجل إذا سمع الشئ ،
الذى هو أشدُّ مما كان يتوقعه .

(١) الأبيات فى طبقات الشعراء : ٣٠ ، وحاسة البحرى ٣٢٤ (ورواها همزية) ، ومعجم الشعراء :
٢١٣ ، وفى حاشية الأصل : « ذكر سرقال : « قرأت س قال : قرأت بخط عبد السلام البصرى رحمه الله
أن هذه القطعة : إذا ما المرء ... لسكلان بن ذى كواهن الحميرى » . (٢) فى الطبقات ومعجم الشعراء
« فلم ينجى » . (٣) فى حاشية الأصل ، ت : « إنما قلب الهمزة فى ندايا وشفايا وغيرها ياء لأنه
لوقال : شفاء اسكانت تحصل همزة ياء فى ألفان ، والألف قريب من الهمزة ، فإذا اجتمع ألفان مع همزة
صار كأنه قد حصل قريب من الهمزة ؛ فلما كان كذلك أبدل من الهمزة ياء » .

والذَّيْفَان: السَّم . والعظايا : جمع عَظَايَة ، وهى دَوَّيَّة صغيرة معروفة^(١) .

وأحد المعمَّرين دُوَيْد بن زَيْد بن نَهْد بن زَيْد بن لَيْث بن سُود^(٢) بن أَسْلَم^(٣) بن أَلْخَافِ^(٤) بن قُضَاعَةَ بن مَالِك بن مَرَّة بن مَالِك بن حَمِير .

قال أبو حاتم : " عاش دُوَيْد بن زَيْد أربع مائة سنة وستة وخمسين سنة " قال ابن دُرَيْد : لما حضرت دُوَيْد بن زَيْد الوفاة وكان من المعمَّرين ، قال : ولا تَعُدُّ العرب معمرّاً إلا مَنْ عاش مائة وعشرين^(٥) سنة فصاعداً - قال لبنيه : « أوصيكم بالناس شراً ، لا تَرْتَحِمُوا لَهُمْ عَبْرَةً ، وَلَا تُقْبِلُوهُمْ^(٦) عَثْرَةً ، قَصِّرُوا الْأَعْنَةَ ، وَطَوَّلُوا^(٧) الْأَسْنَةَ ، وَاطْمَنُّوا^(٨) شِرْراً ، وَاضْرِبُوا هَبْراً ؛ وَإِذَا أُرِدْتُمُ الْمَحَاجِزَةَ ، فَقبلُ الْمَنَاجِزَةِ ، وَالْمَرْءُ يَعِجُزُ لَا الْحَالَةَ ، بِالْجَدِّ لَا بِالْكَدِّ . التَّجَلَّدْ وَلَا التَّبَلَّدْ ، وَالْمَنِيَّةُ وَلَا الدَّيَّةُ . لَا تَأْسَوْا عَلَى فَائِتٍ وَإِنْ عَزَّ فَقَدُهُ ، وَلَا تَحْنُوا إِلَى ظَاغَمٍ ١٠ وَإِنْ أَلِفَ قُرْبُهُ ، وَلَا تَطْمَعُوا فِتْطَبَعُوا ، وَلَا تَهْنُوا فِتْخَرَعُوا ، وَلَا يَكُونُ^(٩) لَكُمْ الْمِثْلُ السُّوءُ ؛ إِنَّ الْمَوْصِينَ بَنُو سَهْوَان . إِذَا مِتُّ فَأَرْحَبُوا^(١٠) خُطَّ مُضْجِعِي ، وَلَا تَصْنُتُوا عَلَى بَرُحِبِ الْأَرْضِ ، وَمَا ذَلِكَ بِمُؤَدٍّ إِلَى رَوْحًا^(١١) ؛ وَلَكِنْ رَاحَةُ نَفْسٍ^(١٢) خَامَرَهَا الْإِسْفَاقُ . " ثم مات

قال أبو بكر بن دريد في حديث آخر إنه قال :

-
- (١) وانظر أخبار المستوفى في العمرين : ٩ ، وطبقات الشعراء : ٢٩ - ٣٠ ، ومعجم الشعراء : ٢١٣ - ٢١٤ .
 (٢) حاشية ت (من نسخة) : « سويد » . (٣) حاشية الأصل : « بضم اللام » .
 (٤) حاشية الأصل : « أَلْخَاف » ، بفتح الألف كأنه جمع خَف ؛ كذا وجدته مضبوطاً في النسخة المقرّوة على ابن خروازد الجيرى ؛ وهو الصحيح ، وألخاف موصولاً أيضاً يقال « .
 (٥) حاشية ت (من نسخة) : « مائة وستة وعشرين » . (٦) ت : « ولا تقبلوا لهم »
 (٧) ت : « وأطولوا » . (٨) حاشية ت : طعن بالرمح يطعن [بضم العين] ، وباللسان يطعن [بفتح العين] . (٩) ش : « ولا يكر » . (١٠) حاشية ت : « بخط ش : « فأرحبوا »
 بالقطع وكسر الحاء . (١١) حاشية ت (من نسخة) : « نفعا » . (١٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « حاجه نفس » .

اليَوْمَ يُبْنَى (١) لِذَوَيْدَ بَيْتُهُ يَارُبَّ هَبْ (٢) صَالِحِ حَوَيْتُهُ
وَرُبَّ قِرْنٍ (٣) بَطَلَ أَرْدَبَتُهُ وَرُبَّ غَيْلٍ حَسَنٍ لَوَيْتُهُ
وَمِعَصَمٍ مُخَضَّبٍ ثَنَيْتُهُ لَوْ كَانَ لِلدَّهْرِ بِلَى أَبْلَيْتُهُ
أَوْ كَانَ قِرْنِي وَاحِدًا كَفَيْتُهُ

ومن قوله أيضا :

٥
[٧٨]
ظ

/ أَلْقَى عَلَى أَندَهْرِ رَجُلًا وَبَدَا وَالْدَّهْرُ مَا أَصْلَحَ يَوْمًا أَفْسَدَا
يُفْسِدُ مَا أَصْلَحَهُ الْيَوْمَ غَدَا

قوله : « اطعموا شُرَرًا ، واضربوا هَبْرًا » ، معنى الشَّرُّ أن يطعمه من إحدى ناحيتيه ،
يقال: قَتَلَ الْحَبْلَ شُرَرًا إِذَا قَتَلَهُ عَلَى الشَّمَالِ ، وَالنَّظَرَ الشَّرُّ : نَظَرٌ بِمَوْخِرِ الْعَيْنِ ؛ وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ :
نَظَرَ إِلَى شُرَرًا إِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ مِنْ عَنِّ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ ، وَطَعْنَهُ شُرَرًا كَذَلِكَ .

١٠

وقوله : « هَبْرًا » ، قَالَ ابْنُ دَرِيدٍ : يُقَالُ هَبَرْتُ اللَّحْمَ أَهْبَرُهُ هَبْرًا إِذَا قَطَعْتَهُ قِطْعًا
كَبَارًا ، وَالْأَسْمُ الْهَبْرَةُ وَالْهَبْرَةُ ، وَسَيْفٌ هَبَّارٌ وَهَابَرٌ ، وَاللَّحْمُ هَبِيرٌ وَمَهْبُورٌ . وَالْمُحَالَةُ :
الْحِيلَةُ (٤)

١٥

وقوله : « بِالْجَدِّ لَا بِالْكَدِّ » ؛ أَيْ يَدْرِكُ الرَّجُلُ حَاجَتَهُ وَطِبَابَتَهُ بِالْجَدِّ ، وَهُوَ الْحِظُّ
وَالْبُخْتُ ، وَمِنْهُ رَجُلٌ مَجْدُودٌ ، فَإِذَا كَسَرْتَ الْجِيمَ فَهُوَ الْإِنْكَاشُ فِي الْأَمْرِ وَالْمُبَالَغَةُ فِيهِ .
وقوله : « التَّجَلَّدُ وَلَا التَّبَلُّدُ » ؛ أَيْ تَجَلَّدُوا وَلَا تَتَبَلَّدُوا .

وقوله : « فَتَطْبَعُوا » ، أَيْ تَدْنَسُوا ، وَالطَّبَعُ الدَّنَسُ ، وَيُقَالُ طَبَعَ السَّيْفُ يَطْبَعُ
طَبْعًا ، إِذَا رَكِبَهُ الصَّدَا ؛ قَالَ ثَابِتٌ قِطْنَةَ (٥) الْعَتَكِيِّ :

٢٠

لَا خَيْرَ فِي طَمَعٍ يُدْنِي إِلَى طَبَعٍ وَغُفَّةٌ مِنْ قَوَامِ الْعَيْشِ تَكْفِينِي (٦)

(١) حَاشِيَةُ ف (مِنْ نَسَخَةٍ) : « يَدْنِي » . (٢) التَّهَبُّ : الْغَنِيمَةُ تَنْتَهَبُ .
(٣) الْقِرْنُ : الَّذِي يُلْقَاكَ لِيقَاوَمَكَ . (٤) فِي حَاشِيَةِ الْأَصْلِ ، ت : « قَدْ قِيلَ إِنَّ الْحَالَةَ يَتَّبِعُهَا الْآلَةُ الَّتِي يَسْتَقِي عَلَيْهَا ، وَهِيَ مِثْلُ الْبُسْكَرَةِ » . (٥) حَاشِيَةُ ت : « وَيُقَالُ : قِطْبَةُ » .
(٦) الْغُفَّةُ : الْبَلُغَةُ مِنَ الْعَيْشِ ؛ كَذَا ذَكَرَهُ صَاحِبُ اللِّسَانِ وَاسْتَشْهَدَ بِالْبَيْتِ .

وقوله : « ولا تهنوا فتخرجوا »؛ فالوهن الضعف ، والخَرَاع والخَرَاعة : اللين ، ومنه سميت الشجرة الخِرْوَع للينها ، وقوله : « إِنَّ الموصِينَ بنو سهوان »؛ فالموصُونَ جمع موصى ، وبنو سهوان ضربه مثلاً ، أى لا تكونوا ممن تُقَدِّم إليهم فَسَهَّوْا وأعرضوا عن الوصية ، وقالوا : إنه يُضْرَب هذا المثل للرجل الموثوق به ذمة ؛ ومعناه أن الذين يحتاجون أن يوصَّوْا بحوائج إخوانهم هم الذين يسهون عنه لقلة عنايتهم ؛ وأنت غير غافل ولا ساه عن حاجتى .
وقوله : « فارحبوا »؛ أى أوسعوا ، والرُّحْب السعة ، والروْح : الراحة .
وقوله فى الشعر : « ورب غَيْل »؛ فالغَيْل الساعدُ الممتلئ . والمعصم : موضع السوار من اليد^(١) .

ومن المعمرين زهير بن جناب بن هُبَل بن عبد الله بن كِنانة بن بكر بن عوف بن
عُذرة بن زيد اللات بن رُفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن
الحاف بن قُضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير .

[٧٩] / قال أبو حاتم : " عاش زهيرُ بن جناب مائتي سنة وعشرين سنة ، وأوقع مائتي وقعة ،
وكان سيداً مطاعاً شريفاً فى قومه ، ويقال : كانت فيه عَشْرُ خِصَال لم يجتمعن فى غيره من أهل
زمانه ، كان سيدَ قومه ، وشرِيفهم ، وخطيبهم ، وشاعرهم ، ووافدهم إلى الملوك ، وطبيبهم
١٥ - والطَّبُّ فى ذلك الزمان شرف - وحازى قومه - والحِزاة الكُهان - وكان فارسَ قومه ، وله
البيت فيهم ، والعدد منهم " .

وأوصى بنيه فقال : « يا بنى ، قد كبرتُ سنّى ، وبلغتُ حَرَ سَامَن دهرى ، فأحكمتنى
التجارب ، والأمورُ تجربةً واحتيالاً ؛ فاحفظوا عني ما أقول وعُوه ، إياكم والخور عند المصائب ؛
والتواكل عند النوائب ، فإنَّ ذلك داعيةٌ للافتم ، وشماتةٌ للعدو ، وسوء ظن بالرب

(١) وانظر ترجمة دويد وأشعاره فى (طبقات الشعراء ٢٧-٢٨ ، والمعمرين ٢٠-٢١ ، والمختلفة
والمؤتلف من الشعراء ١١٤-١١٥ ، والاشتقاق ٣٢١ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ٥١ ، والقاموس - دويد)

وإياكم أن تكونوا بالأحداث مغترين ، ولها آمنين ، ومنها ساخرين ، فإنه ماسخِر قومٍ قطُّ
إلا ابتلوا ، ولكن توقموا ، فإنما الإنسان في الدنيا غرض تماوره الرّماة ، فمقصرٌ دونه
ومجاوزٌ لموضعه ، وواقعٌ عن يمينه وشماله ؛ ثم لا بدّ أنّه مصيبه .

قوله : « حرّساً من دهرى » ، يريد طويلاً منه ، والحرّس من الدّهر : الطويل ،

قال الراجز :

* في سنّبة عشنا بذلك حرّساً *

السنّبة : المدة من الدهر . والتواكل : أن يكِل القومُ أمرهم إلى غيرهم ، من قولهم :
رجلٌ وِكِلٌ ، إذا كان لا يكفي نفسه ، ويكِلُ أمره إلى غيره ؛ ويقال : رجلٌ وُكَلّةٌ تُكَلّة .
والفرض : كلُّ ما نصبته للرّى . وتماوره ، أى تداوله .

قال سيدنا الشريف أدام الله علوّه : وقد ضمّن ابن الرومى^(١) معنى قول زهير بن جناب : ١٠
« الإنسان في الدهر غرض تماوره الرّماة ، فمقصرٌ دونه ومجاوزٌ له ، وواقعٌ عن يمينه
وشماله ، ولا بدّ أن يصيبه » أبياتاً ، فأحسن كلّ الإحسان ؛ والأبيات :

كفّى بسرّاج الشّيب في الرّأس هادياً لِمَنْ قد أضلّته^(٢) المنايا لياليا
أمنٌ بعد إبداء المّشيب مقاتلي لِرأى المنايا تحسّبنى ناجيا
غداً الدهرُ يرّمنى فتدّنو سيّئاته لَشخصي^(٣) أخلاقُ أن يُصيّنَ سواديا ١٥
وكان كرامى اللّيل يرّمنى ولا يرّى فلما أضاء الشّيبُ شخصي رمانيا

أما البيت الأخير ، فإنه أبدع فيه وغرّب^(٤) ، وما علمتُ أنّه سبق إلى معناه ؛ لأنّه [٧٩]
جملَ الشباب كالليل السّائر على الإنسان ، الحاجز بينه وبين مَنْ أراد رميه لظلمته

(١) حاشية الأصل : « كان ابن الرومى متشيعاً ، وكان مقلّقى الشعر واللغة ؛ بحيث يقول لتلاميذه :
امرضوا شعري على نعل ، فأنكر من نحوه نخذه ، وما أنكر من لفته فلا تلقنوا اليه ؛ فإنى أعلم منه
باللغة » . (٢) ش : « إلى من أضلته » . حاشية ت (من نسخة) : « له من أضله » .

(٣) ت ، ونسخة بحاشية الأصل : « لشخصي وأخلق » . (٤) ت : « وأغرب » .

والشيبَ مبدئاً لمقاتله، هادياً إلى إصابته لضوئه وبياضه، وهذا في نهاية حسن المعنى .
وأراد بقوله : « رمانى » أى أصابنى ؛ ومثله قول الشاعر :

فلَمَّا رَمَى شَخْصِي رَمَيْتُ سَوَادَهُ وَلَا بَدَأَ أَنْ يُرْمَى سَوَادُ الَّذِي يَرْمَى

وكان زهير بن جَنَاب على عهد كُأَيْب وائل ، ولم يكن فى العرب أنطقُ من ز
• ولا أَوْجَه عند الملوك ، وكان لسداد رأيه يسمى كاهنًا ، ولم تُجْمَع قُضَاعَةٌ إِلَّا عليه وعلى ر
ابن ربيعة .

وسمع زهيرُ بعضَ نسائه تتكلم بما لا ينبغى لمرأة تتكلم^(١) به عند زوجها ، فنه
فقالَتْ له : اسكُتْ عَنِّي وَإِلَّا ضَرَبْتُكَ بِهَذَا الْعَمُودِ ، فوالله ما كنت أراك تسمع شيئاً ولا تع
فقال عند ذلك :

١٠ أَلَا لَقَوْمٍ لَا أَرَى النَّجْمَ طَالِعًا وَلَا الشَّمْسَ إِلَّا حَاجَتِي بَيْمِينِي
مُعَزَّتِي عِنْدَ الْقَفَا بَعْمُودِهَا يَكُونُ نَكِيرِي أَنْ أَقُولَ ذَرِينِي
أَمِينًا عَلَى سِرِّ النِّسَاءِ وَرُبَّمَا أَكُونُ عَلَى الْأَسْرَارِ غَيْرَ أَمِينِ
فَلَلَمُوتُ خَيْرٌ مِنْ حِدَاجٍ^(٢) مُوَطَّأٍ مَعَ الظَّعْنِ لَا يَأْتِي الْمَحَلَّ لِحِينِي

وهو القائل :

١٥ أَبْنَىٰ إِنَّ أَهْلِكَ فَقَدْ أَوْرَثْتَكُمْ مَجْدًا بَنِيَّةً
وَتَرَ كُنُتَكُمْ أَرْبَابَ سَا دَاتٍ زِنَادُكُمْ وَرِيَّةً
مِنْ كُلِّ مَا نَالَ الْفَتَى قَدْ نِلْتَهُ إِلَّا التَّحِيَّةُ
وَلَقَدْ رَحَلْتُ الْبَاذِلَ الـ كَوْمَاءَ لَيْسَ لَهَا وَلِيَّةُ
وَحَطَبْتُ خُطْبَةً حَازِمٍ غَيْرِ الضَّعِيفِ^(٣) وَلَا الْعِيَّةِ

(١) ت : « أن تتكلمه » . (٢) فى حاشيتى الأصل ، ت : « الحدج : مركب من مرا
النساء ؛ كالخفة ؛ وجمعه أحداج وحدوج ؛ والحداجة لغة فيه ؛ عن يعقوب ، والجمع الحدائج » .
(٣) حاشية ت (من نسخة) : « لا بالضعيف » .

فَالْمَوْتُ خَيْرٌ لِلْفَتَى فَلَيْسَ لَكَ بِهِ رَيْبٌ
مِنْ أَنْ يُرَى الشَّيْخَ الْبَجَا لَوْ قَدْ يُهَادَى بِالْمَشِيَّةِ

/وهو القائل :

[٨٠]

و

لَيْتَ شِعْرِي وَالْدَهْرُ ذُو حَدَثَانٍ أَيَّ حِينٍ مَذِيبَتِي تَلْقَانِي !
أَسْبَابٌ عَلَى الْفِرَاشِ خُفَاتٌ أَمْ بِكَفَى مُفْجَعٍ حَرَّانٍ (١) !

٥

وقال حين مضت له مائتا سنة من عمره :

لَقَدْ عُمِرْتُ حَتَّى مَا أَبَالِي أَحْتَفِي فِي صَبَاحِي أَمْ مَسَائِي !
وَحَقٌّ لِمَنْ أَنْتَ مَائَتَانِ عَامًا عَلَيْهِ أَنْ يَمَلَّ مِنَ النَّوَا

قوله : « مُعَزِّبَتِي » يعني امرأته ، يقال : معزبة الرجل وظلمته وحنثته ؛ كل ذلك امرأته .

١٠

وقوله : « أُمِينَا عَلَى سِرِّ النِّسَاءِ » ، السرّ : خلاف العلانية ، والسرّ أيضا : النكاح ، قال الحطيئة :

وَيَحْرُمُ سِرَّ جَارِهِمْ عَلَيْهِمْ وَيَأْكُلُ جَارُهُمْ أَنْفَ الْقِصَاعِ (٢)

وقال امرؤ القيس :

أَلَا زَعَمْتَ بِسَبَاسَةِ الْيَوْمِ أَنِّي كَبَرْتُ وَالْأَيُّ يُحْسِنُ السَّرَّ أَمْثَالِي (٣)

١٥

(١) حاشية الأصل : « السبات » ، أصله النوم ، ويريد به الموت ، وقد قيل : النوم موت خفيف ، والموت نوم ثقيل ؛ يقول : ليت شعري : أأموت حتف أنفي على فراشي ، أم يفتاني متأثر عطشان إلى دمي ! .
(٢) ديوانه : ٩٣ ؛ وفي حاشية الأصل : « أنف القيصاع أول ما يعرف من القدر فيكون أدم » ، وفي شرح الديوان : « يقول : يؤثرون جوارهم بالطعام على أنفسهم ، فيأكل صفوة طعامهم قبلهم ، وأنف كل شيء أوله . (٣) ديوانه : ٣٠ ، وقد ضبط قوله : « لا يحسن » ، بالضممة والفتحة معا ، في الأصل ، وفي حاشيتهما : « الرافع على إضمار الهاء ، والنصب على اللفظ » ، وفي حاشية الأصل (من نسخة) : « وألا يشهد » .

وكلام زعيم يحتفل الوجهين جميعاً ، لأنه إذا كبر وهريم لم تهيبه النساء أن ^(١) يتحدثن بحضرتة بأسرارهن ^(٢) ، تهاونا به ، أو تعويلا على ثقل سمعه ، وكذلك هريمه وكبره يوجبان كونه أمينا على نكاح النساء امجزة عنه .

وقوله : « حِداج مُوطَّأ » ، الحِداج ^(٣) : مَرَكَبٌ من مراكب النساء ، والجمع أحداج

٥ وحُدُوج .

والظُّعُنُ والأطمان : الهوادِج ، والظعينة المرأة في الهودَج ؛ ولا تُسمَّى ظعينة حتى تكون في هودَج ، والجمع ظلعان ؛ وإنما خبر عن هريمه ، وأن موته خيرٌ من كونه مع الظُّعُن في جملة النساء .

وقوله : « زنادكم وريته » : الزَّناد : جمع زَنْدٍ وزَنْدَةٌ . وهما عودان يُقَدَّحُ بهما النار ، وفي أحدهما فروض ، وهي مُتَقَبٌ ؛ فالتى فيها الفروض هي الأنثى ، والذي يُقَدَّحُ بطرفه هو الذَّكَرُ ، ويسمى الزَّندُ الأب ، والزَّندَةُ الأم . وكنتى « زنادكم وريته » عن بلوغهم مأربهم ؛ تقول العرب : ورَيْتُ بك زنادى ؛ أى نلتُ بك ما أحب من التَّجُّعِ والنَّجاة ، ويقال للرجل الكريم : وارِى الزَّناد .

[٨٠] / فأما التحية ، فهي المُلك ، فكأنه قال : مِنْ كُلِّ ما نال الفتى قد نالته إلا المُلك ؛ وقيل
١٥ التحية هاهنا : الخلود والبقاء .

وبالازل : الدَّائِمَةُ التى بلغت تسع سنين ، فهي أشدُّ ما تكون ، ولفظُ بالازل فى الناقة والجلل سواء .

والكَوْءُ : العظيمة السَّنام . والوَليَّةُ : برزعة تُطْرَحُ على ظهر البعير تلى جلده .

والبَجال : الذى يُبَجِّلُهُ قومُه ويعظمونه . وقوله : « يهادى بالمشية » ، أى يماشيه الرجال

٢٠ فيُسندونه لضعفه . والتهادى : المشى الضعيف .

(١-١) ت : « تتحدث بحضرتة بأسرارها » (٢) فى حاشيتى الأمل ، ت : « القياس

حدج [بضم تين] فى جمع حداج ؛ إلا أن يكون نادرا ؛ كظروف فى جمع ظريب .

وقوله: «أسْبَاتٌ»، فالسُّبَات : سكون الحركة ، ورجل مسبوت ، والخُفَات : الضعف
أيضا ، يقال : خَفَّتْ^(١) الرجل إذا أصابه ضَمَفٌ من مرض أو جوع .
والمفَجَّع : الذى يَجْع بولده أو قرابة . والحِرَّان : العطشان المتهب^(٢) ، وهو هاهنا
المحزون على قتله .

ومما يروى لزهير بن جَنَاب :

إِذَا مَا شِئْتَ أَنْ تَسْلَى حَبِيبًا فَأَكْثِرْ دُونَهُ عَدَدَ اللَّيَالِي
فَمَا سَلَى حَبِيبَكَ مِثْلُ نَأَى وَمَا أَبْلَى جَدِيدَكَ كَأَبْتَدَالِ^(٣)



(١) ش : « خفت » ؛ بالبناء للمجهول . (٢) ش : « المحترق » .

(٣) وانظر ترجمة زهير بن جناب وأشعاره وأخباره في (أخبار المعربين ٢٤-٢٩ ، والأوتل والمختلف من أسماء الشعراء ١٣٠ ، وطبقات الشعراء : ٣٠ ، والأغاني ٢١ : ٦٣-٦٨ ، والشعر والشعراء ٣٣٩-٣٤٢ ، وتاريخ ابن الأثير ١ : ٢٩٩-٣٠١) .

مَجْلِسُ الْغُرَى

ومن المَعْمَرِينَ ذُو الإصْبَعِ الْعَدَوَانِيَّ ، واسمه حُرْثَانُ بْنُ مُجَرَّثِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ رَبِيعَةَ
ابن وَهَبِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ ظَرِيبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عِيَادٍ^(١) بْنِ يَشْكُرَ بْنِ عَدَوَانَ . وهو الْحَارِثُ بْنُ
عَمْرِو بْنِ قَيْسِ بْنِ عِيْلَانَ بْنِ مَضَرَ^(٢) .

وإِنَّمَا سُمِّيَ الْحَارِثُ عَدَوَانًا ، لِأَنَّهُ عَدَا عَلَى أَخِيهِ ؛ فَهَمَّ^(٣) بِقَتْلِهِ ، وَقِيلَ : بَلْ فَتَمَّ عَيْنَهُ ،
وَقِيلَ : إِنْ اسْمُ ذُو الإصْبَعِ مُجَرَّثُ بْنُ حُرْثَانَ ، وَقِيلَ : حُرْثَانُ بْنُ حَوْبَرِثَ ، وَقِيلَ : حُرْثَانُ
ابن حَارِثَةَ ، وَيَكْتَنَى أَبَا عَدَوَانَ .

وَسَبَّ لِقَبِهِ بَذَى الإصْبَعِ أَنَّ حَيَّةَ نَهَشَتْهُ عَلَى إصْبَعِهِ فَشَاتَتْ ، فَسُمِّيَ بِذَلِكَ . وَيُقَالُ :
إِنَّهُ عَاشَ مِائَةَ وَسَبْعِينَ سَنَةً . وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ : إِنَّهُ عَاشَ ثَلَاثًا مِائَةَ سَنَةً .

وَهُوَ أَحَدُ حَكَامِ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ . وَذَكَرَ الْجَاهِظُ أَنَّهُ كَانَ أَثَرَمَ^(٤) وَرَوَى عَنْهُ :

لَا يَبْعَدُنْ عَهْدُ الشَّبَابِ وَلَا لَدَائِنُهُ وَنَبَاتُهُ النَّضْرُ^(٥) ١٠

لَوْلَا أُولَئِكَ مَا حَفَلْتُ مَتَى غُولِيْتُ فِي حَرَجٍ^(٦) إِلَى قَبْرِى

(١) ش : « عباد بن يشكر » . (٢) حاشية الأصل : « قال ش : هو قيس عيلان ؛ وليس

بقيس بن عيلان ، وهو لقب للناس بن مضر ، والباس أخو إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ،
وقيل : عيلان اسم فرس فذهب إليه ، وقيل : بل عيلان لقب مضر بن نزار ، لأنه يقال قيس بن عيلان ؛
قال زفر بن الحارث :

أَلَا إِنَّمَا قَيْسُ بْنُ عِيْلَانَ بَقَّةٌ إِذَا وَجَدَتْ رِيحَ الْمُصِيرِ تَغَنَّتْ

(٣) ش : « فهم فقتله » . (٤) حاشية الأصل : « الأثرم : الذي سقطت مفاهيم أسنانه » .

(٥) في حاشية الأصل ، ت : « إن جررت النضر بدلا من الماء في « نباته » تخلصت من الإقواء ؛ ولك

أن تقول : « النضرى » مندوبا كقوله : « والدهر بالإنسان دوارى » ، ويجوز أن يعطف على الشباب » .

(٦) حاشية ت (من نسخة) : « حرجى » والخرج : سرير الموتى .

[٨١] / هَزَيْتُ أَثْيَاةً أَنْ رَأَتْ هَرَمِي وَأَنْ اِنْحَنَى لِتَقَادُمِ ظَهْرِي وَ

وكان^(١) لدى الإصمع بنات أربع ، فعرض عليهن أن يزوجهن فأبين وقلن : خِدْمُكَ وقربك أحبُّ إلينا . ثم أشرف عليهن يوماً من حيث لا يرينه ، فقلن : لَتَقُلْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنَّا مَا فِي نَفْسِهَا ، فقالت الكبرى :

أَلَا هَلْ أَرَاهَا مَرَّةً وَضَجِيعُهَا أَثَمُّ كَنْصَلِ السَّيْفِ عَيْنُ مُهَنْدٍ^(٢) .
عَلِيمٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ وَأَصْلُهُ إِذَا مَا انْتَمَى مِنْ سِرِّ أَهْلِي وَمَحْتَدِي^(٣) .
ويروى « من أهل سري ، ومن أصل سري ومحتدي » .

فقلن لها : أنتِ تريدين ذا قرابة قد عرفتِه . ثم قالت الثانية :
أَلَا لَيْتَ زَوْجِي مِنْ أَنَاسٍ أَرِلِي عَدَى^(٤) حَدِيثُ الشَّبَابِ طَيْبُ الثَّوْبِ^(٥) وَالْمِطْرِ
ويروى : « أولى غنى » .

لَصُوقٌ بِأَكْبَادِ النِّسَاءِ كَأَنَّهُ خَلِيفَةُ جَانٍ لَا يَنَامُ عَلَى وَتَرٍ^(٦) .
ويروى : « لا ينام على هَجْرِي » .

فقلن لها : أنتِ تريدين فسّتي ليس من أهلك . ثم قالت الثالثة :

(١) الخبر في الأغاني ٣ : ٩٤-٩٦ (طبع دار الكتب المصرية) ، ومع شرحه في السكامل - بشرح الرصني ٥ : ٩٤-١١١ ، مع اختلاف في الرواية ونسبة الأبيات .
(٢) حاشية ت (من نسخة) :

أَلَا هَلْ أَرَاهَا لَيْلَةً وَضَجِيعُهَا أَغَرُّ كَنْصَلِ السَّيْفِ غَيْرُ مُهَنْدٍ
ورواية الأغاني :

أَلَا هَلْ أَرَاهَا لَيْلَةً وَضَجِيعُهَا أَثَمُّ كَنْصَلِ السَّيْفِ غَيْرُ مُبَلَّدٍ

(٣) رواية الأغاني : « طيب بأدواء النساء » ، ورواية السكامل : « بأدواء النساء كأنه » .

(٤) حاشية ت (من نسخة) : « ذوى غنى » ، وهى رواية الأغاني والسكامل .

(٥) رواية السكامل : « طيب الذنر » ، ورواية الأغاني : « طيب الریح » .

(٦) حاشية ت (من نسخة) : « خليفة جان » .

أَلَا لَيْتَهُ يُكْسَى الْجَمَالَ نَدِيَّهُ^(١) لَهُ جَفْنَةٌ تَشْقَى بِهَا الْمَعَزُ^(٢) وَالْجُزُرُ
لَهُ حَكَمَاتُ الدَّهْرِ مِنْ غَيْرِ كِبَرَةٍ تَشِينُ ؛ فَلَا فَاِنْ وَلَا ضَرَعُ غَمْرُ
فَقَانِ لَهَا : أَنْتِ تَرِيدِينَ سِيدَا شَرِيفًا .

وقلن للرابعة : قولى، فقالت : لا أقول شيئاً، فقان لها : يا عدوة الله، علمت ما فى أنفسنا ولا

٥ تعلميننا ما فى نفسك! فقالت : « زوج من عود خير من قعود »؛ فمضت مثلاً .

فزوجهن أربعهن، وتركهن حولاً، ثم أتى الكبرى فقال: يا بُنَيَّةُ، كيف ترى زوجك؟
قالت : خيرُ زوج ، يُكْرِمُ الحَلِيلَةَ ، وَيُعْطِي الوَسِيلَةَ . قال : فما مَالُكُمْ ؟ قالت : خير مال ،
الإبل نَشْرَبُ ألبَانَهَا جُرْعًا وَيُرْوَى : « جُرْعًا » ، بالراء غير المعجمة - ونا كل أُنْجَانَهَا مِرْعَاً ،
وتَحْمِلُنَا وَضَعِفْنَا^(٣) معاً ؛ فقال : يا بُنَيَّةُ ، زوج كريمٌ ، ومال عظيمٌ .

١٠ ثم أتى الثانية فقال: يا بُنَيَّةُ ، كيف زوجك ؟ قالت : خيرُ زوجٍ ؛ يُكْرِمُ أهْلَهُ ، وَيَنْسَى
فَضْلَهُ ، قال : وما مَالُكُمْ ؟ قالت : البقر تألف الفناء ، وتَمْلَأُ الإِنَاءَ ، وَتُودِكُ^(٤) السَّقاءَ ،
ونساء مع النساء^(٥) ، فقال لها : حظيتِ وَبَظِيتِ^(٦) .

ثم أتى الثالثة فقال: يا بنية، كيف زوجك ؟ قالت : لا سمحٌ بِذِرٍ^(٧) ، ولا بخيلٍ حَكِرٍ^(٨)

(١) رواية الأغاني :

* أَلَا لَيْتَهُ يَمْلَأُ الْجَفَانَ لِضَيْفِهِ *

ورواية الكامل :

* أَلَا لَيْتَهُ يَمْلَأُ الْجَمَالَ بِدَيْئَةٍ *

(٢) فى الأغاني : « النيب » .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « وضعفتنا » . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « تودك » ،

بتشديد الدال مكسورة ؛ وكذا ضبطت بالهم فى الكامل . (٥) ش : « مع نساء » ، وهى رواية

الأغاني والكامل . (٦) حاشية ت (من نسخة) : « رضيت » .

(٧) بذر : يسط ماله بالذر ؛ وهو وصف للمباغمة . (٨) حكر : هو الذى لا يزال يحبس

سلعته حتى يبيع بالكثير من شدة حكره .

قال: فما مالكم؟ قلت: المعزى، قال: وما هي؟ قالت: لو كنّا نولدّها فطماً، ونسلخها أدماً - وروى: «أدماً» بالفتح - لم نبغ بها نعمةً فقال لها: جذوة^(١) مغنية - وروى: جذوى^(٢) مغنية.

ثم أتى الصغرى فقال: كيف زوجك؟ قالت: شرُّ زوج؛ يكرّم نفسه، ويهين عرسه؛ قال: فما مالكم؟ قالت: شرُّ مال، قال: وما هو؟ قالت: الضأن، جوف لا يشبعن، وهيم لا ينقن، وصم لا يسمن، وأمر مغويهن يتبمن. فقال أبوها: «أشبه امرؤ^(٣) بعض بزّه»، فضت مثلاً.

أما قول إحدى بناته في الشعر: «أشم»، فالشم هو ارتفاع أرنبة الأنف وورودها؛ يقال: رجل أشم، وامرأة شماء، وقوم شم، قال حسان بن ثابت:

بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول^(٤)

والشم: الارتفاع في كل شيء؛ فيحتمل أن يكون حسان أراد بشم الأنوف ما ذكرناه من ورود الأرنبة؛ لأن ذلك عندهم دليل العتق والنجاة. ويجوز أن يريد بذلك الكناية عن زاهتهم وتباعدهم عن دنيا الأمور ورذائلها؛ وخص الأنوف بذلك؛ لأن الحمية والغضب والأنف^(٥) فيها؛ ولم يرد طول أنفهم؛ وهذا شبه بأن يكون مراده؛ لأنه قال: «بيض الوجوه» ولم يرد بياض اللون في الحقيقة، وإنما كنى بذلك عن نقاء أعراضهم، وجميل أخلاقهم وأفعالهم؛ كما يقول القائل: جاءني فلان بوجه أبيض؛ وقد بيض فلان وجهه بكذا وكذا، وإنما يعنى ما ذكرناه. وقول المرأة: «أشم كنضل السيف» يحتمل الوجهين أيضاً. وقول حسان «من الطراز الأول»، أي أفعالهم أفعال آبائهم وسلفهم، وأنهم لم يحدثوا أخلاقاً مذمومة لا تشبه نجارهم. وأصولهم. وقولها: «عين مهندي»؛ أي هو المهند بعينه، كما يقال: هذا هو بعينه، وعين

(١) حاشية ت (من نسخة): «جذوة».

(٢) حاشية ت (من نسخة): «جذوى».

(٣) حاشية ت (من نسخة): «أشبه

امرأ بعض بزّه»، والبرز في الأصل: مانع البيت من الثياب خاصة؛ كنى به عن الضأن؛ وهي مانع؛ والمثل يضرب للمتشابهين أخلاقاً. (٤) ديوانه: ٨٠. (٥) حاشية ت (من نسخة): «والأنفة».

الشيء نفسه . وعلى الرواية الأخرى : « غير مهنّد » أى ليس هو السيف المنسوب إلى الهند فى الحقيقة ، وإنما هو يُشبهه فى مضائه . وقولها : « من سرّ أهلى » ، أى من أكرمهم وأخلصهم ، يقال : فلان فى سرّ قومه ، أى فى صميمهم وشرفهم ، وسرّ الوادى : أطيبه تراباً . والمحتد : الأصل .

[٨٢] وقول الثانية : « أولى عدّى » / فإتما معناه أن يكون لهم أعداء ، لأنّ من لا عدوّ له هو الفسل الرذل الذى لا خيرَ عنده ، والكريمُ الفاضل من الناس هو المحسّد المعادى ^(١) .

وقولها : « لصوقٌ بأكباد النساء » تعنى فى المضاجعة ، ويحتمل أن تكون أرادت فى المحبة والمردّة ، وكنتُ بذلك عن شدّة محبّتهن له ، وميلهنّ إليه ، وهو أشبه . وقولها : « كأنه خليفةُ جانٍ » أى كأنه حيّةٌ للصوّقه ، والجان : جنس من الحيات ^(٢) ، تخفّفت ١٠ لضرورة الشعر .

وقول الثالثة : « يُكسّى الجمالَ نديّه » فالندى هو المجلس . وقولها : « له حركات الدهر » تقول : قد أحكمته التجاربُ ، وجعلته حكيماً . فأما الضرع فهو الضعيف . والنمّر : الذى لم يجرب الأمور .

وقول الكبرى : « ويكرم الحليلة ، ويمعلى الوسيلة » ، فالليلة هى امرأة الرجل ، والوسيلة ١٥ الحاجة . وقولها : « نَشَرَبُ ألبانها جُرْعاً » فالجُرْع جمع جُرْعة ، وهو الماء القليل يبقى فى الإناء ، وقولها : « مُزْعاً » ، المزْعَة : البقية من دَسَم ، ويقال : ماله جُرْعة ولا مُزْعَة ، هكذا ذكر ابنُ دريد ، الضمّ فى جُرْعة ، ووجدت غيره يكسرها فيقول جِرْعة ، وإذا كسرت فينبغى

(١) حاشية ت : « الأولى أن يكون العدى هاءنا القراء ؛ لما تقدم من : استدلالهن ؛ وهو قولهن « فنى ليس من أهلك » . (٢) فى حاشيتى الأصل ، ت : « لأن يكون من الجناية أحسن وأقرب إلى الصواب ، ويكون باب قوله :

أن يكون « نشرب ألبانها جزعاً » وتكسر المِزْعَةُ أيضا ليزدوج الكلام ، فتقول : « ونأكل لحبانها مِزْعاً » ، قال : المِزْعَةُ ، بالكسر : هى القطعة من الشحم ، والمِزْعَةُ بالكسر أيضا من الریش والقطن وغير ذلك ، كالْمِزْقَةُ من الخِرْق ، والْتَمِزِيع : التقطيع والتشقيق ؛ يقال إنه لیسکاد بتمزّع من النیظ ، ومَزَعَ الطَّيْبُ فى عَدُوّه يَمْزَع مَزْعاً ؛ إذا أسرع ، وقوله : « مال عميم » : ، أى كثير .

وقول الثمانية : « نُودِكُ السَّقاء » ، من الودك الذى هو ^(١) الدَّسَم .

وقول الثالثة : « نُوكِدُها فُطْماً » ، الفُطْمُ : جمع فُطِيم ، وهو المقطوع من الرضاع . وقولها : « نسلخها أَدَمًا » ، فالأدُم : جمع إدام ، وهو الذى يؤكل ؛ تقول : لوأنا فطمنناها عند الولادة وسلخناها للأدُم من الحاجة لم نبلغ بها نِعْمًا . وعلى الرواية الأخرى : أَدَمًا ، من الأديم . وقوله : « جِذْرَةٌ مُغْنِيَةٌ » ، فالجِذْرَةُ : القطعة .

وقول الصغرى : « جُوفٌ لَا يَشْبَعْنَ » ، الجوف : جمع جَوَفَاء ، وهى العظيمة الجوف . والهميم : المطاش ، ولا يَنْقَمَنَّ ؛ أى لا يَرْوِينَ ، ومعنى قولها : « وأمر مُنْغَوِرَتَيْنِ يَتَبَعَنَّ » ، لأنَّ القطيع من الضأن يمر على قنطرة فتزل واحدة فتقع فى الماء ، فيتمنَّ كُتَاهُنَّ إتباعاً لها ، والضأن يوصف / بالبلادة .

[٨٢]
ظ

أخبرنا أبو الحسن عيسى بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دُرَيْد قال أخبرنا أبو حاتم عن ١٥
أبي عُبَيْدة عن يونس . قال ابن دريد وأخبرنا به العُكَلِيُّ عن أبي خالد ^(٢) عن الهيثم بن عدي
عن مسعر بن كدام قال حدثني سعيد بن خالد الجَدَلِيُّ قال : لما ^(٣) قَدِمَ عبدُ الملك
ابن مروان الكوفة بعد قتل مُصْعَب ، دعا الناسَ على فرائضهم ^(٤) ، فأتيناه فقال :

(١) حاشية الأصل : « بخط ابن الشجرى على الحاشية : وجدت فى بعض الروايات : « نودل السقاء »
باللام مأخوذ من الأزل ؛ وهو ابن الحامض . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « عن أبي خالد » .
(٣) الخبر فى الأغانى ٣-٩١-٩٢ ؛ (طبع دار الكتب المصرية) .
(٤) ت : « إلى فرائضهم » ، والفرائض : العطايا .

(١) «مَنْ الْقَوْمُ؟ فَقُلْنَا: جَدِيلَةٌ»^(١) ، فقال: «جَدِيلَةٌ عَدَوَانٌ؟ قُلْنَا: نَعَمْ ، فتمَثَّلَ عبدُ الملك:

عَذِيرَ الْحَيِّ مِنْ عَدَوَا نَ كَانُوا حَيَّةَ الْأَرْضِ»^(٢)

بَغَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَلَمْ يُرْعُوا عَلَى بَعْضِ

وَمِنْهُمْ كَانَتِ السَّادَاتُ وَالْوُفُونَ بِالْقَرْضِ

وَمِنْهُمْ حَكِيمٌ يَقْضِي فَلَا يُنْقَضُ مَا يَقْضِي

وَمِنْهُمْ مَنْ يُجِيزُ النَّاسَ فِي السَّنَةِ وَالْقَرْضِ»^(٣)

ثم أقبل على رجلٍ كُنَّا قَدَّمْنَاهُ أَمَامَنَا جَسِيمٌ وَسِيمٌ ، فقال: «أَيْسَ كُمْ يَقُولُ هَذَا الشَّعْرُ؟

فقال: «لَا أَدْرِي ، فقلتُ أَنَا مِنْ خَلْفِهِ: يَقُولُهُ ذُو الْإِصْبَعِ ، فتركني وأقبل على ذاك الجسيم

فقال: «وَمَا كَانَ اسْمُ ذِي الْإِصْبَعِ؟ فقال: «لَا أَدْرِي ، فقلتُ أَنَا مِنْ خَلْفِهِ: حُرْثَانٌ ، فأقبل عليه

١٠ وتركني ، فقال: «لِمَ سَمَّيْتَ ذَا الْإِصْبَعِ؟ فقال: «لَا أَدْرِي ، فقلتُ: أَنَا مِنْ خَلْفِهِ نَهَشْتُهُ حَيَّةٌ

فِي إِصْبَعِهِ ، فأقبل عليه وتركني فقال: «مِنْ أَيْسَ كُمْ كُنْتُ؟ فقال: «لَا أَدْرِي ، فقلتُ أَنَا مِنْ خَلْفِهِ

مِنْ بَنِي نَاجٍ ، فأقبل على الجسيم فقال: «كَمْ عَطَاؤُكَ؟ قال: «سَبْعُمِائَةٍ»^(٤) ، ثم أقبل على فقال:

«كَمْ عَطَاؤُكَ؟ قلتُ: «أَرْبَعُمِائَةٍ»^(٥) فقال: «يَا بَنَ الزُّعَيْرَةِ ، حَطَّ مِنْ عَطَاءِ هَذَا ثَلَاثُمِائَةٍ ، وزدها

فِي عَطَاءِ هَذَا ، فَرُحْتُ وَعَطَايَ سَبْعُمِائَةٍ وَعَطَاؤُهُ أَرْبَعُمِائَةٍ .

١٥ وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى أَنَّهُ قَالَ لَهُ: «مِنْ أَيْسَ كُمْ كُنْتُ؟ فقال: «لَا أَدْرِي ، فقلتُ أَنَا مِنْ خَلْفِهِ:

مِنْ بَنِي نَاجٍ ، الَّذِي يَقُولُ فِيهِمْ الشَّاعِرُ:

وَأَمَّا بَنُو نَاجٍ فَلَا تَذْكُرُهُمْ وَلَا تُتِمِّنْ عَيْنَيْكَ مَنْ كَانَ هَالِكًا

٦ إِذَا قُلْتَ مَعْرُوفًا لِتُصْلِحَ بَيْنَهُمْ يَقُولُ وَهُيْبُ لَا أَسْأَلُ»^(٧) ذَاكَ

(١-١) ت: «مَنْ الْقَوْمُ؟ فَقُلْنَا: مِنْ جَدِيلَةٍ» . (٢) حاشية الأصل: «عذير: مصدر يقوم مقام

الاستفهام؟ والتقدير: مَنْ يَعْذِرُهُمْ؟» . (٣) قال أبو الفرج: «قوله «وَمِنْهُمْ مَنْ يُجِيزُ النَّاسَ»؛

فإن إجازة الحج كانت لحراة ، فأخذتها منهم عدوان ، وانظر القصيدة في الأغاني مع اختلاف الرواية

وعدد الآيات . (٤) حاشية ت (من نسخة): «سبعمائة درهم» . (٥) حاشية ت (من نسخة)

«أربعمائة درهم» . (٦-٦) حاشية ت: «إذا قلت معروفا لأساح بينهم» ، وهي توافق رواية

الأغاني . (٧) م: «لأسلم» .

ويرى « لا أحاول ذلكا » .

[٨٣] / فأضحى كظهر العود^(١) جب سنامه^٥ تحوم عليه الطير أهدب باركا

وقد رويت هذه الأبيات لذى الإصبع أيضا :

ومن أبيات ذى الإصبع السائرة قوله :

أكثر^٥ ذا الضغن المبين منهم وأضحك حتى يبدو الناب أجمع^(٢)
وأهدنه بالقول هدنا ولو يرى سريرة ما أخفى لبات يفزع^٥
ومعنى « أهدنه » أسكنه .

ومن قوله أيضا :

إذا ما الدهر جرّ على أناس شرأشره^٥ أناخ بأخرينا^(٣)
فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا^٥
ومعنى « الشراشر » هاهنا الثقل ، يقال ألقي عليه شرأشره وجراميزه ، أى ثقله .

ومن قوله :

ذهب الذين إذا رأوني مقبلا هشوا إلى ورحبوا بالمقبل^٥
وهم الذين إذا حملت حمالة^(٤) ولقيهم فكأنى لم أحمل^٥
ومن قوله وهى مشهورة^(٥) :

(١) العود هنا : السن من الإبل ، ورواية للأغاني : « الفحل » . ورواية أخرى : « فأضحوا كظهر العود » ، وبعده :

فإن تك عدوان بن عمرو تفرقت فقد غنيت دهرأ ملوكا هنالكا

(٢) البيتان فى حماسة البجترى ١٤٠ ، ونسبهما إلى معن بن أوس .

(٣) نسب البيتان فى الشعر والشعراء : ٥٠ ، والحماسة ٣ : ١٩١ ، وعيون الأخبار ٣ : ١١٤ ،

للفرزديق ؟ وفى حماسة البجترى : ١٤٩ نسباً إلى ملك بن عمرو الأسدى .

(٤) الحمالة : الدبة . (٥) القصيدة فى الفضليات — بشرح ابن الأنبارى ٣٢١-٣٢٧ ، والأمل

٢٥٤ : ٢٥٧ ، والخزانة ٣ : ٢٢٦-٢٢٨ ، وشرح شواهد التنقى : ١٤٧-١٤٨ ، وأبيات منهاى

الشعر والشعراء ٦٨٩ ، مع اختلاف فى الرواية وعددا لأبيات .

لِي ابْنِ عَمٍّ عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُلُقٍ
أَزْرَى بِنَا أَنَّا شَأَلْتُ نِعَامَتَنَا
لَا ابْنَ عَمِّكَ لَا أَفْضَلْتَ فِي حَسَبِ
إِنِّي لَمَمْرُكُ مَا بَابِي بِذِي غَلَقٍ
وَلَا لِسَانِي عَلَى الْأَذْنَى بِمَنْطَلَقٍ
مَاذَا عَلَىَّ وَإِنْ كُنْتُمْ ذَوِي رَحْمَى (٥)
يَا سَحَرُكُمْ إِلَّا تَدْعُ (٧) شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي
وَأَنْتُمْ مَعْشَرٌ زَيْدٌ (٩) عَلَى مَائَةٍ
لَا يُخْرِجُ الْقَسْرُ مِنِّي غَيْرَ مَأْمِيَةٍ
مُخْتَلِفَانِ فَأُفْلِيهِهِ وَيُقَايِنِي (١)
فَخَالَانِي دُونَهُ بَلْ خِلَاتِهِ (٢) دُونِي
عَنِّي وَلَا أَنْتَ دِيَانِي فَتَخْزُونِي (٣)
عَنِ الضُّيُوفِ وَلَا خَيْرِي بِمَنْنُونٍ (٤)
بِالْأَحْشَاءِ وَلَا أَغْضَى عَلَى الْهُونِ
أَلَّا أُحِبَّكُمْ إِذْ (٦) لَمْ تُحِبُّونِي
أُخْرِتُكَ حَيْثُ (٨) تَقُولُ الْهَامَةُ أُسْتَوْنِي
فَأُجِمْسُوا أُرْكَكُمْ طُرًّا فَكَيْدُونِي
وَلَا أَلَيْنُ لِمَنْ لَا يَبْتَنِي لِيْنِي (١٠)
/ قوله « شَأَلْتُ نِعَامَتَنَا »، معناه تفاقرنا (١١)، فَضَرَبَ النِّعَامَ مَثَلًا؛ أَي لَا أَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ (١٢)،
وَلَا يَطْمَئِنُّ إِلَيَّ، يُقَالُ: شَأَلْتُ نِعَامَةَ الْقَوْمِ إِذَا جَلَّوْا (١٣) عَنْ الْمَوْضِعِ.

وقوله: « لَا ابْنَ عَمِّكَ »؛ قَالَ قَوْمٌ: أَرَادَ لِلَّهِ ابْنُ عَمِّكَ. وَقَالَ ابْنُ دَرِيدٍ: أَقْسَمَ وَأَرَادَ
اللَّهُ ابْنَ عَمِّكَ. وقوله: « عَنِّي » أَي عَلَى (١٣)، وَالِدَيَّانِ: الَّذِي يَلِي أَمْرَهُ. وَمَعْنَى: « فَتَخْزُونِي »
أَي تَسُوسُونِي. وَالْهُونُ: الْهَوَانُ.

- (١) حاشية الأصل: «أَي نَحْنُ مُخْتَلِفَانِ». (٢) ت، حاشية الأصل (من نسخة): «وخلته»؛
وهي رواية الأملِي وَأَزْرَى بِنَا: قَصَرَ بِنَا. (٣) لَا أَفْضَلْتُ؛ أَي مَا بَدَأْتُ بِفَضْلِ.
(٤) من نسخة بحاشيتي الأصل، ت: «عَنِ الصَّدِيقِ»، وممنون: مَنْطُوعٌ؛ أَي لَا أَطْغَعُ عَنْهُ فَضْلِي.
(٥) حاشية ت (من نسخة): «رَحِمَ». (٦) ش: «إِنْ»
(٧) حاشية الأصل (من نسخة): «إِنْ لَمْ تَدْعُ». (٨) م: «حَتَّى».
(٩) زيد: زِيَادَةٌ. (١٠) حاشية الأصل (من نسخة): بعد هذا البيت:

كُلُّ أَمْرِي صَائِرٌ يَوْمًا لِشَيْمَتِهِ وَإِنْ تَخَنَّقَ أَخْلَاقًا إِلَى حِينٍ

- (١١-١٢) ت: «فَصَرْتُ لَا أَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ». (١٣) حاشية ت (من نسخة): «أَجْلَوْا».
(١٤) في حاشيتي الأصل، ت: «الْأَحْسَنُ أَنْ يَقْدِرَ هَاهُنَا فَبَلْ يَتَعَلَّقُ «عَنْ» بِهِ؛ هَكَذَا هُوَ عِنْدَ

وقوله : « أَضْرَبَكَ حَيْثُ تَقُولُ الْهَامَةُ اسْقُونِي » ، قال الأصمعي : العطش في الهامة ، فأراد أضربك في ذلك الموضع ، أي على الهامة حتى تعطش . وقال آخرون : العرب تقول : إن الرجل إذا قُتِلَ خرجت من رأسه هامة تدور حول قبره ، وتقول : اسقوني ، اسقوني ! فلا تزال كذلك حتى يؤخذ بشأره ؛ وهذا باطل ؛ ويجوز أن يعنيه ذو الإصبع على مذاهب العرب .
وقوله : « لَا يُخْرِجُ الْقَسْرُ مِنِّْي غَيْرَ مَأْيِيَّة » ، فالتمس : القهر ، أي إن أخذت قسراً ٥ لم أزد إلا إباءاً (١) .

ومن المعمرين معدى كرب الحميري : من آل ذي رعين « قال ابن سلام : ” وقال معدى كرب (٢) الحميري . وقد طال عمره :

أَرَانِي كَأَمَّا أَفْنَيْتُ يَوْمًا أَنَانِي بَعْدَهُ يَوْمٌ جَدِيدُ
يَمُودُ بَيَاضُهُ (٣) فِي كُلِّ وَجَرٍ وَيَأْبَى لِي شَبَابِي مَا يَمُرُّ

ومن المعمرين الربيع بن ضُبُع (٤) الفزاري ، ويقال إنه بقي إلى أيام بني أمية . ورؤي أنه دخل على عبد الملك بن مروان فقال له : ياربيع ، أخبرني عما أدركت من العمر والمدى ، ورأيت من الخطوب الماضية ، قال : أنا الذي أقول :

هَآنَذَا آمَلُ الْخُلُودَ وَقَدْ أَدْرَكَ عَتَلِي وَمَوْلِي حُجْرًا (٥)

فقال عبد الملك : قد روت هذا من شعرك وأنا صبي ، قال : وأنا القائل : ١٥

(١) وانظر ترجمة ذي الإصبع وأخباره وأشعاره في (الاشتقاق ١٦٣ ، والمعمرين ٩٠ ، والأغاني ٣ : ١١ ، والأغاني ٢٨٩-٢٩٠ ، والخزانة ٢ : ٤٠٦-٤٠٩ والشعر والشعراء ٦٨٨-٦٩٠) .

(٢) حاشية الأصل : « معدى كرب ، بافتح ، ويكون معدى مضافاً إلى كرب » .

(٣) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « ضياؤه » . (٤) ت : « ضُبُع ، النونين ، وفي حاشية الأصل : « في نسخة مقروءة من كتاب سيبويه . وقد قرئ على أبي علي الفارسي رحمه الله - وفي أخرى مقروءة على ابن أخيه أبي الحسين : الربيع بن ضُبُع ، منونا بآخره » . (٥) حاشية الأصل : « حَجَر أبو امرئ القيس » .

إِذَا عَاشَ الْفَتَى مِائَتَيْنِ عَامًا فَقَدْ ذَهَبَ اللَّذَازَةُ وَالْفَتَاةُ^(١)
 قال: قد رويت هذا من شعرك وأنا غلام، وأبيك ياربيع، لقد طلبك^(٢) جد غير عار،
 ففصل لي عمرك، قال: عشت مائتي سنة في فترة عيسى عليه السلام، وعشرين ومائة في الجاهلية،
 [٨٤] وستين سنة في الإسلام. قال: أخبرني عن فتية من قريش متواطئ الأسماء، قال: سل
 عن أبيهم شئت، قال: أخبرني عن عبد الله بن العباس، قال: فهم وعلم، وعطاء جَدَم^(٣)،
 ومقرى ضخم. قال: فأخبرني عن عبد الله بن عمر قال: حلم وعلم، وطول كظم، وبعث
 من الظلم. قال: فأخبرني عن عبد الله بن جعفر، قال: ريحانة طيب ريحها، لين مشها، قليل
 على المسلمين ضررها. قال: فأخبرني عن عبد الله بن الزبير، قال: جبيل وعمر، ينحدر^(٤)
 منه الصخر. قال: لله درك ياربيع! ما أعرفك بهم! قال: قَرُبَ جوارى، وكثر
 ١٠ استخبارى.

قال سيدنا الشريف الأجل المرتضى أدام الله علوه: إن كان هذا الخبر صحيحاً فيشبه أن يكون
 سؤال عبد الملك له إنما كان في أيام معاوية، لافي أيام ولايته، لأن الربيع يقول في الخبر:
 «عشت في الإسلام ستين سنة»^(٥)، وعبد الملك ولى في سنة خمس وستين من الهجرة، فإن
 كان صحيحاً فلا بد مما ذكرناه؛ فقد روى أن الربيع أدرك أيام معاوية؛ ويقال: إن الربيع لما
 ١٥ بلغ مائتي سنة قال:

(١) البيت من شواهد النرضى على السكانية، وهو في (الخرابة ٣: ٣٠٦)، أوردته شاهداً
 على أنه قد يفرد ميم المائة وينصب؛ وأوردته سيوري في موضعين: الأول في باب العفة المشبهة بالفاعل وذكر
 أسماء العدد وعملها في الأسماء؛ (الكتاب ١: ١٠٦)، والثاني في باب كم (١: ٣٠٦).
 وأوردته ابن قتيبة في (أدب الكاتب: ٢٩٥)، في باب «أسماء يتفق لفظها وتختلف معانيها»، قال:
 «والفتاء من السن ممدود، وروى البيت، وذكره البطلبوس في الاقتضاب: ٣٦٩، وأورد بيتين بعده.

(٢) من نسخة بحاشيتي الأصل، ت: «لقد طار بك».

(٣) من نسخة بحاشيتي الأصل، ت: «حلم»، بالحاء، وأصل الحظم الإسراع.

(٤) حاشية الأصل (من نسخة): «ينحدر منه»، وفي حاشية ت (من نسخة): «ينحدر عنه».

(٥) ت: «حجة».

أَلَا أَبْلُغُ بَنِيَّ بَنِي رَبِيعٍ
بَأْتِي قَدْ كَبِرْتُ وَدَقَّ عَظْمِي
وإِنَّ كِنَانِي لِنِسَاءِ صِدْقٍ
إِذَا كَانَ (٣) الشَّتَاءُ فَأَدْفِنُونِي
وَأَمَّا حِينَ يَذْهَبُ كُلُّ قُرٍّ
إِذَا عَاشَ الْفَتَى مِائَتَيْنِ عَامًا
فَأُشْرَارُ الْبَنِينَ لَكُمْ فِدَاهُ (١)
فَلَا تَشْغَلُكُمْ عَنِّي النِّسَاءُ
وَمَا آلِي بَنِيَّ وَلَا أَسَاءُوا (٢)
فَإِنَّ الشَّيْخَ يَهْدِمُهُ الشَّتَاءُ
فَسِرُّ بَالٍ خَفِيفٌ أَوْ رِدَاءُ
فَقَدْ ذَهَبَ اللَّذَازَةُ (٤) وَالْفَتَاءُ

وَقَالَ حِينَ بَلَغَ مِائَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً :

أَصْبَحَ مِنِّي الشَّبَابُ قَدْ حَسَرَ (٥)
وَدَعَانَا قَبْلَ أَنْ نُودَّعَهُ
هَآ أَنَا ذَا آمَلُ الْخُلُودَ وَقَدْ
أَبَا أَمْرِي الْقَيْسَ هَلْ سَمِعْتَ بِهِ !
/ أَصْبَحْتُ لَا أَحْمِلُ السَّلَاحَ وَلَا
إِنْ يَنَا (٦) عَنِّي فَقَدْ ثَوَى عُصْرًا
لَمَّا قَضَى مِنْ جِمَاعِنَا وَطَرًا
أَدْرَكَ عَقْلِي (٧) وَمَوْلِدِي حُجْرًا
هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ طَالَ ذَا عُمْرًا
أَمْلِكُ رَأْسَ الْبَعِيرِ إِنْ نَفَرَا

[٨٤]
ظ

(١) المفقوعة في (شرح أدب السكاك للجبالي ٢٦٦ ، والمعمرين ٦-٧ ، وذيل الأملاني : ٢١٤ ،
والخرانة ٣ : ٣٠٦) . قال الجبالي : « قوله : « فأشار البنين لكم فداء » ، وصفهم بالبر ،
وفي الخرانة : « أنذار البنين » .
(٢) السكتان : جمع كنة ؛ بالفتح والتشديد ؛
وهي امرأة الابن والأخ ؛ يريد أنهن نعم النساء ، وفي حاشية (من نسخة) : « آلى » ، بتشديد اللام
قال : « وهو الصحيح ؛ ومعنى « آلى » ، قصر في قول بعضهم ، والافة الأخرى « ألا » ، مخففا ؛ يقال : ألا
الرجل ألو ؛ إذا قصر وفتر ؛ فأما « آلى » في البيت فلا وجه له ؛ لأنه بمعنى حلف ، ولا معنى له هاهنا .
وفي المعمرين لأبي حاتم : « ويروى : « وما آلى » ، والنأية : القصير ، ومن قال : « وما آلى » فالمنى
ما أقسموا ألا يبروني » ، وروى عن أبي عمرو الشيباني قال : سألت القاسم بن معن عن قوله :

* وما آلى بنيَّ وما أساءوا *

قلت : أبطئوا ، قال : ماتدع شيئا ! وانظر اللسان (ألا) . (٣) كان هاهنا تامة ، لاسم لها ولا
خبر ، وفي المعمرين : « جاء » . (٤) في الاقتضاب : « النخيل » ، وقال في شرحه : النخيل :
الحيلة ، ويروى : « المسرة » ، ويروى : « المروءة » ، (٥) في حاشيتي الأصل : ت : « يقال :
حسر البعير يحسر إذا أعيا ، وتحسر واستحسر كذلك ، وحسرت أنا ، يتعدى ولا يتعدى » .
(٦) ت : « بان عني » . (٧) ش : « سني » ، وفي م : « عني » .

وَالذَّئِبَ أَخْشَاهُ إِنْ مَرَرْتُ بِهِ وَحَدِي وَأَخْشَى الرِّيَّاحَ وَالْمَطَرَ
 مِنْ بَعْدِ مَا قُوَّةُ أُسْرٍ^(١) بِهَا أَصْبَحْتُ شَيْخًا أَعْلَجُ الْكِبَرِ^(٢)
 قوله : « عطاء جَذْم » أى سريع ، وكلّ شئ تسرّعت فيه فقد جَذَمته ، وفي الحديث :
 « إِذَا أَذْنَتْ فَتَرَسَّلْ ، وَإِذَا أَقَمْتَ فَأَجْزِمِ » ، أى أسرع . والمقَرى : الإثناء الذى يُقَرى فيه .
 وقوله : « فما آلى نَبِيٍّ وَلَا نِسَاءً » ، أى لم يَقْصُرُوا ، والآلى : المقصّر^(٣) .

(١) حاشية ت من نسخة : « أنوء » . (٢) وردت هذه الأبيات في حاشية البحترى : ٣٢٢ ،
 ونوادير أبى زيد ١٠٨ ؛ ونقل صاحب الخزانة (٣ : ٣٠٩) عن ابن السيد في شرح الجمل قال : « روى
 الرواه أن الربيع بن ضبع عاش حتى أدرك الإسلام ، وأنه قدم الشام على معاوية بن أبى سفيان ومعه حفيده ،
 ودخل حفيده على معاوية فقال له : أقدم ناشيج ؟ فقال له : وكيف يقعد من جده بالباب ؟ فقال له معاوية :
 لعلك من ولد الربيع بن ضبع ، فقال : أجل ؛ فأمره بالدخول ، فلما دخل سأله معاوية عن سنه فقال :
 أَفْقَرُ مِنْ مَيَّةِ الْجَرِيبِ إِلَى الزُّجَّينِ إِلَّا الطُّبَاءَ وَالْبَقَرَا
 كَأَنَّهَا دُرَّةٌ مُنَمَّمَةٌ مِنْ نِسْوَةٍ كُنَّ قَبْلَهَا دُرَرًا
 أَصْبَحَ مَنِ الشَّبَابُ مَبْتَكِرًا إِنْ يَنَأْ عَنِي فَقَدْ ثَوَى عُصْرًا
 إلى آخر الأبيات المقدمة ؛ فقرأ معاوية ، ﴿ وَمَنْ نَعْمَرُهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ ﴾ .

(٢) وانظر ترجمة الربيع بن ضبع وأخباره وأشعاره في (المعمرين ٦-٧ ، والآلى ٨٠٢ ، والخزانة
 ٣٠٦-٣٠٩ ، والإصابة ٢ : ٢٠٩) .

مجلد آخر

ومن المَعْمَرَيْنِ أَبُو الطَّامِحَانِ الْقَيْنِيَّ ، واسمُه حَنْظَلَةُ بْنُ الشَّرْقِيِّ ، من بني كِنَانَةَ
ابن الْقَيْنِ ؛ قال أبو حاتم : " عاش مائتي سنة ، فقال في ذلك :

حَنْتَنِي حَانِيَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى كَأَنِّي خَاتِلٌ^(٢) أَدْنُو لِصِيدِ
قَصِيرُ الْخَطْوِ يَحْسِبُ مَنْ رَأَى - وَلَسْتُ مُقَيِّدًا - أَنِّي بِقَيْدِ "

ويروى : « قرب الخطو » .

قال أبو حاتم : " حدثني عِدَّةٌ من أصحابنا أنهم سمعوا يونس بن حبيب يُنشد هذين
البيتين ، ويُنشد أيضاً :

تَقَارَبَ خَطْوُ رَجُلِكَ يَا سَوِيدُ^(٣) وَقَيْدَكَ الزَّمَانُ بَشَرٌ قَيْدِ
وهو القائل :

وَإِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمْ هُمْ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ مَيِّتَ قَامَ صَاحِبُهُ^(٤) ١٠
نَجُومُ سَمَاءٍ كَلَّمَا غَابَ كَوَكَبٌ بَدَا كَوَكَبٌ تَأْوَى إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ
أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دَجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجَزَعُ ثَاقِبَهُ
وَمَا زَالَ مِنْهُمْ حَيْثُ كَانَ مُسَوِّدٌ^(٥) تَسِيرُ الْمَنَايَا حَيْثُ سَارَتْ كَتَائِبُهُ^(٦)

ومعنى البيتين الأولين يشبه قولَ أَوْسَ بْنِ حَجَرٍ :

(١) حاشيت (من نسخة) : « من كِنَانَةَ » . (٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « حابل » .

(٣) ت ، ش : « يادويد » . (٤) ش : « منهم سيد » .

(٥) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « حيث كانوا متوج » . (٦) من نسخة بحاشيتي

الأصل ، ت : « ركائبه » .

إذا مُقَرَّمٌ مِنَّا ذَرَا حَدُّ نَابِهِ / وَلَطْفِيلُ الْغَنَوَىِّ مِثْلُ هَذَا ، وَهُوَ : [٨٠]
 تَحْمَطُ فِينَا نَابٌ آخِرٌ مُقَرَّمٌ (١)
 كَوَا كَبُ دَجْنٍ كَلَّمَا اقْتَضَى كَوَكْبُ / بَدَا وَانْجَلَتْ عَنْهُ الدَّجَنَةُ كَوَكْبُ (٢)
 وَقَدْ أَخَذَ الْخَرَيْمَى هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ :
 إِذَا قَمَرٌ مِنَّا تَغَوَّرَ أَوْ خَبَا / بَدَا قَمَرٌ فِي جَانِبِ الْأَفْقِ يَلْمَعُ ٥

ومثل ذلك :

خِلَافَةُ أَهْلِ الْأَرْضِ فِينَا وَرِاثَةُ / إِذَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ
 وَمِثْلُهُ :

إِذَا سَيِّدٌ مِنَّا مَضَى لِسَبِيلِهِ / أَقَامَ عَمُودَ الْمُلْكِ (٣) آخِرُ سَيِّدٍ
 وَكَأَنَّ مَزَاحِمًا الْعَتَبَىَّ نَظَرَ إِلَى قَوْلِ أَبِي الطَّمْحَانِ :
 * أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ * ١٠

في قوله :

وُجُوهٌ لَوْ أَنَّ الْمُدَّجِينَ اعْتَشَوْا بِهَا / صَدَّ عَنْ الدُّجَى حَتَّى تَرَى اللَّيْلَ يَنْجَلِي (٤)
 وَيَقَارِبُ ذَلِكَ قَوْلَ حُجَّيَّةِ بْنِ الْمَضْرَبِ الْكِنْدِيِّ :
 أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ فَتَضَاءَلَتْ / لِنُورِهِمُ الشَّمْسُ الْمُضِيئَةُ وَالْبَدَرُ (٥)
 وَأَنشَدَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصُّوَلَى فِي مَعْنَى بَيْتِ أَبِي الطَّمْحَانِ : ١٥

(١) ديوانه : ٢٧ ، واللسان (خط) وفي حاشيتي الأصل ، ت : ذرا النوى : سقط ، وذروته : طيرته . وتحمط الفحل ؟ إذا انتفخ عند الهيام . (٢) ديوانه : ١٩ (٣) حاشية ت (من نسخة) الدين . (٤) ديوانه : ٦ ، مجالس نعلب : ٢٧٧ . (٥) من أبيات ذكرها الغالي في (الأمل : ١ : ٥٣-٥٤) ، وقال : « يمدح فيها يعفر بن زرعة ، أحد الأملاك أملاك ردمان » ؛ وأولها :

إِذَا كُنْتَ سَائِلًا عَنِ الْمَجْدِ وَالْعَلَا / وَأَيْنَ الْعِطَاءُ الْجَزْلُ وَالنَّائِلُ الْعَمْرُ
 فَتَقَبُّ عَنِ الْأَمْلُوكِ وَاهْتَفِ لِحَيْرِ / وَعِشْ جَارَ ظِلٍّ لَا يُغَالِبُهُ الدَّهْرُ
 وَالْأَمْلُوكُ : قبيلة من حمير ، و ردمان : مدينة باليمن .

مِنَ الْبَيْضِ الْوَجُودِ بَنَى سِنَانٍ لَوْ أَنَّكَ تَسْتَضِيْ بِهِمْ أَضَاءُ (١)
 هُمْ حَلُّوا مِنْ الشَّرَفِ الْمُعْلَى وَمِنْ كَرَمِ الْعَشِيرَةِ حَيْثُ شَاءُ (٢)
 فَلَوْ أَنَّ السَّمَاءَ دَنَتْ لَمَجْدٍ وَمَكْرُمَةٍ دَنَتْ لَهُمُ الْمَاءُ (٣)
 وأبو الطمحنان القائل :

إِذَا كَانَ فِي صَدْرِ ابْنِ عَمِّكَ إِحْنَةٌ فَلَا تَسْتَشِيرْهَا سَوْفَ يَبْدُو دَفِينُهَا (٤)
 وهو القائل :

إِذَا شَاءَ رَاعِيهَا اسْتَقَى مِنْ وَقِيعَةٍ كَعَيْنِ الْغُرَابِ صَفْوُهَا لَمْ يُكْدَّرِ (٥)
 ويروى : « صفيه لم يُكْدَّر » ، والوقيعه : المستنقع في الصخرة للماء ، ويقال للماء إذا
 زل (٦) من صخرة فوق / في بطن أخرى ماء الوقائع ، وأنشدوا لذي الرثمة :
 [٨٥] وَنَلْنَا سِقَاطًا مِنْ حَدِيثٍ كَأَنَّهُ جَنَى النَّحْلِ مَمَزُوجًا بِمَاءِ الْوَقَائِعِ (٧)
 ١٠ ويقال للماء الذي يجري على الصخر ماء الحُشْرَج ، وللماء الذي يجري بين الحصى والرمل
 ماء المفاصل ، وأنشدوا لأبي ذؤيب :

(١) من أبيات ثمانية ، نسبها أبو تمام إلى أبي البرج القاسم بن حنبل المري ؛ يقولها في زفر بن أبي هاشم
 ابن مسعود بن سنان ؛ وأولها :

أَرَى الْخِلَآنَ بَعْدَ أَبِي حَبِيبٍ وَخُجْرٍ فِي جَنَابِهِمْ جَفَاءُ
 وهي في الحماسة - بشرح التبريزي ١ : ١٩٧-١٩٨ ، وأبيات منها في الحيوان ٢ : ٢-١ ،
 والمؤتلف والمختلف ٦٢ ، ومعجم الرزباني ٣٢٣ . (٢) في الحماسة : « حسب العشيرة » .
 (٣) في الحماسة : « لسكن السماء » . (٤) البيت في اللسان (أحن) ، نسبته إلى الأقبيل القيني ؛
 وذكر قبله :

مَتَى مَا يَسُوءُ ظَنُّ امْرِئٍ بِصَدِيقِهِ يُصَدِّقُ بَلَاغَاتٍ يَحْبُثُ بِقَيْنِهَا
 وهو أيضا بهذه النسبة في المؤتلف والمختلف : ٢٣ ؛ وفي الفائق ١ : ١٦ ؛ من غير عزو .
 (٥) ت : « كعين المداب » ، قال : وذكر فوقها : « وهو اسم موضع » وعين الغراب يضرب بها المثل
 في الصفاء . (٦) ت : « عن صخرة » . (٧) ديوانه : ٣٥٨ .

مُطَافِيلَ أَبْكَارٍ حَدِيثٍ تَتَاجُهَا يُشَابُ بِمَاءٍ مِثْلَ مَاءِ الْمَفَاصِلِ^(١)
وَأُنْشَدَ أَبُو عَلَمٍ السَّمْعَدِيُّ لِأَبِي الطَّمَحَانِ :

بُنِيَ إِذَا مَا سَاءَكَ الذَّلُّ قَاهِرُهُ عَزِيزٌ فَبَعْضُ الذَّلِّ أَبْقَى وَأَحْرَزُ^(٢)
وَلَا تَحْمُ^(٣) مِنْ بَعْضِ الْأُمُورِ تَعَزُّزًا فَقَدْ يُوْرِثُ الذَّلُّ الطَّوِيلَ التَّعَزُّزُ
وهذان البيتان يرويان لعبد الله بن معاوية الجعفرى .

وروى لأبى الطَّمَحَانِ أيضا فى مثل هذا المعنى :

يَارُبَّ مَظْلِمَةٍ^(٤) يَوْمًا لَطِيتُ لَهَا تَمْضَى عَلَى إِذَا مَا غَابَ نُصَارَى^(٥)
حَتَّى إِذَا مَا أَنْجَحْتُ عَنِّي غَيَايَتَهَا وَثَبْتُ فِيهَا وَثُوبَ الْمُخْدِرِ الضَّارَى^(٦)

ومن المعمرين عبدُ المسيح بن بُقيلة الغَسَّانِيّ ، وهو عبدُ المسيح بن عمرو بن قيس
١٠ ابن حيان بن بُقيلة ، وُبقيلة اسمه ثعلبة ، وقيل الحارث ؛ وإنما سُمِّي بُقيلة لأنه خرج فى بُرْدَيْنِ
أخضرين على قومه ، فقالوا له : ما أنت إلا بُقيلة ، فسمى لذلك .

وذكر السكبيّ وأبو مخنف وغيرهما أنه عاش ثلاثمائة سنة وخمسين سنة ، وأدرك الإسلام
فلم يُسلم ، وكان نصرانياً .

وروى أن خالد بن الوليد لما نزل على الحيرة ، وتحصَّن منه أهلها أرسل إليهم : ابعثوا إلى
١٥ رجلاً من عقلائكم ، وذوى أسنانكم^(٧) . فبعثوا إليه بعبد المسيح بن بُقيلة ، فأقبل يمشى

(١) حاشية الأصل : « قبله » :

وإنَّ حديثاً مِنْكَ لو تَبَدُّلَينَهُ جَنَى النَّحْلِ فى ألبانِ عُوذٍ مُطَافِلٍ

« مطافيل أبكار » ، بدل من قوله : « عوذ مطافل » ، ومطافل : جمع مطفل ؛ وهى التى معها ولدها .

وانظر ديوان الهذليين ١ : ١٤٠ . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « أتقى وأحرز » .

(٣) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « ولا تحن » . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) :

« مظلمة » ، بضم الميم . (٥) ش : « أنصارى » . (٦) الغاية : كل ما أظل الإنسان فوق

رأسه . وانظر ترجمة أبى الطمحن وأخباره وأشعاره فى (الشعر والشعراء ٣٤٨ — ٣٤٩ ، والمعمرين

٥٧ ، والاشتقاق ٣١٧ ، والمؤتلف والمختلف ١٤٩ — ١٥٠ ، والأغانى ١١ : ١٢٥ — ١٢٨ ، واللاكى

٣٣٢ ، والإصابة ٢ : ٦٦ ، والحزانة ٣ : ٤٢٦) . (٧) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « أنسابكم » .

حتى دنا من خالد ، فقال له : **إِنْعَمُ** صباحاً أيها الملك ! قال : قد أغنانا الله عن تَحِيَّتِكَ هذه ، فمن أين أقصَى أثرِكَ أيها الشيخ ؟ قال : **مِنْ** ظهر أبي ، قال : فمن أين خرجت ؟ قال من بطن أمي ، قال : فعلام أنت ؟ قال : على الأرض ، قال : ففيم أنت ؟ قال : في ثيابي ، قال : **أَتَمَقِلْ** - **لَا عَقَلَتْ** ؟ قال : **إِي وَالله** / وأقيّد ، قال : ابنُ كم أنت ؟ قال : ابنُ رجل واحد ، قال [٨٦] خالد : ما رأيت كالיום قطُّ ، إني أسأله عن الشيء ^(١) وينحوفي غيره ^(٢) ، قال : ما أجبتُكَ إلاَّ ٥ عما سألتَ ، فسَلْ عما بدا لك .

قال : أعربُ أنتم أم نبيط ^(٣) ؟ قال : عرب استنبطنا ، ونبيط استعربنا ، قال : أخربُ أنتم أم سلّم ؟ قال : بل سلّم ، قال : فما هذى الحصون ؟ قال : بنيناها للسّفيه ^(٤) نَحْذَرُ منه حتّى يجيء الحليم فينهاه ، قال : كم أنى لك ؟ قال : ستون وثلاثمائة سنة ، قال : فما أدركت ؟ قال : أدركت سفن البحر ترُفأً ^(٥) في هذا الجرف ، ورأيت المرأة تخرج من الحيرة ، وتضع ١٠ مِسْكَنَها على رأسها ، لا تروّد إلاّ رغيفاً واحداً حتى تأتى الشام ، ثم قد أصبحت خراباً يباباً ، وذلك دأب الله في البلاد والعباد .

قال - ومعه سَمٌّ ساعة يقّبه في كفّه - : فقال له خالد : ما هذا في كفّك ؟ قال : هذا السّم ، قال : ما تصنع به ؟ قال : إن كان عندك ما يُوافق قومي وأهل بلدي حمّد الله وقبلته ، وإن كانت الأخرى لم أكن أول مَنْ ساق إليهم ذلاًّ وبلاءً ، أشر به فاستريح من الدنيا ، فإنما ١٥ بقى من عمرى اليسير ، قال خالد : هاته ، فأخذه ثم قال : بسم الله وبالله رب الأرض والسماء ، الذى لا يضر مع اسمه شيء ، ثم أكله ، فتجلّته غشية ، ثم ضرب بذقنه في صدره طويلاً ، ثم عَرِقَ فأفاق ، كأنما أنشط من عقال .

فرجع ابن بُقيلة إلى قومه فقال : جئتكم من عند شيطان ، أكل سَمٌّ ساعة فلم يضرّه ،

(١-١) حاشية ت (من نسخة) : « وينحون إلى غيره » .

(٢) ش : « نبط » ، وهو بمعنى النبط : « وفي حاشية الأصل : « أصل النبط قوم كانوا يستنبطون الماء ويحتفرون الآبار للعرب ؛ فقبل لأهل السواد النبط » . (٣) حاشية ت (من نسخة) : « لسفيه » . (٤) في حاشية الأصل ، ت : « أرفأت السفينة : قربتها من الشط ، وذلك الموضع مرفأً » .

صانعوا القوم وأخرجوهم عنكم ، فإن هذا أمر مصنوع ^(١) لهم ، فصالحوهم ^(٢) على مائة ألف درهم ، وأنشأ ابن بُقَيْلَةَ يقول :

أَبْعَدَ الْمُنْذِرِينَ أَرَى سَوَامًا تَرَوَّحُ بِالْخَوَرِ نَقِ وَالسَّدِيرُ ^(٣)
[أَبْعَدَ فَوَارِسَ النِّعْمَانِ أُرْعَى مَرَاعَى مَهْرٍ مُرَّةً فَالْخَفِيرِ !] ^(٤)
تَحَامَاهُ فَوَارِسُ كُلِّ قَوْمٍ مَخَافَةً ضَيْغَمٍ عَلَى الزَّئِيرِ
وَصَرْنَا بَعْدَ هَٰذَا أَبَى قُبَيْسٍ كَمِثْلِ الشَّاءِ فِي الْيَوْمِ الْمَطِيرِ

- يريد أبا قابوس ، فصغر ، ويروى « كمثل المعز » -

تَقَسَّمْنَا الْقَبَائِلُ مِنْ مَعَدٍ عِلَانِيَةً كَأَيْسَارِ الْجَزُورِ ^(٥)
نُودَى الْخَرْجَ بَعْدَ خَرَاكِ كَسْرَى وَخَرَجَ مِنْ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ
كَذَاكَ الدَّهْرُ دَوْلَتُهُ سِجَالٌ فِيَوْمٍ مِنْ مَسَاةٍ ^(٦) أَوْ سُرُورِ

١٠

[٨٦]
ظ

/ ويقال إن عبد المسيح لما بنى بالحيرة قصره المعروف بقصر بني بُقَيْلَةَ قال :

لَقَدْ بَنَيْتُ لِلْحَدَثَانِ حِصْنًا لَوْنُ الْمَرْءِ تَنْفَعُهُ الْحُصُونُ
طَوِيلَ الرَّأْسِ أَقْعَسَ مُشْمَخِرًا لِأَنْوَاعِ الرِّيَّاحِ بِهِ حَنِينٌ ^(٧)

ومما يروى لعبد المسيح بن بُقَيْلَةَ :

وَالنَّاسُ أَبْنَاءُ عِلَاتٍ فَمَنْ عَلَمُوا أَنْ قَدْ أَقْلَ فَمَجْفُورٌ وَمَهْجُورٌ ^(٨)
وَهُمْ بَنُونَ لَأَمٍّ إِنْ رَأَوْا نَشَبًا فَذَاكَ بِالْغَيْبِ مَحْفُوظٌ وَمَخْفُورٌ

١٥

وهذا يشبه قول أوس بن حَجَر :

(١) حاشية الأصل : « أى كأن الله صنعه لهم » . (٢) ت ، د : « فصانعوهم » .

(٣) الأبيات في معجم البلدان : ٣ : ٤٨٥ ، وفي حاشية ت (من نسخة) « تروح » ، بفتح الحاء ، والخورنق والسدير : موضعان بالحيرة . (٤) تسكلة من ت . (٥) معجم البلدان : « كَأَ : بعض أجزاء الجزور » .

(٦) حاشية الأصل (من نسخة) : « من مساءة أو سرور » .

(٧) م : « أنين » . (٨) قال في اللسان (علل) : « أبناء علات ، يستعمل في الجماعة المختلفين » ،

واستشهد بالبيتين ؛ وأصله في الأولاد تختل أمهاتهم . وفي حاشية الأصل : « بنو العلات : بنو الضرائر » ، وفي م : « فمجفور ومخفور » ؛ وهى رواية اللسان .

بَنَى أُمَّ ذِي الْمَالِ الْكَثِيرِ يَرَوْنَهُ — وَإِنْ كَانَ عَبْدًا — سَيِّدَ الْأُمَرِ جَعْفَلًا^(١)
وَهُمْ لِمُقِلِّ الْمَالِ أَوْلَادُ عِلَّةٍ وَإِنْ كَانَ مُحَضًّا فِي الْعُمُومَةِ مُخُولًا

وَذُكِرَ أَنَّ بَعْضَ مَشَايِخِ أَهْلِ الْحَيْرَةِ خَرَجَ إِلَى ظَهْرِهَا يَخْتَطُّ دِيرًا^(٢)، فَلَمَّا احْتَفَرَ مَوْضِعَ
الْأَسَاسِ، وَأَمْعَنَ فِي الْإِحْتِفَارِ أَصَابَ كَهَيْئَةَ الْبَيْتِ^(٣)، فَدَخَلَهُ فَإِذَا رَجُلٌ عَلَى سَرِيرٍ مِنْ
رِخَامٍ^(٤)، وَعِنْدَ رَأْسِهِ كِتَابَةٌ: «أَنَا عَبْدُ الْمَسِيحِ بْنِ بَقِيَّةٍ»
٥

حَنَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ حَيَاتِي وَنِلْتُ مِنَ الْمَسْنَى بُلَاحَ الْمَزِيدِ^(٥)
وَكَاغَيْتُ الْأُمُورَ وَكَافَحْتَنِي فَلَمْ أُحِفَلْ بِمَعْضِلَةٍ كَكُودِ
وَكِدْتُ أَنْالُ فِي الشَّرَفِ الثَّرِيَا وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْخُلُودِ^(٦)

وَمِنَ الْمُعَمَّرِينَ النَّابِغَةُ الْجَعْدِيُّ، وَاسْمُهُ قَيْسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُدَّسِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ
جَعْدَةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ سَعْصَعَةَ، وَيَكْنَى أَبَا لَيْلَى.
١٠ وَرَوَى أَبُو حَاتِمٍ السَّجِسْتَانِيُّ قَالَ: «كَانَ النَّابِغَةُ الْجَعْدِيُّ أَسْنَنًا مِنَ النَّابِغَةِ الذُّبْيَانِيِّ،
وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ:

تَذَكَّرْتُ وَالَّذِي كَرَى تَهَيَّجُ عَلَى الْهَوَى وَمِنْ حَاجَةِ الْمَحْزُونِ أَنْ تَتَذَكَّرَا^(٧)
نَدَامَايَ عِنْدَ الْمُنْذِرِ بْنِ مُحَرَّرٍ أَرَى الْيَوْمَ مِنْهُمْ مَا رَضِ أَقْفَرَا
/ كَهُولٌ وَفَتِيَانٌ كَمَا نَّ وَجُوهَهُمْ دَنَايَرُ مِمَّا شِيفَ فِي أَرْضٍ قَيْصَرَا
٨٧ و

(١) ديوانه: ٢٢، ومن نسخة بحاشيتي الأصل، ت: «سيد الملك». ويقال: رجل جعفل؛ أي
سيد عظيم القدر؛ ذكره صاحب اللسان، واستشهد بالبيت. وفي حاشيتي الأصل، ت: «قلبه»
وإِنِّي وَجَدْتُ النَّاسَ إِلَّا أَقْلَهُمْ خَفَافَ الْمَهْودِ يَكْثُرُونَ التَّنْقِلًا
(٢) حاشية الأصل (من نسخة): «داراً». (٣) حاشية ت (من نسخة): «الكهف». (٤)
(٥) ش: «زجاج». (٥) حاشية الأصل: «أي البلع من الزبد». (٦) وانظر ترجمة عبد المسيح بن ببيعة أيضاً في المعمرين ٣٧-٣٨.
(٧) من قصيدة طويلة، ٧٦ بيتاً، ذكرها صاحب جمهرة الأشعار في ٣٠١-٣٠٧.

فهذا يدلُّ على أنه كان مع المنذر بن محرق ، والنابعة الذَّبيانيَّ كان مع النعمان بن المنذر ابن محرق .

قوله : « سيف » يعنى جُلَى ، والمشوف المجلو .

ويقال : إن النابعة غَبَرَ ثلاثين سنة لا يتكلم^(١) ، ثم تكلم بالشعر ومات وهو ابن عشرين ومائة سنة بأصهبان ، وكان ديوانه بها ، وهو الذى يقول :

فَمَنْ يَكُ سَائِلًا عَنِّي فَإِنِّي مِنْ الْفِتْيَانِ أَيَّامَ الْخُنَانِ
— وَأَيَّامَ الْخُنَانِ : أيام كانت للعرب قديمة ، هاج بها فيهم مرض فى أنوفهم وحلوقهم —

مَضَتْ مِائَةٌ لِعَامٍ وَلِدْتُ فِيهِ وَعَشْرٌ بَعْدَ ذَاكَ وَحِجَّتَانِ^(٢)
فَأَبْقَى الدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ مِنِّي كَمَا أَبْقَى مِنَ السَّيْفِ الْيَمَانِ
تَفَلَّلَ وَهُوَ مَأْثُورٌ جُرَّازٌ إِذَا تُجِمَّتْ بِقَائِمِهِ الْيَدَانِ^(٣)

وقال أيضا فى طول عمره :

لَبِستُ أَنَسًا فَأَفَنَيْتُهُمْ وَأَفَنَيْتُ بَعْدَ أَنَسٍ أَنَسًا
ثَلَاثَةَ أَهْلِينَ أَفَنَيْتُهُمْ وَكَانَ الْإِلَهُ هُوَ الْمُسْتَأَسَا

(١) حاشية الأصل : « أى لا يتكلم بالشعر ، وسميت الفصيصة كلمة » .

(٢) فى حاشيتى الأصل ، ت : « ذكر المبرد فى قول النابعة :

عَلَى حِينَ عَاتَبْتُ الْمَشِيبَ عَلَى الصَّبَا وَقُلْتُ أَلَمَّا أَصَحُّ وَالشَّيْبُ وَازِعُ

أنه يجوز فى « حين » النصب والجر . وذكر بعض المتأخرين أنه إذا أضيف الظرف إلى المبنى لم يجوز

فيه إلا النصب ، وإنما يجوز الجر إذا أضيف إلى المرب ؛ كقوله تعالى : ﴿ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ

صِدْقُهُمْ ﴾ ، و ﴿ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴾ ، وقول النابعة : « لعام ولدت فيه » لا يحتاج إلى « فيه »

بل هو كالزيادة المستغنى عنها ؛ لأنه إذا أضيف « العام » إلى « ولدت » كان المضاف إليه مع المضاف فى

حكم الشئ الواحد ؛ فلا يحتاج إلى المائد ؛ بخلاف أن تكون الجملة صفة ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا

يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ ؛ وكأنه للبيان والتحقيق ، على تقدير : « لعام ولدت » ، ثم أضمر :

« ولدت » ، أخرى ، والجار والجرور يتعلق بولدت المضمر . وانظر الكامل — بشرح المصنف ٢ : ٢٢٠

(٣) مأثور : بان أثره . والجرارز : الماضى الناذل فى الضريبة ، وانظر طبقات الشعراء : ١٠٤

معنى المستأس : المتعاض^(١) .

وروى عن هشام بن محمد الكلبي أنه عاش مائة وثمانين سنة .

وروى ابن دريد عن أبي حاتم في موضع آخر أن النابغة الجعدي عاش مائتي سنة، وأدرك

الإسلام، وروى له :

قالت أُمّامة كم عَمِرتَ زَمَانَةً وَذَبَحْتَ مِنْ عَتَرٍ عَلَى الْأَوْثَانِ !

— العتيرة^(٢) : شاة تذبح لأصنامهم في رجب في الجاهلية —

وَلَقَدْ شَهِدْتُ عُكَاظَ قَبْلِ مُحَايَا عَنْهَا وَكُنْتُ أَعْدُ مِلَّ فُتَيَانَ^(٣)

وَالْمُنْذِرَ بْنَ مُحَرَّقٍ فِي مُلْكِهِ وَشَهِدْتُ يَوْمَ هَبْجَانِ النُّعْمَانِ^(٤)

(١) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « المتعاض » ، وهو من العوض .

(٢) حاشية الأصل : « العترة والعتيرة كالذبح والذبيحة » . (٣) ش : « فيها » ، وفي حاشية

الأصل : « محلها فيها ؛ أي نزولها في عكاظ ، ومحلها عنها ، أي نزولها فيما عدا عكاظ ، و « عن » لما عدا الشيء وجاوزه » (٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « هو المنذر بن امرئ القيس بن عمرو

ابن عدى بن ربيعة بن نصر اللخمي . وعمرو بن عدى هو ابن أخت جذيمة بن مالك الأبرش ؛ وقيل له الأبرش والوضاح لبرص به ؛ وكان يقال لامرئ القيس أبي المنذر محرق ؛ وفيهم يقول الأسود بن يعفر :

مَاذَا أَوْمَلْ بَعْدَ آلِ مُحَرَّقٍ — تَرَكَوْا مَنَازِلَهُمْ — وَبَعْدَ إِيَادِ

والنعمان بن امرئ القيس هو النعمان الأكبر ؛ ويقال إن أنوشروان بن قباد هو الذي ملكه ؛

وقيل ملكه قباد . والنعمان هذا هو الذي بنى الخورنق ؛ وهو الذي لبس المسوح وترهد وساح في الأرض،

ثم ملك أخوه المنذر بن امرئ القيس ؛ ملكه أنوشروان ، وأمه من النمر بن قاسط ؛ ويقال لها ماء السماء

لجأها ، وأبوها عوف بن جشم . ومن الأزد رجل يقال له ماء السماء أيضا ؛ وهو عامر أبو عمرو بن عامر،

وعمر هو الذي يقال له مزريقاء ثم ملك المنذر بن المنذر بن امرئ القيس ، ثم ملك عمرو بن هند مضرط

الحجارة ؛ وهو محرق أيضا لأنه أحرق من بني دارم ثمانية وتسعين رجلا ، وكلهم مائة برجل من البراجم

وبامراة نهشلية ؛ ولذلك قيل : « إن الشقي واند البراجم » . ثم ملك بعده النعمان بن المنذر بن المنذر

ابن امرئ القيس ؛ وكان يكنى أبا قابوس ؛ وهو صاحب النابغة الذبياني ؛ وكان له يومان : يوم نعيم ويوم

بؤس ، ومحرق أيضا لقب الحارث بن عمرو ، ملك الشام من آل جفنة ؛ وهو أول من حرق العرب في

ديارهم وامراة هجان ؛ أي حرة كريمة لم يعرفها إلا به ، من نسوة هجان ؛ قال أبو زيد : والهجان من

الإبل : البيض ؛ يوصف به الواحد والجمع ؛ فإذا كان واحدا فهو مثل كتاب ، وإذا كان جمعا فهو مثل

كلاب ؛ ويقال ناقة هجان وبغير هجان ، والجمع على هجائن أيضا . وهجائن النعمان معروفة ؛ وهي نجائبه ؛ =

وَعَمِرْتُ حَتَّى جَاءَ أَحْمَدُ بِالْهَدَى وَقَوَارِعُ تُتْلَى مِنَ الْقُرْآنِ (١)

/ وَلَبِستُ مِلْ إِسْلَامٍ ثَوْبًا وَاسِعًا مِنْ سَيْبٍ لَا حَرِمٍ وَلَا مَنَانٍ (٢) [٨٧] ط

وله أيضاً في طول عمره :

الْمَرْءُ يَهْوَى أَنْ يَعِيشَ وَطُولُ عَيْشٍ مَا يَضُرُّهُ (٣)

تَفَنَّى بِشَاشَتِهِ وَيَبْقَى بَعْدَ خُلُوعِ الْعَيْشِ مُرَّةٌ

وَتَتَابَعُ الْأَيَّامُ حَتَّى لَا يَرَى شَيْئًا يَسْرُهُ

كَمْ شَامِتٍ بِي إِنْ هَلَكْتُ وَقَائِلٍ لِلَّهِ دَرَّةٌ !

ويروى أن النابغة الجعدي كان يفخر ويقول : أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأنشدته :

بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَجُدُودُنَا وَإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا

١٠ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « ابن المظهر يا أبا ليلى ؟ » قلت : الجنة يا رسول الله ،

فقال : « أجل إن شاء الله » ، ثم أنشدته :

فَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكْدَرَا

وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَلِيمٌ إِذَا مَا أُوْرَدَ الْأَمْرَ أُصْدَرَا

فقال صلى الله عليه وآله : « لا يفضض الله فاك ! » ، وفي رواية أخرى : « لا يفضض

١٥ فوك ! » فيقال : إن النابغة عاش عشرين ومائة سنة ، لم تسقط له سنة ولا ضرس . وفي رواية

أخرى عن بعضهم قال : فرأيتُه وقد بلغ الثمانين ترف غروبهُ ، وكان كما سقطت له نية نبتت

له أخرى مكانها ، وهو أحسن الناس ثعرا .

معنى ترف تبرق ، وكان الماء يقطر منها .

== وكان يقال لها عصافير النعمان لحمتها في سيرها . وفي كلام حسان بن ثابت : فا حسدت أحدا حسدى

النابغة حين أمر له النعمان بن المنذر بمائة ناقة يريشها من نوق عصافيره ، وجام وآنية من فضة ، وكانوا

إذا حبا الملك بعضهم بنوق يغمزون في أسنمتها ريش النعام ؛ ليعلم أنها حباء الملك .

(١) القوارع من القرآن : آيات الوعد والوعيد .

(٢) الرجل الحرِم : المانع . (٣) ش : « قد يضره » .

قال المرتضى أدام الله علوه : ومما يشاكل قوله : « إلى الجنة » في جواب قول النبي صلى الله عليه وآله : « أين المظاهر يا أبا ليلى » - وإن كان يتضمن العكس من معناه - ما روى من دخول الأخطل على عبد الملك بن مروان ، مستغيثاً من فعل الجحاف السلمي ، وأنه أنشده :

أقدم أوقع الجحاف بالبشر وقعةً إلى الله منها المشتكى والمعول^(١)
/ فإن لم تغيرها قریش بملكها يكن عن قریش مستماز ومزحل^(٢) [٨٨]
و

فقال عبد الملك له : إلى أين يا بن اللخناء ؟ فقال : إلى النار ، قال : لو قلت غيرها لقطعت لسانك .

فقوله : « النار » تخلص ملبس على البديهة ، كما تخلص الجعدي بقوله : « إلى الجنة » .
وأول قصيدة الجعدي الذي ذكرنا منها الأبيات :

١٠ خليلي غفنا ساعةً وتَهَجَّرَا^(٣) ولوما على ما أحدث الدهرُ أو ذرا
ولا تسألاً ، إنَّ الحياةَ قصيرةٌ فطيراً لروعاتِ الحوادثِ أو قرأ
وإن كان أمرٌ لا تطيقانِ دفعه فلاً تجزعا مما قضى الله واصبراً
ألم تعلمَا أنَّ السلامةَ نفمها قليلٌ إذا ما الشئ ولَّى فادبراً^(٤)
لوى الله عِلمَ الغيبِ عمَّن سِواءه ويعلمُ منه ما مضى وتأخراً
وفيها يقول :

١٥ وجاهدتُ حتَّى ما أحسُّ ومن ممى سهيلاً إذا ما لاح ثمَّ تغوراً
- يريد : إلى كنت بالشام ، وسهيل لا يكاد يُرى هناك ، وهذا بيت معنى - وفيها يقول :
ونحنُ أناسٌ لا نعوذُ خيلنا إذا ما التقينا أن تحيدَ وتنفرا

(١) ديوانه : ١٠ والطبقات : ١٢ ، والبشر : جبل بالجزيرة ، يمتد من عرض الفرات إلى أرض الشام ، وهو الجحاف بن حكيم السلمي ، وانظر خبره وقصة يوم البشري في الأغاني ١١ : ٥٥ - ٦٠ .

(٢) يقال : امتاز القوم إذا تنحى عصاة . منهم ناحية ، وكذلك استماز ؛ ذكره صاحب اللسان واستشهد بالبيت . والمزحل : الموضع الذي يترحل إليه ؛ أي يتنحى ويتقاعد . وانظر اللسان (ميز - زحل) .

(٣) التهجر : السير في الهاجرة . (٤) حاشية ت : بعده .

يهيجُ اللحاء والملامة ثم ما يقرب منا غير ما كان قدراً

وَنُكِرَ^(١) يَوْمَ الرَّوْعِ أَلْوَانَ خَيْلِنَا مِنْ الطَّمَنِ حَتَّى تَحْسِبَ^(٢) الْجَوْنَ أَشْقَرَا
وَلَيْسَ بِمَعْرُوفٍ لَنَا أَنْ نَرُدَّهَا صَاحَا وَلَا مُسْتَنْكَرَ^(٣) أَنْ تُعْقَرَا

وأخبرنا المرزباني قال أنشدنا علي بن سليمان الأخفش قال أنشدنا أحمد بن يحيى قال :
أنشدنا محمد بن سلام وغيره للناطقة الجعدى :

٥ تَلُومُ عَلَى هُلَاكِ الْبَعِيرِ ظَعِينَتِي
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّي رُزْتُ مُجَارِبًا^(٥)
وَمِنْ قَبْلِهِ مَا قَدْ رُزْتُ بِوَحْوَحٍ^(٦)
فَتَّى كَمَلْتُ أَخْلَاقَهُ غَيْرَ أَنَّهُ
فَتَّى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ
— وَيُرَوَّى : « فَتَّى كَانَ فِيهِ مَا يَسُرُّ » — ١٠

أَشْمُ طَوِيلُ^(٨) السَّاعِدَيْنِ سَمِيدَعُ إِذَا لَمْ يَرُحْ لِلْمَجْدِ أَصْبَحَ غَارِيَا
السميدع : السيد .

ومما يروى للناطقة الجعدى :

عُقَيْلِيَّةُ أَوْ مِنْ هِلَالِ بْنِ عَامِرٍ بَذَى الرُّمُثِ مِنْ وَادِي الْمَنَارِ خِيَامُهَا^(٩)
إِذَا ابْتَسَمَتْ فِي اللَّيْلِ وَاللَّيْلِ دُونَهَا أَضَاءَ دُجَى اللَّيْلِ الْبَهِيمِ ابْتِسَامُهَا ١٥

(١) حاشية ت (من نسخة) : « وتسكر » ، بالبناء للمجهول . (٢) حاشية ت (من نسخة)
« ويحسب الجون » ، بالبناء للمجهول . (٣) حاشية ت (من نسخة) : « ولا مستنكرا »
بالعطف على المعنى . (٤) من أبيات يرثي فيها أخاه لأمه ، وقد ذكرت متفرقة في ديوان الحماسة ٣ : ١٩ ،
والخزاعة ٢ : ١٢-١٣ ، وشرح شواهد المفنى : ٢٠٩ والأمالى ٢ : ٢ ، والآلى : ٦٣٧ .

(٥) هو محارب بن قيس بن عدس ؟ كان من أشراة قومه . (٦) هو وحوح بن عبد الله ؟ قال
أبو عبيد البكري : « هو أخو الناطقة لأمه » .

(٧) رواية البيت في ت :

فَتَّى كَمَلْتُ أَخْلَاقَهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَاذُهَا بَقِيَ مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا

(٨) حاشية ت (من نسخة) : « طوال الساعدين » . (٩) ش : « وادى المياه » .

وذكر الأصمعيّ عن أبي عمرو بن العلاء قال: سئل الفرزدق بن غالب عن الجعديّ فقال:
صاحبُ خُلُقَانٍ؛ يكونُ عنده مُطَرَفٌ بألف دينار، وخمار بوافٍ^(١).
قال الأصمعيّ: وصدق الفرزدق، بينا^(٢) النابغة في كلام أسهل من الزلال وأشد من
الصخر إذ لان فذهب، ثم أنشد له:

سَمَا لَكَ هَمْ وَلَمْ تَطْرُبِ وَبَتَّ بَيْتٌ وَلَمْ تَنْصَبِ
وَقَالَتْ سُلَيْمَى أَرَى رَأْسَهُ كِنَاصِيَةَ الْفَرَسِ الْأَشْهَبِ
وَذَلِكَ مِنْ وَقَعَاتِ الْمَنُونِ فَفَيْئِي إِلَيْكَ وَلَا تَعْجَبِي
أَتَيْنَ عَلَى إِخْوَتِي سَبْعَةً^(٣) وَعُدُنَ عَلَى رُبْعِي الْأَقْرَبِ

ثم يقول فيها بعدها:

فَأَدْخَلَكَ اللَّهُ بَرْدَ الْجِنَا نِ جَدْلَانِ فِي مَدْخَلِ طَيْبٍ

فلان كلامه؛ حتى لو كان أبا السمقمق قال هذا البيت كان رديئاً ضعيفاً.

قال الأصمعيّ: وطريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان، ألا ترى أن حسان بن
ثابت كان علّا في الجاهلية والإسلام، فلما أدخل شعره في باب الخير من مرأى النبي صلى الله
عليه وآله وحمزة وجعفر^(٥) عليهما السلام/ وغيرهما لان شعره^(٤)!

[٨٩]
و

(١) حاشية ت (من نسخة): « من كلامهم: مطرف بألف، وخمار بواف؛ أي بدرهم واف ».

(٢) حاشية ت: « بينا وبينما يتلقيان بالفعل؛ ولا يتلقيان بإذا؛ هذا هو الفصيح العالي، كقوله:

* فَبَيْنَاهُ يَشْرِي رَحْلَهُ قَالَ قَائِلٌ *

وكقوله:

بَيْنَا نَحْنُ بِالْبَلَاكِثِ فَالْقَا عِ سِرَاعًا وَالْعَيْسُ تَهْوَى هَوِيًّا
خَطَرْتُ خَطَرَةً عَلَى الْقَلْبِ مِنْ ذِكْرِكَ وَهْنًا فَمَا اسْتَطَعْتُ مُضِيًّا

(٣) ش: « إخوة سبعة »، بالجر والتنوين فيهما. (٤) ش: « فيها ». (٥) وانظر ترجمة

الناامة الجعدي وأخباره وأشعاره في (الشعر والشعراء ٢٤٧-٢٥٥، ولاستيعاب ٣٢٠-٣٢٥، وأسد
الغابة ٥: ٤٢-٤٣، والإصابة ٦: ٢١٨-٢٢١، والمعمرين ٦٤-٦٦، والأغانى ٤: ١٢٧-١٣٩،
والخزانة ١: ٥٩-٥١٥، والمؤتلف والمختلف ١٩١، ومعجم الشعراء ٣٢١، واللائى ٢٤٧).

مَجْلِسُ آخِر

مَسْأَلَةٌ

تتعلق بما ذكرناه . إن سأل سائل فقال : كيف يصح ما أوردتموه ، من تطاول الأعمار وامتدادها ، وقد علمتم أن كثيراً من الناس ينكر ذلك ويحمله ويقول : إنه لا قدرة عليه ، ولا سبيل إليه ؛ وفيهم ^(١) من ينزل في إنكاره درجة فيقول : إنه - وإن كان جائزاً من طريق القدرة والإمكان - فإنه مما يُقَطَّع على انتفائه ؛ لكونه خارقاً للعادات ؛ وإن العادات ^(٢) إذا وثق الدليل بأنها لا تنخرق إلا على سبيل الآية ^(٣) والدلالة على صدق نبي من الأنبياء عليهم السلام علم أن ما روى من زيادة الأعمار على العادة باطل مصنوع لا يلتفت إلى مثله .

الجواب ، قيل له : أما من أبطل تطاول الأعمار من حيث الإحالة ، وأخرجها عن ^(٤) باب الإمكان فقولُه ظاهرُ الفساد ، لأنه لو علم ما العمر في الحقيقة ، وما المقتضى لدوامه إذا دام ، وانقطاعه إذا ^(٥) انقطع لعلم من جواز امتداده ما علمناه . والعمر هو استمرار كون من يجوز أن يكون حياً وغير حياً . وإن شئت أن تقول : هو استمرار كون الحى الذى لكونه على هذه الصفة ^(٦) ابتداءً حياً .

وإنما شرطنا الاستمرار ؛ لأنه يبعد أن يوصف من كان حالة واحدة حياً بأن له عمراً ؛ بل لا بد من أن يُراعوا في ذلك ضرباً من الامتداد والاستمرار ، وإن قل .

وشرطنا أن يكون ممن يجوز أن يكون غير حى ، أو يكون لكونه حياً ابتداءً لثلاث ^(٧) ١٥ يلزم عليه القديم تعالى ؛ لأنه تعالى جأت عظمتُه ممن لا يوصف بالعمر ؛ وإن استمر كونه

(١) ت : « منهم » . (٢) ت : « ولأن العادات » . (٣) ت ، وحاشية الأصل

(من نسخة) : « الإبانة » ، (٤) ت : « جميع ما روى » . (٥) م : « من باب الإمكان » .

(٦) ت : « متى انقطع » . (٧) م : « الصفات » . (٨-٨) حاشية ت (من نسخة) :

« احترازاً من أن يلزم عليه القديم تعالى » .

حيًّا؛ وقد علمنا أن المختصَّ بفعل الحياة هو القديم تعالى، وفيما تحتاج إليه الحياة من البنية والمعاني ما يختص به عز وجل ، ولا يدخل إلاَّ تحت مقدوره ؛ كالرطوبة وما يجري مجراها؛ فمَتَّى فعل القديمُ تعالى الحياةَ وما تحتاج إليه من البنية - وهى مما يجوز عليه البقاء - وكذلك ما تحتاج إليه فليست^(١) تنتنى إلا بضد يطراً عليها ، أو بضدٍ ينفي ما تحتاج إليه؛ والأقوى أنه لا ضدَّ لها في الحقيقة^(٢)؛ وإنما ادعى قوم أنه ما يحتاج إليه ، ولو كان للحياة ضدٌّ على الحقيقة لم يُخِلَّ •
بما يقصده / في هذا الباب .

[٨٩]
ط

فهما لم يفعل القديمُ تعالى ضدَّها ، أو ضدَّ ما تحتاج إليه ، ولا نقضَ ناقضَ بنية الحى استمرَّ كون الحى حيا . ولو كانت الحياة لا تبقى على مذهب مَنْ رأى ذلك لكان ما قصدناه صحيحاً ، لأنه تعالى قادر على أن يفعلها حالا فخالاً ، ويوالى بين فعلها وفعل ما تحتاج إليه ، فيستمرُّ كون الحى حياً .

١٠

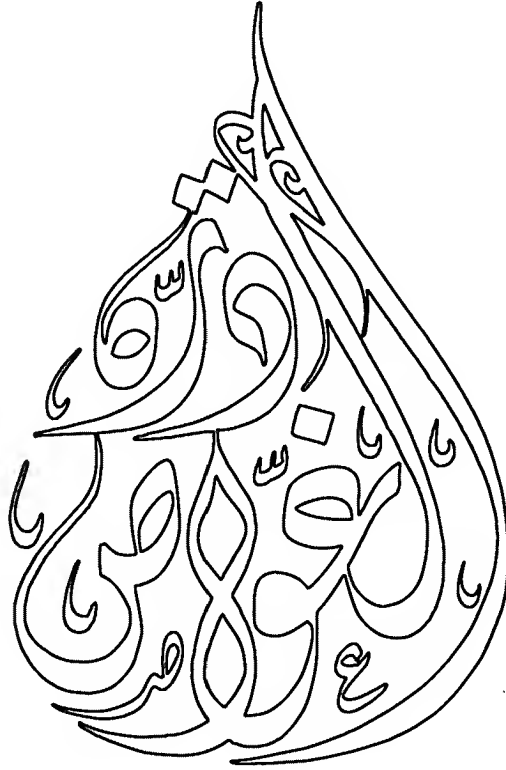
فأما ما يعرض من الهرم بامتداد الزمان وعُلوَّ السن وتناقصِ بنية الإنسان ، فليس مما لا بدَّ منه ، وإنما أجرى الله تعالى العادة بأنَّ يفعل ذلك عند تطاول الزمان ولا إيجابَ هناك ، ولا تأثيرَ للزمان على وجه من الوجوه ، وهو تعالى قادرٌ على أن يفعل ما أجرى العادة بفعله ، وإذا ثبتتْ هذه الجملة ثبتَ أنَّ تطاولَ العمر مُمكنٌ غيرُ مستحيل ، وإنما أتى من أحال ذلك من حيث اعتقد أنَّ استمرارَ كون الحى حياً مُوجبٌ عن طبيعة وقوَّة لها مبلغٌ من المادة ، ١٥ متى انتهتا إليه^(٣) انقطعتا، واستحال أن تدوما^(٤). ولو أضافوا ذلك إلى فاعلٍ مختارٍ متصرفٍ نخرج عندهم من باب الإحالة .

١٥

فأما الكلامُ في^(٥) دخول ذلك في العادة أو خروجه عنها ، فلا شكَّ في أنَّ العادة قد جرت في الأعمار بأقدارٍ متقاربة يُعدُّ الزائد عليها خارقاً للعادة ؛ إلاَّ أنه قد ثبت أنَّ العادة قد تختلف في الأوقات وفي الأماكن أيضاً ، ويجب أن يُراعى في العادة إضافتها إلى مَنْ هى ٢٠ عادة له في المكان والوقت .

(١) حاشية ت (من نسخة) : « فليس ينطق » . (٢) ت : « وربما » .
(٣-٣) ت : « بطل واستحال أن تدوما » . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « على ذلك » .

وليس يمتنع أن يقلَّ ما كانتِ العادةُ جاريةً به على تدريجٍ؛ حتى يصير حدوثه خارقاً للعادة بغير خلاف ، ولا يكثر^(١) الخارق للعادة ، حتى يصير حدوثه غير خارق لها على خلاف فيه . وإذا صح ذلك لم يمتنع أن تكونَ العاداتُ في الزمان الغابرِ كانت جاريةً بتطاؤل الأعمار وامتدادها ، ثم تناقص ذلك على تدريج ، حتى صارت عادتنا الآن جارية بخلافه ، وصار ما بلغ ٥ مبلغ تلك الأعمار خارقاً للعادة ؛ وهذه جملة فيما أردناه كافية .



(١) ش : « وأن يكثر » .

باب

في الجوابات الحاضرة المستحسنة التي يسميها قوم المسكتة

/ اعلم أن أجوبة المحاور والمناظرة إنما تستحسن وتؤثر إذا جمعت مع الصواب سرعة [٩٠]
الحضور؛ فكم من جواب أتى بعد لأي، وورد بعد تقاعس، فلم يكن له في النفوس وقع،
ولا حل من القلوب محل الحاضر السريع؛ وإن كان المتناقل أعرق في نسب الإصابة، وآخذ
بأطراف الحجة، ولهذا قيل: أحسن الناس جواباً وأحضرهم قريش، ثم العرب، وإن
الوالى تأتي أجوبتها بعد فكرة وروية.

وقد مدح الجواب الحاضر بكل لسان، فقال صحار العبدى لمعاوية بن أبي سفيان -
وقد سأله عن البلاغة - فقال: أن تصيب فلا تخطئ، وتسرع ولا تبطل، ثم اختصر ذلك
فقال: لا تخطئ ولا تبطل.

ولطول الفكرة والإغراق في الروية مذهب وأوان لا يحمد فيهما^(١) التسرع والتعجل،
كما لا يحمد في أوان السرعة التثاقل والتأيد؛ وإنما تحمد السرعة في أجوبة المحاور والمناظرة،
وتراد الفكرة والروية للآراء المستخرجة والأمور المستنبطة؛ التي على الإنسان فيها مهلة،
وله في تأملها فسحة، ولا عيب عليه معها في إطالة التأمل، وإعادة التصفح؛ ولهذا قال الأحنف
ابن قيس بصفين: أغبوا الرأي، فإن ذلك يكشف لكم عن محضه.

وقال عبد الله بن وهب الراسبي لما أراده الخوارج على الكلام حين عقدوا له: لا خير
في الرأي الفطير، والكلام القضيبي.

وشوور ابن التوءم الرقائمي^(٢) فأمسك عن الجواب وقال: ما أحب الخبز إلا بائناً.

(١) حاشية ت (من نسخة): وفيه. (٢) حاشية ت (من نسخة): «الرؤاسي».

فأما قولهم : ثلاث يُعرَفَنَّ في الأحمق : سرعةُ الجواب ، وكثرةُ الالتفات ، والثقةُ بكل أحد ؛ فمحمولٌ على إسرعه بالجواب عند الرأي والمشاورة ، والأحوال التي يستحب فيها التأيد والتثبت ، أو على الإسراع من غير تحصيل ولا ضبط ؛ وذلك مذمومٌ لا إشكال فيه . ثم نعود إلى ما قصدناه .

٥ روى أن بعضَ أزواج النبي صلى الله عليه وآله سألته : متى يعرف الإنسان ربه ؟ فقال : « إذا عَرَفَ نفسه » . وقال له صلى الله عليه وآله رجلٌ : إني أكره الموت ، فقال : « ألك مال ؟ » ، قال : نعم ، قال : « قدّم مالك ؛ فإن قلب كل امرئ عند ماله » .

وقال يهودىٌّ لأمير المؤمنين عليه السلام : ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فيه ، فقال عليه السلام : إنا اختلفنا عنه ، لا فيه^(١) ؛ ولكنكم ماجفت أقدامكم من البحر حتى قلتم لنبيكم : اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة ، قال : إنكم قوم تجهلون .

وروى أنه لما فرغ عليه السلام من دفن الرسول صلوات الله عليه وآله ، سأل عن خبر السقيفة فقيل له : إن الأنصار قالت : منّا أميرٌ ومنكم أمير ، فقال عليه السلام : فهلا ذكرت الأنصار قول النبي صلى الله عليه وآله : « نَقْبَلُ من مُحْسِنِهِمْ ، وَتَتَجَاوَزُ عن مُسِيئِهِمْ » ! فكيف يكون الأمرُ فيهم والوصاة بهم !

١٥ وقال له عليه السلام ابنُ الكوّاء : يا أمير المؤمنين ، كم بين السماء والأرض ؟ فقال : دعوة مستجابة . وقيل له : ما طعمُ الماء ؟ فقال : طعم الحياة . وقيل له : كم بين المشرق والمغرب ؟ فقال : مسيرة يومٍ للشمس . وأثنى عليه رجلٌ - وكان له متهِمٌ ما - فقال : أنا دون ما تقول ، وفوق ما في نفسك . وكان عليه السلام إذا أطراه رجلٌ قال : اللهم إني أعلمُ بي منه ، وأنا أعلمُ منه بنفسي ، فاعفُ لي ما لا يعلم .

٣٠ أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال : حدثني عبدُ الواحد بن محمد الخصبِي قال : حدثني

(١) حاشية ت (من نسخة) « ولم نختلف فيه » .

أبو عليّ أحمد بن إسماعيل قال : حدثني أيوب بن الحسين الهاشمي قال : قدم على الرشيد رجلاً من الأنصار ، يقال له نُفَيْع — وكان عَرِيضاً — قال : فحضرَ بابَ الرشيد ، ومعه عبدُ العزيز ابن عمر بن عبد العزيز ، وحضرَ موسى بن جعفر عليهما السلام على حمارٍ له ، فتلقاه الحاجب بالبصرة^(١) والإكرام ، وأعظمه مَنْ كان هناك ، وعَجَّلَ له الإذن ، فقال نفيع لعبد العزيز : مَنْ هذا الشيخ ؟ قال : أَوْ ما تعرفه ؟ قال : لا ، قال : هذا شيخ آل أبي طالب ، هذا موسى بن جعفر ، قال : ما رأيت أعجزَ مِنْ هؤلاء القوم ! يفعلون هذا برجل^(٢) يَقْدَرُ أَنْ يُزِيلَهُمْ^(٣) عن السَّير ! أَمَا لَيْنُ خُرجِ لَأَسْوَأَ نَهْ ، فقال له عبد العزيز : لا تفعل ، فإن هؤلاء أهلُ بيت قَلَّمَا تعرَّضَ لهم أحدٌ في خطابٍ إِلَّا وَسَّعُوهُ بالجواب^(٤) سَمَةً يَبْقَى عَارُهَا^(٥) عليه مدى الدهر .

قال : وخرج موسى بن جعفر عليهما السلام ، فقام إليه نفيع الأنصاري ، فأخذ بِإِجام حماره ثم قال له : مَنْ أَنْتَ ؟ فقال له : يا هذا ، إِنْ كُنْتَ تَريدُ النَّسَبَ فَأَنَا ابنُ مُحَمَّدٍ حَبِيبِ اللَّهِ ١٠ ابنِ إسماعيلَ ذبيحِ اللَّهِ بنِ إبراهيمَ خليلِ اللَّهِ ، وَإِنْ كُنْتَ تَريدُ الْبَلَدَ ، فَهُوَ الَّذِي فَرَضَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَعَلَيْكَ — إِنْ كُنْتَ مِنْهُمْ — الْحِجَّ إِلَيْهِ ، وَإِنْ كُنْتَ تَريدُ الْمَفَاخِرَةَ ، فَوَاللَّهِ مَارِضِيَ مُشْرِكُو قَوْمِي^(٦) / مُسْلِمِي قَوْمِكَ أَكْفَاءُ لَهُمْ حَتَّى قَالُوا : يَا مُحَمَّدُ ، أَخْرِجْ إِلَيْنَا [٩١] أَكْفَاءُ نَا مِنْ قَرِيشٍ^(٧) ؛ خَلَّ عَنْ الْحِمَارِ ، قَالَ : نَخَالِي عَنْهُ وَيَدُهُ تُرْعَدُ ، وَانصَرَفَ بِخَزْمِي ، فقال له عبد العزيز : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ ! .

١٥

ويقال إن معاوية استشارَ الأحنفَ بنَ قيسٍ في عَقْدِ الْبَيْعَةِ لابنه يزيد ، فقال له : أَنْتَ أَعْلَمُ بِلَيْلِهِ وَنَهَارِهِ .

وقال أحمد بن يوسف لأبي يعقوب الخريمي : مَدَّ حُكَّ لِمُحَمَّدِ بْنِ مَنْصُورٍ أَجُودُ مِنْ مَرَاتِيكَ

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « بالبصرة » . (٢-٢) حاشية ت (من نسخة) : يقدر أن

يزيلهم . (٣-٣) حاشية ت (من نسخة) : « وسما يبق عاره » . (٤) حاشية ط : « يعني

بقوله : « مشركو قومي » شيبة وعتبة وعمرو بن عبدود (٥) ورد بعد هذه العبارة في م ، ومن

نسخة بحاشيتي ت ، ف : « وإن كنت تريد الصيت والاسم فنحن الذين أمر الله تعالى بالصلاة علينا في الصلوات

المفروضة بقوله : اللهم صل على محمد وآل محمد ، فنحن آل محمد » .

فيه ، فقال : كُنَّا نعمل للرجاء ، واليوم للوفاء ، وبينهما بونٌ .

ودخل مُطِيع بن إبّاس على الهادي في حياة المهديّ فدُهِش وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقيل له : مه ! فقال : بعد أمير المؤمنين .

وقال معاوية لعقيل بن أبي طالب - وكان جيّد الجواب حاضره - : أنا خيرٌ لك من أخيك ، فقال عقيل : إن أخى آثر دينه على دنياه ، وأنت آثرت دنياك على دينك ؛ فأخى خيرٌ لنفسه منك ، وأنت خيرٌ لى منه . وقال له يوماً : إن فيكم لشبّاقاً يا بني هاشم ، فقال : هو منّا في الرجال ، ومنكم في النساء . وقال له يوماً وقد دخل عليه : هذا عقيل ، عمّه أبو لهب ، فقال عقيل : هذا معاوية ، عمته حمالة الحطب . وعمّة معاوية أمٌ جميل^(١) بنت حرب بن أميّة ، وكانت امرأةً أبي لهب . وقال له يوماً : يا أبا يزيد ، أين ترى عمّك أبا لهب ؟ فقال له عقيل : إذا دخلت النار فانظر عن يسارك تجدّه مفترشاً عمّتك ، فانظر أيّهما أسوأ حالاً ، الناكح أم المنكوح ! وقال له ليلة الحرير بصيفيّ : يا أبا يزيد ، أنت معنا الليلة ، قال : ويوم بدرٍ كنتُ معكم .

وقيل اسمعيل بن المسيّب - وقد كفّ بصره : ألا تتدخ^(٢) عينك ؟ قال : حتى أفتحها على من !

١٤ ودخل معن بن زائدة على المنصور فقال له : كبرت يا معن ، قال : في طاعتك ، قال : وإنك لتتجدّد ، قال : على أعدائك ، قال : وإن فيك لبقية ، قال : هي لك .

وقال عبيد الله بن زياد لمسلم بن عقيل : والله لأقتلنك قتلةً يُتحدّث بها بعدك ، فقال مسلم : أشهد أنك لا تدعُ سوء القتلة ولؤم القدرة لأحد أولى بهما منك .

وقال رجل لعمر بن العاص : لأتفرّغن لك ، قال : إذا وقعت^(٣) في الشغل .

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « أم جميل هي ابنة حرب ، أخت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس » .
(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « ألا تفتح عينك ؟ » .
(٣) حاشية ت (من نسخة) : « إذا وقع » .

وقال معاوية لعمر بن سعيد بن العاص المنقّب بالأشدق : إلى مَنْ أوصى بك أبوك ؟
فقال : إنَّ أبى أوصى إلىَّ ولم يُوصِ بى .

وقال عبيد الله بن زياد بن ظبيان لابنه وقد حضرته / الوفاة : قد أوصيتُ بك فلاناً [٩١]
فألقه بعدى ، فقال : يا أبةً ، إذا لم يكن للحيِّ إلا وصية الميت ، فالحيُّ هو الميت .

وقال الوليد بن يزيد لابن الرِّقَّاع العامليّ : أنشدنى بعض قولك فى الخمر ، فأنشده :
كُميتُ إذا سُجِّتْ وفى الكأسِ وَرَدَّةٌ لها فى عِظامِ الشَّارِبِينَ دَيْبُ
فقال له : شربتها وربُّ الكعبة ! فقال ابنُ الرِّقَّاع : لئن كان نعتى لها بذلك رآبك ،
لقد رآبني معرفتك بها .

ولما أتى معاوية نعيُّ الحسن بن عليٍّ عليهما السلام بعث إلى ابنِ عباس رضى الله عنه -
وهو لا يعلمُ الخبر - فقال له : هل عندك خبر من المدينة^(١) ؟ قال : لا ، قال : أنا^(٢) نعيُّ
الحسن - وأظهر سروراً - فقال ابنُ عباس : إذا لا يُنسأ^(٣) فى أجلك ، ولا تُسدُّ حفرتك ،
قال : أحسبه قد ترك صِبيّة صغاراً ، قال : كلُّنا كان صغيراً وكبيراً ، قال : وأحسبه قد كان
بلغ سنّاً ، قال : مثلُ مولده لا يُجهلُ ، قال معاوية : وقال قائلُ إنك أصبحتَ سيِّدَ قومك ،
قال : أما وأبو عبد الله الحسينُ بن عليٍّ حتى فلا ؛ فلما كان من غدٍ أتى يزيدُ بن معاوية
ابنَ عباس ، وهو فى المسجد يعزّي^(٤) ، فجلس بين يديه جِلْسَةَ المعزّي ، وأظهر حزناً^(٥)
وغمّاً ، فلما انصرف أتبعه ابنُ عباس بصره وقال : إذا ذهبَ آلُ حربٍ ذهبَ حِلْمُ قريش .

وروى أن وفوداً دخلت على عمر بن عبد العزيز ، فأراد فتى منهم الكلام ، فقال عمر :
ليتكلمُ أكبرُكم ، فقال الفتى : إنَّ قريشاً لَترى فيها مَنْ هو أسنُّ منك ، فقال له :
تكلّم يا فتى .

(١) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « ماجاءك من المدينة خبر ؟ » .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « أتى ناعى الحسن » . (٣) حاشية ت (من نسخة) :

« إذا لا ينسى أجلك » . (٤) حواشى الأصل ، ت ، ف : « كان ذلك بالشام ؛ وروى أن ابن عباس

رضى الله عنه عقد بالشام عزاء على الحسن صلوات الله عليه » . (٥) ت : « تحزنا » .

وروى محمد بن سلام الجُمحى قال: " أنشد^(١) كثير عبد الملك بن مروان شعراً :
على ابن أبي العاصي دِلاصٌ حَصِينَةٌ أَجَادَ المُسَدَّى نَسَجَهَا فَأَذَاهَا^(٢)
فقال له : هَلَّا قَلْتَ كما قال الأعشى :

وَإِذَا تَكُونُ كَتِيبَةٌ مَلُومَةٌ شَبِهَا يَخْشَى الذَّائِدُونَ نِهَالَهَا^(٣)
كُنْتَ الْمَقْدَمَ غَيْرَ لَا بَسَ جُنَّةٍ بِالسَّيْفِ تَضْرِبُ مُعَلِّمًا أَبْطَالَهَا^(٤)
فقال له : إِنَّهُ وَصَفَهُ بِالْخُرْقِ وَوَصَفْتِكَ بِالْحَزْمِ^(٥).

ويُشَبِّه ذلك ما رُوِيَ^(٦) عن أبي عمرو بن العلاء أنه لقي ذا الرُّمَّة ، فقال له : أنشدني
قصيدتك :

* مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا الْمَاءُ يَنْسَكِبُ^(٧) *

(١) طبقات الشعراء ٤٥٨-٤٥٩ ؛ ورواه المرزبانى فى الموشح: ١٤٥ ؛ مع اختلاف فى الرواية .
(٢) ابن أبي العاصى هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاصى بن أمية ، ودلاس : وصف
للدرع اللينة . والحصينة : المحكمة المتدانية الخلق ؛ يكون صاحبها فى حصن مما يصيبه . وسدى الدرع :
نسجها . ويقال أزال الدرع ؛ إذا أطال ذيلها وأطرافها .
(٣) ديوانه : ٢٧ . السكتية : القطعة العظيمة من الجيش ، وكتيبة معلومة : مجموعة مضموم بعضها
الى بعض . وشهباء : بيضاء صافية الحديد . والدائد : الذى يحمى الحرم ويذود عنها ، والنهال : العطاش .
(٤) المقدم : شديد الإقدام على العدو . والجنة هنا : الدرع تستر لابسها . والمعلم : من يعلم مكانه
فى الحرب بعلامة أعلم بها نفسه . (٥) رواية المرزبانى : « فقال : ياأمير المؤمنين ؛ وصف الأعشى صاحبه
بالخيش والخرق والتغريز ؛ ووصفتك بالحزم والعزم ، فأرضاء » ؛ وقدفاضل المرزبانى بين هذين الشعرين
فقال : « رأيت أهل العلم بالشعر يفضلون قول الأعشى فى هذا المعنى على قول كثير ؛ لأن المبالغة أحسن عندهم
من الاقتصار على الأمر الأوسط ؛ والأعشى بالغ فى وصف الشجاعة حتى جعل الشجاع شديد الإقدام بغير جنة ؛
على أنه وإن كان لبس الجنة أولى بالحزم وأحق بالصواب ؛ ففى وصف الأعشى دليل قوى على شدة شجاعته
صاحبه » . (٦) الخبر فى الموشح ١٧٤-١٧٥ ، والشعر والشعراء ٥١٧-٥١٨ ، والأغانى ١٦: ١١٨ ؛
واللآلى : ٨٩٨ ؛ مع اختلاف فى الرواية والشعر . (٧) بقيته :

* كَأَنَّهُ مِنْ كُلى مَفْرِيةٍ سَرِبُ *

والسكى : جمع كلية ؛ وهى رقعة تكون فى أصل عروة المزادة . ومفربة : مقطوعة . وسرب
سائل ؛ والقصيدة فى ديوانه ١ - ٣٥ .

[٩٢]

/ فَأَنشده إياها ، فلما بلغ إلى قوله :
تُصْنِي إِذَا شَدَّهَا بِالْكُورِ جَانِحَةً حَتَّى إِذَا مَا اسْتَوَى فِي غَرْزِهَا تَبَّ
فقال له أبو عمرو بن العلاء : قول الراعي أحسن مما قلت
تَرَاهَا إِذَا قَامَ فِي غَرْزِهَا كَمِثْلِ السَّفِينَةِ أَوْ أَوْقَرُ
وَلَا تُعْجِلُ الْمَرْءَ عِنْدَ الْوُورِ لَكِ وَهْيَ بِرِكْبَتِهِ أَبْصَرُ^(١)
فقال ذو الرُّمَّة : إِنَّ الرَّاعِيَ وَصَفَ نَاقَةَ مَلِكٍ ، وَأَنَا وَصَفْتُ نَاقَةَ سَوَاقَةٍ .

وحكى الصَّوْلِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ أَعْرَابِيًّا يُنْشِدُ بَيْتَهُ الَّذِي حَكَيْنَاهُ ، فَقَالَ : سَقَطَ وَاللَّهِ الرَّجُلُ .
فَأَمَّا الْغَرْزُ فَهُوَ لِلنَّاقَةِ مِثْلُ الرَّكْبِ لِلدَّابَّةِ ، وَهُوَ نِسْعٌ مُضْفُورٌ . وَقَوْلُهُ : « تُصْنِي »
يُرِيدُ تُمِيلُ رَأْسَهَا ، كَأَنَّهَا تَسْمَعُ ، لِأَنَّهَا لَيْسَتْ بِنَفُورٍ ، بَلْ مُؤَدَّبَةٌ مَقُومَةٌ . وَالْكُورُ : الرَّحْلُ .
وَقَدْ أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى أَبُو نَوَاسٍ فَأَحْسَنَ نَهَايَةَ الْإِحْسَانِ ، فَقَالَ يَصِفُ النَّاقَةَ فِي مَدْحِهِ .
الْخَصِيبُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ :

فَكَأَنَّهَا مُصْنَعٌ لِتُسْمِعَهُ بَعْضَ الْحَدِيثِ ، بِأُذُنِهِ وَقَرُّ^(٢)
فَلَمْ يَرْضَ بِأَنْ وَصَفَهَا بِالْإِصْغَاءِ حَتَّى وَصَفَهَا بِالْوَقْرِ ، وَهُوَ الثَّقَلُ فِي الْأُذُنِ ، لِأَنَّ الثَّقِيلَ
السَّمْعَ يَكُونُ إِصْغَاؤُهُ وَمِيلُهُ إِلَى جِهَةِ الْحَدِيثِ أَشَدَّ وَأَكْثَرَ^(٣) .

قَالَ سَيِّدُنَا الشَّرِيفُ أَدَامَ اللَّهُ عُلُوهَ : وَإِنِّي لِأَسْتَحْسِنَ الْقَصِيدَةَ الَّتِي مِنْ جُمْلَتِهَا الْبَيْتُ^{١٥}
الَّذِي أَوْرَدَنَاهُ لِأَبِي نَوَاسٍ ؛ لِأَنَّهَا دُونَ الْعَشْرِينَ بَيْتًا ، وَقَدْ نَسَبَ فِي أَوَّلِهَا ، ثُمَّ وَصَفَ النَّاقَةَ
بِأَحْسَنِ وَصْفٍ ، ثُمَّ مَدَحَ الرَّجُلَ الَّذِي قَصَدَ مَدْحَهُ وَاقْتَضَاهُ حَاجَتَهُ ؛ كُلُّ ذَلِكَ بِطَبِيعٍ يَتَدَفَّقُ ،
وَرَوْنَقٍ يَتَرَقَّقُ ، وَسَهْوَةٍ مَعَ جِزَالَةٍ ؛ وَالْقَصِيدَةُ^(٣) :

(١) الْبَيْتَانِ فِي الْآلِ : ٨٩٨ . الْوُورُكُ : أَنْ يَثْنِيَ الرَّجُلُ لِاحْدَى وَرَكَيْهِ لِيَنْزِلَ مِنْ فَوْقِ السَّرَجِ ، وَالْبَيْتِ
الثَّانِي فِي الْأَسَانِ (وَرَك) ، وَفِي ت : « الرُّكُوب » ، وَمِنْ نَسْخَةٍ بِمَاشِئِ الْأَصْلِ ، ت : « النَّزُول » .
(٢) مِنْ نَسْخَةٍ بِمَاشِئِ ت : « وَأَوْكَد » . (٣) دِيَوَانُهُ : ١٠١ .

يَا مِنَّةً اِمْتَنَيْهَا الشُّكْرُ مَا يَنْقُضِي مِنِّي لَهَا الشُّكْرُ
أَعْطَيْتَكَ فَوْقَ مُنَاكَ مِنْ قَبْلِ قَدْ كُنَّ قَبْلُ، مَرَامُهَا وَعَرُ
يَشْنِي إِلَيْكَ بِهَا سَوَالِفَهُ رَشَاءُ صِنَاعَةٍ عَيْنِهِ السَّجَرُ
ظَلَّتْ مُحِيًّا الْكَأْسَ تَبْسُطُنَا^(١) حَتَّى تَهْتِكَ بَيْنَنَا السِّتْرُ
/ فِي مَجْلِسِ ضِحْكَ السُّرُورِ بِهِ عَنْ نَاجِذِيهِ وَحَلَّتِ الْخَمْرُ

[٩٢]
ط

أما قوله : « حَلَّتِ الْخَمْرُ » فيحتمل أن يُريد به أن ما وصفه من طيب الموضع وتكامل السرور به وحضور^(٢) المأمول فيه صار مقتضياً لشرب الخمر ، ومُلْجِئاً إلى تناولها ، ورافعاً للخرج فيها ؛ على مذهب الشعراء في المبالغة ؛ وتكون فائدة وصفها بأنها « حَلَّتِ » المبالغة في وصف الحال بالحسن والطيب . ويحتمل أن يكون عَقَّدَ على نفسه ، وآلَى ألا يتناول الخمر إلا بعد الاجتماع مع محبوبه ، وكان الاجتماع معه مُخْرِجاً له عن يمينه ، على مذهب العرب في تحريم الخمر على نفوسهم ، إلى أن يأخذوا بثأرهم ؛ ويجرى ذلك مجرى قول الشَّنْفَرِي :
حَلَّتِ الْخَمْرُ وَكَانَتْ حَرَامًا وَبَلَايٍ مَا أَلَمْتُ تَحِلُّ^(٣)

ويحتمل أن يريد « بَحَلَّتِ » نزلت وأقامت ؛ من الحُلُول الذي هو المقام ؛ لا من الحَلَال ؛ فكأنه وصف بلوغ جميع آرايه وحضور فنون لذاته ، وأنها تكاملت بحلول الخمر ؛ التي فيها جميع اللذات ؛ وهذا الوجه وإن لم يُشِرْ إليه أحدٌ ممن تقدم في تفسير هذا البيت ؛ فالقول يحتمله ، ولا مانع من أن يكون مُراداً . وقد قيل إنه أراد استحللنا الخمر لسكرنا ، وفَقَدْنَا العقول التي كنا نمتنع لها من الحرام ؛ والوجه المتقدم أشبه وأقرب إلى الصواب

(١) د : « تنشطنا » . (٢) د ، ف : « وحصول » . (٣) من قصيدة مضمها :

إِنَّ بِالشَّعْبِ الَّذِي دُونَ سَلْعٍ لَقَتِيلًا دَمُهُ مَا يُطَلُّ

وفي نسبتها خلاف كبير ؛ نسبها أبو تمام في الحماسة ٢ : ٣١٣-٣١٩ إلى تأبطشرا ، وقال التبريزي : « إنها لخلف الأحمر ؛ وقيل إنها لابن أخت تأبطشرا » ؛ ونسبها ابن قتيبة في الشعر والشعراء إلى خلف ؛ وقال : « إنه لخلف ابن أخت تأبطشرا ؛ وكان يقول الشعر وينحله المتقدمين » ، ومن نسبها إلى الشنفرى صاحب الأغاني (٥ : ١٦٢) .

ولقد تجوبُ بي الفلاة إذا صامَ النهارُ وقالتِ العُفْرُ
أراد «بصام»، وقف، وذلك وصف له بالامتداد والطول. والعُفْر: الظباء اللواتي^(١)
في ألوانهنَّ حمرة يخالطها كُدْرَة^(٢). و«قالت» من القائلة، وهي وقتُ نصف النهار؛
لا من القول.

شَدَنِيَّةٌ رَعَتِ الحِمَى فَأَتَتْ مَاءَ الجِبَالِ كَأَنَّهَا قَصْرُ
شَدَنِيَّة: منسوبة إلى شَدَن، وهو موضع باليمن؛ يقال لِمَلِكِهِ: ذو شَدَن.

تَثْنَى عَلَى الحَاذِينَ ذَا خُصْلٍ تَعْمَلُهُ الشَّدَرَانُ وَالْخَطْرُ
الحاذ: مؤخر الفخذ. والشَّدَرَان: رفع الناقة ذَنبها من المَرَح^(٣). والخطران، معروف
من خطرٍ يخطر / وتعمله، أى عمله.

أَمَّا إِذَا رَفَعَتْهُ شَامِدَةً فَتَقُولُ رَنَقَ فَوْقَهَا نَسْرُ
يعنى بشامدة، أى مبالغة في رفع ذَنبها. ويقال، رَنَقَ الطائر؛ إذا نشرَ جَنَاحه^(٤)
طائرًا من غير تحريك.

أَمَّا إِذَا وَضَعَتْهُ خَافِضَةً فَتَقُولُ أَرْخَى خَلْفَهَا سِتْرُ
وَتَسِفُ أَحْيَانًا فَتَحْسِبُهَا مُتَرَسِّمًا يَتَقَادُهُ أَثَرُ^(٥)

معنى «تسِف» ، أى تدنِّي رأسها من الأرض. والمترسِّم: الذى يتتبع الرِّسْمَ ويتأمله؛ ١٥
ومعنى «يقتاده أثر» ، أى هو معنى بطلب الأثر وموكلٌ بتنبُّعه. ويقال: أَثَرٌ وَأَثَرٌ وَأَثَرٌ؛

(١) حاشية ت (من نسخة): «التي». (٢) حاشية ت (من نسخة): «كدورة».

(٣) في حواشى الأصل، ت، ف: «ف» فى كتاب ابن فارس: تشذرت الناقة إذا رفعت رأسها من

النشاط». (٤) ت، ش، ف: «جناحيه». (٥) فى حاشيتى الأصل، ت: «الأثر

[بضم الهمزة والثاء]، والأثر [بفتح الهمزة والثاء] سواء؛ قال امرؤ القيس:

وإن أدبرت قلت أنفيّةً مُكَمِّمَةً ليس فيها أثرُ

ثلاث لغات ؛ وقد وهم الصُّوليّ في تفسير هذا البيت ؛ لأنه قال : إن أبا نُوَّاس جمع الأثرَ آثارًا ، ثم جمع الآثارَ أثرًا ، ثم خَفَّف فقال : « أثر » . وليس يحتاج إلى ما ذكره مع ما أوردناه ؛ وإنما ذهب عليه أنه يقال في الأثر: أثر .

فَإِذَا قَصَرْتَ لَهَا الزَّمَامَ سَمَا فَوْقَ الْمَقَادِمِ مِلْطَمٌ حُرٌّ^(١)
فَكَأَنَّهَا مُصْنَعٌ لَتُسْمِعَهُ بَعْضَ الْحَدِيثِ ، بِأُذُنِهِ وَقُرٌّ
تَبْرِىَ لِأَنْقَاضٍ أَضَرَّ بِهَا جَذْبُ الْبُرَى فَيُخْذُودُهَا صُعُرٌ

معنى تَبْرِىَ ، تَنْبَرِى ، أى تعرض لهذه الأنقاض ، والأنقاض : جمع نَقَضَ ؛ وهو البعير الذى قد هزله السفرُ والكَدُ . والْبُرَى : جمع بُرَّة ؛ وهى الحلقة التى تكون فى أنف البعير يُدَلَّلُ بها .

يَرْمِى إِلَيْكَ بِهَا بَنُو أَمَلٍ عَتَبُوا فَأَعْتَبَهُمْ^(٢) بِكَ الدَّهْرُ
أَنْتَ الْخَصِيبُ وَهَذِهِ مِصْرُ فَتَدَقُّمَا فَكَلَاكُمَا بِحَرٍّ
لَا تَقْعُدَا بَى عَنْ مَدَى أَمَلٍ شَيْئًا فَمَا لَكُمَا بِهِ عُذْرُ
وَيَحِيقُ لِي إِذْ صِرْتُ بِبَيْنِكُمَا أَلَّا يَحِيلَ بِسَاحَتِي فَقَرٌّ^(٣)

مَجْلِسِ آخِر

قال سيدنا أدام الله علوه: ثم نعود إلى ما كنّا آخذين فيه من ذكر مُسْتَحْسَنِ الجوابات.
رُوى أن رجلاً نظر إلى كَثِيرِ الشاعر راكبا / وأبو جعفر محمد بن عليّ عليهما السلام يمشي ، [٩٣]
فقال له : أتركبُ وأبو جعفر يمشي ! فقال : هو أمرّني بذلك ، وأنا بطاعته في الركوب
أفضلُ مني في عصياني إياه بالمشي ^(١) .

ورُوى أن دعاةَ خُرَاسان صاروا إلى أبي عبد الله الصادق عليه ^(٢) السلام فقالوا له : أردنا
ولد محمد بن عليّ ^(٣) ، فقال : أولئك بالسَّراة ولست بصاحبكم ، فقالوا له : لو أراد الله بنا خيراً
كنت صاحبنا ، فقال المنصور بعد ذلك لأبي عبد الله : أردتَ الخروج علينا ، فقال : نحن ندلُّ
عليكم في دولة غيركم ، فكيف نخرج عليكم في دولتكم !

وقال عبد الملك بن مروان لنصيب : هل لك في الشراب؟ فقال له نُصَيْب : الشعر مفلعلٌ ،

واللون مرمد ^(٤) ، وإنما قرَّبني إليك عقلي ، فبهبه لي . ١٠

وقال مروان الملقَّب بالحِمَار لحاجبه - وقد ولّى منهزماً - : كُرتَ عليهم بالسيف ، فقال :
لا طاقةَ لي بذلك ، فقال : والله لئن لم تفعل لأسوءُ نَك ، فقال : ودِدْتُ أنك تقدر على ذلك .

وقال يحيى بن خالد لشريك : علّمنا مما علّمك الله يا أبا عبد الله ، فقال له شريك : إذا
علّمتم بما تعلّمون ، علّمناكم ما تجهلون .

(١) حاشية ت (من نسخة) : « في المشي » . (٢) ت : « أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام » . (٣) هو محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ؛ جد الخلفاء العباسيين ؛ وهو الذي ابتدأت الدعوة على يديه ؛ وكان ذلك في حياة أبيه ؛ (وانظر تاريخ ابن الأثير حوادث سنة ١١٨) .
(٤) الرمدة : لون إلى الغبرة ؛ ومن نسخة بحاشيتي ت ، ف : « مرمد » .

وقال المأمون لمحمد بن عمران : بلغني أنك بخيل ، فقال : ما أجد في حقّ ، ولا أذوب في باطل (١).

وقيل لأبي دؤاد الإياديّ— ونُظِرَ إلى بنته تسوس فرسه : أهنتها يا أبا دؤاد ! فقال : أهنتها بكرامتي ، كما أكرمتها بهواني ؛ ومثل ذلك قول أعرابيٍ لحقه ذلٌّ على باب السلطان :

أهينُ لهمُ نفسي لأكرّمها بهمُ ولن تُكريمَ النفسَ التي لا تُهينُها

ودخلَ عُمارَةُ بن حمزة على المنصور ، فجلس مجلسه الذي كان يجلس فيه ، فقام رجلٌ إلى المنصور فقال : مظلوم يا أمير المؤمنين ، فقال : مَنْ ظلمك ؟ فقال : عُمارَةُ غصبني ضيعتي ، فقال المنصور : قم يا عُمارَةُ ، فاقعد مع خصمك ، فقال عُمارَةُ : ما هو لي بخصم ؟ فقال له : كيف ؟ قال : إن كانت الضيعةُ له فلست أنازعُه فيها ؛ وإن كانت لي فهي له ، ولا أقوم من مجلس شرّ فني ١٠ به أمير المؤمنين لأقعد في أدنى منه بسبب ضيعة .

وقال هشام بن عبد الملك لرجل في الكعبة : سلني حاجتك ، فقال : لا أسأل في بيت الله غير الله .

[١٤] وهرب سليمان بن عبد الملك من الطّاعون فقيل له : إن الله تعالى / يقول : ﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ؛ ١٥ [الأحزاب : ١٦] ، فقال : ذلك القليل نطلب .

وقيل إنَّ الجعد بن درهم جعلَ في قارورة تراباً وماءً ، فاستحال دوداً وهوامٌ ، فقال لأصحابه : أنا خلقتُ ذلك ، لأنني كنتُ سببُ كونه . فبلغ ذلك جعفر بن محمد عليهما السلام ، فقال : إن كان خلقه فليقل : كم هو ؟ وكم الدُّكران منه والإناث ؟ وكم وزن كل واحدة منهن ؟ وليأمر الذي يسمى إلى هذا الوجه أن يرجع إلى غيره . فانقطع وهرب .

وقال المأمون للفضل بن سهل: إني أخافُ عليك أوقاماً يمادونك، فلا تركب إلىَّ إلّا في جيش، فقال الفضل: ما أخاف غيرك، فإن أمنتني من^(١) نفسك لم يضرني إنسان.

وقيل لأبي ثور: ما تقول في حمّاد بن زيد بن درهم، وحمّاد بن سلمة بن دينار؟ فقال: بينهما في العلم كقيمة ما بين أبيهما في الصرف.

وأراد المأمون تقبيل السّواد^(٢)، وجلس يناظر العمّال على ذلك، فقام إليه رجلٌ ه من الدّهّاقين فقال: يا أمير المؤمنين، إن الله عز وجل ولّاك علينا بالأمانة، فلا تقبلنا، فأخرب عن ذلك.

وقال رجل لابن عباس: زوجني من فلانة^(٣) - وكانت يتيمة في حجره - فقال: لا أرضاها لك، لأنها تتشرّف، فقال الرجل: قد رضيت أنا، فقال ابن عباس: الآن لا أرضاك لها.

١٠

^(٤) ويشبهه هذا الخبر من وجه ما رواه^(٥) المدائني قال: أرسل عمر بن عبد العزيز رجلاً من أهل الشام وأمره أن يجمع بين إياس بن معاوية المرّسي^(٦) وبين القاسم بن ربيعة الحَوْشِي^(٧) من بني عبد الله بن غطفان، فيولّي القضاء أقدمهما^(٨)، فقدم الرجل البصرة، فجمع بينهما، فقال إياس للشامي: أيها الرجل، سل عني وعن القاسم فقيهي المِصر: الحسن وابن سيرين، فمن أشارا عليك

(١) من نسخة بحاشيتي ت، ف: « فإن أمنتني نفسك ».

(٢) السواد؛ يراد به رستاق المراق وضياعها مما انتجته المملعون؛ سمي بذلك لسواده بالزروع والنبيل والأشجار والتقبيل؛ من القبالة؛ وهي الكفالة، قال في اللسان: « يقال قبلت العامل تقبيلًا؛ والاسم القبالة؛ وفي حديث ابن عباس: « إياكم والقبالات؛ فإنها صفار وفضلها ربا؛ وهو أن يتقبل بخراج أو جباية أكثر مما أعطى؛ فذلك الفضل ربا؛ فإن تقبل وزرع فلا بأس ».

(٣) ت، وحاشية الأصل (من نسخة): « زوجني فلانة ». (٤-٤) من نسخة بحاشيتي الأصل،

ت: « ويشبهه هذا الخبر من وجه بخبر رواه ». (٥) من نسخة بحواشي الأصل، ت، ف: « المرّسي ». وفي حاشية الأصل أيضا: « وهم، هو إياس بن معاوية بن قرّة المزني ».

(٦) من نسخة بحاشيتي الأصل، ت: « الجَوْشِي ». (٧) حاشية ت (من نسخة):

« أقدمهما ».

بتوليته فوَّله ؛ وكان القاسم يأتي الحسن وابن سيرين ، ولم يكن إياس يأتيهما ، فعلم القاسم أنه إن سألهما أشارا به ، فقال للشامي : لا تَسَلْ عَنِّي ولا عنه ، فوالذي لا إله إلا هو إن إياساً أفضلُ مني وأفقه ، وأعلم بالقضاء ، فإن كنتُ عندك مِمَّنْ يَصَدَّقُ إنه لينبغي أن تقبل مني ، وإن كنت كاذباً فما يحلُّ لك أن تولِّيَني وأنا كاذب ؛ فقال إياس للشامي : إنك جئتَ برجلٍ ٥ فأقمته على شفيع جهنم ، فافتدى نفسه من النار^(١) أن تقذِّفه فيها بيمين حلفها كذب فيها ، يستغفر [٩٤] الله منها ، وينجو مما يخاف . / فقال الشامي : أما إذ فطنتَ لهذا ، فإني أولئك ، فاستقضاءه . ط

ولما مضى معاوية بيعة يزيد جعل الناس يقرّطونه ، فقال يزيد لأبيه : ما ندرى أنخدع الناس أم يخذعوننا ؟ فقال معاوية : يا بني ، من خدعته فتخادع لك ليخدعك فقد خدعته .
وسُمع عبد الملك بن مروان ليلة قبض وهو يجود بنفسه - وقد سمع صوت قصّار - يقول :
١٠ ليتني كنتُ غسلاً أعيش بما أ كسب يوماً بيوم ، فبلغ ذلك أبا حازم فقال : الحمد لله الذي جعلهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه ، ولا تتمنى في الحياة ما هم فيه .

وقال الواثق للجاحظ : يا مَنّاني^(٢) ، فقال : لو كان الذي أضفتني إليه عبدك ما قدرتُ على بيعه لكثرة عيوبه ؛ فكيف أكون على دينه^(٣) ! .

وقال ابن عباس رضي الله عنه للخوارج - وقد أرسله أمير المؤمنين عليه السلام إليهم :
١٥ نَشَدُكُمْ الله ، أيُّما أعلمُ بالتنزيل والتأويل : على أم أنتم ؟ قالوا : على ، قال : أليس تدرّون ، لعل الذي حكّم به فيكم بفضل علمه على ما تعلمون ! فرجع أكثرهم .

(١) حاشية ف : « بدل اشتغال من « نفسه » ، أي افتدى قذف نفسه » .

(٢) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « يمانني » ؛ ومانني : منسوب إلى ماني ؛ وهو ماني ابن فاتك الحكيم ؛ وأتباعه يعرفون بالمانوية ؛ وهم يزعمون أن العالم مركب من أصلين قديمين : نور وظلمة ؛ وهما أزيلان ، (وانظر تفصيل مذهبهم في الملل والنحل للشهرستاني ١٤٣-١٤٦) .

(٣) ت : « على ذلك » .

وقال عتبة بن أبي سفيان لعبد الله بن عباس : ما مَنَعَ عليّ بن أبي طالب أن يجعلك أحد الحكمين ؟ فقال : أما والله لو بعثني لاعترضتُ مدارج^(١) أنفاسه ، أطيّر إذا أسفَّ وأُسِفَّ^(٢) إذا طار ، ولعقدتُ له عقدا لا تنتقض مريرته ، ولا يدرك طرفاه ؛ ولكنه سبق قدرٌ ، ومضى أجلٌ ، والآخرة خير لأمر المؤمنين من الدنيا .

وقال أبو جعفر محمد بن عليّ عليهما السلام لكثير : امتدحتَ عبدَ الملك بن مروان ؟ ٥ فقال : لم أقل له يا إمام الهدى ، إنما قلتُ : يا شجاعُ ، والشجاع حيّةٌ ، ويا أسدٌ ، والأسد كلبٌ ، ويا غيثٌ ، والغيث مَوَات ! فتبسم أبو جعفر عليه السلام .

وقالت بنت عبد الله بن مطيع لزوجها يحيى بن طاحه : ما رأيتُ ألام من أحبابك ، إذا أيسرتَ لزموك ، وإذا أعسرتَ تركوك ! فقال : هذا من كرمهم ؛ يأتوننا في حال القوة مِنّا عليهم ، ويفارقوننا في حال الضعف مِنّا عنهم . ١٠

وقيل لإبراهيم النخعي : متى كنت ؟ قال : حيث احتيج إلىّ .

ورُئي رجلٌ يصلي صلاة خفيفة ، فقيل له : ماهذه الصلاة ؟ فقال : صلاة ليس فيها رياء .

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزبانيّ قال حدثني محمد بن أبي الأزهر قال حدثنا محمد بن يزيد النحويّ قال : تزعم الرواة أن قُتَيْبَةَ بن مُسلم لما فتح سمرقند^(٣) أفضى إلى أثاث لم ير مثله ، وآلات لم يُسمع بمثليها ، فأراد أن يرى الناسَ عظيمَ ما فتح ، ويعرفهم أقدار^(٤) ١٥ القوم الذين ظهر عليهم ، فأمر بدارٍ ففرشتُ ، وفي حنّها قدور يرتقى إليها بسلاليم ، وإذا الحصين بن المنذر بن الحارث^(٥) بن وُغلة الرّقاشيّ قد أقبل ، والناسُ جلوس على مراتبهم ، والحصينُ شيخ كبير ، فلما رآه عبد الله بن مُسلم أخو قُتَيْبَةَ قال لِقُتَيْبَةَ : أتأذن لي في معاتبته؟

(١) المدارج هنا : جمع مدرجة ؛ وهي ممر النفس .

(٢) يقال : أسف الطائر ؛ إذا دنا من الأرض في طيرانه .

(٣) سمرقند : من أكبر مدن موزاء

النهر وحاضرة الصفد ؛ فتحها قتيبة بن مسلم الباهليّ سنة ٩٣ .

(٤) من نسخة بحاشيتي الأصل ؛ ف :

(٥) ت : « المنذر بن الحباب » .

قال : لا تردّه ، فإنه خبيثُ الجواب ، فأبى عبدُ الله إلا أن يأذن له - وكان عبد الله يُضعف - وكان قد تسوّر حائطا إلى امرأة قبل ذلك - فأقبل على الحصين وقال : أُمِنَ الباب دخلت يا أبا ساسان ؟ فقال : أجل ، أَسَنَ عَمَّكَ عن تسوّر الحيطان ، قال : رأيت هذه القدور ؟ قال : هي أعظم من ألا تُرَى ، قال : ما أحسب بكر بن وائل رأى مثلها ، قال : أجل ، ولا عيلان^(١) ، ولو رآها سُمِّيَ شعبان ، ولم يسمَّ عيلان ، فقال له : يا أبا ساسان ، أتعرف الذي يقول^(٢) :

عَزَلْنَا وَأَمَرْنَا وَبَكَرُ بْنُ وَائِلٍ تَجَرُّ خُصَاهَا تَبْتَغِي مَنْ تَحَالِفُ
قال : أعرفه وأعرف الذي يقول :

وَخَبِيَّةٌ مِنْ يَحْيَبُ عَلَى غَيٍّ وَبَاهِلَةٌ بِنُ يَعْصَرَ وَالرَّبَابِ

قال : أتعرف الذي يقول^(٢) :

كُنَّا فِقَاحَ الْأَزْدِ حَوْلَ ابْنِ مَسْمَعٍ وَقَدْ عَرِقَتْ أَفْوَاهُ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ^(٣)
قال : أعرفه ، وأعرف الذي يقول :

قَوْمٌ قَتِيْبَةٌ أُمُّهُمْ وَأَبُوهُمْ لَوْ لَا قَتِيْبَةٌ أَصْبَحُوا فِي مَجْهَلٍ

قال : أمّا الشعر ، فأراك ترويه ، ولكن هل تقرأ من القرآن شيئا ؟ قال : نعم ، أقرأ

١٥ منه الكثير الطيب : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ۚ ﴾

[الإنسان : ١٤] ، فأغضبه فقال : والله لقد بلغني أن امرأة الحصين حملت إليه وهي حبلى من غيره ،

قال : فما تحرك الشيخ من هيئته الأولى . ثم قال على رسله : وما يكون ؟ تلد غلاما على

[١٥] فراش فيقال : ابن الحصين ، كما يقال عبد الله بن مسلم ؛ فأقبل قتيبة على عبد الله فقال : لا يبعدُ الله غيرك .

(١) حاشية ف : « عيلان ، بالرفع على أن يكون مبتدأ ؛ أي ولا عيلان أدركها ؛ والنصب على

أن يكون عطفًا على بكر بن وائل » . وفي حاشية الأصل : « عيلان : قبيلة عبد الله بن مسلم » .

(٢) ف : « من الذي يقول ؟ » . (٣) حاشية ف : « قوله : « وقد عرفت » ، الواو لاجال ؛

شبه أدبار الأزد في حال ماعرت بأفواه بكر بن وائل » .

ولقي شريك^(١) الثميري رجلا من بني تميم ، فقال له التميمي : يعجبني من الجوارح البازي ، فقال له شريك : وخاصة إذا صاد القطا ؛ أراد التميمي بقول البازي قول جرير :
أنا البازي المثلث على نعيمٍ أتيح من السماء لهما انصبابا^(٢)

وأراد شريك بقوله : « إذا صاد القطا » قول الطرمح :

تميم بطرق اللوم أهدى من القطا ولو سلكت سبل المسكارم ضلت^(٣) ٥

وساير^(٤) شريك الثميري عمر بن هبيرة الفزاري على بغلة ، تجاوزت بغلته برذون عمر ، فقال له عمر : اغضض من لجامها ، فقال شريك : إنها مكتوبة ، فقال عمر : ما أردت ذاك ، قال شريك ولا أنا أردته ؛ ظن شريك أن عمر أراد بقوله : « اغضض من لجامها » قول جرير :

١٠ فغض الطرف إنك من نعيمٍ فلا كعباً بدغت ولا كلابا^(٥)
وعنى شريك بقوله : « مكتوبة » قوله^(٦) :

لا تأمنن فزارياً خلوت به على قاصك واكتبها^(٧) بأسيار
يعنى : بد « اكتبها » شدّها .

وأشدد أبو تمام الطائي أحمد بن المعتصم قصيدته^(٨) السينية التي يمدحها فيها ، فلما بلغ إلى قوله :

١٥

(١) الخبر في اللآلي ٨٦٢-٨٦٣ ؛ مع اختلاف في الرواية . (٢) ديوانه : ٧٢ ، وروايته : « الدل على نعيم » . (٣) ديوانه : ١٣٢ ، وفي حاشية ت (من نسخة) : « طرق المسكارم » . (٤) الخبر في الفاضل والمفضول : ٥٠ ، واللاكي : ٨٦١-٨٦٢ ، والانتصاب : ٥٠ ، وكنيات المرحاني : ٧٤ . (٥) ديوانه : ٧٥ . (٦) هو سالم بن دارة ، من قصيدة هجاها زميل ابن أبي الفزاري ، وأبيات منها في الخزانة ١ : ٥٥٧ . (٧) ت : « معنى اكتبها : أشدّها » . (٨) القصيدة في ديوانه ١٧٣-١٧٥ ، ومطلعها :

ما في وقوفك ساعة من باسٍ تقضي ذمام الأربيع الأدراس

في حِلْمٍ أَحْنَفَ فِي شَجَاعَةِ عَامِرٍ فِي جَوْدِ حَاتِمٍ فِي ذِكَاةِ إِيَّاسٍ^(١)

فَقَالَ لَهُ الْكِنْدِيُّ - وَكَانَ حَاضِرًا - : مَا صَنَعْتَ شَيْئًا ، قَالَ : وَكَيْفَ ؟ قَالَ : لِأَنَّ شَعْرَاءَ دَهْرِنَا قَدْ تَجَاوَزُوا بِالْمَدْحِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ أَبِي الْعَكَّوكِ^(٢) فِي أَبِي دُلْفٍ :

رَجُلٌ أَبْرَّ عَلَى شَجَاعَةِ عَامِرٍ بَأْسًا وَغَبَرًا فِي مُحْيَا حَاتِمٍ
فَاطْرُقَ الطَّائِي ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَأَنْشَدَ :

لَا تُنْكَرُوا ضَرْبِي لَهُ مَنْ دُونَهُ مَثَلًا شَرُودًا فِي النَّدَى وَالْبَاسِ
فَاللَّهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقْلَّ لِنُورِهِ مَثَلًا مِنَ الْمَشْكَاةِ وَالنَّبْرَاسِ

وَقَالَ ابْنُ هُبَيْرَةَ لِأَبِي دُلَامَةَ - وَكَانَ مَوْلَى لِبْنِي أُمَيَّةَ لَمَّا ظَهَرَتِ الْمَسْوَدَةُ^(٣) : لَا تُخَذِّنْ لَكَ مِنْهُمْ عَبْدًا صَالِحًا يَخْدُمُكَ ، فَلَمَّا عَلَتْ كَلِمَتُهُمْ ، وَفَشَتْ دَعْوَتُهُمْ قَالَ أَبُو دُلَامَةَ : لَيْتَ اللَّهُ [٩٦] قَيَّضَ لِي / مِنْهُمْ مَوْلَى صَالِحًا أَخْدُمُهُ .

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ صَالِحِ الْهَاشِمِيِّ : إِنَّ خِصَالَكَ كَامِلَةٌ سِوَى حَقْدٍ فَيْكَ ، فَقَالَ : أَنَا خِزَانَةُ تَحْفَظُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ . وَقَدْ نَظَرَ ابْنُ الرُّومِيِّ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ :

وَمَا الْحَقْدُ إِلَّا تَوَهُّمُ الشُّكْرِ فِي الْقَتْلِ وَبَعْضُ السَّجَايَا يَنْتَسِبْنَ إِلَى بَعْضِ^(٤)
فَحَيْثُ تَرَى حَقْدًا عَلَى ذِي إِسَاءَةٍ فَتَمَّ تَرَى شُكْرًا عَلَى حَسَنِ الْقَرَضِ
إِذَا الْأَرْضُ أَدَّتْ رَيْعَ مَا أَنْتَ زَارِعٌ مِنْ الْبَذْرِ فِيهَا فَهِيَ نَاهِيكَ مِنْ أَرْضِ

وَقَالَ الْحِجَاجُ لِلْحُطَيْطِ الْخَارِجِيِّ : مَا تَقُولُ فِي عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ؟ قَالَ : مَا أَقُولُ فِي رَجُلٍ أَنْتَ خَطِيئَةٌ مِنْ خَطَايَاهُ ! قَالَ : فَهَلْ هَمَمْتَ بِى قَطًّا ! قَالَ : نَعَمْ ، وَلَكِنْ حَالُ بَيْنِنَا

(١) رَوَايَةُ الدَّبَّوَانِ :

إِقْدَامُ عَمْرٍو فِي مِمَّا حَقَّ حَاتِمٍ فِي حِلْمِ أَحْنَفَ فِي ذِكَاةِ إِيَّاسِ

(٢) كَذَا فِي الْأَصُولِ ؛ وَفِي الْأَغَانِي وَنَسَكَتِ الْهَمِيانُ وَابْنُ خُلْسَانَ : « الْعَكَّوكِ » ؛ وَفِي حَاشِيَتِهِ

الْأَصْلُ ، ت : « الْعَكَّوكِ فِي الْأَصْلِ : الْفَصِيرُ السَّمِينُ مَعَ صَلَابَةٍ » ، وَهُوَ عَلَى بْنِ جَبَلَةَ الْفَرِيرُ ، تَوَلَّى
سَنَةَ ٢١٣ . (٣) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ : « الْمَسْوَدَةُ ؛ يَعْنِي بَنِي الْعَبَّاسِ أَصْحَابَ الرِّيَاضِ السُّودِ » .

(٤) دَبَّوَانُهُ : الْوَرَقَةُ ١٥٤

بَيْنَ وَقَدَرٍ ، وَقَدْ أَعْطَيْتُ اللَّهَ عَهْدًا إِنْ سَأَلْتَنِي لِأُصَدِّقَكَ ، وَلَكِنْ خُلِّيتَ مِنِّي لِأُطْلِبَنَّكَ ، وَلَكِنْ عَذَّبْتَنِي لِأُصْبِرَنَّ لَكَ ؛ فَأَمْرٌ بِقَتْلِهِ .

وَأَمَّا « الْبَيْنُ » فَهِيَ الْأَرْضُ الْوَاسِعَةُ ، قَالَ ابْنُ مَقْبِلٍ ^(١) :

بَسَرُوا حَمِيرَ أَبْوَالِ الْبِغَالِ بِهِ أَنِّي تَسَدَّيْتُ وَهَذَا ذَلِكَ الْبَيْنَا ^(٢)

وَقِيلَ لِأَبِي الْمَتَاهِيَةِ لَمَّا قَالَ :

عُتِبَ ^(٣) مَا لِلْخِيَالِ خَبَّرَ بَنِي وَمَالِي

خَرَجْتَ مِنَ الْعَرُوضِ ، فَقَالَ : أَنَا أَكْبَرُ مِنَ الْعَرُوضِ ^(٤) .

وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لِلْهَيْثَمِ بْنِ الْأَسْوَدِ : مَا مَالُكَ ؟ قَالَ : قِوَامٌ مِنَ الْعَيْشِ ، وَغِنًى مِنَ النَّاسِ . فَقِيلَ لَهُ : لِمَ لَمْ تَخْبِرْ بِهِ ؟ فَقَالَ : إِنْ كَانَ كَثِيرًا حَسَدَنِي ، وَإِنْ كَانَ قَلِيلًا أَزْدَرَانِي .

وَاعْتَابَ الْأَعْمَشُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَطَلَعَ الرَّجُلُ عَلَى هَيْئَةِ ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ : قُلْ لَهُ مَا قُلْتَهُ حَتَّى لَا يَكُونَ غِييَةً ؛ فَقَالَ لَهُ : قُلْ لَهُ أَنْتَ حَتَّى لَا تَكُونَ نَمِيمَةً .

وَقَالَ مَعَاوِيَةُ لِعَمْرُو بْنِ الْعَاصِ : هَلْ غَشَشْتَنِي مَذْنُوحَتِي ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : بَلَى يَوْمَ أَشْرْتَ عَلَيَّ بِمُبَارَزَةِ عَلِيٍّ ، وَأَنْتَ تَدْعُمُ مَنْ هُوَ ! فَقَالَ عَمْرُو : دَعَاكَ رَجُلٌ عَظِيمُ الْخَطَرِ إِلَى الْمُبَارَزَةِ ، فَكُنْتَ مِنْ مُبَارَزَتِهِ عَلَى إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ ؛ إِمَّا إِنْ قَتَلْتَهُ فَقَدْ قَتَلْتَ الْأَقْرَانَ ، وَازْدَدْتَ شَرَفًا إِلَى شَرَفِكَ ، وَخَلَوْتَ بِمَلْسَكَكَ ، وَإِمَّا إِنْ قَتَلْتَكَ فَتَمَجَّلَ مِرَافِقَةُ الشَّهَدَاءِ وَالصَّدِيقِينَ

(١) مِنْ قَصِيدَةٍ فِي جَهْرَةِ الْأَشْعَارِ : ٣٣١-٣٣٥ ، مَطْلَعُهَا :

طَافَ الْخِيَالُ بَنَاءَ رُكْبَا يَمَانِينَا وَدُونِ لَيْلَى عَوَادٍ لَوْ تَعَدَّيْنَا

(٢) سُرُوحِيرٌ ؛ مِنْ مَنَازِلِهِمُ الْبَالَيْنِ . وَأَبْوَالُ الْبِغَالِ يَرِيدُونَ بِهِ السَّرَابَ ؛ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : يُقَالُ لِنُطْفِ الْبِغَالِ أَبْوَالُ الْبِغَالِ ؛ وَمِنْهُ قِيلَ لِلْسَّرَابِ أَبْوَالُ الْبِغَالِ عَلَى التَّشْبِيهِ ؛ وَإِنَّمَا شَبَّهَ بِأَبْوَالِ الْبِغَالِ ؛ لِأَنَّهُ بُولُ الْبِغَالِ كَاذِبٌ لَا يُلْقِحُ ، وَالسَّرَابُ كَذَلِكَ . وَتَسَدَّيْتُ ؛ يُخَاطَبُ الطَّيْفَ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَقْرَأَ : « تَسَدَّيْتُ » بِكَسْرِ التَّاءِ يُخَاطَبُ الْحَبِيبَةَ (وَانْظُرِ الْمُقَابِيْسَ ١ : ١ ، ٣ ، وَالنَّاسَانَ - بَيْنَ) . (٣) عَلَى التَّرَخُّبِ .

(٤) حَاشِيَةٌ : « يَرِيدُ أَنْ يَمْلَأَ الشَّعْرَ قَبْلَ عَمَلِ الْخَلِيلِ لِلْعَرُوضِ » .

والصالحين ؛ قال معاوية : لهذه أشد على من الأولى ، فقال عمرو : أفكنت من جهادك [٩٦] في شك فتكون منه الساعة ! / قال : دغنى منك الآن .

وقيل للأحنف بن قيس - وقد رأى مُسَيِّمَةَ الكذاب : كيف هو ؟ فقال : ماهو بنبي صادق ، ولا بمتنبي حاذق .

٥ وروى المبرّد قال : قال زياد لأبي الأسود الدؤلي : لولا أنك قد كبرت لاستعنا بك في بعض أمورنا ، قال : إن كنت تريدني للصراع فليس عندي ، وإن كنت تريد عقلي ورأيي فهما أوفر ما كانا .

١٠ وكان أبو الأسود حاضرَ الجواب جيّد الكلام مليح النادرة . وروى عن الشعبي أنّه قال : قاتل الله أبا الأسود ! ما كان أعف أطرافه ، وأحضر جوابه ! دخل على معاوية بالثخيلة ، فقال له معاوية : أكنت ذكرت للحكومة ؟ قال : نعم ، قال : فماذا كنت صانعا ؟ قال : كنت أجمع ألفاً من المهاجرين وأبنائهم ، وألفاً من الأنصار وأبنائهم ، ثم أقول : يا معشر من حضر ؛ أرجل من المهاجرين أحق أم رجل من الطلقاء ؟ فلمعه معاوية ، وقال : الحمد لله الذي كفاناك .

١٥ وقد روى أن أبا الأسود طلب بأن يكون في الحكومة ، وقال لأُمير المؤمنين عليه السلام في وقت الحكمين : يا أمير المؤمنين ، لا ترض بأبي موسى ، فإنني قد عجمت الرجل وبلوته ، خلعت أشطره ؛ فوجدته قريب القعر ، مع أنه يمان ، وما أدري ما يبلغ نصحه ! فابعثني فإنه لا يحل عُقْدَةٌ إِلَّا عَقِدْتُ له أشد منها ، وإنهم قد رموك بحجر الأرض ، فإن قيل : إنه لا صحبة لي ، فاجعلني ثاني اثنين ، فليس صاحبهم إِلَّا مَنْ تَقَرَّب ، وكان في الخلاف عليهم كالنجم ؛ فأبى عليه السلام .

٢٠ وروى محمد بن يزيد النحوي أن أبا الأسود كان ^(١) نازلاً في بني قُشَيْر ؛ وكانوا يخالفونه في المذهب لأن أبا الأسود كان ^(١) شيعياً ، فكانوا يرمونه بالليل ، فإذا أصبح شكاً ذلك .

فشكامة، فقالوا : ما نحن نرميك؛ ولكن الله يرميك، فقال : كذبتُم ، لو كان الله يرميني ما أخطاني .

وقال لهم يوماً : يا بني ^(١) قُشِيرٌ ، ما في العرب أحدٌ أحبُّ إلىَّ طولَ بقاءٍ منكم ، قالوا : ولمَ ذاك؟ قال : لأنكم إذا ركبتُم أمراً علمت أنه غيٌّ فأجتنبه ، وإذا اجتنبتم أمراً علمت أنه رشد ، فاتبعتم فنازعوه الكلام ، فأنشأ يقول :

يَقُولُ الْأَرْذَلُونَ بَنُو قُشَيْرٍ طَوَالَ الدَّهْرِ لَا تَنْسَى عَلَيَّ
أَحِبُّ مُحَمَّدًا حُبًّا شَدِيدًا وَعَبَّاسًا وَحَمْرَةَ وَالْوَصِيَّا
/ أَحِبُّهُمْ لِحُبِّ اللَّهِ حَتَّى أَجِيءَ إِذَا بُعِثْتُ عَلَى هَوَايَ
فَإِنْ يَكُ خُبْرُهُمْ رُشْدًا أَصِيبُهُ وَلَسْتُ بِمُخْطِئٍ إِنْ كَانَ غِيًّا

[٩٧]
و

فقالوا له : أشككت يا أبا الأسود ، فقال : أُم تسمعوا الله تعالى يقول : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ ، أفترى الله شكاً !

أما قوله : « هَوَايَ » فإنه لغة هذيل ؛ يقولون ذلك في كل مقصور ^(٢)؛ مثل الهوى والعصا والتقى والقفاء . قال أبو ذؤيب الهذلي :

سَبَقُوا هَوَايَ وَأَعْنَقُوا لِسَبِيلِهِمْ فَخَرَّموا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَضْرَعٌ ^(٣)

وروى أن أبا الأسود دخل على معاوية فقال له : أصبحت جميلاً يا أبا الأسود ؛ فلو علقت نَمِيمَةً تدفع العين عنك! فقال أبو الأسود :

أَفْنَى الشَّبَابِ الَّذِي وَلَّى وَبِهِجَّتُهُ ^(٤) كَرُّ الْجَدِيدِينَ مِنْ آتٍ وَمُنْطَلِقِ
لَمْ يَتْرُكْ كَالِي فِي طَوْلٍ اخْتِلَافِهِمَا شَيْئًا أَخَافُ عَلَيْهِ لَذَعَةَ الْحَدَقِ

(١) الخبر مع الأبيات ورد في الأغاني ١١ : ١١٣ ، ونزهة الألباء ٦ - ٧ ، وأخبار النجوين للسيرافي ١٤ - ٢١٥ ، وإنباه الرواة ١ : ١٧ ، يزيد وينقص في بعض الروايات ، ويختلف في بعض الألفاظ وترتيب الأبيات . (٢) وذلك إذا أضيف إلى ياء التكلم ؛ فيقولون : هوى ؛ أي هواي ، وعصى ؛ أي عصاي ؛ وهكذا . (٣) ديوان الهذليين ١ : ٢ ، والرواية فيه : « لهوام » . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « فارقت بهجته » .

وروى أنه دخل يوماً السوق يشتري ثوباً فقال له رجل : هلمّ أقاربك في هذا الثوب ؛ فقال : إن لم تقاربني باعدتك ، ثم قال له : بكم هو ؟ قال : قد أعطيت به كذا كذا ، قال : إنما تخبرني عما فاتك .

وروى أنه كان ماشياً في طريق ، فقال له راكب : الطريق الطريق ، فقال له : عن الطريق
تعمد أني !

ومرض أبو الأسود فقيل له : هو أمر الله ، فقال : ذاك أشد له !

وقيل إن امرأة أبي الأسود خاصمته إلى زياد في ولدها ، فقالت : أيها الأمير ، إن هذا يغلبني على ولدي ، وقد كان بطني له وعاء ، وثدي له سقاء ، وحجري له فناء ، فقال أبو الأسود :
(١) أبهذا تريد أن تغلبني على ابني ! فوالله لقد حملته قبل أن تحمليه ، ووضعتُه قبل أن تضعيه ،
١٠ فقالت : ولا سواء ، إنك حملته خفأً ، وحملته ثقلاً ، ووضعتَه شهوةً ، ووضعتَه كرهاً ، فقال له زياد : إنها امرأة عاقلة يا أبا الأسود ، فادفع ابنها إليها ، فأخلق أن تحسن أدبه .

وقال رجل لأبي الأسود : أنت والله ظريف لفظ ، وظرف (٢) علم ، ووعاء حلم ، غير أنك بخيل ؛ فقال : وما خير ظرف لا يمسك ما فيه !

وسلم عليه أعرابي يوماً ، فقال أبو الأسود : كلمة مقولة ، فقال : أتاذن في الدخول ؟
[٩٧] قال : وراءك أوسع لك ! قال : فهل عندك شيء ؟ قال : نعم ، قال : أطعمني ، قال : عيالي
أحق منك . قال : ما رأيت ألام منك ، قال : نسيت نفسك .

وسأله رجل شيئاً فمنعه قال : ما أصبحت حاتمياً (٣) قال : بلى ، قد أصبحت حاتمكم من حيث لا تدري ، أليس حاتم الذي يقول :

أماوي إنا مانع فمين وإنا عطاء لا يمنهيه الزجر (٤)

(١-١) ت : « إنها تريد أن تغلبني على ابني » . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « ظريف » ،
بالبناء المجهول . (٣) ت : « حاتمنا » . (٤) ديوانه : ١١٨

مَجْلِسُ آخِر

أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال : أخبرنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي قال : لما ولي سليمان بن عبد الملك أبا يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج في جامعة - وكان رجلاً دميماً تَقَحَّجِمُهُ^(١) العين - فلما رآه سليمان قال : لعن الله من أجرك رَسَنَكَ ، وولّي مثلك ! فقال : يا أمير المؤمنين ، رأيتني والأمر عني مدبر ، ولو رأيتني وهو عليّ مُقبِل لاسْتَعْظَمْتَ ما استصغرت ، ولا ستجَلَلْتَ ما استحقَّرت ، فقال له سليمان : أين تُرَى الحجاج ؟ ٥
أيهوي في النار ، أم قد استقرّ ! فقال : يا أمير المؤمنين ، لا تقلّ كذا ، فإن الحجاج قمع لكم الأعداء ، ووطأ لكم المناير ، وزرع لكم الحمية في قلوب الناس ، وبعد ، فإنه يأتي يوم القيامة عن يمين أبيك عبد الملك ، وشمال أخيك الوليد ، فضعه حيث شئت .

وروي أن خالد بن صفوان فخر رجلاً من بني عبد الدار ، الذين يسكنون البقعة ، فقال له العبدري : من أنت ؟ فقال : أنا خالد بن صفوان بن الأهم ، فقال له العبدري : أنت خالد ١٠
(كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ) ؛ [محمد : ١٥] ، وأنت ابن صفوان ، وقال الله عز وجل (كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تَرَابٌ) ؛ [البقرة : ٢٦٤] ، وأنت ابن الأهم ، والصحيح خير من الأهم . فقال له خالد بن صفوان يا أخا بني عبد الدار ، أتتكلّم وقد هَشَمْتَكَ هاشم ، وأمّتك بنو أمية ، وخزمتك بنو مخزوم ، وجهجتك^(٢) بنو مجحج ، فأنت عبد دارهم ؛ تفتّح إذا دخلوا ، وتغلق إذا خرجوا ؛ فقام العبدري محمّوماً .

١٥

وتتقدم الأشعث بن قيس إلى شريح فقال له الأشعث : أتعلّمني بك يا بن أم شريح ! لقد

(١) حاشية (من نسخة) : « تزدرية » . (٢) حواشي الأصل ، ت ، ف : « يجوز أن يكون

أصله : « ججت بك » ؛ غذف حرف الجر ، وأوصل الفعل ؛ ذكره ابن دريد في كتاب الاشتقاق ، ويجوز أن يكون من جامعته فجمعتة » .

عهدُك وإِنَّ شأنَكَ لشَوْئِن ، فقال له شُرَيْح : أنت امرؤ تعرف النعمة في غيرك ، وتنساها في نفسك .

وروى أبو العيْناء عن العتبى قال : دخل الفرزدق إلى سعيد بن العاص ، وعنده الحطيئة ، فلما مثل بين يديه قال :

[٩٨] / إِلَيْكَ فَرَرْتُ مِنْكَ وَمِنْ زِيَادٍ ولم أَحْسِبْ دَمِي لَكُمْ حَلَالاً^(١)
فَإِنْ يَكُنِ الْمُهْجَاءُ أَحَلَّ قَتْلِي فَقَدْ قَلْنَا لِشَاعِرِكُمْ وَقَالاً^(٢)
تَرَى الْعُرَّ الْجَحَاجِصَ مِنْ قُرَيْشٍ إِذَا مَا الْأُمْرُ فِي الْحَدَثَانِ عَلَاً^(٣)
قِيَامًا يَنْظُرُونَ إِلَى سَعِيدٍ كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ بِهِ هَلَالاً^(٤)

فقال له الحطيئة : هذا والله أيها الأمير الشعر ، لا ما كُنَّا نَعَال^(٥) به منذ اليوم ، يا غلام ١٠ أقدِمتُ أمك الحجاز ؟ فقال : لا ، ولكن قدِمه أبي .

أراد الحطيئة بقوله : إن كانت قدِمت أمك الحجاز ، فقد وقعت بها^(٦) ، وكنت مني ، وأراد الفرزدق بقوله : « ولكن قدِمه أبي » أي وقع بأمك فكنت أنت^(٧) .

ويشبه ذلك ما روى أن الفرزدق كان ينشد شعره يوماً ، والناس حوله ، إذ مرَّ به الكُميت بن زيد ، فقال له الفرزدق : كيف ترى شعري ؟ فقال الكُميت : حسنٌ بَسَنٌ ، فقال له الفرزدق : ١٥ أيسرُّك أني أبوك ، قال : أمّا أبي فلا أريد به بدلاً^(٨) ، ولكن يسرُّني أن لو كنت أُمي ! فقال له

(١) ديوانه : ٦١٧ ، وبعده :

ولكنني هجوت وقد هججتني معاشيرُ قد رَضَخْتُ لَهُمْ سِجَالاً

(٢) بعده :

وإن تك في الهجاء تريد قتلي فلم تدرك لمنتصرٍ مقالا

(٣) عال : فدح وأنقل ؛ وبعده :

بني عم الرسول ورهط عمرو وعثمان الذين علوا فعلا

(٤) حاشية ت (من نسخة) : « الهللا » . (٥) حاشية ت (من نسخة) : « ما كنت تغل » . (٦) حاشية ت (من نسخة) : « وقعت عليها » . (٧) ابن الشجري : « فكت أنت أخى » . (٨) حاشية ت (من نسخة) : « بدلا » .

الفرزدق : اكنتم هذه على عمك يابن أخى فما مرّ بي مثلها .

وقيل إنّ عبد الملك بن مروان ظفر برجل من بنى مخزوم زبيرى الرأى ، فقال له لما حضر مجلسه : أليس قد ردّك الله على عقبيك ! فقال الرجل : أوّمن ردّ عليك يا أمير المؤمنين فقد ردّ على عقبيّ ! فوجّه عبد الملك ،

وقال موسى بن عيسى بن موسى لشريك : يا أبا عبد الله ، عزّلك عن القضاء ، وما رأينا قاضيا عزّل ! فقال شريك : هم الملوك يعزّلون ويخلعون — يعرّض أن أباه خلع من ولاية العهد .

وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى أن المفضل الضبيّ الراوية وهب لبعض جبرانه أيام الأضحى أضحيةً ، فلما لقّيه قال : كيف وجدت أضحيّتك ؟ قال : ما وجدت لها دماً ، يعرّض بقول الشاعر :

١٠

ولو ذبح الضبيّ بالسيف لم تجد من اللؤم للضبّيّ لَحماً ولا دماً

وروى عن المأمون أنه قال : ما أعياني جواب أحد قطّ مثل جواب ثلاثة : أحدهم أمّ الفضل بن سهل ، فإني عزّيتها عن ابنها وقلت : لئن جرّعت على الفضل لأنه وأدك ، فهاأنذا ابنك مكانه / ، فقالت : وكيف لا أجزع على من جعل مثلك لي ولداً . والثاني رجل [٩٨] أحضرته يزعم أنه نبي الله موسى عليه السلام ، فقلت له : إن الله تعالى أخبرنا عن موسى أنه يدخل يده في جيبه فيخرجها بيضاء من غير سوء ، فقال : متى فعل ذلك موسى ؟ أليس بعد أن لقّى فرعون ! فأعمل كما عمل فرعون ، حتى أعمل كما عمل موسى . والثالث أن جماعة من أهل الكوفة اجتمعوا إلى يشكون عاملها ، فقلت : ارضوا بواحد أسمع منه ، فرضوا برجل منهم ، فقال في العامل وأكثر ؛ فقلت له : كذبت ! بل هو العفيف الورع العدل ؛ فذهب أصحابه يتكلمون فسكنهم ثم قال : صدقت يا أمير المؤمنين ، هو كما ذكرت ، فواس بين رعيتك في العدل ، فصرفتّه عنهم .

٢٠

ودخل عدى بن حاتم بن عبد الله الطائى على معاوية ، فقال له معاوية : ما فعل الطّرفات ؟

يعنى طَرِيفاً^(١) وطَرِفاً وطَرَفَةً ، قال : قُتِلُوا مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فقال له : ما أنصفك ابنُ أبي طالب ، قدّم بنيك ، وأخّر بنيّه ، فقال عدّي : ما أنصفته^(٢) أنا ، أن قُتِلَ^(٣) وبقيت .

وكتب رجلٌ إلى صديق له يقترض منه شيئاً ، فأجابه يشكو ضيقَ حاله ، فكتب إليه : « إن كنتَ كاذباً فجعلك الله صادقاً ، وإن كنتَ صادقاً فجعلك الله كاذباً ، وإن كنتَ معذوراً فجعلك الله ملوماً ، وإن كنتَ ملوماً فجعلك الله معذوراً » .

وسمِعَ الأحنَفَ رجلاً يقول : ما أحلم معاوية ! فقال : لو كان حليماً ما سَفِهَ الحقّ . ووصفه رجلٌ عند الشعبيّ بالحلم ، فقال الشعبيّ : ويحك ! وهل أُنمَدَ سيفه وفي قلبه على أحدٍ شيء !

١٠ وقال زياد لرجل حضره : أين منزلك ؟ فقال : وسط البصرة ، قال : فما لك من الولد ؟ قال : تسعة ، فقبل لزياد إن داره أقصى البصرة عند المقابر ، وله ابن واحد ، فقال الرجل : دارى بين أهل الدنيا والآخرة ، فهي وسط البصرة ، وكان لى عشر بنين فقدّمت تسعة ، فهم لى ، وبقي واحد لا أدري ؛ أهو لى أم أنا له !

وقال رجلٌ لابن سيرين : إنى وقعتُ فيك فاجعائى فى حلّ ، فقال : ما أحبُّ أن أحلّك ١٥ ممدّ حرم الله عليك .

وخطب الحجاج يوم الجمعة فأطال ، فقال له رجل : إن الصلاة لا تنتظرُك ، وإن الله لا يمدرك ، فأمر به فحبس ، فجاءه أهله فشهدوا أنه مجنون ، فقال : إن أقرّ بالجنون أطلقته ، فقبل له : اعترف بذلك وتخلّص ، فقال : والله لا أقول / إنه ابتلانى وقد عافانى . [٩٩]

وحدث الحسن البصرىّ بحديث فقال له رجل : يا أبا سعيد ، عمّن ؟ فقال : وما تصنع

٢٠ . « عمّن » ؟ أما أنت فقد نالتك عظمتُهُ ، وقامتْ عليك حجّته .

(١) من نسخة بمحاشي الأصل ، ت : « طَرِفاً » ، بفتح أوله وكسر ثانيه .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « بل ما أنصفته » . (٣) حاشية ت (من نسخة) : « إذ قتل »

وقيل لعبد الله بن جعفر - ونظر إليه بما كس في درهم - فقليل له : أما كس في درهم وأنت تجود بما تجود به ! فقال : ذلك مالى جُدتُ به ، وهذا عقلى بَحِثْتُ به .

وروى أن أبا العيناء محمد بن القاسم اليمامى حدث بعض الزبيريين^(١) بفضائل أهله^(٢) فقال له : الزبيرى^(٣) : أتجلب التمر إلى هجر^(٤) ! فقال له أبو العيناء : نعم ، إذا أجذبت أرضها ، وعاروم^(٥) نخلها ؛ وكان أبو العيناء من أحضِر الناس جواباً ، وأجودهم بديهة ، وأملحهم نادرة .

وروى^(٦) الصولى عن أبي العيناء قال : لما دخلت^(٧) على المتوكل دعوتُ له ، وكلمته ، فاستحسن خطابى ، وقال لى : يا محمد ، بلغنى أن فىك شراً ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن يكن الشرُّ ذكرَ المحسن بإحسانه ، والسيء بإساءته ، فقد زكى الله تعالى وذم ، فقال فى التزكية : ﴿ نِعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ؛ [س : ٣٠ - ٤٤] ، وقال فى الذم : ﴿ هَمَّازٍ مَشَاءٌ ۝ نَنَمِيمٌ ۝ مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أُثِيمٌ ۝ عُتْلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ ﴾ ؛ [الفلم : ١١ - ١٣] ، فذمه الله تعالى حتى قذفه^(٨) ، وقد قال الشاعر :

إِذَا أَنَا بِالْمَعْرُوفِ لَمْ أَتُنْ دَائِبًا وَلَمْ أَذُمَّمُ الْجَبَسَ اللَّثِيمَ الْمَذْمُومًا^(٩)
فَقِيمَ عَرَفْتُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ بِاسْمِهِ وَشَقَّ لَىَ اللَّهُ الْمَسَامِعَ وَالْفَمَا!

وإن كان الشرُّ كفعل المقرب يَلْسَعُ النّبىّ والذمى يَطْبَعُ لا يتميز ؛ فقد صان الله ١٥ عبدك عن ذلك .

(١) حاشية ت (من نسخة) : « الزهريين » . (٢) ت : « بحديث فى فضائل أهله .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « الزهري » . (٤) هجر : مدينة واقعة على جبال العارض

ببلاد العرب ؛ وكانت قاعدة البحرين . (٥) المعاومة : أن تحمل النخلة سنة ولا تحمل أخرى .

(٦) ت : « غصكى عن الصولى » . (٧) حاشية (من نسخة) : « أدخلت » .

(٨) ت : « قرفه » ، والغذف والغرف : ذكر المرء بالسوء .

(٩) البيتان فى أمالى العالى ٢ : ١٥٩ ؛ رواهما عن أبى العالية الرياحى .

(١) ورؤى أنه قال له يوماً : إلى كم تمدح الناس وتذمهم؟ فقال : ما أحسنوا وأساءوا^(١) .

ورؤى أن المتوكل قال له يوماً : إني لأفرق من لسانك ، فقال له : إن الشريف فروقة ذو إحجام ، وإن اللئيم ذو أمانة وإقدام .

وقال له يوماً : وقد دخل عليه : اشتقتك والله يا أبا العيناء ، فقال له يا سيدي ؛ إنما يشتد الشوق على العبد لأنه لا يصل إلى مولاه ، فأما السيد فمتى أراد عبده دعاه .

وروى أنه قال له يوماً : ما بقي أحد في مجلسي إلا اغتابك وذمكـ عند ماجرى من^(٢)

ذكركـ غيري ، فقال أبو العيناء :

[٩٩] / إِذَا رَضِيتُ عَنْ كِرَامِ عَشِيرَتِي فَلَا زَالَ غَضَبَانَا عَلَى لِدَائِمِهَا ط

وذكر أبو العيناء قل : قال لي المتوكل : كيف ترى داري هذه ؟ فقلت : رأيت الناس

١٠ بنوا دورهم في الدنيا ، وأمير المؤمنين جعل الدنيا في داره .

وقال أبو العيناء : قال لي المتوكل : مَنْ أَسْخَى مَنْ رَأَيْتَ ؟ وَمَنْ أَبْخَلَ مَنْ رَأَيْتَ ؟

فقلت : ما رأيت أسخى من أحمد بن أبي دؤاد ، ولا أبخل من موسى بن عبد الملك ؛

قال : وكيف وقفت على بخله ؟ فقلت : رأيت يحرّم القريب كما يحرم البعيد ، ويعتذر من

الإحسان^(٣) ؛ كما يعتذر من الإساءة ؛ فقال : أجئت إلى مَنْ أَطْرَحْتُهُ فَسَخِيَّتَهُ ، وإلى

١٥ مَنْ أَمْسَكَتُهُ فَبَخَلَّتَهُ ! فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن الصدق ما هو في موضع من المواضع

أنفق منه بخضرتك ، والناس يغاطون فيمن ينسبونه إلى السخاء ؛ فإذا نسب الناس

السخاء إلى البرامكة ، فإنما ذاك من سخاء أمير المؤمنين الرشيد ، وإذا نسب الناس الحسن

ابن سهل ، والفضل بن سهل إلى السخاء ، فإنما ذاك سخاء أمير المؤمنين المأمون ، وإذا نسبوا

أحمد بن أبي دؤاد إلى السخاء فذاك سخاء أمير المؤمنين المعتصم ، وإذا نسبوا الفتح بن خاقان

(١) ساقط من م . (٢) ف : « عندما جرى ذكرك » .

(٣) حاشية ت : « يعني أن إحسانه يكون ساقطاً يحتاج إلى العذر » .

وعُبِّدَ الله بن يحيى إلى السخاء فإنما هو سخاؤك؛ وإلاّ فمأبال هؤلاء القوم لم ينسبوا إلى السخاء قبل صحبتهم الخلفاء^(١) ! فقال لى : صدقت ، وسرّى^(٢) عنه .

وقال له المتوكل : ماأشدّ عليك من ذهاب البصر ؟ فقال له : فقد رؤيتك ؛ مع إجماع الناس على جمالك .

وقال له يوماً : أريدك لجالستى ، قال : لا أطيع ذاك ، وما أقول هذا جهلاً بما لى فى هذا المجلس ه من الشرف ، ولكن أنا رجل محبوب ، والمحجوب تختلف إشارته ، ويخفى عليه إيماؤه ، ويجوز على أن أتكلّم بكلام غضبان ووجهك راض ، وبكلام راض ووجهك غضبان ، ومتى لم أميز بين هاتين^(٣) هلكت ؛ فقال : صدقت .

وروى أنه قال له : لولا أنّك ضرير لنادمتك ، فقال : إن أعفيتنى من رؤية الأهلّة ، وقراءة نقش الخواتيم فإنّى أصاح .

١٠

وقال المتوكل : ما تقول فى ابن مكرّم والعباس بن رستم ؟ فقال : هما الخمر والميسر ، وإثمهما أكبر من نفعهما ، فقال : بلغنى أنك تودّهما ، فقال : لقد ابتعت الضلال بالهدى ، والمذاب بالمغفرة .

وقال له يوماً : بلغنى أن سعيد بن عبد الملك يضحك منك ، فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴾ [المطففين : ٢٩] وقال أبو العيناء : قال لى المنصور : ما أحسن^(٤) الجواب ؟ فقلت : ما أسكت المبطّل ، وحيرَ الحقيق .

وقيل لأبى العيناء : إبراهيم بن نوح النصرانى عليك عاتب ، فقال : ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ [١٠٠] الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة : ٢٢] . وراه زرقان وهو يضاحك

(١) حاشية ت (من نسخة) : « للخلفاء » . (٢) حاشية ف : « قوله : سرى عنه ؛ من قولهم : سرت عنى الدرع ، أى كشفها ، وسرى عنه الثوب : كشفه ، وانسرى عنه الهم ، وسرى عنه الهم » . (٣) حاشية ت (من نسخة) : « هذين » . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « خير الجواب » .

نصرانياً فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ ؛ [المائدة : ٥١] .
فقال أبو العيناء: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ ؛ [المتحنة : ٢٩] .

وأخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال أخبرنا أبو العيناء قال : كان سبب اتصالي بأحمد بن أبي دؤاد أن قوماً من أهل البصرة عادوني وادَّعوا عليّ دعاوى كثيرة ؛ منها أتى رافضى ، فاحتجت إلى أن خرجت عن البصرة إلى سرّ من رأى ، وألقيت نفسى على ابن أبي دؤاد - وكنت نازلاً في داره ، أجلسه كل يوم - وبلغ القوم خبرى ، فشخصوا نحوى إلى سرّ من رأى ، فقالت له : إن القوم قد قدموا من البصرة يدّاً عليّ ، فقال : ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ ، فقلت : إن لهم مكرّاً ، فقال : ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ ؛ [الأنفال : ٣٠] ، فقالت : هم كثيرون قال : ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ؛ [البقرة : ٢٤٩] ، فقلت : لله درّ القاضي ! هو والله كما قال الصّموت الكلابى :

لله درّك أى جُنّة خائف ومَتاعُ دُنْيَا أنتَ لِلْحَدَثَانِ (١)
مُتَخَمِّطٌ تَطَأُ الرِّجَالُ غَلْبَةً وَطءُ الْفَنِيْقِ دَوَارِجَ الْقَرْدَانِ (٢)
وَتَرَكَهُمْ حَتَّى كَأَنَّ رُءُوسَهُمْ مَأْمُومَةٌ تَنْفَحُطُ لِلْغُرْبَانِ (٣)
وَتُفَرِّجُ الْبَابَ الشَّدِيدَ رِتَاجُهُ حَتَّى يَصِيرَ كَأَنَّهُ بَابَانِ ١٥

وقال لابنه الوليد : اكتب هذه الأبيات ، فكتبها بين يديه .

- قال الصولي : حفظى من أبي العيناء الصّموت الكلابى على أنه رجل ، وقال وكيع : حفظى أنها للصّموت الكلابية على أنها امرأة -

ودخل أبو العيناء على الحسن بن سهل ، فأثنى عليه ، فأمر له بعشرة آلاف درهم ، وقال :

(١) ديوان المعانى ١ : ٦٨ . (٢) النخبط : الأخذ والقبض بغلبة ؛ وغلبة مصدر غلب كثير

الغلبة ، والفنيق الجمل الفحل ، ودوارج : جمع دارج . (٣) د ، ف حاشية ت (من نسخة) : « ونسكهم » والمأومة : المشجومة .

والله ما أستكثر كثيرك أيها الأمير ، ولا أستقل قليلك ، قال : وكيف ذاك ؟ قال : لا أستكثر كثيرك لأنك أكثر منه ، ولا أستقل قليلك لأنه أكثر من كثير غيرك^(١).

وقال له عبيد الله بن يحيى بن خاقان يوماً : اعذرني فإني مشغول^(٢) ، فقال : إذا فرغت لم أحتج إليك. وقال له يوماً : قد تبينت / فيك الغضب يا أبا عبد الله ، فقال له : قد أجل^[١٠٠] ظ الله قدرك من غضي ، إنما يغضب الرجل على من دونه ؛ فأما من فوقه فلا ، ولكن أحزنني تقصيرك ؛ فسميت حزني غضباً .

ويقال إن صاعد بن مخلد كان من أحسن من أسلم ديناً ، وأكثروا صلاةً وصدقة ، فصار إلى بابه أبو العيناء مرات كثيرة بعقب إسلامه فحُجِبَ وقيل له : هو مشغول في صلاته ، فقال أبو العيناء : لكل جديد لذة .

ودخل يوماً إلى أبي إسماعيل الصقر بن بلبل في وزارته ، فقال له : يا أبا عبد الله ،^(٣) ما أخرك عما^(٤) ؟ فقال : سُرقَ حماري ، فقال : وكيف سُرق ؟ قال : لم أكن مع الذي سرقه فأخبر بما كان ، قال له : هلاً ؟ أكرت أو استعرت أو اشتريت ؟ قال : قعد بي عن الشراء نَشَبِي^(٥) ، وكرهت منة العواري ، وذلة المُكاري ، فوهب له حماراً ووصله . وأدناه أبو الصقر يوماً ورفعه فقال : تدنيني حتى كأني بعمضك ، وتبعدني حتى كأني ضدك .

وقال يوماً لعبيد الله بن سليمان أيضاً - وقد رفعه : إلى كم ترفعني ولا ترفع بي رأساً !^{١٥} وقال له يوماً - وقد سأله عن حاله : أنا معك^(٥) مغبوط الظاهر ، محروم الباطن .

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « نظم البحتري هذا المعنى فقال

كثيرُ نَوَالِكٍ فِي جَنْبِ مَا جُبِلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْجُودِ نَزَرُ

وَنَزَرُ نَوَالِكٍ فِي جَنْبِ مَا يَجُودُ بِهِ سَائِرُ النَّاسِ غَمْرُ

(٢) ت : « فإني عنك مشغول » . (٣-٣) حاشية ت (من نسخة) : « يا أبا عيناء ما أخرك

بالله ؟ » . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « عدى » . (٥) ت : « أنا بك » .

ويقال : إن أبا عليّ البصير قال لأبي العيناء - وكانت بينهما ملاحاةٌ معروفة : في أيّ وقتٍ ولِدْتَ ؟ فقال له : قبل طلوع الشمس ، فقال أبو عليّ : لذلك خرجت شحاذاً سائلاً ، لأنه الوقت الذي ينتشر فيه السؤال .

وأخبرنا أبو عبيد الله المربانيّ قال أخبرني محمد بن يحيى الصولىّ قال حدثني أبو العيناء • قال : ما رأيت قطُّ أحسنَ شاهداً عند حاجة من ابن عائشة ! قالت له : يوماً كان أبو عمرو الخزوميّ يقصدك ثم جفاك ، فقال :

فإن تَنَأَّ عَمَّا لَا تَصْرُنَا وإن تَعُدَّ تَجِدُنَا على العهدِ الذي كنتَ تعلمُ
وقال : والله لا أدرى لمن هذا البيت ، فقلت : إنَّ ابن سلامٍ روى عن يونس ابن
الفرزدق لما قال :

١٠ تَصَرَّمْ مِنِّي وَدُّ بَكْرٍ بنِ وائلٍ وما خِلْتُ دَهْرِي ودَّهْمُ يَتَصَرَّمُ^(١)

قَوَارِصُ تَأْتِينِي فَيَحْتَقِرُونَهَا وقد يَمَلُّ القطرُ الإِنَاءَ فَيُفْعَمُ^(٢)

وكان قد نزل عليهم حين هرب من زياد ، فقال جرير بن خرقاء العجليّ^(٣) يحبيه :

[١٠١] / لقد بَوَّأْتُكَ الدَّارَ بَكْرُ بنِ وائلٍ وَرَدَّتْ لَكَ الْأَحْشَاءُ إِذْ أَنْتَ مُجْرِمُ^(٤)

(١) ديوانه : ٧٥٦ ، وطبقات الشعراء ٣٠٢ ، والكامل - بشرح المصنف ، ١ : ١٢٧ ،

والمؤتلف والمختلف : ٧١ وتصرم الشيء : تقطع . (٢) قوارص : جمع قارصة ؛ وهي الكلمة المؤذية .

فعم الإِنَاءَ يفعمه فعما : ملأه وباع في مثله . (٣) ذكره ابن سلام في ص ٢٥٩ بنسبة « البكري » ،

وفي ص ٣٠٣ بكنية « أبي العطاف » . (٤) في الطبقات : « لقد وسعتك » ، وقبيله :

لَعَمْرِي لَئِنْ كَانَ الْفَرَزْدَقُ عَاتِبًا وَأَخَذْتَ صَرَمًا ، لِلْفَرَزْدَقِ أَظْلَمُ

وفي حاشية الأصل : « يعني كنت خائفا غاية الخوف فأمنوك » ، ورواية الطبقات :

لقد وَسَّطْتَكَ الدَّارَ بَكْرُ بنِ وائلٍ وَضَمَّتْكَ لِلْأَحْشَاءِ إِذْ أَنْتَ مُجْرِمُ

لَيْلٍ تَمَنَّى أَنْ تَكُونَ حَمَامَةً بِمَكَّةَ يَنْفَسُهَا السَّيَّارُ الْحَرَّمُ^(١)
فَإِنْ تَنَأَّ عَنَّا لَا تَضُرُّنَا وَإِنْ تَعُدَّ تَجِدُنَا عَلَى الْعَهْدِ الَّذِي كُنْتَ تَعْلَمُ
فَقَالَ ابْنُ عَائِشَةَ: أَنْتَ وَاللَّهِ يَا بَنِيَّ مَنْ سَتَصْدُقُ فِي الْعِلْمِ مَخَائِلُهُ ، وَتَكْثُرُ عَلَيْهِ دَلَالَتُهُ .

وَقَالَ أَبُو الْعِينَاءِ يَوْمًا لِأَبِي الصَّقَرِ بْنِ بُلْبُلٍ وَهُوَ زَائِرٌ : أَنْتَ وَاللَّهِ تَقْرُبُ مِنَّا إِذَا احْتَجَجْنَا
إِلَيْكَ ، وَتَبْعُدُ مِنَّا إِذَا احْتَجَجْتَ إِلَيْنَا .

٥

قَالَ سَيِّدُنَا الشَّرِيفُ أَدَامَ اللَّهُ عُلُوَّهُ : وَهَذَا يَشْبَهُ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ الصُّوْلِيِّ :

وَلَكِنَّ الْجَوَادَ أَبَا هِشَامٍ وَفِي الْعَهْدِ مَأْمُونُ الْمَغِيبِ^(٢)
بَطِيءٌ عَنْكَ مَا سَتَغْنِيَتْ عَنْهُ وَطَلَّاعٌ عَلَيْكَ مَعَ الْخُطُوبِ

وَلَعَلَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْهُ ، فَلَيْسَ يُفَكِّرُ ذَلِكَ ، لِأَنَّهُمَا وَإِنْ اجْتَمَعَا فِي زَمَانٍ وَاحِدٍ فِي بَعْضِ
الْأَوْقَاتِ ؛ فَإِنْ أَبَا الْعِينَاءِ بَقِيَ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ زَمَانًا طَوِيلًا ؛ لِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ تَوَفَّى فِي سَنَةِ ثَلَاثِ ١٠
وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَأَبَا الْعِينَاءِ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثِ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَمَا حَكَيْنَاهُ عَنْهُ مِنْ
السَّكَامِ قَالَهُ لِأَبِي الصَّقَرِ فِي وَزَارَتِهِ ، وَكَانَتْ بَعْدَ وَفَاةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ الصُّوْلِيِّ بِزَمَانٍ طَوِيلٍ .

وَيُوشِكُ بَيْتَا إِبْرَاهِيمَ أَنْ يَكُونَا مَأْخُوذَيْنِ مِنْ قَوْلِ أَوْسِ بْنِ حَجَرٍ :

وَلَيْسَ أَخُوكَ الدَّائِمُ الْعَهْدِ بِالَّذِي يَذُّمُكَ إِنْ وَلَّى وَيُرْضِيكَ مُقْبِلًا^(٣)

وَلَكِنَّهُ النَّائِي إِذَا كُنْتَ آمِنًا وَصَاحِبُكَ الْأَدْنَى إِذَا الْخُطْبُ أَعْضَلَا ١٥

وَلِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ مَا يَقَارِبُ هَذَا الْمَعْنَى أَيْضًا ، وَهُوَ :

أَسَدٌ مَنَارٍ إِذَا هَيَّجَتْهُ وَأَبٌ بَرٌّ إِذَا مَا قَدَّرَا^(٤)

يَعْلَمُ الْأَبْعَدُ إِنْ أَثَرَى وَلَا يَعْلَمُ الْأَدْنَى إِذَا مَا أَقْتَرَا^(٥)

(١) السَّيَّارُ الْحَرَّمُ : هُوَ سَيَّارُ الْكَعْبَةِ . (٢) دِيَوَانُهُ : ١٢٩ (ضَمِنَ بِمَجْمُوعَةِ الطَّرَائِفِ) .

(٣) دِيَوَانُهُ : ٢٢ (٤) دِيَوَانُهُ : ١٣٣ (ضَمِنَ بِمَجْمُوعَةِ الطَّرَائِفِ) .

(٥) ت : « افْتَقَرَا » ؛ وَهِيَ رَوَايَةُ الدِّيَوَانِ .

ويشبه أن يكون هذا مأخوذاً من قول المرار القتمسي :

[١٠١] / إِذَا افْتَقَرَ الْمَرَارُ لَمْ يُرْ فَقَرُهُ وَإِنْ أَيْسَرَ الْمَرَارُ أَيْسَرَ صَاحِبُهُ^(١)

ومما يشبه قول المرار بعينه قول إبراهيم بن العباس أيضاً :

فَتَى غَيْرُ مَحْجُوبٍ عَنِ الْعَيْنِ عَرَضُهُ وَلَا مُظْهِرُ الْبَلَوَى إِذَا النَّعْلُ زَلَّتْ^(٢)

رَأَى خَلَّةً مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانُهَا فَكَانَتْ قَدَى عَيْنِهِ حَتَّى تَجَلَّتْ

أو من قول المتنخل الهذلي :

أَبُو مَالِكٍ قَاصِرٌ فَقَرُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَمُشْبِعٌ غِنَاهُ^(٣)

وهذا البيت الذي رويناها للهذلي من جملة أبيات يرثي بها المتنخل أباه - وقيل يرثي أخاه، وأولها

لَعَمْرُكَ مَا إِنْ أَبُو مَالِكٍ بَوَّانٍ وَلَا بَضْعِيفٍ قَوَاهُ^(٤)

وَلَا بِالذَّ لَهُ نَازِعٌ يُفَارِي أَخَاهُ إِذَا مَا نَهَا^(٥)

- فمعنى « له نازع » أى خلق سوء ينزعه . ويفارى ، أى يلاحى ويشار .

وَلَكِنَّهُ هَيْنٌ لَيْنٌ كَمَالِيَةِ الرُّمَحِ عَرْدُ نَسَاهُ

- العرد : الشديد ؛ يقال : وترت عرْدُ وعُرْدُ ، وعَرَدَ بالنون ، أى شديد . والنسا

عرق معروف -

إِذَا سُدَّتْهُ سُدَّتْ مِطْوَاةٌ وَمَهْمَا وَكَانَتْ إِلَيْهِ كَفَاهُ

معنى « سُدَّتْهُ » من المساودة ، التى هى المساورة ، والسَّوَادُ هو السَّرَارُ أيضاً ، كأنه قال :

(١) معجم الشعراء : ٤٠٨ . (٢) ديوانه : ١٣٠ ؛ وانظر تخرىج البيتين فى الحواشى .

(٣) ديوان الهذليين ٢ : ٢٩-٣٩ . (٤) شرح ديوان الهذليين : « وىروى : بواه

ولا بضعيف » ، وهو الأجود عند أبى العباس . (٥) ألد : شديد الخصومة ، وفى حواشى الأصل ،

ت ، ف : « غاربت بين الشيئين ؛ إذا والبت بينهما ، قال كثير :

إِذَا قَلْتُ أَسْلُوفَاضَتِ الْعَيْنُ بِالْبُكَاءِ غِرَاءٌ وَمَدَّتْهَا مَدَامِغُ حُفْلٍ

قال أبو عبيد : هو من غرى بالشئ يفرى به . »

إذا ساررتَه طَوعَكَ وساعدَكَ . وقال قوم : إنَّه من السيادة ، وكأنَّه أراد : إذا كُنتَ
فوقه سيداً له أطاعَكَ ولم يحسدَكَ ، وإن وَكَلْتَ إليه شيئاً كفاكَ ، وقوم يُنشدونه :
* إذا سُسِّتَهُ سُسِّتَ مَطْوَاعَةً *

— ولم أجد ذلك في رواية —

هـ أَلَا مَنْ يُنَادِي أَبَا مَالِكٍ أفي أمرنا هُوَامٌ في سِوَاهُ ؟
أبو مَالِكٍ قاصِرٌ فَقْرُهُ على نفسه ومُشِيعٌ غِنَاهُ



مَجْلِسُ آخِرِ تَأْوِيلِ آيَةِ

[١٠٢] / إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾؛ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ [الأعراف : ١٤٦] .

فقَالَ : مَا تَأْوِيلُ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى مَا يُطَابِقُ الْعَدْلَ ؟ فَإِنَّ ظَاهِرَهَا كَأَنَّهُ مُخَالَفٌ لَهُ .

الجواب ، قيل له : في هذه الآية وجوه ؛ منها ما ابتدأناه فيها ، ومنها ما سبقتنا به فخرنا ، واحترزنا فيه من الطاعين ، وأجبنا عما لعله يعترض ^(١) فيه من الشبهة .

أولها أن يكون تعالى عسى بذلك صرّفهم عن ثواب النظر في الآيات ، وعن العز والكرامة اللذين يستحقّهما مَنْ أَدَّى الواجب عليه في آيات الله تعالى وأدلتّه ، وتمسك بها .
١٠ والآيات على هذا التأويل يحتمل أن تكون سائر الأدلة ، ويحتمل أن تكون معجزات الأنبياء عليهم السلام خاصة ؛ وهذا التأويل يطابقه الظاهر ؛ لأنه تعالى قال : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ ؛ فبيّن أن صرّفهم عن الآيات مُستحقٌّ ^(٢) بتكذيبهم ، ولا يليق ذلك إلا بما ذكرناه .

وثانيها أن يصرّفهم ^(٣) تعالى عن زيادة المعجزات التي يُظهرها ^(٤) الأنبياء عليهم السلام

(١) حاشية ت (من نسخة) « يعرض » . (٢) ف : « يستحق » .

(٣) ت : « أنه أراد صرّفهم » . (٤) ت ، ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « يظهرها »

على الأنبياء » .

بعد قيام الحجة بما تقدم من آياتهم ومعجزاتهم ؛ لأنه تعالى إنما يُظهرُ هذا الضرب من المعجزات إذا عِلِمَ أنه يؤمن عنده مَنْ لم يؤمن بما تقدم من الآيات ، فإذا عِلِمَ خلاف ذلك لم يُظهرها ، وصرف الذين عِلِمَ من حالهم أنهم لا يؤمنون عنها ، ويكون الصرف على أحد وجهين : إمّا بالآلا يظهرها جملة ، أو بأن يصرفهم عن مشاهدتها ، ويظهرها بحيث يَنْتَفِع بها غيرهم .

فإذا قيل : وما الفرقُ فيما ذكرتموه بين ابتداء المعجزات ، وبين زيادتها ؟ قلنا : الفرقُ بينهما أن المعجز الأول يجب إظهاره لإزاحة العالة في التكليف ؛ ولأننا به نعلم صدق الرسول المؤدّي إلينا ما فيه لُطْفنا ومصاحتنا .

فإذا كان التكليف يُوجبُ تعريف^(١) المصالح والألطف لتزاح العلة ، وكان لا سبيلَ

إلى معرفتها على الوجه الذي تكونُ عليه لطفاً إلّا من قبل الرسول ، وكان لا سبيلَ إلى ١٠ العلم بكونه رسولاً إلّا من جهة / المعجز وجبت بعثة الرسول وتحميله ما فيه . صلحتنا [١٠٢] من الشرائع ، وإظهارُ المعجز على يده لتعلق هذه الأمور بعضها ببعض ، ولا فرق في هذا الموضع بين أن يُعلم أن المبعوث إليهم الرسول ، أو بعضهم يطيعون ويؤمنون ، وبين ألا يعلم ذلك في وجوب البعثة ، وما يجب بوجوبها ، لأن تعريف المصالح مما يقتضيه التكليف العقلي الذي لا فرق في حُسْنه بين أن يقع عنده الإيمان أو لا يقع ؛ وليس هذه سبيل ما يظهر من ١٥ المعجزات بعد قيام الحجة بما تقدم منها ؛ لأنه متى لم يَنْتَفِع بها منتفع ، ويؤمن عندها من لم يؤمن لم يكن في إظهارها فائدة ، وكانت عبثاً ؛ فافترق الأمران .

فإن قيل : كيف يطابق هذا التأويل قوله : ﴿ ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ ، ومن المعلوم أن صرفهم عن الآيات لا يكون مستحقاً بذلك ؟ قلنا : يمكن أن

يكون قوله تعالى : ﴿ ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ لم يرد به تعليل قوله : ﴿ سَأَصْرِفُ ﴾ ، ٢٠ بل يكون كالتعليل لما هو أقرب إليه في ترتيب الكلام ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ

آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴿١﴾ ، لَأَنَّ مَنْ كَذَبَ بآيَاتِ اللَّهِ جُلَّ وَعَظْهُ ؛ وَغَفَلَ عَنْ تَأْمُلِهَا وَالْاهْتِدَاءِ بِنُورِهَا رَكِبَ الْغَىَّ ، وَاتَّخَذَهُ سَبِيلًا ، وَحَادَ عَنِ الرُّشْدِ وَضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا . وَرَجُوعَ لَفْظَةِ ﴿ذَلِكَ﴾ إِلَى مَا ذَكَرْنَاهُ أَشْبَهُ بِالظَّاهِرِ مِنْ رَجُوعِهَا إِلَى قَوْلِهِ : ﴿سَأَصْرِفُ﴾ ؛ لَأَنَّ رَجُوعَ اللَّفْظِ ^(١) فِي اللُّغَةِ إِلَى أَقْرَبِ الْمَذْكُورِينَ إِلَيْهِ أَوْلَى .

وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿كَذَّبُوا﴾ وَإِنْ كَانَ بِلَفْظِ الْمَاضِي الْمُرَادُ بِهِ الْاسْتِقْبَالُ ، وَيَكُونُ وَجْهُهُ أَنْ التَّكْذِيبَ لَمَّا كَانَ مَعْلُومًا مِنْهُمْ لَوْ أَظْهَرْتَ لَهُمُ الْآيَاتِ جُعِلَ ذَلِكَ كَأَنَّهُ ^(٢) وَقَعَ ، فَبُنِيَ الْخُطَابُ عَلَيْهِ ؛ وَلِهَذَا نَظَأْتُ فِي اللُّغَةِ كَثِيرَةً . أَوْ يَكُونُ جَوَابًا لِلْمَحْذُوفِ ؛ كَأَنَّهُ ^(٣) قَالَ : ذَلِكَ بَأَنَّهُ مَتَى مَا أَظْهَرْنَا لَهُمْ آيَاتِنَا كَذَّبُوا بِهَا . وَيَجْرِي مَا ذَكَرْنَاهُ ^(٤) أَوَّلًا بِجَرَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ فِي أَنَّهُ بِلَفْظِ الْمَاضِي وَالْمَعْنَى الْاسْتِقْبَالُ .

وَنَالَتْهَا أَنْ يَكُونَ مَعْنَى ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ﴾ ، أَيْ لَا أُوتِيهَا ^(٥) مِنْ هَذِهِ صِفَتُهُ ، وَإِذَا ^(٦) صَرَفَهُمْ عَنْهَا فَقَدْ صَرَفَهَا عَنْهُمْ ، وَكَلَامُ اللَّفْظَيْنِ ^(٦) يَفِيدُ مَعْنَى وَاحِدًا . وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ هَلَا قَالَ : «سَأَصْرِفُ آيَاتِي عَنِ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ» ؛ وَالْآيَاتُ هَاهُنَا هِيَ الْمَعْجَزَاتُ الَّتِي تَخْتَصُّ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ .

/ فَإِنْ قِيلَ : فَأَيَّ فَائِدَةٍ فِي قَوْلِهِ عَلَى سَبِيلِ التَّعْلِيلِ ^(٧) : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [١٠٣] وَأَيُّ مَعْنَى لِتَخْصِيصِهِ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وَهُوَ لَا يُؤْتَى الْآيَاتُ وَالْمَعْجَزَاتُ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ دُونَ غَيْرِهِمْ ، وَإِنْ كَانَ مِمَّنْ لَا يَتَكَبَّرُ ؟ قُلْنَا : لَخُرُوجُ الْكَلَامِ مَخْرَجَ التَّعْلِيلِ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ وَجْهٌ عَجِيجٌ ؛ لَأَنَّ مَنْ كَذَّبَ بآيَاتِ اللَّهِ لَا يُؤْتَى مَعْجَزَاتِهِ ^(٨) لِتَكْذِيبِهِ وَكَفَرِهِ ،

(١) ت ، وحاشية ف (من نسخة) : «اللفظة» . (٢-٢) ساقط من م .

(٢) ت : «ويجري ذلك» . (٤) من نسخة بمحاشيتي الأصل ، ت : «لا أريها» .

(٥-٥) من نسخة بمحاشيتي الأصل ، ف : «وإذا صرفتهم عنها فقد صرفها عنهم» .

(٦) من نسخة بمحاشيتي الأصل ، ت ، ف : «كلتا اللفظتين» .

(٧) حاشية الأصل (من نسخة) : «التخصيص» . (٨) ت ، ف : «لا يؤتى آياته ومعجزاته» .

وإن كان قد يكون غير مكذَّب، ويمنع من إتيانه الآيات علةً أخرى^(١)؛ فالتكبر والبغى بُغير الحق مانع من إتياء الآيات، وإن منع غيره. ويجرى هذا مجرى قول القائل: أنا لا أودُّ فلاناً لغدره، ولا يلزم إذا لم يكن غادراً أن يودَّه، لأنه ربما خلا من الغدر وحصل على صفة أخرى تمنع من مودته. ويجوز أيضاً أن تكون الآية خرجت على ما يجرى مجرى السبب، وأن يكون بعض الجهال في ذلك العصر اعتقد جواز ظهور المعجزات على يد الكفار المتكبرين^(٢)، فأكذبهم ٥ الله تعالى بذلك.

ورابعها أن يكون المراد بالآيات العلامات التي يجعلها الله تعالى في قلوب المؤمنين؛ ليدلَّ بها الملائكة على الفرق بين المؤمن والكافر، فيفعلوا بكل واحدٍ منهما ما يستحقه من التعظيم أو الاستخفاف، كما تأول أهل الحق الطبيع والختم اللذين ورد بهما القرآن على أن المراد بهما العلامة المميِّزة بين الكافر والمؤمن؛ فيكون معنى سأصرفهم عنها، أى أعديل بها عنهم^(٣)، ١٠ وأخصُّ بها المؤمنين المصدقين بآياتي وأنبيائي^(٤). وهذا التأويل يشهد له أيضاً قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾؛ لأنَّ صرفهم عن هذه الآيات كالمستحقِّ لتكذيبهم وإعراضهم عن آياته تعالى.

وخامسها أن يريدَ تعالى: أنى أصرف من رام المنع من أداء آياتي وتبليغها؛ لأنَّ من الواجب على الله تعالى أن يحول من بين رام ذلك وبينه؛ ولا يمكن منه؛ لأنه ينقضُ الغرض ١٥ في البعثة. ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِيكَ مِنَ النَّاسِ﴾؛ فتكون الآيات هاهنا القرآن وما جرى مجراه من كتب الله تعالى التي تحمَّلتها^(٥) الرسل.

والصرف وإن كان متعلقاً في الآية بنفس الآيات فقد يجوز أن يكون المعنى متعلقاً^(٦) في الآية / بنفس الآيات، فقد يجوز أن يكون المعنى متعلقاً بغيرها^(٦) مما هو متعلق بها. فإذا ساغ [١٠٣] ط

(١) في حاشيتي ت، ف: «بغى وإن كان غير التكذيب أيضاً مانعاً».

(٢) ت: «الذكورين»، ومن نسخة بحاشية ت: «المكذِّبين».

(٣) ف، ونسخة بحاشية ت: «أى أعديل بهم عنها». (٤) من نسخة بحاشيتي الأصل، ت:

«وبينائي». (٥) ت، وحاشية ف (من نسخة): «تحمَّلها». (٦-٦) ساقط من م.

أن نعلقه بالثواب والكرامة المستحقين على التمسك بالآيات ساع أن نعلقه بما يمنع من تبليغها وأدائها وإقامة الحجة بها . وعلى هذا التأويل لا نجعل قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بَأْسُهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ راجعاً إلى ﴿ سَأَصْرِفُ ﴾ بل نرُدّه إلى ما هو قبله بلا فصل ؛ من قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ على ما بيناه في الوجه الثاني ، من تأويل هذه الآية .

وسادسها أن يكون الصرف شاهنا الحُكْمَ والتسمية والشهادة ، ومعلوم أن من شهد على غيره بالانصراف عن شيء جازم^(١) أن يقال : صرفه عنه ، كما يقال : ^(٢) أ كُفِرَهِ وَكَذَّبَهُ وَفَسَقَهُ^(٣) ؛ وكما قال جل من قائل : ﴿ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ ﴾ ؛ أى شهد عليها بالانصراف عن الحق والهدى ، وكقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ ؛ وهذا ١٠ التأويل طابقه قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بَأْسُهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ ؛ لأن الحكم عليهم^(٤) بما ذكرنا من التسمية موجب تكذيبهم وغفلتهم^(٥) عن آيات الله وإعراضهم عنها .

وسابعها أنه تعالى لما علم أن الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق سينصرفون عن النظر في آياته ، والإيمان بها إذا أظهرها على أيدي رسله عليهم السلام جاز أن يقول : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ ﴾ فيريد سأظهر ما ينصرفون بسوء اختيارهم عنه . ويجرى ذلك ١٥ مجرى قولهم : سأبخل فلاناً وأخطئه ، أى أسأله ما يبخل ، يبذله وأمتحنه بما يُخطئ فيه ، ولا يكون المعنى : سأفعل^(٦) فيه البخل والخطأ . والآيات على هذا الوجه جاز أن تكون المعجزات دون سائر الأدلة الدالة على الله تعالى ، وجاز أن تكون جميع الأدلة ؛ ويجب على هذا الوجه أن يكون قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بَأْسُهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ غير راجع إلى قوله تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ ﴾ ؛ بل إلى ما قدمنا ذكره لتصح الفائدة .

(١) ف : « جاز » . (٢-٢) ت : « كفره وكذبه وفسقه » ؛ بالتشديد .

(٣-٣) ت ، ف : « والتسمية من موجب تكذيبهم وغفلتهم » .

(٤) ت ، وحاشية ف (من نسخة) : « أنى أفعل فيه » .

وثامنها أن يكون الصَّرفُ هاهنا معناه المنع من إبطال الآيات والحجج، والقَدْحُ فيها بما يُخرجها عن أن تكون أدلةً وحُججاً، فيكون تقدير الكلام: إني بما أؤيده من حُججِي، وأحكمه من آياتي وبيناتي؛ صارفٌ للمبطلين والمكذبين عن القَدْحِ في الآيات والدَّلالات، ومانعٌ لهم ممَّا كانوا لولا / هذا الإحكام والتأييد يفترضونه وينتقمونه من تمويههم الحق ولبسه [١٠٤] بالباطل. ويجرى هذا مجرى قول أحدنا^(١): قدمع فلانٌ أعداءه بأفعاله السَّكريمة،^(٢) وطرائقه المهذَّبة، وصرفهم عن ذمِّه^(٣)، وأخرسَ ألسنتهم عن الطعن عليه؛ وإنما يريد المعنى الذي ذكرناه.

فإن قيل: أليس في المبطلين مَنْ طعن على آيات الله تعالى وأورد الشبهة فيها مع ذلك؟ قلنا: لم يرِ الله تعالى الصرف عن الطعن الذي لا يؤثر ولا يشتبه على من أحسنَ النظر، وإنما أراد ما قدمناه، وقد يكون الشيء في نفسه مطعوناً عليه، وإن لم يطعن عليه طاعنٌ؛ كما قد يكون بريئاً من الطعن، وإن طعن فيه بما لم يؤثر؛ ألا ترى أن قولهم: فلانٌ قد أخرسَ أعداءه عن ذمِّه ليس يراد به أنه منعهم عن التلفظ بالذم، وإنما المعنى فيه أنه لم يجعل للذم عليه طريقاً ومجالاً؛ ويجب على هذا الوجه^(٣) أن يكون قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا﴾ يرجع إلى ما قبله بلا فصل، ولا يرجع إلى قوله: ﴿سَاءَ صَرِفُ﴾^(٤).

وتاسعها أن الله تعالى لما وعد موسى عليه السلام وأُمَّته إهلاكَ عدوهم قال: ﴿سَاءَ صَرِفُ﴾^{١٥} عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِبَغْيٍ الْحَقِّ، وأراد جل وعزّ أنه يهلكهم ويصطلِمهم ويحتاجهم على طريق العقوبة لهم؛ بما كان منهم من التكذيب بآيات الله تعالى، والردِّ لحُججه، والمُروقِ عن طاعته، وبشرٍّ مِّنْ وعده بهذه الحال من المؤمنين بالوفاء

(١) ت: «الغائل». (٢-٢) ت، ش: «وطرائقه المدوَّحة، وأخلاقه المهذَّبة من عيبه، وصرفهم عن ذمِّه». (٣) حاشية ت (من نسخة): «الناويل».

(٤) حواشي الأصل، ت، ف: «قريب منه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾؛ ويعترض الآية بأن الحسين عليه السلام جند الله ومع ذلك فقد غابوا؛ والجواب: إنهم وإن غلبوا في صورة فإنهم الغالبون حقيقة».

بها ، وهو تعالى إذا أهلك هؤلاء الجبارين المتكبرين ، واصطلمهم فقد صرفهم عن آياته ، من حيث اقتطعهم عن مشاهدتها ، والنظر فيها بانقطاع التكليف عنهم ، وخروجهم عن صفات أهله .

وهذا الوجه يمكن أن يقال فيه : إن العقوبة لا تكون إلا مضادة للاستخفاف والإهانة ، كما أن الثواب لا بد أن يكون مقترنا بالتمظيم والتبجيل والإجلال^(١) ؛ وإماتة الله تعالى الأمم وما يفعله من بوار وإهلاك لا يفتَرِن إليه ما لا بد أن يكون مقترنا إلى العقاب من الاستخفاف ، ولا يخالف ما يفعله تعالى بأوليائه على سبيل الامتحان والاختبار ؛ فكيف يصح ما ذكرتموه ! .

ويمكن أن يجاب عن ذلك بأن يقال : لا يمتنع أن يضمَّ الله تعالى إلى ما يفعله هؤلاء الكفار المكذِّبين^(٢) من الإهلاك والبوار اللعن والذم والاستخفاف^(٣) ، ويأمرنا^(٤) أن نفعل [١٠٤] ذلك بهم ، فيكون / ما يقع بهم من الإيلام على وجه العقوبة وبشرطها ، ولا يمتنع أن يكون الله تعالى يَتَعَبَّدُ ويأمر بإهلاكهم^(٥) ، وقتلهم على وجه الاستخفاف والنكال ، ويضيف الله تعالى ذلك إليه من حيث وقع بأمره وعن أذنه .

فإن قيل : ما معنى قوله تعالى : ﴿ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ ؛ كأن في ١٥ التكبر ما يكون بالحق !

قلنا في هذا وجهان : أحدهما أن يكون ذلك على سبيل التأكيد والتغليظ والبيان عن أن التكبر لا يكون إلا بغير الحق ، وأن هذه صفة له لازمة غير مفارقة ؛ ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴾ ؛ [الزمنون : ١١٧] ، وقوله تعالى : ﴿ فِيمَا تَفْضِيهِمْ مِثْقَاتُهُمْ وَكُفْرِهِمْ بآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ ؛ [النساء : ١٥٥] ، ولم يرد تعالى إلا المعنى الذي ذكرناه . ومثله قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ ؛ [البقرة : ٤١] ، ولم يُرِدِ النهي عن الثمن القليل دون الكثير ، بل

(١) ساقطة من ت . (٢) ت ، حاشيتي الأصل ، ف : « المكذِّبين المستحقين للبوار واللعن والذم » . (٣-٣) ساقط من م .

أراد تأكيد القول بأن كلَّ ثمن يؤخذ عنها يكون قليلاً بالإضافة إليها ، ويكون المتعوض به عنها مغبوطاً مبخوساً خاسراً الصفة .

والوجه الآخر أن في التكبر ما يكون ممدوحاً لأنَّ مَنْ تكبر وتنزَّه عن الفواحش والدنایا وتباعد من فعلها ، وتجنب أهلها يكون مستحقاً للمدح ، سالكا لطريق الحق ؛ وإنما التكبر المذموم هو الواقع على وجه الذخوة والبغى والاستطالة على ذوى الضعف والفخر عليهم ، والمباهاة لهم ، ومن كان بهذه الصفة فهو مجانب للتواضع الذى ندب الله تعالى إليه ، وأرشد إلى الثواب المستحق عليه ، ويستحق بذلك الذم والمقت ، فلهذا شرط تعالى أن يكون التكبر بغير الحق . وقوله تعالى في هذه السورة : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ [الأعراب : ٢٢] ، يحتمل أيضاً هذين الوجهين اللذين ذكرناهما .

١٠

فإن أريد به البغى المكروه الذى هو الظلم وما أشبهه ، كان قوله : ﴿ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ تأكيداً وإخباراً عن أن هذه صفته ، وإن أريد بالبغى الطلب - وذلك هو أصله في اللغة - كان الشرط في موضعه ؛ لأنَّ الطلب قد يكون بالحق وبغير الحق .

فإن قيل فما معنى قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ / وهل الرؤية هاهنا العلم والإدراك بالبصر ؟ وهب [١٠٠] أنها يمكن أن تكون في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ﴾ محمولة على رؤية البصر ، لأن الآيات والأدلة مما يشاهد كيف تحمل الرؤية الثانية على العلم ، وسبيل الرشد إنما هي طريقته ، ولا يصح أن يرجع بها إلى المذاهب والاعتقادات التي لا تجوز عليها رؤية البصر ، فلا بد إذاً من أن يكون المراد به رؤية العلم ؛ ومن علم طريق الرشد لا يجوز أن ينصرف عنه إلى طريق الغي ؛ لأن العقلاء لا يختارون مثل ذلك .

٣٠

قلنا: الجواب عن ذلك من ثلاثة أوجه: أحدها أن يكون المراد بالرؤية الثانية رؤية البصر، ويكون السبيل المذكورة في الآية هي الأدلة ؛ لأنها مما يدرك بالبصر، وتسمى بأنها سبيل إلى

الرشد ، من حيث كانت وُصِّلَتْ إلى الرُّشد ، وذريعةً إلى حصوله ، ويكون سبيل النِّىِّ هـى الشبهات والخاريق التى ينصبها المبطلون والمدغلون فى الدين ؛ ليوقعوا بها الشبهة على أهل الإيمان ، وتسمى سبيل النِّىِّ ، وإن كان النظر فيها لا يوجب حصول النِّىِّ من حيث كان المعلوم ممن تشاغل بها ، واغترَّ بأهلها أنه يصير إلى النِّىِّ .

٥ والوجه الثانى أن يكون المراد بالرؤية العلم ؛ إلا أن العلم لم يتناول كونها سبيلا للرُّشد ، وكونها سبيلا للنِّىِّ ؛ بل يتناولها لامن هذا الوجه ؛ ألا ترى أن كثيرا من المبطلين يعلمون مذاهب أهل الحق واعتقاداتهم وحججهم ؛ إلا أنهم يجهلون كونها صحيحة مُفضية إلى الحق ، فيجتنبونها ؛ وكذلك يعلمون مذاهب المبطلين واعتقاداتهم الباطلة الفاسدة ، إلا أنهم يجهلون كونها باطلة ، ويمتقدون صحتها بالشبهة فيصرون إليها ؟ وعلى هذا الوجه لا يجب أن يكون تعالى وصفهم بالعناد وترك الحق مع العلم به . ١٠

والوجه الثالث أن يكونوا عالين بسبيل الرشد والنِّىِّ ، ومميزين بينهما ؛ إلا أنهم للميل إلى أعراض الدنيا ، والذهاب مع الهوى والشهوات يعدلون عن الرشد إلى النِّىِّ ، ويحجدون ما يعلمون ، كما أخبر بها عن كثير من أهل الكتاب بأنهم يحجدون الحق وهم يعلمونه ويستيقنونه .

١٥ فإن قيل : فما معنى قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ ، [١٠٠] / والتكذيب لا يكون فى الحقيقة إلا فى الأخبار دون غيرها ؟

قلنا : التكذيب قد يُطلق فى الأخبار وغيرها ؛ ألا ترى أنهم يقولون : فلان يكذب بكذا إذا كان يعتقد بطلانه ، كما يقولون : يصدق بكذا إذا كان يعتقد صحته ؟ ولو صرفنا التكذيب هاهنا إلى أخبار الله تعالى التى تضمنتها كتبه الواردة على أيدى رسله عليهم السلام

٢٠ جاز ؛ وتكون الآيات هاهنا هى الكتب المنزلة دون سائر المعجزات .

فإن قيل : فما معنى ذمه تعالى لهم بأنهم كانوا عن الآيات غافلين ، والغفلة على مذاهبكم

من فعله ، لأنها السهو أو ما جرى مجراه مما ينافي العلوم الضرورية ، ولا تكليف على الساهي فكيف يُذَمُّ بذلك ؟ .

قلنا: المراد هاهنا بالغفلة التشبيه للاحقيقة ، ووجه التشبيه أنهم لما أعرضوا عن تأمل آيات الله تعالى ، والانتفاع بها أشبهت حال مَنْ كان ساهيا غافلاً عنها ، فأطلق عليهم هذا القول كما قال تعالى : ﴿ صُمُّ بُكْمٌ عُمْى ﴾ ؛ [البقرة : ١٨] ، على هذا المعنى ، وكما يقول ٥ أحدنا لمن يستبطئه ويصفه بالإعراض عن التأمل والتبشُّر : أنت ميت وراقد ، ولا تسمع ، ولا تبصر ، وما أشبه ذلك ، وكل هذا واضح بحمد الله .

مكتبة
الدكتور رزاق العطيّة



تَأْوِيلُ خَبَرِ

إن سأل سائل عن الخبر المروي عن عبد الله بن عمر أنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول : « إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ ، يَصْرَفُ فِيهَا كَيْفَ شَاءَ » ^(١) ثم يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله عند ذلك : « اللَّهُمَّ مَصْرِفَ الْقُلُوبِ ، صَرِّفْ ^(٢) قُلُوبَنَا إِلَى طَاعَتِكَ » . وعما يرويه أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « مَا مِنْ قَلْبٍ آدَمَى إِلَّا وَهُوَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَإِذَا شَاءَ أَنْ يُثَبِّتَهُ ثَبَّتَهُ ، وَإِنْ شَاءَ أَنْ يَقْلِبَهُ قَلَبَهُ » . وعما يرويه ابنُ حَوْشَبٍ قال : قيل ^(٣) لَأُمِّ سَامَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : مَا كَانَ أَكْثَرُ دَعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ؟ قَالَتْ : كَانَ أَكْثَرَ دَعَائِهِ : « يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ » ، قَالَتْ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا أَكْثَرَ دَعَائِكَ ^(٤) ؟ « يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ » ! فَقَالَ : « يَا أُمَّ سَامَةَ ، لَيْسَ مِنْ آدَمَى إِلَّا وَقْلِبَهُ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ ، مَا شَاءَ أَقَامَ ، وَمَا شَاءَ أَزَاغَ » .

[١٠٦] فقال : مَا تَأْوِيلُ / هذه الأخبار على ما يطابق التوحيد وينفي التشبيه ؟ أو ليس من مذهبكم أن الأخبار التي يخالف ظاهرها الأصول ، ولا تطابق العقول لا يجب ردُّها ، والقطع على كذب رِوَايَتِهَا ^(٥) إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَكُونَ لَهَا فِي اللَّغَةِ مَخْرَجٌ وَلَا تَأْوِيلٌ ؟ وَإِنْ كَانَ لَهَا ذَلِكَ فَبِاسْتِكْرَاهٍ أَوْ تَمْشُفٍ ، وَلَسْتُمْ مِمَّنْ يَقُولُ ذَلِكَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَخْبَارِ ، فَمَا تَأْوِيلُهَا ؟ .

١٥ الجواب ، إِنَّ الَّذِي يَعْمَلُ عَلَيْهِ مَنْ تَكَلَّمَ فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الْأَخْبَارِ هُوَ أَنْ يَقُولَ : إِنَّ الْإِصْبَعَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ وَإِنْ كَانَتْ الْجَارِحَةُ الْخُصُوصَةُ فَهِيَ أَيْضًا الْأَثَرُ الْحَسَنُ ؛ يَقَالُ : لِفُلَانٍ عَلَى مَالِهِ وَإِبْلُهُ إِصْبَعٌ حَسَنَةٌ ؛ أَيْ قِيَامٌ وَأَثَرٌ حَسَنٌ ؛ قَالَ الرَّاعِي يَصِفُ رَاعِيًا حَسَنَ الْقِيَامِ عَلَى إِبْلِهِ :

(١) ف ، حاشية ت (من نسخة) : « يشاء » . (٢) ت ، ف ، حاشية الأصل (من نسخة) « اصرف » . (٣) ت ، ف : « قلت لأُمِّ سَامَةَ » . (٤) ت ، د ، ف : « أَكْثَرَ دَعَائِكَ » . (٥) ج ، ش : « كذب راويها » ، ت ، ف « كذبها » .

ضَعِيفُ الْعَصَا بِإِدْيِ الْعُرُوقِ تَرَى لَهُ
وَقَالَ طَفِيلُ الْغَنَوَى يَصِفُ فَحْلًا :

كَمِيتٌ كَرُّ كُنِّ الْبَابِ أَخِيَا بَنَانِهِ
وَقَالَ لَبِيدُ بْنُ رَيْمَةَ :

مَنْ يَنْسُطِ اللَّهُ عَلَيْهِ إَصْبَعًا^(١) بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ بَأْيٍ أُولَعَا
يَمْلَأُ لَهُ مِنْهُ ذُنُوبًا مُتَرَعَا

وَقَالَ حُمَيْدُ بْنُ ثَوْرٍ :

أَغْرُ كُلُّونِ الْبَدْرِ فِي كُلِّ مَنْكِبٍ
وَقَالَ آخَرُ :

وَأَرْزَنَاتٍ لَيْسَ فِيهِنَّ أَبْنُ
وَقَالَ آخَرُ :

أَكْرِمُ نِزَارًا وَاسْتَعْمَا
حَدًّا وَجُودًا وَنَدَى وَإِصْبَعًا^(٢)

وَالْإِصْبَعُ فِي كُلِّ مَا أوردناه المراد بها الأثرُ الحسن والتَّعَمَّةُ ، فيكون المعنى : ما من
أَدْمَى إِلَّا وَقَبْهَ بَيْنَ نِعْمَتَيْنِ لِلَّهِ جَلِيلَتَيْنِ حَسَنَتَيْنِ .

فَإِنْ قِيلَ : هَذَا قَدْ ذُكِرَ كَمَا حَكَيْتُمْ ؛ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَفْصَلْ : مَا النِّعْمَتَانِ ؟ وَمَا وَجْهُ التَّنْثِيَةِ
هَاهُنَا وَنِعَمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ كَثِيرَةٌ لَا تَحْصَى ؟

(١) الْبَيْتُ فِي اللَّاتِي ٥٠ ، ٧٦٤ ، وَالْأَسَانُ (عَصَا) ؛ وَضَعِيفُ الْعَصَا كِتَابَةٌ عَنِ الرَّفْقِ بِمَارِعَاهُ ،
وَالْعَرَبُ تَعِيبُ الرَّعَاءَ بِضَرْبِ الْإِبِلِ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ عَنَفٌ بِهَا وَقَلَّةٌ رَفْقٌ . (٢) دِيوَانُهُ ٥٢ ، وَفِي حَاشِيَةِ ت
(مِنْ نَسْخَةٍ) : « وَاسْتَعْمَشْتَهُنَّ » ، وَفِي حَوَاشِي الْأَصْلِ ، ت ، ف أَيْضًا : « الْحَمَشُ : الْجَمْعُ ، وَقَدْ
حَمَشَ [بَفَتْحَيْنِ] ؛ فَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ « اسْتَعْمَشَ » فِي الْبَيْتِ مِنْ هَذَا ، وَاسْتَعْمَشَ ، أَيْ غَضِبَ ، غَيْرَ
مُتَعَدٍّ » وَفِي حَاشِيَةِ الْأَصْلِ أَيْضًا : « اسْتَعْمَشْتَهُنَّ : أَصْلَحْتَهُنَّ ؛ مِنْ قَوْلِهِمْ : حَمَشْتَ الدَّابَّةَ إِذَا صَلَحَتْ ؛
عَنِ النَّضْرِ بْنِ شَيْمِلٍ » . (٣) دِيوَانُهُ ٨٠٢ . (٤) حَاشِيَةُ ف : « قَوْلُهُ : « حَدًّا » ، قِيلَ
بِهِ أَرَادَ الْبَأْسَ ، وَقِيلَ : الْمَنْعُ » ، وَفِي حَاشِيَةِ الْأَصْلِ (مِنْ نَسْخَةٍ) : « جَدًّا » .

[١٠٦] قلنا : يحتمل أن يكون الوجه في ذلك نِعَم الدنيا ونِعَم الآخرة ، وثناهما لأنهما كالجنسين أو كالتنوعين ، وإن كان كل قبيل منهما في نفسه ذا عدد كثير ؛ لأن الله تعالى قد أنعم على عباده بأن عرفهم بأدلتهم وبراهينهم ما أنعم به عليهم ، من نعم الدنيا والآخرة ، وعرفهم ما لهم في الاعتراف بذلك والشكر عليه والثناء به من الثواب الجزيل ، والبقاء في النعيم الطويل .

ويمكن أن يكون الوجه في تسميتهم للأثر الحسن بالإصبع هو من حيث يشار إليه بالإصبع إعجاباً به ، وتنبيهاً عليه ؛ وهذه عاداتهم في تسمية الشيء بما يقع عنده ، وبما له به عُقْلَةٌ ، وقد قال قوم في بيتي طُفِيلٍ والراعي : إنهما أرادوا أن يقولوا «يداً» في مكان «إصبع» ؛ لأن اليد النعمة ، فلم يمكنهما ، فعدلا عن اليد إلى الإصبع ، لأنها من اليد .

١٠ وفي الإصبع الجارحة ثمان لغات : أَصْبَع بفتح الألف والباء ، وَأَصْبَع بفتح الألف وكسر الباء ، وَأَصْبَع بضم الألف والباء ، وَأَصْبَع بضم الألف وفتح الباء ، وَأَصْبوع بضم الألف مع الواو ، وإِصْبَع بكسر الألف والباء ، وإِصْبَع بكسر الألف وفتح الباء ، وإِصْبَع بكسر الألف وضم الباء .

وفي هذه الأخبار وجه آخر ؛ هو أوضح مما ذكر ، وأشبهُ بمذاهب العرب في ملاحن كلامها ، وتصرُّف كناياتها ؛ وهو أن يكون المعنى في ذكر الأصابع الإخبار عن تيسر تصرف القلوب وتقليبها ، والفعل فيها عليه جَلَّتْ عظمتها ، ودخول ذلك تحت قدرته . ألا ترى أنهم يقولون : هذا الشيء في خِنَصَرِي وإِصْبَعِي ، وفي يدي وقَبْضَتِي ؛ كل ذلك إذا أرادوا تسهله وتيسره وارتفاع المشقة فيه ، والمؤنة^(١) .

وعلى هذا المعنى يتأولُ المحققون قوله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ ، [الزمر : ٦٨] ؛ فكانه صلى الله عليه وآله لما أراد المبالغة

في وصفه بالقدرة على قلب القلوب وتصريفها بغير مشقة ولا كلفة - وإن كان غيره تعالى يعجز عن ذلك ، ولا يَتَمَكَّنُ منه - قال : إنها بين أصابعه ؛ كناية عن هذا المعنى ، واختصاراً للفظ الطويل ، وجرياً على مذهب العرب في إخبارهم عن مثل هذا المعنى بمثل هذا اللفظ ؛ وهذا الوجه يجب أن يكون مقدماً على الوجه الأول ومعمداً ؛ لأنه واضح جلي .

ويمكن أن يكون في الخبر وجه آخر على تسليم ما يقترحه المخالفون ، / من أن [١٠٧] الإصبعين هما المخلوقتان من اللحم والدم ؛ استظهاراً في الحجة ، وإقامة لها على كل وجه : وهو أنه لا ينكر أن يكون القلب يشتمل عليه جسمان على شكل الإصبعين ، يحركه الله تعالى بهما ، ويقال بهما بالفعل فيهما ؛ ويكون وجه تسميتهما بالأصابع من حيث كانا^(١) على شكلهما . والوجه في إضافتهما إلى الله تعالى - وإن كانت جميع أفعاله تُضاف إليه بمعنى الملك والقدرة - أنه^(٢) لا يقدر على الفعل فيهما وتحريكهما منفردين عما^(٣) جاورها غيره . تعالى ؛ فقل إنهما إصبعان له ؛ من حيث اختص بالفعل فيهما على هذا الوجه ؛ لأن غيره إنما يقدر على تحريك القلب ، وما هو مجاوز للقلب من الأعضاء بتحريك جملة الجسم ، ولا يقدر على تحريكه وتصريفه منفرداً مما يجاوره غيره تعالى ؛ فمن أين للمبطلين المتأولين هذه الأخبار بأهوائهم وضعف آرائهم أن الأصابع هاهنا إذا كانت لحماً ودماً فهي جوارح لله تعالى ! وما هذا الوجه الذي ذكرناه ببعيد ؛ وعلى التأول أن يورد كل ما يحتمله الكلام ؛ ١٥ مما لا تدفعه حجة ، وإن ترتب بعضه على بعض في القوة والوضوح .

ونحن نعود إلى تفسير ما لعله أن يشتهيه من الأبيات التي استشهدنا بها .
أما قوله :

* حَدًّا^(٤) وَجُوداً وَنَدَى وَإِصْبَعاً *

٢٠ فمعنى الحد : المضاء والنفاذ .

(١) ت : « من حيث كانتا » . (٢) ت : « فإنه » . (٣) ف ، حاشية (من نسخة) : « مما » .

(٤) حاشية ت (من نسخة) : « جدا » .

وقول الآخر :

* وَأَرْزَنَاتٍ لَيْسَ فِيهِنَّ أُبْنٌ *

فالأَرْزَنَاتُ المعصيّ ، والأُبْنُ المُعَدِّ .

فأما قول حميد بن ثور : « في كل مَنْكِبٍ من الناس » ، فالمَنْكِبُ : الجماعة ، والمَنْكِبُ :

٥ الناحية .

وأما معنى أبيات^(١) لبليد، فإنه أراد : مَنْ يَسْقِي اللهُ إِلَيْهِ خَيْرًا ، أو يَصْرِفُ عَنْهُ شَرًّا
يُهِمَا فَعَلَ ذَلِكَ بِهِ أَسْبَغَ لَهُ حَتَّى يَنْتَهَى مِنْهَا .

فأما بيت طُفَيْلِ الْغَنَوِيِّ ، فمعناه أَنْ هَذَا الْفَحْلَ الَّذِي وَصَفَهُ بِأَنَّهُ كُمَيْتٌ ، وَأَنَّهُ
كَرُّ كُنَّ الْبَابِ لِمَا وَشَدَّتْهُ لَمَّا ضَرَبَ فِي الْإِبِلِ الَّتِي وَصَفَهَا عَاشَتْ أَوْلَادُهَا الَّتِي هِيَ بَنَاتُهُ
١٠ بعد أَنْ كُنَّ مَقَالِيَتَ ، والمَقَالِيَتُ : الَّتِي لَا يَعِيشُ لَهَا وَلَدٌ ، فَكَانَ هَذَا مِنْهُ أَثَرًا جَمِيلًا عَلَيْهَا .

فأما بيت الراعي فمعنى قوله : « ضَعِيفَ الْعَصَا » يريد أَنَّهُ قَلِيلُ الضَّرْبِ لَهَا ؛ إِمَّا لِأَنَّهَا
لَا يُحْوَجُّهَا سَدَادًا وَنَادِبًا ، أَوْ لِشَفَقَتِهِ عَلَيْهَا ؛ وَهَذِهِ كُنَايَةٌ فِي نَهَايَةِ الْحُسْنِ ، وَاخْتِصَارٌ
[١٠٧] شَدِيدٌ ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ضَعِيفَ الْعَصَا عَلَى الْحَقِيقَةِ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى اسْتِمَالِهَا / ط

فِي الضَّرْبِ ، فَيَخْتَارُهَا قَوِيَّةً ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَذَفٌ ، وَأَرَادَ ضَعِيفَ فِعْلِ الْعَصَا .
١٥ وَقَوْلُهُ : « بَادَى الْعُرُوقَ » يَعْنِي عُرُوقَ رِجْلِهِ لِفَسَادِهَا مِنَ السَّمِيِّ فِي أَثَرِ هَذِهِ الْإِبِلِ . وَأَرَادَ
« بِالْإِصْبَعِ » أَنَّ لَهُ عَلَيْهَا فِي جَدْبِ النَّاسِ أَثَرًا جَمِيلًا لِحُسْنِ قِيَامِهِ وَتَعَمُّدِهِ .

وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ إِنَّمَا سُمِّيَ الرَّاعِي لِبَيْتِ قَالَهُ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ بَعْدَ بَيْتَيْنِ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي
أَنشَدْنَاهُ ، وَهُوَ :

لَهَا أَمْرُهَا حَتَّى إِذَا مَا تَبَوَّاتِ بِأَخْفَافِهَا مَأْوِيَّ تَبَوَّاءَ مَضْجَعًا^(٢)

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « بيت لبليد » . (٢) اللاك : ٧٦٤ ؛ والرواية هناك :

« لِأَخْفَافِهَا » .

وهذا قول الأصمعي . وقال الشَّكْرِيُّ : سُمِّيَ بذلك لقوله في هذه القصيدة أيضا :
هَدَانُ أَخُو وَطْبٍ وَصَاحِبُ عُلبَةٍ يَرَى الْمَجْدَ أَنْ يَلْقَى خَلَاءَ وَمَرْتَعَاً^(١)

وروى عن بعض بني نُمَيْرٍ أَنَّهُ قَالَ : إِنَّمَا سُمِّيَ بذلك لقوله :

بُنَيْتُ مَرَاتِفُهُنَّ فَوْقَ مَزَلَّةٍ لَا يَسْتَطِيعُ بِهَا الْقُرْأُ مَقِيلًا^(٢)

فقال بعض بني نُمَيْرٍ لَمَّا سَمِعَ هَذَا الْبَيْتَ : وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا رَاعِي إِبِلٍ ، فَبَقِيَتْ عَلَيْهِ . ه
وقال محمد بن سلام : ” إِنَّمَا^(٣) سُمِّيَ الرَّاعِي لِكثْرَةِ وَصْفِهِ الْإِبِلَ وَحَسَنِ نَعْتِهِ لَهَا “ ؛ وَاسْمُهُ عُبَيْدُ
ابْنُ حُصَيْنٍ بْنُ جَنْدَلٍ ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو جَنْدَلٍ ، وَقِيلَ أَبُو نُوحٍ .



(١) الهدان : الأحق القليل ، والعلبة : حلب من جلد . (٢) جهرة الأشعار : ٣٥٣ ،
واللسان (زل) ، والمزلة : موضع الزل والانزلاق . (٣) طبقات الشعراء : ٢٥٠ .

مَجْلِسُ آخِرِ

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ ؛
[المائدة : ١١٦] .

فَقَالَ : مَا الْمُرَادُ بِالنَّفْسِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ؟ وَهَلِ الْمَعْنَى فِيهَا كَالْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ ؛ [آل عمران : ٢٨] أَوْ يَخَالِفُهُ ؟ وَهَلْ يَطَابِقُ مَعْنَى الْآيَتَيْنِ وَالْمُرَادُ بِالنَّفْسِ فِيهِمَا ؟
• مَا رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « إِذَا أَحَبَّ الْعَبْدُ لِقَائِي أَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ ، وَإِذَا ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِذَا ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُ ، وَإِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَيْئًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا » ، أَوْ لَا يَطَابِقُهُ ؟

الْجَوَابُ ، قَالْنَا : النَّفْسُ فِي اللُّغَةِ لَهَا مَعَانٍ مُخْتَلِفَةٌ ، وَوُجُوهٌ فِي التَّصَرُّفِ مُتَبَايِنَةٌ ؛
١٠ فَالنَّفْسُ نَفْسُ الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْحَيَوَانِ ، وَهِيَ الَّتِي إِذَا فَقَدَهَا خَرَجَ عَنْ كَوْنِهِ حَيًّا ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ ؛ [آل عمران : ١٨٥] .

[١٠٨] وَالنَّفْسُ ذَاتُ الشَّيْءِ الَّذِي يُخْبِرُ / عَنْهُ كَقَوْلِهِمْ : فَعَلَ ذَلِكَ فَلَانُ نَفْسُهُ ؛ إِذَا تَوَلَّى فِعْلَهُ .
وَالنَّفْسُ : الْأَنْفَقَةُ ، مِنْ قَوْلِهِمْ لَيْسَ لِفُلَانٍ نَفْسٌ ، أَيْ لَا أَنْفَقَةٌ لَهُ .

وَالنَّفْسُ الْإِرَادَةُ ، مِنْ قَوْلِهِمْ نَفْسُ فَلَانٍ فِي كَذَا ، أَيْ إِرَادَتُهُ ؛ قَالَ الشَّاعِرُ :
فَنَفْسَايَ نَفْسٌ قَالَتْ آيَتِ ابْنِ بَجْدَلٍ تَجِدُ فَرَجًا مِنْ كُلِّ غُمٍّ تَهَابُهَا ^(١)
وَنَفْسٌ تَقُولُ أَجْهَدُ نَجَاءَكَ لَا تَكُنْ نَخَاضِيَةً لَمْ يُغْنِ شَيْئًا خِضَابُهَا ^(٢)

(١) الْبَيْتَانِ فِي اللِّسَانِ (نَفْسٌ) . . (٢) ت : « عَنْهَا خِضَابُهَا » ، وَمِنْ نَسْخَةِ بِحَاشِيَتِي الْأَصْلِ ،
ف : « لَمْ يُغْنِ يَوْمًا » .

ومنه أن رجلاً قال للحسن: يا أبا سعيد ، لم أحجج قط ، فنفس تقول لي: حج ، ونفس تقول لي: تزوج ، فقال الحسن: إنما النفس واحدة ، ولكن لك هم يقول حج ، وهم يقول: تزوج ، وأمره بالحج .

وقال المزيق^(١) العبدى - وتروى لمقر بن حمار البارق :

• ألا من لعين قد نأها حميمها وأرقني بعد المنام همومها
فباتت لها نفسان شتى همومها فنفس تعزيها ونفس تلومها

وقال النمر بن تولب العكلى :

أما خليلي فإني لست مُعجِلُهُ حتى يؤامرَ نفسه كما زعمَا
نفس له من نفوس القوم صالحة تعطى الجزيلَ ونفس ترضع الغنما^(٢)

أراد أنه بين نفسين : نفس تأمره بالجلود ، وأخرى تأمره بالبخل ، وكنتى برضاع الغنم ١٠
عن البخل ، لأن اللثيم يرضع اللبن من الشاة ولا يحلبها ؛ لئلا يسمع الضيف صوت الشخب
فيهدى إليه ، ومنه قيل : لثيم راضع ؛ وقال كثير :

فأصبحت ذا نفسين نفس مريضة من اليأس ما ينقث هم يؤودها^(٣)
ونفس ترجى وصلها بعد صرمها تجمل كي يزاد غيظاً حسودها

والنفس العين التي تصيب الإنسان ، يقال : أصابت فلاناً نفس ، أى عين . ورؤى ١٥

(١) حواشى الأصل ، ت ، ف : « المزيق ، بكسر الزاى وفتحها ، كلاهما جائز ؛ الكسر لأنه أتى بذكر التزيق فى شعره ، والمزيق بالفتح ؛ لأنه قال : « لما أزيق » ، وقال أبو القاسم الأمدى : المزيق ، بفتح الزاى هو شأس بن نهار المبدى ، الذى قال : « ولما أزيق » ، والمزيق ، بكسرها هو المزيق الحضرمى ، متأخر ، وولده المزيق بن المزيق ، ذكره فى المختلف والمؤتلف .

وانظر ص ١٨٥-١٨٦ ؛ والبيت الذى يشير إليه هو بتمامه :

فإن كنت مأكولاً فكن خيراً آكل وإلا فأدركني ولماً أزيق

من قصيدة يخاطب فيها عمرو بن المنذر بن عمرو بن النعمان ، وكان هم يغزو عبد القيس .

(٢) البيتان فى الأغاني ١٩ : ١٦١ . (٣) ديوانه ١ : ٧٥ .

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ يَرْقِي فَيَقُولُ : « بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ ، وَاللَّهُ يَشْفِيكَ ،
 مِنْ كُلِّ دَاءٍ هُوَ فِيكَ ؛ مِنْ عَيْنٍ عَائِنٍ ، وَنَفْسٍ نَافِسٍ ، وَحَسَدٍ حَاسِدٍ » .

[١٠٨] وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : النَّفْسُ الَّتِي يُصِيبُ النَّاسَ بِالْعَيْنِ / . وَذَكَرَ رَجُلًا فَقَالَ : كَانَ
 وَاللَّهُ حَسُودًا نَفُوسًا كَذُوبًا . وَقَالَ عُبيدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ الرُّقَيَّاتِ (١) :

يَتَقَى أَهْلُهَا النَّفُوسَ عَلَيْهَا فَعَلِيَ نَحْرُهَا الرُّقَى وَالتَّمِيمُ

وَقَالَ مُضَرَّسُ بْنُ رَبِيعٍ الْفَقْعَسِيُّ :

وَإِذَا تَمَوْا ضَعُودًا فَلَيْسَ عَلَيْهِمْ مِنْهَا الْخَبَالُ وَلَا نَفُوسُ الْحُسَدِ (٢)

وَقَالَ ابْنُ هَرْمَةَ يَمْدَحُ عَبْدَ الْوَاحِدِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ :

فَاسْلَمْ سَلِمَتْ مِنَ الْمَكَارِهِ وَالرَّدَى وَعِثَارِهَا وَوُزَيْتِ نَفْسِ الْحُسَدِ

وَالنَّفْسُ أَيْضًا مِنَ الدِّبَاغِ بِمَقْدَارِ الدَّبْنَةِ ؛ تَقُولُ : أُعْطِنِي نَفْسًا مِنْ دِبَاغٍ ، أَيْ قَدَرٍ
 مَا أُدْبِغُ بِهِ مَرَّةً .

وَالنَّفْسُ الْغَيْبُ ، يَقُولُ الْقَائِلُ : إِنِّي لَا أَعْلَمُ نَفْسَ فُلَانٍ ، أَيْ غَيْبَهُ ؛ وَعَلَى هَذَا تَأْوِيلُ
 قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ ، أَيْ تَعْلَمُ غَيْبِي وَمَا عِنْدِي ،
 وَلَا أَعْلَمُ غَيْبَكَ .

وَقِيلَ : إِنَّ النَّفْسَ أَيْضًا الْعُقُوبَةَ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : أَحْذَرُكَ نَفْسِي ؛ أَيْ عِقُوبَتِي ؛ وَبَعْضُ
 الْمَفْسَّرِينَ كَمَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى ؛ كَيَأْنِهِ يُحَذِّرُكُمْ عِقُوبَتِهِ .
 وَرَوَى ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنِ وَآخَرُونَ ؛ قَالُوا : مَعْنَى الْآيَةِ وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ إِيَّاهُ . وَقَدْ
 رَوَى عَنِ الْحَسَنِ وَمُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾
 مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ التَّأْوِيلِ بِعَيْنِهِ .

(١) فِي حَاشِيَةِ الْأَصْلِ ، ف : « قِيلَ لَهُ ابْنُ قَيْسٍ الرُّقَيَّاتِ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يُشَبِّبُ بِجَمَاعَةٍ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ
 اسْمَهَا رُقِيَّةٌ ؛ وَقِيلَ : كَانَتْ لَهُ جَدَاتٌ ؛ اسْمُ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ رُقِيَّةٌ » .
 (٢) حَوَاشِي الْأَصْلِ ، ت ، ف : « يُقَالُ هَذَا ثَبَاتٌ يَنْعَمُ صَعْدًا ؛ أَيْ يَزْدَادُ طَوْلًا » .

فإن قيل : ما وجهُ تسمية الغيب بأنه نفس ؟ قلنا : لا يمتنع أن يكون الوجه في ذلك أن نفس الإنسان لما كانت خفيّة الموضع نُزِّلَ ما يكتمه ويجهّد في ستره منزلتها ، وسمّي باسمها ، فقليل فيه إنه نفسه ، مبالغةً في وصفه بالسكّان والخفاء ؛ وإنما حَسُنَ أن يقول تعالى مخبراً عن نبيه: ﴿ وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ من حيث تقدم قوله : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي ﴾ ؛ ليزدوج الكلام ، ولهذا لا يحسن ابتداءً أن يقول : أنا لا أعلم ما في نفس الله تعالى ، وإن حَسُنَ على الوجه الأول ؛ ولهذا نظائر في الاستعمال مشهورة مذكورة .

فأما الخبر الذي ذكره السائل فتأويله ظاهر ، وهو خارج على مذهبٍ للعرب في مثل هذا الباب معروف ؛ ومعناه أن مَنْ ذَكَرْنِي في نفسه جازيته على ذكره لي ، وإذا تقرّب إلى شبرا جازيته على تقرّبه إليّ ؛ وكذلك الخبر إلى آخره ، / فسمّي المجازاة على الشيء باسمه [١٠٩] اتساعاً ، كما قال تعالى : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ ، [الشورى : ٤٠] ؛ ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ﴾ ؛ [الأنفال : ٤٠] ، ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ ، [البقرة : ١٥] ؛ وكما قال الشاعر^(١) :

أَلَا لَا يَجْهَلَنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَجَهْلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا

ونظائر هذا كثيرة في كلام العرب . ولما أراد تعالى المبالغة في وصف ما يفعله به من الثواب والمجازاة على تقرّبه بالكثرة والزيادة ؛ كُنِيَ عن ذلك بذكر المسافة المتضاعفة فقال : « باعاً ١٥ وذراعاً » ، إشارة إلى المعنى من أبلغ الوجوه وأحسنها .

مَجْلِسُ آخِرٍ تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل فقال: ما تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ، وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ، وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ، وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا﴾؛ [الأحزاب: ١٠].

وكيف يجوز أن تبلغ القلوب الحناجر مع كونهم أحياء ، ومعلوم أن القلب إذا زال
• عن موضعه المخلوق فيه مات صاحبه ؟ وعن أى شيء زاغت الأبصار ؟ وبأى شيء تعامت
ظنونهم بالله تعالى ؟ .

الجواب ، قيل له في هذه الآية وجوه :

منها أن يكون المراد بذلك أنهم جبنوا وفزع أكثرهم لما أشرف المشركون عليهم ،
وخافوا من بوائقهم وبوادهم ، ومن شأن الجبان عند العرب إذا اشتد خوفه أن تنتفخ رثته ،
ولهذا يقولون للجبان : انتفخ سحره ، أى رثته ، وليس يمتنع أن تكون الرثة إذا انتفخت
١٠ رفعت القلب ، ونهضت به إلى نحو الحنجرة . وهذا التأويل قد ذكره الفراء وغيره ، ورواه
الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس .

ومنها أن القلوب توصف بالوجيب والاضطراب في أحوال الجزع والهلع ؛ قال الشاعر:

كَأَنَّ قُلُوبَ أَدِلَّيْهَا مُعَاثِمَةُ بَقْرُونَ الطَّبَّاءِ (١)

(١) الأدلاء : جمع دليل ؛ والبيت في وصف فلاة مخيفة ، ذكره ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث
ص ٨٨ ، ونسبه إلى المرار ، وقال في شرحه : « يريد أن القلوب تنزوي وتجب ؛ فكأنها معلقة بقرون
الطباء ؛ لأن الأطباء لا تستقر ؛ وما كان على قرونها فهو كذلك » .

وقال امرؤ القيس :

وَلَا مِثْلَ يَوْمٍ فِي قُدَارَانَ ظَلَّمْتُهُ كَأَنِّي وَأَصْحَابِي عَلَى قَرْنٍ أَغْفَرَا^(١)

ويروى : « في قُدَارَ ظَلَّمْتُهُ »؛ أراد المبالغة في وصف نفسه وأصحابه بالقلق والاضطراب ومفارقة/الشُّكُون والاستقرار ؛ وإنما خصَّ الظَّيَّ ؛ لأنَّ قرنه أكثرُ تحركاً واضطراباً ؛ [١٠٩] ظ
لنشاطه ومَرَّحه وسُرْعته .

وقد قال بعض الناس : إن امرأ القيس لم يصف شدةً أصابته في هذا البيت فيليق قوله :
« على قرنٍ أغفرا » بالتأويل المذكور؛ بل وصف أماً كنَّ كان فيها مسروراً متنعماً؛ ألا ترى إلى
قوله قبل هذا البيت بلا فصل :

أَلَا رُبَّ يَوْمٍ صَالِحٍ قَدْ شَهِدْتُهُ بِتَذَفِ ذَاتِ التَّلِّ مِنْ فَوْقِ طَرَطَرَا^(٢)

فيكون معنى قوله : « على قرنٍ أغفرا » على هذا الوجه أنه كان على مكان عال مُشرف؛ ١٠
شبهه لارتفاعه وطوله بقرن الظبي ؛ وهذا القول لابن الأعرابي والأول^(٣) للأصمعي ؛ فأما
قول الآخر :

أَلَا قَلَّ خَيْرُ الشَّامِ^(٤) كَيْفَ تَغَيَّرَا فَأَصْبَحَ يَرْمِي النَّاسَ عَنْ قَرْنٍ أَغْفَرَا

فلا يحتمل إلاَّ الشدة والحال المذمومة ، ويجوز أن يريد أن الناس فيه غير مطمئنين بل
هم منزعجون قلقون ؛ كأنهم على قرن ظبي ، ويحتمل أنه يريد أن يطعنهم بقرن ظبي ، كقولك : ١٥
رماه بداهية ، ويكون معنى « عن » هاهنا معنى الباء ، فقال : « عَنْ قَرْنٍ أَغْفَرَا » وهو
يريد بقرنٍ أغفرا ، وقد ذكر في هذا البيت الوجهان معاً ، فيكون معنى الآية على هذا التأويل
أن القلوب لما اتصل وجيئها واضطرابها بلغت الحناجر لشدة القلق .

(١) ديوانه : ١٠٦ . قداران : قرية بالشام ؛ وأغفر ؛ أراد قرن ظبي أغفر . وفي حواشي الأصل ،
ت ، ف : « في نسخة الوزير الكامل أبي القاسم المغربي رحمه الله : « قداران » ، بالذال المعجمة وفتح
القاف ، وضب عليه . » (٢) في حاشية ت : « طرطر : قرية بالشام بمنجج ، ولها نهر يقال له نهر
طرطر . » وفي شرح الديوان : ناذف وطرطر : موضعان فيهما أوقع بعده .
(٣) حاشية ت (من نسخة) : « والآخر . » (٤) ت ، ف : « الشان . »

ومنها أن يكون المعنى: كادت القلوب من شدة الرعب والخوف تبلغ الحناجر، وإن لم تبلغ في الحقيقة، فالنبي ذكر «كادت» لوضوح الأمر فيها، ولفظة «كادت» هاهنا للمقاربة؛ مثل قول قيس بن الخطيم:

أَتَعْرِفُ رَسْمًا كَاطِرًا المَذاهِبِ لَعَمْرََةٍ وَخَشًا غَيْرَ مَوْقِفٍ رَاكِبٍ^(١)
 دِيَارَ الَّتِي كَادَتْ وَنَحْنُ عَلَى مِئَتِي تَحُلُّ بِنَا لَوْلَا نَجَاءُ الرَّكَّابِ
 معناه: قاربت أن تحل بنا، وإن لم تحل في الحقيقة.

وقوله: «غير موقف راكب» فيه وجهان: أحدهما أنه ليس بموضع يقف فيه راكب لخلوّه من الناس ووحشته، والآخر أن يكون أراد أنه وخش؛ إلا أن راكباً واقف به؛ يعني نفسه.

وقال نصيب:

[١١٠] / وَقَدْ كِدْتُ يَوْمَ الْحَزَنِ لِمَا تَرَنْتُ
 أَمُوتَ لِمَبْكَاهَا أَسَى إِنْ لَوْعَتِي^(٢)
 هَتُوفُ الضُّحَى مَحْزُونَةٌ بِالْتَرْتَمِ
 وَوَجْدِي بِسُعْدَى شَجْوُهُ غَيْرُ مُنْجِمٍ^(٣)
 معنى المنجم: المقلع.

وقال ذو الرمة:

وَقَفْتُ عَلَى رَبْعٍ لِمَيَّةٍ نَاقَتِي
 وَأُسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أَبْتَنُهُ^(٤)
 فَازِلْتُ أَبْكِي عِنْدَهُ وَأُخَاطِبُهُ^(٥)
 نَكَلَّمَنِي أَحْجَارُهُ وَمَلَاعِبُهُ

(١) ديوانه: ١٠٠، والرسم: ماشخص من آثار الديار بعد البلى، والمذاهب: جمع مذهب؛ وهي جلود تجعل فيها خطوط فيرى بعضها في أثر بعض، وأطرادها: تتابعها.

(٢) ف، حاشية ت (من نسخة): «لوعتي». (٣) في حواشي الأصل، ت، ف:

«في ديوانه:

* وَوَجْدِي بِسُعْدَى قَاتِلٌ لِي فَاعْلَمِي *

وبعده:

وَلَوْ قَبْلَ مَبْكَاهَا بَكَيْتُ صَبَابَةً
 لَكِنْ بَكَتْ قَبْلِي فَهَيَّجَ لِي الْبُكَاءُ
 بِسُعْدَى شَفَيْتُ النَّفْسَ قَبْلَ التَّنَدُّمِ
 بُكَاهَا، فَقُلْتُ: الْفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ

(٤) ديوانه: ٣٥. (٥) في حواشي الأصل، ت، ف: «يقال بئنه السر وأبئنه».

وكل هذا معنى « كاد » فيه المقاربة.

ومتى أدخلت العرب على « كاد » جعداً، فقالوا: ما كاد عبد الله يقوم، ولم يكّد عبد الله يقوم؛ كان فيه وجهان:

أجودها: قام عبد الله بعد إبطاء ولأى، ومثله قوله تعالى: ﴿ فَذَبِّحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [البقرة: ٧١]، أى ذبحوها بعد إبطاء وتأخير، لأنّ وجدان البقرة عسر عليهم. ٥
وروى أنهم أصابوها ليتيم لا مال له غيرها، فاشتروها من وليه بملء جلدتها ذهباً، فقال تعالى: ﴿ وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾، إما لأنهم لم يقفوا عليها، أو لفلائها وكثرة ثمنها.

والوجه الآخر في قولهم: ما يكاد عبد الله يقوم، أى ما يقوم عبد الله، وتكون لفظه يكاد على هذا المعنى مطرحة لا حكم لها، وعلى هذا يحمل أكثر المفسرين قوله تعالى: ﴿ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْدِ يَرَاهَا ﴾، أى لم يرها أصلاً؛ لأنه جل وعز لما قال: ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ [النور: ٤٠]، كأنّ بعض هذه الظلمات يحول بين العين وبين النظر إلى اليد وسائر المناظر؛ ﴿ يَكْدِ ﴾ على هذا التأويل زيدت للتوكيد، والمعنى: إذا أخرج يده لم يرها. وقال قوم: معنى الآية: إذا أخرج يده رآها بعد إبطاء وعسر؛ لتكاثف الظلمة^(١)، وترادف الموانع من الرؤية؛ ﴿ يَكْدِ ﴾ على هذا الجواب ليست بزايدة. ١٥

وقال آخرون: معنى الآية إذا أخرج يده لم يرد أن يراها، لأن الذي شاهده من تكاثف الظلمات أياسه^(٢) من تأمل يده، وقرّر في نفسه أنه لا يدركها ببصره. وحكى عن العرب: أولئك أصحابي الذين أكاد أنزل عليهم، أى أريد أن أنزل عليهم؛ قال الشاعر:
كَادَتْ وَكَدْتُ وَتِلْكَ خَيْرُ إِرَادَةٍ لَوْ عَادَ مِنْ لَهَوِ الصَّبَابَةِ مَا مَضَى^(٣)
/ أى أرادت وأردت، وقال الأفوه الأودى:

[١١٠]
ظ

(١) ف: « الظلمات »، حاشية ت (من نسخة): « الظلم ». (٢) ت، حاشية ف (من نسخة): « آيسه ». (٣) ديوانه: ١٠ (ضمن مجموعة الطرائف). (٣) البيت في اللسان (كيد).

فَإِنْ تَجْمَعُ أَوْتَادُ وَأَعْمِدَةٌ وَسَاكِنُ بَلْعَاؤِ الْأَمْرِ الَّذِي كَادُوا
أَيُّ أَرَادُوا .

وقال بعضهم : معنى قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴾ ؛ [يوسف : ٧٦] ،
أَيُّ أَرَدْنَا لِيُوسُفَ .

٥ وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس : معناه كذلك صنعنا ليوسف .

ومما يشهد لمن جعل لفظة ﴿ يَكْدُ ﴾ زائدة في الآية قول الشاعر :
سَرِيعٌ إِلَى الْهَيْجَاءِ شَاكٍ سِلَاحَهُ فَمَا إِنْ يَكَادُ قِرْنُهُ يَتَنَفَّسُ
أَيُّ فَمَا إِنْ يَتَنَفَّسُ قِرْنُهُ ، و « يَكَادُ » مزيدة للتوكيد ، وقال حسان :
وَتَكَادُ تَكْسَلُ أَنْ تَجِيَّ فِرَاشَهَا فِي جِسْمِ خَرُوبَةٍ وَحُسْنِ قَوَامِ
معناه وتكسل أن تجيئ فراشها ، وقال الآخر :

١٠ وَأَلَّا أَلُومُ النَّفْسَ فِيمَا أَصَابَنِي وَأَلَّا أَكَادُ بِالَّذِي نِلْتُ أَنْجَحُ
أَيُّ لَا أَنْجَحُ بِالَّذِي نِلْتُ ؛ ولو لم يكن الأمر على هذا لم يكن البيت مدحاً .

وروى عبد الصمد بن المعذل بن غيلان عن أبيه عن جدّه غيلان^(١) قال : قدّم علينا
ذوالرّمة الكوفة ، فأنشدنا بالكُنَاسَة - وهو على راحلته - قصيدته الحائية ؛ التي يقول فيها :

١٥ إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَ لَمْ يَكْدُ رَسِيسُ الْهَوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ بَرَحُ^(٢)

فقال له عبد الله بن شبرمة^(٣) : قد برح يا ذا الرّمة ، ففكّر ساعة ثم قال :

إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَ لَمْ أَجْدُ رَسِيسَ الْهَوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ بَرَحُ

قال : فأخبرت أبي بما كان من قول ذي الرّمة واعتراض ابن شبرمة عليه ، فقال :

(١) حاشية ت (من نسخة) : « عيلان » ، وفيها : « وفي نسختين صحيحتين من ديوانه : غيلان »

(٢) ديوانه : ٧٨ . (٣) حواشي الأصل ، ت ، ف : « هو شبرمة بن الطفيل » بكسر الطاء

وسكون الفاء ، الذي يقول :

ويومٍ كظُلِّ الرُّمَحِ قَصَرَ طَوْلُهُ دَمُ الزُّقِّ عَنَّا وَاصْطَفَاقُ الْمَزَاهِرِ

والبيت من أبيات ثلاثة ، ذكرها أبو تمام في الحماسة - بشرح التبريزي ٣ : ٢٣٦ .

أخطأ ذوالرُمة في رجوعه عن قوله الأول ، وأخطأ ابن شبرمة في اعتراضه عليه ؛ هذا كقوله عز وجل : ﴿ إِذَا أُخْرِجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْ رَأَاهَا ﴾ ، أى لم يرها .

فأما قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ ؛ [طه : ١٥] ، فيحتمل أن يكون المعنى : أريدُ أخفيها لى تجزى كل نفس بما تسعى . ويجوز أن تكون زائدة ويكون / المعنى إن الساعة آتية أخفيها لتجزى كل نفس . وقد قيل فيه وجه آخر ؛ وهو [١١١] أن يتم الكلام عند قوله تعالى : ﴿ آتِيَةٌ أَكَادُ ﴾ ، ويكون المعنى : أكاد آتى بها ، ويقع الابتداء بقوله ﴿ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ ﴾ ؛ ومما يشهد لهذا الوجه قول ضاى البرهجمي :
هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكَدْتُ وَلَيْتَنِي تَرَكْتُ عَلَى عُثْمَانَ تَبْكِي حَلَالُهُ (١)
أراد : وكدت أقتله ، فحذف الفعل لبيان معناه .

وروى عن سعيد بن جبیر أنه كان يقرأ : ﴿ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ ، فعنى أخفيها على هذا الوجه .
١٠ أظهرها ؛ قل عبدة بن الطبيب يصف ثورا :

يَخْفَى التُّرَابَ بِأُظْلَافٍ ثَمَانِيَةٍ فِي أَرْبَعٍ مَسْهَنٍ الْأَرْضَ تَحْلِيلُ (٢)
أراد أنه يظهر التراب ويستخرجه بأظلافه ، وقال امرؤ القيس :

فَإِنْ تَدْفِنُوا الدَّاءَ لَا نَخِفْهُ وَإِنْ تَبْعَثُوا الْحَرْبَ لَا نَقْعُدُ (٣)

أى لا نظيره ؛ وقال النابغة :

تَخْفَى بِأُظْلَافِهَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ يُبْسَ الْكَثِيبِ تَدَاعَى التُّرَابُ فَانْهَدَمَا (٤)

(١) الشعر والشعراء : ٣١٠ . (٢) من قصيدة مفضلية ٢٦٨-٢٩٣ بشرح ابن الأنباري .

وفي حاشية الأصل : « يصف شدة عدو الثور ، وأنه يثير الغبار بأظلاف ثمانية وأربع قوائم ؛ مقدار مسهن الأرض تحليل ، أى قول الرجل في يمينه إن شاء الله . » وفي حواشى ، ت ، ف أيضا : « التحليل ضد التحريم ؛ يقال : حللته تحليلا وتحلة ؛ ونقول : لم أفعل ذلك إلا تحلة القسم ؛ أى التقدر الذى لأحدث معه ، ولم أبالغ فيه ؛ ثم توسع فيه ؛ فقليل لى كل شىء لم يبالغ فيه تحليل ؛ يقال : ضربته تحليلا . »

(٣) مختار الشعر الجاهلى : ١٣١ . (٤) البيت ليس في ديوانه ، وفي حاشية ت : « ولا يرى القيس

يصف فرسا أخرج البرابيع من حجرتها بعدوه :

خَفَاهُنَّ مِنْ أَنْفَاقِهِنَّ كَأَنَّمَا خَفَاهُنَّ وَدَقَّ مِنْ سَحَابِ مُرْكَبٍ

وانظر ديوانه ٨٦ .

وقد روى أهل العربية: أخفيتُ الشيء يعني^(١) سترته ، وأخفيته بمعنى أظهرته ، وكأنَّ القراءة بالضم تحتمل الأمرين : الإظهار والستر ، والقراءة بالفتح لا تحتمل غير الإظهار ؛ وإذا كانت بمعنى الإظهار كان الكلام في «كاد» واحتمالها للوجه الثلاثة التي ذكرناها كالسلام فيها إذا كانت بمعنى الستر والتغطية .

٥ فإن قيل : فأى معنى لقوله : إني أسترها لتُجزى كل نفس بما تسعى ، أو أظهرها على الوجهين جميعاً ؟ وأي فائدة في ذلك ؟

قلنا : الوجه في هذا ظاهر ، لأنه تعالى إذا ستر عنا وقت الساعة كانت دواعينا إلى فعل الحسن والتبجح مترددة ، وإذا عرّفنا وقتها بعينه كنّا ملجئين إلى التوبة ، بعد مقارفة الذنوب ونقض ذلك الغرض بالتكليف واستحقاق الثواب به ، فصار ما أريد من المجازاة للمكافئين بسعيهم ، وإيصال ثواب أعمالهم يمنع من اطلاعهم على وقت انقطاع التكليف عنهم .
١٠ فأمّا إذا كانت لفظة ﴿أَخْفِيهَا﴾ بمعنى الإظهار فوجهه أيضاً واضح ؛ لأنه تعالى إنما يقيم القيامة ، ويقطع التكليف ليجازى كلّاً باستحقاقه ، ويوفّى مستحقّ الثواب ثوابه ، ويماقب المسيء باستحقاقه ، فوضح وجه قوله تعالى : ﴿أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ على المعنيين جميعاً .

١٥ قال سيدنا الشريف الأجل المرتضى أطال الله بقاءه : وجدتُ أبا بكر محمد بن القاسم الأنباري يقطع على جواب مَنْ أجاب في قوله : ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ بأن معناه كادت تبلغ الحناجر ، ويقول : «كاد» لا تضمر ، ولا بدّ من أن يكون منطوقاً بها ، ولو جاز ضميرها لجاز : قام عبدُ الله بمعنى كاد عبد الله يقوم ، فيكون تأويل قام عبد الله لم يقم عبد الله ؛ لأن معنى كاد عبد الله يقوم لم يقم ، وهذا الذي ذكره غير صحيح . ونظنُّ أن الذي حمله على الطعن في هذا الوجه حكايته له عن ابن قتيبة ، لأنَّ من شأنه أن يردّ كل ما يأتي به ابن

(١) حاشية ت : « أخفيته إذا كان بمعنى أظهرته كانت الألف للسلب ، والمعنى : سلبته الحفاء ؛ مثل شكاني فأشكيتة » .

قتيبة، وإن تمسّف في الطمن عليه . والذي استبعده غير بعيد ؛ لأن « كاد » قد تضمن في مواضع يقتضيها بعض الكلام وإن لم تكن في صريحه ؛ ألا ترى أنهم يقولون : أوردت على فلان من العتاب والتوبيخ والتقريع مامات عنده ، وخرجت نفسه ، ولما رأى فلان فلاناً لم يبق فيه روح ، وما أشبه ذلك . ومعنى جميع ما ذكرناه المقاربة ، ولا بد من إضمار « كاد » فيه ، وقال جرير :

إِنَّ الْعِيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا مَرَضٌ قَتَلْنَنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَا قَتْلَانَا^(١)
وإنما المعنى أنهم كدّن يقتلنا؛ وهذا أكثر في الشعر والكلام من أن نذكره .

فأما قوله : « يُحْيَيْنَا قَتْلَانَا » فالأظهر في معناه أنهم لم يُزِلْنِ ما قاربنا عنده الموت والقتل من الصدود والهجر وما أشبه ذلك ، وسمّى هذه الأمور حياة كما سمي أضدادها قتلاً ، وقد قيل إن معنى « يُحْيَيْنَا قَتْلَانَا » أنهم لم يبدّين قتلنا ، من الدّية ، لأنّ دية القتل عند العرب ١٠ كالحياة له ، وقد روى : « ثم لم يُحْيَيْنَا قَتْلَانَا » ، وهذه رواية شاذة لم تسمع من عالم ولا محصل ومعناها ركيك ضعيف ؛ وإذا كان الأمر على ما ذكرناه لم يمتنع أن يقال : قام فلان بمعنى كاد يقوم ، إذا دلّت الحال على ذلك ؛ كما يقال : مات بمعنى كاد يموت .

فأما قوله : « فيكون تأويل قوله : قام عبد الله ، لم يقم عبد الله » خطأ ؛ لأنه ليس معنى كاد يقوم إنه لم يقم / كما ظنّ بل معنا . أنه قارب القيام ودنا منه ، فمن قال : قام عبد الله وأراد كاد ١٥ يقوم ؛ فقد أفاد ما لا يفيد له لم يقم .

(١) ديوانه : ٥٩٥ ؛ وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « روى أنه وقع الخلاف بين هارون الرشيد وزبيدة في هذا البيت ؛ فكان هارون يقول : « يحيين » ، وزبيدة تقول : هو : « يحيين » ، بالجيم والنون ؛ فتخاطرا على ذلك بألني دينار ، ودعوا مسرورا الخادم ، وأعطياه على أن يخرج فيسأل أفضل من ببغداد من أهل العلم ؛ فإن صوب قول هارون أعطاه ألفا ، وإن صوب قول زبيدة فألفها ، فخرج مسرور بالشموع يطلب من يفتيه في ذلك ؛ فدل على الكسائي ؛ وكان قريب عهد القدوم من الكوفة إلى ببغداد ؛ وكان يأوى إلى مسجد ؛ فدخل مسرورا عليه بجيئه وحشمه ؛ فتحفز له الكسائي ؛ فقال : لا بأس ؛ إنه بيت قد أشكل علينا ، واستفتاه في الكلمتين فصوبهما جميعا ؛ فأعطاه الألفين ؛ فأصبح وقد استفاد بكلمة أوضحها ما أغناه ؛ وهذا دليل على حسن تأتبه وإطافه أدبه . »

وأما قوله تعالى : ﴿ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ ﴾ فمعناه زاغت عن النظر إلى كل شيء فلم تلتفت إلا إلى عدوها ، ويجوز أن يكون المراد بـ ﴿ زَاغَتْ ﴾ ، أى جارت ^(١) ومالت عن القصد في النظر دهشا وتحيراً .

- فأما قوله تعالى : ﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾ ، معناه أنكم تظنون مرة أنكم تُفْصَرُونَ • وتَظْهَرُونَ على عدوكم ، ومرة أنكم تُبْتَلَوْنَ وتمتحنون بالتخلية بينكم وبينهم .
- ويجوز أيضاً أن يريد الله تعالى أن ظنونكم اختلفت ، فظن المنافقون منكم خلاف ما وعدكم الله تعالى به من النصر ، وشكوا في خبره عز وجل كما قال تعالى حكاية عنهم : ﴿ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ ، فظن المؤمنون ما طابق وعده الله تعالى لهم كما حكى عز وجل عنهم في قوله : ﴿ هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ .
- ١٠ وكل ما ذكرناه واضح في تأويل الآية وما تعلق بها .

(١) ت وحاشية الأصل (من نسخة) : « حادت » ، ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف :

« حارت » .

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾ [النبا: ٩] .
فقال: إذا كان السُّبَات هو النوم ؛ فكأنه قال: وجعلنا نومكم نوماً ، وهذا مما لا فائدة فيه .
الجواب ، قيل له في هذه الآية وجوه :

منها أن يكون المراد بالسُّبَات الراحة والدَّعة ، وقد قال قوم : إنَّ اجتماع الخلق كان في
يوم الجمعة ، والفراغ منه في يوم السبت ، فسُمِّيَ اليوم بالسبت للفراغ الذي كان فيه ؛ ولأن الله
تعالى أمر بني إسرائيل فيه بالاستراحة من الأعمال ؛ قيل : وأصل السُّبَات التمدُّد ؛ يقال :
سَبَتَ المرأةُ شعرَها إذا حَلَّتْهُ من العَقَص وأرسلته ، قال الشاعر :
وإنَّ سَبَتَتْهُ مالَ جَثَلًا كأنَّهُ سَدَى واهلَاتٍ مِن نَوَاسِجٍ خَشَمًا^(١)
أراد : إن أرسلته .

ومنها أن يكون المراد بذلك القَطْع ؛ لأن السَّبْتَ القَطْع ، والسبتُ أيضا الحَلَق ؛ يقال : ١٠
سَبَتَ شعره سَبْتًا إذا حلقه ، وهو يرجع إلى معنى القَطْع ، والنعال السَّبْتِيَّة التي لا شعر
عليها ؛ قال عنتره :

بَطَلٍ كَانَ ثِيَابَهُ فِي سَرَحَةٍ ، يُحْذِي نَعَالَ السَّبْتِ ، لَيْسَ بِتَوَمٍ^(٢)

(١) الجذل من الشعر : ما كشف واسود ، وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « شبه شعرها في وقت
الإرسال بسدى ثياب مسترخيات مرسلات . والنواسج : جمع ناسجة ، وخنعم : قبيلة » .

(٢) المعلقة : ١٩٩ — بشرح التبريزي ، وفي حاشيتي الأصل ، ف : « السرحة : شجرة طويلة ، يصفه
بالطول . وأراد بقوله : « يحذى نعال السبت » أنه من الملوك ؛ لأن نعال السبت نعال الملوك . والسبت :
شبه القرط ، تدبغ به النعال ؛ ووصفه بالشدة والقوة في قوله : « ليس بتوهم » ، لأنه إذا لم يكن معه توهم
كان أقوى وأتم خلقه » .

[١١٢]

ط

/ ويقال لكل أرض مرتفعة منقطعة ممّا حولها : سَبْتَاء ، وجمعها سَبَاتَى ، فيكون المعنى على هذا الجواب : حملنا نومكم سُبَاتًا ، أى قَطْعًا لأعمالكم وتصرفكم . ومن أجاب بهذا الجواب يقول : إنما سمى يوم السبت بذلك لأنّ بدء الخلق كان يوم الأحد ؛ وُجِعَ يومَ الجمعة ، وقُطِعَ يوم السبت ، فترجع التسمية إلى معنى القطع .

• وقد اختلف الناس فى ابتداء الخلق فقال أهل التوراة : إنّ الله تعالى ابتداء فى يوم الأحد ، فكان الخلق فى يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة ، ثم فرغ فى يوم السبت ؛ وهذا قول أهل التوراة .

وقال آخرون : إن الابتداء كان فى يوم الاثنين إلى السبت ، وفرغ فى يوم الأحد ؛ وهذا قول أهل الإنجيل .

١٠ فأما قول أهل الإسلام فهو أن ابتداء الخلق كان فى يوم السبت ، واتصل إلى الخميس . وجُعِلَت الجمعة عيداً ؛ فعلى هذا القول الأخير يمكن أن يُسمى اليوم بالسبت ، من حيث قُطِعَ فيه بعضُ خلق الأرض ، فقد روى أبو هريرة عن النبى عليه السلام أنه قال : « إنّ الله تعالى خلق التُّربة ^(١) فى يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد » .

ومنها أن يكون المراد بذلك أنا جعلنا نومكم سُبَاتًا ليس بموت ؛ لأن النائم قد يفقد من علومه وقصوده وأحواله أشياء كثيرة يفقدها الميت ؛ فأراد تعالى أن يمتنّ علينا بأن جعل نومنا الذى تضاهى فيه بعض أحوالنا أحوال الميت ليس بموت على الحقيقة ، ولا بمخرج لنا عن الحياة والإدراك ؛ فجعل التأكيد بذكر المصدر قائماً مقام نفى الموت ، وساداً مسدّ قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ ﴾ ليس بموت .

ويمكن أن يكون فى الآية وجه آخر لم يُذكر فيها ، وهو أن السُّبات ليس هو كل نوم ؛ وإنما هو من صفات النوم إذا وقع على بعض الوجوه ، و السُّبات هو النوم الممتد الطويل

(١) من نسخة بحاشيتى ت ، ف : « البرية » .

السكون^(١) ، ولهذا يقال فيمن وُصِفَ بكثرة النوم إنه مَسْبُوت ، وبه سُبَات ؛ ولا يقال ذلك في كلِّ نائم ، وإذا كان الأمر على هذا لم يجرِ قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾ جَرَى أَنْ يقول : وجعلنا نومكم نوماً .

والوجه في الامتنان علينا بأن جعل نومنا ممتداً طويلاً - ظاهراً ، وهو لما في ذلك لنا من المنفعة والراحة ؛ لأن التهويم والنوم الغرار لا يَكْسِبَانِ^(٢) شيئاً من الراحة ؛ بل يصحبهما ٥ في الأكثر التقاطع والازعاج ، والهموم / هي التي تقلل النوم وتُتَزَّرُهُ ، وفراغ القلب ورخاءُ [١١٣] البال يكون معهما غزارة النوم وامتداده ؛ وهذا واضح .

قال سيدنا الشريف الأجل المرتضى أدام الله علوه : وجدت أبا بكر محمد بن القاسم الأنباري يطمئن على الجواب الذي ذكرناه أولاً ، ويقول : إن ابن قتيبة أخطأ في اعتياده ؛ لأنَّ الراحة لا يقال لها : سُبَاتٌ ، ولا يقال : سَبَتَ^(٣) الرجل بمعنى استراح وأراح ، ويمتد على ١٠ الجواب الذي ثنينا بذكره ، ويقول فيما استشهد به ابن قتيبة من قولهم سَبَتِ المرأةُ شعرها : إن معناه أيضاً القطع ، لأن ذلك إنما يكون بإزالة الشَّدَاد الذي كان مجموعاً به وقطعه . والمقدار الذي ذكره ابن الأنباري لا يَقْدَحُ في جواب ابن قتيبة ؛ لأنه لا يُنْكَرُ أن يكون السبات هو الراحة والدعة إذا كانتا عن نومٍ ، وإن لم توصف كل راحة بأنها سُبَاتٌ ، ويكون هذا الاسم يخص^(٤) الراحة إذا كانت على هذا الوجه ؛ ولهذا نظائر كثيرة في الأسماء ، ١٥ وإذا أمكن ذلك لم يكن في امتناع قولهم : سَبَتَ الرجل بمعنى استراح في كل موضع دلالة على أنَّ السُّبَاتَ لا يكون اسماً للراحة عند النوم ؛ والذي يَبْقَى على ابن قتيبة أن يبين أن السبات هو الراحة والدعة ، ويستشهد على ذلك بشعرٍ أو لغةٍ ، فإن البيت الذي ذكره يمكن أن يكون المراد به القطع دون التمدد والاسترسال .

(١) حاشية (من نسخة) : « السكوت » . (٢) ت ، ف : « لا يكسبان » ، بضم الياء .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « سبت » ، بالبناء للمجهول .

(٤) من نسخة بحاشيتي ت ، ف : « يختص بالراحة » .

فإن قيل : فما الفرقُ بين جواب ابن قتيبة وجوابكم الذى ذكرتموه أخيراً ؟ قلنا : الفرق بينهما بين ، لأنَّ ابن قتيبة جعل السُّبَّات نفسَه راحةً ، وجعله عبارةً عنها ، وأخذ يستشهد على ذلك بالتمدّد وغيره ، ونحن جعلنا السُّبَّات من صفات النوم ، والراحة واقعةً عنده للامتداد وطول السكون فيه ؛ فلا يلزمنا أن يقال : سَبَّتَ الرجل بمعنى استراح ؛ لأنَّ الشئ لا يسمّى بما يقع عنده حقيقة ، والاستراحة تقع على جوابنا عند السُّبَّات^(١) ، وليس السُّبَّات إياها بعينها ؛ على أن فى الجواب الذى اختاره ابنُ الأنباريّ ضرباً من الكلام ؛ لأنَّ السُّبَّات وإن كان القطع على ما ذكره فلم يُسمَعْ فيه البناء الذى ذكره وهو السُّبَّات ، ويحتاج فى إثبات مثل هذا البناء إلى سَمْعٍ^(٢) عن أهل اللغة ، وقد كان يجب أن يورد من أى وجه ؛ إذا كان السبّ هو القطعُ جاز أن يقال سُبَّات على هذا المعنى ؛ ولم نره فعل / ذلك .

[١١٣]

تَأْوِيلُ خَبَرِ

١٠ إن قال قائل : ما تأويل الخبر الذى روى عن النبي صلى الله عليه وآله : « إن الميت ليُعَذَّبُ بكاء الحى عليه » ، وفى رواية أخرى : « إن الميت يعذب فى قبره بالنياحة عليه » ، وقد روى هذا المعنى المغيرة بن شُعْبَةَ أيضاً فقال : سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول : « مَنْ نِيحَ عليه فإنه يعذب بما نِيحَ عليه » .

الجواب ، إننا إذا كنّا قد علمنا بأدلة العقل التى لا يدخلها الاحتمال ولا الاتساع والمجاز قبَحَ مؤاخذه أحد بذنب غيره ، وعلمنا أيضاً ذلك بأدلة السمع مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ [الأنعام : ١٦٤] ، فلا بدّ أن نصرف ما ظاهره بخلاف هذه الأدلة إلى ما يطابقها .

والمعنى فى الأخبار التى سئلنا عنها — إن حَتَّ روايتها — أنه إذا أوصى موصٍ بأن ينوح

(١) فى حواشى الأصل ، ت ، ف : « قال ابن دريد : السبات : السكون ؛ والرجل مسبوت ؛ وقال الجوهري : السبّ والسبات : السكون والراحة ؛ وقد سبّت يسبت ، بالضم » .

(٢) ت ، د ، حاشية ف (من نسخة) : « سماع » .

عليه ففعل ذلك بأمره وعن إذنه فإنه يعذب بالنيابة عليه؛ وليس معنى يعذب بها أنه يؤخذ بفعل النواح، وإنما معناه أن يؤخذ بأمره بها ووصيته بفعالها، وإنما قال صلى الله عليه وآله ذلك لأن الجاهلية كانوا يرون البكاء عليهم والنوح فيأمرون به، ويؤكدون الوصية بفعله وهذا مشهور عنهم؛ قال طرفة بن العبد:

فإن مُتْ فأنعيني بما أنا أهلهُ وشقني على الجيبِ يا أمَّ مَعْبِدٍ^(١)
وقال بشر بن أبي خازم لابنته غميرة^(٢):

فمن يك سائلاً عن بيتٍ بشرٍ فإن له بجنب الردء باباً^(٣)
نوى في ملحد لا بد منه كفى بالموت نأياً وأغتراباً^(٤)
رهين بللى وكل فتى سبلى فأذرى الدمع وانتحي انتحاباً

وقد روى عن ابن عباس في هذا الخبر أنه قال: وهل^(٥) ابن عمر، إنما مرَّ رسول الله ۱٠ صلى الله عليه وآله على يهودى فقال: «إنكم لتبكون عليه، وإنه ليعذب في قبره». وقد روى إنكار هذا الخبر أيضاً عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وآله، وأنها قالت لما أخبرت بروايته: وهل أبو عبد الرحمن كما وهل يوم قليب بدر، إنما قال عليه السلام: «إن أهل الميت ليبكون عليه، وإنه ليعذب بجُرمه» /

[١١٤]

و

(١) المعلقة ٩٦ — بشرح التبريزي . والرواية فيها :

* وشقني على الجيبِ يا ابنة مَعْبِدٍ *

(٢) مختارات ابن الشجري ٢: ٣٢؛ من قصيدة قالها وهو يجود بنفسه بعد أن طعنه غلام من بني وائلة

بسهم فأثخنه، ومطالعها :

أسائلة غميرة عن أبيها خلال الجيش تعترف الركا

(٣) الردء : جمع ردهة؛ وهي قرة في صخرة يستنقع فيها الماء . (٤) في مختارات ابن الشجري :

« هو في ملحد . (٥) في حواشي الأصل ، ت ، ف : « قال أبو زيد : وهلت [بكسر الهاء]

في الشيء . وعنه أوهل وهلا [بفتحين] إذا غلظت فيه ، وهلت [بفتح الهاء] إلى الشيء أهل وهلا

[بسكون الهاء] إذا ذهب وهمك إليه ، وهلت [بكسر الهاء] أوهل وهلا [بفتحين] : فرعت .

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه : معنى « وَهَلْ » أى ذهب وهمه إلى غير العوَاب ، يقال وَهَاتْ إلى الشئ ، فأنا أَهْلٌ وَهَلًا إذا ذهب وهمك إليه ، وَوَهَّاتْ عنه أَهْلٌ وَهَلًا ، أى نسيتَه وَغَلِطْتَ فيه ، وَوَهَّلَ الرجل بَوَهَّلٍ وَهَلًا إذا فزع . وَالْوَهْلُ : الخزع . فأما « الْقَلِيبُ » فهى البئر ، والجمع القلُوب ، قال حسان بن ثابت يذكر قتلى بدر من المشركين :

يُنَادِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ لَمَّا قَدْ فَنَاهُمْ كَبَا كَبَ فِي الْقَلِيبِ^(١)
أَلَمْ تَجِدُوا حَدِيثِي كَانَ حَقًّا وَأَمْرُ اللَّهِ يَأْخُذُ بِالْقُلُوبِ
وقال آخر يبكى على قتلى بدر من المشركين :

فَمَاذَا بِالْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ مِنْ الْقِيَمَاتِ وَالشَّرْبِ الْكَرَامِ^(٢)
وَمَاذَا بِالْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ مِنْ الشِّزْرِ يُكَلِّلُ بِالسَّامِ^(٣) ١٠

ومعنى وَهَلِهِ فى ذكر الْقَلِيبِ أنه روى أن النبى صلى الله عليه وآله وقف على قلبِ بدر فقال : « هل وجدتم ما وعد ربكم حقًا ؟ » نعم قال : « إنهم ليسمعون ما أقول » ، فأنكر ذلك عليه ؛ وقيل إنما قال عليه السلام : « إنهم الآن ليعلمون أن الذى كنت أقول لهم هو الحق » ، واستشهد بقول الله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى ﴾ [النمل : ٨٠] . وأهل الْقَلِيبِ ١٥ جماعة من قريش : منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وغيرهم .

وروى عن عبد الله بن مسعود أنه قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم قائمًا يصلّى بمكة وأناس من قريش فى حلقة ، فيهم أبو جهل بن هشام ، فقال : ما يمنع أحدكم أن يأتى الجَزُور التى نَحَرها آل فلان ، فيأخذ سَلَاها ثم يأتى به حتى إذا سجد وضعه على ظهره ؟ قال عبد الله : فأنبت أشقى القوم — وأنا أنظر إليه — فجأوبه حتى وضعه على ظهره ، ٢٠ قال عبد الله : فلو كانت لى يومئذ مَنَعَةٌ لَمَنَعْتُهُ . وجاءت فاطمة عليها السلام عليه ، وهى يومئذ صبية حتى أماطته عن ظهر أبيها ثم جاءت حتى قامت على رؤسهم فأوسعهم شتمًا ، قال : فوالله لقد رأيتُ بعضهم يضحك ، حتى إنه ليطرح نفسه على صاحبه من الضحك ، فلما

(١) ديوانه : ١١-١٢ . السكباك : الجماعات . (٢) ت ، د ، حاشية ب (من نسخة) : « من القتيان » . (٣) الشيزى : شجر عظيم يتخذ منه الجفان ، وهو الأبنوس .

سَلَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَقْبَلَ عَلَى الْقَوْمِ فَقَالَ : « اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بَفْلَانِ وَفِلَانِ » ، فَلَمَّا رَأَوْا [١١٤] ط
النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَدْ دَعَا عَلَيْهِمْ أَسْقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا سَمَّى النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَوْمَئِذٍ أَحَدًا إِلَّا وَقَدْ رَأَيْتُهُ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَقَدْ أَخَذَ بِرَجْلِهِ يُجَرُّ إِلَى الْقَلْبِ
مَقْتُولًا .

وقوله : « فَيَأْخُذُ سَلَاها » أى جَلَدَتْها التى فيها وَلَدُها مادام فى بطنها ، والجميع ^(١) ٥
الأسلاء ؛ وقال ابن حبيب ^(٢) : الأسلاء التى فيها الأولاد ، قال الأخطل :
وَيَطْرَحُنَ بِالْفَرْجِ السَّخَالَ كَأَنَّمَا يُشَقِّقُنَ بِالْأَسْلَاءِ أُرْدِيَةَ الْعَصَبِ ^(٣)
وقال الشماخ :

وَالْعَيْسُ دَامِيَةُ الْمَنَاسِمِ ضَمَرٌ يَقْدِفُنَ بِالْأَسْلَاءِ تَحْتَ الْأَرْكَبِ ^(٤)
قال الفراء . سَقَطَ فى أَيْدِيهِمْ مِنَ النَّدَامَةِ ، وَأَسْقَطَ الْغَتَانِ ، وهى بغير ألف أكثر وأجود . ١٠
ويمكن أن يكون فى قوله : « يَمْدَبُ بَيْكَاءَ أَهْلِهِ عَلَيْهِ » وجه آخر ؛ وهو أن يكون المعنى
أن الله تعالى إذا أعلمه بَيْكَاءَ أَهْلِهِ وَأَعَزَّاهُ عَلَيْهِ وما لحقهم بعده من الحزن والهمّ تألم بذلك ؛
فكان عذاباً له ؛ والعذاب ليس بحارٍ بحَرَّى العقاب الذى لا يكون إلا على ذَنْبٍ مُتَقَدِّمٍ ؛
بل قد يُسْتَعْمَلُ كثيراً بحيث يستعمل الألم والضرر ؛ ألا تَرَى أَنَّ الْقَائِلَ قد يقول لمن ابتداء
بالضرر والألم : قد عَذَّبْتُنى بكذا وكذا ؛ كما يقول : أضررت بى وآلمتنى ؛ وإنما لم يُسْتَعْمَلْ ١٥
العقاب حقيقة فى الآلام المبتدأة من حيث كان اشتقاق لفظه من المماقبة ، التى لا بد من تقدم
سبب لها ، وليس هذا فى العذاب .

(١) ف : « الجمع » . (٢) حواشى الأصل ، ت ، ف : « محمد بن حبيب الفهرى » ، وحبيب
أمه ؛ وكان ولد ملاءنة فلا يندب بلى أبيه . (٣) ديوانه : ٢٠ ، وفى حاشيتى الأصل ، ف :
الثغر : موضع الخافة ؛ ويمكن أن يريد به هاهنا موضعاً بعينه ؛ يصف الإبل بالسكد والجهد ؛ حتى طرحت
أولادها وأسلاءها مشقوقة ؛ وشبه الأسلاء فى حال انشقاقها عن السخال بأردية من برود الثين .
(٤) لم يرد البيت فى ديوانه وفى حاشيتى الأصل ، ف : « العيس : الإبل البيض . والناسم : مقدمة
الحف . والأركب : جم ركب ، والركب : جم ركة ؛ ويمكن أن تكون الأركب بمعنى الركبان .

تَأْوِيلُ خَبَرِ آخِرِ

إن سأل سائل عن الخبر الذي يرويه أبو هريرة عن النبي عليه السلام أنه قال : « ما من أحد يدخله عمله الجنة ، ويُنجيه من النار » ، قيل : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا أنا ؛ إلا أن يتغمّدني الله برحمته منه وفضل » ، يقولها ثلاثا .

فقال : أو ليس في هذا دلالة على أن الله تعالى يتفضل بالثواب ، وأنه غير مستحق عليه ؟
 ٥ . ومذهبكم بخلاف ذلك .

الجواب ، قلنا : فائدة الخبر ومعناه بيانُ قَرَرِ المكلفين إلى الله تعالى ، وحاجتهم إلى ألطافه وتوفيقاته ومعوناته ، وأن العبد لو أخرج إلى نفسه ، وقطع الله تعالى موادّ المعونة .
 [١١٥] والالطف عنه لم يدخل / بعمله الجنة ، ولا نجا من النار ؛ فكأنه عليه السلام أراد أن أحدا لا يدخل الجنة بعمله الذي لم يُعنه الله تعالى عليه ، ولا لطف له فيه ، ولا أرشده إليه ؛ وهذا هو الحق الذي لا شبهة فيه ؛ فأما الثواب فما نأبى القول بأنه تفضل ؛ بمعنى أن الله تعالى تفضل بسببه الذي هو التكليف ، ولهذا نقول : إنه لا يجب على الله تعالى شيء ابتداءً ، وإنما يجب عليه ما أوجبه على نفسه ، فالثواب مما كان أوجبه على نفسه بالتكليف ؛ وكذلك التمكن والإلطف ، وكل ما يجلبه ويوجبه التكليف ، ولو لا إيجابه له على نفسه بالتكليف لما وجب .

فإن قيل : فقد سمى الرسول ما يُفعل به فضلا فقال : « إلا أن يتغمّدني الله برحمته منه وفضل » ، قلنا هذا يطابق ما ذكرناه ، لأن الرحمة النعمة والثواب نعمة ، وهو يُفضل من الوجه الذي ذكرناه ، وإن حملنا قوله عليه السلام : « برحمته منه وفضل » على ما يُفعل به من الألفاظ والمعونات فهي أيضاً فضل وتفضل لأن سببها غير واجب .

فأما قوله عليه الصلاة والسلام : « يتغمّدني » فمعناه يسترني ، يقال غمّدت السيف في غمّده إذا سترته ، قال الشاعر : هرايب مبدد كما في المعاي الكبير ١١٠٢ / ٢ رديوانه

٢٠ نَصَبْنَا رِمَاحًا فَوْقَهَا جَدُّ عَامِرٍ كَظِلِّ السَّمَاءِ ، كُلَّ أَرْضٍ تَغْمَدًا

فَالجَدَّ هَاهُنَا : الحَظ ، وَشَبَّهَ مَا قَسَمَ لِعَامِرٍ مِنَ الْعَابَةِ وَالظَّفَرِ بِظُلِّ السَّمَاءِ الَّذِي يَسْتُرُ كُلَّ شَيْءٍ ، وَيُظْهِرُ عَلَيْهِ .

أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَانَ بْنِ يَحْيَى بْنِ جَنْبِقَا قَالَ أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْحَكِيمِيُّ قِرَاءَةً عَلَيْهِ قَالَ أَمَلَى عَلَيْنَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ثَعْلَبُ النَّحْوِيُّ قَالَ أَخْبَرَنَا ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ قَالَ : يُقَالُ لِلْقَوْمِ إِذَا دَعَوْتَ عَلَيْهِمْ : بَهْرَهُمُ اللَّهُ ، وَالْمَبْهُورُ هُوَ الْمَسْكُوبُ ، ٥ وَأَنْشَدْنَا :

أَبْرَزُوهَا مِثْلَ الْمَهَادِ تَهَادَى بَيْنَ خَمْسٍ كَوَاعِبِ أَنْرَابِ (١)
ثُمَّ قَالُوا : تَحِبُّهَا ؟ قُلْتُ : بَهْرًا عَدَدَ الرَّمْلِ وَالْحَصَى وَالتُّرَابِ (٢)

قَالَ سَيِّدُنَا آدَامُ اللَّهِ أَيَّامَهُ : وَقَدْ قِيلَ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ : « بَهْرًا » غَيْرَ هَذَا الْوَجْهِ .

أَخْبَرَنَا أَبُو عُبَيْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ الْمَرْزَبَانِيُّ قَالَ أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصُّولِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ ١٠ إِسْمَاعِيلَ / قَالَ حَدَّثَنَا التَّوَزِيُّ عَنْ أَبِي عَمْرٍو الْأَسَدِيِّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَمْرٍو بْنَ الْمَلَاءِ يَقُولُ : عَمْرُ [١١٥]
ابْنُ أَبِي رِبْعَةَ حَبَّةٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ ، وَمَا أَخَذَ عَلَيْهِ شَيْءٌ إِلَّا قَوْلَهُ :

* ثُمَّ قَالُوا : تَحِبُّهَا ؟ قُلْتُ : بَهْرًا *

وَلَهُ فِيهِ عَذْرٌ إِنْ أَرَادَ الْخَبَرَ لَا الْاسْتِفْهَامَ ، كَأَنَّهُمْ قَالُوا : أَنْتَ تَحِبُّهَا ؛ عَلَى وَجْهِ الْإِخْبَارِ مِنْهُمْ لَا الْاسْتِفْهَامَ ، فَوَكَّدَ هُوَ إِخْبَارَهُمْ بِجَوَابِهِ ، فَهَذَا حَسَنٌ . وَ« بَهْرًا » يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ : ١٥
نَعَمْ حَبًّا بَهْرَنِي بَهْرًا ، وَيَكُونَ أَيْضًا بِمَعْنَى « عَقْرًا وَتَعَسًّا » ، دَعَاءٌ عَلَيْهِمْ إِذْ جَهِلُوا مِنْ حَبَّةٍ لَهَا مَا لَا يُجْهَلُ مِثْلَهُ ، وَأَنْشَدَ أَبُو عَمْرٍو :

(١) مِنْ قَصِيدَةٍ فِي الدِّيَّوَانِ ، مِثْلُهَا :

قَالَ لِي صَاحِبِي لِيَعْلَمَ مَا بِي : أَتَحِبُّ الْقَتْلَ أَمْ أُحِبُّ الرِّبَابَ ؟

(٢) ف ، وَمِنْ نَسْخَةِ بَحَاشِي الْأَصْلِ ، ت : « عَدَدُ الْقَطْرِ » ، وَفِي الدِّيَّوَانِ : « عَدَدُ النُّجُومِ » . وَ« بَهْرًا » :
مَصْدَرٌ بِمَعْنَى الْغَلْبَةِ ؛ وَكَأَنَّهُ قَالَ : غَلَبَنِي حَبُّهَا وَاسْتَوْلَى عَلَيَّ .

لِحَا اللّٰهُ قَوْمِي إِذْ يَبِيعُونَ مُهْجَتِي بِجَارِيَةٍ ، بَهْرًا لِّهِمْ بَعْدَهَا بَهْرًا ^(١)
قال أبو عمرو: ويكون « بهراً » بمعنى « ظاهراً »؛ يريد حباً ظاهراً، من قولهم: قرأ باهرًا.
وقد روى بعض الرواة أنه قال :

* قيل لي: هل تحبها؟ قلت: بهراً *

وَالرَّوَايَةُ الْأُولَى هِيَ الْمَشْهُورَةُ ، وَلَعَلَّ مَنْ رَوَى ذَلِكَ فَرَّبَ بِهِذِهِ الرِّوَايَةَ مِنَ اللَّحْنِ .
وهذان البيتان لعمر بن أبي ربيعة المخزومي ، من جملة أبيات منها :

مَنْ رَسُولِي إِلَى الثَّرِيَّا بَأْنِي ضِيقْتُ ذَرْعًا بِهَجْرِهَا وَالكِتَابِ ^(٢)
وَهِيَ مَكْنُونَةٌ تَحَيَّرَ مِنْهَا فِي أَدِيمِ الْخَدَّيْنِ مَاءُ الشَّبَابِ
سَلَبْتَنِي مُجَاغَةُ الْمِسْكِ عَقْلِي فَسَأَوْهَا بِمَا يَحِلُّ اغْتِصَابِي
أَرْهَقْتُ ^(٣) أَمْ نُوْفِلٍ إِذْ دَعَتْهَا مُهْجَتِي ، مَا لِقَانِي مِنْ مَتَابِ
حِينَ قَالَتْ لَهَا : أَجِيبِي ، فَقَالَتْ : مَنْ دَعَانِي ؟ قَالَتْ : أَبُو الْخَطَّابِ
أَبْرَزُوهَا مِثْلَ الْمَاهَةِ تَهَادَى بَيْنَ خَمْسِ كَوَاعِبِ أَنْرَابِ
ثُمَّ قَالُوا : تُحِبُّهَا ؟ قَالَتْ : بَهْرًا عَدَدَ الْقَطْرِ وَالْحَصَى وَالثَّرَابِ

وَالثَّرِيَّا هِيَ الَّتِي عَنَاهَا عُمَرُ أُمَوِيَّةٌ ، وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي نَسَبِهَا ، فَقِيلَ : إِنَّهَا الثَّرِيَّا بِنْتُ عَبْدِ
اللّٰهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أُمَيَّةِ الْأَصْفَرِ . أَبُو عَبْدِ شَمْسٍ ، وَقِيلَ : إِنَّهَا الثَّرِيَّا بِنْتُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
الْحَارِثِ بْنِ أُمَيَّةِ الْأَصْفَرِ . وَذَكَرَ الزَّيْزُرِيُّ أَنَّ الثَّرِيَّا هِيَ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ

(١) البيت لابن ميادة ، وهو في اللسان (بهر) ، والرواية فيه :

* تَفَاقَدَ قَوْمِي إِذْ يَبِيعُونَ مُهْجَتِي *

وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « قوله : « بهراً لهم بعدها بهراً » يجوز أن يكون الضمير في
« بعدها » للجارية ؛ ويكون قد كرر « بهراً » ، ويجوز أن يكون الضمير « لبهراً » الأولى ؛ أي بهراً
لهم بعدها بهراً ؛ وإنما أنث لأنها كلة ، ونكون الجملة التي هي « بعدها بهراً » في موضع الصفة لبهراً
الأولى ، ويجوز أن يكون الضمير للفعلة ؛ أي البيعة . (٢) في حاشيتي ت ، ف : « أي امتناعها من
الكتاب إلى ، وقيل : هو يخلف بالمصنف » . (٣) ت ، ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « أرهقت » .

ابن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر ، وأنها أخت محمد بن عبد الله المعروف بابي جراب العنيلي^(١) الذي قتله داود بن علي .

وأخبرنا أبو غبيد الله^(٢) قال حدثني محمد بن عبد الله^(٣) قال حدثنا أحمد بن يحيى^(٤) [١١٦] و
عن الزبير بن بكار قال حدثني موسى بن عمر بن الأفلح قال : أخبرني بلال ، مولى ابن أبي عتيق في
حديث طويل لعمر بن أبي ربيعة مع الثريّا اختصرناه وأوردنا بعضه قال : لما سمع ابن أبي
عتيق قول عمر :

« مَنْ رَسُولِي إِلَى الثَّرِيَّا بِأَنِّي »

قال : إياي أراد : وبني نوّه ، لا جرم ! والله لا أذوق أكلا حتى أشخص إليه لأصلح
بينهما ، فنهض ونهضت معه ، فجاء قوماً من بني الدّيل بن بكر ، لم تكن الفجائب تفارقهم
يُكرونها فأكثرت منهم راحلتين ، وأعلى لهم بهما ، فقلت له : استوضّعهما شيئاً ، أو دعني
أما كسُهم فقد اشتطوا ، فقال لي : ويحك ! أما علمت أن المكاس ليس من خلق الكرام !
وركب إحداها ، وركبت الأخرى ، فسار سيراً شديداً ، فقلت له : ارفق على نفسك ، فإن
ما تريد لا يفوتك ، فقال : ويحك !

* أبادر حبل الود أن يتقمّضاً *

وما ملج الدنيا إن ييمّ الصدّع بين عمر والثريا ! فقد منا مكة ليلا غير محرمين ، فدق على
عمر بابه ، فخرج إليه فسأله عليه ، فأنزل ابن أبي عتيق عن راحلته ، وقال لعمر : اركب أصلح
بينك وبين الثريّا ، فأنا رسولك الذي سألت عنه ، فركب معه ، فقدمنا الطائف ، فقال ابن
أبي عتيق للثريّا : هذا عمر ، قد جشمتني إليك سفر المدينة ، فجئتك به ، معترفاً بذنب لم يجزه ،
معتذراً من إساءتك إليه ، فدعيتني من التمداد والترداد ، فإنه من الشعراء الذين يقولون ما لا
يفعلون ؛ فصالحته أحسن صالح ، وكبر رناراجعين إلى المدينة ، ولم يُقيم ابن أبي عتيق بمكة ساعة واحدة .

(١) في حاشيتي ت ، ف : « عبلة : اسم جارية ؛ وأمّية الصغرى ، وهم حي من قريش ؛ يقال لهم :
العبلات ؛ بالتحريك ، والنسبة إليهم عبلي [بسكون الباء] رداً إلى الواحد لأن أهم عبلة .
(٢) ت : « محمد بن إبراهيم » ؛ وهو من رواة المروزيّ أيضاً ، وانظر الموشح : ٤٥ .

وفي الثريا يقول عمر أيضاً لما تزوّجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف؛ المكتنى بأبي

الأبيض ، وقيل بل تزوّجها سهيل بن عبد العزيز بن مروان :

أَيُّهَا الْمُنْكِحُ الثَّرِيَّ سُهَيْلاً عَمَّرَكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ! ^(١)
هِيَ شَامِيَّةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلَّتْ وَسُهَيْلٌ إِذَا اسْتَقَلَّ يَمَانِي



مَجْلِسُ آخِر

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَغَشَّيْهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشَّيْهُمْ﴾؛ [طه : ٧٨] .
فَقَالَ: مَا الْفَائِدَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا غَشَّيْهُمْ﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿غَشَّيْهُمْ﴾؟ يَدُلُّ عَلَيْهِ ، وَيُسْتَفْنَى بِهِ
عَنْهُ ، لِأَنَّ ﴿غَشَّيْهُمْ﴾ لَا يَكُونُ إِلَّا الَّذِي غَشَّيَهُمْ ، وَمَا الْوَجْهَ فِي ذَلِكَ ؟

قُلْنَا : قَدْ ذَكَرَ / فِي هَذَا أَجْوِبَةٌ :

[١١٦]

أَحَدُهَا أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى : فَغَشَّيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ الْبَعْضُ الَّذِي غَشَّيَهُمْ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَغْشَهُمْ جَمِيعُ
مَائِهِ ، بَلْ غَشَّيَهُمْ بَعْضُهُ ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا غَشَّيْهُمْ﴾؛ لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ الَّذِي غَرَّقَهُمْ بَعْضُ الْمَاءِ ،
وَأَنَّهُمْ لَمْ يَغْرَقُوا بِجَمِيعِهِ ؛ وَهَذَا الْوَجْهَ حُكِيَ عَنِ الْفَرَّاءِ ، وَذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ الْأَنْبَارِيُّ ، وَاعْتَمَدَهُ ،
وغيره أَوْضَحَ مِنْهُ .

وَالْيَمُّ هُوَ الْبَحْرُ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

وَبَنَى تَبَعٌ عَلَى الْيَمِّ قَصْرًا عَالِيًا مُشْرِفًا عَلَى الْبُنْيَانِ ١٠

وَنَائِبُهَا أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: فَغَشَّيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشَّى مُوسَى وَأَصْحَابَهُ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ
السَّلَامُ وَأَصْحَابَهُ ، وَفِرْعَوْنَ وَأَصْحَابَهُ سَلَكَوا جَمِيعًا الْبَحْرَ ، وَغَشَّيَهُمْ كُلَّهُمْ ؛ إِلَّا أَنَّ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ
لَمَّا غَشَّيَهُمْ غَرَّقَهُمْ ، وَمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَوْمُهُ جُعِلَ لَهُمْ فِي الْبَحْرِ طَرِيقٌ يَبَسَ ، فَقَالَ تَعَالَى:
فَغَشَّيْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ مِنْ مَاءِ الْيَمِّ مَا غَشَّى مُوسَى وَقَوْمَهُ ، فَنَجَّاهُ هَؤُلَاءِ ، وَهَلَكَ هَؤُلَاءِ .
وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ وَالتَّأْوِيلِ تَكُونُ الْمَاءُ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا غَشَّيْهُمْ﴾ كُنْيَاةً عَنْ غَيْرِ مَنْ كُنِيَ ١٥
عَنْهُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَغَشَّيْهُمْ﴾؛ لِأَنَّ الْأُولَى كُنْيَاةٌ عَنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ، وَالثَّانِيَّةُ كُنْيَاةٌ عَنْ مُوسَى
وَقَوْمِهِ .

وَنَائِبُهَا أَنَّهُ غَشَّيَهُمْ مِنْ عَذَابِ الْيَمِّ وَإِهْلَاكَ لَهُمْ مَا غَشَّى الْأُمَمَ السَّالِفَةَ مِنَ الْعَذَابِ

والهلاك عند تكذيبهم أنبياءهم ، وإقامتهم على ردّ أقوالهم والعدول عن إرشادهم ، والأمم السالفة؛ وإن لم يغشهم العذاب والإهلاك من قبل البحر، فقد غشيتهم عذاب وإهلاك استحقوقها بكفرهم وتكذيبهم أنبياءهم ، فشبّه بينه وبين هؤلاء من حيث اشتغال العذاب على جميعهم عقوبة على التكذيب .

٥ ورابعها أن يكون المعنى: فغشيتهم من قبل اليم ما غشيتهم من المطب والهلاك ؛ فتكون لفظة ﴿ غَشِيَهُمْ ﴾ الأولى للبحر والثانية للهلاك والمطب اللذين لحقاهم من قبل البحر .

ويمكن في الآية وجه آخر لم يذكر فيها، يليق بمذاهب العرب في استعمال مثل هذا اللفظ، وهو أن تكون الفائدة في قوله تعالى: ﴿ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ تعظيم الأمر وتفخيمه ؛ كما يقول القائل: فعل فلان ما فعل ، وأقدم على ما أقدم ، إذا أراد التفخيم وكما قال تعالى: ﴿ وَفَعَلَتْ فَعَلَتَكَ ﴾ [١١٧] الَّتِي فَعَلَتْ ﴿ ؛ [الشعراء: ١٩] ، وما يجري / هذا المجرى ؛ ويدخل في هذا الباب قولهم للرجل: هذا هذا، وأنت أنت . وفي القوم: هم هم ؛ قال الهذلي^(١):

رَفَوْنِي وَقَالُوا : يَا خُوَيْلِدُ لَا تَرَعُ فَقُلْتُ، وَأُنْكَرْتُ الْوُجُوهَ : هُمُ هُمُ^(٢)
وقال أبو النجم :

* أَمَا أَبُو النَّجْمِ ، وَشِعْرِي شِعْرِي^(٣) *

١٥ كل ذلك أرادوا تعظيم الأمر وتكبيره :

(١) هو أبو خراش الهذلي . (٢) ديوان الهذليين ٢ : ١٤٤ . ورفوني : سكنوني ، وأصلها :

« رَفَوْنِي » ، بالهمز . (٣) معاهد التنصيص ، وبعده :

* لِلَّهِ دَرِّي مَا يُجِنُّ صَدْرِي *

تأويل آية أخرى

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾؛ [النحل: ٢٦] فقال: ما الفائدة في قوله: ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾؛ وهو لا يفيد إلا ما يفيد قوله: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ﴾؛ لأنَّ مع الاختصار على القول الأول لا يذهب وَهْمُ أَحْسَدٍ إلى أن السقف يخرُّ من تحتهم؟

الجواب، قيل له في ذلك أجوبة:

- ٥ أولها: أن يكون «على» بمعنى «عن»، فيكون المعنى: فخرَّ عنهم السقف من فوقهم؛ أي خرَّ عن كفرهم وجحودهم بالله تعالى وآياته، كما يقول القائل: اشتكى فلان عن دواء شربه، وعلى دواء شربه، فيكون «على» و«عن» بمعنى من أجل الدواء؛ كذلك يكون معنى الآية فخرَّ من أجل كفرهم السقف من فوقهم؛ قال الشاعر:
 - ١٠ أُرْمِيَ عَلَيْهَا وَهِيَ فَرْعٌ أَجْمَعُ وَهِيَ ثَلَاثُ أَذْرُعٍ وَإِصْبَعُ
- أراد: أرمي عنها؛ لأن كلام العرب: رميت عن القوس، فأقام «على» مقام «عن»، ولو أنه قال تعالى على هذا المعنى: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ﴾، ولم يقل ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ جاز أن يتوهم متوهم أن السقف خرَّ وليس هم تحتهم.

- وثانيها: أن يكون «على» بمعنى اللام؛ والمراد: فخر لهم السقف؛ فإن «على» قد تقام مقام اللام؛ وحكى عن العرب: ما أغيطك على! وما أغمك على! يريدون: ما أغيطك، ١٥ وما أغمك لي!، قال الطبري مباح يصف ناقة:

كَأَنَّ مُخَوَّاهَا عَلَى ثِفَاتِهَا مُعَرَّسُ ثَمَسٍ وَقَعَتْ لِلْجَنَاحِ (١)

(١) ديوانه: ١٦٨. يقال: خوى البعير؛ إذا تجافى في بروكه. ويمكن لثفاته، والثفات: جمع ثفنة؛ وهو من البعير ركبته، وماس الأرض من كركرته وأصول أفخاذها، والمريس: محل التعريس، وهو النزول

أراد: وَوَقَعَتْ عَلَى الْجَنَاحَيْنِ ؛ وهى عظام الصدر ، فأقام اللام مقام «على» .

وقد يقول القائل أيضا : تداعتْ على فلان دارُهُ ، واستهدم عليه حائطُهُ ، ولا يريد أنه كان تحته ؛ فأخبر تعالى بقوله : ﴿ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ عن فائدة ؛ لولاه ما فهمت . ولا جاز أن يتوهم مُتَوَهِّمٌ في قوله تعالى : ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ ﴾ ما يتوهمه من قوله : خرب عليه رُبْعُهُ ، ووقفتْ عليه دابَّتُهُ ، وأشباه ذلك .

[١١٧] ط وللعرب في هذا مذهب ظريف لطيف ؛ / لأنهم لا يستعملون لفظة «على» في مثل هذا الموضع إلا في الشرِّ والأمر المكروه الضارِّ ، ويستعملون اللام وغيرها في خلاف ذلك ؛ ألا ترى أنهم لا يقولون : عَمَّرَتْ على فلان ضيعتُهُ ، بدلا من قولهم : خربت عليه ضيعته ، ولا ولدت عليه جاريتُهُ ؛ بل يقولون : عَمَّرَتْ له ضيعته ، وولدت له جاريتَهُ ؛ وهكذا من شأنهم إذا قالوا : «قال على» ؛ و «روى على» ؛ فإنه يقال في الشرِّ والكذب ، وفي الخير والحق ؛ يقولون : «قال عني» و «روى عني» ؛ ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا نَزَّلْنَا مِنَ الْكِتَابِ حَزْناً أَنْ يُخَالَفَ قَوْلَ الْكُفَّارِ إِلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَانَ ﴾ [البقرة : ١٠٢] ، لأنهم لما أضافوا الشرِّ والكفر إلى ملك سليمان حَسُنَ أَنْ يُقَالَ : «يتلون عليه» ، ولو كان خيرا لقال عنه ، ومثله ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران : ٧٥] ، وقوله : ﴿ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَالًا يَعْلَمُونَ ﴾ [يونس : ٦٨] ؛ وقال الشاعر (١) :

عَرَضْتُ نَصِيحَةً مَنِي لِيَحْيَىٰ فقال : غَشَّيْتَنِي ، وَالنَّصِيحُ (٢) مُرٌّ
وما بِي أَنْ أَكُونَ أَعْيَبُ يَحْيَىٰ وَيَحْيَىٰ طَاهِرُ الْأَخْلَاقِ بَرٌّ

== آخر الليل . وفي حاشية الأصل : « يعني كأن تجاوز أعضائها التجافية عند البروك معرس خمس أنوق » ؛ والبيت برواية الفاي (الأماي ٣ : ١٦٥) :

لَهَا زَفِرَاتٌ تَحْتَهَا وَقَصَارَهَا عَلَى مَشْرَعٍ لَمْ تَعْتَلِقْ بِالْمُحَاجِنِ

(١) في حواشي الأصل ، ت ، ف ؛ « كان رجل من بني حنيفة يقال له يحيى ، يحيى إلى امرأة يقال لها بقاء في قرية من قرى التيماء ، فنهاه ابن أرواة الأعرجى عنها ، فلم يقبل إلى أن رصد لفرح ، فقال الأعرجى : عرضت ... الأبيات . » (٢) الأبيات في السكامل ١ : ١٥٨ - بشرح المصنف .

وَلَكِنْ قَدْ أَتَانِي أَنْ يَحْيَى يَقَالُ عَلَيْهِ فِي بَقْعَاءَ شَرُّ^(١)
فَقُلْتُ لَهُ : تَجَنَّبُ كُلَّ شَيْءٍ يُعَابُ عَلَيْكَ ، إِنَّ الْحُرَّ حُرٌّ

ومثله قول الفرزدق في عَنَبَسَةَ بن مَعْدَانَ المعروف بعَنَبَسَةَ الفيل - وقد كان يَتَتَبَعُ شعره
ويُخَطِّطُهُ ويلَجِّنُهُ :

لَقَدْ كَانَ فِي مَعْدَانَ وَالْفِيلِ زَا جِرَ لِعَنَبَسَةَ الرَّائِي عَلَى الْقَصَائِدَا ٥
فَقَالَ : « عَلَى » ولم يقل : « عَنَى » للمعنى الذى ذكرناه .

وثالث الوجوه أن يكون ﴿ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ تأ كيداً للكلام وزيادة في البيان، كما قال تعالى :
﴿ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج : ٦ :] ، والقلب لا يكون إلا في
الصدر ؛ ونظائر ذلك في الكتاب وكلام العرب كثيرة^(٢) .

(١) حواشى الأصل ، ت ، ف : « بَقْعَاءُ فِي الْبَيْتِ : اسم امرأة . وبَقْعَاءُ : ماء بالبادية ، قالت
امرأة من العرب :

وَمَنْ يَهْدِي مِنْ مَاءٍ بَقْعَاءَ شَرْبَةً فَإِنَّ لَهُ مِنْ مَاءِ لَيْنَةٍ أَرْبَعًا
لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِبَقْعَاءَ أَنْنِي رَأَيْتُ مَطَايَا بِلَيْنَةٍ ظُلُمًا
فَمَنْ مُبْلِغٌ أُخْتِي بِالرَّمْلِ أَنْنِي بَكَيْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ بَعِيْنِي مَدْمَعًا !

— بَقْعَاءُ مَاءُهَا زَعَاقُ ، وماء لينة عذب ، وإنما تشكو لينة؛ لأن زوجها حملها إليها وهو عين ،
فذلك قولها :

* رَأَيْتُ مَطَايَا بِلَيْنَةٍ ظُلُمًا *

ومثله :

تَظَلَّ الْمَطَايَا حَائِدَاتٍ عَنِ الْهَدْيِ إِذَا مَا الْمَطَايَا لَمْ تَجِدْ مَنْ يُقِيمُهَا

(٢) حواشى الأصل ، ت ، ف : « من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ ،

وقوله عز من قائل : ﴿ فَصَيَّامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ ، تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ .

تَأْوِيلُ خَبَرِ

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنِ الْخَبَرِ الَّذِي يَرَوِيهِ نَافِعٌ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الْهَجَرِيِّ عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ ،
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللَّهِ ،
فَتَعَلَّمُوا مَأْدِبَتَهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ؛ وَإِنَّ أَصْفَرَ الْبُيُوتِ لَجَوْفٌ »^(١) أَصْفَرَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى
فَقَالَ : مَا تَأْوِيلُهُ ؟ وَكَيْفَ بَيَانُ غَرِيبِهِ ؟ .

[١١٨] الجواب ؛ قلنا : المأدبة في كلام العرب هي الطعام ، يصنعه^(٢) الرجل ويدعو / الناس
إليه ؛ فشبّه النبي صلى الله عليه وآله ما يكتبه الإنسان من خير القرآن ونفعه وعائده عليه
إذا قرأه وحفظه ؛ بما يناله المدعو من طعام الداعي وانتفاعه به ؛ يقال : قد أدب الرجلُ يَأْدِبُ
فهو أدب ؛ إذا دعا الناسَ إلى طعامه . ويقال للمأدبة المدعاة ؛ وذكر الأحمر أنه يقال فيها أيضاً :
مأدبة ، بفتح الدال ؛ قال طرفة :

١٠ نَحْنُ فِي الْمَشْتَاةِ نَدْعُو الْجَفَلَى لَا تَرَى الْآدِبَ فِينَا يَنْتَقِرُ^(٣)

ومعنى « الجفلى » أنه عمّ بدعوته ولم يخص بها قوماً دون قوم ، والنقري إذا خص
بها بعضاً دون بعض ، ومعنى « ينتقر » من النقري ؛ قال بعض هذيل :

وَلَيْلَةٍ يَصْطَلِي بِالْفَرثِ جَارِهَا يَخْتَصُّ بِالنَّقَرَى الْمُثْرِينَ دَاعِيهَا^(٤)

لَا يَنْبِجُ الْكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ عِنْدَ الصَّبَاحِ وَلَا تَسْرَى أَفَاعِيهَا

١٥ معنى « يَصْطَلِي بِالْفَرثِ جَارِهَا » أن الجازر إذا شقَّ فيها الكرش أدخل يده

لشدة البرد في الفرث مستدفئاً به . ومعنى : « يَخْتَصُّ بِالنَّقَرَى الْمُثْرِينَ دَاعِيهَا » ؛ أنه يخص
بدعائه إلى طعامه الأغنياء الذين يطعم من جهتهم في المكافأة ، وقال الآخر :

(١) حاشية ت (من نسخة) : « لبيت » . (٢) ت : « يضعه » .

(٣) ديوانه : ٦٨ : (٤) البيتان من مقطوعة في (ديوان المهذلين ٣ : ١٢٦) ، منسوبة إلى جنوب

في رثاء أخيها عمرو ذي الكلب .

قَالُوا ثَلَاثَاوُهُ خِصْبٌ وَمَأْدُبَةٌ فَكُلُّ أَيَّامِهِ يَوْمُ الثَّلَاثَاءِ

وقال الهذلي^(١) يصف عُقَابًا :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ فِي جَوْفٍ وَكَرَّهَا نَوَى الْقَسْبِ يُلْقَى عِنْدَ بَعْضِ الْمَاءِ^(٢)
أراد جمع مأدبة .

وقد روى هذا الحديث بفتح الدال «مأدبة» ، وقال الأحمر : المراد بهذه اللفظة مع الفتح هو

المراد بها مع الضم .

وقال غيره : المأدبة ، بفتح الدال « مَفْعَلَةٌ » من الأَدَب ؛ معناه أَنَّ الله تعالى أنزل القرآن

أدباً للخلق ، وتقويماً لهم ، وإنما دخلت الهاء في مأدبة ومأدبة ، والقرآن مذكّر ، لمعنى المبالغة ؛
كما قالوا : هذا شراب مطيِّبةٌ للنفس ؛ وكما قال عنتره :

* وَالْكَفْرُ مَحْبِثَةٌ أَنْفُسِ الْمُنْعِمِ^(٣) *

١٠

وجرى ذلك مجرى قولهم : رجلٌ علامة ونسابة / في باب المدح على جهة التشبيه بالداهية ، [١١٨]

ورجل هلباجة^(٤) في باب الذم على جهة التشبيه بالبهيمة . ويقال لطعام الإملاك : وليمة ،

ولطعام الخِثَان : العذيرة ، ولطعام الزَّفَاف : العُرْس ، ولطعام بناء الدار : الوَكيرة ، ولطعام

حَلَق^(٥) الشعر : العقيقة ، ولطعام القادم من السفر : النقيمة ، ولطعام النفاس : الخُرْسُ ،

١٥

والذى تُطعمه النَّفْسَاء : الخُرْسَة ، قال الشاعر :

إِذَا النَّفْسَاءُ لَمْ تُخْرَسْ يَبْكُرْهَا غَلَامًا وَلَمْ يُسْكِتْ بِحِثْرِ فَطِيمُهَا^(٦)

الحِثْر : الشيء القليل ، وقال آخر :

(١) هو صخر النوى . (٢) ديوان الهذليين ٢ : ٥٥ ، والقسب : التمر اليابس يتفنت في القم .

(٣) من المعلقة ، ص ٢٠١ — بشرح التبريزي ؛ وصدره :

* نَبِئْتُ عَمْرًا غَيْرَ شَاكِرٍ نِعْمَتِي *

(٤) الهلباجة : القدم الضخم الأكل . (٥) حاشية ت (من نسخة) : « حلق الرأس » .

(٦) ت : « بنحتر » والبيت للأعلم الهذلي ؛ كما في اللسان (خرس — حتر) ، وهو أيضاً في المقاييس

٢ : ١٦٧ ، وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « كأنه يصف سنة ، وأن النفساء النفوسة بالبكر الغلام

لانخرس ، ولا يسكت فطيمها بأذن شيء » .

كَلَّ الطَّعَامِ تَشْتَهَى رَبِيعَهُ الْخُرْسُ وَالْإِعْذَارُ وَالنَّقِيعَةُ^(١)
ويروى: «العُرْسُ». ويُشَدُّ أَيْضًا فِي النَّقِيعَةِ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

إِنَّا لَنَضْرِبُ بِالسُّيُوفِ رُءُوسَهُمْ ضَرْبَ الْقُدَارِ نَقِيعَةً الْقُدَّامِ^(٢)
والقُدَّارُ : الْجَزَّارُ . وَالْقُدَّامُ : جَمْعُ قَادِمٍ .

٥ وقال أبو زيد : يقال لَطْعَامُ الْإِمْلَاكِ : النَّقِيعَةُ ، وَلَطْعَامُ بِنَاءِ الدَّارِ : الْوَكِيرَةُ ، وَلَطْعَامُ الْخِتَانِ : الْإِعْذَارُ وَالْمَذِيرَةُ .

وقال الفراء : الشُّنْدُخِيُّ^(٣) : طَعَامُ الْإِمْلَاكِ ، وَالْوَلِيمَةُ : طَعَامُ الْعُرْسِ .

وقال أبو زيد : يقال مِنَ النَّقِيعَةِ نَقَعْتُ . وقال الفراء : مِنْهَا أَنْقَعْتُ .

وقال ابن السُّكَيْتِ : يقال لِلطَّعَامِ الَّذِي يُتَمَلَّلُ بِهِ قُدَّامُ الْغَدَاءِ ؛ السَّافَةُ وَاللُّهْنَةُ ؛ يقال : الْأَصْمَعَى : فُلَانٌ لَهْنَوَاضِيْفَكُم ، أَيْ أَطْعَمُوهُ اللَّهْنَةَ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

عُجِيزٌ عَارِضُهَا مُنْقَلٌ طَعَامُهَا اللَّهْنَةُ أَوْ أَقْلٌ^(٤)

وقال ابن السُّكَيْتِ : يقال فُلَانٌ يَأْكُلُ الْوَزْمَةَ إِذَا كَانَ يَأْكُلُ أَكْلَةً فِي الْيَوْمِ . وَقَالَ يَأْكُلُ الْوَجْبَةَ ، إِذَا كَانَ يَأْكُلُ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ أَكْلَةً ، قَالَ بَشَارُ :

فَاسْتَعْنِ بِالْوَجَبَاتِ عَنْ ذَهَبٍ لَمْ يَبْقَ فِيهِ لَامَرِيٌّ ذَهَبُهُ

١٥ وقال ابن السُّكَيْتِ : قَالَ الْأَصْمَعَى لِرَجُلٍ أَسْرَعَ فِي سِيرِهِ : كَيْفَ كَانَ سَيْرُكَ ؟ فَقَالَ :

(١) الْبَيَانُ فِي اللِّسَانِ (خُرْس) .

(٢) الْبَيْتُ فِي اللِّسَانِ (قَدَر) ، وَنُسِبَ إِلَى الْمَهْلَلِ ، وَفِي حَاشِيَةِ الْأَصْلِ : « هَذَا مِنْ بَابِ تَسْمِيَةِ الشَّيْءِ بِمَا يُؤْتَلَّ بِهِ ؛ أَيْ اللَّحْمِ الَّذِي يُصِيرُ نَقِيعًا ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾ .

(٣) ت : « الشُّنْدُخِيُّ » ، بِضَمِّ الشَّيْنِ وَفَتْحِ الدَّالِ ، وَفِي د ، وَحَاشِيَةِ ت (مِنْ نَسْخَةٍ) : « الشُّنْدُخِيُّ » ، بِضَمِّ الشَّيْنِ مَعَ الْأَنْفِ الْمَقْصُورَةِ ، وَفِي ج ، ش : الشُّنْدُخِيُّ ، بِفَتْحِ الشَّيْنِ وَضَمِّ الدَّالِ . وَفِي حَوَاشِي الْأَصْلِ ، ت ، ف : « رَوَاهُ الْأَزْهَرِيُّ الْهَرَوِيُّ عَنْ الْفَرَّاءِ « الشُّنْدَاخِيُّ » ، وَهُوَ الصَّحِيحُ ، وَقَالَ : هُوَ طَعَامُ الْبِنَاءِ » . (٤) الْبَيْتَانِ فِي اللِّسَانِ (فُلُل) ؛ وَالثَّانِي فِي اللِّسَانِ أَيْضًا (لَهْن) ، وَنُسِبَ إِلَى عَطِيَّةِ الدِّيْبَرِيِّ . الْفَارُضُ : السَّنُّ الَّتِي فِي عَرْضِ الْقَمَرِ ، وَانْقِلَابُ : تَنَكُّسُ .

كنت آكلُ الوجبة، وأنجو الوَقعة، وأعرّسُ إذا أفجرتُ، وأرتحل إذا أسفرت، وأسير
الوضع، واجتنب / المَلْع، فجتتكم لِمُسْنَى سَبْع. [١١٩]
و

قوله: «أنجو الوَقعة»، معناه أفضى حاجتى مرة في اليوم، وهو من النَجْو.
وقوله: «أسير الوضع»، فالوضع: سيرٌ فيه بعض الإسراع، والمَلْع: سيرٌ أشد منه،
فأراد أنه يجتنب الشديد من السير؛ كراهة أن يقف ظهره قبل أن يباغ الأرض التي
يقصد لها؛ ويقال: شرَّ السَّيرِ الحَقَقَة، أى السيرُ الحديد^(١) الذى يقطع صاحبه عن بلوغ
بُغيته، قال الشاعر:

إِذَا مَا أَرَدْتَ الْأَرْضَ ثُمَّ تَبَاعَدْتَ عَلَيْكَ فَضْعُ رَحْلِ الْمَطِيَّةِ وَانْزِلِ

أى استرح حتى تقوى على السير، فإن جهدت نفسك لم تقطع أرضاً، ولم تُبقِ ظهراً؛
وهذا من أبيات المعاني التى يُسأل عنها، والذى قيل فيه ما ذكرناه. ويمكن أن يكون معنى ١٠
البيت: إذا بعدت عليك أرضٌ فدعها واسأل عنها؛ كما يقال: دواءٌ ما عزَّ مطلبه الصَّبْرُ؛
وما جرى مجرى ذلك من ألقاظ التسلية؛ والأمر بالعدول عن تتبُّع ما صعب من الأمور^(٢).
وقال الآخر فى معنى البيت الأول:

نُقَطِّعُ بِالْثُرُولِ الْأَرْضَ عَنَّا وَنُعْدُّ الْأَرْضَ يَقْطَعُهُ الثُّرُولُ

وقوله: «لِمُسْنَى سَبْع»، معناه لساء سبع ليال. ١٥

ويقال للذى يحضرُ طعامَ القوم من غير أن يدعوه إليه: الوارِش والورُوش.
وقول العامة: طُفَيْلٌ مولدٌ لا يوجد فى العتيق من كلام العرب، وأصل ذلك أن رجلاً يقال
له طُفَيْلٌ، كان بالكوفة لا يفقد من وليمة من غير أن يدعى إليها، فقليل للوارش: طُفَيْلٌ؛ تشبيهاً
بطُفَيْل هذا فى وقته.

(١) ت، د، ف، حاشية الأصل (من نسخة): «الشديد».

(٢) حواشى الأصل، ت، ف: «مثله: أرخص ما يكون النفط إذا غلا؛ يعنى أنه لا يشرى فيكون

رخيصاً».

ويقال للذي يحضر شراب القوم من غير أن يدعى إليه واغل^١؛ قال امرؤ القيس :

فاليوم فاشرب غير مستحجب^(١) إنما من الله ولا واغل^(١)

ويقال لما يشربه الواغل^٢ : الوغل ، قال الشاعر :

إن ألك مسكيرا فلا اشرب الوغل ولا يسلم مني البعير^(٢)

وقوله صلى الله عليه وآله : « إن أصفر البيوت لجوف أصفر من كتاب الله » ، معناه :

أخلى البيوت/؛ والصفر عند العرب : الخالي ؛ من الآنية وغيرها . ويمكن في قوله : « مأدبة » وجه^{١١٩}

آخر ؛ وهو أن يكون وجه التشبيه للقرآن بالمأدبة وتسميته بها من حيث دعا الخلق إليه ،

وأمرهم بالاجتماع عليه ، فسماه عليه السلام « مأدبة » لهذا الوجه ، لأن المأدبة هي التي

يدعى الناس إليها ، ويجتمعون عليها ؛ وهذا الوجه يخالف الأول ، لأن الأول تضمن أن

وجه التشبيه من حيث النفع العائد على الحافظ للقرآن كما ينتفع المدعو إلى المأدبة بما يصيبه

من الطعام . وهذا الوجه الآخر تضمن أن التشبيه وقع لاجتماع الناس في الدعاء إليه ، والإرشاد

إلى إصابته . وليس يبعد أن يريد عليه السلام بالخبر المعنيين معاً ، فلا تنافى بينهما^(٣) .

أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال :

(١) ديوانه : ١٥٠ ، والرواية فيه :

* فاليوم أسمى غير مستحجب *

وفي حاشية ت (من نسخة) :

* فاليوم أشرب غير مستحجب *

(٢) اللسان (وغل) ، ونسبه لعمرو بن قتيبة . (٣) في حاشيتي الأصل ، ف : د ويمكن

أن يكون في معنى الخبر وجه آخر ، وهو أنه عليه السلام إنما شبه القرآن بالمأدبة لما اشتملت عليه المأدبة

من أنواع الأطعمة ، من الخلو والحامض والمالح وغير ذلك مما لا يكون في غير المآدب ، فكذلك القرآن

يشتمل على أنواع من العلوم لا توجد في غيره ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي

كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ ، وهذا وجه عن الشيخ الإمام جلال الدين أبي الفتوح الرازي رحمه الله في أثناء الدرس ،

وهو أقرب وأشبه من الوجهين المذكورين .

كُنَّا فِي مَجْلِسِ الْأَصْمَعِيِّ إِذْ أَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ : أَيْنَ عَمِيدُكُمْ ؟ فَأَشْرَفْنَا إِلَى الْأَصْمَعِيِّ ، فَقَالَ لَهُ :
مَا مَعْنَى قَوْلِ الشَّاعِرِ :

لَا مَالَ إِلَّا الْعِطَافُ تُؤْزِرُهُ أُمُّ ثَلَاثِينَ وَابْنَةُ الْجَبَلِ^(١)
لَا يَرْتَقِي النَّزُّ فِي ذَلَالِهِ وَلَا يُعْدَى نَعْلِيهِ مِنْ بَلَلٍ^(٢)

فَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ :

عُضْرَتُهُ نُطْفَةٌ تَضُمُّهَا لِحْصَبٌ تَلْقَى مَوَاضِعَ السَّبَلِ
أَوْ وَجِبَةً مِنْ جَنَافَةِ أَشْكَالَةٍ إِنْ لَمْ يَرُغْهَا بِالْقَوْسِ لَمْ تُنَلِّ^(٣)
قَالَ : فَأَدْبَرَ الْأَعْرَابِيُّ وَهُوَ يَقُولُ : لَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ عُضْلَةً^(٤) .

قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ : إِنَّمَا وَصَفَ رَجُلًا خَائِفًا فِي رَأْسِ جَبَلٍ ؛ يَقُولُ : لَا مَالَ لَهُ إِلَّا الْعِطَافُ -
وَهُوَ السَّيْفُ - تُؤْزِرُهُ أُمُّ ثَلَاثِينَ ؛ يَعْنِي كِنَانَةً فِيهَا ثَلَاثُونَ سَهْمًا . وَابْنَةُ الْجَبَلِ ؛ يَعْنِي الْقَوْسَ ، ١٠
لأنَّهَا تَعْمَلُ مِنْ شَجَرِ الْجِبَالِ مِثْلَ النَّبْعِ وَغَيْرِهِ .

وَقَوْلُهُ : « لَا يَرْتَقِي النَّزُّ فِي ذَلَالِهِ » ، لِأَنَّهُ فِي رَأْسِ جَبَلٍ ؛ فَلَا نَزَّ هُنَاكَ يَتَعَلَّقُ بِمَا يَفْضَلُ
مِنْ ثِيَابِهِ ، وَلَا بَلَلٌ يُعْدَى نَعْلِيهِ عَنْهُمَا .

وَالْعُضْرَةُ : الْمَلْجَأُ . وَالنُّطْفَةُ : الْمَاءُ الْمُجْتَمِعُ فِي صَخْرٍ أَوْ غَيْرِهِ مِنْ بَقِيَّةِ مَاءِ الْمَطَرِ . وَاللِّصْبُ :
الشَّقُّ فِي الْجَبَلِ أَضْيَقُ مِنَ اللَّهَبِ^(٥) وَأَوْسَعُ مِنَ الشَّعْبِ . وَالسَّبَلُ : الْمَطَرُ . ١٥
وَالْوَجِبَةُ : أَنْ يَأْكُلَ كُلُّ يَوْمٍ مَرَّةً . وَالْأَشْكَالُ : السُّدُرُ الْجَبَلِيَّةُ ، وَاحِدُهُ أَشْكَالَةٌ ؛ يَقُولُ :

(١) الْآيَاتُ فِي اللِّسَانِ (عُطْف) ، وَرَوَى عَنْ ثَعْلَبٍ أَنَّهَا فِي وَصْفِ صَمْلُوكٍ . وَفِي حَوَاشِي الْأَصْلِ ،
ت ، ف : « أَصْلُ الْعِطَافِ الرِّدَاءُ ؛ فَشَبَّهَ بِهِ السَّيْفَ » ، وَتُؤْزِرُهُ : تَعِينُهُ .

(٢) النَّزُّ : الْمَاءُ الَّذِي يَتَجَلَّبُ مِنَ الْأَرْضِ وَالذَّلَالُ : أَسَافِلُ الْفَمِيمِ الطَّوِيلِ . (٣) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ

(مِنْ نَسْخَةٍ) : « يَرُغُّهَا » بَفَتْحِ الْيَاءِ وَضَمِّ الرَّاءِ ، وَفِيهَا : « أَرَاغُ مِمَّنَّاهُ طَابَ ، وَرَاغٌ : مَالٌ ؛ يُقَالُ :

رَاغٌ إِلَيْهِ ؛ خُذِفَ حَرْفُ الْجَرِّ ، وَأَوْصَلَ الْفِعْلُ ؛ وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ نَعَالِي : ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ ﴾ .

(٤) الْعُضْلَةُ : الدَّاهِيَةُ ؛ يُقَالُ : فَلَانٌ عُضْلَةٌ وَعُضِلَ ، أَيْ شَدِيدٌ دَاهِيَةٌ .

(٥) الْلَّهَبُ : الطَّرِيقُ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ .

[١٢٠] فهذه النطفة والوجبة من الأشكلة/ عُصْرَتَاه . وقوله : « إن لم يُرْغَمَا بالقوس »؛ يعني أنها لا تُنَال باليد حتى تُجَرَّكَ بالقوس .

قال سيدنا أدام الله علوه : وإنما جعل الأصمعيّ إنشاد باقي الأبيات دلالة على معرفة معناها ؛ لأنه يبعد أن يعرفها ولا يعرف معناها، والأعرابيّ إنما سأل عن المعنى، فأقام إنشاده لها مقام تفسيرها ، واستغنى الأعرابيّ بذلك وعلم بإتمامه للأبيات معرفته بمعانيها .

وكان الأصمعيّ كثيرا إذا أنشد شيئا من الشعر يُنشِد في معناه في الحال ، فمن ذلك أن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ أنشده يوما لنفسه :

إذا كانتِ الأحرارُ أصليّ ومَنْصِبِي وقامَ بنَصْرِي خازِمَ وابنِ خازِمِ
عَطَسْتُ بِأَنْفٍ شامِخٍ وتناولْتُ يدَايَ الثَّريَّا قاعدًا غيرَ قائِمِ
قال : فلما فرغتُ من إنشادها أنشد بعقب ذلك :

ألا أيّها السائلِ جاهِلًا لِيَعْرِفَنِي ، أنا أَنفُ الكَرَمِ
نَمَتُ في الكِرَامِ بنى عامر^(١) فُرُوعِي وأصلي قُرَيْشُ العِجَمِ^(٢)
قال : فجاء والله بالشعر الذى نحوه وعملتُ بيتي عليه .

وأخبرنا أبو عبيد الله المَرْزُبَانِيّ قال حدثنا محمد بن يحيى الصولىّ قال حدثنا عون بن محمد قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال : ما أنشدت الأصمعيّ شيئا قط إلا أنشدني مثله ؛ كأنه أعدّه لى ، فأنشدته يوما للأعشى :

عُلِقَتْهَا عَرَضًا وَعُلِقَتْ رَجُلًا غَيْرِي وَعُلِقَ أُخْرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ^(٣)

(١) حاشية الأصل (من نسخة) :

* نَمَتُ فِي الْكِرَامِ بَنُو عَامِرٍ *

(٢) حاشية الأصل : « يقول : أصلي قريش الذين يسكنون بلاد العجم وفرعى بنو عامر ؛ كأن أبا قريش وأمه عامرية » . (٣) ديوانه : ٤٣ ، وفي حاشية الأصل : « أى عشقتها اعتراضا لافصلا واعتزاما ، ومثله :

جُنُنْتُ بِلَيْلِي وَهِيَ جُنَّتْ بغيرِنَا وأُخْرَى بِنَا مَجْنُونَةٌ لَا تُرِيدُهَا

فأنشدني من وقته :

قَتَلْتُكَ أُخْتُ بَنِي لَوْيَ إِذْ رَمَتْ وَأَصَابَ نَبْلُكَ إِذْ رَمَيْتَ سِوَاهَا^(١)
وَأَعَارَهَا الْحَدَثَانُ مِنْكَ مَوَدَّةً وَأَعَارَ غَيْرَكَ وَدَّهَا وَهَوَاهَا

وذكر أبو العيناء قال: كان الأصمعيّ إذا سَمِعَ إنساناً يُنشد شعراً في معنى أنشد في ذلك

اللعنى من غير أن يُريّه أنه أرادّه ، فأنشده رجل قول القُطاميّ :

٥
[١٢٠] / وَالنَّاسُ مَنْ يَلْقَى خَيْرًا قَاتِلُونَ لَهُ مَا يَشْتَهَى، وَلَا تَمُّ الْمَخْطِئِ الْهَبْلُ^(٢)
فأنشد هو قول قَعْنَبِ الْفَزَارِيِّ :

فَمَنْ يَلْقَى خَيْرًا يَحْمَدِ النَّاسُ أَمْرَهُ وَمَنْ يَقُولُ لَا يَعْدَمُ عَلَى الْغَىِّ لَأَمَّا^(٣)

وروى ميمون بن هارون قال : سمعت إسحاق بن إبراهيم يقول: أنشدت الأصمعيّ قول

١٠ الأَعشى، طلباً أن ينشدني مثله - وكان مع بخله بالعلم لا يَضُنُّ بمثل هذا :

إِنْ تَرَوْا كَبُورَ الْخَيْلِ عَادَتُنَا أَوْ تَتَرَلُونَ فَإِنَّا مَعَشَرُ نُزُلِ^(٤)
فأنشدني لربيعة بن مقروم الضبيّ .

وَلَقَدْ شَهِدْتُ الْخَيْلَ يَوْمَ طَرَادِهَا بِسَلِيمٍ أَوْ ظَفَةِ الْقَوَائِمِ هَيْكَلِ^(٥)
فَدَعَوْا نَزَالَ ، فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ وَعَلَامَ أَرُ كَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزِلِ !

١٥ وروى عن إسحاق بن إبراهيم أيضاً أنه قال : دخل يوماً إلى الأصمعيّ ، وعندى أخ

(١) البيتان لعدي بن الرقاع ؛ وهما في مجموعة الطرائف ٩٢ ، وممجم البلدان ٨ : ٢٠٤ .

(٢) جهرة الأشعار : ٣٠٣ ؛ وفي حاشية الأصل : « يقول : من أصاب ما لا قيل له ما يشتهى ولا يخالف ، ومن تجارزه المال خولف في كل شيء ولعن » . (٣) كذلك ذكره المؤلف ؛ ونسبه المفضل الضبي إلى المرقش الأصغر ، وانظر الفضليات : ٢٤٧ (طبعة المعارف) . (٤) ديوانه : ٤٨ ، وروايته :

* قَالُوا الرُّكُوبَ فَقَلَّمْنَا تِلْكَ عَادَتُنَا *

(٥) خزائن الأدب ٣ : ٥٦٥ . الأوظعة : جمع وظيف ، وهو مستندق الذراع والساق من الخيل . والهيكل : الضخم المشرف .

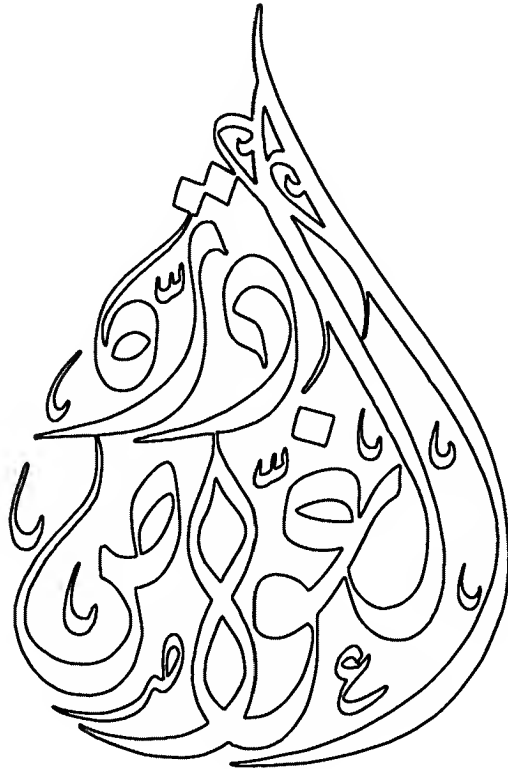
للعمانيّ الراجز، حافظاً راويةً ، فلما دخل عبث به أخو العمانيّ^(١) ، فقال له : من هذا ؟ قال : هو الباهليّ الذي يقول^(٢) :

فما صحفةٌ مأدومةٌ بإهالةٍ بأطيبٍ من فيها ولا أقطَ رطبٍ^(٣)

فقال له قبل أن يستتم كلامه : هو على كلِّ حال أصلح من قول أخيك العمانيّ :

ياربُّ جاريةٍ حوراءٍ ناعمةٍ كأنَّها عومةٌ في جوفٍ راقودٍ^(٣)

قال إسحاق : فقات له : أكنت أعددتَ هذا الجواب ؟ قال : لا ، ولكن ما مرَّ بي شيءٌ إلا وأنا أعرف منه طرفاً .



(١-١) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « فقال : من هذا الباهليّ الذي يقول » .

(٢) الصحفة : قصعة دون الجفنة . وإهالة : السحيم المذاب . والأقط : شيءٌ يتخذ من الخبيض الغني .

(٣) حواشي الأصل ، ت ، ف : « العومة : دوية تسبج في الماء ، كأنها فم أسود مدملك .

والعومة : ضرب من السمك معروف » . والراقود : دن كبير .

مجلد ۲۷

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ غُزَيْرُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ ؛ [التوبة : ۳۰] .
فقال : أى معنى لقوله : ﴿ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ ومعلوم أن القول لا يكون إلا بالأفواه ؟ .

الجواب ، قلنا : المَقُولُ يحتمل معنيين فى لغة العرب : أحدهما القول باللسان ، والآخر بالقلب ، فالقول الذى يضاف إلى القلب هو الظنُّ والاعتقاد ، ولهذا المعنى ذهب العرب بالقول •
مذهب الظن / فقالوا : أنقول عبد الله خارجاً ؟ ومتى نقول محمداً منطلقاً؟ يريدون : متى تظن ؟ [۱۲۱]
قال الشاعر :

أما الرَّحِيلُ فدونَّ بَعْدَ غَدٍ فَمَتَى تَقُولُ الدَّارَ تَجَمُّعُنَا! (۱)
أراد : متى تظن الدار ! وقال الآخر :

أَجْهَالًا تَقُولُ بَنَى لُؤْيَى لَعَمْرُأُ أَيُّكَ أُمُّ مُتَجَاهِلَيْنَا! (۲)
أراد : تظن بنى لؤيى ، وقال توبة بن الحمير :
أَلَا يَا صَفِيَّ النَّفْسِ كَيْفَ تَقُولُهَا لَوْ أَنَّ طَرِيدًا خَائِفًا يَسْتَجِيرُهَا (۳)

(۱) البيت لعمر بن أبى ربيعة ، ديوانه : ۳۹۴ . (۲) البيت للكميت بن زيد الأسدى ؛ وهو من (شواهد ابن عقيل على الألفية ۱ : ۳۹۷) ، وفي حاشية الأصل : • لا يجوز أن تنصب جهالا بقول إذا جعلته على معنى القول ، لأن القول لا يمتد إلى ما كان مما لا يندرج تحت السمع ، والجهال جثت ، فلا يتأتى ذلك فيها ، فلا بد أن يكون قال بمعنى ظن ، ولهذا يصح أن نقول : سمعت زيدا يقرأ ويقول ويتكلم ويشعر ، ولا نقول : سمعت زيدا يضرب ؛ لأن السمع يقيم على ما يسمع • .
(۳) البيتان من قصيدة طويلة ؛ ذكرت بتمامها فى ترتيب الأسوانى ۹۶- ۹۸ .

تُخَبِّرُ إِنْ شَطَّتْ بِهَا غُرْبَةُ النَّوَى سَتُنْعِمُ لَيْلِي أَوْ يُفَكَّ أَسِيرُهَا^(١)

أراد : كيف تظنها؟ فلما كان القول يستعمل في الأمرين معاً أفاد قوله تعالى : ﴿ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ قصرَ المعنى على ما يكون باللسان دون القلب ، ولو أطلق القول ، ولم يأت بذكر الأفواه لجاز أن يُتَوَهَّم المعنى الآخر :

• ومما يشهد لذلك قوله تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ [المنافقون : ١] ، فلم يكذب الله تعالى قول السنتهم : لأنهم لم يخبروا بأفواههم إلا بالحق ، بل كذب ما يرجع إلى قلوبهم من الاعتقادات .

ووجه آخر وهو أن تكون الفائدة في قوله تعالى : ﴿ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ أن القول لا برهان عليه ، وأنه باطل كذب لا يرجع فيه إلا إلى مجرد القول باللسان ؛ لأن الإنسان قد يقول بلسانه الحق والباطل ، وإنما يكون قوله حقاً إذا كان راجعاً إلى قلبه ، فتكون إضافة القول إلى اللسان تقتضي ما ذكرناه من الفائدة ، وهذا كما يقول القائل لمن يشك في قوله أو يكذبه : هكذا تقول بلسانك ، وليس الشأن فيما تقوله وتنفوه به وتقلب به لسانك ؛ فكأنهم أرادوا أن يقولوا : هذا قول لا برهان عليه ، فأقاموا قولهم : هكذا تقول بلسانك ، وإنما يقولون ١٥ كذا بأفواههم مُقَام ذلك ؛ والمعنى أنه قول لا تمضدُه حجة ولا برهان ، ولا يرجع فيه إلا إلى اللسان .

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « في ديوانه : » تجبر وإن شطت » ، يخاطب الشاعر صديقاله فيقول : يا صفي نفسي ، كيف تظن لبلى الأخيلى لو استجار بها مستجير ! ثم استأنف فقال : هي تجبر وإن كانت قد عذبتنا بانفراق ، ثم قال : ستنعيم ليلي أو يفادي أسيرها ، ويعني بالأسير نفسه ، أى ستجود يوماً أو أفتدى نفسى منها ، هذا إذا روى : « تجبر وإن شطت » ، وكذلك هو في ديوانه ، وأما وجه ما رواه السيد : « تجبر » ، فمناه : تخبرني أنت يا صفي نفسي إن تناءت أنها ستنعيم ، وإن رويت : « أن شطت » بالفتح كان المعنى : لأن تناءت . وعلى ما ذكره السيد رضى الله عنه يمكن أن يذكر للبيت وجه آخر ؛ وهو أنه يقول ويخاطب صديقاً له : كيف تظنها لو أنى استجرت بها ! كفى عن نفسه بالخائف المستجير ثم يقول : تخبر يا خليلي ، يعنى أنى أعلم أنك تقول : هي إما أن تنعم بالوصول أو أنا أسلو ؛ وهذا معنى : « يفك أسيرها » ، لأنه إذا سلا فقد فك أسره ؛ وهذا الوجه الأخير مستفاد من ملك النجاة .

ووجه آخر ، وهو / أن تكون الفائدة في ذلك التأكيد ، فقد جرت به عادة العرب [١٢١] في كلامها ، وما تقدم من الوجهين أولى ؛ لأنَّ حَمَلَ كلامه تعالى على الفائدة أولى من حمله على ما تسقط معه الفائدة .

تَأْوِيلُ آيَةِ أُخْرَى

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا أَيْدِيَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ لَا يَكُونُوا آيَةً لَّكُمْ وَلَا تَحْسَبُوا أَنَّكُمْ مُّسْتَكْفِرُونَ﴾ [١٤] .

فقال : أى معنى لرد الأيدي في الأفواه ؟ وأى مدخل لذلك في التكذيب بالرسل عليهم السلام ؟

الجواب ، قلنا في ذلك وجوه :

أولها أن يكون إخباراً عن القوم بأنهم ردّوا أيديهم في أفواههم ، عاضين عليها غيظاً ١٠ وحقاً على الأنبياء ، كما يفعل المتوعدّ لغيره ، المبالغ في معاندته ومكايده ؛ وهذه عادة معروفة في المغيظ المحق أنه يعضّ على أصابعه ، ويفرك أنامله ، ويضرب بإحدى يديه على الأخرى ؛ وما شاكل ذلك من الأفعال .

وثانيها أن تكون الهاء في الأيدي للكفار المكذّبين ، والهاء التي في الأفواه للرسل عليهم السلام ؛ فكأنهم لما سمعوا وعظّ الرسل ودعاهم وإنذارهم أشاروا بأيديهم إلى ١٤ أفواه الرسل ، مانعين لهم عن الكلام كما يفعل المسكّت منّا لصاحبه ، الرادّ لقوله .

وثالثها أن تكون الهاء في الأيدي والتي في الأفواه معاً للرسل ؛ والمعنى أنهم كانوا يأخذون أيدي الرسل فيضعونها على أفواههم ليسكتوهم ، ويقطعوا كلامهم .

ورابعها أن تكون الهاءان جميعاً يرَّجعان إلى الكفار^(١) لا إلى الرسل ؛ فيكون المعنى أنهم إذا سمعوا وعظَّمهم وإنذارهم وضعوا أيدي أنفسهم على أفواههم ؛ مشيرين لهم بذلك إلى الكفّ عن الكلام والإمساك عنه ؛ كما يفعل مَنْ يريد منا أن يسكِّت غيره ، ومنعه من الكلام ، من وضع إصبعه على في نفسه .

٥ وخامسها أن يكون المعنى : فردّوا القول بأيدي أنفسهم إلى أفواه الرُّسل ، أى أنهم كذبوهم ، ولم يُضغفوا إلى أقوالهم ، فالهاء الأولى للقوم ، والثانية للرسل ؛ والأيدى إنما ذُكرت مثلاً وتأن كيداً ؛ كما يقول القائل : أهلك فلان نفسه بيده ، أى وقع الهلاك به من جهته ، لا من جهة غيره .

وسادسها أن المراد بالأيدى النعم ﴿ في ﴾ محمولة على الباء ، والهاء الثانية للقوم المكذبين ١٠ والتي قبلها للرسل ، والتقدير : فردّوا بأفواههم نعم الرُّسل ؛ أى ردّوا وعظَّمهم وإنذارهم وتنبههم على مصالحهم الذى لو قبلوه لكان نعماً عليهم .

ويجوز أيضاً أن تكون الهاء التى فى الأيدى للقوم الكفار ، لأنها نعم من الله تعالى عليهم ، فيجوز إضافتها إليهم وحمل لفظة ﴿ فى ﴾ على معنى الباء جائز لقيام بمض الصفات مقام بعض ؛ يقولون : رضيتُ عنك ، ورضيتُ عليك وحُكى فى لغة طيِّ : أدخلك الله بالجنة ، ١٥ يريدون فى الجنة ، فيعبرون بالباء عن معنى « فى » ؛ كذلك أيضاً يصح أن يعبروا بنى عن الباء ؛ قال الشاعر :

وأرغبُ فيها عن لقيطٍ ورهطه ولكِنِّى عن سِنِّيسٍ لستُ أرغبُ
أراد : وأرغب بها فحمل « فى » على الباء .

(١) فى حاشيتى الأصل ، ف : « يمكن أن يجعل الضميران جميعا للرسل عليهم السلام ، على معنى أنهم لما لم يقبلوا وعظَّمهم وإنذارهم ردّ الرسل بأيديهم إلى أفواه أنفسهم ، إشارة إلى أنّا قد سكّنا ، فافعلوا ما شقتم تهديداتهم وبلا » .

وسابمها - وهو جواب اختاره أبو مسلم بن بجر، وزعم أنه أولى من غيره - قال " المضمرون في قوله : ﴿ أَيْدِيَهُمْ ﴾ الرسل ، وكذلك المضمرون في ﴿ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ ، والمراد باليد هاهنا ما نطق به الرسل من الحُجَجِ والبيِّنات التي ذكر الله تعالى أنهم جاءوا بها قومهم ؛ واليد في كلام العرب قد تقع على النعمة وعلى السلطان أيضا ، وعلى الملك ، وعلى العهد والعقد ؛ ولكل ذلك شاهد من كلامهم ؛ والذي أتى به الأنبياء قومهم هو الحجة والسلطان ، وهو النعمة ، وهو العهد ، وكل ذلك يقع عليه اسم اليد . ولما كان ما يعطى به الأنبياء قومهم ويُندرونهم به إنما يخرج من أفواههم ، فردوه وكذبوه قيل : إنهم ردُّوا أيديهم في أفواههم ، أي أنهم ردُّوا القول من حيث جاء قال : ولا يجوز أن يكون الضمير في ذلك للمرسل إليهم كما تأوله بعض المفسرين ، وذكر أن معناه أنهم عضوا عليهم أناملهم غيظا ؛ لأن رافع يده إلى فيه ، والعاض عليها لا يسمَّى رادًّا ليدِه إلى فيه ، إلا إذا كانت يده في فيه فيخرجها ثم يردُّها " . ١٠

قال سيدنا الشريف أدام الله علوه : وليس ما استنكره أبو مسلم من رد الأيدي إلى الأفواه بمستنكر ولا بعيد ، لأنه قد يقال : ردَّ يده إلى فيه ، وإلى وجهه ، وعاد فلان يقول كذا ، ورجع يفعل كذا ؛ وإن لم يتقدم ذلك الفعل منه . ولو لم يسَّخُ هذا القول تحقيقا ؛ لساغ تجوُّزاً واتساعاً ؛ وليس يجب أن تؤخذ العرب بالتحقيق في كلامها ؛ فإن تجوُّزها / واستعاراتها [١٢٢] أكثر ، على أنه يمكن أن يكون المراد بذلك أنهم فعلوا ذلك الفعل شيئا بعد شيء ، وتكرَّر منهم ، فهذا جاز أن يقول : ردُّوا أيديهم في أفواههم ، لأنه قد تقدم منهم مثل هذا الفعل ، فلما تكرَّر جازت العبارة عنه بالرد ، وهذا يبطل استضعافه للجواب إذا صرنا إلى مراده .

تَاوِيلُ حَبَرٍ

روى أن مسلماً الخُزاعِيَّ ثم المصطَلِقِيَّ قال : شهدتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله - وقد أنشدته منشد قول سويد بن عامر المصطَلِقِيَّ (١) :

لَا تَأْمَنَنَّ وَإِنْ أُمْسَيْتَ فِي حَرَمٍ إِنَّ الْمَنَايَا بِكَفَى كُلِّ إِنْسَانٍ (٢)
وَأَسْلُكَ طَرِيقَكَ تَمْشِي غَيْرَ مُخْتَشِعٍ (٣) حَتَّى تَبَيَّنَ مَا يَمْنِي لَكَ الْمَانِي
فَكُلُّ ذِي صَاحِبٍ يَوْمًا يُفَارِقُهُ (٤) وَكُلُّ زَادٍ وَإِنْ أَبْقَيْتَهُ فَان
وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ (٥) بَكْلٌ ذَلِكَ يَأْتِيكَ الْجَدِيدَانِ

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لو أدركته لأسلم » ، فبكى مُسلم ، فقال له ابنه : يَا أَبَهْ ، مَا يُبْكِيكَ مِنْ مُشْرِكٍ مَاتَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ! فقال : يَا بَنِيَّ ، لَا تَفْعَلْ فَمَا رَأَيْتَ مُشْرِكَةً تَلَقَّتْ مِنْ مُشْرِكٍ خَيْرًا مِنْ سُوَيْدٍ .

١٠ قوله : « مَا يَمْنِي لَكَ الْمَانِي » معناه ما يقدر لك القادر؛ قال الفراء : يقال : مَنَى الله عليه الموت ؛ أى قدر الله عليه الموت . وقال يعقوب : مَنَّاكَ الله بما يسرك ، أى قدر الله لك ما يسرك ، وأنشد :

(١) نسب البيت الأول والثاني والرابع إلى أبي قلادة الهذلي، من قصيدة أولها :

يَادَارُ أَعْرِفُهَا وَحُشًّا مَنَازِلُهَا بَيْنَ الْقَوَائِمِ مِنْ رَهْطِ فَالْبَنَانِ

مع اختلاف في روايتها وترتيبها ، وانظر ديوان الهذليين ٣ : ٣٦-٣٩ ، واللسان (م) .

(٢) حواشي الأصل ، ت ، ف : « المعروف » بجنبي ، هذا هو الصحيح ، وهي أيضا رواية ديوان

الهذليين ؛ يقول : لَا تَأْمَنَنَّ أَنْ تَأْتِيكَ مَنِيَّتُكَ وَإِنْ كُنْتَ بِالْحَرَمِ حَيْثُ يَأْمَنُ الطَّيْرُ .

(٣) رواية اللسان :

* وَأَسْلُكَ طَرِيقَكَ فِيهَا غَيْرَ مُخْتَشِعٍ *

ورواية ديوان الهذليين :

* وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ سَوْفَ أَفْعَلُهُ *

(٤) حاشية ت (من نسخة) : « مفارقه » . (٥) رواية ديوان الهذليين :

* إِنَّ الرَّشَادَ وَإِنَّ الْغَىَّ فِي قَرْنٍ *

لَعَمْرُ أَبِي عَمْرٍو لَقَدْ سَاقَهُ الْمُنَى إِلَى جَدَثٍ يُوزَى لَهُ بِالْأَهَاضِبِ^(١)
 وقال ابنُ الأعرابي: سَاقَهُ الْمُنَى ، أَى سَاقَهُ الْقَدْر ؛ وأنشد ابنُ الأعرابي :
 مَنَنْتُ لَكَ أَنْ تُتْلَقَيْنِي الْمَنَايَا أَحَادَ أَحَادٍ فِي الشَّهْرِ الْحَلَالِ^(٢)
 معناه قَدَّرْتُ لَكَ .

وقال أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿مَنْ نُطْفَةِ إِذَا تُمْنَى﴾؛ [النجم: ٤٦]، معناه إذا تُخَاقَ وتُقَدَّر .
 وقال بعضُ أهلِ اللغة : إِنَّمَا سَمِيَ «مِنَى» لِمَا يُمْنَى فِيهِ مِنْ ثَوَابِ اللَّهِ تَعَالَى ؛ أَى يَقْدَّرُ فِيهِ ؛
 وقيل أيضاً بما يُمْنَى فِيهِ مِنَ الدَّمِ^(٣) ؛ وقيل : إِنَّمَا سَمِيَ بِذَلِكَ لِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا انْتَهَى
 إِلَيْهِ قَالَ لَهُ الْمَلَكُ : تَمَنَّ ، قَالَ : أَتَمَنَّ الْجَنَّةَ ، فَسَمِيَ مِنَى لِذَلِكَ . وَمِنَى يَذْكُرُ وَيُوثِقُ ،
 والتذكير أجود ، قَالَ الشَّاعِرُ فِي التَّذْكِيرِ :

/ سَقَى مِنَى ثُمَّ رَوَّاهُ وَسَاكِنَهُ وَمَنْ ثَوَى فِيهِ وَاهِيَ الْوَدَقِ مُتَبَعِقُ^(٤) [١٢٣]

وقال آخر في التأنيث :

كَيَوْمُنَا بِمَنَى إِذْ نَحْنُ نَنْزِلُهَا أَسْرُّ مِنْ يَوْمِنَا بِالْعَرَجِ أَوْ مَلَلِ^(٥)

(١) البيت مطلع قصيدة لصخر الغي ، يرثي أخاه أبا عمرو بن عبد الله ، وقد نهشته حية فمات ؛ (ديوان الهذليين
 ٢ : ٥١-٥٧) . وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « يُوْزَى ، مِنْ الْإِزَاءِ ، وَالْإِزَاءُ : مَصَبُ الْمَاءِ فِي
 الْحَوْضِ ، يُقَالُ : أَزَيْتُ الْحَوْضَ [بِالتَّضْعِيفِ] ، وَأَزَيْتُهُ ، وَالْإِزَاءُ لِلْفَجْرِ فِي الْحَقِيقَةِ ؛ إِلَّا أَنَّهُ عَلَى الْإِسْتِعَارَةِ .
 وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ فِي « لَهُ » لِلْمَرْتِ ؛ أَى يَهْبَأُ لَهُ ؛ هَذَا إِذَا هَمَزَتْ « يُوْزَى » ؛ وَهُوَ قَوْلُ الْأَصْمَعِيِّ ،
 فَأَمَّا إِذَا لَمْ تَهْمَزْهُ فَعَنَى يُوْزَى يَنْصَبُ وَيَشْخَسُ ؛ يُقَالُ : أَوْزَى ظَهْرَهُ إِلَى الْخَائِطِ ؛ أَى أَسْنَدَهُ . وَيُقَالُ : هَضْبَةٌ
 وَهَضْبَاتٌ وَهَضَابٌ وَأَهْضَابٌ وَأَهَاضِبٌ وَأَهَاضِيبٌ » . (٢) اللسان (منى) ، وفي حاشية الأصل :
 « أَى قَدَّرْتُ الْمَنَايَا مَلَاقَتَهَا إِيَّايَ لِأَجْلِكَ » . (٣) المراد يَمْنَى هَاهُنَا : يَرِاقُ .

(٤) الودق : المطر ، والواهى : المندفع بالماء ، وكذلك المنبعق ، وفي حاشيتي الأصل ، ف : « جعل
 للسحاب سقاء ، ثُمَّ جَعَلَهُ وَاهِيًّ الْعَقْدَ ، فَهُوَ أَشَدُّ إِرْسَالًا ، وَهَذَا مِثْلُ » .

(٥) العرج : موضع قريب من الطائف ، وإليه ينسب المرجى الشاعر ، وهو عبد الله بن عمرو بن
 عثمان بن عفان . ومثل : موضع في طريق مكة .

فأما قوله :

* والخيرُ والشرُّ مقرونان في قرْنٍ *

فالقرْنُ الجبل ؛ وأراد أنهما مجموعان لا يفترقان ؛ من حيثُ لا يكاد يُصيب الإنسان في الدنيا خيرٌ صِرْفٌ لا شرٌّ فيه ؛ فلهذا قال إنهما مقرونان . ويجوز أيضاً أن يريد أن
٥ لسرعةِ تقلُّب الدنيا وإبدالها الخيرَ بالشرِّ كأن الخيرَ والشرَّ مقرونان مجموعان معاً ، لتقارب ما بينهما .

فأما الجديدان ، فهما الليل والنهار ، وهما أيضاً الأجدان ، والمَلَوَانِ ، والفتيان ، والردَّفان ، والعصران ؛ قال الشاعر :

إِنَّ الْجَدِيدَيْنِ فِي طُولِ اخْتِلَافِهِمَا لَا يَفْسُدَانِ وَلَكِنْ يَفْسُدُ النَّاسُ^(١)
١٠ وقال آخر :

وَأَمْطَلَهُ الْعَصْرَيْنِ حَتَّى يَمْلَأَنِي وَيَرْضَى بِنِصْفِ الدِّينِ وَالْأَنْفُ رَاغِمٌ^(٢)
وقال أبو عبيدة : ويقال الليل والنهار ابنا سُبَات ، وأنشد ابنُ الأعرابي :
وَكُنَّا وَهُمْ كَابْنِي سُبَاتٍ تَفَرَّقَا سِوَى ثَمٍّ كَانَا مُنْجِدًا وَتَهَامِيَا^(٣)
ويقال للغداة والعشى : القَرَّتَانِ^(٤) ، والبرْدَان ، والصَّرْعَان^(٥) .

١٥ أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى قال : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الحكيم قال : أُمِلَى عَلَيْنَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ثَعْلَبُ النُّحْوِيُّ قَالَ : أَنْشَدَنَا ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ لِرُفَيْعِ بْنِ الْوَالِبِيِّ :

كَذَبْتُكَ مَا وَعَدْتُكَ أَمْسَ صَلَاحٌ وَعَسَى يَكُونُ لِمَا وَعِدْتَ نَجَاحٌ^(٦)

(١) البيت للخفساء ، ديوانها : ١٥٤ . (٢) الجوان ٣ : ٢٤٩ ، وإصلاح اللنطق : ٤٣٧ ، من غير عزو . (٣) اللسان (سبت) ، ونسبه إلى ابن أحر ، وفيه عن ابن حبيب : « أن ابني سبات رجلان ، رأى أحدهما صاحبه في المنام ثم انتبه ، وأحدهما بنجد والآخر بهامة » (٤) ت : « القرنان » . (٥) حاشية الأصل : « أصل الصرع الذي يصارعك » . (٦) صلاح : اسم امرأة ، وفي حاشية الأصل : « كأنها وعدته بالوصال الذي يرى سقمه » .

بُرْءٍ مِنْ السَّتَمِ الطَّوِيلِ ضَمَانُهُ لَا يَسْتَوِي سَقَمٌ بِكُمْ وَصِحَاحُ
أَصْلَاحِ إِنْكَ قَدْ رَمَيْتِ نَوَافِذًا وَجَوَائِفًا لَيْسَتْ لَهْنٌ جِرَاحُ^(١)
وَلَقَدْ رَأَيْتُكَ بِالْقَوَادِمِ لِحَّةً وَعَلَى مِنْ سُدْفِ الْعَشَى رِيَاخُ^(٢)

— معنى رياح هاهنا ، أى على وقت من العشى ، ومثله رَوَاح ؛ وقوم يروونه بالكسر

وليس بشيء —

هـ
/ ما كَانَ أَبْصَرَ نِي بِغِرَّاتِ الصَّبَا فَاَلْيَوْمَ قَدْ شَفَعْتُ لِي الْأَشْبَاحُ^(٣) [١٢٣]
وَمَشَى بِجَنْبِ الشَّخْصِ شَخْصٌ مِثْلُهُ وَالْأَرْضُ نَائِيَةً الشُّخُوصِ بَرَاخُ^(٤)
حَلَقَ الْحَوَادِثُ لِمَتَى قَتَرَ كُنَّ لِي رَأْسًا يَصِلُ كَأَنَّهُ جُمَاحُ
وَذَكَا بِأَصْدَاغِي وَقَرْنِ ذَوَّابَتِي قَبَسُ الْمَشِيبِ كَأَنَّهُ مِصْبَاحُ

قال : كَأَنَّهُ جُمَاحُ مِنْ امْتَلَاسِهِ ، وَجُمَاحُ : سَهْمٌ أَوْ قِصْبَةٌ يُجْعَلُ عَلَيْهِ طِينٌ ، ثُمَّ يُرْمَى بِهِ ١٠

الطير .

وبهذا الإسناد لبعضهم :

أَرَى النَّاسَ لِلصَّعْلُوكِ حَرْبًا وَلَا أَرَى لَذَى نَشَبٍ إِلَّا خَلِيلًا مُصَافِيَا
أَرَى الْمَالَ يَغْشَى ذَا الْوُصُومِ فَلَا تُرَى وَيُدْعَى مِنَ الْأَشْرَافِ مَنْ كَانَ غَانِيَا^(٥)

١٥ الصَّعْلُوكُ : الْفَقِيرُ ، وَهُوَ أَيْضًا الْقُرْضُوبُ ، وَالشُّبْرُوتُ . وَالْوُصُومُ : الْعِيُوبُ .

وبهذا الإسناد لعقيل بن عُفَّة :

إِنِّي لَيَحْمَدُنِي الْخَلِيلُ إِذَا اجْتَدَى مَالِي وَيَكْرَهُنِي ذَوُو الْأَضْغَانِ
وَأَيَّتُ تَخْلِجُنِي الْهُمُومُ كَأَنَّنِي دَلُّو السُّقَاةَ تُمَدُّ بِالْأَشْطَانِ^(٦)

(١) نوافذ ؛ أى سهاماً نافذة ، وجوائف ، أى تبلم الجوف . (٢) البيت فى اللسان (روح) ،

ورواه : « رياح » بالكسر . والقوادم : أوائل النظر . والسدف : جمع سدفه ؛ وهى الظلمة .

(٣) شفعت : صارت شفعا ، أى أصبح يرى الشيء شيئين كما يراه الأحول ؛ يصف ضعف بصره .

(٤) حاشية ت (من نسخة) : « نائية » . (٥) حاشية ت : « غانيا ؛ أى غنيا ؛ ومعناه

فاغنى ، كلابن وتامر » . (٦) تخرجنى : تشغلنى ؛ كذا ذكره صاحب اللسان واستشهد

بالبيت . والأشطان الحبال .

وَأَعِيشُ بِالْبَلَلِ الْقَلِيلِ وَقَدْ أَرَى أَنَّ الرَّمُوسَ مَصَارِعُ الْفِتْيَانِ^(١)

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال: حدثني علي بن منصور قال: أخبرني محمد بن موسى عن دُعبل بن علي قال قال عَقِيل بن عُفْلَةَ: - وذكر الأبيات الثلاثة ، وزاد فيها :
ولقد عَلِمْتُ لئنْ هَلَكْتُ لَيَذْكُرَنَّ قَوْمِي إِذَا عَانَ النَّجِيُّ مَكَانِي^(٢)

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله تأييده : وكان عَقِيل بن عُفْلَةَ مع قوّة شعره جيّد الكلام حكيم الألفاظ . وروى المدائني قال: قال عبد الملك بن مروان لِعَقِيل بن عُفْلَةَ المرّي: ما أحسن^(٣) أموالكم ؟ فقال : ما ناله أحدنا عن أصحابه تفضّلاً ، قال : ثم أيها ؟ قال : موارثنا ، قال : فأيتها أشرف ؟ قال : ما استفدناه بوقعة خوّلتُ نعماً ، وأفادتُ عزّاً ، قال : [١٢٤] فما مبلغُ عزِّكم ؟ قال : ما لم يُطْمَعْ فينا ، ولم / نُؤْمَنْ ، قال : فما مبلغُ جودكم ؟ قال : ما عقّدناه مِنَّا ، وأبقينا به ذِكْرًا ، قال : فما مبلغُ حفاظكم ؟ قال : يدفع كل رجلٍ منا عن المستجير به كدفاعه عن نفسه ؛ قال عبدُ الملك : هكذا فليصفِ الرجل قومه .

وروى أنه قيل لِعَقِيل بن عُفْلَةَ : قد عَنَسَتْ^(٤) بناتك ، أمّا تحشى عليهنّ الفساد ؟ قال : كلاً ، إني خَلَفْتُ عندهنّ الحافظين ، قميل : وما هما ؟ قال : الجُوع والعُرى ، أجمعين فلا يَأْشُرْنَ ، وأعرّيهنّ^(٥) فلا يَظْهَرْنَ .

وقال له عبد الله يوماً : مالك تهجّو قومك ؟ قال : لأنهم أشباه الغنم ، إذا صِيحَ بها رَفَعَتْ ، وإذا سُكِّتَ عنها رَتَعَتْ ، قال : إنَّما تقول البيتَ والبيتين ، قال : حسبي من القلادة ما أحاط بالعنق .

(١) البلل في الأصل : مابل الخلق من ماء أولي أو غيره .

(٢) حاشية الأصل : « يصف نفسه بحفظ الأسرار » يقول : إذا مت والناس يناجون غيري فيفشي

أسرارهم ؛ يذكرونني عند ذلك ويذكرون مكاني . (٣) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف :

« ما أخس » . (٤) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « عنست بناتك ؛ يتاء الحطاب ؛ أي أخرتهن

عن التزويع . (٥) حواشي الأصل ، ت ، ف : « في معناه الحديث : (اعروا النساء يلزمن الحجال) »

فأما معنى « علفّة » اسم أبيه ، فإن ابن الأعرابي قال : العلفّة مثل الباقلاء الرطبة تكون تحت الزهرة من البقل وغيره . وقال أبو سعيد الشكري : العلفّة ضرب من أوعية بزّر بمض النبات مثل قشرة الباقلاء . واللّويا ؛ وهو الغلاف الذي يجمع عدّة حبّ .

وقيل : إن عقيلاً كان يُكنّى بأبي الوليد ، وكان رجلاً غيوراً موصوفاً بشدة الغيرة ، وروى أبو عمرو بن العلاء أنّه حمل يوماً ابنة له وأنشأ يقول :

إني وإن سيقَ إلى المهرُ ألفٌ وعبدانٍ وذوُدٌ عشرُ^(١)
أحبُّ أصهارى إلى القبرُ

وذكر الأصمعيّ أن عقيلاً كان لغيرته إذا رأى الرجل يتحدث إلى النساء أخذّه ، ودَهَنَ أرفاغه^(٢) ومنايته بزُبْدٍ وربطه وطرحه في قرية النمل ، فلا يعود إلى محادثتهنّ . وروى الأصمعيّ قال : كان^(٣) عقيّل بن علفّة في بعض سفره ، ومعه ابنه العمّلس وابنته ١٠ الجرباء ، فأنشأ يقول :

قَضَتْ وَطَرًا مِنْ دَيْرٍ سَمْدٍ وَرُبَّمَا عَلَى عَجَلٍ نَاطَحْنَهُ بِالْجَمَاجِمِ^(٤)
ثم أقبل على ابنته فقال : أَجِزْ يَا عَمَلْسُ ، فقال :
وَأَصْبَحْنَ بِالْمَوَامَةِ يَحْمِلْنَ فِتْيَةً نَشَاوَى مِنَ الْإِدْلَاجِ مِيلَ الْعَامِ^(٥)

(١) الذود : القطيع من الإبل . (٢) الأرفاغ : جمع رفع ؛ وهو أصل الفخذ ، والمغابن : جمع مغبن ، كمنزل وهو الإبط . (٣) الخبر في الأغاني ١٢ : ٢٥٦-٢٥٧ (طبع دار الكتب المصرية) . (٤) دير سعد : بين بلاد غطفان والشام ، وبعده في رواية الأغاني :

إِذَا هَبَطْتُ أَرْضًا يَمُوتُ غُرَابُهَا بِهَا عَطَشًا أُعْطِيَنَّهُمْ بِالْخَزَائِمِ
والخزائم : جمع خزامة ، وهي حلقة من شعر تجعل في أحد جانبي البعير لينقاد بها . (٥) المومة : المغازاة الواسعة . نشاوى : سكارى . الإدلاج : السير من أول الليل ، وبعده في رواية الأغاني :

إِذَا عَلِمَ غَادَرْنَهُ بِنَنُوفَةٍ تَذَارَعْنَ بِالْأَيْدِي لِأَخِرِ طَائِمِ

— والعلم : شئ . ينصب في الفلوات تهتدى به الضالة . الننوفة : المغازاة . تذارعن : سرن ، وأصله أن يذرع البعير بيديه في سيره ذرعاً إذا سار على قدر سعة خطوه . رسم طاسم : دارس .

ثم أقبل على ابنته ، فقال : أجزى يا جرباء ، فقالت :

كأن الكرى سقاهم صرّ خديّةً عَقَارًا تَمَشَّتْ فِي الْمَطَا وَالْقَوَائِمِ^(١)

[١٢٠] قال : / فأقبل على ابنته يضربها ويقول : والله ما وصفتها بهذه الصفة حتى شربتها ،

فوثب عليه إخوانها فقاتلوه دونها ، ثم رماه أحدُهم بسهم فانتظم فخذيه ، فقال عقيل :

إِنَّ بَنِيَّ زَمَلُونِي بِالْدَّمِ^(٢) مَنْ يَكُنْ أَبْطَالَ الرَّجَالِ يُكَلِّمُ^(٣)

وَمَنْ يَكُنْ ذَا أَوْدٍ يُقَوِّمُ شَنْشِنَةَ أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَمِ

الشنشننة : الطبيعة والسجية . وقيل الشبه ، وهذا مثل اجتلبه عقيل^(٤) ، وقد قيل قبله :

ولعقيل :

وَالِدَهِرٍ أَثَوَابُ فَكُنْ فِي لِبَاسِهِ كَلْبِيسَتِهِ يَوْمًا أَجَدَّ وَأَخْلَقَا^(٥)

وَكَنْ أَكَيْسَ الْكَيْسَى إِذَا كُنْتَ فِيهِمْ وَإِنْ كُنْتَ فِي الْحَمَى فَكُنْ أَنْتَ أَحَقَّمَا ١٠

(١) الصرخدية : منسوبة إلى صرخد ، وهو بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق . العقار : الخمر . المطا : الظهر . (٢) رواية الأغاني : « سربلوني » ، (٣) رواية اللسان (شتن) : « آساد الرجال » . (٤) حاشية الأصل : « قال س : قرأت في أمالي ابن الجبان الأصهباني : شنشننة [بالفتح] ، وشنشننة [بالكسر] ، وشنشننة [بالفتح] ، وشنشننة [بالكسر] ، قال : قدفسروها بالطبيعة وبالضفة من اللحم وبالحجامة . ضارب هذا المثل حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن أخزم الطائي حين نشأ حاتم ، وتقبل أخلاق جده أخزم في الجود فقال : « شنشننة أعرفها من أخزم » ، وتمثل به عقيل ابن علفة « وفي اللسان عن ابن برى : « كان أخزم عاقلا لأبيه ، فمات وترك بنين عقوا جدهم وضربوه وأدموه ، فقال ذلك » .

وانظر ترجمة عقيل وأخباره وأشعاره في (الأغاني ١١ : ٨١-٨٩) .

(٥) حاشية ف : « المعنى : فالبس مع الدهر لبوسه ؛ إن لبس الجديد فالبس أيضا أنت الجديد ، وبالعكس » .

مَجْلِسُ آخِرِ تَأْوِيلِ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ ؛ [البقرة : ٢١٠] فقال : كيف يصحُّ القولُ بأنَّها رجعتُ عليه وهي لم تخرج عن يده ؟ .

الجواب ، قلنا قد ذُكر في ذلك وجوه :

أولها أنَّ الناس في دار المحنة والتكليف قد يغترَّ بعضهم ببعض ، ويعتقدون فيهم أنهم بملكوت جبرِّ المنافع إليهم وصرفِ المضارِّ عنهم ، وقد تدخَّل عليهم الشبهة لتقصيرهم في ٥
ال نظر ، وعدولهم عن وجهه وطريقه ، فيعبُدُ قومَ الأصنام وغيرها من المعبودات الجامدة الهامدة التي لا تسمع ولا تبصر ، ويعبُدُ آخرون البشرَ ، ويجعلونهم شركاء لله تعالى في استحقاق العبادة ؛ ويضيفُ كلُّ هؤلاء أفعال الله عز وجل فيهم إلى غيره ، فإذا جاءت الآخرة ، وانكشف الغطاء واضطربوا إلى المعارف زال ما كانوا عليه في الدنيا من الضلال واعتقاد الباطل ، وأيقن الكلُّ أنَّه لا خالقَ ولا رازقَ ولا خازنَ ولا نافعَ غيرُ الله تعالى فردوا إليه ١٠
أمورهم ، وانقطعت آمالهم من غيره ، وعلموا أنَّ الذي كانوا عليه من عبادة غيره ، وتأويله للضرِّ والنفع غرورٌ وزور ، فقال الله تعالى : ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ لهذا المعنى .

والوجه الثاني أن يكون معنى الآية في الأمور أنَّ الأمور كلها لله تعالى ، وفي يده وقبضته

من غير خروج ورجوع حقيقٍ ؛ وقد تقول العرب : قدرجع علىَّ من فلان مكروهه ، بمعنى

صار إلىَّ منه ؛ ولم يكن سبق إلىَّ قبلَ هذا الوقت ، وكذلك يقولون : قد/عاد علىَّ من زيد ١٥

[١٢٠]

كذا وكذا وإن وقع منه على سبيل الابتداء قال الشاعر :

وإن تكنِ الأيامُ أحسنَ مرَّةً إلىَّ فقد عادتْ لهنَّ ذُنُوبُ

أى صارت لها ذنوبٌ لم تكن من قبل؛ بل كان قبلها إحسان فتحمل الآية على هذا المعنى شائع جاز تشهده اللغة .

والوجه الثالث أننا قد علمنا أن الله تعالى قد ملك العباد في دار التكليف أمورا تنقطع بانقطاع التكليف، وإفضاء الأمر إلى الدار الآخرة ، مثل مملكته المولى من العبيد ، وما ملكه الحكام من الحكم وغير ذلك ؛ فيجوز أن يريد تعالى برجع الأمر إليه انتهاء ما ذكرناه من الأمور التي يملكها غيره بتمليكها إلى أن يكون هو وحده مالكا ومُدبرها .

ويمكن في الآية وجه آخر ؛ وهو أن يكون المراد بها أن الأمر ينتهي إلى ألا يكون موجود قادر غيره ، ويُفصى الأمر في الانتهاء إلى ما كان عليه في الابتداء ، لأن قبل إنشام الخلق هكذا كانت الصورة ، وبعد إفنائهم هكذا تصير وتكون الكناية برجع الأمر إليه عن هذا المعنى ، وهو رجوع حقيق ، لأنه عاد إلى ما كان عليه متقدما .

ويحتمل أيضا أن المراد بذلك أن إلى قدرته تعود المقدورات ، لأن ما أفناه من مقدوراته الباقية كالجواهر والأعراض ترجع إلى قدرته ، ويصح منه تعالى إيجاد عوده إلى ما كان عليه ، وإن كان ذلك لا يصح في مقدورات البشر ، وإن كانت باقية لما دلَّ عليه الدليل ، من اختصاص مقدور القدر باستحالة العود إليها ، من حيث لم يجز فيها التقديم والتأخير .

وهذا أيضا حكم ، هو تعالى المتفرد به دون غيره من سائر القادرين ، والله أعلم بما أراد .

تَأْوِيلُ آيَةِ أُخْرَى

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَأَتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ ، [البقرة : ١٨٩] .

فقال : أى معنى لذكر البيوت وظهورها وأبوابها ؟ وهل المراد بذلك البيوت المسكونة

على الحقيقة ، أو كُتِبَ بهذه اللفظة عن غيرها ؟ فإن كان الأول فما الفائدة في إتيانها من أبوابها دون ظهورها ؟ وإن كانت كنايةً فبينوا وجهها ومعناها .
الجواب قيل له في الآية وجوه .

أولها ما ذكر من أن الرجل من العرب كان إذا قصد حاجةً فلم تُقَضَّ له ، ولم يُنْجِجْ فيها رَجَعَ فدخل من مؤخر البيت ، ولم يدخل من بابه تطيُّراً ، فدلَّهم الله تعالى على أن هذا من فعلهم لا برٍّ فيه ، وأمرهم من التقى بما ينفعهم ويقرَّبهم إليه ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن التطيُّر وقال : « / لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر » ؛ أي لا يُعْدَى [١٢٠] ط شئٌ شيناً . وقال عليه السلام : « لا يُورَدُ ذو عاهة على مصحٍّ » ؛ ومعنى هذا الكلام أن مَنْ لحقَّ إبَّله آفةٌ أو مرضٌ فلا ينبغي أن يوردها على إبلٍ لغيره صحاح ، لأنه متى لحقَّ الصَّحاح مثل هذه العاهة اتفاقاً ، لا لأجل العدوى لم يؤمن من صاحب الصَّحاح أن يقول ١٠ إنما لحقَّ إبلي هذه الآفة من تلك الإبل ، وهي أعدتْ إبلي ، فنهى النبي صلى الله عليه وآله عن هذا ، ليزول المأثم بين الفريقين والظنُّ القبيح .

وثانيها أن العرب إلا قريشاً ومن ولدته قريش كانوا إذا أحرموا في غير الأشهر الحرم لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها ، ودخلوها من ظهورها إذا كانوا من أهل الوبر ، وإذا كانوا من أهل المدر نقبوا في بيوتهم ما يدخلون ويخرجون منه ، ولم يدخلوها ولم يخرجوا من أبواب ١٥ البيوت ؛ فنهى الله تعالى عن ذلك ، وأعلمهم أنه لا معنى له ، وأنه ليس من البرِّ وأن البرَّ غيره .

وثالثها - وهو جواب أبي غبيدة معمر بن المثنى - أن المعنى ليس البرُّ بأن تطلبوا الخير من غير أهله ، وتلتمسوه من غير بابه ، ﴿ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ ، معناه : واطلبوا الخير من وجهه ، ومن عند أهله .

ورابعها - وهو جواب أبي علي الجبائي - أن تكون الفائدة في هذا الكلام ضرب المثل ،

وأراد : ليس البرّ أن يأتي الرجل الشيء من خلاف جهته ؛ لأن إتيانه من خلاف جهته يُخرج الفعل عن حصد الصواب والبرّ إلى الإثم والخطأ ، وبين البرّ والتقوى ، وأمر بإتيان الأمور من وجوهها ، وأن تُفعل على الوجوه التي لها وجبت وحسنت ، وجعل تعالى ذكر البيوت وظهورها وأبوابها مثلاً ؛ لأن العادل في الأمر عن وجهه كالعادل في البيت عن بابه .

◦ وخامسها أن تكون البيوت كنايةً عن النساء ، ويكون المعنى : وأتوا النساء من حيث أمركم الله ، والعرب تسمي المرأة بيتاً ؛ قال الشاعر :

مالي إذا أنزعها صأيتُ أ كبرَ غَيْرَني أم بيتُ^(١)

أراد بالبيت : المرأة .

ومما يمكن أن يكون شاهداً للجواب الذي حكيناه عن أبي عليّ الجُبائيّ ، والجواب عن [١٢٦] أبي عبيدة أيضاً ما أخبرنا به أبو القاسم عبيد الله عثمان بن يحيى قال : أخبرنا / أبو عبد الله محمد بن أحمد الحكيميّ قال : أُملي علينا أبو العباس أحمد بن يحيى النحويّ قال : أنشدنا ابن الأعرابيّ^(٢) :

إني عَجِبْتُ لَأَمِّ الْعَمْرِ إِذْ هَزَنْتُ مِنْ شَيْبِ رَأْسِي وَمَا بِالشَّيْبِ مِنْ عَارٍ^(٣)
ما شِقْوَةُ الرَّءِ بِالْإِفْتَارِ يُقْتَرُهُ وَلَا سَعَادَتُهُ يَوْمَماً بِإِكْثَارِ
إِنَّ الشَّقَى الَّذِي فِي النَّارِ مَنَرُهُ وَالْفَوْزُ فَوْزُ الَّذِي يَنْجُو مِنَ النَّارِ
أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ أَمْرِ يَزْبَنُ لِي شَمَّ الْعَشِيرَةِ أَوْ يُدْنِي مِنَ الْعَارِ
وخيِرَ دُنْيَا يُنْتَسَى أَمْرَ آخِرَةٍ وَسَوْفَ يُبْدِي لِي الْجَبَّارُ أَسْرَارِي^(٤)

(١) البيان في اللسان (صأى) وفي حاشية الأصل : « هذا مستق يستق الماء من البئر وينزع الدلو . وإفاء في قوله : « أنزعها » راجعة إلى الدلو ؛ وقيل الضمير للقوس ؛ يقال : « صأى بصأى ، مثل صعى بصعى ؛ إذا صوت » . (٢) أبيات منها في الكامل ٢ : ٥١-٥٢ — بشرح الرصني ؛ عن ابن الأعرابيّ ، ونسبها إلى أحد ابني حبناء ، قال : « وأحسبه صخرًا » .

(٣) حاشية الأصل : « وروى : « لَأَمِّ الْعَمْرِ — باغين المعجمة » ، ورواية الكامل :

إِنِّي هَزَنْتُ مِنْ أَمِّ الْعَمْرِ إِذْ هَزَنْتُ بِشَيْبِ رَأْسِي ، وَمَا بِالشَّيْبِ مِنْ عَارٍ

(٤) د :

* وَسَوْفَ تَبْدُو إِلَى الْجَبَّارِ أَسْرَارِي *

لَا أَدْخُلُ الْبَيْتَ أَحْبُو مِنْ مُؤَخَّرِهِ وَلَا أَكْسِرُ فِي ابْنِ الْعَمِّ أَظْفَارِي
فَقُولُهُ :

* لَا أَدْخُلُ الْبَيْتَ أَحْبُو مِنْ مُؤَخَّرِهِ *

يَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ بِهِ : إِنِّي لَا آتِي الْأُمُورَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ ، عَلَى أَحَدِ الْأَجُوبَةِ فِي الْآيَةِ ،
وَيَحْتَمِلُ أَيْضًا أَنْ لَا أَطْلُبُ الْخَيْرَ إِلَّا مِنْ أَهْلِهِ عَلَى جَوَابِ أَبِي عُبَيْدَةَ ، وَيَحْتَمِلُ وَجْهًا آخَرَ ^(١) ؛
وَهُوَ أَنْ يَرِيدَ أَنِّي لَا أَقْصِدُ الْبَيْتَ لِلرِّيَّةِ وَالْفَسَادِ ، لِأَنَّ مِنْ شَأْنٍ مَنْ يَسْعَى إِلَى إِفْسَادِ الْحُرْمِ ،
وَيَقْصِدُ الْبَيْوتَ لِلرِّيَّةِ أَنْ يَعْدِلَ عَنْ أَبْوَابِهَا طَلِبًا لِإِخْفَاءِ أَمْرِهِ ، فَكَأَنَّهُ نَفَى عَنْ نَفْسِهِ هَذَا
الْقَوْلَ الْقَبِيحَ ، وَتَنَزَّاهُ عَنْهُ ؛ كَمَا تَنَزَّاهُ بِقَوْلِهِ :

* وَلَا أَكْسِرُ فِي ابْنِ الْعَمِّ أَظْفَارِي *

عَنْ مِثْلِهِ ، وَأَرَادَ أَنَّهُ لَا يَنْدَى ^(٢) ابْنُ الْعَمِّ مَنِ السُّوءِ ، وَلَا يَتَأَمُّ بِشَيْءٍ مِنْ جَهْتِي ، فَأَكُونُ ١٠
كَأَنِّي قَدْ جَرَحْتُهُ بِأَظْفَارِي ، وَكَسَرْتُهَا فِي لَحْمِهِ ؛ وَهَذِهِ كُنَايَاتٌ بَلِيغَةٌ مَشْهُورَةٌ لِلْعَرَبِ .

وَيَجْرِي تَجْرِي هَذِهِ الْأَبْيَاتُ وَيُقَارَبُهَا فِي الْمَعْنَى وَحَسَنِ الْكُنَايَةِ قَوْلُ هِلَالِ بْنِ خَثَمٍ :
وَإِنِّي لَعَفْتُ عَنْ زِيَارَةِ جَارَتِي وَإِنِّي لَمَشْنُوهُ إِلَى اغْتِيَابِهَا
إِذَا غَابَ عَنْهَا بَعَاثُهَا لَمْ أَكُنْ لَهَا زَمْرًا وَلَمْ تَنْبَحْ عَلَيَّ كَلَابُهَا ^(٣)
وَمَا أَنَا بِالْدَّارِي أَحَادِيثَ بَيْتِهَا وَلَا عَالِمٍ مِنْ أَيْ حَوْكٍ ثِيَابِهَا ١٥
وَإِنْ قَرَابَ الْبَطْنِ يَكْفِيكَ مِلْوُهُ وَيَكْفِيكَ عَوْرَاتِ الْأُمُورِ اجْتِنَابُهَا ^(٤)

(١) حَاشِيَةٌ (مِنْ نَسْخَةٍ) : « وَوَجْهٌ آخَرٌ » . (٢) حَوَاشِي الْأَصْلِ ، ت ، ف : « مِنْ

حَرَكَاتِهِمْ : مَا يَنْدَى مَنِ السُّوءِ ، أَيْ مَا يَصِيبُكَ ، وَيُقَالُ : مَا نَدَيْتَ هَذَا الْأَمْرَ وَلَا نَفَقْتُ بِهِ ، وَلَا بَلَلْتُ بِهِ ،
أَيْ مَا عَلِمْتَهُ وَلَا أَصْبَحْتُهُ ، قَالَ النَّابِغَةُ :

وَلَا نَدَيْتُ بِشَيْءٍ أَنْتَ تَكْرَهُهُ إِذَا فَلَا رَفَعَتْ سَوَاطِي إِلَى يَدِي

(٣) يَقَالُ رَجُلٌ زَوَارَ وَزَعُورَ ، كَذَا ذَكَرَهُ صَاحِبُ اللِّسَانِ وَاسْتَشْهَدَ بِالْبَيْتِ .

(٤) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ : « الْقَرَابُ : مَا دُونَ الْمَلَأِ أَوْ قَرِيبُ مِنْهُ » .

قال سيدنا أدام الله علوه : وقد جمعت هذه الأبيات فقراً عجيبة ، وكناياتٍ بليغة ،
لأنه نفى عن نفسه زيارة جارتِه عند غيبة بعلمها ، وخصَّ حال الغيبة لأنها أدنى إلى الرِّيبة
[١٢٦] وأخصَّ بالثَّمة فقال : « ولم تنبجْ على كلابها » ، أراد : إني لا أطرقها ليلاً مستخفياً
متنكراً فتُنكِرنِي كلابها ، وتنبحني ، وهذه الكناية تجرى مجرى قول الشاعر المتقدم :

* لا أدخل البيت أحبُّ مِن مؤخره *

وقد روى : « ولم تأنس إلى كلابها » وهذا معنى آخر ، كأنه أراد أنه ليس يُكثر
الطروق لها والغشيان لمنزلها ، فتأنس به كلابها لأن الأنس لا يكون إلاَّ مع الموصلة
والموارة .

وقوله :

* وما أنا بالدَّارِي أحاديث بيتها *

أراد به أيضاً التأكيد في نفي زيارتها وطروقيها عن نفسه ؛ لأنه إذا أدمن الزيارة عرف
أحاديث بيتها ، فإذا لم يزرها وصارَ منها لم يعرف ، ويحتمل أن يريد : إني لأسأل عن أحوالها
وأحاديثها كما يفعل أهل الفضول ؛ فنزّه نفسه عن ذلك .

وقوله :

* ولا عالم من أيِّ حَوْلِك ثيابها *

كنايةً مليحة عن أنه لا يجتمع معها ، ولا يقرب منها ؛ فيعرف صفة ثيابها .

وبالإسناد المتقدم لحارثة بن بدر الغداني^(١) .

إِذَا الِهَمُّ أَمْسَى وَهُوَ دَاكٍ فَأَمِضِهِ وَلَسْتُ بِمُضِيهِ وَأَنْتَ تُعَادِلُهُ
وَلَا تُنْزِلُنْ أَمْرَ الشَّدِيدَةِ بِأَمْرِي إِذَا هَمٌّ أَمْرًا عَوَّقَتْهُ عَوَازِلُهُ^(٢)

(١) هو حارثة بن بدر بن حصين بن قطن بن غدانة ؛ من بني يربوع . كان من فرسان بني تميم
ووجوهها وسادتها ، ولم يكن معدوداً في خول الشعراء ، ولكنه كان يعارض نظراءه في الشعر . (وانظر
أخباره وأشعاره في الأغاني ٢١ : ١٣-٣١) (٢) حواشي الأصل ، ت ، ف : « سوفته عواذله » .

فما كلُّ ما حاولته الموتُ دُونَهُ ، ولا دُونَهُ أرصادُهُ وحبائلُهُ
وما الفتكُ ما أمرتَ فيه ولا الذي تُحدثُ من لافيت أنكَ فاعله (١)
وما الفتكُ إلَّا لامرئٍ ذى حفيظةٍ إذا صال لم ترعدْ إليه خصائلُهُ (٢)
ولا تجملنَّ سرًّا إلى غيرِ أهله فتقعدَ إنْ أفشى عليك تجادله
ولا تسألِ المسالَ البَخيلَ ترى له غنى بعدَ ضيرٍ أو رثته أوائلُهُ (٣) ٥
أرى المسالَ أفياءَ الظلالِ فتارةً يثوبُ ، وأخرى يَحْتِلُ المالَ خاتِلُهُ
معنى « أمرت » شاورت . والخصائل : كل لحم مجتمع .

وقد روينا في هذه الأبيات زيادة على القدر الذى ذكرناه :

أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانى قال حدثنى الحسن بن على قال حدثنا محمد بن العباس
قال حدثنى الفضل بن محمد عن أبى المنهال المهلبى قال : من الأبيات السائرة قولُ حارثة ١٠
ابن بدر الغداني :

لعمرك ما أبقى لى الدهرُ من أخٍ حفى ولا ذى خلةٍ لى أوائلُهُ (٤)
/ ولا من خليلٍ ليس فيه غوائلُ فشرُّ الأخلاءِ الكثيرُ غوائلُهُ [١٢٧]
وقلْ لفؤادٍ إنْ نزا بك نزوةً من الرّوعِ أفرخُ ، أكثرُ الرّوعِ باطلُهُ (٥)
معنى « أفرخ » أى اسكن ، يقال : أفرخ روعه إذا سكن . ١٠

وما كلُّ ما حاولته ، الموتُ دُونَهُ

(١) حاشية ت (من نسخة) : « ولا الفتك » . وآمرت : شاورت .

(٢) من نسخة بحاشية الأصل : « لم ترعد إليه » . وفيها : « الخصائل : جمع خصلة ، وهى كل لحم مجتمع ، مثل الساقين والفخذين » . (٣) حواشى الأصل ، ت ، ف : « يجوز أن يكون ضمير المال أو البخل » . (٤) الحفى : الذى يكرم خليله ويبالغ فى إكرامه ، مع إظهار المسرة والفرح .

(٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « إنما نكر الفؤاد على اعتبار أن له فؤادين ، أحدهما يشجعه والآخر يخبئه ، فقال : لا تطلع الحين ؛ وإنما جعل لنفسه فؤادين يتقسمان للخوف والأمن ، لكيلا يكون فى حال من الأحوال جباناً مطلقاً ، بل يكون مترشحاً بينهما » . وفى حاشية ت (من نسخة) : « للفؤاد » .

وذكر البيتين اللذين بعده ، وزاد :
 وَكُنْ أَنْتَ تَرَعَى سِرَّ نَفْسِكَ وَاعْلَمْ
 إِذَا مَا قَتَلْتَ الشَّيْءَ عِلْمًا فُجِحَ بِهِ (٢)
 بَأَنَّ أَقْلَ النَّاسِ لِلنَّاسِ حَامِلُهُ (١)
 وَلَا تَقُلِ الشَّيْءَ الَّذِي أَنْتَ جَاهِلُهُ
 وَمَا يَسْتَحْسَنُ لِحَارِثَةِ بْنِ بَدْرٍ قَوْلُهُ :
 لَنَا نَبِئَةٌ كَانَتْ تَقِينَا فُرُوعَهَا
 وَإِنَّا لَتَسْتَحِلُّ الْمَنَايَا نَفُوسُنَا
 وَشَيْبَ رَأْسِي قَبْلَ حِينٍ مَشِيبِهِ
 وَقَدْ بَلَغَتْ إِلَّا قَلِيلًا عُرُوقَهَا (٣)
 وَتَرَكُ أُخْرَى مُرَدَّةً لَا تَذُوقُهَا (٤)
 رَعُودُ الْمَنَايَا بَيْنَنَا وَبُرُوقُهَا
 قَوْلُهُ :

* لَنَا نَبِئَةٌ كَانَتْ تَقِينَا فُرُوعَهَا *

١٠ مَثَلٌ ضَرَبَهُ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ عَشِيرَتَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ .
 وَقَدْ رَوَى هَذِهِ الْأَبْيَاتُ عَلِيُّ بْنُ سَلِيمَانَ الْأَخْفَشُ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٍ ، وَزَادَ فِيهَا :
 رَأَيْتُ الْمَنَايَا بَادِيَاتٍ وَغُودًا إِلَى دَارِنَا سَهْلًا إِلَيْنَا طَرِيقَهَا
 وَقَدْ قُسِمَتْ نَفْسِي فَرِيقَيْنِ مِنْهُمَا : فَرِيقٌ مَعَ الْمَوْتِ ، وَعِنْدِي فَرِيقُهَا
 وَبَيْنَا نُرَجَّى النَّفْسُ مَا هُوَ نَارِخٌ مِنَ الْأَمْرِ لَاقَتْ دُونَهَا مَا يَعُوقُهَا
 ١٥ وَرَوَى أَبُو الْعِينَاءِ قَالَ : أَنْشَدَ الشَّعْبِيُّ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ الْأَبْيَاتَ الثَّلَاثَةَ الْأُولَى ،

(١) د : « للسر » ، وفي حاشية ت : « نسخة الشجرى : « أقل الناس للسر حامله » ، كأنه أقلمه لخله .
 (٢) قلت الشيء علما ، أى علمته علما تاما ، ومن نسخة بجواشى الأصل ، ت ، ف :
 « فقل به . (٣) النبع : شجر ينبت فى قلة الجبل ، تتخذ منه العسى .
 (٤) من نسخة بجاشيتى الأصل ، ت : « مرة لاندوقها » ، وفي حاشية ف : مثله « قول السموه
 ابن عاديا اليهودى :

يُقَرَّبُ حُبَّ الْمَوْتِ آجَالَنَا لَنَا وَتَكْرَهُهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ
 أى حبنا الموت ؛ ويجوز أن يكون أضاف الحُب من قوله : « حب الموت » إلى الفاعل ؛ فيكون المعنى :
 يقرب حب الموت لنا آجالنا ؛ ويكون هذا كقول طرفة :
 أَرَى الْمَوْتَ يَعْتَمُّ الْكَرَامَ وَيَصْطَفِي عَقِيلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ

فقال عبد الله: لمن هذا يا شعبي؟ فقال: لحارثة بن بدر، فقال: نحن أحق بهذا، ثم أمر للشعبي بأربعمائة دينار.

ومن مستحسن قول حارثة:

ولقد وليت إمارَةً فرَجَّعْتُهَا في المالِ سَالِمَةً ولم أَمْوَلِ^(١)
ولقد مَنَعْتُ النُّصْحَ مِنْ مُنْقَبِلٍ ولقد رَفَدْتُ النُّصْحَ مَنْ لَمْ يَقْبَلِ
/ فَبَيَّأْتُ لِمَسَةِ لَامِسٍ لَمْ أَلَمَسْ وبَئَى حِيلَةٍ حَائِلٍ لَمْ أَحْتَلِ^(٢) [١٢٧]
يا طَالِبِ الْحَاجَاتِ يَرْجُو نَجْحَهَا ليسَ النِّجَاحُ مَعَ الْأَخْفِ الْأَعْجَلِ
فاصْدُقْ إِذَا حَدَّثْتَ تُكْتَبُ صَادِقًا وَإِذَا حَافَتَ مُعَارِيًا فَتَحَلَّلِ^(٣)
- معنى « تكتب صادقًا »، أى تكون عند الله صادقًا . وقوله: « فتحلل »

أى استثنى -

١٠

وإذا رأيتَ البَاهِشِينَ إِلَى الْعُلَا غُبْرًا أَكْفَهُمُ بَرِيثٌ فاعْجَلِ
- معنى الباهشين: المادّين أيديهم إلى الشيء المهتئين^(٤) له -
واخْذَرْ مَسْكَانَ السُّوءِ لَا تَحُلْ بِهِ^(٥) وَإِذَا نَبَا بِكَ مَنَزِلٌ فَتَحَوَّلِ
وإذا ابنُ عَمِّكَ لَجَّ بَعْضَ لَجَاجَةٍ فانْظُرْ بِهِ عِدَّةً وَلَا تَسْتَمِجَلِ
وإذا افْتَقَرْتَ فَلَا تَكُنْ مُتَخَشِّعًا تَرْجُو الْفَوَاضِلَ عِنْدَ غَيْرِ الْمُفْضِلِ
واستغْنِ مَا أَغْنَاكَ رَبُّكَ بِالْغِنَى وَإِذَا تَكُونُ خِصَاصَةً فَتَجْمَلِ
١٥

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن أبي الأزهر قال حدثنا محمد بن يزيد

(١) عجز البيت الخامس والبيت ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠ نسبت إلى عبد قيس بن خفاف البرجمي في قصيدة مفضلية ٧٥٠-٧٥٣ مطالعها:

أَجْبِلَ إِنَّ أَبَاكَ كَارِبٌ يَوْمِهِ فَإِذَا دُعِيَْتَ إِلَى الْعِظَائِمِ فاعْجَلِ
(٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ف: « خَتَلَةَ خَاتِلٍ لَمْ أَخْتَلِ ».

(٣) مमारيا: مجادلا . (٤) ف، ومن نسخة بحاشيتي الأصل، ت: « المشتين ».

(٥) حاشية ت (من نسخة): « لا تنزل به ».

النحوى قال: كان^(١) حارثة بن بدر الغداني رجل تميم في وقته ، وكان قد غلب على زياد ، وكان الشراب قد غلب عليه ، فقليل لزياد: إن هذا قد غلب عليك ، وهو مستهتر^(٢) بالشراب؛ فقال زياد : كيف باطراح رجل هو يسايرني منذ دخلت العراق، لم يصكك ركابي ركاباه^(٣) ، ولا تقدمني فنظرت إلى قفاه ، ولا تأخر عني فلويت عنقي إليه ، ولا أخذ على الشمس في شتاء قط ، ولا الروح^(٤) في صيف قط ، ولا سألته عن علم إلا ظننته لا يحسن غيره ! فلما مات زياد جفاه ابنه عبيد الله ، فقال له حارثة : أيها الأمير ، ما هذا الجفاء مع معرفتك بالحال عند أبي المغيرة^(٥) ! فقال له عبيد الله : إن أبا المغيرة قد كان برع برؤعا لا يلحقه معه عيب ، وأنا حدث ، وإنما أنسب إلى من يغلب عليّ ، وأنت رجل تديم الشراب ، فمتى قربت بك وظهرت منك رائحة الشراب لم آمن أن يظن بي ، فدع الشراب ، وكن أول داخل عليّ ، وآخر خارج ، فقال له حارثة : أنا لا أدعه لمن يملك ضررى ونفعي ، أفدعه للرجال عندك ! قال : فاختر من عملي ما شئت . قال : توليني / رامهرمز^(٦) ، فإنها أرض عذاة^(٧) ، وسرق^(٨) ؛ فإن بها شرابا وصفا لي . فولاه إياها ، فلما شيعه الناس قال أنس بن أبي أنيس^(٩) - وقيل : ابن أبي إلياس الدبلي :

أحار بن بدر قد وليت إمارة فكن جرذا فيها تخون وتسرق^(١٠)
ولا تحقرن يا حار شيئا وجدته فحظك من ملك العراقين سرق

(١) الخبر في السكامل - بشرح المرصفي ٣-١٩١-١٩٢ .

(٢) مستهتر بالشراب : مولع به ؛ من استهتر بكذا ، مبذبا لما لم يسم فاعله : أولع به لاي فعل غيره ، ولا يتحدث إلا به . (٣) من نسخة بمحاشيتي ف ، ت : « بصطك ركابي ركابه » .

(٤) الروح : برد النسيم . (٥) أبو المغيرة : كنية زياد .

(٦) رامهرمز : مدينة مشهورة بنواحي خوزستان من بلاد الفرس .

(٧) الأرض العذاة : الطيبة الثرة ، البعيدة من الأنهار والنجود والسيابح .

(٨) سرق : إحدى كور الأهواز . (٩) من نسخة بمحاشيتي الأصل ، ت ، ف : « ابن أبي أنس » . وفي الشعر والشعراء : ٧١٤ : « أنس بن أبي أناس » ، من كنانة ، من الدول ، رهط أبي الأسود الدؤلي .

(١٠) الأبيات في الشعر والشعراء : ٧١٥ .

وبادِ تَمِيماً بِالْغِنَى إِنَّ لِلْغِنَى لِسَاناً بِهِ الْعَمَى الْهَيَوْبَةُ^(١) يَنْطِقُ^(٢)
فَإِنَّ جَمِيعَ النَّاسِ ؛ إِمَّا مَكْذَبٌ يَقُولُ بِمَا يَهْوَى ، وَإِمَّا مُصَدِّقٌ^(٣)
يَقُولُونَ أَقْوَالَ وَلَا يَعْلَمُونَهَا فَإِنْ قِيلَ هَاتُوا حَقَّقُوا لَمْ يَحَقِّقُوا
وهذه الأبيات تروى لأبي الأسود الدؤلي ، وأنه كتب بها إلى حارثة لما ردت إليه سُرق ،
وزاد فيها :

وَكُنْ حَازِماً فِي الْيَوْمِ إِنَّ الَّذِي بِهِ يَجِيءُ غَدًا يَوْمٌ عَلَى النَّاسِ مُطْبِقٌ^(٣)
وَلَا تَعْجِزَنْ فَالْعَجْزُ أَوْطَأُ مَرْكَبٍ وَمَا كُلُّ مَنْ يَدْعُو إِلَى الْخَيْرِ يُرْزَقُ
إِذَا مَا دَعَاكَ الْقَوْمُ عَدُّوكَ آ كَلَّا وَكُلُّ حَارٍ أَوْجِعُ ؛ لَسْتُ مِمَّنْ يُحَمَّقُ
ويقال إن حارثة بن بدر أجاب عن هذه الأبيات بقوله :

جَزَاكَ إِلَهُ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ فَقَدْ قَلْتَ مَعْرُوفًا وَأَوْصَيْتَ كَافِيَا^{١٠}
أَشْرْتُ بِأَمْرِ لَوْ أَشْرْتَ بِغَيْرِهِ لَأَلْفَيْتَنِي فِيهِ لِرَأْيِكَ عَاصِيَا^(٤)

ويقال إن حارثة بن بدر والأحنف بن قيس دخلا على ابن زياد ، فقال لحارثة : أَيُّ
الشَّرَابِ أَطِيبُ ؟ وَكَانَ يَنْهَمُ^(٥) ، فَقَالَ : بُرَّةٌ طَاسَارِيَّةٌ ، وَأَقِطَةٌ غَنْوِيَّةٌ ، وَسَمْنَةٌ عَنْبَرِيَّةٌ ، وَسَكَّرَةٌ
سُوسِيَّةٌ ، وَنُظْفَةٌ مَسْرُقَانِيَّةٌ^(٦) . فَقَالَ لِلْأَحْنَفِ : يَا أَبَا بَجْر ، مَا أَطِيبُ الشَّرَابُ ؟ قَالَ :

(١) الهَيَوْبَةُ : الذي يهاب الناس ؛ والهَاءُ فِيهِ لِنَاكِيدِ الْمُبَالَغَةِ . (٢) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ (مِنْ نَسْخَةٍ) :
« تَهْوَى » . (٣) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ : « يَقَالُ غَمَامٌ مُطْبِقٌ ؛ أَيُّ ذُو طَبَقٍ ؛ وَقَدْ أَطْبَقَتِ السَّمَاءُ » .
(٤) الْبَيْتَانِ فِي الْأَغَانِي ٢١ : ٢٣ ، وَبَعْدَهُمَا :

سَتَلْقَى أَخَا يُصْفِيكَ بِالْوُدِّ حَاضِرًا وَيُؤْلِيكَ حِفْظَ الْغَيْبِ إِنْ كُنْتَ نَائِبًا
(٥) ت ، وَمِنْ نَسْخَةٍ بِحَاشِيَةِ الْأَصْلِ : « وَكَانَ يَنْهَمُ » . (٦) حَوَاشِي الْأَصْلِ ، ت ، ف : « ذَكَرَهُ
يَزِيدُ بْنُ مَفْرَغٍ الْحَمِيرِيُّ :

سَقَى هَزِيمُ الْأَوْسَاطِ مُنْبَجِسُ الْعُرَا مِنْ مَسْرُقَانَ فُسْرَفَا
— هَزِيمُ الْأَوْسَاطِ ؛ أَيُّ مَجَاجِلَ بِالرَّعْدِ ، وَهَزِيمُ الرَّعْدِ : صَوْتُهُ ، وَأَوْسَاطُهُ ؛ أَيُّ أَوْسَاطِ السَّحَابِ .

الخمير ، قال : وما يدريك ولست من أهلها ؟ قال : رأيتُ فيها خَصْلَتَيْنِ عرفتُ أنها أطيبُ
الشرابِ بهما ، قال : وما هما ؟ قال : رأيتُ من أُحِلَّتْ له لا يَتَعَدَّاهَا إلى غيرها ، ومن حُرِّمَتْ
عليه يتناولها ، فعرفتُ أنها أطيبُ الشرابِ .

ولحارثة بن بدر يخاطب عبید الله بن زياد لما تَغَيَّرَ عليه بعد اختصاصه كان بأبيه^(١) :

[١٢٨] ط
/ أَهَانُ وَأَقْصَى ثُمَّ تَنَصَّحُونِي وَأَيُّ أَمْرٍ يُعْطَى نَصِيحَتَهُ قَسْرًا !
رَأَيْتُ الْأَكْفَ الْمُصْلَتَيْنِ عَلَيْكُمْ مِلَاءٌ ، وَكَفَى مِنْ عَطَايَاكُمْ صِفْرًا
وإِنِّي مَعَ السَّاعَى إِلَيْكُمْ بِسَيْفِهِ إِذَا أَحْدَثَ الْأَيَّامُ فِي عَظْمِكُمْ كَسْرًا
مَتَى تَسْأَلُونِي مَا عَلَىَّ وَتَمْنَعُوا لَدَى لِي لَا أَسْطِيعُ عَلَى ذَلِكَمْ صَبْرًا

وقال يعاتبه :

١٠ وَكَمْ مِنْ أَمِيرٍ قَدْ تَجَبَّرَ بَعْدَ مَا مَرِيتُ لَهُ الدُّنْيَا بِسَيْفِي فَدَرَّتِ
إِذَا زَبَنَتْهُ عَنْ فُؤَادِي أَنْتَ بِهِ دَعَانِي وَلَا أَدْعَى إِذَا مَا أَقَرَّتِ
إِذَا مَا هِيَ أَحْلَوْلَتْ مَحَاقِقَ مَقْسِمِي وَيَقْسِمُ لِي مِنْهَا إِذَا مَا أَمَرَّتِ
زبنته : أى دفعته عن أن يحلها . والفواق : اجتماع اللب في الضرع بين الحلبتين
ومعنى أقرت : تركته يحلها .

١٥ ويشبه أبيات حارثة هذه قول عبد الله بن الزبير الأسدي يعاتب معاوية ومروان وأهل
بيته ؛ من جملة قصيدة ، وهى أبيات قوية جدًا :

عَطَاؤُكُمْ لِلضَّارِّ بَيْنَ رِقَابِكُمْ وَنُدْعَى إِذَا مَا كَانَ خَزُّ الْكَرَاكِ^(٢)
أُنْحَنُ أَخْوَكُمْ فِي الْمَضِيقِ وَسَهْمُنَا إِذَا مَا قَسَمْتُمْ فِي الْخِطَاءِ الْأَصَاغِرِ
— الخطاء : سهام صغار — .

(١) الخبر مبسوط في (الأغاني ٢١ : ١٥) ، والأبيات فيه منسوبة إلى أنس بن زعيم اللبثي .

(٢) الكراكر : جمع كركرة ؛ وهى صدر البعير . وفي حاشية الأصل : « مثله :

وإذا تكون كريمة أدعى لها وإذا يحاس الحيس يدعى جندب

وَتَذَكُّرُكُمْ الْأَذْنَى إِذَا مَا سَأَلْتُمْ وَنُلْقَى بَشْدَى حِينَ نَسَأُلْ بِاسِرٍ^(١)
وَإِنْ كَانَ فِينَا الذَّنْبُ فِي النَّاسِ مِثْلُهُ أَخَذْنَا بِهِ مِنْ قَبْلِ نَاهٍ وَأَمِرٍ^(٢)

— معنى «من قَبْلِ نَاهٍ وَأَمِرٍ» ، أى من قبل أن نُنْهَى عنه أو نُؤْمِرَ به ، أى باجتنابه —

وَإِنْ جَاءَكُمْ مِنْ غَرِيبٍ بِأَرْضِكُمْ لَوْ يَتِمُّ لَهُ يَوْمًا جُنُوبَ الْمَنَاحِرِ
فَهَلْ يَفْعَلُ الْأَعْدَاءُ إِلَّا كِفْمِكُمْ هَوَانَ السَّرَاةِ وَابْتِغَاءَ الْعَوَازِرِ^(٣)
وغيرَ نَفْسِي عَنْكُمْ مَا فَعَلْتُمْ وَذِكْرُ هَوَانٍ مِنْكُمْ مُتَّظَاهِرٍ
جَفَاؤُكُمْ مِنْ عَالَجِ الْحَرْبِ عَنْكُمْ وَأَعْدَاؤُكُمْ مِنْ بَيْنِ جَابٍ وَعَاشِرٍ^(٤)
فَلَا تَسْأَلُونِي عَنْ هَوَايَ وَوُدِّكُمْ وَقُلْ فِي فَوَادٍ قَدْ تَوَجَّهَ نَافِرٍ^(٥)

ولحارث يرى زياداً :

لَهْفَى عَلَيْكَ اللَّهْفَةَ مِنْ خَائِفٍ يَبْنَى جَوَارِكَ حِينَ لَيْسَ مُجِيرُ
أَمَّا الْقُبُورُ فَإِنَّهُنَّ أَوَانِسُ بِجَوَارِ قَبْرِكَ وَالذِّيَارُ قُبُورُ
عَمَّتْ فَوَاضِلُهُ فَعَمَّ مُصَابُهُ فَالنَّاسُ فِيهِ كُلُّهُمْ مَأْجُورُ
رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتُهُ فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنْشُورُ

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه : وأظن أبا تمام الطائيّ نظر إلى قول حارثة

ابن بدر « ردت صنائعه إليه حياته » في قوله :

ألم تَمُتْ يَا شَقِيقَ النَّفْسِ مُذْ زَمَنْ ؟ فَقَالَ لِي : لَمْ يَمُتْ مَنْ لَمْ يَمُتْ كَرَمُهُ^(٦)

وأخبرنا على بن محمد الكاتب قال : أخبرنا ابن دريد قال : أخبرنا عبد الرحمن — يعنى

ابن أخى الأصمعيّ عن عمه قال : مرّ حارثة بن بدر الغدانيّ ، ومعه كعب مولاة ، فجعل لا يمرّ

(١) باسر : قليل اللين . (٢) حاشية ت : « أى إن أذنبنا الذنب الذى يذنب الناس مثله أخذنا

به من قبل أن ننهى عنه أو نُؤْمِرَ بالانكشاف عنه » . (٣) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « هوان »

بضم النون . (٤) الجابى : الذى يأخذ الجباية ، والعاشر الذى يأخذ العشر .

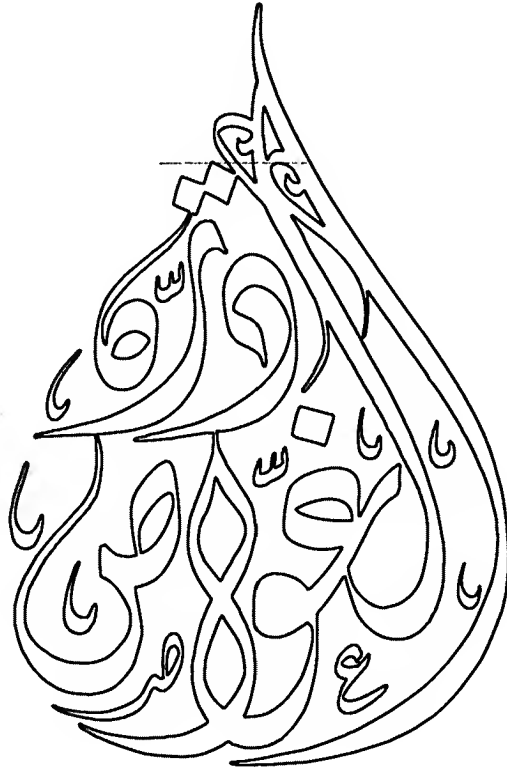
(٥) حاشية الأصل : « أى توجه إلى غيركم ونهر عنكم » . وفى وحاشية الأصل (من نسخة) : «

قد توجد » . (٦) من نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « يا شقيق الجود » .

بمجلس من مجالس تميم إلا قالوا : مرحباً بسيدنا . فقال كعب : ما سمعت كلاماً قط هو أقرّ
لعيني ، وألذّ في سمى مما سمعته اليوم ! فقال حارثة : والكنى ما سمعت كلاماً قط هو أكره
إلى منه ، ثم قال :

ذَهَبَ الرَّجَالُ فَسُدَّتْ غَيْرَ مُدَافِعٍ وَمِنْ الشَّقَاءِ تَفَرَّدِي بِالشَّوْذِدِ^(١)
وهذا البيت يقال إنه لحارثة ، لا أنه تمثّل به .

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني عبد الله بن جعفر قال حدثنا محمد بن يزيد
قال قال الكنانى : مرّ حارثة بن بدر بالأحنف بن قيس فقال : لولا أنك مستعجل
لشاورتكم ، قال له : أجل ، كانوا يكرهون أن يشاورَ الجائع حتى يشبع ، والظمان حتى
ينقّع ، والمُضِلُّ^(٢) حتى يجيد ، والغضبان حتى يرضى ، والمحزون حتى يُفريق .



(١) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « غير مسودة » . (٢) المنضّل : الذى ذهب بعيره .

مَجْلِسُ آخِرِ

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا﴾ / وَاللَّهُ سَرِيعٌ [١٢٩] الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ؛ [البقرة : ٢٠٢] .

فَقَالَ : أَيُّ تَمْذُحٍ فِي سُرْعَةِ الْحِسَابِ ، وَلَيْسَ بِظَاهِرٍ وَجْهُ الْمَذْحَةِ فِيهِ ؟ .

الْجَوَابُ ، قَلْنَا فِي ذَلِكَ وَجْوه :

أَوَّلُهَا أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى أَنَّهُ سَرِيعُ الْمَجَازَةِ ^(١) لِلْعِبَادِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ ، وَأَنْ وَقْتَ الْجَزَاءِ ه قَرِيبٌ وَإِنْ تَأَخَّرَ ، وَيَجْرِي مَجْرَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ ؛ [النحل : ٧٧] .

وإِنَّمَا جَازَ أَنْ يَمْتَرَّ عَنِ الْمَجَازَةِ أَوْ الْجَزَاءِ بِالْحِسَابِ ؛ لِأَنَّ مَا يَجَازِي بِهِ الْعَبْدُ هُوَ كُفٌّ لِفَعْلِهِ وَلِقْدَارِهِ ، فَهُوَ حِسَابٌ لَهُ إِذَا كَانَ مِمَّاثِلًا مُكَافَأً .

وَمِمَّا يَشْهَدُ بِأَنَّ فِي الْحِسَابِ مَعْنَى الْكَفَايَةِ وَالْمُكَافَأَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿جَزَاءٌ مِنْ رَبِّكَ ١٠ عَطَاءً حِسَابًا﴾ ؛ [النبا : ٣٦] ، أَيْ عَطَاءٌ كَافِيًا ، وَيُقَالُ : أَحْسَبَنِي الطَّعَامُ يُحْسِبُنِي إِحْسَابًا إِذَا كَفَانِي ، قَالَ الشَّاعِرُ :

وَإِذْ لَا تَرَى فِي النَّاسِ حُسْنَ يَقْوَاهَا وَفِي النَّاسِ حُسْنَ لَوْ تَأَمَّلْتَ مُحْسِبَ ^(٢)
مَعْنَاهُ كَافٍ .

(١) ت : « الحساب » .

(٢) فِي حَاشِيَتِي الْأَصْلِ ، ف : « يَصِفُ امْرَأَةً بِالْحُسْنِ وَيُبَالِغُ فِي وَصْفِهَا ؛ يَقُولُ : مَا رَأَيْتُهَا حَسَنًا فَاتِ هَذِهِ الْمَرْأَةُ وَتَعْدَاهَا مَعْنَى أَنَّ مَا فِي النَّاسِ كَفَايَةُ حُسْنٍ » .

وثانيها أن يكون المراد أنه عز وجل يحاسب الخلق جميعاً في أوقات يسيرة ، ويقال : إن مقدار ذلك مقدار حُب شاة ؛ لأنه تعالى لا يشغله محاسبة بعضهم عن محاسبة غيره^(١) ؛ بل يكلمهم جميعاً ويحاسبهم كلهم على أعمالهم في وقت واحد ؛ وهذا أحد ما يدل على أنه تعالى ليس بجسم ، وأنه لا يحتاج في فعل الكلام إلى آلة ؛ لأنه لو كان بهذه الصفات - تعالى عنها - لما جاز أن يخاطب اثنين في وقت واحد بمخاطبتين مختلفتين ؛ ولما كان خطاب بعض الناس يشغله عن خطاب غيره ، ولكانت مدة محاسبته للخلق على أعمالهم طويلة غير قصيرة ؛ كما أن جميع ذلك واجب في المحدثين الذين يفتقرون في الكلام إلى الآلات .

وثالثها ما ذكره بعضهم من أن المراد بالآية أنه سريع العلم بكل محسوب ، وأنه لما كانت عادة بني الدنيا أن يستعملوا الحساب والإحصاء في أكثر أمورهم ؛ أعلمهم الله تعالى أنه يعلم ما يحسبون بغير حساب ؛ وإنما سمي العلم حساباً لأن الحساب إنما يراد به العلم ؛ وهذا جواب ضعيف ؛ لأن العلم بالحساب أو المحسوب لا يسمى حساباً ، ولو سمي بذلك لما جاز أيضاً أن يقال إنه سريع العلم بكذا ؛ لأن علمه بالأشياء مما لا يتجدد فيوصف بالسرعة .

ورابعها أن الله تعالى سريع القبول لدعاء عباده والإجابة لهم ؛ وذلك أنه يسأل في وقت واحد^و [١٣٠] سوالات مختلفة / من أمور الدنيا والآخرة ، فيجزى كل عبد بمقدار استحقاقه ومصالحته ، فيوصل إليه عند دعائه ومسألته ما يستوجبه بحمد ومقدار ؛ فلو كان الأمر على ما يتعارفه الناس لطال العدد واتصل الحساب ، فأعلمنا تعالى أنه سريع الحساب ، أى سريع القبول للدعاء بغير إحساس وبحث عن المقدار الذي يستحقه الداعي ؛ كما يبحث المخلوقون للحساب والإحصاء ؛ وهذا الجواب مبني أيضاً على دعوى أن قبول الدعاء لا يسمى حساباً في لغة ولا عرف ولا شرع . وقد كان يجب على من أجاب بهذا الجواب أن يستشهد ٢٠ على ذلك بما يكون حجة فيه ، وإلا فلا طائل فيما ذكره .

ويمكن في الآية وجه آخر ، وهو أن يكون المراد بالحساب محاسبة الخلق على أعمالهم يوم القيامة وموافقتهم عليها ، وتكون الفائدة في الإخبار بسرعه الإخبار عن قرب الساعة ؛ كما قال تعالى : ﴿ سَرِيعُ الْعِقَابِ ﴾ .

وليس لأحد أن يقول : فهذا هو الجواب الأول الذي حكيموه ؛ وذلك أن بينهما فرقاً ؛ لأن الأول مبنى على أن الحساب في الآية هو الجزاء والمكافأة على الأعمال ، وفي هذا الجواب ٥ لم يخرج الحساب عن بابه وعن معنى المحاسبة ، والمقابلة بالأعمال وترجيحها ، وذلك غير الجزاء الذي يفضى الحساب إليه .

وقد طعن بعضهم في الجواب الثاني معترضاً على أبي عليّ الجُبَّائِيّ في اعتماده إياه ^(١) بأن قال ^(٢) : مخرج الكلام في الآية على وجه الوعيد ، وليس في خفة الحساب وسرعة زمانه ما يقتضى زجراً ، ولا هو مما يتوعد بمثله ؛ فيجب أن يكون المراد الإخبار عن قرب أمر الآخرة ١٠ والمجازاة على الأعمال .

وهذا الجواب ليس أبو عليّ هو المبتدئ به ، بل قد حكي عن الحسن البصريّ ، واعتمده أيضاً قُطْرُبُ بن المستنير النحويّ : وذكره المفضل بن سلمة ، وليس الطعن الذي حكيناه عن هذا الطاعن بمبطل له ، لأنه اعتمد على أن مخرج الآية مخرج الوعيد ، وليس كذلك ، لأنه تعالى قال : ﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ ۚ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۚ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [البقرة : ٢٠٠ - ٢٠٢] ، فالأشبه بالظاهر أن يكون الكلام وعداً بالثواب ، وراجعاً إلى الذين يقولون : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا ۚ حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ ، أو يكون راجعاً إلى الجميع ، فيكون المعنى : إن للجميع نصيباً مما كسبوا ؛ فلا يكون وعيداً خالصاً ؛ بل إما أن يكون وعداً خالصاً أو وعداً ووعداً ، على أنه لو كان وعيداً خالصاً على ما ذكر الطاعن لكان لقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ

سَرِيعُ الْحِسَابِ ، على تأويل من أراد قَصْرَ الزمان ، وسرعة الموافقة وجهٌ وتعلقٌ بالوعد والوعيد ؛ لأن الكلام على كل حال متضمنٌ لوقوع المحاسبة على أعمال العباد ، والإحاطة بخيرها وشرّها ؛ وإن وصف الحساب مع ذلك بالسرعة ؛ وفي هذا ترغيب وترهيب لا محالة ، لأن من علم أنه يحاسب بأعماله ، ويواقف^(١) على جميلها وقبيحها انزجر عن القبيح ورغب في فعل الواجب .

فهذا يُنصّر الجواب ، وإن كننا لاندفع أن في حمل الحساب على قرب المجازاة ، أو قرب المحاسبة على الأعمال ترغيباً في الطاعات وزجراً عن المقتبحات ؛ فالتأويل الأول أشبه بالظاهر ونسقى الآية ، إلا أن التأويل الآخر غير مدفوع أيضاً ولا مردول^(٢) .

تَأْوِيلُ آيَةِ أُخْرَى

١٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ؛ [البقرة : ٢١٢] . فقال : أىُّ تمتدح في الإعطاء بغير حساب ، وقد يكون المعطى بحساب أجزل عطية من المعطى بغير حساب ؟ .
الجواب ، قلنا في هذه الآية وجوه :

أولها أن تكون الفائدة أنه تعالى يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بغير تقدير من الرزوق ولا احتساب منه ، فالحساب هاهنا راجع إلى الرزوق لا إليه تعالى ؛ كما يقول القائل : ما كان كذا وكذا في حسابي ، أى لم أو لمه ، ولم أقدر أنه يكون ؛ وهذا وصفٌ للرزق بأحسن الأوصاف ؛ لأن الرزق إذا لم يكن محتسباً كان أهناً له وأحلى ؛ وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه في تفسير هذه الآية أنه قال : عني بها أموال بنى قريظة والنضير ، وأنها تصير إليكم بغير حساب ولا قتال ، على أسهل الأمور وأقربها وأيسرها .

وثانيها أن الله تعالى يرزق مَنْ يشاء رزقا غير مضيق ولا مقترٍ ؛ بل يزيد في السعة والكثرة على كل عطاء المخلوقين ^(١) ، فيكون نفى الحساب فيه نفيا ^(٢) للتضييق ، ومبالغة في وصفه بالسعة ،

والعرب تسمى العطاء القليل / محسوبا ، قال قيس بن الخطيم :

[١٣١]

أَتَى سَرِيَتْ وَكَنتَ غَيْرَ سَرُوبٍ ! وَتَقَرَّبُ الْأَحْلَامُ غَيْرَ قَرِيبٍ ^(٣)

مَا تَمْنَعِي بَقْضِي فَقَدْ تَوَتَيْتَهُ فِي النَّوْمِ غَيْرَ مُصَرَّدٍ مَحْسُوبٍ ^(٤)

وثالثها أن يكون المعنى أنه يرزق مَنْ يشاء ، أى من غير طاب للمكافأة أو إراغة لفائدة تعود إليه ، أو منفعة ترجع عليه ، لأن مَنْ شأن أهل الدنيا أن يُعطوا ليكافئوا ولينتفعوا ، ولهذا يقال فيمن يقصد بالعطية إلى هذه الأمور : فلان يحاسب الناس فيما يعطيهم ، ويناقشهم فيما يوصله إليهم ، وما أشبه ذلك ، فلما انتفت هذه الأمور من عطايه سبحانه جاز أن يقول إنه يرزق بغير حساب .

ورابعها ما أجاب به قُطْرُب ، قال : معنى الآية يعطى العدد الكثير لا مِمَّا ^(٥) يضبطه الحساب ، أو يأتي ^(٦) عايه العدد ، لأن مقدوره تعالى لا يتناهى ، وما في خزائنه لا ينحصر ، ولا يصح عليه النفاذ ؛ وليس كالمعطى من الألف من الألفين ، والعشرة من المائة ؛ لأن مقدار ما يتبع له ويتمكن منه محدود متناهٍ ، ولا تناهى ولا انقطاع لما يقدر سبحانه عليه .

وخامسها أنه يعطى عباده في الجنة من النعيم واللذات أكثر مما استحقوا ، وأزيد مما وجب لهم ، بحسابته إياهم على طاعتهم كما قال تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا

(١) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « عطاء للمخلوقين » . (٢) حاشية الأصل (من نسخة)

« تقبضا » . (٣) ديوانه : ٥ ، وأمالى العالى ٢ : ٢٧٣ ، وحاسة ابن الشجرى : ١٨٩ ،

والآلى : ٥٢٤ . وفي حاشية الأصل : « يخاطب خيال امرأة رآها في المنام ؛ يتعجب من سير خيالها

إليه وكانت غير معتادة لاسير ، والسروب : السارى ، وقيل : السرب سير النهار » . وفي حاشية ت :

« أتى سريت ... » . (٤) المصرد : المقطع ؛ وفي حاشية ت : « وبهذه :

كان المنى بملقائها فلقيتها فلهوت من كهو امرئ مكذوب

(٥) من نسخة بجوانى الأصل ، ت ، ف : « مما لا يضبطه الحساب » .

(٦) ت : « إذ يأتي عليه العدد » .

حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴿٢٤٥﴾ ؛ [البقرة : ٢٤٥] وكما قال عز وجل : ﴿إِنْ تَقْرَءُوا اللَّهَ قَرَضًا حَسَنًا يُضَاعِفَهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ؛ [التغابن : ١٧] ، وكما قال تعالى : ﴿لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ؛ [فاطر : ٣٠] .

وسادسها أن يكون المعطى منّا غيره شيئاً والرازق سواء رزقا قديكون له ذلك، فيكون فعله حسنا لا يُسأل عنه ، ولا يؤاخذ به ، ولا يُحاسب عليه ؛ وربما لم يكن له ذلك، فيكون فعله قبيحا يؤاخذ به ، ويحاسب عليه ، فنفي الله تعالى عن نفسه أن يفعل من الرزق القبيح، وما ليس له أن يفعله بنفي الحساب عنه ، وأنبأ أنه لا يرزق ولا يُعطى إلا على أفضل الوجوه وأحسنها وأبعدها من الذم ؛ وتجري الآية مجرى قوله تعالى : ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ ؛ [الأنبياء : ٢٣] ، وإنما أراد أنه تعالى من حيث وقعت أفعاله كلها حسنة [١٣٠] غير قبيحة لم يجز أن يُسأل عنها / وإن سُئل العباد عن أفعالهم ، لأنهم يفعلون الحسن ^ظ والقبيح معاً .

وسابعها أن الله تعالى إذا رزق العبد وأعطاه من فضله كان الحسابُ عن العبد ساقطاً من جهة الناس ، فليس لأحد أن يقول له : لِمَ رَزَقْتَ ؟ ولا يقول لربه : لِمَ رَزَقْتَهُ ؟ ولا يسأله ربه عن الرزق ، وإنما يسأله عن إنفاقه في الوجوه التي يُنفقه فيها ، فيسقط (١) الحساب من هذه الوجوه عما يرزقه الله تعالى ، ولذلك قال تعالى : ﴿بَغْيِرٍ حِسَابٍ﴾ .

وثامنها أن يكون المرادُ بـ ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ أن يرزقه من أهل الجنة ، لأنه يرزقهم رزقاً لا يصح أن يتناول جميعه الحساب ، ولا العدد والإحصاء من حيث لا نهاية له ولا انقطاع للمستحق منه ؛ ويطابق هذه الآية قوله تعالى في موضع آخر : ﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ؛ [غافر : ٤٠] .

تَأْوِيلُ خَبَرِ

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنِ الْخَبَرِ الَّذِي يُرَوَّى عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « تَوَضَّأُوا مِمَّا غَيَّرَتْ النَّارُ » ، فَقَالَ : مَا الْمَرَادُ بِالْوُضُوءِ هَاهُنَا وَمَذْهَبُكُمْ أَنْ مَسَّ مَا غَيَّرَتْهُ النَّارُ لَا يُوجِبُ وَضُوءًا ؟

الْجَوَابُ ، إِنْ مَعْنَى « تَوَضَّأُوا » أَيْ نَظَّفُوا أَيْدِيَكُمْ مِنَ الزُّهُومَةِ ، لِأَنَّهُ رُويَ أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْأَعْرَابِ كَانُوا لَا يَغْسِلُونَ أَيْدِيَهُمْ مِنَ الزُّهُومَةِ وَيَقُولُونَ : فَقَدْ هَا أَشَدُّ عَلَيْنَا مِنْ رِيحِهَا ، ه فَاغْسِرْ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِتَنْظِيفِ الْأَيْدَى لِذَلِكَ ^(١) .

فَإِنْ قِيلَ : كَيْفَ يَصَحُّ أَنْ تَحْمِلُوا الْخَبَرَ عَلَى اللَّفْظِ اللَّغَوِيِّ ، مَعَ انْتِقَالِهِ بِالْعُرْفِ الشَّرْعِيِّ إِلَى الْأَفْعَالِ الْمَخْصُوصَةِ ، بِدَلَالَةِ أَنَّ مَنْ غَسَلَ يَدَهُ أَوْ وَجْهَهُ لَا يَقُولُ بِالْإِطْلَاقِ : « تَوَضَّأْتُ » ، وَمَتَى سَلِمَ لَكُمْ أَنْ الْوُضُوءَ أَصْلُهُ مِنَ النِّظَافَةِ لَمْ يَنْفَعْكُمْ مَعَ الْإِنْتِقَالِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ ، وَكَلَامُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَخَصُّ بِالْعُرْفِ الشَّرْعِيِّ ، وَحَمَلُهُ عَلَيْهِ أَوَّلَى مِنْ كَحْمَلِهِ عَلَى اللَّغَةِ . ١٠

قُلْنَا : لَيْسَ يُنْكَرُ ^(٢) أَنْ يَكُونَ إِطْلَاقُ الْوُضُوءِ هُوَ الْمُنْتَقِلُ مِنَ اللَّغَةِ إِلَى عُرْفِ الشَّرْعِ ، وَالْمُخْتَصُّ بِالْأَفْعَالِ الْمَعِينَةِ ، وَكَذَلِكَ الْمُضَافُ مِنْهُ إِلَى الْحَدَثِ أَوْ الصَّلَاةِ وَمَا أَشْبَهَهُمَا ^(٣) . فَأَمَّا الْمُضَافُ إِلَى الطَّعَامِ وَمَا جَرَى مَجْرَاهُ فَبَاقٍ عَلَى أَصْلِهِ ؛ أَلَا تَرَى أَنَّهُمْ لَوْ قَالُوا : تَوَضَّأْتُ مِنْ الطَّعَامِ ، وَمِنَ الْغَمْرِ ^(٤) ، أَوْ تَوَضَّأْتُ لِلطَّعَامِ لَمْ يَفْهَمْ مِنْهُ إِلَّا الْغَسْلُ وَالتَّنْظِيفُ ، وَإِذَا قَالُوا : تَوَضَّأْتُ إِطْلَاقًا ، أَوْ تَوَضَّأْتُ مِنَ الْحَدَثِ أَوْ لِلصَّلَاةِ فَهُمْ مِنْهُ / الْأَفْعَالُ الشَّرْعِيَّةُ ؛ فَلَيْسَ [١٣٢] يُنْكَرُ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ اخْتِصَاصِ النَّقْلِ ، لِأَنَّهُ كَمَا يَجُوزُ انْتِقَالُ اللَّفْظَةِ مِنْ فَائِدَةٍ فِي اللَّغَةِ إِلَى فَائِدَةٍ فِي الشَّرْعِ عَلَى كُلِّ وَجْهٍ ، كَذَلِكَ يَجُوزُ أَنْ تَنْتَقِلَ عَلَى وَجْهِ دُونَ وَجْهِ ، وَتَبْقَى مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي لَمْ تَنْتَقِلْ مِنْهُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ فِي اللَّغَةِ .

وَقَدْ ذَهَبَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِلَى أَنَّ إِطْلَاقَ لَفْظَةِ « مُؤْمِنٌ » مُنْتَقِلٌ مِنَ اللَّغَةِ إِلَى عُرْفِ

(١) حَاشِيَةٌ (مِنْ نَسْخَةٍ) : « عَنْ ذَلِكَ » . (٢) حَاشِيَةٌ (مِنْ نَسْخَةٍ) : « لَيْسَ تُنْكَرُ »

(٣) فِي حَاشِيَتَيْ (مِنْ نَسْخَةٍ) : « وَمَا أَشْبَهَهُمَا » . (٤) الْغَمْرُ ، بِالْجَرِّ : زَنْخُ الْحَمِّ .

الدين ومختصّ باستحقاق الثواب ، وإن كان مقيداً بها بافياً على ما كان عليه في اللغة .
ويبين ذلك أيضاً ما روى عن الحسن أنه قال : « الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر ، وبعده ينفي
اللمم » ؛ وإنما أراد غسل اليدين بغير شك . ورؤي عن قتادة أنه قال : « غَسْلُ الْيَدِ وَضُوءٌ »
ورؤي عكراش^(١) أن رسول الله صلى الله عليه وآله أكل^(٢) وغسل يده ومسح ببلل يده
وجبه^(٣) وذراعيه ورأسه^(٤) ، وقال : « هكذا الوضوء ممّا مسّت النار » ، على أنه لو كانت
هذه اللفظة منتقلة على كل حال إلى الأفعال الشرعية المخصوصة لصح أن نحمله^(٥) في الخبر
على خلاف ذلك ، وزدّها إلى أصلها بالأدلة ، وإن كان الأولى لولا الأدلة أن تحمل على
مقتضى الشرع^(٥) .

فمن الأدلة على ما ذكرناه ما رواه ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله أكل كَتِفَ
١٠ شاةٍ ، وقام فصلي ولم يتوضأ . وروى عطاء عن أم سلمة قالت : قرّبتُ جنباً مشوياً إلى النبي صلى
الله عليه وآله ، فأكل منه ، وصلي ولم يتوضأ . وروى محمد بن المنكدر عن جابر أنه قال : كان
آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وآله ترك الوضوء ممّا مسّت النار^(٦) .

وكلُّ هذه الأخبار توجب العدول عن ظاهر الخبر الأول لو كان له ظاهر ، فكيف وقد
بينّا أنه لا ظاهر له !

١٥ فأما اشتقاق الوضوء فهو من الوضأة التي هي الحسن ، فلما كان من غسل يده ونظفها
قد حسّنها قيل وضّأها ؛ ويقال : فلان وضّأ الوجه وقوم وضّأ ، قال الشاعر :

(١) هو عكراش بن ذؤيب بن حرقوس ، وفي ت ، ف : « عكرمة عن أنس » .

(٢-٢) حاشية ت (من نسخة) : « وغسل يديه ، ومسح ببلل يديه » .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « وبلل ذراعيه رأسه » . (٤) ت ، د ، ومن نسخة بحاشيتي

الأصل ، ف : « نحملها » .

(٥) حواشي الأصل ، ت ، ف : « إنما نحمل اللفظة على العرف الشرعي فيما يتعلق بالأحكام

الشرعية فحسب » . (٦) في حاشيتي الأصل ، ف : « كان في الأول يتوضأ ممّا مسته النار ثم ترك » .

مَسَامِيحُ الْفَعَالِ ذُووُ أَنْأَةٍ مَرَّاجِيحُ وَأَوْجُهُمْ وَضَاهُ^(١)
والوَضُوءُ ، بضم الواو : المصدر ، وكذلك أيضاً التَّوَضُّؤُ والوَضُوءُ ، بفتح الواو : اسمُ
ما يتوضأ به ، وكذلك الْوُقُودُ اسمٌ لما تُوقَدُ به النار : والوُقُودُ ، بالضم : المصدر ، ومثله التَّوَقُّدُ ، [١٣٢] ^ظ
وقد يجوز أن يكون الوُقُودُ ، بفتح الواو : المصدر ، وكذلك الوَضُوءُ بفتح الواو ؛ كما قالوا :
حَسَنَ الْقَبُولِ ، فَعَمِلُوا الْقَبُولَ مَصْدَرًا ، وهو مفتوح الأول ، ولا يجوز في الوُقُودِ والوَضُوءِ ه
بالضم إلا معنى المصدر وحده ، قال جرير .

أَهْوَى أَرَاكَ بِرَامَتَيْنِ وَقُودَا أُمُّ بِالْجَنِينَةِ مِنْ مَدَافِعِ أُوْدَا^(٢)
وقال آخر :

إِذَا سَهِيلٌ لَاحَ كَالْوُقُودِ فَرْدَا كَشَاةِ الْبَقَرِ الْمَطْرُودِ
وقال آخر :

وَأَجَجْنَا بِكُلِّ يَفَاعٍ أَرْضِ وَقُودَ النَّارِ لِلْمَتَنُورِينَا^(٣)

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن إبراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيى قال
حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إبراهيم بن المنذر قال حدثني إبراهيم بن محمد عن عبد العزيز
ابن عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن ابن شهاب قال : أتيتُ عبيد الله بن عبد الله
ابن عتبة بن مسعود^(٤) يوماً في منزله ، فإذا هو متغيظ^(٥) ينفخ ، فقالت له : مالي أراك هكذا ! ١٥
قال : دخل علي^(٦) عاملكم هذا - يعني عمر بن عبد العزيز - ومعه عبد الله بن عمرو بن عثمان
(١) حاشية ف : « السمع : الأجواد والجمع سمحاء ؛ ومساميح ؛ كأنه جمع مسماح . والمراجيح :
الخملاء . »

(٢) ديوانه ٦٦٩ . ورامة والجنية وأود : مواضع . والمدافع : جمع مدفع ؛ وهو مسيل الماء إلى
الوادي وفي حاشيتي الأصل ، ف : « يقول : الذي يريك وقود النار بهذه المواضع عشق هذا . »

(٣) اليفاع : المرتفع من الأرض ؛ والمتنور : من ينظر إلى النار من بعيد ؛ قال امرؤ القيس :

تَمَوَّرْتُهَا مِنْ أَذْرِعَاتِ وَأَهْلُهَا بِيَثْرَبَ أَذْنَى دَارِهَا نَظَرٌ عَالٍ

(٤) أحد الفقهاء السبعة بالمدينة توفي سنة ٩٨ ؛ وكان ضريراً ؛ ذكره الصفدي في نسكت الهميان :

١٩٧-١٩٨ ، وانظر ترجمته وأشعاره في الأغاني ٨ : ٨٨-٩٥ . (٥) من نسخة بمواشي الأصل ،
ت ، ف : « متغيظ . » (٦) ت : « دخلت على عاملكم . »

فسلمت، فلم يردّا علىّ السلام ، فقلت^(١) :

أَلَا أَبْلَغَا عَنِّي عِرَاكَ بْنَ مَالِكٍ فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَأَبْلَغُ أَبَا بَكْرٍ^(٢)
فَقَدْ جَعَلْتَ تَبْدُو شَوْا كِلُ مِنْكُمْ فَإِنَّكُمْ بِي مُوقِرَانِ مِنَ الصَّخْرِ^(٣)
وَطَاوَعْتُمَا بِي غَادِرًا ذَا مَعَاكَةٍ لَعَمْرِي لَقَدْ أَوْرَى وَمَا مِثْلُهُ يُورِي^(٤)

٥ - يقال : معك به وسدل به^(٥) إذا تعرض له بشر^(٥) -

فَلَوْلَا اتَّقَا اللَّهَ اتَّقَايَ فِيكُمْ لَلْمُتَّكِمَا لَوْمًا أَحَرَّ مِنَ الْجَمْرِ^(٦)
فَمَسَا تَرَابَ الْأَرْضِ، مِنْهَا خُلِقْتُمَا وَفِيهَا الْمَعَادُ وَالْمَقَامُ إِلَى الْحَشْرِ
وَلَا تَأْنِفَا أَنْ تُغَشِيَا فُتُكُلَمَا فَا حُشِيَ الْأَقْوَامُ شَرًّا مِنَ الْكِبَرِ^(٧)
وَلَوْ شِئْتُ أَدْلَى فِيكُمْ غَيْرُ وَاحِدٍ عَلَانِيَةً أَوْ قَالَ عِنْدِي فِي السَّرِّ^(٨)

١٠ / - معناه : لو شئت اغتابكما عندى غير واحد -

فَإِنْ أَنَا لَمْ آمُرْ وَلَمْ أَنَا عَنْكُمْ ضَحِكْتُ لَهُ حَتَّى يَلِجَ وَيَسْتَشْرِى^(٩)
وَكَيْفَ تُرِيدَانِ ابْنَ سَبْعِينَ حِجَّةً عَلَى مَا نَى وَهُوَ ابْنُ عَشْرَيْنِ أَوْ عَشِيرٍ^(١٠)

(١) الخبر بروايته عن ابن شهاب في (الأغاني ٨ : ٩١-٩٢)، وفيه رواية أخرى أيضا ص ٩١ عن ابن اديس : « كان عراك بن مالك وأبو بكر بن حزم وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة يتجالسون بالمدينة زمانا ؛ ثم إن ابن حزم ولى إمرتها ، وولى عراك الغضاء ، وكانا يبران بعبيد الله فلا يسلمان عليه ولا يقفان - وكان ضريرا - فأخبر بذلك فأنشأ يقول ... » ، وأورد الأبيات (٢) حاشية ت (من نسخة) : « ألا أبان » (٣) الشواكل : جمع شاكلة ؛ وهى الخاصرة ، وأرادها هاهنا أمورا ينكرها . وى ؛ أى بمكانى (٤) فى حاشيتى الأصل ، ف : « قوله : « وطاوعتاني » فى حيز التشبيه ؛ يقول : كأنكما موقران ، وكأنكما إذ طاوعتاني طاوعتما غادرا عريضا . ثم قال : لعمري لقد أورى هذا الفعل منكما ؛ أى فسد من ورى جوفه ؛ أو أوقد - يعنى شرا ، أى أثر وكنت لا أنأثر بمثل ذلك »

(٥-٥) ت : « إذا تعرض به لشر » . (٦) حاشية ف : « أى لولا اتقائى بتقى الله للمتكمما ؛ وهو مثل ؛ ويجوز أن يكون قوله : « اتقائى » مفعولا له ؛ أى للاتقاء . (٧) ت ، حاشية الأصل (من نسخة) : « تسكلما » ، بكسر اللام المشددة وفى حاشية الأصل أيضا (من نسخة) : « أن ترجما فتسلما » . (٨) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « عندى فى سر » . يقال : أدلى فلان فى فلان إذا قال فيه قولاً قبيحا . (٩) الضمير فى « له » يعود إلى القتاب ، واستشمرى فى الأمر : لج فيه ؛ أى يجترى ويظهر ؛ وأصل الكلمة الاستخراج . (١٠) يريد أن يقول : كيف تريداننى على ما امتنعت عنه وأنا صبي !

لَقَدْ عَلِقْتُ دَلَوَا كَمَا دَلَوْ حَوْلَ مِنْ الْقَوْمِ لَارْخُو المَرَّاسِ وَلَا نَزَرِ^(١)
 قال ابن شهاب : فقلت له : مثلك يَرَحْمُكَ اللهُ مع نُسَيْكَ وَفَضْلِكَ وَفَهْمِكَ^(٢) يقول
 الشعر ! فقال : إن المصدور إذا نفث بَرِيءٌ .

وإنما ذكر عِرَّاك بن مالك وأبا بكر بن عمرو بن حَزْمٍ - وكانا صديقيه - كناية بذكرهما
 عن ذكر غيرهما .

وقد جاءت رواية أخرى أن أبا بكر بن عمر^(٣) بن حَزْمٍ وعِرَّاك بن مالك كانا يجتازان على
 عبید الله فلا يَسْلَمَانِ عليه ، فقال الأبيات يخاطبهما بها .

وروى محمد بن سلام لعبيد الله بن عبد الله بن عُتْبَةَ :

إذا كَانَ لِي سِرٌّ فَحَدَّثْتُهُ العِدَى وضاقَ بِهِ صَدْرِي ، فَلَلْنَّاسُ أَعْدَرُ^(٤)
 هُوَ السِّرُّ مَا اسْتَوْدَعْتُهُ وَكَتَمْتُهُ وَلَيْسَ بِسِرٍّ حِينَ يَفْشُو وَيُظْهَرُ^(٥) ١٠

وأنشد مصعب الزبيری لعبيد الله بن عتبة بن مسعود :

أُوَ أَخِي رَجَالًا لَسْتُ مُطْلِعَ بَعْضِهِمْ عَلَى سِرِّ بَعْضٍ إِنَّ صَدْرِي وَاسِعُهُ
 إِذَا هِيَ حَلَّتْ وَسَطَ عُودِ ابْنِ غَالِبٍ فَذَلِكَ وَدَّ نَارِخَ لَا أَطَالُهُ^(٦)
 تَلَاَقَتْ حَيَازِمِي عَلَى قَلْبِ حَازِمٍ كَتَمْتُ لِمَا ضُمْتُ عَلَيْهِ أَضَالُهُ^(٧)
 بَنَى لِي عَبْدُ اللَّهِ فِي سُورَةِ الْعَلَا وَعُتْبَةُ مَجْدًا لَا تُنَالُ مَصَانِعُهُ^(٨) ١٥
 والبيت الأول يشبه قول مسكين الدارمي :

وَفَتَيَانِ صِدْقٍ لَسْتُ مُطْلِعَ بَعْضِهِمْ عَلَى سِرِّ بَعْضٍ غَيْرَ أَنِّي جَمَاعُهُ^(٩)

(١) حول : شديد الاحتيال ؛ أى أنسكما ، وقعتما على من لا تطبقان دفعه عن أنفسكما .

(٢) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « وفقهك » . (٣) حاشية (من نسخة) :

« عمرو » . (٤) العدى بالكسر : الأجانب ، وبانضم الأعداء . (٥) حاشية ت (من نسخة) :

« وحفظته » . (٦) الضمير يعود على المودة ، وعوذ : جمع عائد ، وهى الخديشة التناج من الإبل وغيرها .

(٧) فى الأغاني : « شددت حيازيمى » . والحيزوم : وسط الصدر . ومن نسخة بحاشيتى الأصل ،

ت : « ضمت » ، بالبناء للمعلوم (٨) المصانع : الأبنية . (٩) الحماسة - بشرح التبريزى ٣ : ١٢٦ .

ومما يستحسن لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة قوله :

تَغْلَغَلَ حُبُّ عُمَةٍ فِي فُؤَادِي فَبَادِيهِ مَعَ الْخَافِي ^(١) يَسِيرُ
تَغْلَغَلَ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابُ وَلَا حُزْنٌ وَلَمْ يَبْلُغْ سُورُ
/ شَقَقْتُ الْقَلْبَ ثُمَّ ذَرَرْتُ فِيهِ هَوَاكَ فَلْتَأَمَّ الْفُطُورُ ^(٢)
أَكَادُ إِذَا ذَكَرْتُ الْعَهْدَ مِنْهَا أَطِيرُ لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا يَطِيرُ
غَنَى النَّفْسِ أَنْ أَزْدَادَ حُبًّا وَلَكِنِّي إِلَى وَصْلِ فَقِيرٍ ^(٣)

[١٣٣]
ط
٥

وأخذ هذا المعنى أبو نواس فقال :

أَحْلَلْتُ فِي قَلْبِي هَوَاكَ مَحِلَّةً مَاحِلَهَا الْمَشْرُوبُ وَالْمَأْكُولُ ^(٤)
وأخذه المتنبي في قوله :

وَالسَّرَّ مَنَى مَوْضِعَ لَا يَنَالُهُ نَدِيمٌ وَلَا يَفْضِي إِلَيْهِ شَرَابُ ^(٥) ١٠
وَكَنَّ الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ أَلَمَّ بِهِ فِي قَوْلِهِ :

لَوْ شَقَّ قَلْبِي قُرَى وَسُطَّةً اسْمُكَ وَالتَّوْحِيدُ فِي سَطْرِ
وقال صاحب اسماعيل بن عباد :

لَوْ شَقَّ قَلْبِي لَرَأَوْا وَسُطَّةً سَطْرَيْنِ قَدْ خُطَّ بِبَلَا كَاتِبِ
الْعَدْلُ وَالتَّوْحِيدُ فِي جَانِبِ وَحُبُّ أَهْلِ الْبَيْتِ فِي جَانِبِ ١٥

وقول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أحسن من الجميع وبعده بيت المتنبي .

ولعبيد الله بن عبد الله بن عتبة :

لَعَمْرُؤُ أَبَى الْمُحْصِينَ أَيَّامَ نَلْتَقَى لِمَا لَا نُفْلِقُهَا مِنَ الدَّهْرِ أَكْثَرُ

(١) الأبيات في أمالي القالي ٣ : ٢١٧ ، وذكر صاحب الأغاني أن عتبة روجه .

(٢) الفطور : الشقوق . (٣) حاشية ت : « يعني أنه يستغنى عن ازدياد حب إلى حبه ، لأنه

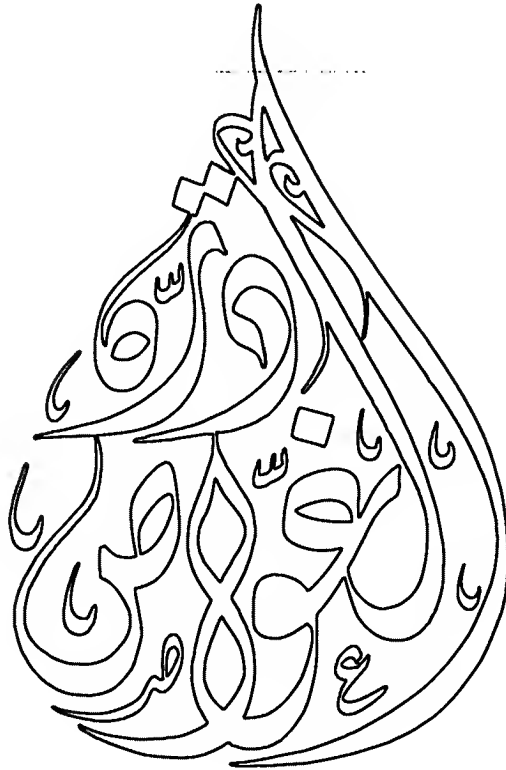
قد تناهى . وأن ازداد ، يعني : عن أن ازداد » . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « المأكول

المشروب » . (٥) ديوانه : ١٩٢ .

يَعْدُونَ يَوْمًا وَاحِدًا إِنْ أَنْتَبَهَا
فَإِنْ يَكُنِ الْوَأَشُونَ أَغْرُوا بِهَجْرِنَا^(١)
وَيَنْسَوْنَ مَا كَانَتْ عَلَى الدَّهْرِ تَهَجُرُ
فَإِنَّا بِتَجْدِيدِ الْمَوَدَّةِ أَجْدَرُ

ومن مستحسن قوله :

لَعَمْرِي لَئِنْ شَطَّتْ بَعْثَمَةَ دَارِهَا
أَرْوَحُ بِهِمْ ثُمَّ أَغْدُو بِمِثْلِهِ
لَقَدْ كُنْتُ فِي وَشَكِ الْفِرَاقِ أَلِيحُ^(٢)
وَيُحْسَبُ أَنِّي فِي الثِّيَابِ صَدِيقُ
أَخْذُهَا الْمَعْنَى بَشَارَ، فَتَصَرَّ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ :
يُصْبِحُ مُحْزُونًا وَيُمْسِي بِهِ
وَلَيْسَ يَدْرِي مَا لَهُ عِنْدَكَ



(٢) ت ، وحاشية الأصل من نسخة : « من وشك الفراق » .

(١) م : « بهجرتها » .

وَأَلِيحُ : أَشْفَقُ .

مَجْلِسُ آخِرِ

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى حَٰكِيًّا عَنْ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ قَدْ أَفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ۖ ﴾ [الأعراف : ٨٩] .

[١٣٤] فقال : أليس هذا تصريحاً منه بأنَّ الله تعالى يجوزُ أَنْ يَشَاءَ الكفرَ والقيبحَ ؛ لأنَّ مِلَّةَ / قَوْمِهِ كانت كفرًا وضلالًا ، وقد أخبرَ أَنَّهُ لَا يعودُ فيها إِلَّا أَنْ يَشَاءَ الله ؟
الجواب ، قيل له في هذه الآية وجوه :

أولها أَنْ تكون المِلَّةُ التي عَنَّاهَا الله إنما هي العبادات الشرعية ؛ التي كان قومُ شعيب متمسكين بها ؛ وهي منسوخة عنهم ، ولم يَعْنِ بِهَا ما يرجع إلى الاعتقادات في الله وصفاته ؛ مما لا يجوز أَنْ تختلف^(١) العبادة فيه ، والشرعيات يجوز فيها اختلاف العبادة ؛ من حيث تَبَعَتْ^(٢) المصالح والألطف والمعلوم من أحوال المكلفين ؛ فكأنَّه قال : إِنْ مَلَّتْكُمْ لَانَعُودَ فيها ؛ مع علمنا بأنَّ الله تعالى قد نسخها وأزال حُكْمَهَا ، إِلَّا أَنْ يَشَاءَ الله أَنْ يَتَعَبَّدَنَا بِمِثْلِهَا فنعود إليها ؛ وتلك الأفعال التي كانوا متمسكين بها ؛ مع نسخها عنهم ونهيمهم عنها - وإن كانت ضلالاً وكفرًا - فقد كان يجوزُ فيها هو مثُلُها أَنْ يكونَ إِيْمَانًا وَهُدًى ؛ بل فيها أنْفُسُها قد كان يجوز ذلك ؛ وليس تجرى هذه الأفعال مجرى الجهل بالله تعالى ، الذي لا يجوز أَنْ يكونَ إِلَّا قَبِيحًا . ١٥

وقد طعن بعضهم على هذا الجواب فقال : كيف يجوز أَنْ يتعبد لهم الله تعالى بتلك المِلَّة مع قوله : ﴿ قَدْ أَفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا ۖ ﴾ ؟

(١) ت : « اختلاف العبادة . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « تتبع » .

فيقال له : لم ينفِ عَوْدَهُمْ إليها على كل وجهٍ ؛ وإنما نفى العودَ إليها مع كونها منسوخة منها ؛
عنها ؛ والذي علّقه بمشيئة الله تعالى من العودِ إليها هو بشرطُ أن يأمرَ بها ، ويتعبدَ بمثلها ،
والجوابُ مستقيم لا خلل فيه .

وثانيها أنه أراد أن ذلك لا يكون أبداً من حيث علّقه بمشيئة الله تعالى لما كان معلوماً
أنه لا يشاؤه ؛ وكلُّ أمرٍ علّق بما لا يكون فقد نفى كونه على أبعد الوجوه ؛ وتجري الآية ٥
مجرى قوله تعالى : ﴿ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ ؛ [الأعراف : ٤٠] ؛
وكما يقول القائل : أنا لا أفعلُ كذا حتى يبيضَّ القار ؛ أو يشيبَ الغراب ؛ وكما قال الشاعر :
وحتى يثوبَ القارِطانِ كِلَاهُمَا وَيُنْشَرَ فِي الْقَتْلِ كُليبُ لَوَائِلِ^(١)
والقارطان لا يثوبان أبداً ، وكليب لا يُنشر أبداً ؛ فكأنه قال : إنَّ هذا لا يكون أبداً .

وثالثها / ما ذكره قطرب بن المستنير من أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا ، وأن الاستثناء [١٣٤]
من الكفار وقع لا من شعيب ؛ فكأنه تعالى قال حاكياً عن الكفار : ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ
يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا ﴾ ؛ [الأعراف : ٨٨] ، إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ أَنْ
تَعُودَ فِي مِلَّتِنَا ؛ ثم قال تعالى حاكياً عن شعيب : ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا ﴾ على
كل حال .

ورابعها أن تعود الهاء التي في قوله : ﴿ فِيهَا ﴾ إلى القرية لا إلى المِلَّة ؛ لأن ذكرَ
القرية قد تقدّم كما تقدم ذكرُ المِلَّة ؛ ويكون تلخيص الكلام : إِنَّا سَنَخْرِجُ مِنْ قَرْيَتِكُمْ ،
ولا نعودُ فيها إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ بِمَا يُنْجِزُهُ لَنَا مِنَ الْوَعْدِ فِي الْإِظْهَارِ عَلَيْكُمْ ، وَالظَّفَرِ بِكُمْ ،
فنعود إليها .

وخامسها أن يكون المعنى : إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرُدَّكُمْ إِلَى الْحَقِّ ، فنكون جميعاً على

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي ، ديوان الهذليين ١ : ١٤٥ . والقارطان هما رجلان من عنزة ؛ خرجا
ينتحيان القرط ويحبتنيانه ، فلم يرجعا ؛ فضرب بهما المثل ؛ وانظر اللسان (قرط) ، وشرح ديوان الهذليين .

ملة واحدة غير مختلفة ؛ لأنه لما قال تعالى حاكياً عنهم : ﴿ أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ كان معناه : أو لنكوننَّ على ملة واحدة غير مختلفة ، فحسُنْ أن يقول من بعد : إِنْ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ أَنْ يَجْمَعَكُمْ معنا على ملة واحدة .

فإن قيل : الاستثناء بالمشيئة إنما كان بعد قوله : ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا ﴾ ؛ فكأنه قال : ليس نعودُ فيها إلا أن يشاء الله ، فكيف يصح هذا الجواب ؟

قلنا : هو كذلك ؛ إلا أنه لما كان معنى ﴿ أَنْ نَعُودَ فِيهَا ﴾ ، هو أن نصير ملتناً واحدة غير مختلفة جاز أن يوقع الاستثناء على المعنى فيقول : ﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ أن تتفق في الله بأن ترجعوا أتم إلى الحق .

فإن قيل : فكأن الله تعالى ما شاء أن يرجع الكفار إلى الحق !

١٠ قلنا : بل قد شاء ذلك ، إلا أنه ما شاء على كل حال ، بل من وجهٍ دون وجه ، وهو

أن يؤمنوا ويصيروا إلى الحق مختارين ؛ ليستحقوا الثواب الذي أُجِرَ (١) بالتكليف إليه ، ولو شاء على كل حال لما جاز ألا يقع منهم ؛ فكأن شعبياً عليه السلام قال : إن ملتناً

لا تكون واحدة أبداً ؛ إلا أن يشاء الله أن يُلجئكم إلى الاجتماع معنا على ديننا وموافقتنا في ملتنا ؛ والفائدة في ذلك واضحة ؛ لأنه لو أطلقنا لا تتفق أبداً ، ولا نصير ملتناً واحدة

١٥ لتوهم متوهم أن ذلك مما لا يمكن على حال من الأحوال ؛ فأفاد بتعليقه (٢) له بالمشيئة

هذا الوجه ؛ ويجرى قوله تعالى : ﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ مجرى قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً ﴾ ؛ [يونس : ٩٩] .

[١٣٥] وسادسها أن يكون المعنى : إلا أن يشاء الله أن يمكنكم من إكراهنا ، / ويجلّ

بينكم وبينه ، فنعود إلى (٣) إظهارها مكرهين ؛ ويقوى هذا الوجه قوله تعالى : ﴿ أَوْ لَوْ كُنَّا

٢٠ كارهين ﴾ ؛ [الأعراف : ٨٨] .

(١) حاشية ت (من نسخة) : « الذي أُجِرَ » بالألف . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « فأفاد

تعليقه » . (٣) حاشية ت (من نسخة) : « فنعود في إظهارها » .

وسابغها أن يكون المعنى إلّا أن يشاء الله أن يتعبدنا بإظهار ملتكم مع الإكراه؛ لأنّ إظهار كلمة الكفر قد تحسّن في بعض الأحوال إذا تعبد الله تعالى بإظهارها ؛ وقوله : ﴿أَوْ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ يقوّى هذا الوجه أيضاً .

فإن قيل : فكيف يجوز من نبيٍّ من أنبياء الله تعالى أن يتعبد بإظهار الكفر وخلاف ما جاء

به من الشرع ؟

قلنا : يجوز أن يكون لم يُرد بالاستثناء نفسه بل قومه ؛ فكأنه قال : وما يكون لي ولا لأمتي أن نعود فيها إلّا أن يشاء الله أن يتعبد أمتي بإظهار ملتكم على سبيل الإكراه ؛ وهذا جائز غير ممتنع .

تَأْوِيلُ خَبَرِ

روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا أَبْقَتْ غِنًى ،

واليدُ العليا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ » .

١٠

وقد قيل في قوله : « خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا أَبْقَتْ غِنًى » : قولان :

أحدهما أن خير ما تصدّقتَ به ما فضّلَ عن^(١) قوتِ عيالك وكفايتهم ، فإذا خرجتْ صدقتك عنك إلى مَنْ أعطيتَ خرجتْ عن استغنائه منك ومن عيالك عنها ؛ ومثله في الحديث الآخر : « إِنَّمَا الصَّدَقَةُ عَنْ ظَهْرِ غِنًى » . وقال ابن عباس رحمةُ الله عليه في قوله تعالى :

﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ﴾ ؛ [البقرة : ٢١٩] ؛ قال : ما فضّلَ عن أهلِكَ .

١٥

والجواب الآخر ، أن يكون أراد : خير الصَّدَقَةِ ما أغنيتَ به مَنْ أعطيتَ عن المسألة ، أي تجزّل له في العطية ، فيستغنى بها ويكفّ عن المسألة ؛ وذلك مثلُ أن يريدَ الرجل أن يصدق بمائة درهم ، فيدفعها إلى رجل واحد محتاج ، فيستغنى بها ويكفّ عن المسألة ، فذلك أفضلُ من أن يدفعها إلى مائة رجل لا تبيّنُ عليهم .

(١) حاشية ت (من نسخة) : « ما فضل من قوت عيالك » .

والتأويل الأول يشهد له آخر الخبر وهو قوله : « وأبدأ بمن تعمل » ، ويشهد له الحديث الآخر أيضاً : « إنما الصدقة عن ظهر غنى » .

وقوله : « اليد العليا خير من اليد السفلى » ، قال قوم : يريد أن اليد المعطية خير من الآخذة ، وقال آخرون : إن العليا هي الآخذة ، والسفلى هي المعطية .

وقال ابن قتيبة : ولا أرى هؤلاء إلا قوماً استطابوا السؤال ؛ فهم يحتجّون للدناءة ؛ ولو كان هذا يجوز لقليل : إن المولى من فوق هو الذى أُعْتِقَ ، والمولى من أسفل هو الذى أُعْتِقَ ، والناس إنما يعطون بالعطايا لا بالسؤال .

قال سيدنا أدام الله علوه : وعندى أن معنى قوله عليه السلام : « اليد العليا خير من اليد السفلى » غير ما ذكر من الوجهين جميعاً ؛ وهو أن تكون اليد هاهنا هي المعطية والنعمة ؛ لأن النعمة قد تُسمّى يدًا في مذهب أهل اللسان بغير شك ؛ فكأنه صلى الله عليه وآله أراد أن المعطية الجزيلة خير من المعطية القليلة . وهذا حث منه صلى الله عليه وآله على المكارم ، وتحضيض على اصطناع المعروف بأوجز الكلام وأحسنه مخرجاً .

ويشهد لهذا التأويل أحد التأويلين^(١) المتقدمين في قوله : « ما أبت غنى » ، وهذا أشبه وأولى من أن تُحمَلَ اليد على الجارحة ؛ لأن من ذهب إلى ذلك وجعل المعطية خيراً من الآخذة لا يستمرُّ قوله ؛ لأن فيمن يأخذ من هو خير عند الله تعالى ممن يعطي ؛ ولفظة « خير » لا تُحمَلَ إلا على الفضل في الدين واستحقاق الثواب ؛ فأمّا من جعل الآخذة خيراً من المعطية فيدخل عليه هذا الطعن أيضاً ؛ مع أنه قد قال قولاً شنعاً^(٢) ، وعكس الأمر على ما ذكر^(٣) ابن قتيبة .

فإن قيل : كيف يصحُّ تأويلكم مع قوله عليه السلام : « خير الصدقة ما أبت غنى » ٢ . وهى^(٤) لا تبقى غنى إلا بعد أن تنقص من غيرها ؛ وإذا كانت المعطية التى هى أجزل

(١) من نسخة مجاشيعي الأصل ، ف : « أحد الخبرين » . (٢) م : « شنيعة » .

(٣) م : « ما قال » . (٤) ت : « فهى » .

أفضلُ فتلك لا تُبقي غِنًى ، والتي تبقى غِنًى ليست الجزيلة ، وهذا تناقض .
 قننا : أمانا ويلنا فمطابق^(١) للوجهين المذكورين في قوله : « ما بقت^(٢) غِنًى » ؛ لأنَّ مَنْ
 تأوَّل ذلك على أنَّ المراد بها المعطى ، وأنَّ خير العطية ما أغنته عن المسألة فالمطابقة ظاهرة ،
 ومَنْ تأوَّل على الوجه الآخر ، وحمل ما أبقي الغنى على المعطى وأهله وأقاربه ؛ فتأويلنا أيضاً مطابق
 له ، لأنه قد يكون في العطايا التي يَبقى بعدها الغنى على الأهل والأقارب جزيلٌ وغير جزيل ،
 فقال عليه السلام : « خير الصدقة ما بقت^(٣) غنى » بعد إخراجها ؛ والعطية الجزيلة التي
 تُبقى بعدها غِنًى خير من القليلة ، فمدح عليه السلام بعد إبقاء الغنى جزيلَ العطية ، وحثَّ
 على الكرم والفضل .

أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى بن جَنِيحا قال أخبرنا أبو عبيد الله الحَكيم
 قال أملى علينا أبو العباس / أحمد بن يحيى النحوى قال : أنشدنا ابن الأعرابيُّ لثابت قُطْنَة [١٣٦]
 العَتَكِي^(٣) :

يا هِنْدُ كيفَ بُضِبَ باتَ يُبَكِّني وعائِرٍ في سَوادِ العَيْنِ يُؤْذِني^(٤)
 كَأَنَّ لَيْلِي والأَصْداءَ هاجِدَةً لَيْلُ السَّليْمِ وأُعيا مِنْ يَدَاوِني
 لَمَّا حَسَنِي الدَّهْرُ مِنْ قَوْسِي وَعَذَّرَنِي شَيْبِي وقاسيتُ أَمْرَ الغِلْظِ واللَّينِ^(٥)

- (١) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « فيضابق الوجهين » . (٢) ت : « ما بقت » .
 (٣) هو أبو العلاء ثابت بن كعب ، شاعر فارس ؛ من شعراء الدولة الأموية ، وكان في صحابة
 يزيد بن المهلب ، وقب قُطْنَة ؛ لأنَّ سبها أصابه في عينه في بعض حروب الترك . وانظر ترجمته وأخباره
 وأشعاره في (الأغاني ١٣ : ٤٧-٤٤ ، والخزانة ٤ : ١٨٥-١٨٧ ، والشعر والشعراء ٦١٢-٦١٣) .
 (٤) القصيدة في رثاء الفضل بن المهلب ؛ وهند هي بنت الفضل ؛ دخل عليها ثابت ، والناس حولها
 جلوس يعزونها ؛ فلما أنشدها هذه القصيدة قالت : ليست المصيبة في قتل من استشهد ذابا عن دينه ، مطيعا
 لربه ؛ وإنما المصيبة فيمن قلت بصيرته ، وخل ذكره بعد موته ؛ وأرجو ألا يكون الفضل عند الله خاملا .
 والقصيدة في (أملى الزجاجي ١٣٠-١٣١ ، وأبيات منها في الأغاني ١٣ : ٥١-٥٢) . النص : البلاء
 والمذاب . والعائر : القذى والرمد ، وكذلك العوار .
 (٥) عذرنى شيبى ؛ أى شيبني من جانبي وجهي ؛ من العذارين .

- إِذَا ذَكَرْتُ أَبَا غَسَّانَ أَرَقَنِي إِذَا عَرَضَ السَّارُونَ يُشْجِينِي^(١)
 كَانَ الْمَفْضَلُ عِزًّا فِي ذَوَى يَمَنِ وَعِصْمَةً وَثَمَلًا لِلْمَسَاكِينِ^(٢)
 غِيثًا لَدَى أَرْزَمَةٍ غِبْرَاءَ شَاتِيَةٍ مِنَ السَّنِينَ وَمَأْوَى كُلِّ مِسْكِينٍ^(٣)
 إِنِّي تَذَكَّرْتُ قَتْلَى لَوْ شَهِدْتُهُمْ فِي حَوْمَةِ الْحَرْبِ لَمْ يَصْلَوْا بِهَا ذُوْنِي
 لَاخَيْرَ فِي الْعَيْشِ إِذْ لَمْ نَجْنِ بَعْدَهُمْ حَرْبًا تُنِي بِهِمْ قَتْلَى فَتَشْفِينِي^(٤)
 لَا خَيْرَ فِي طَمَعٍ يُدْنِي إِلَى طَبَعٍ، وَغَفَّةٌ مِنْ قِوَامِ الْعَيْشِ تَكْفِينِي^(٥)
 [أَنْظُرُ فِي الْأَمْرِ يَعْنِينِي الْجَوَابُ بِهِ وَلَسْتُ أَنْظُرُ فِيمَا لَيْسَ يَعْنِينِي]^(٦)
 لَا أُرْكَبُ الْأَمَرَ تُزْرِي بِي عَوَاقِبُهُ وَلَا أَعِيبُ الْجَهْلُ حَلَمِي عِنْدَ مَقْدَرَةٍ^(٧)
 كَمْ مِنْ عَدُوٍّ رَمَانِي لَوْ قَصَدْتُ لَهُ لَمْ يَأْخُذِ النِّصْفَ مِنِّي حِينَ يَرْمِينِي^(٨)

قال سيدنا أدام الله علوه : وهذه الأبيات يروى بعضها لعروة بن أذينة^(٨) وتداخل أبياتاً على هذا الوزن ؛ وهي التي يقول فيها :

لَقَدْ عَلِمْتُ وَمَا الْإِشْرَافُ مِنْ خُلَّتِي أَنْ الَّذِي هُوَ رِزْقِي سَوْفَ يَأْتِينِي
 أَسْمَى لَهُ فَيُعْنِينِي تَطَلُّبُهُ وَلَوْ قَعَدْتُ أَنَا نِي لَا يُعْنِينِي

(١) ت : « إِذَا عَرَضَ » ، م : « إِذَا عَرَّسَ » . (٢) فِي ذَوَى يَمَنِ ، أَيْ فِي الْيَمَانِينَ ، وَفِي حَاشِيَةِ الْأَصْلِ (مِنْ نَسْخَةٍ) : « فِي ذَوَى يَمَنِ » ، جَمْعُ ذُرْوَةٍ . وَثَمَلُ الْمَسَاكِينِ : غِيَاثُهُمْ ، مِنْ ثَمَلَهُمْ ثَمَلًا إِذَا أَطْعَمَهُمْ وَسَقَاهُمْ وَقَامَ بِأَمْرِهِمْ . (٣) مِنْ نَسْخَةٍ بِحَوَاشِي الْأَصْلِ ، ت ، ف : « لَدَى أَرْزَمَةٍ » . وَالْأَرْزَمَةُ : الْفُحْطُ ، وَيُقَالُ : شَتَا الْقَوْمُ إِذَا أُجْدِبُوا فِي الشِّتَاءِ خَاصَّةً ، وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ : الْعَرَبُ تَسْمِي الْفُحْطَ شِتَاءً ، لِأَنَّ الْجَمَاعَاتِ أَكْثَرُ مَا تَصِيبُهُمْ فِي الشِّتَاءِ الْبَارِدِ . (٤) الْغَفَّةُ : الْبَلَاغَةُ مِنَ الْعَيْشِ . وَفِي أَمَلِي لُزْجَاجِي : « مِنْ قَلِيلِ الْعَيْشِ » . (٥) تَكْمَلَةٌ مِنْ ت ، ف ، د ، وَأَمَلِي لُزْجَاجِي . وَمِنْ نَسْخَةٍ بِحَاشِيَتِي ت ، ف : « وَانْظُرِ الْأَمْرَ » (٦) الْمَضِيَّةُ : الْإِفْلَاقُ وَالْبَهْتَانُ ، أَيْ لِأَكْبَرِ إِذَا عَضِيَتْ ذَوَالِضْفَنِ .

(٧) النِّصْفُ : الْإِتِّصَافُ . (٨) هُوَ عُرْوَةُ بْنُ أَذِينَةَ بْنِ مَالِكٍ ، مِنْ بَنِي الْإِيثِ . شَاعِرٌ غَزَلَ مَقْدَمَ مَنْ شَعَرَاءَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَهُوَ مَعْدُودٌ أَيْضًا فِي الْفُقَهَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ . وَانْظُرْ تَرْجَمَتَهُ وَأَشْهُارَهُ وَأَخْبَارَهُ فِي (الْأَغَانِي ٢١ : ١٠٥-١١١ ، وَالشُّعْرُ وَالشُّعْرَاءُ ٥٦٠-٥٦٢) .

كَمْ قَدْ أَفَدْتُكُمْ وَأَتْلَفْتُ مِنْ نَسَبٍ
فَمَا أَشْرَفْتُ عَلَى يَسِيرٍ وَمَا ضَرَعْتُ
خِيَمِي كَرِيمٍ وَنَفْسِي لَا تُحَدُّنِي
/ وَلَا أَشْتَرَيْتُ بِمَالِي قَطُّ مَكْرُمَةً
وَلَا دُعَيْتُ إِلَى تَجْدٍ وَمَحْمَدَةٍ (٢)
لَا أَبْتَغِي وَصْلَ مَنْ يَبْغِي مُفَارَقَتِي (٣)
إِنِّي سَمِعْتُ فَنِي مَنْ لَسْتُ أَعْرِفُهُ
فَغَطَّنِي جَاهِدًا وَاجْهَدَ عَلَيَّ إِذَا
— وَقَوْمٌ يَخْطُئُونَ (٥) فَيَرَوْنَهُ قَوْلَهُ :

وَمِنْ مَعَارِضِ رِزْقٍ غَيْرِ مَمْنُونٍ
نَفْسِي لِخُلَّةٍ غُسِرٍ جَاءَ يَبْلُونِي (١)
أَنَّ الْإِلَهَ بِإِلَاحِ رِزْقِي يُخَالِيَنِي
إِلَّا تَبَقَّعْتُ أَنِّي غَيْرُ مَغْبُونٍ [١٣٧]
إِلَّا أَجَبْتُ إِلَيْهِ مَنْ يُنَادِينِي
وَلَا أَلِينُ لِمَنْ لَا يَبْتَغِي لِيْنِي
وَلَوْ كَرِهْتُ ، وَأَبْدُو حِينَ يُخْفِينِي
لَا قَيْتَ قَوْمَكَ فَانْظُرْ هَلْ تُغْطِّينِي (٤)

١٠ * لَقَدْ عَلِمْتُ وَمَا الْإِسْرَافُ مِنْ خُلُقِي *

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « يقال : ضرع يضرع [بالفتح] زراعة ، وضرع [بالكسر] يضرع ضرعاً [بالفتح] ، فهو ضارع . (٢) ت : « مكرمة » ، وفي حواشي الأصل ت ، ف : « يقال : محمده ، بفتح الميم ، مثل مذمة ، والفصيح : المحمده ، بكسر الميم ، وهو المسموع » .
(٣) حاشية الأصل : (من نسخة) : « مصارعتي » . (٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « روى أن عروة هذا وفد على هشام بن عبد الملك في جماعة من الشعراء ، فلما دخلوا عليه عرف عروة فقال له : أأنت القائل :

لَقَدْ عَلِمْتُ وَمَا الْإِسْرَافُ مِنْ خُلُقِي أَنَّ الَّذِي هُوَ رِزْقِي سَوْفَ يَأْتِينِي
أَسْعَى لَهُ فَيُعْنِنِي تَطْلُبُهُ وَلَوْ قَعَدْتُ أَتَانِي لَا يُعْنِنِي

وَأَرَأَيْكَ قَدْ جِئْتُ تَضْرِبُ مِنَ الْحِجَازِ إِلَى الشَّامِ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ ! فقال له : لقد وعظت بأمر المؤمنين وبالفتى في الوعظ ، وأذكرت بما أنسانيه الدهر . وخرج من فوره إلى راحلته فركبها ، ثم نصهاراجما نحو الحجاز ؛ فكث هشام يومه غافلا عنه ، فلما كان في الليل تعار على فراشه فذكره وقال في نفسه : رجل من قريش قال حكمة ، ووفد إلى جبهته ورددته عن حاجته ، وهو مع هذا شاعر لا آمن مايقول ! فلما أصبح سأل عنه فأخبر بانصرافه ، فقال : لاجرم ! ليعلمن أن الرزق سيأتيه ، ودعا مولى له وأعطاه ألى دينار ، وقال له : الحق ابن أذينة ، فأعطه إياها ، قال : فلم أدركه إلا قد دخل بيته ، فقرعت الباب عليه ، فخرج فأعطيته المائ ، فقال : أبلغ أمير المؤمنين السلام ؛ وقل له : كيف رأيت قولي ! سمعت فأكدت ، ورجعت إلى بيتي فأتاني فيه الرزق » . (٥) د ، ومن نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف « يخطون » .

بالسين غير معجمة^(١)، وذلك خطأ، وإنما أراد بالإشراف أنى لا أستشرف وأتطلع^(٢) إلى ما فاتنى من أمور الدنيا ومكاسبها، ولا تتبعمها نفسى^(٣).

قال سيدنا أدام الله تأييده: ولى أبيات فى معنى بعض أبيات ثابت قطنة، وغرورة بن أذينة التى تقدمت، وهى من جملة قصيدة طويلة خرجت عنى منذ اثنتى عشرة سنة؛ والأبيات:

٥ تَمَاقَبْنِي بُؤْسُ الزَّمَانِ وَخَفَضُهُ وَأَدَبْنِي حَرْبُ الزَّمَانِ وَسِلْمُهُ
وقد علم المغرور بالدَّهْرِ أَنَّهُ وراءُ سُرُورِ الْمَرْءِ فِي الدَّهْرِ غَمُّهُ
وما المرء إلا نهبٌ يومٍ وليلةٍ تَحَبُّ بِهِ شُهْبُ الْفَنَاءِ وَدُھْمُهُ^(٤)
يَعْلَمُهُ بَرْدُ الْحَيَاةِ يَمْسُهُ وَيَغْتَرُّهُ رَوْحُ النَّسِيمِ يَشْمُهُ^(٥)
وكانَ بَعِيداً عَنْ مُنَازَعَةِ الرَّدَى فَأَلَقَتْهُ فِي كَفِّ الْمَنِيَةِ أُمُّهُ^(٦)
١٠ أَلَا إِنَّ خَيْرَ الرَّادِ مَا سَدَّ فَاقَةً وَخَيْرُ تِلَادَى الَّذِي لَا أَجْمُهُ^(٧)
وإنَّ الطَّوَى بِالْعِزِّ أَحْسَنُ بِالْفَتَى إِذَا كَانَ مِنْ كَسْبِ الْمَذَلَّةِ طُعْمُهُ^(٨)
وَإِنِّي لَا نَهَى النَّفْسَ عَنْ كُلِّ لَذَّةٍ إِذَا مَا ارْتَقَى مِنْهَا إِلَى الْعَرَضِ وَضْمُهُ
وَأَعْرِضُ عَنْ نَيْلِ الثَّرَيَا إِذَا بَدَأَ وَفِي نَيْلِهِ سُوءُ الْمَقَالِ وَذَمُّهُ
أَعِفُّ وَمَا الْفَحْشَاءُ عَنِّي بَعِيدَةٌ وَحَسْبِي فِي صَدِّ عَنِ الْأَمْرِ إِعْمُهُ^(٩)

(١) حاشية ت (من نسخة): « المعجمة ». (٢) حاشية ت (من نسخة): « وأطلع ». (٣) حواشى الأصل، ت، ف: « العجب من تحطئة السيد رضى الله عنه رواية من روى بالسين المهملة؛ وهو أكثر الروايات، ومعناه واضح ».

(٤) حاشية الأصل: « دهم؛ جمع أدم؛ وهو كناية عن الليل والنهار ».

(٥) من نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: « بردالنسيم ». (٦) ت، حاشية الأصل (من نسخة) « من منازعة الردى ». (٧) حواشى الأصل، ت، ف: « أى لا أتركه يحجم ويكثر، من جم

الماء يحجم جوما؛ لذاكثر واجتمع، ولا يبعد أن يكون من أجمت الفرس، أى أرحته ».

(٨) ت: « كسب المنية ». (٩) حاشية الأصل: « ذكر الفحشاء دليل على شبابه، وكناية

وما لَعَفَ مَنْ وَلَّى عَنِ الضَّرْبِ سَيْفُهُ وَلَكِنَّ مَنْ وَلَّى عَنِ السُّوءِ حَزْمُهُ

[١٣٧]

و

/ ولى فى معنى قوله : « وما الإشراف من خلقي » :

ما خَامَرَ الرِّزْقُ قَلْبِي قَبْلَ فَجَائَتِهِ وَلَا بَسَطْتُ لَهُ فِي النَّائِبَاتِ يَدِي

كَمْ قَدْ تَرَادَفَ لَمْ أَحْفَلْ زِيَادَتَهُ وَلَوْ تَجَاوَزَنِي مَا فَتَّ مِنْ عَضْدِي

٥ إِنْ أَسْخَطَ الْأَمْرُ أَدْرِكَ عَنْهُ مُضْطَرَبًا وَإِنْ أُرِدَ بَدَلًا مِنْ مَذْهَبٍ أَجِدُ (١)

ومعنى « ما خامر الرزق قلبي » أى لم أتمنّه ، ولا تطلّعتُ إلى حضوره ، ولا خطر لي

ييالٍ تنزّهاً وتقمّناً ؛ والوجه فى تخصيص نفي بسط اليد بالنوائب ، لأن النوائب (٢) يضرّ ع

عندها فى الأكثر التنزّه ، ويطلب المتعفّف ؛ فمن لزم النزاهة مع الحاجة وشدة الضرورة

فهو الكامل المروءة .

١٠

ومعنى البيت الثانى ظاهر .

فأما الثالث فالمراد به أنى ممّن إذا كره شيئاً تمكّن من مفارقتة والنزوع عنه ، ولست

ممّن تضيق حيلته ، وتقصر قدرته عن استدراك ما يجب بما يكره . وفيه فائدة أخرى ، وهى

أنى ممّن لا تملكه العادات ، وتقنّاه الأهواء ؛ بل متى أردتُ مفارقة خلق إلى غيره ، وعادة

إلى سواها لم يكن ذلك على متمدّراً ؛ من حيث كان لرأى على هواى السلطان والرجحان .

١٥ أخبرنا أبو عبيد الله الرزبانى قال حدثنى محمد بن إبراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيى النحوى

قال أخبرنا الزبير بن بكار قال حدثنى عروة بن عبيد الله بن عروة بن الزبير قال : كان عروة

ابن أذينة نازلاً مع أبى فى قصر عروة بالعقيق ، فسمعتُه يُنشد لنفسه :

إِنَّ اللَّهَ زَعَمَتْ فَوَادِكَ مَلَهَا خُلِقْتَ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتَ هَوَايَ لَهَا (٣)

(١) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « إن أسخط الرزق » .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « أن النوائب » . (٣) الأبيات فى زهر الآداب : ١٦٦

(طبعة الحلبي) ، وبعضها فى أمالى الفال ١ : ١٥٦ ، والموشح : ٢٣٠ ، وحاشية أبى تمام - بشرح

البريزى ٣ : ٢١-٢١٣ . ونسب ابن قتيبة فى الشعراء : ٥٤٥ أيانا منها للمجنون . والهوى ، بمعنى المهوى .

فَبِكَ الذِي زَعَمَتْ لَهَا ، وَكَلَّا كَمَا
وَلَعَمْرُهَا لَوْ كَانَ حُبُّكَ فَوْقَهَا
وَإِذَا وَجَدْتُ لَهَا وَسَاوِسَ سَلْوَةٍ
بَيْضَاءُ بَاكَرَهَا النَّعِيمُ فَصَاغَهَا
لَمَّا عَرَضْتُ مُسْلِمًا لِي حَاجَةً
/ مَنَعْتُ تَحِيَّتَهَا ، فَقُلْتُ لِصَاحِبِي :
فَدَنَا ، فَقَالَ : لَعَلَّهَا مَعْدُورَةٌ
أَبْدَى لِصَاحِبِهِ الصَّبَابَةَ كُلَّهَا
يَوْمًا وَقَدْ ضَحِيَتْ إِذَا لِأَطْلَافِهَا
شَفَعَ الضَّمِيرُ إِلَى الْفَوَادِ فَسَلَّهَا
بَلْبَاقَةٍ فَأَدَقَّهَا وَأَجَلَّهَا (١)
أَخْشَى صُعُوبَتَهَا ، وَأَرْجُو ذِلَّهَا (٢)
مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقْلَهَا !
فِي بَعْضِ رِقَبَتِنَا ، فَقُلْتُ : لَعَنَّا !

[١٣٧]
ط

قال عُروة بن عبيد الله : فجاءني أبو السائب الخزومي يومًا فسلم وجلس إليّ ، فقلت له
بعد الرّحّب به : ألك حاجة يا أبا السائب ؟ فقال : أو كما تكون الحاجة ! أبيات لعروة
١٠ ابن أذينة ؛ بلغني أنك سمعتها منه ، قلت : أي أبيات ؟ قال : وهل يخفى القمر ! .
* إِنَّ الَّتِي زَعَمَتْ فُؤَادَكَ مَلَّهَا *

فأنشدته فقال : ما يروى هذا إلا أهل المعرفة والفضل ، وهذا والله الصادق الوّدد ،
الدائم العهد ، لا الهذلي الذي يقول :

إِنْ كَانَ أَهْلُكَ يَمْنَعُونَكَ رَغْبَةً عَنِّي فَأَهْلِي بِي أَضْنُ وَأَرْغَبُ

١٥ لقد عدا الأعرابي طوره ! وإني لأرجو أن يغفر الله لابن أذينة في حسن الظن بها ،
وطلب العذر لها . فدعوت له بطعام ، فقال : لا والله حتى أروى هذه الأبيات ، فلمّا رواها
وثب ، فقلت له : كما أنت يغفر الله لك ، حتى تأكل ، فقال : والله ما كنت لأخلط بمحبتي
لها وأخذني إياها غيرها (٣) .

(١) حاشية الأصل : « أي أدق منها ما ينبغي أن يكون دقيقاً ، وأجل منها ما ينبغي أن يكون جليلاً ،
وقال ابن الأعرابي : ومعنى قوله : « فأدقها وأجلها » دق منها حاجباها وأنفها وخصرها ، وجل عضداها
وساقاها وبوصها ؛ وهذا كما قال آخر :

فَدَقَّتْ وَجَلَّتْ وَاسْتَبَكَّرَتْ وَأَكْمَلَتْ فُلُو جُنَّ إِنْسَانٍ مِنَ الْحَسَنِ جُنَّتْ

(٢) الذل هنا ، بالضم ويكسر : ضد الصعوبة . (٣) وانظر الخبر أيضا في زهر الآداب
(طبعة الحلبي) : ١٦٧ ، والوشح : ٢٣٠ .

قال سيدنا أدام الله علوه : والهدلى الذى عابه وأنشد له هذا البيت هو عبد الله بن مسلم ابن جندب الهدلى .

وقول عروة : « باكرها النعيم » أراد أنها لم تعيش إلا فى النعيم ، ولم تعرف إلا الخفض ، وأنها لم تلاقى بُوساً فتخشع وتضرع ، فيؤثر ذلك فى جمالها وتعامها ، والبكور هو التقدم فى كل وقت .

وكان عروة بن أذينة مع تغزله يوصف بالعفاف والزاهة ، ^(١) ورؤى أن سكينه بنت الحسين عليهما السلام مرت به فقالت : يا أبا عامر ، أنت الذى تقول :

إِذَا وَجَدْتُ أَوَارَ الْخُبِّ فِي كَبْدِي أَقْبَاتُ نَحْوَ سِقَاءِ الْقَوْمِ أَبْرَدُ
هَبْنِي بَرْدَتْ بَرْدِ الْمَاءِ ظَاهِرُهُ فَمَنْ لِنَارٍ عَلَى الْأَحْشَاءِ تَنْقَدُ !
وأنت القائل :

قَالَتُ وَأَبْنَيْتُهَا وَجَدِي فُبِحْتُ بِهِ قَدْ كُنْتُ عِنْدِي تُجِبُ السُّتْرِ ، فَسْتَرِ
/ أَلَسْتُ تُبْصِرُ مَنْ حَوْلِي ؟ فَقُلْتُ لَهَا : عَطَى هَوَاكِ وَمَا أَلْقَى عَلَى بَصَرِي ^(٢) [١٣٨]

قال : نعم ، قالت : هن حرائر - وأشارت إلى جواربيها - إن كان هذا خرج من قلب سليم !

وأنشد أبو الحسن أحمد بن يحيى ^(٣) لعروة :

كَأَنَّ خُرَامِي طَلَّةَ صَابِهَا النَّدَى وَفَارَةَ مِسْكِ ضَمْنَيْهَا ثِيَابُهَا ^(٤)
وَكِدْتُ لِدِكْرَاهَا أَطِيرُ صَبَابَةً وَغَالِبْتُ نَفْسًا زَادَ شَوْقًا غِلَابُهَا

(١) الخبر فى مصارع العفاف : ٣١٣-٣١٤ ، وابن خلكان ١ : ٢١١ .

(٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « بما ألقى على بصرى » .

(٣) كذا فى الأصول ، وفى حاشيتي الأصل ، ت (من نسخة) : « أبو الحسن على بن أحمد » ،

ومن نسخة أخرى : « أبو الحسن عن أحمد بن يحيى » . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « صابها الندى » ؛

الخزامى : نبت زهره أبيض الأزهار رائحة ، والطلّة : الروضة بللها الظل ؛ وهو المطر الخفيف . وفارّة

المسك : وعاءه ؛ ويريد به هنا المسك .

إِذَا اقْتَرَبْتُ سَعْدَى لَهَجْتُ بِهَجْرِهَا وَإِنْ تَغْتَرِبَ يَوْمًا يَرُوكَ اغْتَرَابُهَا
فَفِي أَيْ هَذَا رَاحَةٌ لَكَ عِنْدَهَا ! سِوَاءَ لَعَمْرِي نَأْيُهَا وَاقْتِرَابُهَا
وَعَادَ الْهَوَى فِيهَا كِظْلٌ سَحَابَةٌ الْأَحْتُ بَبْرَقِي ثُمَّ مَرَّ سَحَابُهَا (١)

قال سيدنا أدام الله علوه : وهيهات هذا البيت الأخير من قول كثير :
وَإِنِّي وَتَهْيَأِي بَعْرَةً بَعْدَ مَا تَخَلَّيْتُ مِمَّا بَيْنَنَا وَتَحَلَّيْتُ (٢)
لِكَالْمُرْتَجَى ظِلَّ الْغَمَامَةِ كُلَّمَا تَبَوَّأَ مِنْهَا لِلْمَقِيلِ اضْمَحَلَّتْ
كَأَنِّي وَإِبَاهَا سَحَابَةٌ مُمَجَّلٍ رَجَاهَا فَلَمَّا جَاوَزَتْهُ اسْتَهَلَّتْ

وروى يحيى بن عليّ قال حدثنا أبو هيفان قال : أشعرُ أبيات قيلت في الحسدة والدعاء لهم بالكثرة أربعة ، فأولها قول الكُمَيْتِ بن زيد (٣) :

١٠ إِنْ يَحْسُدُونِي فَإِنِّي لَا أَلُومُهُمْ قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا (٤)
فَدَامَ بَنِي وَبِهِمْ مَالِي وَمَا لَهُمْ وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غَيْظًا بِمَا يَجِدُ
أَنَا الَّذِي يَجِدُونِي فِي خُلُوقِهِمْ لَا أُرْتَقِي صَدْرًا مِنْهَا وَلَا أُرْدُ
لَا يُنْقِصُ اللَّهُ حُسَادِي فَأَيُّهُمْ أَمْرٌ عِنْدِي مِنَ اللَّائِي لَهُ الْوَدَدُ (٥)

وقال عروة بن أذينة :

١٥ لَا يُبْعِدُ اللَّهُ حُسَادِي وَزَادَهُمْ حَتَّى يَمُوتُوا بِدَاءٍ فِي مَكْنُونِ
/ إِنِّي رَأَيْتُهُمْ فِي كُلِّ مَثَرَةٍ أَجَلَ قَدْرًا مِنَ اللَّائِي يُحِبُّونِي [١٣٨]

وقال نصر بن سيار :

إِنْ يَحْسُدُونِي عَلَى مَا بِي وَمَا بِهِمْ فَمِثْلُ مَا بِي لَعَمْرِي جَرَّ لِي الْحَسَدَا

(١) ألاحت : لوح . (٢) أمالي القالي ٢ : ١٠٩ .

(٣) في حاشيتي الأصل ، ت : « الكُميت بن معروف الأسدي » .

(٤) من نسخة بمحواشي الأصل ، ت ، ف : « غير لائمهم » ، والآيات الثلاثة الأول وردت في معجم

الشعراء : ٣٤٧ ، منسوبة إلى الكُميت بن معروف ، ووردت في عيون الأخبار ٢ : ١٠-١١ ، وأمالي

القالي ٢ : ١٩٨ من غير عزو . (٥) ت : « هم الودد » ، ومن نسخة بمحاشية الأصل : « لهم ودد » .

وقال معن بن زائدة :

إِنِّي حُسِدْتُ فَرَادَ اللَّهِ فِي حَسَدِي لَا عَاشَ مَنْ عَاشَ يَوْمًا غَيْرَ مُحْسُودٍ
مَا يُحْسَدُ الْمَرْءُ إِلَّا مِنْ فَضَائِلِهِ بِالْعِلْمِ وَالظَّرْفِ أَوْ بِالْبَاسِ وَالْجُودِ

قال سيدنا أدام الله علوه : وقد لحظ البُحْتَرِيُّ بهذا^(١) المعنى في قوله :

مُحْسَدٌ بِخِلَالٍ فِيهِ فَاضَاةٌ وَلَيْسَ تَفْتَرِقُ النَّعْمَاءُ وَالْحَسَدُ^(٢)

وأظن أبا العتاهية أخذ قوله :

كَمْ عَائِبٍ لَكَ لَمْ أَسْمَعْ مَقَالَتَهُ وَلَمْ يَزِدْكَ لَدَيْنَا غَيْرَ تَرْبِينِ
كَأَنَّ عَائِبَكُمْ يُبْدِي مُحَاسِنَكُمْ وَصَفًا فِيمَدَحِكُمْ عِنْدِي وَيُغْرِبُنِي
مَا فَوْقَ حُبِّكَ حُبًّا لَسْتُ أَعْلَمُهُ فَلَا يَضُرُّكَ إِلَّا كَسْتَرِيدُنِي

من قول عروة بن أذينة :

لَا بُعْدُ مُعْدَى مُرِيحِي مِنْ جَوَى سَقَمٍ يَوْمًا وَلَا قُرْبَهَا مِنْ حُمٍّ يَشْفِينِي
إِذَا الْوُشَاةُ لَحَوْا فِيهَا عَصِيَّتُهُمْ وَخِلْتُ أَنَّ بَسْمُدِي الْيَوْمَ يُغْرِبُنِي

وقد أخذ أبو نواس هذا المعنى في قوله :

مَا حَطَّكَ الْوَاشُونَ مِنْ رُتْبَةٍ عِنْدِي وَلَا ضَرَّكَ مُعْتَابُ
كَأَنَّهُمْ أَتَمُّوا وَلَمْ يَعْلَمُوا عَلَيْكَ عِنْدِي بِالذِّى عَابُوا

ولعروة بن أذينة :

تُرَوِّعُنَا الْجَنَائِزُ مُقْبِلَاتٍ وَنَهَوُ حِينَ تَخْفَى ذَاهِبَاتٍ^(٣)

كِرْوَعَةٍ ثَلَاثَةِ لُمَغَارٍ ذَبَّ فَلَمَّا غَابَ عَادَتْ رَاتِعَاتٍ

[١٣٩]

الثَّلَّةُ : القطعة من الضأن ؛ وهذا المعنى قد سبق إليه بعض الأعراب فقال :

وَنُحْدِثُ رَوَاعٍ لَدَى كُلِّ فَرْعَةٍ وَنُسْرِعُ نِسْيَانًا وَمَا جَاءَنَا أَمْنٌ

(١) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « هذا » . (٢) ديوانه ١ : ١٤٠ ، وفي ت ، من

نسخة : « فيه ظاهرة » . (٣) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « ونسهر » . والشعر في الحيوان

٥٠٧ : ٦ وعيون الأخبار ٦٢ : ٣ ، والبيان ٢٠١ : ٦

وإنا - ولا كفرانَ لله ربَّنا - لكالبدين ، لا تدرى متى يومُها البُدنُ !
أخذه أبو العتاهية في قوله :

إذا ما رأيتم ميتينَ جَزِعْتُمْ وإنْ غِيَّبُوا مِلْتُمْ إلى صَبَوَاتِهَا

وأخذ عروة قوله :

٥ إنَّ الفتيَّ مثلُ الهلالِ له نورٌ لياليٍّ ثمَّ يَمْتَحِقُ^(١)
يَبْلَى وَتَفْنِيهِ الدُّهُورُ كما يَبْلَى وَيَنْضُوا لَجْدَةَ الْخَلْقِ^(٢)

من قول لبعض شعراء طي :

١٠ مَهْمَا يَكُنْ رَبُّ الزَّمَانِ فَإِنِّي أرى قَمَرَ اللَّيْلِ الْمُعَذِّبِ كَالْفَتَى^(٣)
يُهَلُّ صَغِيرًا ، ثُمَّ يَعْظُمُ ضَوْؤُهُ وَصُورَتُهُ حَتَّى إِذَا مَا هَوَى اسْتَوَى
تَقَارَبَ يَخْبُو ضَوْؤُهُ وَشُعَاعُهُ وَيَمْصَحُ حَتَّى يَسْتَسِرَّ فَلَا يُرَى^(٤)
كَذَلِكَ زَيْدُ الْمَرْءِ ثُمَّ انْتِقَاضُهُ يَعُودُ إِلَى مِثْلِ الَّذِي كَانَ قَدْ بَدَأَ^(٥)
أخذه محمد بن يزيد الكاتب فقال :

المَرْءُ مِثْلُ هِلَالٍ عِنْدَ مَطْلَعِهِ يَبْدُو ضئيلاً ضَعِيفاً ثُمَّ يَنْسِقُ^(٦)
يَزْدَادُ حَتَّى إِذَا مَا تَمَّ أَعْقَبَهُ كَرُّ الْجَدِيدِينَ نَقْصَانًا فَيَمْتَحِقُ^(٦)

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « احق » ، وفيها : « يمتحق وامتحق واحق بمعنى » .

(٢) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « وينضى الخبرة » . وفي حاشية الأصل أيضا :

« أنضيت الثوب : أبليته وكذلك انتضيته ، ونضوته : خلعته » .

(٣) معجم البلدان ٤ : ١٣٤ ؛ من أبيات نسبها إلى حنظلة بن أبي عفراء الطائي ؛ وكان قد نُسك

في الجاهلية وتنصر ، وبني ديرا عرف باسمه . (٤) حاشية الأصل : « يقال : مصح النبات إذا ولى

لون زهره » . (٥) رواية عجز البيت في معجم البلدان :

* وتكرارُهُ في إثرِهِ بَعْدَ مامضَى *

(٦) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « فيمحق » .

مَجْلِسُ آخِرِ

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا نَزَّلْنَا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ [١٣٩] فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لِمَنِ اشْتَرَاهُ مَالَهُ فِي الْآخِرَةِ ۝ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝ [البقرة: ١٠٢] .

فَقَالَ : كَيْفَ يُنْزِلُ اللَّهُ السِّحْرَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ؟ أَمْ كَيْفَ تَعْلَمُ الْمَلَائِكَةُ النَّاسَ السَّحَرِ والتفريقَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ؟ وَكَيْفَ نَسَبَ الضَّرَرَ الْوَاقِعَ عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى أَنَّهُ بِإِذْنِهِ ، وَهُوَ تَعَالَى قَدْ نَهَى عَنْهُ ، وَحَذَّرَ مِنْ فِعْلِهِ ؟ وَكَيْفَ أَثْبَتَ الْعِلْمَ لَهُمْ وَنَفَاهُ عَنْهُمْ ، بِقَوْلِهِ : ﴿ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لِمَنِ اشْتَرَاهُ ﴾ ، ثُمَّ قَوْلُهُ : ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ؟ .

الجواب ، قلنا : فِي الْآيَةِ وَجْوهٌ ؛ كُلُّ مِنْهَا يُزِيلُ الشُّبْهَةَ الدَّاخِلَةَ عَلَى مَنْ لَا يَنْعِمُ النَّظَرَ فِيهَا :

أَوَّلُهَا أَنْ يَكُونَ ﴿ مَا ﴾ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ ﴾ بِمَعْنَى الَّذِي ، فَكَأَنَّهُ تَعَالَى أَخْبَرَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا تَكْذِبُ فِيهِ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ، وَتَضْيِيقُهُ إِلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ؛ فَبَرَأَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ قَرَفِهِمْ ، وَأَكْذَبَهُمْ فِي قَوْلِهِمْ ، فَقَالَ : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾ بِاسْتِمَالِ السِّحْرِ وَالتَّمْوِيهِ عَلَى النَّاسِ ، ١٥ ثُمَّ قَالَ : ﴿ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ ﴾ ، وَأَرَادَ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ مِنْهُمْ السِّحْرَ

والذى أنزل على الملّكين، وإِنَّمَا أنزل على الملّكين وصفُ السحر وماهيته وكيفية الاحتيا
فيه ؛ ليعرفا ذلك ويعرفاه للناس فيجتنبوه ويحذروا منه ، كما أنه تعالى قد أعلمنا ضروبَ
المعاصي، ووصف لنا أحوال القبائح لنجتنبها لا لنوقعها؛ لأنَّ الشياطين كانوا إذا علموا ذلك
وعرفوه استعملوه، وأقدموا على فعله ؛ وإن كان غيرهم من المؤمنين لما عرفه اجتنبه وحاذره
وانتفع باطلاعه على كيفيته ، ثم قال : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ ﴾ يعني الملّكين ، ومعنى
﴿ يُعَلِّمَانِ ﴾ يُعَلِّمَانِ ، والعرب تستعمل لفظة علّمه بمعنى أعلمه ، قال القطامي :
تعلّم أن بعد الغي رُشداً وأنّ ليلتك الغبر انقشاعاً^(١)
وقال كعب بن زهير :

تعلّم رسول الله أنّك مُدْرِكِي وأنّ وعيداً منك كالأخذ باليد^(٢)

[١٤٠] ومعنى « تعلّم » في البيتين / معنى « اعلم »^(٣) ؛ والذي يدلّ على أن المراد هاهنا الإعلام
لا التعليم قوله : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ ، أى
أنهما لا يعرفان صفاتِ السحر وكيفيته إلّا بعد أن يقولوا إنّما نحن فِتْنَةٌ ، لأنّ الفتنة
بمعنى المحنة ؛ وإِنَّمَا كُنَّا مُحْنَةً ، من حيث ألقيّا إلى المكلفين أمراً لينزجروا
عنه ، ولينتنموا من مواقمته ، وهم إذا عرفوه أمكن أن يستعملوه ويرتكبوه ،
فقالا لمن يُطلّمانه على ذلك : لا تكفّر باستعماله ، ولا تعدل عن الغرض في إلقاء هذا إليك ،
فإنه إِنَّمَا أُلْقِيَ إِلَيْكَ ، وأُطْلِمَتْ عليه لتجتنبه ؛ لا لتفعله ، ثم قال : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا
مَا يُفَرَّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴾ ، أى فيعرفون من جهتهما ما يستعملونه في هذا الباب ؛
وإن كان الملّكان ما ألقياه إليهم لذلك ؛ ولهذا قال : ﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ﴾ ؛ لأنهم

(١) ديوانه : ٤٠ ؛ ومن نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « لهذه الغمر » ، وهى رواية الديوان

والغمر : جمع غمرة ، وهى الشدة . (٢) ملحقات ديوانه : ٢٥٨ (عن الغمر) .

(٣) حواشى الأصل ، ت ، ف : « قال ابن السكيت رحمه الله : يقال : تعلّمت أن فلانا خارج يعنى

علّمت ، وإذا قال لك : اعلم أن زيدا خارج قلت : قد علّمت ، وإذا قال : تعلّم أن زيدا خارج لم تقل :
قد تعلّمت ؛ يعنى أنه يقتصر على ماورد عنهم ، ولا يتجاوز إلى غيره .

لَمَّا قَصَدُوا بِتَعْلَمَهُ أَنْ يَفْعَلُوهُ وَيَرْكَبُوهُ، لَا أَنْ يَجْتَنِبُوهُ صَارَ ذَلِكَ لِسُوءِ اخْتِيَارِهِمْ ضَرَرًا عَلَيْهِمْ .
 وثانيها أَنْ يَكُونَ ﴿ مَا أُنْزِلَ ﴾ موضعه موضع جرٍّ ؛ فيكون معطوفاً بالواو على ﴿ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ ؛ والمعنى : واتبعوا ما كَذَبَ به الشياطينُ على ملك سليمان ، وعلى ما أُنْزِلَ على الملَكَيْنِ ؛ ومعنى ﴿ مَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ ﴾ أى معهما ، وعلى ألسنتهما ؛ كما قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ ﴾ ؛ [آل عمران : ١٩٤] ، أى على ألسنتهم ومعهم .
 وليس بمنكر أن يكون ﴿ مَا أُنْزِلَ ﴾ معطوفاً على ﴿ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ وإن اعترض بينهما من الكلام ما اعترض ؛ لأن ردَّ الشيء إلى نظيره ، وعطفه على ما هو أولى هو الواجب ، وإن اعترض بينهما ما ليس منهما ؛ ولهذا نظائر في القرآن وكلام العرب كثيرة ، قال الله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا . قَيِّمًا ﴾ ؛ [الكهف : ٢١] ، و« قَيِّمٌ » من صفات الكتاب حال منه ، لا من صفة « عِوَج » ، وإن تباعد ما بينهما ، ومثله قوله : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ ؛ [البقرة : ٢١٧] ، فالمسجد هاهنا معطوف به على الشهر الحرام ، أى يسألونك عن القتال في الشهر الحرام وعن المسجد الحرام .
 وحكى عن بعض علماء أهل اللغة أنه قال : العرب تلف الخبرين المختلفين ، ثم ترمى بتفسيرها جملة ؛ ثقةً بأن السامع يردُّ إلى كلِّ خبره ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ ؛ [يونس : ٦٧] ، وهذا واضح في مذهب العرب ، كثير التطاير .

ثم قال : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ﴾ ، والمعنى أنهما لا يعلمان أحداً ، بل ينهيان عنه ، ويبلغ من نهيهما عنه وصدَّهما عن فعله واستعماله أن يقولَا : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ باستعمال السحر والإقدام على فعله ، وهذا كما يقول الرجل : ما أمرت فلاناً بكذا ، ولقد بالفت في نهيه حتى قات له : إنك إن فعلته أصابك كذا وكذا ؛ وهذا

هو نهاية البلاغة في الكلام ؛ والاختصار الدال مع اللفظ القليل على المعاني الكثيرة ؛ لأنه استغنى بقوله تعالى : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ﴾ عن بسط الكلام الذي ذكرناه ؛ ولذلك نظائر في القرآن ، قال الله تعالى : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [الزومنون : ٩١] ، فلو لا الاختصار لكان مع شرح الكلام يقول : ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله ، ولو كان معه إله إذا لذهب كل إله بما خلق ؛ ومثله قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٦] ، أى : فيقال للذين اسودت وجوههم : ﴿ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ ؛ وأمثاله أكثر من أن تُورد .

١٠ ثم قال تعالى : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الرَّءِ وَزَوْجِهِ ﴾ ، وليس يجوز أن يرجع الضمير على هذا الجواب إلى الملكين ؛ وكيف يرجع إليهما وقد نفى عنهما التعليم ! بل يرجع إلى الكفر والسحر ، وقد تقدم ذكر السحر ، وتقدم أيضاً ذكر ما يدل على الكفر ويقتضيه في قوله : ﴿ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾ ؛ فدل ﴿ كَفَرُوا ﴾ على الكفر ، والعطف عليه مع السحر جائز ، وإن كان التصريح قد وقع بذكر السحر دونه ؛ ومثل ذلك قوله تعالى : ١٥ ﴿ سَيِّدٌ كَرُّ مَنْ يَخْشَى . وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴾ [الأعلى : ١٠-١١] ، أى يتجنب الذكري الأشقى ، ولم يتقدم تصريح بالذكورية ، لكن دل عليها قوله : ﴿ سَيِّدٌ كَرُّ ﴾ .

ويجوز أيضاً أن يكون معنى ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا ﴾ ، أى بدلا مما علمهم الملكان ، ويكون المعنى أنهم يعدلون عما علمهم ووقفهم عليه الملكان من النهي عن السحر إلى تعلمه واستعماله ؛ كما يقول القائل : ليت لنا من كذا وكذا كذا^(١) ! أى بدلا منه ، وكما قال الشاعر :

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : و من هذا الباب قوله :

فلنيت لنا من ماء زمزم شربة مبردة باتت على الطهيان

— الطهيان : اسم جبل . —

جَمَعَتْ مِنَ الْخَيْرَاتِ وَطَبَّاءَ وَعُلْبَةً وَصَرَ الْأَخْلَافِ الزَّمَمَةَ الْبُزْلَ^(١) [١٤٠]
وَمِنْ كُلِّ أَخْلَاقِ الْكِرَامِ نَمِيمَةً وَسَعِيًّا عَلَى الْجَارِ الْجَاوِرِ بِالْمَحَلِّ^(٢)

يريد جمعت مكان الخيرات، ومكان أخلاق الكرام هذه الخصال الذميمة .

وقوله : « مَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ » فيه وجهان :

أحدهما أن يكونوا يُفَرِّقُونَ أَحَدَ الزَّوْجَيْنِ ، ويحملونه على الكفر والشرك بالله تعالى ،
فيكون بذلك قد فارق زوجته الآخرَ المؤمنَ المقيمَ على دينه ، فيفترق بينهما اختلاف النَّحْلَةِ
وَالْمَلَّةِ .

والوجه الآخر أن يسموا بين الزوجين بالنميمة والوشاية والإغراء والتمويه بالباطل ؛
حتى يثوول أمرهما إلى الفرقة والمباينة .

وثالث الوجوه في الآية أن يُحْمَلَ « مَا » في قوله : « وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكِينَ » على الْجَحْدِ ١٠
وَالنَّفْيِ ، فكانه تعالى قال : « وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمٍ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ » ،
وَلَا أُنْزِلَ اللَّهُ السَّحَرُ عَلَى الْمَلَائِكِينَ ، « وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ
بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ » ويكون قوله : « بَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ » من المؤخر الذي
معناه التقديم ، ويكون - على هذا التأويل - هاروت وماروت رجلين من جملة الناس ، هذان
اسماهما ؛ وإنما ذكرنا بعد ذكر الناس تمييزاً وتبييناً ، ويكون المَلَكُ الْمَذْكُورَانِ ١٥

(١) في حاشيتي الأصل ، ف : « الوطوب : زق اللبن ، والعلبة : ما يعلب فيه . والصر : شد الضرع .

والأخلاف : جمع خلف ؛ وهو لفظة كالهندي للمرأة والمزمنة : النوق التي علقت الأزمة عليها ، والبزل :

جمع بازل ؛ وهي النامة السن . وفي د ، م : « المزهمة » ، وهي السمان الكثيرة الشحم .

(٢) المحل : الكذب والخداع .

نفى عنهما السحرَ جبرائيلُ وميكائيلُ عليهما السلام ؛ ^(١) لأنَّ سَحْرَةَ الْيَهُودِ - فيما ذكر - كانت تدعى أن الله تعالى أنزل السحرَ على لسان جبرائيل وميكائيل ^(٢) إلى سليمان بن داود عليهما السلام ، فأكذبهما الله تعالى بذلك .

ويجوز أن يكون هاروت وماروت يرجعان إلى الشياطين ، كأنه قال : ولكن الشياطين : هاروت وماروت كفروا ؛ ويسوغ ذلك كما ساع في قوله تعالى : ﴿ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾ ؛ [الأنبياء : ٧٨] ، يعني حكم داود وسليمان عليهما السلام .

ويكون قوله تعالى على هذا التأويل : ﴿ وَمَا يُمْلِكُ أَحَدٌ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ﴾ راجعاً إلى هاروت وماروت اللذين هما من الشياطين ، أو من الإنس المتعلمين للسحر من الشياطين والعاملين به . ومعنى قولهما : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ يكون على طريق الاستهزاء والتمأجُن والتخالُع ، كما يقول المأجِن من الناس إذا فعل قبيحاً ^(٣) [١٤١] أو قال باطلا : هذا فعل من لا يفلح ، وقول من لا يُنجب ، والله ما حصلت / إلا على الخسران ؛ وليس ذلك منه على سبيل النصيح للناس وتحذيرهم من مثل فعله ، بل على وجه المجون والتهالك .

ويجوز أيضا على هذا التأويل الذي يتضمن النفي والجحد أن يكون هاروت وماروت اسمين للملكين ، ونفى عنهما إزال السحر بقوله : ﴿ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ ﴾ ويكون قوله : ﴿ وَمَا يُمْلِكُ أَحَدٌ مِنْ أَحَدٍ ﴾ يرجع إلى قبيلتين من الجن أو إلى شياطين الجن والإنس ، فتحسن التثنية لهذا .

وقد روى هذا التأويل الأخير في حمل ﴿ مَا ﴾ على النفي عن ابن عباس وغيره من المفسرين . وروى عنه أيضا أنه كان يقرأ : ﴿ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ ﴾ بكسر اللام ، ويقول : متى كان المَلِجَان مَلَكَيْنِ ! إنما كانا مَلِكَيْنِ ؛ ^(٤) وعلى هذه القراءة لا يفتكر أن يرجع قوله : ﴿ وَمَا يُمْلِكُ أَحَدٌ مِنْ أَحَدٍ ﴾ إليهما ^(٥) .

وعلى^(١) هذه القراءة في الآية وجه آخر وإن لم يحمل قوله: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ على الجحد والنفي ، وهو أن يكون هؤلاء الذين أخبر عنهم اتبعوا ما تتلوا الشياطين وتدفعه على ملك سليمان ، واتبعوا ما أنزل على هذين الملكين من السحر ، ولا يكون الإنزال مضافاً إلى الله تعالى ، وإن أطلق ؛ لأنه جلّ وعز لا يُنزل السحر ؛ بل يكون منزله إليهما بعض الضلال المصاة ، ويكون معنى ﴿أُنْزِلَ﴾ - وإن كان من الأرض - مُحمّل إليهما لا من السماء أنه أني به ٥ به من نجود الأرض وأعليها ؛ فإن من هبط من نجد البلاد إلى غورها يقال : نزل وهبط ، وما جرى هذا المجرى .

فأما قوله تعالى : ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فيحتمل وجوهاً : منها أن يريد بالإذن العلم ، من قولهم : آذنت فلاناً بكذا إذا أعلمته ، وأذنت لكذا إذا استمعت له وعلمته ، قال الشاعر :

١٠

فِي سَمَاعٍ يَأْذُنُ الشَّيْخُ لَهُ وَحَدِيثٍ مِثْلٍ مَاضٍ مُشَارٍ^(٢)

ومنها أن تكون ﴿إِلَّا﴾ زائدة ، فيكون المعنى : وما هم بضارين به من أحدٍ بإذن الله ، ويجرى مجرى قول أحدنا : لقيت زيدا إلا أني أكرمه ، أي لقيت زيدا فأكرمته .

ومنها أن يكون أراد بالإذن التخلية وترك المنع ، فكأنه أفاد بذلك أن العباد لن يُعجزوه ، وما هم بضارين أحداً إلا بأن يَحْلَى الله تعالى بينهم وبينه ، ولو شاء لمنعهم بالقهر والقسر ، زائداً ١٥ على منعهم بالزجر والنهي .

ومنها أن يكون الضرر الذي عني أنه لا يكون إلا بإذنه ، وأضافه إليه هو ما يليق^[١٤١] المسحور من الأدوية والأغذية التي يُطعمه إياها السحرة ويدعون أنها موجبة لما يقصدونه فيه من الأمور ؛ ومعلوم أن الضرر الحاصل عن ذلك من فعل الله تعالى بالعادة ؛ لأن الأغذية لا توجب ضرراً ولا نفماً ، وإن كان المرص للضرر من حيث كان كالفاعل له هو المستحق للدم ، وعليه يجب العوض .

(١) ت : « ويمكن على هذه القراءة ... » . (٢) البيت في اللسان (أذن) ، ونسبه إلى عدي ابن زيد الماذي : العسل الأبيض . والمشار : المجنى ، ويقال : شرت العسل واشترته وأشرته ، لإذجنته .

ومنها أن يكون الضرر المذكور إنما هو ما يحصل عن التفريق بين الأزواج ؛ لأنه أقرب إليه في ترتيب الكلام ؛ والمعنى أنهم إذا أغووا أحد الزوجين ، وكفر فبانت منه زوجته ، فاستضر بذلك كانوا ضارين له بما حسنوه له من الكفر ، إلا أن الفرقة لم تسكن إلا بإذن الله وحكمه ؛ لأنه تعالى هو الذى حكم وأمر بالتفريق بين المختلفين الأديان ؛ فلهذا قال : ﴿ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ ؛ والمعنى أنه لو لا حكم الله وإذنه في الفرقة بين هذين الزوجين باختلاف الملة لم يكونوا ضارين له هذا الضرب من الضرر الحاصل عند الفرقة ؛ ويقوى هذا الوجه ما روى أنه كان من دين سليمان ؛ أنه من ^(١) سحر بانث منه امرأته .

فأما قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَالُهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴾ ، ثم قال : ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ففيه وجوه : ١٠

أولها أن يكون الذين علموا غير الذين لم يعلموا ، ويكون الذين علموا الشياطين أو الذين خبر عنهم بأنهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، كأنهم لا يعلمون ، واتبعوا ما اتلوا الشياطين على ملك سليمان ، والذين لم يعلموا هم الذين تعلموا السحر ، وشرّوا به أنفسهم .

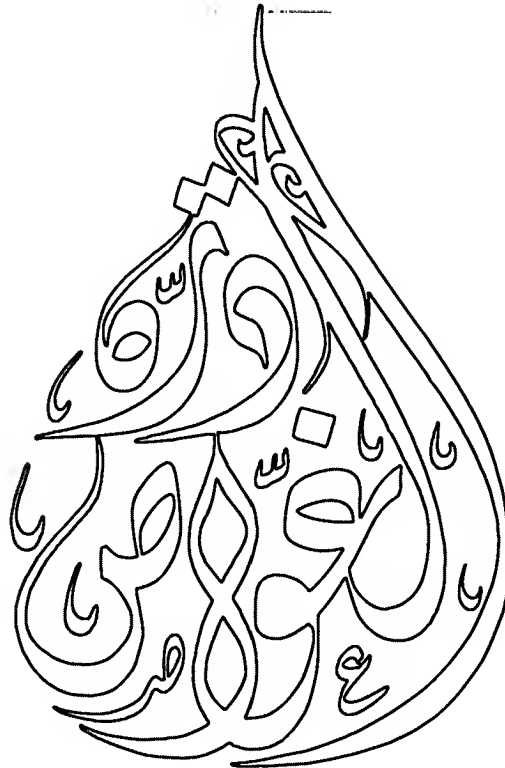
وثانيها أن يكون الذين علموا هم الذين لم يعلموا ؛ إلا أنهم علموا شيئا ولم يعلموا غيره ، فكأنه تعالى وصفهم بأنهم عالمون بأنه لا نصيب لمن اشترى ذلك ورضيه لنفسه على الجملة ، ولم يعلموا كنه ما يصير إليه من عقاب الله الذى لا نفاد له ولا انقطاع . ١٥

وثالثها أن تكون الفائدة في نفي العلم بعد إثباته أنهم لم يعملوا بما علموا ، فكأنهم لم يعلموا ، وهذا كما يقول أحدنا لغيره : ما أدعوك إليه خير لك وأعود عليك ؛ لو كنت تعقل وتنظر في العواقب ، وهو يعقل وينظر في العواقب ، إلا أنه لا يعمل بموجب علمه ، فحسن [١٤٢] أن يقال له / مثل هذا القول ؛ قال كعب بن زهير يصف ذئبا غرابا تبعاه ؛ ليصيبا من زاده : إِذَا حَضَرَ أُنَى قُلْتُ : لَوْ تَعَلَّمَانِي أَلَمْ تَعْلَمَا أُنَى مِنْ الزَّادِ مُرْمِلٌ ^(٢)

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « أن من » . (٢) ديوانه : ٥١ . المرمل : الذى تغذاه .

فنفى عنهما العلم ، ثم أثبتته بقوله : « ألم تعلموا » ، وإنما المعنى فى نفيه العلم عنهما أنهما لم يعملوا بما علماه فكنّاهما لم يعلماه .

ورابعها أن يكون المعنى أن هؤلاء القوم الذين قد علموا أن الآخرة لا حظّ لهم فيها مع عملهم القبيح ، إلا أنهم ارتكبوه طمعاً فى حُطام الدنيا وزخرفها فقال تعالى : ﴿ وَكَبُتْ مَآشَرُوهُمْ بِأَنفُسِهِمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ أن الذى آثروه وجماعه عوضاً من الآخرة لا يتم لهم ، ولا يبقى عليهم ، وأنه منقطع زائل ، ومضئ جلّ باطل ، وأن المال إلى المستحق فى الآخرة ؛ وكل ذلك واضح بحمد الله .



مَجْلِسُ آخِرِ تَأْوِيلِ خَبَرِ

روى عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « لو كان القرآن في إهاب ما مسَّته النار » .

وقد ذكر متأولو حديث النبي صلى الله عليه وآله في هذا الخبر وجوهاً كثيرة ، كلها غير صحيحة ولا شافية ، وأنا أذكر ما اعتمدته ^(١) ، وأبين ما فيه ، ثم أذكر الوجه الصحيح .

قال ابن قتيبة : ذهب الأصمعي إلى أن من تعلم القرآن من المسلمين لو ألقى في النار لم تحرقه ، فكنتى بالإهاب - وهو الجلد - عن الشخص والجسم ؛ واحتج على تأويله هذا ^(٢) الحديث بما روى عن سليمان بن محمد قال : سمعت أبا أمامة يقول : اقرءوا القرآن ولا تغرَّ نكم هذه المصاحف المعلقة ^(٣) ؛ فإن الله لا يعذب قلباً وعى القرآن .

قال ابن قتيبة : وفي الحديث تأويل آخر ، وهو أن القرآن لو كتبت في جلد ، ثم ألقى في النار على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله لم تحرقه النار ؛ على وجه الدلالة على صحة أمر النبي عليه وآله السلام ، ثم انقطع ذلك بعده ، قال : وجري هذا مجرى كلام الذئب وشكاية البعير وغير ذلك من آياته عليه السلام .

قال : وفيه تأويل ثالث ؛ وهو أن يكون الإحراق ^(٤) إنما نفى عن القرآن لا عن الإهاب ؛ ويكون معنى الحديث : لو جُمِلَ القرآن في إهاب ثم ألقى في النار ما احترق القرآن ؛

(١) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « ما ذكروه » .

(٢-٢) ت : « بالحديث عن سليمان » . (٣) حواشي الأصل ، ت ، ف : « المعلقة ؛ يجوز

أن يكون معناها السكتب ؛ لأن التعليق السكتب » . (٤) حاشية ف (من نسخة) : « الاحتراق » .

فَسَكَانُ النَّارِ تُحْرِقُ الْجُلْدَ وَالْمَدَادَ وَلَا تُحْرِقُ الْقُرْآنَ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَنْسَخُهُ وَيَرْفَعُهُ مِنَ الْجُلْدِ، صَيَانَةً لَهُ عَنِ الْإِحْرَاقِ .

وقال أبو بكر / محمد بن القاسم الأنباري ردّاً على ابن قتيبة ، ومعتزلاً عليه : اعتبرتُ [١٤٢] ط ما قاله ابن قتيبة من ذلك كله ، فما وجدت فيه شيئاً صحيحاً .

أما قوله الأول فيرويه ما روى عنه عليه السلام من قوله : يخرج من النار قومٌ بعد ٥ ما يُحْرَقُونَ^(١) فيها فيقال : هؤلاء الجهنميون طلقاء الله عز وجل . قال : وقدروى أبو سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « إذ دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار قال الله عز وجل : انظروا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ^(٢) فَأُخْرِجُوهُ مِنْهَا » ؛ قال أبو بكر : وكيف يصحُّ قول ابن قتيبة في زعمه أن النار لا تُحْرِقُ مَنْ قرأ القرآن ؛ ولا خلاف بين المسلمين أن الخوارج وغيرهم ممن يُلْحِدُ في دين الله تعالى ويقرأ القرآن أن تُحْرَقَ بهم ١٠ النارُ بغير شك ؛ واحتجاجه بخبر أبي أمامة : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْذِّبُ قَلْبًا وَعَى الْقُرْآنَ » معناه : قرأ القرآن وعمل به ؛ فأما مَنْ حفظ ألفاظه وضَيَّعَ حدوده ؛ فإنه غير واعٍ له .

قال : فأما قوله إنه من دلائل النبوة التي انقطعت بعده ، فأروى هذا الحديث أحدٌ أنه كان في دلائله عليه السلام ؛ ولو أراد ذلك دليلاً لكان صلى الله عليه وآله يجعل القرآن في إهاب ثم يُلقِيهِ في النار فلا يحترق

قال : وقول ابن قتيبة الثالث : « لا حترق الجلد والمداد ، ولم يحترق القرآن » غير ١٥ صحيح ؛ لأن الذي يصحُّ هذا القول يوجب أن القرآن غير المكتوب ؛ وهذا محال ؛ لأن المكتوب في المصحف هو القرآن . والدليل على هذا قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ . فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ . لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ ؛ [الواقعة : ٧٩ - ٨١] ، ومنه الحديث : « لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو » ؛ وإنما يريد المصحف .

قال أبو بكر : والقول عندنا في تأويل هذا الحديث أنه أراد : لو كان القرآن في جلد ٢٠

(١) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « يحترقون » .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « إيماناً » .

ثم ألقى في النار ما أبطنته ؛ لأنها وإن أحرقتة فإنها لا تدرسه ؛ إذ كان الله قد ضمته قلوب الأخيار من عباده ؛ والدليل على هذا قول الله تعالى للنبي صلى الله عليه وآله فيما روى عنه : إني منزل عليك كتابا لا يغسله الماء ، تقرأه نائماً ويقظان ؛ فلم يرد تعالى أن القرآن لو كتب في شيء ثم غسل بالماء لم يغسل ؛ وإنما أراد أن الماء لا يبطله ولا يدرسه إذا كانت القلوب تعيه وتحفظه .

قال : ومثل هذا كثير في كتاب الله تعالى وفي لغة العرب ؛ قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا / وَعَصُوا الرَّسُولَ أَوْ تَسْوَى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾ [النساء : ٤٢] ، فهم قد كتموا الله تعالى لئلاً قالوا : ﴿ وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام : ٢٣] ، وإنما أراد تعالى ؛ ولا يكتُمون الله حديثاً في حقيقة الأمر ؛ لأنهم وإن كتموه في الظاهر فالذي كتموه غير مستتر عنه .

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه : والوجه الصحيح في تأويل الخبر غير ما توهمه ابن قتيبة وابن الأنباري جميعاً ، وهو أن هذا من كلام النبي صلى الله عليه وآله على طريق المثل والمبالغة في تعظيم شأن القرآن والإخبار عن جلالة قدره وعظم خطره ، والمعنى أنه لو كتب في إهاب ، وألقى في النار وكانت النار مما لا تحرق شيئاً لعلو شأنه وجلالة قدره لم تحرقه النار .

ولهذا نظائر في القرآن وكلام العرب وأمثالهم كثيرة ظاهرة على من له أدنى أنس بمذاهبهم ، وتصرف في كلامهم .

فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر : ٢١] .
٢٠ ومعنى الكلام : إننا لو أنزلنا القرآن على جبل ، وكان الجبل مما يتصدع إشفاقاً من شيء ؛ أو خشية لأمر لتصدع مع صلابته وقوته ؛ فكيف بكم يا معاشر الكافرين ، مع ضعفكم وقلتكم ! وأنتم أولى بالخشية والإشفاق ؛ وقد صرح الله تعالى بأن الكلام خرج

المثل بقوله: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾؛ ومثله قوله تعالى: ﴿كَأَذِ السَّمَوَاتِ يَتَغَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا﴾؛ [مريم: ٩٠].

ومثله قول الشاعر:

أَمَا وَجَلَّالِ اللَّهِ لَوْ تَذَكَّرْتَنِي كَذِكْرَاكَ مَا مَهْنَهتِ لِلْعَيْنِ مَدْمَعًا
فَقَالَتْ: بَلَى وَاللَّهِ ذِكْرًا لَوْ أَنَّهُ تَضَمَّنَتْهُ صُمُّ الصَّفَا لَتَصَدَّعًا^(١)

ومثله:

فلو أن مابى بالخصى فلقَ الخصى وبالريح لم يُسمعَ لهنَّ هُبوبُ^(٢)

ومثله:

وَقَفْتُ عَلَى رُبْعٍ لِمِئَةٍ نَاقَتِي فَمَازِلْتُ أَبْكِي عِنْدَهُ وَأَخَاطِبُهُ^(٣)
وَأَسْقِيهِ حَتَّى كَادَ يَمُتُ أَبْنُهُ تُسَكَّمُنِي أَحْجَارُهُ وَمَلَاعِبُهُ^(٤)

وهذه طريقة للعرب مشهورة في المبالغة؛ يقولون: هذا كلام يفلق الصخر، ويهدئ الجبال، ويصرع الطير، ويستنزِلُ الوُعول؛ وليس ذلك بكذب منهم؛ بل المعنى أنه لحسنه [١٤٣] وحلاوته وبلاغته يفعل مثل هذه الأمور لو تأتت؛ ولو كانت مما يسهل^(٥) ويتيسر لشئ من الأشياء لتسهلت به من أجله.

فأما الجواب الأول المحكى عن ابن قتيبة فالذى يفسده^(٦) زائداً على ماردّه ابن الأنباري ١٥ أنه لو كان الامر على ما ذكره ابن قتيبة وحكاه عن الأصمعي لكان النبي صلى الله عليه وآله قد أغرانا بالذنوب؛ لأنه إذا أمِنَ حافظ القرآن ومتعلمه من النار والعذاب فيها ركن^(٧)

(١) الصفا: جمع الصفاة؛ وهو أخجر الصلد الضخم لا يذبت. (٢) ت: فلق الخصى.

(٣) ديوانه: ٣٨. (٤) أسقيه: أدعوله بالسقى. (٥) من نسخة بحاشيتي ت،

الأصل: «يتسهل». (٦) ت: «يبتله».

(٧) من نسخة بحاشيتي الأصل، ف: يقال: ركن [بفتح الكاف] ركن، [بكسر ها]. وركن

[بكسر الكاف] ركن [بفتح الكاف]؛ لغتان إلا أنهم أخذوا الماضي من هذا والمضارع من ذاك، فقالوا: «ركن ركن» بالفتح فيها.

المكلفون إلى تعلّم القرآن والإقدام على القبائح آمينين غير خائفين ؛ وهذا لا يجوز عليه صلى الله عليه وآله والمعنى في قول أبي أمامة أن الله لا يعذب قلباً وعى القرآن على نحو ما ذكره ابن الأنباري .

فأما جواب ابن قتيبة الثاني ، فمن أين له أن ذلك مختص بزمانه صلى الله عليه وآله ، وليس في اللفظ ولا في غيره دلالة عليه ! وأقوى ما يُبطله أنه لو كان كما ذكر لما جاز أن يخفى ٥ على جماعة المسلمين الذين رَوَوْا جميع معجزاته عليه وآله السلام وضبطوها . وفي وجداننا مَنْ روى ذلك وجمعه وعُنِيَ به غير عارف بهذه الدلالة والآية إبطال لما توهمه .

فأما جوابه الثالث فباطل ؛ لأن القرآن في الحقيقة ليس يحلُّ الجلد ، ولا يكون فيه حتى ينسب الاحتراق إلى الجلد دونه ؛ وإذا كان الأمر على هذا لم يكن في قوله : إن الإهاب ١٠ هو المحترق دون القرآن فائدة ؛ لأن هذه سبيل كلِّ كلام كتب في إهاب أو غيره إذا احترق الإهاب لم يُضف الاحتراق إلى الكلام لاستحالة هذه القضية^(١) عليه .

ومن عجيب الأمور قول ابن الأنباري : « وهذا يوجب أن القرآن غير المكتوب » ؛ لأن كلام ابن قتيبة ليس يوجب ما ظنّه ؛ بل يوجب ضده من أن المكتوب هو القرآن ؛ ولهذا علق الإحراق^(٢) بالكتابة والجلد دون المكتوب ؛ الذي هو القرآن ؛ وإذا كان المكتوب ١٥ في المصحف هو القرآن على ما اقترح ابن الأنباري ، فما المانع من قول ابن قتيبة أن الجلد يحترق دونه ؛ لأن أحداً لا يقول إن الجلد هو القرآن ؛ وإنما يقول قومٌ إنه مكتوب فيه ؛ وإذا كان غيره لم يتمتع إضافة الاحتراق إلى أحدهما / دون الآخر ؛ وهذا كله تخطيط من الرجلين ؛ [١٤٣] لأن القرآن غير حالٍ في الجلد على الحقيقة ؛ وليست الكتابة غير المكتوب ؛ وإنما الكتابة أمانة للحروف ؛ فأمّا أن تكون هي الكلام على الحقيقة أو يوجد معها الكلام مكتوباً فمحال .

فأما استشهادُه على ذلك بالآية وبقوله : « لا تسافروا بالقرآن » فذلك تجوِّز وتوسّع ،

وليس يجب أن يُجمل إطلاق الألفاظ المحتملة دليلاً على إثبات الأحكام والمعاني، ومعتضة على أدلة العقول؛ وقد تجوز القوم بأكثر من هذا فقالوا: في هذا الكتاب شعر امرئ القيس وعلم الشافعي وفقه فلان، ولم يقتض ذلك أن يكون العلم والكلام على الحقيقة موجودين في الدفتر. وقد بُيِّنَ الكلام، في هذا الباب في مواضع هي أولى به.

فأما جواب ابن الأنباري الذي ارتضاه لنفسه، فلا طائل أيضاً فيه، لأنه لا مزية للقرآن فيما ذكره على كل كلام وشعر في العالم، لأننا نعلم أن الشعر والكلام المحفوظ في صدور الرجال إذا كُتِبَ في جلد ثم أُحْرِقَ أو غُسلَ لم يذهب مافي الصدور. منه؛ بل يكون ثابتاً بحاله، فأى مزية للقرآن في هذا على غيره؟ وأى فضيلة؟ فإن قال: وجه المزية أن غير القرآن من الشعر وغيره يمكن أن يندرس ويبطل بإحراق النار؛ والقرآن إذا كان هو تعالى هو المتولى لإبداءه الصدور لا يتم ذلك فيه؟

١٠

قلنا: السكل سواء لأن غير القرآن إنما يبطل باحتراق الإهاب المكتوب فيه متى لم يكن محفوظاً مودعاً للصدور، ومتى كان بهذا الصفة لم يبطل باحتراق الجلد؛ وهكذا القرآن لو لم يُحفظ في الصدور لبطل بالاحتراق؛ وإسكنه لا يبطل بهذا الشرط؛ فصار الشرط في بطلان غير القرآن وثباته كالشرط في بطلان القرآن وإثباته، فلا مزية على هذا الجواب للقرآن فيما خُصَّ به من أن النار لا تمسه، وهذا يبيِّن أنه لا وجه غير ما ذكرناه في الخبر؛ وهو أشبه بمذاهب العرب وأولى بتفضيل القرآن وتعظيمه.

أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أنشدنا أبو حاتم قال ابن دريد وأنشدنا عبد الرحمن - يعني ابن أخي الأسمعي - عن عمه للحسين بن مطير الأسدي (١) - وقال عبد الرحمن قال عمي: لو كان شعر العرب هكذا ما أُنِمْ منشدته:

(١) هو الحسين بن مطير بن مكل؛ مولى لبني سعد بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد؛ شاعر متقدم من شعراء الدولتين؛ ومذهبه في الشعر يشبه كلام الأعراب ومذاهبهم؛ (وانظر ترجمته وأخباره وأشعاره في الأغاني ١٤: ١١٠-١١٤، والخزانة ٢: ٤٨٥-٤٨٩).

- أَلَا حَبَّ^(١) بِالْبَيْتِ الَّذِي أَنْتَ هَاجِرُهُ
لَا تُنْكَ مِنْ بَيْتٍ لَعَيْنِي مُعْجِبٌ^(٢)
أُصِدُّ حَيَاءً أَنْ يَلْجَأَ بِيَ الْهُوَى
وَفِيكَ حَبِيبُ النَّفْسِ لَوْ تَسْتَطِيعُهُ^(٥)
فَإِنْ آتَاهُ لَمْ أَنْجُ إِلَّا بِظَنَّةٍ
وَكَانَ حَبِيبُ النَّفْسِ لِلْقَلْبِ وَاتِرًا
وَأِنْ تَكُنِ الْأَعْدَاءُ أَحْمَوًا كَلَامُهُ
أُحِبُّكَ يَا سَلَمَى عَلَى غَيْرِ رِيْمَةٍ
وَيَا عَاذِلَى لَوْ لَا نَفَاسَةٌ حَيْثَا
بِنَفْسِي مَنْ لَا بَدَّ أُنِّي هَاجِرُهُ
وَمَنْ قَدْ أَحْبَاهُ النَّاسُ حَتَّى اتَّقَاهُمْ
أُحِبُّكَ حَبًّا لَنْ أَعْفُفَ بَعْدَهُ
لَقَدْ مَاتَ قَبْلِي أَوَّلُ الْحُبِّ فَانْقَضَى
كَلَامُكَ يَا سَلَمَى وَإِنْ قُلَّ نَافِعِي
أَلَا لَا أَبَالِي أَيْ حَسْبِ تَحَمُّلُوا
- وَأَنْتَ بِقَلَمٍ مَحٍ مِنَ الطَّرَفِ نَاطِرُهُ^(٣)
وَأَمْلَحُ فِي عَيْنِي مِنَ الْبَيْتِ عَامِرُهُ
وَفِيكَ أَلْسَى لَوْلَا عَدُوٌّ أُحَاذِرُهُ^(٤)
لَمَاتَ الْهُوَى وَالشَّوْقُ حِينَ تَجَاوِرُهُ^(٦)
وَإِنْ يَأْتِيهِ غَيْرِي تُنْطَبُ بِي جَرَائِرُهُ
وَكَيْفَ يُحِبُّ الْقَلْبُ مَنْ هُوَ وَاتِرُهُ !
عَلَيْنَا فَلَنْ تُحْمَى عَلَيْنَا مَنَاطِرُهُ
وَلَا بَأْسَ فِي حَبِّ تَعْفُ سَرَائِرُهُ
عَلَيْكَ لَمَّا بِالْبَيْتِ أَنْكَ خَابِرُهُ
وَمَنْ أَنَا فِي الْمَيْسُورِ وَالْعُسْرِ ذَا كِرُهُ
يَبْغِضِي إِلَّا مَا تُحِبُّنِ ضَمَائِرُهُ
حُبًّا وَلَسَكُنِّي إِذَا لَيْمَ عَاذِرُهُ
وَلَوْ مَتَّ أَضْحَى الْحُبُّ قَدَمَاتِ آخِرُهُ^(٧)
وَلَا تَحْسَبِي أُنِّي وَإِنْ قُلَّ حَاقِرُهُ^(٨)
إِذَا تَمَدُّ الْبَرِّقَاءِ لَمْ يُجَلِّ حَاضِرُهُ^(٩)

(١) وردت هذه المقطوعة في أمالي النفاي ١ : ٧٨ ، وأملى ابن النجاشي : ١٥٠ . مع اختلاف في الرواية وعدد الأبيات . (٢) ت : « زائرته » . (٣) هـ : « إلى لمعجب » .
(٤) م : « أن يُلجئ بي الهوى » . (٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « استطيعه » .
(٦) ت : « تجاوره » ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « تجاوره » .
(٧) في حاشية الأصل ، ت : « بهذا يدعى أنه أحيا الحب ، وأن الحب كان قبله ميتا . وسموت بعده » .
(٨) الحفر : التحقيق . (٩) تحملوا : ارتحلوا ؛ والتمد : الماء القليل . والبرقاء : موضع بالجزيرة .
ولم يجول ؛ من جلاء القوم عن منازلهم .

وَأَنْشُدَابُنُ الْأَعْرَابِيِّ لَابْنِ مُطَيْرٍ :

لَعَمْرُكَ لِلْبَيْتِ الَّذِي لَا نَطُورُهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ بِلَادٍ نَطُورُهَا^(١)
تَقَلَّبْتُ فِي الْإِخْوَانِ حَتَّى عَرَفْتُهُمْ وَلَا يَعْرِفُ الْإِخْوَانُ إِلَّا خَيْرُهَا
فَلَا أَصِرُّمُ الْخُلَائِنَ حَتَّى يُصَارِمُوا وَحَتَّى يَسِيرُوا سِيرَةً لَا أُسِيرُهَا
فَإِنَّكَ بَعْدَ الشَّرِّ مَا أَنْتَ وَاجِدُهُ خَلِيلًا مُدِيمًا شِيمَةً لَا يُدِيرُهَا

٥

[١٤٥]

/ — معنى يديرها، يقلبها مرة هاهنا، ومرة هاهنا —

و

وَإِنَّكَ فِي غَيْرِ الْأَخِلَاءِ عَالِمٌ بِأَنَّ الَّذِي يَخْفَى عَلَيْكَ ضَمِيرُهَا^(٢)
فَلَا تَكُ مَعْرُورًا بِمَسْحَةِ صَاحِبٍ مِنَ الْوَدِّ لَا تَدْرِي عِلَامَ مَصِيرُهَا^(٣)
وَمَا الْجُودُ عَنْ فَقْرِ الرَّجَالِ وَلَا الْغِنَى وَلَكِنَّهُ خَيْمُ الرَّجَالِ وَخَيْرُهَا
وَقَدْ تَغْدِرُ الدُّنْيَا فَيُضْحِي غَنِيهَا فَقِيرًا وَيَنْتَنِي بَعْدَ بُؤْسٍ فَقِيرُهَا^(٤)
وَكَأَنَّ تَرَى مِنْ حَالِ دُنْيَا تَغَيَّرَتْ وَحَالٍ صَفًا بَعْدَ اكْتِدَارٍ غَدِيرُهَا
وَمِنْ طَامِعٍ فِي حَاجَةِ بَنٍ يَنَالُهَا وَمِنْ يَأْسٍ مِنْهَا أَتَاهُ بَشِيرُهَا
وَمَنْ يَتَّبِعُ مَا يُعْجِبُ النَّفْسَ لَا يَزَلْ مُطِيعًا لَهَا فِي فِعْلٍ شَيْءٍ يَضِيرُهَا^(٥)
فَنَفْسَكَ أَكْرَمَ عَنْ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ فَمَالِكَ نَفْسٍ بَعْدَهَا تَسْتَعِيرُهَا

قال سيدنا أدام الله علوه : ولي في معنى قول ابن مُطَيْرٍ : « وقد تغدير الدنيا » ، والبيت ١٥

الذي بعده من جملة قصيدة :

وَكَيْفَ آانسُ بِالدُّنْيَا وَلَسْتُ أَرَى إِلَّا امْرَأًا قَدْ تَعَرَّيَ مِنْ عَوَارِيهَا^(٥)

(١) حساسة ابن الشجري : ١٦٣ . ونطورها : تقرئها . (٢) ف ، حاشية ت (من نسخة) « في عين الأخلاء » . (٣) المسحة : الأثر الظاهر ؛ ونقل صاحب اللسان عن شمر : أن العرب تقول : هذا رجل عليه مسحة جمال ، ومسحة عتي وكرم ؛ ولا يقال ذلك إلا في المدح . وفي ت : « مسحة » ، بكسر الميم . (٤) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « في كل شيء » . (٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « وكيف أنفس بالدنيا » .

نَصْبُو إِلَيْهَا بِأَمَالٍ مُخَيَّبَةٍ كَأَنَّا مَا نَرَى عُقْبَى أَمَانِهَا
فِي وَحْشَةِ الدَّارِ مِمَّنْ كَانَ يَسْكُنُهَا كُلُّ اعْتِبَارٍ لَمَنْ قَدْ ظَلَّ يَأْوِيهَا
لَا تَكْذِبُنَّ فَمَا قَلْبِي لَهَا وَطَنًا وَقَدْ رَأَيْتُ طُلُولًا مِنْ مَعَانِيهَا
وَأَخْبَرَنَا أَبُو عبيد الله المرزباني قَالَ أَنشدنا علي بن سليمان الْأَخْفَشُ قَالَ أَنشدنا أحمد بن
يحيى ثعلب للحسين بن مُطَيْر:

لقد كنتُ جَانِدًا قَبْلَ أَنْ يوقِدَ الهَوَى عَلَى كَيْدِي نَارًا بَطِيئًا خُمُودُهَا (١)
ولو تَرَكْتُ نَارُ الهَوَى لَتَضَرَّمتُ وَلَكِنَّ شَوْقًا كُلَّ يَوْمٍ يَزِيدُهَا (٢)
وقد كنتُ أَرْجُو أَنْ تَمُوتَ صَبَابَتِي إِذَا قَدُمْتُ أَحْزَانُهَا وَعُهُودُهَا (٣)
[١٤٥] / فَقَدْ جَعَلْتُ فِي حَبَّةِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا عِبَادَ الهَوَى تُؤَلِّي شَوْقِي يُعِيدُهَا (٤)
ط ١٠ بِمُرْتَجَّةِ الْأَرْدَافِ هَيْفِ خُصُورُهَا عَذَابِ ثَنَائِهَا عِجَافِ قِيُودُهَا (٥)

— يعني أنها عِجَافُ اللَّثَاتِ وَأَصُولُ الْأَسْنَانِ ، وهى قيودها . قال أبو العباس ثعلب :
« عِجَافٌ » ، بِالْخَفْضِ لَحْنٌ ، لَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ صِفَةِ النِّسَاءِ ، وَسَبِيلُهُ أَنْ يَكُونَ نَصَبًا ؛ لِأَنَّهُ
حَالُ مِنَ الثَّنَايَا (٦) . —

(١) أبيات منها فى أمالى الزجاجى : ١٢٤-١٢٥ ، وأمالى القالى ١ : ١٦٥ ، والجماسة بشرح
التبريزى ٣ : ٢٠٦-٢٠٧ وفى م : « توقد النوى » . (٢) حواشى الأصل ، ت ، ف : « أى لو
تركت نار الهوى ولم يزد فيها الشوق لكنت كافية ؛ فكيف والشوق كل يوم يزيدها ويذكيها ! » .
(٣) ت ، د ، ف : « أيامها وعهودها » . (٤) العهد : جمع عهدة ؛ وهو المطر الأول ، والولى ؛
المطر الثانى ، شبه أول الشوق بالعهد ، وما وليه بالولى ؛ فأول المطر إذا لحقه المطر الثانى كثر الريحم والحصب .
(٥) هيف : جمع هيفاء ؛ وهو الدقيقة الحصر ، الضامرة البطن وفى حاشية الأصل (من نسخة) : « عجافا » .
(٦) حواشى الأصل ، ت ، ف : « إنما قال ثعلب ذلك لأن الضمير فى « قيودها » لثنائها » . وفيها
أيضا : « هذا الذى ذكره أحمد بن يحيى عجب ، وباب جريان الصفة على غير من هوله واسع . وقوله :
« مرتجة الأرداف » ، وإن كان لا يَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ بِهِ جَمَاعَةُ النِّسَاءِ فَإِنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ بِهِ وَاحِدَةً ،
وَتَكُونُ « خُصُورُهَا » جَمْعًا بِمَا قَرَّبَ الْحَصْرَ ، وَيَكُونُ قَوْلُهُ : « هَيْفٌ » دُونَ « هَيْفَاءِ » مِنْ بَابِ قَوْلِهِ :
فِي لَيْلَةٍ خُرْسَ الدَّجَاجِ طَوِيلَةً يَبْغِدَادَ مَا كَادَتْ عَنْ الصُّبْحِ تَنْجَلِي
وإنما جمع الحرس ، لأنها فى الحقيقة صفة الدجاج ، لا الليل ، فكذلك هاهنا .

مُخَصَّرَةِ الْأَوْسَاطِ زَانَتْ عَقُودَهَا بِأَحْسَنَ مِمَّا زَيَّنَتْهَا عُقُودُهَا
وَصُفْرٌ تَرَاقِيهَا وَحُمْرٌ أَكْفُفُهَا وَسُودٌ نَوَاصِيهَا وَبَيْضٌ خُدُودُهَا

— وصف التراقي بالصفرة^(١) من الطيب، وحمرة أكفها من الخضاب —

يُمْنِنُنَا حَتَّى تَرِفَ قُلُوبُنَا رَفِيفَ الْخُزَامِيِّ بَاتَ طَلٌّ يَجُودُهَا^(٢)

أخذ قوله: «مُخَصَّرَةِ الْأَوْسَاطِ زَانَتْ...»، البيت من قول مالك بن أسماء بن خارجة: •

وَتَزِيدُنِي أَطِيبَ الطَّيِّبِ طَيِّبًا — إِنْ تَمَسَّيْهِ — أَيْنَ مِثْلِكَ أَيْنَا!
وَإِذَا الدُّرُّ زَانَ حُسْنُ وَجْهِهِ كَانَ لِلدُّرِّ حُسْنٌ وَجْهَكَ زَيْنَا

وروى أبو تمام الطائي في الحماسة بعض الأبيات الذي ذكرناها للحسين بن مطير .

وروى له أيضاً^(٣) — ويشبه أن يكون الجميع من قصيدة واحدة :

وَكُنْتُ أَذُودُ الْعَيْنَ أَنْ تَرِدَ الْبُكَاءُ فَقَدْ وَرَدَتْ مَا كُنْتُ عَنْهُ أَذُودُهَا
خَلِيلِي مَا بِالْعَيْشِ عَيْبٌ لَوْ أَنَّنا وَجَدْنَا لِأَيَّامِ الصَّبَا مَنْ يُعِيدُهَا
وروى أبو تمام أيضاً لغيره^(٤) ، وبعض الرواة يرونها لابن مطير :

وَلِي نَظَرَةٌ بَعْدَ الصَّدُودِ مِنَ الْجَوَى كَنَظَرَةِ تَكْلِي قَدْ أَصِيبَ وَلِيدُهَا
هَلْ اللَّهُ عَافٍ عَنِ ذُنُوبٍ تَسَلَّفَتْ! أَمْ اللَّهُ إِنْ لَمْ يَعْفُ عَنْهَا مُعِيدُهَا!^(٥)

وَأَنشَدَ أَبُو حَاشِمٍ لَابْنَ مُطَيْرٍ :

قَضَى اللَّهُ يَا أَسْمَاءُ أَنْ أَسْتُ بَارِحًا أَحِبُّكَ حَتَّى يُفَمِّضَ الْعَيْنَ مُفَمِّضُ^(٦)

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « قد ذكر في صفة التراقي أنها من الحلى » .

(٢) حاشية الأصل : « يقال : رف النبات إذا مطر فاهتر بالندى » .

(٣) الحماسة بشرح التبريزي ٣ : ٣٠٢-٣٠٣ . (٤) الذي في ديوان الحماسة بشرح التبريزي

أن الأبيات الأربعة منسوبة للحسين بن مطير . (٥) حاشية الأصل : « الضمير للمرأة التي يجوى لها » .

(٦) الزهرة : ٢٤ ؛ وفي حاشية الأصل : « أغمض وغمض [بالتضعيف] بمعنى واحد ، أى بغمض عينه

وليه بعد الموت » .

[١٤٦]

/ وَحُبُّكَ بَلَوَى غَيْرَ الْأَيَّامِ نِي / وَإِنْ كَانَ بَلَوَى أَنْفَى لَكَ مُبِغِضُ^(١)
 إِذَا أَنَارُضْتُ النَّفْسَ فِي حُبِّ غَيْرِهَا أَتَى حُبُّهَا مِنْ دُونِهَا يَتَمَرِّضُ
 فَيَا لَيْتَنِي أَقْرَضْتُ جَلْدًا^(٢) صَبَابَتِي وَأَقْرَضَنِي صَبْرًا عَلَى الشَّوْقِ مُقْرِضُ
 وَيُشَبِّهُ أَنْ يَكُونَ أَخَذَ قَوْلَهُ :

* إِذَا أَنَا رُضْتُ النَّفْسَ فِي حُبِّ غَيْرِهَا *

من قول رجل من أفرارة :

وَأَعْرِضْ حَتَّى يَحْسِبَ النَّاسُ أَنَّمَا بِي الْهَجْرُ لَا هَا لِلَّهِ مَا بِي لَكَ الْهَجْرُ
 وَلَكِنْ أَرَوْضُ النَّفْسَ أَنْظُرْ هَلْ لَهَا - إِذَا فَارَقْتُ يَوْمًا أَحِبَّتْهَا - صَبْرُ !
 أَوْ مِنْ قَوْلِ نَصِيبَ :

وَإِنِّي لَا أَسْتَحْيِي كَثِيرًا وَأَتَقَى عِيُونًا^(٣) وَأُسْتَبْقَى الْمَوَدَّةَ بِالْهَجْرِ
 وَأُنْذِرُ بِالْهَجْرِ أَنْفُسَ أَرَوْضُهَا لَتَعْلَمَ عِنْدَ الْهَجْرِ هَلْ لِي مِنْ صَبْرٍ !
 وَيُشَبِّهُ أَنْ يَكُونَ أَخَذَ قَوْلَهُ :

* فَيَا لَيْتَنِي أَقْرَضْتُ جَلْدًا صَبَابَتِي ... * الْبَيْت

من قول بعض العرب :

رَمَى قَلْبُهُ الْبَرْقُ الْمُلْأَى رَمِيَةً بِحَنْبِ الْحِمَى وَهَنَا فَكَادَ يَبِيمُ^(٤)
 فَهَلْ مِنْ مُعِيرٍ طَرَفَ عَيْنٍ خَلِيَّةٍ فَإِنْسَانُ عَيْنِ الْعَامِرِيِّ كَلِيمُ
 وَلِلْحَسَنِ فِي هَذَا الْمَعْنَى مَا رَوَاهُ الْمُبَرِّدُ :

وَلِي كَبْدٌ مَقْرُوحَةٌ مَنْ يَبِيعُنِي بِهَا كَبْدًا لَيْسَتْ بِذَاتِ قُرُوحٍ^(٥)

(١) حاشية ت (من نسخة) : « وَإِنْ كَانَ دَائِي » . (٢) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف ؛
 « غَيْرِي » - (٣) ف : « غَيُورًا » ، م : « عَدُوًّا » . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « الْبَرْقُ الْمُلْأَى رَمِيَةً » .
 (٥) حواشي الأصل ، ت ، ف : « رَوَاهُمَا غَيْرُ الْمُبَرِّدِ لِابْنِ الدِّمِينَةِ ، وَقَبْلَهُمَا :

أَلَا يَأْجِمِي وَادِي الْمِيَاهِ قَتَلْتَنِي أَبَا حَكَّ لِي قَبْلَ الْمَاتِ مُبِيعُ =

أَبَى النَّاسُ، وَيَبَّ النَّاسُ لَا يَشْتَرُونَهَا وَمَنْ يَشْتَرِي ذَا عُرَّةٍ بِصَحِيحٍ! ^(١)
وأخذ العباس بن الأحنف هذا المعنى فقال :
مَنْ ذَا يُعِيرُكَ عَيْنَهُ تَبْكِي بِهَا! أَرَأَيْتَ عَيْنًا لِلْبُكَاءِ تُعَارُ! ^(٢)

وأخبرنا المرزباني قال حدثنا أبو عبد الله الحكيمة قال حدثني يموت بن المزرع قال
حدثنا محمد بن حميد قال: كنا عند الأصمعي؛ فأنشدني رجل أبيات دِعْبِل :

أَيْنَ الشَّبَابُ وَأَيَّةَ سَلَكَا! لَا، أَيْنَ يُطْلَبُ ضَلَّ بَلْ هَلَكَا! ^(٣)

[١٤٦] لَا تَعْجَبِي يَا سَلَمُ مَنْ رَجُلٍ ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى

يَا سَلَمُ مَا بِالْمَشِيبِ مَنَقَصَةٌ لَا سَوْفَةً يُبْقَى وَلَا مَلِكًا

قَصَرَ الْغَوَايَةَ عَنْ هَوَى قَمَرٍ وَجَدَ السَّبِيلَ إِلَيْهِ مُشْتَرَكًا

يَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ نَوْمُكُمَا يَا صَاحِبِي إِذَا دَمِي سُفِكََا! ١٠

لَا تَأْخُذَا بِظِلَامَتِي أَحَدَا قَلْبِي وَطَرْفِي فِي دَمِي اشْتَرَكَا

قال: فاستحسنها كلُّ مَنْ فِي الْمَجْلِسِ، وَأَكْثَرُوا التَّعْجِبَ مِنْ قَوْلِهِ :

* ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى *

= وبعدها :

أَنْتِ مِنَ الشَّوْقِ الَّذِي فِي جَوَانِحِي أَنْتِ عَاضِيضٌ بِالسَّلَاحِ جَرِيحٌ
وفي معجم البلدان ٨ : ٣٧٧ أبيات خمسة نسبها إلى ابن الدمينية ، يتفق البيت الأول والرابع والخامس
مع هذه الأبيات ، والبيت الثاني والثالث هناك :

رَأَيْتُكَ غَضَّ النَّبْتِ مَرْتَبَطِ الثَّرَى يَحْوُطُكَ شَجَاعٌ عَلَيْكَ شَجِيحٌ

كَأَنَّ مَدُوفَ الرَّعْفَرَانِ بِجَنْبِهِ دَمٌ مِنْ ظِلْيَاءِ الْوَادِيَيْنِ ذَبِيحٌ

(١) حاشية ت (من نسخة) : « ذاعلة » . (٢) حاشية الأصل : قبله :

نَزَفَ الْبُكَاءُ دُمُوعَ عَيْنِكَ فَاسْتَعَرَّ عَيْنًا لِغَيْرِكَ دَمْعًا مِدْرَارُ

والبيتان في ديوانه : ٦٨ . (٣) الأبيات في العقد ٥ : ٣٧٥ والخزانة ٣ : ٤٨٧ .

فقال الأصمعيُّ : إنما أخذ قوله هذا من ابن مُطَيْرِ الأسدِي في قوله :

أَيْنَ أَهْلُ الْقِيَابِ بِالْدهْناءِ ! أَيْنَ جيراننا على الأَحْساءِ !^(١)
 جاورونا والأَرْضُ مُلبَّسةٌ نَوْرَ الأَقاحِي تُجادُ بالأنواءِ
 كلَّ يَوْمٍ عن أَفْحوانٍ جَدِيدٍ تَضَحَكُ الأَرْضُ مِنْ بُكاءِ السَّماءِ^(٢)

وقد أخذه مسلم صريح الغواني في قوله :

مُسْتَعْبِرٌ يَبْكِي على دِمْنَةٍ ورَأْسُهُ يَضْحَكُ فيه المَشِيبُ^(٣)

قال سيدنا أدام الله علوه : ولأبي الحِجْلاء نُصِيبُ الأصغر مثلُ هذا المعنى ، وهو قوله :

يَبْكِي الغَمَامُ بهِ فأصْبَحَ رَوْضُهُ جَدْلانَ يَضْحَكُ بالجَمِيمِ وَيُزْهِرُ^(٤)
 ولابن المعتز مثله :

أَلَحَّتْ عَلَيْهِ كُلُّ طَخِيَاءٍ دِيمَةٍ إِذَا ما بَكَتْ أَجْفانُها ضَحِكُ الزَّهْرِ^(٥)

ولابن دريد مثله :

تَبَسَّمَ المِزْنُ وانهَلَتْ مَدَامِعُهُ فأضْحَكُ الرِّوْضُ جَفْنُ الضَّاحِكِ البَاكِ^(٦)
 وغالَزَ الشَّمْسَ نَوْرٌ ظَلَّ يَلْحَقُها^(٧) بعين مُسْتَعْبِرٍ بالدَّمعِ ضَحَّاكٍ

وروى عن أبي العباس المبرد أنه قال : أخذ ابن مُطَيْرِ قوله :

* تَضَحَكُ الأَرْضُ مِنْ بَكاءِ السَّماءِ *

١٥

[١٤٧] / من قول دُكَيْنِ الراجز :

جُنَّ النَّبَاتُ في ذُرَها وزَكَ^(٨) وَضَحَكَ المِزْنُ بهِ حَتَّى بَكَى

(١) الخزانة ٢ : ٤٨٧ ، عن الفرر . وفي حاشية الأصل : « الأحساء : جمع حسي ، وهو الموضع

الذي استنقع فيه الماء » . والدهناء : أرض من منازل تميم بنجد . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) :

« بأفْحوان » . (٣) ديوانه : ٣٦٧ ، الوساطة : ٤٤ (٤) : « يَبْكِي الغَمَامُ » . الجَمِيم : السكلا الكثير ،

(٥) ديوانه : ١ : ٣٣ (٦) ديوانه : ٩٨ ، والخزانة ٢ : ٤٨٧ — ٤٨٨ وكلاما عن الفرر . وفي

حاشية ت (من نسخة) « دم الضاحك الباكي » . (٧) ت : « يلحظها » (٨) الخزانة ٢ : ٤٨٨ :

عن الفرر .

مَجْلِسُ آخِر

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ، وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران : ٧] .

الجواب ، قلنا : ذكر في هذه الآية وجهان مطابقان للحق :

أحدهما أن يكون الراسخون في العلم معطوفين على اسم الله تعالى ؛ فكأنه قال : وما يعلم ٥ تأويله إلا الله وإلا الراسخون في العلم ، وإنهم مع علمهم به ﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ ؛ فوقع قوله : ﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ في موقع الحال ؛ والمعنى أنهم يعلمونه قائلين : ﴿ آمَنَّا بِهِ ﴾ ، كلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وهذا غاية المدح لهم ؛ لأنهم إذا علموا ذلك بقلوبهم ، وأظهروا التصديق به على ألسنتهم فقد تكاملت مدحتهم ووصفهم بأداء الواجب عليهم .

والحجة - لمن ذهب إلى ما بيناه ، والردُّ على من استبعد عطفه على التأويل وتقديره أن يكون ١٠ قوله : ﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ على هذا التأويل لا ابتداء له ، - قوله : ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى ﴾ ؛ إلى قوله : ﴿ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ ؛ [الحشر : ٧] ، فذكر جملة ، ثم تلاها بالتفصيل ، وتسمية مَنْ يستحق هذا الفاء فقال : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ ، إلى قوله : ﴿ الصَّادِقُونَ ﴾ ؛ [الحشر : ٨] . وقال في الذين تبوءوا الدار والإيمان - ١٥ وهم الأنصار : ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا ، وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾ ؛ [الحشر : ٩] . وقال فيمن جاء بعدهم : ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا

وَلَاخُورَانَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴿١٠﴾ ؛ [الحشر : ١٠] ، فهذه الآيات تدلّ على أنه لا يُفكرُ في آية « الراسخين في العلم » أن يكون قوله : ﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ حالاً لهم ؛ مع العلم بتأويل المتشابه ؛ ولو أشكل شيء من ذلك لما أشكل قوله : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ﴾ في أنه موافق لقوله : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ وأن الصورتين واحدة .

[١٤٧] ومما يُستشهد به / على ذلك من الشعر قول يزيد بن (١) مفرّغ في عبدٍ له كان يُسمّى
ظ
بُرْدًا بآءه ثم ندم عليه :

وَشَرِيتُ بُرْدًا لِيَتَنَى مِنْ بَعْدِ بُرْدٍ كُنْتُ هَامَةً (٢)
هَامَةً تَدْعُو صَدَى بَيْنَ الْمُشَقَرِّ فَالِيَمَامَةِ (٣)
الرَّيْحُ تَبْكِي شَجْوَهُ وَالْبَرْقُ يَلْمَعُ فِي الْغَمَامَةِ (٤)

١٠

فمطف البرق على الريح ، ثم أتبعه بقوله : « يلمع » ؛ كأنه قال : والبرق أيضاً يبيكه لامعاف غمامه ؛ أى في حال لمعانه ؛ ولولم يكن البرق معطوفاً على الريح في البكاء لم يكن للكلام معنى ولا فائدة .

ويمكن أيضاً على هذا الوجه مع عطف « الراسخين » على ما تقدّم ، وإثبات العلم بالمتشابه لهم أن يكون قوله : ﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا ﴾ استثناءً بجملة ، واستغنى فيه عن حرف العطف ؛ كما استغنى في قوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَذِبُهُمْ ﴾ ؛ [الكهف : ٢٢] ، ونحو ذلك مما للجملة الثانية فيه التباسٌ بالجملة الأولى ، فيُستغنى به عن حرف العطف ، ولو عطف بحرف العطف كان حسناً ، يُنزَلُ المتلبّس منزلةً غير المتلبّس .

والوجه الثاني في الآية أن يكون قوله : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ مستأنفاً غير معطوف

(١) هو يزيد بن زريعة بن مفرغ ؛ وخبر بيعه برداً ، مع الأبيات في الأغاني ١٧ : ٥٣-٥٥ .
(٢) شريت : بعث ، والهامة والصدى ، كلاهما كناية عما تزعم العرب أنه يطير من رأس الميت .
(٣) المشقر : حصن بين البحرين ونجران . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « في غمامة » .

على ماتقدم، ثم أخبر عنهم بأنهم: ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾، ويكون المراد بالتأويل على هذا الجواب التأويل، لأنه قد يسمى تأويلاً، قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾، [الأعراف: ٥٣] والمراد بذلك لا محالة التأويل، والتأويل الذي لا يعلمه العلماء؛ وإن كان الله عز وجل عالماً به، كنفخ وقت قيام الساعة، ومقادير الثواب والعقاب، وصفة الحساب، وتعيين الصغار؛ إلى غير ذلك؛ فكأنه قال: وما يعلم تأويل جميعه. على المعنى الذى ذكرناه إلا الله؛ ٥ والعلماء يقولون آمناً به.

وقد اختار أبو علي الجبائي هذا الوجه، وقواه، وضعف الأول بأن قال: قول الراسخين في العلم ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ دلالة على استسلامهم؛ لأنهم لا يعرفون تأويل التشابه، كما يعرفون تأويل المحكم، ولأن ما ذكرناه من وقت القيامة، ومن التمييز بين الصغار والكبار هو من تأويل القرآن؛ إذا كان داخلاً في خبر الله؛ والراسخون في العلم / لا يملكون [١٤٨] ذلك.

وليس الذى ذكره بشيء؛ لأنه لا يمتنع أن يقول العلماء مع علمهم بالتشابه: ﴿آمَنَّا بِهِ﴾ على الوجه الذى قدمنا ذكره؛ فكيف يُظَنُّ أنهم لا يقولون ذلك إلا مع فقد العلم به! وما المنكر من أن يُظهر الإنسان بلسانه الإيمان بما يعلمه ويتحققه! فأما قوله: «ولأن ما ذكرناه من تأويل القرآن» فذلك إنما يكون تأويلاً للقرآن إذا حُمِلَتْ هذه اللفظة على التأويل، لا على الفائدة والمعنى. ١٥ وأما إذا حُمِلَتْ على أنه: وما يعلم معنى التشابه وفائدته إلا الله، فلا بد من دخول العلماء فيه. وليس يمكنه أن يقول: إن حمل التأويل على التأويل أظهر من حمله على المعنى والفائدة؛ لأن الأمر بالعكس من ذلك؛ بل حمله على المعنى أظهر وأكثر في الاستعمال، وأشبه بالحقيقة؛ على أنه لو قيل: إن الجواب الأول أقوى من الثانى لكان أولى من قوله من قبل: إنه لو كان المراد بالتأويل التأويل لا الفائدة والمعنى لم يكن لتخصيص التشابه بذلك دون المحكم ٢٠ معنى؛ لأن في متأويل المحكم؛ كإخباره عن الثواب والعقاب والحساب؛ مما لا شبهة في كونه

محكما ما لا يعرف تفصيله وكنهه إلا الله تعالى ؛ فأى معنى لتخصيص التشابه بذلك والكلام يقتضى توجهه نحو التشابه ! ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ ! فخص التشابه بالذكر .

والأولى أيضا أن يكون المراد بلفظة ﴿ تَأْوِيلِهِ ﴾ الثانية هو المراد بلفظة ﴿ تَأْوِيلِهِ ﴾ الأولى ، وقد علمنا أن الذين في قلوبهم زَيْغٌ إنما اتَّبَعُوا تَأْوِيلَهُ على خلاف معناه ولم يطلبوا تأويله الذى هو متأوله ؛ فالوجه الأول أقوى وأرجح .

ويمكن فى الآية وجه ثالث لم نجدهم ذكره ، على أن يكون قوله : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ مستأنفاً غير معطوف ، ويكون المعنى : وما يعلم تأويل التشابه بعينه وعلى سبيل التفصيل إلا الله ؛ وهذا صحيح لأن أكثر التشابه قد يحتمل الوجوه الكثيرة المطابقة للحق ، ١٠ الموافقة لأدلة العقول ؛ فيذكر المتأول جميعها ، ولا يقطع على مراد الله منها بعينه ، لأن الذى يلزم مثل ذلك أن يعلم فى الجملة أنه لم يُرد من المعنى ما يخالف الأدلة ؛ وأنه قد أراد بعض الوجوه المذكورة المتساوية فى الجواز ، والموافقة للحق . وليس من تكليفنا أن نعلم المراد / بعينه ؛ وهذا مثل الضلال والهدى اللذين بُنِينَ احتمالهما لوجوه كثيرة ؛ منها ما يخالف الحق فيقطع على أنه تعالى لم يردّه ، ومنها وجوه تطابق الحق ، فيعلم فى الجملة أنه قد أراد أحدها ، ولا يعلم المراد منها بعينه وغير هذا من الآى التشابهية ؛ فإن أكثرها يحتمل وجوها ، والقليل منها يختص بوجه واحد صحيح لا يحتمل سواه ؛ ويكون قوله تعالى من بعد : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ ، أى صدقنا بما نعلمه مفصلاً ومجماً من الحكم والتشابه ؛ وأن الكل من عند ربنا ؛ وهذا وجه واضح .

٢٠ أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانى قال أخبرنا محمد بن أبى الأزهر قال أنشدنا محمد بن يزيد لأبى حية^(١) النميرى - وهى أبيات مختارة :

(١) هو أبو حية الهيثم بن الربيع بن زرارة ، ينتهى نسبه إلى مضر بن نزار . من مخضرمى الدوليين ، =

وخبَرَكَ الواشونَ ألاَّ أُحِبَّكُمْ بلى وستورِ الله^(١) ذاتِ المحارِمِ^(٢)
أصدُّ ، وما الصدُّ الذى تعرِّفينهُ عزاءً بنا إلاَّ اجتراعُ العلاقمِ^(٣)
حياءٌ وبُفيا أنْ تشيعَ نعمةُ بنا وبكمْ ؛ أفٍ لأهلِ النَّمائمِ^(٤)
وإنَّ دَمًا لوْ تعلمينَ جَنيتِهِ على الحىِّ ، جاني مثله غيرُ سالمِ^(٥)
أما إنَّه لو كانَ غيرُكَ أرَقَلْتُ صِعَادُ القَنَا بالراءِفاتِ اللهازمِ^(٦)
ولكنه والله ما طَلَّ مُسلمًا كبيضِ الثنايا واضِحَاتِ الملاغِمِ^(٧)

— قال ثعلب: الملاغم، ماحول الفم، وقال المبرد: «واضحات الملاغم»، يريد العوارض،

وقوله: «ما طلَّ مسلمًا»، أى أبطل دمه —

إِذَا هُنَّ سَاقِطُنَ الْحَدِيثِ حَسْبَتُهُ^(٧) سُقُوطَ حَصَى الْمَرْجَانِ مِنْ سِلَاحِ نَازِمِ

— ويروى: «ساقطن الأحاديث للفتى». ويروى أيضا: «ساقطن الحديث كأنه» — ١٠

رَمَيْنَ فَأَقْصَدَنَ الْقُلُوبَ فَلَا تَرَى دَمًا مَائِرًا إِلَّا جَوَى فِي الْحَيَازِمِ^(٨)

من ساكنى البصرة، وكان شاعرا راجزا مقصدا، (وانظر ترجمته وأخباره فى الأغاني ١٥ : ٦١-٦٢
والشعر والشعراء ٧٤٩-٧٥٠ ، والخزانة ٤ : ٢٨٣-٢٨٥) .

(١) من نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « ستور البيت » .

(٢) السكامل — بشرح المرصفي ١ : ٢٣١-٢٣٥ ، وأمالى القالى ٢ : ٢٨٠ ، ومختارات ابن

الشجرى ١٥٣ . (٣) اجتراع : مصدر اجتزع الماء إذا ابتلعه . والملاقم : واحدها الملقم ، جمع الملقمة ،
وهى القطعة من كل شئ . مر . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « لحدى التائم » .

(٥) حاشية ت (من نسخة) : « غير نادم » . (٦) فى حاشيتى الأصل ، ف : « الإرقال :

ضرب من السير السريع ؛ وهو هنا استمارة ، والصعاد : جمع صعدة ، والرافعات : الأسنة التى يرعفن ،
واللهازم : جمع لهزم ؛ وهن القواطع » . (٧) ت ، حاشية الأصل (من نسخة) : « كأنه » ؛
وهى رواية السكامل ، وفى حاشية ت (من نسخة) : « ساقطن الأحاديث بيننا » .

(٨) أقصدن القلوب : رمينها ؛ من قولهم ؛ قصدت الرجل إذا طعنته أو رميته ؛ فلم تخطى . مقاتله .
والدم المائر : السائل . والحيازم : الحيازم ؛ وهى ضلع الفؤاد وما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر .
وفى حاشية الأصل (من نسخة) : « فأصمن القلوب » .

قال سيدنا أدام الله تمكينه : ومن مُستحسن ما مضى في هذه القصيدة قوله :

كأن لم أبرح بالغيور وأقتن / بتفتير أبصار الصّاح السّقام^(١)
 / ولم أله بالحدث الألف الذي له / غداً لم يُجر من فار اللّطام^(٢)
 إذا اللّهُ يطبيني وإذا أستميله / بمحلّوك الفودين وحف المقاد^(٣)
 وإذا أنا مُنقاد لكلّ مُقوّد / إلى اللّهُ حلاف البطالات آثم

[١٤٩]

— وروى ابن حبيب : « مُقوّد ». ومعنى « حلاف البطالات »، أى حلاف فى البطالات.

مُهين المطايا مُتاف غير أننى / على هلك ما أتلفته غير ناد^(٤)
 أرى خير يومى الخسيس وإن غلا / بى اللّوم لم أحفل ملامة لآثم

— معنى « خير يومى الخسيس »، أى أحب يومى إلى الذى هو أخس عند أهل

١٠ الرأى والعقل .

وأنشد أبو إسحاق إبراهيم بن سيف بن الزيّادى لأبى حية - واسمه هيثم بن الربيع :

ترحل بالشباب الشيبُ عنّا / فليت الشيب كان به الرّحيلُ
 وقد كان الشبابُ لنا خليلاً / فقد قضى ما ربه الخليلُ
 كعمّر أبى، الشبابُ لقد تولى / حميدا ما يُراد به بديلُ

(١) حواشى الأصل ، ت ، ف : « أى كأن لم أعذب بعذاب شديد ؛ ويعنى بالغيور زوجها أو

أخاها . ومعنى أقتل أقتل . والأعراف فى الحب أن يقال : اقتله الحب ؛ قال ذو الرمة :

إذا ما امرؤ حاولن أن يقتلنه / بلا إحنة بين النفوس ولا زحل

(٢) الحدث : المحادث . والألف : عظيم انفعذ ؛ ويقال : امرأة لفاء ؛ إذا كانت ضخمة الفخذين

مكتنزة بالاحم . والفار : نافجة المسك . واللطام : جمع لطيمة ؛ وهى الغائلة التى يكون فيها المسك .

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « إذا أستميله » . طباه : دعاه . والمحلّوك : الحالك الأسود .

والفودان : مثنى فود ؛ وهو معظم شعر الرأس مما يلى الأذن وناحية الرأس . والوحف : الشعر الكثير

الأسود . والمقاد : مقدمات الرأس . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « على ردما أتلفته » ، أى على

اكتساب ؛ والتقدير : غير أنى غير نادم ؛ مع أنى قادر على رد ما أتلفت واكتساب مثله .

إِذِ الْأَيَّامُ مُقْبِلَةٌ عَلَيْنَا وَظِلُّ أَرَاكِهَ الدُّنْيَا ظَلِيلُ

وأنشد المبرّد ، قال أنشدنا أبو عثمان المازني لأبي حية :

زَمَانَ الصَّبَا لَيْتَ أَيَّامَنَا رَجَعْنَا لَنَا الصَّالِحَاتِ الْقِصَارَا ^(١)

زَمَانُ عَلَى غُرَابٍ غُدَافُ فَطِيرَهُ الدَّهْرُ عَنِ فِطَارَا

فَلَا يُبْعِدُ اللَّهُ ذَاكَ الْغُرَابِ وَإِنْ هُوَ لَمْ يُبْقِ إِلَّا أَدَّ كَارَا

كَأَنَّ الشَّبَابَ وَلَذَاتِهِ وَرَيْقَ الصَّبَا كَانَ يَوْمًا مُعَارَا ^(٢)

— رَيْقُ الصَّبَا وَرَيْقُهُ وَرَوْنَقُهُ : أَوَّلُهُ —

وَهَازِئَةٍ أَنْ رَأَتْ لِمَتِّي تَلَفَعَ شَيْبٌ بِهَا فَاسْتَدَارَا ^(٣)

وَقَلَّدَنِي مِنْهُ بَعْدَ الْخِطَامِ عِذَارَا فَمَا اسْتَطِيعُ اعْتِدَارَا ^(٤)

/ أَجَارَتْنَا إِنْ رَيْبَ الزَّمَانِ قَبْلِي نَالَ الرَّجَالِ الْخِيَارَا ^(٥)

فَإِمَّا تَرَى لِمَتِّي هَكَذَا فَأَسْرَعْتُ فِيهَا لِشَيْبِي الْنِفَارَا ^(٦)

فَقَدْ أُرْتَدَى وَخَفَةَ طَلَّةٌ وَقَدْ أُبْرِزُ الْفَتَيَاتِ الْخِفَارَا

أما قوله : « عَلَى غُرَابٍ غُدَافِ » فأراد به الشَّبَابَ والشَّعْرَ الْأَسْوَدَ ، وَيُشَبِّهُ أَنْ يَكُونَ

مَأْخُوذًا مِنْ قَوْلِ الْأَعْشَى :

وَمَا طَلَابُكَ شَيْئًا لَسْتُ تُدْرِكُهُ إِنْ كَانَ عَنْكَ غُرَابُ الْجَهْلِ قَدَوْعَمَا! ^(٧)

وَأَبَى حِيَّةٌ مِنْ قَصِيدَةٍ أَوْلَهَا :

* أَلَا يَا اسْلَمَى أَطْلَالَ خَنْسَاءَ وَانْعَمَى ^(٨) *

(١) حاشية ت : « يحتمل أن تكون «الصالحات» مفعول «رجعن» ، ويحتمل أن يكون نصبا على

اللدح . (٢) ت ، حاشية الأصل (من نسخة) : « ثوبا معاراً . (٣) من نسخة بحواشي الأصل ،

ت ، ف : « أهازئة » . وتلفع الشيب به ، أى شمله . (٤) حاشية ت : « جعل ظهور الشيب في

شاربه وعنفقه خطاما ، وشيب ما على لحيه من الشعر عذاراً ؛ وهذا من حسن التشبيه » .

(٥) حاشية ت (من نسخة) : « غال الرجال » . (٦) حاشية الأصل (من نسخة) : « منها

لشيبى » . ومن نسخة أخرى : « فأسرعت منى » . وفي حاشية ت (من نسخة) : « لشيب نفارا » .

(٧) ديوانه : ٧٣ . (٨) أبيات منها في زهر الآداب : ١٩٠ (طبعة الحلبي) والحامسة — بشرح

التبريزي ٣ : ٣٠٨ — ٣١٠ .

وَحَنَسَاءُ مِخْمَاصُ الْوِشَاحِينَ مَشِيهَا إِلَى الرَّوحِ أَفْنَانُ خُطَا الْمُتَجَشَّمِ (١)
 أَلِمَّا بِسَلْمَى قَبْلَ أَنْ تَرْمِيَ النَّوَى بِنَافِذَةٍ نَبْضَ الْفُؤَادِ الْمُتَمِّمِ
 يَقِفُ عَاشِقًا لَمْ يَبْقَ مِنْ رُوحِ نَفْسِهِ وَلَا عَقْلِهِ الْمَسْلُوبِ غَيْرُ التَّوَهُّمِ
 فَقُلْنَا لَهَا سِرًّا: فَدَيْنَاكَ! لَا يَرُحُ صَحِيحًا ، فَإِنْ لَمْ تَقْتُلِيهِ فَالْمَمِ (٢)
 فَأَلَقَتْ قِنَاعًا دُونَهُ الشَّمْسُ وَانْقَتَ بِأَحْسَنِ مَوْصُولَيْنِ: كَفٍّ وَمِعْصَمِ

وهذا البيت الأخير مأخوذ من قول النابغة :

سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تُرَدْ إِسْقَاطُهُ فَتَنَّاوَلَتْهُ وَانْقَتْنَا بِالْيَدِ (٣)

واقوله : « وَقَانْ لَهَا سِرًّا فَدَيْنَاكَ لَا يَرُح » خبره ، وهو ما أخبرنا به أبو الحسن
 علي بن محمد الكاتب قال حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني الباقراني قال : اتصل
 ١٥ بعبيد الله بن سليمان بن وهب أمرُ علي بن العباس الرومي وكثرة مجالسته لأبي الحسين
 القاسم ابنه ، وسمع شيئاً من أهاجيه ، فقال لأبي الحسين : قد أحببتُ أن أرى ابنَ روميِّك
 هذا ؛ فدخل يوماً عبيد الله إلى أبي الحسين وابن الرومي عنده ، فاستنشدته من شعره
 فأنشدته ، وخاطبه ، فرآه مضطربَ العقل جاهلاً ، فقال لأبي الحسين - بينه
 وبينه - : إنَّ لسان هذا أطول من عقله ، وَمَنْ هذه صورته لا تُؤمِّن عقاربُه عند أول
 ١٥ عَتَبٍ ، ولا يفكر في عاقبة ، فأخبره عنك ، فقال : أخاف حينئذ أن يُعلن ما يكتمه في
 [١٤٣] دولتنا ، ويُذيمه في تمكّنا ، فقال : يا بني / لم أَرِدْ بإخراجك له طرده ، فاستعمل فيه بيت
 أبي حيّه النميري :

فَقُلْنَا: لَهَا سِرًّا فَدَيْنَاكَ! لَا يَرُحُ صَحِيحًا ، فَإِنْ لَمْ تَقْتُلِيهِ فَالْمَمِ

(١) تخماس الوشاحين ، كناية عن أنها هيفاء . والوشاح : أديم عريض ترصمه المرأة بالجواهر وتشدّه
 على عاتقها . وشيها إلى الروح ؛ أي حين تخرج من خباياها تطلب الروح . وأفنان : جمع فن ؛ أي أنواع ؛
 وفن : « إقتار خط المتجشم » (٢) ألمى : اشترى في مبادى قتله . (٣) ديوانه : ٣٠ ؛ والنصيف :
 الحمار ، أو نصفه .

فحدث القاسم بن فراس بما جرى ، وكان أعدى الناس لابن الرومي ؛ وقد هجاه بأهـاج^(١)
قبيحة ، فقال له الوزير أعزه الله : أشار بأن يُغتال حتى يُستراح منه وأنا أـكفيـك ذلك
قال : فسمه في الحشـكـنانج ، فمات .

قال الباقراني : والناس يقولون ما قتله ابن فراس ، وإنما قتله عبيد الله^(٢) .

وذكر محمد بن يزيد المبرّد قال : ”مما يُفضّل^(٣) لتخلّصه من التكفّ ، وسلامته من الزّيد *
وبعده من الاستعانة قول أبي حيّة :

رَمَتْنِي - وَسِتْرُ اللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا - عَشِيَّةَ آرَامِ الْكِناسِ رَمِيمٌ^(٣)
أَلَا رَبَّ يَوْمٍ لَوْ رَمَتْنِي رَمِيَّتْهَا ، وَلَكِنْ عَهْدِي بِالنِّضَالِ قَدِيمٌ^(٤)

قال سيدنا أدام الله علوه : وقد روى هذان البيتان لُنصيب في غير رواية المبرّد . قال
المبرّد يقول : ”رمتني وأصابتنني بمحاسنها ، ولو كنت شاباً لرميت كما رُميتُ ، وفُتنتُ كما
فُتنتُ ؛ ولكن عهدي قد تطاول بالشباب ، وهذا كلام واضح ؛ ” وأما الاستعانة فهي أن
يُدخل في الكلام ما لا حاجة بالمستمع إليه ليُصحّح نظماً أو وزناً^(٥) .

ومما يختار من قول أبي حيّة أيضا :

(١) حاشية الأصل : * يقال بينهم أهجوة وأهجية ، ، والجمع الأهاجي ، وقد يخفف كالأناني .
(٢) في ت : * قال ابن الرومي لما رجم ، وقد دب السم في أعضائه :

أشرب الماء إذا ما التَّهَبْتُ نَارُ أَحشائي لِإطفاء اللهبِ
فأراه زائدا في حُرقتي فكأن الماء للنَّارِ حطبٌ

(٣) السكامل - بشرح المرصفي ١ : ١٢٩-١٣٠ ، وهما أيضا في الحماسة - بشرح النبريزي ٣ :
٢٦٩-٢٧٠ وآرام : جمع إرم ، مثل غنب ؛ وهي الحجارة تنصب علما في المغازة يهتدى بها . رميم : اسم
امرأة . وستر الله : الإسلام ، وفيل الشيب ؛ وقيل ما حرم الله عليهما . (٤) ومن زبادات السكامل
بعد هذا البيت :

يرى الناسُ أني قد سَكَوْتُ وإنني لرميُّ أحناء الضلوع سَقِيمٌ

(٥) بقية عبارة المبرّد : * . ، إن كان في شعر ، أو ليتذكر به ما بهمه إن كان في كلام مثور .

أَلَا حَيٍّ مِنْ أَجْلِ الْحَبِيبِ الْمَغَانِيَا لَبَسْنَ الْبَلَى مِمَّا لَبَسْنَ اللَّيَالِيَا^(١)
إِذَا مَا تَقَاضَى الْمَرْءُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ تَقَاضَاهُ شَيْءٌ لَا يَمَلُّ التَّقَاضِيَا

ويقال: إن أحسن ما وُصفَ به المسواكُ قول أبي حية :

لَقَدْ طَلَّمَا عَنَيْتُ رَاحِلَةَ الصَّبَا وَعَلَلْتُ شَيْطَانَ الْغَوَى الْمُشَوِّقِ^(٢)
وَدَاوَيْتُ قَرْحَ الْقَلْبِ مِنْهُنَّ بِالْمُنَى وَبِالْحُظِّ لَوْ يَبْذُلْنَهُ - الْمُتَسَرِّقِ
وَسَاقَيْتَنِي كَأْسَ الْهَوَى وَسَقَيْتُهَا رِقَاقَ الثَّنَا عَذْبَةً التَّرِيقِ^(٣)
وَحُمَصَانَةً تَفْتَرُّ عَنْ مَتَنَضِّدٍ كَنْوَرَ الْأَقَاحِي طَيِّبِ الْمُتَدَوِّقِ

٥

/- و يروى: «عن متنسق»، يعنى تُفَرَّأ على نسق واحدٍ لا اختلاف فيه - [١٥٠] ط

إِذَا مَضَعْتُ بَعْدَ امْتِنَاعٍ مِنَ الضُّحَى أَنَا يَبَّ مِنْ عُودِ الْأَرَاكِ الْمُخْلَقِ
- الامتناع: الارتفاع ، يقال متع النهار وأمتع إذا طال - والمخلق: الذى علق به الخلق والطيب من يدها؛ وقال بعضهم : عنى بالمخلق الملمس - ١٥

سَقَتْ شَمْتَ الْمِسْوَاكِ مَاءُ غَمَامَةٍ فَضِيضًا بِخَرْطُومِ الْمُدَامِ الرُّوْقِ^(٤)
- والفضيض : الذى حينَ سَالَ من الغمامة، أى كما فُضَّ^(٥) ، والخَرْطُوم : سُلَافُ الْحَمْرِ ،

وهو أول ما يخرج من غير عَصْرِ ولا دَوْسٍ -

وإنْ ذُقْتَ فَاهَا بَعْدَ مَا سَقَطَ النَّدى بَعْطْفَى بِخَنْدَاةٍ رَدَاحِ الْمُنْطَقِ ١٥

- الْبَخَنْدَاةُ : الضَّخْمَةُ . وَالرَّدَاحُ : الْعَظِيمَةُ الْأُرْدَاةُ .

شَمِمْتُ الْعَرَارَ الطَّلَّ غِبَّ هَمِيمَةٍ وَنَوَّرَ الْخُزَامَى فِي النَّدى الْمُتَرَقِّقِ^(٦)

(١) السكامل - بشرح المرفص ٣ : ٢٥ .

(٢) زهر الآداب : ٢٢٧ (طبعة الحاي) ، شرح المختار من شعر بشار : ٢٣٨ .

(٣) حاشية ت : « راف السراب يريق ريقا ، وتريق ، إذا لمع ؛ كأنه قال : عذبة موضع التريق . ويجوز أن يكون مشتقا من الريق الذى هو الرضاب ؛ أى عذبة مترشف الريق » .

(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « بخروطوم المدام الروق » . (٥) كما فُضَّ ؛ أى كما نفرق

من السحابة ؛ ولم تصل إليه غبرة . (٦) حاشية الأصل (من نسخة) : « ونور الأفاحى » .

— العرّار: بهار البرّ، والطلّ: الغضّ الطرىّ، والهميمة: مَطَرٌ لَيِّنٌ^(١) :

وأخبرنا المرزبانيّ قال حدثني عليّ بن هارون بن عليّ قال: سمعت أبي — وقد ذكر قول

أبي حية :

نَظَرْتُ كَأَنِّي مِنْ وَرَاءِ زُجَاجَةٍ إِلَى الدَّارِ مِنْ فَرَطِ الصَّبَابَةِ أَنْظُرُ^(٢)

بَعَيْنَيْنِ طَوْرًا تَغْرَقَانِ مِنَ الْبُكَاءِ فَأَعْشَى، وَطَوْرًا تُحْسِرَانِ فَأَبْصِرُ^(٣)

فقال: لو اعترَضَنِي مُمَلِّكٌ تَجِبُ طَاعَتَهُ، وَيُلْزِمُ الْإِنْقِيَادَ لِأَمْرِهِ فَقَالَ: أَيُّ شَعْرِ أَجُودُ

وَأَوَّلِي بَأَن يُسْتَحْسَنَ؟ وَلَمْ يَفْسَحْ لِي فِي أَنْ أُمِيزَ الْمَدْحَ مِنَ الْفَخْرِ، وَالْهِجَاءَ مِنَ التَّشْيِيبِ،

وَسَائِرِ أَصْنَافِ الشَّعْرِ وَمَذَاهِبِ الشُّعْرَاءِ فِيهِ لَمَّا عَدَلْتُ عَنْ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ .

ويقال إن أبا أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر أجاز بيتي أبي حية هذين بقوله :

فَلَا مُقْلَتِي مِنْ غَامِرِ الْمَاءِ تَنْجِلِي وَلَا دَمْعَتِي مِنْ مُكْمَدِ الْوَجْدِ تَقْطُرُ^(٤) ١٠

ولأبي حية :

مِنَ الْمُبْكِيَّاتِ الْجَلْدَ حَتَّى كَأَنَّمَا تَسُحُّ بِعَيْنَيْهِ الدُّمُوعَ شَعِيبُ

— الشَّعِيبُ: مَزَادَةٌ مِنْ أَدِيمَيْنِ، يُشْعَبُ^(٥) أَحَدُهُمَا بِالْآخِرِ —

(١) حاشية الأصل : « في نسخة س : أخبرنا البارع أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الوهاب

البغدادي رحمه الله قال : أخبرني الرئيس الحس بن علي بن محمد بن باري الواسطي رحمه الله قال : كذا عند

الملك العزيز في مجلس أنسه ، وأنشد منشد بيتي أبي حية : « إذا مضت . . . » ، ولقد يلبيه ، فسألني الملك

العزيز أن أجيزهما فقلت :

هَنِيئًا عَلَى رُغْمِي لِعُودِ أَرَاكَ تَسُوكُ بِهِ الدَّلْفَاءَ مَبْسَمَهَا الْعَذْبَا

لَكِنَّ شُفِيتُ مِنْهُ لَقَدْ زَانَ تَغْرَاهَا أَرَاكَ كَأَيِّسًا، وَأَنْتَنِي مَنَدَلًا رَطْبَا

(٢) أمالي الغالي ١: ٢٠٨ بلاعزو. وفي: « من ماء الصباية » (٣) حاشية لأصل (من نسخة): « فعياى

طوراً » . وتحسران ، أى تنكشمان وتنكشفان . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « من مكمد الشوق تقطر » ،

وفي حاشيتي الأصل ، ف : « في الأصل : بين البيت والبينين بعيد » . (٥) بشع: يخط . ويسح: يصب

[١٥١]

لَيَالِي أَهْلَانَا جَمِيعًا وَحَوَّلْنَا^(١) سَوَائِمُ مِنْهَا رَاحٌ وَغَرِبُ
وَإِذْ يَتَجَنَّبِينَ الذُّنُوبَ وَمَالَنَا إِلَيْنَ^(٢) إِلَّا^(٣) وَدَّهْنٌ ذُنُوبُ^(٤)

وَلَأَبَى حَيَّة :

أَصْدُ عَنْ الْبَيْتِ الْحَبِيبِ وَإِنِّي أَزُورُ بُيُوتًا غَيْرَهُ وَلَا أَهْلَهُ
وَقَطَعَ أَسْبَابَ الْمَوَدَّةِ مَعَشَرُ^(٥) وَالْأَتَنِ يَأْمَ عَمْرٍ وَنَعِيمَةٌ^(٦)
وَمَا يَنْنَا لَوْ أَنَّهُ كَانَ عَالِمًا حَدِيثُ^(٧) إِذَا لَمْ تَخْشَ عَيْنًا كَأَنَّهُ
لَوْ أَنَّكَ تَسْتَشْفِي بِهِ بَعْدَ سَكْرَةٍ ١٠ وَقُلْتُ لَهَا : مَا نَأْمُرِينَ ؟ فَإِنِّي
لَأُصْنِي إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي أَتَجَنَّبُ عَلَى مَاعَدَا عَنْهُمْ أَعَزُّ وَأَقْرَبُ
غَضَابِي، وَهَلْ فِي أَحْسَنِ الْقَوْلِ مَغْضَبُ^(٨) تَدِبُ بِهَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَقْرَبُ
بِذَاكَ الْأَلَى يُولُونَ مَا يَتَرْتَبُ^(٩) إِذَا سَاقَطَتَهُ الشَّهْدُ، بَلْ هُوَ أَطِيبُ
مِنَ الْمَوْتِ كَانَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ تَذْهَبُ^(١٠) أَرَى الْبَيْنَ أَذْنَى رَوْعَةٍ تُتَرَقَّبُ^(١١)

قال محمد بن يحيى الصولي : ولا أحسبه في قوله :

* لَوْ أَنَّكَ تَسْتَشْفِي بِهِ بَعْدَ سَكْرَةٍ *

إِلَّا تَبِيعَ قَوْلَ تَوْبَةِ بْنِ الْحُمَيْرِ :

وَلَوْ أَنَّ لَيْلِي الْأَخْيَكِيَّةَ سَلَّمْتُ^(١٢) عَلَيَّ، وَدُونِي جَنْدَلٌ وَصَفَائِحُ^(١٣) ١٥
أَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ، أَوْ زَقَا إِلَيْهَا صَدَى مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَاحُ

(١) حاشية ت (من نسخة) : « أَهْلَانَا جَمِيعَ » ،

(٢-٣) من نسخة بمحاشي الأصل ، ت ، ف : « لَوْ لَا وَدَّهْنُ ذُنُوبِ » .

(٣) من نسخة بمحاشيتي ت ، الأصل : « يَقْطَعُ أَسْبَابَ الْمَوَدَّةِ » ، وفي د « غَضَابِ » .

(٤) حاشية ت : « قَوْلُهُ : « وَالْأَتَنِ : عَطْفٌ عَلَى مَعَشَرِ » . (٥) حاشية ت : « يُولُونَ :

يُحْلِفُونَ عَلَيْنَا » وَمِنْ نَسْخَةِ بِحَاشِيَةِ الْأَصْلِ : « يُؤْذُونَ » . (٦) من نسخة بمحاشيتي الأصل ، ت :

« كَادَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ » . (٧) فِي حَاشِيَتِي الْأَصْلِ ، ت (مِنْ نَسْخَةٍ) : « مَا نَأْمُرِينَ » .

(٨) ديوان الحماسة - بشرح التبريزي ٣ : ٢١٧ . الصَّفَائِحُ : الْحِجَارَةُ الْعَرَاضُ تَكُونُ عَلَى الْقُبُورِ .

قال سيدنا أدام الله عاؤه : وأوّل مَنْ سبق إلى هذا المعنى فأحسن الأعشى في قوله :

عَهْدِي بِهَا فِي الْحَيِّ قَدْ دُرِّعْتُ صَفْرَاءَ مِثْلِ الْمُهْرِ الضَّامِرِ^(١)
لَوْ أَسْنَدْتُ مَمِيَّتًا إِلَى نَجْرِهَا عَاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إِلَى قَابِرِ
حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مِمَّا رَأَوْا يَعْجَبًا لِلْمَيِّتِ النَّاشِرِ!

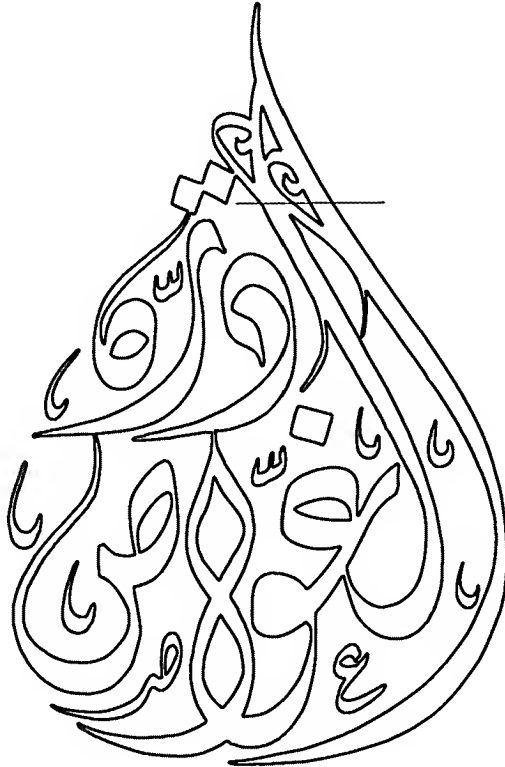
ومعنى الناشر : المنشور ، يقال : نَشَرَ اللَّهُ الْمَيِّتَ فَنَشَرَ ، وهو ناشر بمعنى منشور ؛ •

مثل ماء دافق فهو مدفوق .

وقال بعض أصحاب المعاني : إنَّ الجاريةَ التي وصفها أيضاً هي مَيِّتة بمعنى أنها ستموت ،

فيكون المعنى : إنَّ الناس عجبوا من أن يكون مَنْ يَمُوتُ يَنْشُرُ الموتى ، ومن قال هذا

أجاز : نَشَرَ اللَّهُ الموتى / بمعنى أنشر ؛ والقولُ الأولُ أظهر ، وما نظن الأعشى عني غيره . [١٥١] ط



(١) ديوانه ١٠٤ - ١٠٥ ، وفي حاشية الأصل : (من نسخة) : « قد روعت » ، وفي حاشية ت

(من نسخة) : « قد أبرزت » ، وفي الديوان : « قد سربت » .

مَجْلِسُ ٣٤ تَأْوِيلُ خَبَرِ

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾؛ [يوسف : ٩٢] ، حاكياً عن يوسف عليه السلام .
فقال: لِمَ خَصَّ «اليوم» بالقول ، وإنما أراد العفو عنهم في جميع مستقبل أوقاتهم ؟
الجواب ، قلنا: في هذه الآية وجوه أربعة :

٥ أولها أنه لما كان هذا الوقت الذي أشار إليه^(١) هو أول أوقاته التي كشف فيها نفسه، وأطلعهم على ما كان يستره^(٢) عنهم من أمره؛ أشار إلى الوقت الذي لو أراد الانتقام لابتدأ به فيه ؛ والذي متى عفا فيه عنهم^(٣) لم يراجع الانتقام .

وثانيها أن يوسف عليه السلام لما قدّم توبيخهم، وعدّد عليهم قبائح ما فعلوه ، وعظيم ما ارتكبوه ؛ وهو مع ذلك يستر عليهم^(٤) نفسه ، ولا يُفصح لهم بحاله قال لهم عند تبين أمرهم: ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾؛ أي قد انقطع عنكم توبيخي، ومضى عذلي ولائمي عند اعترافكم بالذنب، وكان ذكر «اليوم» دلالة على انقطاع المعاقبة والتوبيخ؛ وعلى أن الأوقات المتصلة باليوم تجري مجراه في زوال الغضب، وتام العفو، وسقوط الموافقة لهم على ما سلف منهم .

وثالثها أن ذكر «اليوم» المراد به الزمان والحين، فوضع «اليوم» موضع الزمان كله، المشتمل على الليالي والأيام والشهور والسنين ؛ كما يقول العربي لغيره : قد كنت تستحسن شرب الخمر فاليوم قد وفقت لتركها ومقمتها ؛ يريد في هذا الزمان ، ولا يريد يوماً واحداً بعينه ؛ ومثله :

* في الأصل : « هذا المجلس نصف الكتاب » .

(١) ت : « أشار الله إليه » . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « ستره » .

(٣) ساقطة من ت . (٤) ت : « عنهم » .

قد كنتَ تَقْصِّرُ في الجواب عن فنون العلم فالיום ما تُعِزُّكَ مسألة ، ولا تتوقَّفُ عن مُشكلة ؛
يريد باليوم باقى الزمان كله ، وقال امرؤ القيس :

حَلَّتْ لى الخمرُ وكُنْتُ امرأً عن شُرْبِها فى شُغْلٍ شاغلٍ^(١)
فالْيَوْمَ فاشربْ غيرَ مُسْتَحَقِّبٍ إِنَّمَا مِنَ اللَّهِ وَلَا وَاغِلٍ^(٢)
لم يقصد يوماً بعينه؛ ومثله :

وَالْيَوْمَ يَرَحْمُنَا مَنْ كَانَ يَغِيبُنَا واليَوْمَ نَتَّبِعُ مَنْ كَانُوا لَنَا تَبَعًا
وقال كبيد :

وما النَّاسُ إِلَّا كالدَّيَّارِ وأهلِها بها يَوْمَ حَلَّوْها ، وَغَدَوْا بِلَاقِعٍ^(٣)
كل ذلك لا يُراد بذكر اليوم أو الغد فيه إلا جميع الأوقات المستقبلية .

ورابعها أن يكون المراد : لا تُثْرِبَ عليكم البتَّة ، ثم قال : ﴿ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ ؛ ١٠
فتعلَّقَ « اليوم » بالغفران ، وكان المعنى غفر الله لكم اليوم^(٤) .

وقد ضعف قومٌ هذا الجواب من جهة أن الدعاء لا ينصب ما قبله .
فأما التثريب فإن أبا عبيدة قال : معناه لا شغب ولا معاقبة ولا إفساد^(٥) .
وقال الشاعر :

فَعَفَوْتُ عَنْهُمْ عَفْوًا غَيْرَ مُثَرَّبٍ وَتَرَكَتُهُمْ لِعِقَابِ يَوْمٍ سَرْمَدٍ ١٥

(١) ديوانه : ١٥٠ . وفي شرح الديوان : « كات حنف ألا يشرب خرا ، ولا يأكل لحما ،
ولا يفسل رأساً ؛ حتى يدرك بثأر أبيه ؛ وكذلك كانت العرب تفعل ؛ فلما أخذ بثأر أبيه شربها فبرت يمينه » .
(٢) حاشية ت (من نسخة) : « أشرب » بسكون الباء ؛ ورواية الديوان :

* فالיום أُسْقَى غير مُسْتَحَقِّبٍ *

المستحقب : المكتسب للامم الحامل له . والواغل : الذى يدخل على القوم وهم يشربون فيشرب معهم من
غير دعوة . (٣) ديوانه ٢: ٢٢ . (٤) حواشى الأصل ، ت ، ف : « لم لا يكون لإخباراً محضا
بالغفران حتى لا يعترض بذلك ! وله وجه آخر وهو أن المعنى : اليوم أقول لكم هذا القول الذى هو يغفر
الله لكم فاختصر » . (٥) حاشية ت (من نسخة) : « فساد » .

وقال أبو العباس ثعلب: يقال: رَّبَّ فلان على فلان إذا عدَّ دُنبه. وقال بعضهم^(١):
التَّريب مأخوذ من لفظ التَّربُّ ، وهو شحم الجوف ، فكأنَّه موضوع للمبالغة في اللوم
والتعنيف والتقصي إلى أبعد غايتهما^(٢) .

تَأْوِيلُ خَبَرِ

رَوَى أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ عَنْ حَجَّاجٍ عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانٍ ،
وَحَبِيبِ بْنِ الشَّهِيدِ عَنْ ابْنِ سِيرِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَهَى عَنْ كَسْبِ
الزَّمَّارَةِ .

وقال أبو عبيد: قال حَجَّاجُ : الزَّمَّارَةُ الزَّانِيَةُ ، وقال: هذا مثلُ حديثه الآخر أنه نهى عن
كَسْبِ الْبَغْيِ .

وقال أبو عبيد: وقال غير حَجَّاجِ : هِيَ الرِّمَازَةُ ، بتقديم الراء ، قال : وقول حَجَّاجِ أثبتُ
عندنا ؛ لأنهم كانوا يُكْرِهُونَ إِمَاءَهُمْ عَلَى الْبَغَاءِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَانَكُمْ
عَلَى الْبَيْعَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [النور : ٣٣] ، قال : فالعَرَضُ
هُوَ كَسْبُ الْبَغْيِ الَّذِي نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْهُ .

قال أبو عبيد : وَلَا أَعْلَمُ مِمَّ أَخَذَتْ « الزَّمَّارَةُ » ؛ غير أني وجدتُها مفسَّرة في الحديث .
وقال ابن قتيبة : الأمر على ما ذكر أبو عبيد ، إلا ما أنكره على مَنْ زعم أنها
الرِّمَازَةُ ؛ لأن الرِّمَازَةَ هِيَ الْفَاجِرَةُ ، سَمِّيتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَرْمِزُ ، أَيْ تُؤْمِي بِعَيْنَيْهَا وَجَاجِيهَا
وَشَفَتَيْهَا .

قال الفراء : وَأَكْثَرُ الرَّمْزِ بِالشَّفَتَيْنِ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ آيَتُكَ أَنْ لَا تُكَلِّمَ
النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾ [آل عمران : ٤١] ، فالرِّمَازَةُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الْفَاجِرَةِ ،
[١٥٢] / ثُمَّ صَارَ اسْمًا لَهَا أَوْ كَالِاسْمِ ؛ وَلِذَلِكَ قِيلَ لَهَا : هَلُوكَ ؛ لِأَنَّهَا تَهَالِكُ عَلَى الْفِرَاشِ ، أَوْ عَلَى
الرَّجْلِ ، ثُمَّ صَارَ اسْمًا لَهَا دُونَ غَيْرِهَا مِنَ النِّسَاءِ ، وَإِنْ تَهَالَكْتَ عَلَى زَوْجِهَا ، وَقِيلَ لَهَا خَرِيعٌ ،
ط

(١) م : « وهو ابن مسلم » . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « غايتهما » .

لِئِنَّهَا وَتَثْنِيهَا ، ثُمَّ صَارَ ذَلِكَ اسماً لَهَا دُونَ غَيْرِهَا مِنَ النِّسَاءِ ؛ وَإِنْ لَانَتْ وَتَثْنَتْ ؛ وَنَحْوُهُ قَوْلُهُمْ لِلْبَعِيرِ : أَعْلَمَ ؛ لِلسَّقْيِ فِي مِشْفَرِهِ الْأَعْلَى ثُمَّ صَارَ كَالِاسْمِ لَهُ ؛ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ لِلذَّنْبِ : أَزَلَّ أُرْسَحَ^(١) ، ثُمَّ صَارَ كَالِاسْمِ لَهُ ، وَالْمَرِيْبَةُ لَا تَكَادُ تَعْلِنُ بِالْكَلامِ ، إِنَّمَا تُؤْمِضُ^(٢) أَوْ تَرْمِزُ أَوْ تَصْفِرُ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

رَمَزَتْ إِلَى مَخَافَةٍ مِنْ بَعْلِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَبْدُو هُنَاكَ كَلَامُهَا
وقال الأخطل :

أَحَادِيثُ سَدَّاهَا ابْنُ حَدْرَاءَ فَرَقَدَتْ وَرَمَازَةٌ مَالَتْ لِمَنْ يَسْتَمِيلُهَا^(٣)
وقال الراجز :

يَوْمِئِذٍ بِالْأَعْيُنِ وَالْحَوَاجِبِ إِيْمَاضَ بَرْقٍ فِي عَمَاءٍ نَاضِبٍ^(٤)

١٠ - والعماء : السحاب ، والناضب : البعيد -

وقال بعضهم : إِنَّمَا قِيلَ لِلْفَاجِرَةِ قَحْبَةٌ ، مِنَ الْقَحَابِ وَهُوَ الشَّمَالُ ؛ قَالَ : وَأَحْسِبُهُ أَرَادَ أَنَّهَا تَتَنَحَنَجُ أَوْ تَسْعَلُ تَرْمِزُ بِذَلِكَ .

قَالَ : وَبَلَّغْنِي عَنِ الْمَفْضَلِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي قَوْلِ النَّاسِ : « أَجْبَنُ مِنْ صَافِرٍ »^(٥) أَنَّهُ الرَّجُلُ يَصْفِرُ لِلْفَاجِرَةِ ، فَهُوَ يَخَافُ كُلَّ شَيْءٍ .

وَأَمَّا الْأَصْمَى فَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ : الصَّافِرُ مَا يَصْفِرُ مِنَ الطَّيْرِ ، وَإِنَّمَا وُصِفَ بِالْجَبَنِ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْجَوَارِحِ .

قَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ : وَلَا أَرَى الْقَوْلَ إِلَّا قَوْلَ الْمَفْضَلِ ، وَالِدَلِيلِ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ الْكُمَيْتِ بْنِ زَيْدِ الْأَسَدِيِّ :

(١) الْأَزَلُ : الْحَقِيفُ الْوَرَكِينُ . وَالْأُرْسَحُ : الْغَلِيلُ لَحْمُ الْعَجِزِ .

(٢) تَوْمِضُ ، أَيْ تَعْرِضُ نَفْسَهَا . (٣) دَبَّوَانُهُ : ٢٤١ ، وَاللِّسَانُ (رَمَزَ) وَالْحَدْرَاءُ : الْمَمْتَلَّةُ

الْفَخْذُ وَالْعَجِزُ . (٤) الْبَيْتَانُ فِي اللِّسَانِ (زَمَرَ) ، وَالرَّوَايَةُ فِيهِ : « يَوْمِئِذٍ بِالْأَعْيُنِ . . . » .

(٥) الْمَثَلُ فِي بَعْضِ الْأَمْثَالِ لِلْعِيدَانِي ١ : ١٦٨ ؛ وَرَوَى عَنْ ابْنِ حَبِيبٍ أَنَّ الصَّافِرَ طَائِرٌ يَتَمَلَّقُ مِنَ الشَّجَرِ بَرَجْلِيهِ ، وَيَنْسَكِسُ رَأْسَهُ ، خَوْفًا مِنْ أَنْ يَنَامَ فَيُؤْخَذَ فَيَصْفَرُ مِنْ كُوسٍ طَوِيلٍ لَيْلَتِهِ .

أَرْجُو لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي إِخَائِكُمْ كَلْبًا كَوْرَهَاءَ تَقْلَى كُلَّ صَفَّارٍ^(١)
 لَمَّا أَجَابَتْ صَفِيرًا كَانَ آيَتَهَا مِنْ قَائِسٍ شَيَّطَ الْوَجَمَاءَ بِالنَّارِ^(٢)
 وهذه امرأة كان يصفر لها رجل فتجيبه ، فتمثل زوجها به وصفر لها ، فأنته
 فشيطها بميسم ، فلما أعاد الصفر^(٣) قالت : « قد قلينا كل صَفَّارٍ^(٤) » ، تريد أنا قد عففنا^(٥)
 واطرحنا كل فاجر .

قال أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري : والاختيار عندي : « الزمارة » معجمة الزاى على
 ما قال أبو عبيد ، ليحجج ثلاث :

[١٠٣] / إحداهن إجماع أهل الحديث على الزمارة .

والحجة الثانية أن الفاجرة سُميت زمارة ، لأنها تحسن نفسها وكلامها ، والزمر عند العرب
 ١٠ الحسن ، قال عمرو بن أحمر الباهلي يصف شراباً وغناء :

دَنَانِ حَنَّانٍ يَنْبِيهَا رَجُلٌ أَجَشُّ غَنَاؤُهُ زَمَرٌ^(٦)

قال الأصمعي : معناه غناؤه حسن ؛ كأنه من مزامير داود .

والحجة الثالثة أنهم سمّوا الفاجرة زمارة ، لمهانتها وقلة ما فيها من الخير ؛ من قول العرب^(٧) :

نمجة زمرة ؛ إذا كانت قليلة الصوف ، ويقال : رجل زمر المروءة ، إذا كان قليلها ، قال

١٥ ابن أحمر :

مُطْلَنَفِئًا لَوْنُ الْحَصَى لَوْنُهُ يَحْجُزُ عَنْهُ الذَّرَرُ رِيشُ زَمَرٍ^(٨)

(١) البنتان في مجمع الأمثال ٢ : ٤٠ ، « والثاني في اللسان (شيط) . الورهاء : الحفء .

(٢) شيط : أحرق . والوجماء : الدبر . (٣) ت : « الصغير » .

(٤) المثل في مجمع الأمثال ٢ : ٤٠ ، والرواية فيه : « قد قلينا صغيركم » .

(٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « عققنا » . (٦) البيت في اللسان (زمر) ، وفي ت ، ف ،

وحاشية الأصل (من نسخة) : « زجل » . والزجل : عود أو معزفة .

(٧) م : « من قولهم » . (٨) حواشي الأصل ، ت ، ف : « يصف فرخ القطة ؛ وقبله :

تُرْوَى لَقَى الْقَى فِي مَهْمَةٍ تَصْهَرُهُ الشَّمْسُ فَمَا يَنْصَهَرُ

المطلنق^(١) : اللاصق بالأرض ، والذر : النمل ، والزرير : القليل ، فسمي البغي^(٢) زماره ، على وجه الذم لها والتصغير لشأنها ؛ كما قيل لها : فاجرة لميلها عن القصد ، يقال : فَجَرَ الرجل إذا مال ، قال كبيد :

فَإِنْ تَتَقَدَّمْ تَغْشَ مِنْهَا مُقَدَّمًا غَلِيظًا، وَإِنْ أَخَّرْتَ فَالْكَفْلُ فَاجِرٌ^(٣)

أى مائل ، والكفل : كساء يُوضَع على ظهر البعير يُوقَى من العرق .

فالسيدنا أدام الله علوه : ولا أرى لإحدى الروایتين على الأخرى رجحاناً ؛ لأنَّ كلَّ واحدة منهما قد أتت من جهة مَنْ يُسَكَّن إلى قوله ، ولكلَّ منهما مخرج في اللغة ، وتأويلٌ يرجع إلى معنى واحد ؛ لأنَّ الرّمازة ، بالراء غير معجمة يرجع معناها على ما ذكر ابن قتيبة إلى معنى الفجور ، ومن رواها بالزاي المعجمة فالمرجعُ في معناها إلى ذلك أيضاً على الوجهين اللذين ذكرهما ابنُ الأنباري ، والأوّل أن يَثْبُتَا^(٤) متساويين ، ويكون الراوى مخيراً ١٠ فيهما .

أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال أنشدني محمد بن أحمد الكاتب قال أنشدنا أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي للمضرّب^(٤) ؛ وهو عُقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى :

(١) ف ، ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « فسميت البغي » .

(٢) ديوانه ١ : ٥ ، ومن نسخة في حواشي الأصل ، ت ، ف : « أخرت » : بالبناء للمجهول .

وفيه أيضاً : « قبله » :

فَأَصْبَحْتَ أَنَّى تَأْتِيهَا تَبْقُسُ بِهَا كَلَا مَرَكِبُهَا تَحْتَ رَحْلِكَ شَا جِرُ

تأتها ، أى تأت هذه الخصلة والحالة ، وقال الجوهري : « الكفل هو ما اكتفل به الراكب ، وهو أن يدار الكساء حول سنام البعير ثم يركب ؛ ومنه قول إبراهيم : لا تشربوا من ثلثة الإناء ولا من عروته ؛ فإنه كفل الشيطان ؛ وإبراهيم هو التيمي » .

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « أن يكونا » .

(٤) ذكره المرزباني في المؤلفات والمختلف : ٢٨١ ؛ وضبطه صاحب تاج العروس في مستدرک =

وما زلتُ أرجو نفعَ سَمَى ووَدَّها / عَلَا حاجيَّ الشَّيبُ حتى كأنَّه [١٥٣]
 وحتى رَأَيْتُ الشَّخْصَ يَزْدَادُ مِثْلَهُ (٢) ظ
 وتَبِعْدُ ؛ حتَّى ابْيَضَّ مِنِّي المَسَاخُ (١)
 إليه ؛ وحتَّى نِصْفُ رَأْسِي وَاضِحُ
 طِبَاءُ جَرَتْ مِنْهَا سَنِحُ وَبَارِحُ (٣)
 طَلَبْتُ ، وَرَبْعَانُ الصَّبَا بِي جَامِحُ (٤)
 وَمَسَحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ
 وَأَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ يَبْنِمَا
 وَشُدَّتْ عَلَى خُذْبِ الْمَهَارَى رِحَالُهَا
 قَفَلْنَا عَلَى الْخُوصِ الْمَرَاثِيلِ ، وَارْتَمَتْ
 وَهَزَّةَ أَطْعَانٍ عَلَيْهِنَّ بِهَيْجَةٍ
 فَالْمَا قَضَيْنَا مِنْ مَنَى كُلِّ حَاجَةٍ
 وَشُدَّتْ عَلَى خُذْبِ الْمَهَارَى رِحَالُهَا
 قَفَلْنَا عَلَى الْخُوصِ الْمَرَاثِيلِ ، وَارْتَمَتْ
 وَهَزَّةَ أَطْعَانٍ عَلَيْهِنَّ بِهَيْجَةٍ
 فَالْمَا قَضَيْنَا مِنْ مَنَى كُلِّ حَاجَةٍ
 وَشُدَّتْ عَلَى خُذْبِ الْمَهَارَى رِحَالُهَا
 قَفَلْنَا عَلَى الْخُوصِ الْمَرَاثِيلِ ، وَارْتَمَتْ

(ضرب) أنه بوزن « محدث » ، « معظم » ، وضبط في اللسان بالكسر فقط ، وفي الأصل : بالفتح ؛ وهو الأولى لما رواه ابن قتيبة في الشعراء : ٩٢ أنه « كان لكعب ابن يقظة له عقبه بن كعب ، شاعر ، ولقبه المضرب ؛ وذلك أنه شب بامرأة من بني أسد فقال :

وَلَا عَيْبَ فِيهَا غَيْرَ أَنَّكَ وَاجِدٌ مَلَأَ قِيَهَا قَدْ دُبْتُ بِرُكُوبِ

فضربه أخوها مائة ضربة بالسيف ، فلم يمت ، وأخذ الدية ، فسمى المضرب « .

(١) ورد البيت الخامس والسادس والسابع من هذه الأبيات في معاهد التنصيص ٢ : ١٣٤ ؛ وقال : « وقيل الأبيات لابن الصنيرة ، وهي مع بيتين تاليتين في زهر الآداب ٢ : ٥٦ ووردت أيضا في الشعر والشعراء ١١ ، والصناعتين ٥٩ ، وأسرار البلاغة ١٥ ، وورد الخامس والسادس في الخصائص ١ : ٢٨ ، ٢١٨ ، وأمالى الغالى ٣ : ١٦٦ ؛ وفيها جميعا من غير عزو مع اختلاف في الترتيب . ونقلها أيضا صاحب المعاهد بنسبتها وروايتها عن الفرر ؛ وهي ضمن ١٨ بيتاً في ديوان كثير : ٧٧-٨٤ والمساخ : شعر جوانب الرأس .

(٢) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « مثله » ، بفتح اللام . (٣) السنيح والمساخ : ما أتاك عن عيذك من ظبي أو طائر أو غير ذلك ، والبارح : ما أتاك من ذلك عن يسارك . والمساخ : أحسن حالا عندهم في التيمن من البارح .

(٤) يعنى : ورب طعائن طلبت اهتزازهن وارتياجهن للهو معهن .

(٥) أطراف الأحاديث : ما يستطرف منها ويؤثر . والأباطيح : جمع أبطح ؛ وهو المسيل الواسع ، فيه دقاق الحصى . (٦) المهاري : جمع مهريه ؛ وهي المنسوبة إلى مهرة من حيوان ؛ وهي قبيلة تكثر فيها النجائب . ولا ينظر : لا ينظر . (٧) الخوص : الإبل الغائرة العيون . والمراسيل : المرسعات . والصفاح : جمع صفح ؛ وهو مضطجع الجبل ، والصحاصح : جمع صحح ، وهو المسكان المستوى الواسع .

وأنشد ابن الأعرابي :

فَصَدَّتْ بَعْنَى شَادِنٍ وَتَبَسَّمَتْ بِحَمَاءٍ عَنْ غُرٍّ لَهْنٍ غُرُوبٌ^(١)
جَرَى الْإِسْجَلُ الْأَحْوَى عَلَيْهِنَّ أَوْجَرَى عَلَيْهِنَّ مِنْ فَرَعِ الْأَرَاكِ قَضِيبٌ^(٢)

أخبرنا أبو الحسن عليّ بن محمد الكاتب قال أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال حدثنا محمد بن الحسن البلّغيّ قال حدثنا أبو حاتم قال : سمعت الأصمعيّ يقول : سمعت الرشيد يقول : قلب العاشق عليه مع معشوقه ، فقلت له : هذا والله يا أمير المؤمنين أحسن من قول عُروّة بن حزام العذريّ لعفراء :

أَرَانِي تَعْرُونِي لِذِكْرَاكِ رَوْعَةً لَهَا بَيْنَ جِلْدِي وَالْعِظَامِ دَرِيبٌ^(٣)
وَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَرَاهَا فُجَاءَةً فَأَبْهَتْ حَتَّى لَا أَكَادُ أَجِيبُ^(٤)
وَأُصْرَفُ عَنْ دَارِي الَّذِي كُنْتُ أُرْتَبِي^(٥) وَيَعْرُبُ عَنِّي عِلْمُهُ وَيَغِيبُ^(٦)
وَيُضْمِرُ قَلْبِي غَدَرَهَا وَيُعِينُهَا عَلَيَّ ، فَمَا لِي فِي الْفُؤَادِ نَصِيبُ
فقال الرشيد : مَنْ قال هذا وَهْمًا فَإِنِّي أَقُولُهُ عِلْمًا ، وَلَهُ دَرَكٌ يَا أَصْمَعِي ! فَإِنِّي أَجِدُ
عِنْدَكَ مَا تَضِلُّ عَنْهُ الْعُلَمَاءُ .

قال الصوليّ : فأخذه العباس بن الأحنف فقال :

يَهِيمُ بِحِرَانِ الْجَزِيرَةِ قَلْبُهُ وَفِيهَا غَزَالٌ فَاتَرُ الطَّرْفِ سَا حِرُهُ^(٦)
يُوَازِرُهُ قَلْبِي عَلَى وَلَيْسَ لِي يَدَانِ بَيْنَ قَلْبِي عَلَى يُوَازِرُهُ

(١) ف ، ومن نسخة بمحاشية ت : « تصدت » .

(٢) الإسجل : شجر تتخذ منه أعواد السواك . والأحوى : الأسمر . (٣) ديوانه : ٤٣ : (مخطوطة الشنقيطي بدار الكتب المصرية) ، والشعر والشعراء ٦٠ ، وخزانة الأدب ١ : ٥٣٤ ، و ٣ : ٦١٥ - ٦١٧

وفم : « وإنّي لتعروني » . (٤) البيت من (شواهد سيبويه ١ : ٤٣٠) ، على جواز الرفع والنصب في « أبهت » ، فالنصب محمول على « أن » ، والرفع على القطع والاستئناف .

(٥) م : « عارفا » . (٦) حران : قصبة ديار مضر بالجزيرة ، بين الرها

والرقة . ومن نسخة بمحاشية الأصل : « ساحر الطرف فأنره » .

[١٥٤]

/ وأشار إليه أيضا في قوله :

قُلِّبِي إِلَى مَا ضَرَّنِي دَاعِي يُكْثِرُ أَحْزَانِي وَأَوْجَاعِي ^(١)
كَيْفَ احْتِرَاسِي مِنْ عَدُوِّي إِذَا كَانَ عَدُوِّي بَيْنَ أَضْلَاعِي ^(٢)

وأخذه سهل بن هرون الكاتب فقال :

أَعَانَ طَرْفِي عَلَى جِسْمِي وَأَعْضَائِي بِنَظَرَةٍ وَقَفْتُ جِسْمِي عَلَى دَائِي
وَكُنْتُ غِرًّا بِمَا تَجَنَّبَنِي عَلَى يَدِي لَا عَلِمَ لِي أَنَّ بَعْضِي بَعْضُ أَعْدَائِي
وقال البحتري :

وَلَسْتُ أَعْجَبُ مِنْ عِصْيَانِ قَلْبِكَ لِي يَوْمًا إِذَا كَانَ قَلْبِي فِيكَ يَعْصِيَنِي ^(٣)

وروى أبو عكرمة الضبي عن مسعود بن بشر المازني قال : قال لنا الأصمعي يومًا :

١٠ ما أحسن ما قيل في صفة امرأة عَجْزَاءَ خَمِيصَةٍ ^(٤) فَأَنْشِدَ قول الأعشى :

صِفْرُ الْوِشَاحِينَ مِلُّ الدَّرْعِ بِهَكْنَةٍ إِذَا تَأْتَى يَسْكَادُ الْخَصْرُ يَنْخَزِلُ ^(٥)
وَأَنْشِدَ قول علقمة بن عبدة :

صِفْرُ الْوِشَاحِينَ مِلُّ الدَّرْعِ خَرْعَةٌ كَأَنَّهَا رَشَاءٌ فِي الْبَبْتِ مَلْزُومٌ ^(٦)

(١) ديوانه : ١٠١ ، وبعده :

وَقَلَّمَا أَبْقَى عَلَى مَا أَرَى يَوْشِكُ أَنْ يَنْعَى بِي النَّاعِي
أَسْلَمَنِي لِلْوَجْدِ أَشْيَاعِي لَمَّا سَعَى بِهِ عِنْدَهُمُ السَّاعِي

(٢) بعده ؛ كما في الديوان :

مَا أَقْتَلَ الْيَأْسَ لِأَهْلِ الْهَوَى لَا سِيَّامًا مِنْ بَعْدِ أَطْمَاعِ

(٣) ديوانه : ٢ : ٢٩٥ ، وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « مثله » :

أَنْظِمِ أَنْ يُطِيعَكَ قَلْبُ سَعْدِي وَتَرْعُمُ أَنْ قَلْبِكَ قَدْ عَصَاكَ

(٤) م : « خصانة » ، والخصية والخصانة : الضامرة البطن . (٥) ديوانه : ٤٢ . والمعلقات

— بشرح التبريزي : ٢٧٤ . صفر الوشاحين ؛ يعني أنها خيصة البطن دقيقة الخصر ، فوشاحها يعلن عنها
وبالهكنة : الكبيرة الخلق ، وتأني : ترفق في المشي . (٦) ديوانه : ١٣٠ . الخربة : الناعمة . الرشأ :
الظبي الصغير . ملزوم : مربى في البوت ؛ وهو أحسن له .

وأنشد قول ذى الرُّمة :

تَرَى خَافَهَا نِصْفًا قَنَاءَ قَوِيْمَةً وَنِصْفًا نَقًا بَرْتَجَّ أَوْ يَتَمَرَّمَرُ^(١)

فقال : أحسن ما قيل فيه قول أبي وَجْزَةَ السَّعْدِيّ :

أَدْمَاءُ فِي وَضَحٍ يَكَادُ إِزَارُهَا^(٢) يُقْوِي^(٣) وَيَشْبَعُ مَا أَحَبَّ إِزَارُهَا^(٤)

قال أبو عكرمة : ومثله قول الحارث بن خالد المخزومي :

غَرَّثَانُ، سِمْطُ وَشَاحِهَا قَلِقَ رَيَّانُ مِنْ أَرْدَا فِيهَا الْمِرْطُ

وأخبرنا الرزباني قال حدثنا محمد بن إبراهيم قال حدثنا أبو العيناء قال حدثني الأصمعي قال :

لما مات / محمد بن سلمان بن علي الهاشمي دخلت على أخيه جعفر بن سليمان، وقد حزن عليه حزناً [١٥٤] شديداً ولم يطعم ثلاثاً، فأنشدته لابن أراكَةَ الثَّقَفِيَّ^(٥) :

لَعَمْرِي لَنْ أَتَبَعْتَ عَيْنَكَ^(٦) مَا مَضَى مِنْ^(٧) الدَّهْرِ أَوْ سَاقَ الْجِهَامِ إِلَى الْقَبْرِ ١٠
لَتَسْتَنْفِدَنَّ مَاءَ السَّمُونِ بِأَسْرِهِ وَلَوْ كُنْتَ تَمَرِيهِنَّ مِنْ تَبَسُّجِ الْبَحْرِ
فَقُلْتُ لِمَبْدِ اللَّهِ إِذْ خَنَ^(٨) بَاكِياً تَعَزَّ ، وَمَاءَ الْعَيْنِ مُنْهِمٌ يَجْرِي
تَبَيَّنَ فَإِنْ كَانَ الْبُكَاءُ رَدَّ هَالِكاً عَلَى أَحَدٍ فَاجْهَدْ بُكَاءَكَ عَلَى عَمْرٍو
وَلَا تَبْكِ مِيتاً بَعْدَ مَيِّتٍ أَحِبَّهُ^(٩) عَلَى وَعْبَاسٍ وَآلِ أَبِي بَكْرٍ

(١) ديوانه : ٢٢٦ يتمرر : يتحرك وهو تحرك ذن الارتجاج . وفي د ، م : « يترمرم » .

(٢) ت ، ش : « رداؤها » والأدلة هنا : لون أشرب بياضا . والوضوح : البياض . وفي م : « أدماء عيطة » .

(٣) الإفواء في الأصل : فقاد الزاد ؛ ويريد هنا دقة خصرها . وفي س : « لعله : يقوى وشاحها » :

(٤) من نسخة بمحاشيتي الأصل ، ت : « مأجن إزارها » ، وفيهما أيضا : « أحب ، فعل الإزار ؛

أي يشبع إزارها ما أحب ، أي ما شاء » . (٥) الخبر والأبيات في حاشية ابن الشجري : ١٣٨-١٣٩ ،

بروايته من ابن قدامة عن المرتضى ؛ مع اختلاف في ترتيب الأبيات ؛ وهي أيضا في أملى الزجاجي : ٧ .

(٦) حاشية ت (من نسخة) « عينك » ؛ وهي رواية ابن الشجري .

(٧) ت : « به الدهر » ؛ وهي رواية ابن الشجري . (٨) ت : « حن » ، ومن نسخة

بمحاشيتها : « خر » . (٩) ت : « أجنه » .

قال: فأمر فجيء بالطعام فأكل من ساعته .
قوله: « خن با كياً » معناه رفع صوته بالبكاء ، وقال قوم : الخنين ، بالخاء معجمة من الأنف ، والحنين من الصدر ، وهو صوت يخرج من كل واحد منهما .

وأخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن العباس قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال :
سمعتُ التَّوْزِيَّ يقول : دخلنا مع الأصمعيَّ إلى إسماعيل بن جعفر ليلة في حاجة ، فأنشده الأصمعيُّ أبيات ابن هرمة :

أَتَيْنَاكَ نُرْجِي حَاجَةً وَوَسِيلَةً إِلَيْكَ ، وَقَدْ تَحْظِي لَدَيْكَ الْوَسَائِلُ^(١)
وَنَذْكُرُ وَدًّا شَدَّهُ اللَّهُ بَيْنَنَا عَلَى الدَّهْرِ لَمْ تَدْبُ إِلَيْهِ الْفَوَائِلُ^(٢)
فَأَقْسِمُ مَا أَكْبَى زِنَادَكَ قَادِحُ وَلَا أَكْذَبْتُ فَيْكَ الرَّجَاءُ الْقَوَائِلُ^(٣)
وَلَا رَجَعْتُ ذَا حَاجَةٍ عَنْكَ عِلَّةٌ وَلَا عَاقَ خَيْرًا عَاجِلًا مِنْكَ آجِلُ^(٤)
وَلَا لَأَمَ فَيْكَ الْبَاذِلُ الْوَجَةَ نَفْسُهُ وَلَا احْتَكَمْتُ فِي الْجُودِ مِنْكَ الْمَبَاخِلُ^(٥)

لم يزد على هذه الأبيات ، فقضى حاجته وأجاب مسألته .

قال سيدنا أدام الله علوه : ويُسبَّه أن يكون ابنُ هرمة أخذ قوله :
* وَلَا كَذَبْتُ فَيْكَ الرَّجَاءُ الْقَوَائِلُ *

من قول الحزین السکنانی فی زید بن علی بن الحسین علیهم السلام :
فلما^(٦) تَرَدَّى بِالْحَمَائِلِ وَانْتَنَى يَصُولُ بِأَطْرَافِ الْقُنَى الذَّوَابِلُ^(٧)
/ تَبَيَّنَتْ الْأَعْدَاءُ أَنَّ سِنَانَهُ يُطِيلُ حَنِينَ الْأُمَّهَاتِ الثَّوَاكِلِ

[١٥٥]

(١) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « نرجو حاجة » .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « العوائل » .

(٣) ما أكبي زنادك ، أي ما وجدك كايا . (٤) حاشية ت (من نسخة : « عنك آجل » .

(٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « عنك المباحل » .

(٦) حاشية ت (من نسخة) : « إذا ما نردى » . (٧) وفي م : « القنا والذوابل » .

تُبَيِّنَ فِيهِ مَيْسَمُ الْعِزِّ وَالتَّقَى وَلَيْدًا يَفْدَى بَيْنَ أَيْدِي الْقَوَائِلِ

وأخبرنا علي بن محمد الكاتب قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني محمد بن الحسن البُلَغِيّ قال حدثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : قال الرشيد يوماً : يا أصمعيّ ، أتعرف للعرب اعتذاراً وندماً ؟ ودع النابغة فإنه يحتج ويعتذر ، فقلت : ما أعرف ذلك إلا لبشر بن أبي خازم الأسديّ ؛ فإنه هجا أوس بن حارثة بن لأم ، فأسره بعد ذلك وأراد قتله ، فتمالت له ٥ أمه - وكانت ذات رأي - : والله لا أحيا هجاءه لك إلا مدحه إياك ، فعفا عنه ، فقال بشر ^(١) :

إني على ما كان مِثِّي لَنَادِمٌ وإني إلى أوس بن لأمٍ لَتَائِبٌ
وَإني إلى أوسٍ لِيَقْبَلَ تَوْبَتِي وَيَعْرِفَ وَدِّي مَا حُيْتُ لِرَاغِبٌ
فَهَبْ لِي حَيَاتِي فَالْحَيَاءُ لِقَائِمٌ يَسُرُّكَ فِيهَا خَيْرٌ مَا أَنْتَ وَاهِبٌ
سَأُحْوِبُ بِمَدْحِي ^(٢) فَيْكَ إِذَا نَصَادِقٌ كِتَابَ هِجَاءٍ سَارَ إِذَا أَنَا كَاذِبٌ ١٠

فقال الرشيد للأصمعيّ : إن دولتي لَتَحْسُنَ ببقائك فيها .

وأخبرنا علي بن محمد الكاتب قال حدثنا ابن دُرَيْدٍ قال حدثنا عبد الرحمن - يعني ابن أخي الأصمعيّ - عن عمه قال : سمعت بيتين لم أحفل بهما ، ثم قال : قلت : هما على كل حال خير من موضعهما من الكتاب ، قال : فإني عند الرشيد يوماً وعنده عيسى بن جعفر ، فأقبل عليّ مسرور الكبير ، فقال : يامسرور ، كم في بيت مال السرور ؟ فقال : ما فيه شيء ، قال ١٥ عيسى : هذا بيت مال الحُزْنِ ، فاغتمّ لذلك الرشيد ، وأقبل على عيسى فقال : والله لَتُعْطِيَنَّ الأصمعيّ سلفاً على بيت مال السرور ألف دينار ، فوجّم عيسى وانكسر ، فقلت في نفسي : جاء موقع ^(٣) البيتين ، وأنشدت الرشيد :

(١) تنسب إلى الأعشى ؛ وهي في ملحقات ديوانه : ٢٣٦ . (٢) ت ، ف ، ونسخة بحاشية

الأصل : « بمدح » . (٣) ف ، ونسخة بحاشيتي الأصل : ت : « موضع » .

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَلْمَى أَخَاكَ مُعْبَسًا وَجَدَّاهُ فِي الْمَاضِينَ كَعَبٍّ وَحَاتِمٍ
فَكَشَفَهُ عَمَّا فِي يَدَيْهِ فَأَنَمَّا تُكشِفُ أَخْبَارَ الرَّجَالِ الدَّرَاهِمُ^(١)
قال: فَتَجَلَّى عَنِ الرَّشِيدِ وَقَالَ لِمَسْرُورٍ: أَعْطِهِ عَلَى بَيْتِ مَالِ الْمَسْرُورِ أَلْفَيْ دِينَارٍ، فَأَخَذَتْ
بِالْبَيْتَيْنِ أَلْفِي دِينَارٍ، وَمَا كَانَ يَسَاوِيَانِ عِنْدِي دَرَاهِمِينَ^(٢)!



(١) من نسخة بمحاشي الاصل ، ت ، ف : « احوال الرجال » .
(٢) بهذا المجلس ينتهي الجزء الأول - وهو ما لدينا من نسخة ت - وجاء في آخره : « تم نصف
الكتاب بحمد الله ومنه وفضله وحوله وطوله ، وينلوه في الجزء الثاني أوله : مجلس آخر ، تأويل آية ؛ إن
سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ ،
إن شاء الله والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله والظاهرين وسلم » .

مَجْلِسُ آخِر

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن تأويل قوله تعالى : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ [الأنبياء : ٣٧] .

الجواب ، قيل له : قد ذكر في هذه الآية وجوه من التأويل نحن نذكرها ، ونرجح الأرجح منها :

- ٥ أولها أن يكون معنى القول المبالغة في وصف الإنسان بكثرة العجلة ، وأنه شديد الاستعجال لما يؤثره من الأمور ، لهيج^١ باستدناء ما يحلب^(١) إليه نفماً ، أو يدفع عنه ضرراً ؛ ولهم عادة في استعمال مثل هذه اللفظة عند المبالغة ؛ كقولهم لمن يصفونه بكثرة النوم : ما خلقت إلا من نومٍ ، وما خلق فلان إلا من شرٍ ؛ إذا أرادوا كثرة وقوع الشر منه ؛ وربما قالوا : ما أنت إلا أكل وشرب^٢ ، وما أشبه ذلك ، قالت الخنساء تصف بقرة^(٣) :

- ١٠ تَرْتَعُ مَا غَفَلْتُ حَتَّى إِذَا ادَّكَّرْتُ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ^(٣)
- وإنما أرادت ما ذكرناه من كثرة وقوع الإقبال والإدبار منها .

ويشهد لهذا التأويل قوله تعالى في موضع آخر : ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾ ، [الإسراء : ١١] ، ويطابقه أيضاً قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ ؛ لأنه وصفهم بكثرة العجلة وأن من شأنهم فعلها ، توبيخاً لهم وتقريراً ، ثم نهاهم عن الاستعجال باستدعاء الآيات من

(١) حاشية ف (من نسخة) : « ماجر » . (٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « نافة » .

(٣) ديوانها : ٣٨ ، والاسان (سوا) ؛ وفي ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « مارعت » ؛

وهي رواية الديوان .

حيث كانوا متمكنين من مفارقة طريقتهم في الاستعجال ، وقادرين على التثبت والتأيد .

وثانيها ما أجاب به أبو عُبَيْدة وقُطْرِب بن المستنير وغيرهما من أَنَّ في الكلام قلباً ، والمعنى : خُلِقَ الْعَجَلُ مِنَ الْإِنْسَانِ ، وَاسْتُشْهِدَ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ ﴾ ؛ { آل عمران : ٤٠ } ، أَيْ قَدْ بَلَغْتُ الْكِبَرَ ، وَبِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ﴾ ؛ [الفصص : ٧٦] ، والمعنى : إِنْ الْعُصْبَةُ تَنُوءُ بِهَا ، وَتَقُولُ الْعَرَبُ : عَرَضْتُ النَّاقَةَ عَلَى الْحَوْضِ ، وَإِنَّمَا هُوَ عَرَضْتُ الْحَوْضَ عَلَى النَّاقَةِ ، وَقَوْلُهُمْ : إِذَا طَلَعَتِ الشَّعْرَى اسْتَوَى الْعُودُ عَلَى الْجِرْبَاءِ ؛ يَرِيدُونَ اسْتَوَى الْجِرْبَاءُ عَلَى الْعُودِ ؛ وَبِقَوْلِ الْأَعَشَى :

[١٥٦] لَمَحْقُوقَةٌ أَنْ تَسْتَجِيبِي لَصَوْتِهِ وَأَنْ تَعْلَمِي أَنَّ الْمَعَانَ مُوَفَّقٌ^(١)
و
يريد أن الموفق معان .

وبقول الآخر : ١٠

على العياراتِ هَدَّاجُونَ قَدْ بَلَغَتْ نَجْرَانُ ، أَوْ بَلَغَتْ سَوَاءُ تِهِمْ هَجَرٌ^(٢)
والمعنى : أَنَّ السَّوَاءَاتِ هِيَ الَّتِي بَلَغَتْ هَجَرَ .
وبقول خَدَّاشِ بْنِ زَهِيرٍ :
وَنَزَكْبُ خَيْلًا لَا هَوَادَةَ بَيْنَهَا وَتَشَقَّى الرَّمَاحُ بِالضِّيَاطِرَةِ الْحُمْرِ^(٣)

(١) ديوانه : ١٤٩ ، وفي حاشيتي الأصل ، ف : « قبله :

وإن امرأ أهداك بيني وبينه فَيَافٍ : تَنُوفَاتٌ وَيَهْمَاءُ خَيْفَقُ

للمحقوقة .. البيت ؛ يخاطب ناقة أهديت له ، فيقول لها : أنت محقوقة بأن تستجبي لصوته . تنوفات :

جمع تنوفة ؛ وهى المفازة ، وخيفق ، يخفق فيها الآل . »

(٢) البيت للأخطل ، ديوانه ١٠ ، والهدج : مشى في ارتعاش .

(٣) جهرة الأشعار : ١٩٣ ، واللسان (ضطر) . والضخام الذين لا غناء عندهم ؛ وفي

اللسان : « قال ابن سيده : يجوز أن يكون عنى أن الرماح تشق بهم ؛ أى أنهم لا يحسنون حملها ولا الطعن بها ، ويجوز أن يكون على الغالب ، أى تشق الضياطر الحمر بالرماح ؛ يعنى أنهم يقتلون بها . والهوادة : المصالحة والموادة » .

يريد تشقى الضيافة بالرماح .

وبقول الآخر :

تَمْشِي بِهِ عُوذُ النَّعَاجِ كَأَنَّهَا عَدَارَى مُلُوكٍ فِي بَيَاضِ ثِيَابٍ^(١)

يريد في ثياب بيض .

وبقول الآخر :

حَسَرْتُ كَفِّي عَنِ السَّرِّبَالِ أَخْذُهُ^(٢) فَرَدًّا يَحِزُّ عَلَى أَيْدِي الْمُفِضِينَ^(٣)

يريد حَسَرْتُ السَّرِّبَالَ عَنْ كَفِّي .

وبقول ابن أحرر :

وَجُرِّدِ طَارَ بَاطِلُهَا نَسِيلاً وَأَحْدَثَ قَمُوءُهَا شِعْراً قِصَاراً^(٤)

أراد طار نَسِيْلُهَا بَاطِلًا .

وبقول الآخر :

وَقَسْوَرَةٍ أَكْتَافُهُمْ فِي قِسْبِهِمْ إِذَا مَاشَوْا لَا يَغْمِزُونَ مِنَ النِّسَاءِ^(٥)

أى قَسْبِهِمْ فى أَكْتَافِهِمْ .

وبقول الآخر :

* وَهْنٌ مِنَ الْإِخْلَافِ وَالْوَلَعَانِ^(٦) *

أى الإخلاف والولعان منهم .

(١) العوذ : جم عائد ؛ وهى الحديثة التاج ؛ والنعجة هنا : البقرة الوحشية .

(٢) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « آخذة » . (٣) حاشية الأصل : « فردا ، يعنى

القدح » . يقال أفاض بالقدح : ضرب بها . والبيت لابن مقبل فى الميسر والقدح ١٤١ ، (٤) اللسان (قأ) .

الفسيل : ما ينسل من شعرها . وقوؤها : سمنها . (٥) القسورة : الرماة من الصيادين والغمز : الظلم .

(٦) البيت فى اللسان (ولع) ، وصدده :

* خِلَابَةُ الْعَيْنَيْنِ كَذَابَةُ الْمُنَى *

قال فى اللسان : « أى من أهل الخلف والكذب ، وجعلهن من الأخلاف لئلا يمتنعن له » .

ويبقى على صاحب هذا الجواب مع التفاوض له عن تحمّل كلامه تعالى على القلب أن يقال له : وما المعنى والفائدة في قوله تعالى : « خُلِقَ الْعَجَلُ مِنَ الْإِنْسَانِ » أتريدون^(١) بذلك أن الله تعالى خلق في إنسان العجلة؟ وهذا لا يجوز؛ لأن العجلة فعل من أفعال الإنسان، فكيف تكون مخلوقة فيه لغيره ! ولو كان كذلك لما جاز أن ينهأهم عن الاستعجال في الآية فيقول :

﴿ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ ، لأنه لا ينهأهم عما خلقه فيهم .

[١٥٦] فإن قالوا : لم يرد أنه تعالى خلقها ؛ لكنه أراد كثرة فعل الإنسان لها ؛ وأنه لا يزال /
 يستعملها .

قيل لهم : هذا هو الجواب الذي قدّمناه من غير حاجة إلى القلب والتقديم والتأخير ؛ وإذا كان هذا المعنى يتم وينتظم على ما ذكرناه من غير قلب فلا حاجة بنا إليه .

١٥ وقد ذكر أبو القاسم البلخي هذا الجواب في تفسيره ، واختاره وقوّاه ، وسأل نفسه عليه فقال : كيف جاز أن يقول : ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ ، وهو خلق العجلة فيهم ! وأجاب بأنه قد أعطاهم قُدرةً على مغالبة طباعهم وكفّها ، وقد يكون الإنسان مطبوعاً عليها وهو مع ذلك مأمور بالتثبت ، قادرٌ على أن يجانب العجلة ، وذلك كخلقه في البشر شهوة النكاح ، وأمره في كثير من الأوقات بالامتناع منه .

١٥ وهذا الذي ذكره البلخيّ تصرّيح بأن المراد بالعجل غيره ، وهو الطبع الداعي إليه ، والشهوة المتناولة له ، ويجب أيضاً أن يكون المراد بـ « من » هاهنا « في » ؛ لأن شهوة العجل لا تكون مخلوقة من الإنسان ، وإنما تكون فيه . وهذا تجوّز على تجوّز ، وتوسّع على توسّع ، لأن القلب أولاً مجاز ، ثم هو من بعيد المجاز ؛ وذكر العجل والمراد به غيره مجاز آخر ، وإقامة « من » مقام « في » كذلك ؛ على أنه تعالى إذانهاهم عن العجلة بقوله : ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ .

٢٠ أى معنى لتقديم قوله : إني خلقت شهوة العجلة فيهم ، أو الطبع الداعي إليها ؛ على ما عبّر به البلخيّ . وهذا إلى أن يكون عذراً لهم أقرب منه إلى أن يكون حجة عليهم ؛ وأيسر

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « أريد » .

الأحوال ألا يكون عذراً ولا احتجاجاً ، فلا يكون لتقديمه معنى .

وفي الجواب الأول حسن تقديم ذلك على طريق الذم والتوبيخ والتقريع من غير إضافة له إليه عز وجل ؛ فالجواب الأول أوضح وأصح .

وثالثها جوابٌ روى عن الحسن ، قال : يعنى بقوله : ﴿ مِنْ عَجَلٍ ﴾ ، أى من ضعف ، وهى النطفة المهيئة الضعيفة ، وهذا قريب إن كان فى اللغة شاهد على أن العجل يكون عبارة عن الضعف أو معناه .

ورابعها ما حكى أن أبا الحسن الأخفش أجاب به ، وهو : أن يكون المراد أن الإنسان خلق من تعجيل من الأمر ؛ لأنه تعالى قال : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ، [النحل : ٤٠] .

فإن قيل : كيف يطابق هذا الجواب قوله من بعد : ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ ؟
 قلنا : يمكن أن يكون وجه المطابقة أنهم لما استعجلوا بالآيات واستبطئوها أعلمهم تعالى^{١٥٧} أنه ممن لا يعجزه شيء إذا أراد ، ولا يمتنع عليه ؛ وأن من خلق الإنسان بلا كلفة ولا مؤنة بأن قال له : كن فكان ، مع ما فيه من بدائع الصنعة ، وعجائب الحكمة التى يعجز عنها كل قادر ، ويحار فيها كل ناظر ، لا يعجزه إظهار ما استعجلوه من الآيات .

وخامسها ما أجاب به بعضهم من أن العجل الطين ، فكأنه تعالى قال : خلق الإنسان من طين ، كما قال تعالى فى موضع آخر : ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾ ؛ [السجدة : ٧] ، واستشهد بقول الشاعر :

وَالنَّبْعُ يَنْبُتُ بَيْنَ الصَّخْرِ ضَاحِيَةً وَالنَّخْلُ يَنْبُتُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْعَجَلُ^(١)

ووجدنا قوماً يطمنون فى هذا الجواب ، ويقولون : ليس بمعروف أن العجل هو الطين ،^{٢٠} وقد حكى صاحب كتاب العين عن بعضهم أن العجل الحمأة ، ولم يستشهد عليه ، إلا أن

البيت الذي حكيناه يمكن أن يكون شاهداً له ، وقد رواه ثعلب عن ابن الأعرابي ، وخالف في شيء من ألفاظه فرواه :

والنَّبْعُ فِي الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ مِنْبَتُهُ وَالنَّخْلُ يَنْبْتُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْعَجَلِ
وإذا صحَّ هذا الجواب فوجه المطابقة بين ذلك وبين قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ ﴾
• على نحو ما ذكرناه ، وهو أن مَنْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ - مع الْحِكْمِ الظاهرة فيه - من الطين ،
لا يُعْجِزُهُ إظهار ما استعجلوه من الآيات ؛ أو يكون المعنى أنه لا يجب لمن خُلِقَ من الطين المَهِينِ ،
وكان أصله هذا الأصل الحقير الضعيف أن يهزأ برسلِ الله وآياته وشرائمه ؛ لأنه تعالى قال
قبل هذه الآية : ﴿ وَإِذْ أَرَأَيْتَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُوا نَكَالًا هُزُوءًا ، أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ
أَلَمْ تَكُنْ مِنْهُمْ ﴾ [الأنبياء : ٣٦] .

١٠ وسادسها أن يكون المراد بالإنسان آدم عليه السلام ، ومعنى ﴿ مِنْ عَجَلٍ ﴾ أى فى سرعة^(١)
من خَلَقَهُ ، لأنه لم يخلقه من نُطْفَةٍ ، ثم من عَلَقَةٍ ، ثم من مُضْغَةٍ كما خلق غيره ، وإنما ابتداء
الله تعالى ابتداءً ، وأنشأ إنشأً ، فكأنه تعالى نَبّه بذلك على الآية العجيبة فى خلقه له ، وأنه
عزَّ وجل يُرى عباده من آياته وبيناته أولاً أولاً ما تقتضيه مصالحهم وتستدعيه أحوالهم .

[١٥٧] / وسابعها ما روى عن مجاهد وغيره أن الله تعالى خالق آدم بعد خلق كل شيء آخر ،
١٥ نهار يوم الجمعة على سرعة ، معاجلاً به غروب الشمس .
وروى أن آدم عليه السلام لما نفخت فيه الروح وبلغت إلى أعالي جسده ، ولم تبلغ أسفله
قال : يارب استعجل بخلقى قبل غروب الشمس .

وثامنها ما روى عن ابن عباس والسُّدِّيَّ أن آدم عليه السلام لما خُلِقَ وجعلت الروح
فى أكثر جسده وثبَّ عجلان مبادرا إلى أثمار الجنة - وقال قوم بل هم بالوثوب - فهذا معنى
٢٠ قوله تعالى : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ .

(١) حاشية الأصل (من نسخة : « من سرعة » .

وهذه الأجوبة المتأخرة مبنية على أن المراد بالإنسان فيها آدم عليه السلام دون غيره .

قال سيدنا أدام الله تمكينه : وإني لأستحسن لمسكين الدارمي قوله ^(١) :

رُبَّ أُمُورٍ قَدْ بَرَيْتُ إِجَاءَهَا وَقَوَّمتُ مِنْ أَصْلَابِهَا ثُمَّ زُعْتُهَا ^(٢)
أَقِمْ بَدَارِ الحَرْبِ ^(٣) مَا لَمْ أَهْنُ بِهَا فَإِنْ خِفْتُ مِنْ دَارٍ هَوَانًا تَرَ كُتُهَا
وَأَصْلِحْ جُلَّ المَالِ حَتَّى تَخَالَئِي ^(٤) شَحِيحًا وَإِنْ حَقَّ عَرَانِي أَهْنُهَا
وَلَسْتُ بَوَالِاجِ البُيُوتِ لِفَاقَةٍ وَلَكِنْ إِذَا اسْتَغْنَيْتُ عَنْهَا وَلَجْتُهَا
أَبَيْتُ عَنْ الإِذْلَاجِ فِي الحَيِّ نَائِمًا وَأَرْضٌ بِإِذْلَاجٍ وَهَمٌّ ^(٥) قَطَعْتُهَا
أَلَا أَيُّهَا الجَارِي سَنِيحًا وَبَارِحًا تُعَرِّضُ نَفْسًا لَوْ أَشَاءَ قَتَلْتُهَا
تُعَارِضُ فَخَرَ الفَاحِشِينَ بِمِصْبَةٍ وَلَوْ وَضَعْتُ لِي فِي إِيَاءٍ أَكَلْتُهَا
وَإِنَّ لَنَا رِبْعِيَّةَ المَجْدِ كُلَّهَا مَوَارِثُ آبَاءِ كِرَامٍ وَرِثْتُهَا ^(٦)
إِذَا قَصُرَتْ أَيْدِي الرِّجَالِ عَنِ المُلَا مَدَدْتُ يَدِي بَاعًا عَلَيْهِمْ فَنَلْتُهَا
وَدَاعٍ دَعَانِي لِلْعُلَا فَأَجَبْتُهُ وَدَعْوَةَ دَاعٍ فِي الصَّدِيقِ خَذَلْتُهَا
وَمَكْرُمَةٍ كَانَتْ رِعَايَةً وَالدِّي فَعَلَّمْنِيهَا وَالدِّي فَعَلَّمْتُهَا ^(٧)

(١) هو ربيعة بن عامر بن أنيف ، ينتهي نسبه إلى مالك بن زيد مناة بن تميم ، شاعر شريف من سادات قومه (وانظر ترجمته وأخباره وأشعاره في الأغاني ١٨ : ٦٨ - ٧٢ ، ومعجم الأدباء ١١ : ١٢٦ - ١٣٢ ، والشعر والشعراء ٥٢٩ - ٥٣٠ ، والخزانة ١ : ٤٦٥ - ٤٧٠ ، واللاقي ١٨٦ - ١٨٧) (٢) ديوان المعاني ١ : ٧٩ . ف ، حاشية الأصل (من نسخة) ، ديوان المعاني : « رشتها » وفي حاشية الأصل (من نسخة أخرى) : « رعتها » . وفي حاشيتي الأصل ، ف : « في الصحاح : زاع بعيره أي حركه إلى قدام يستزيد سيره ؛ قال ذو الرمة :

وَخَافِقِ الرَّأْسِ فَوْقَ الرَّجْلِ قُلْتُ لَهُ زُعْ بِالزَّمَامِ وَجَوْزُ اللَّيْلِ مَرَكُومُ

ومن رواه « زع » ، [بفتح الزاي] فقد أخطأ ؛ لأنه لا يأمره بالكف .

(٣) د ؛ « الحزن » ، ف ، وديوان المعاني : « الحزم » . (٤) ديوان المعاني : « حسبتي » .

(٥) هم ؛ أي همة . (٦) حاشية الأصل : « ربعية المجد : أوله وأجوده ؛ كربعية النتاج خيره »

ومن نسخة بحاشية الأصل : « موارث آباء » . (٧) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « فعملتها » .

وعوراء من قيل امرئ ذي قرابة
 / رَجَاةً غَدٍ^(٢) أَنْ يَعْطِفَ الرَّحْمُ بَيْنَنَا
 إِذَا مَا أُمُورُ النَّاسِ رَمَتْ وَضُيِّعَتْ
 وَإِنِّي سَأَلْتَنِي اللَّهَ لَمْ أَرْمِ حُرَّةً
 وَلَا قَازِفٌ نَفْسِي وَنَفْسِي بَرِيَّةً
 تَصَامَمْتُ عَنْهَا بَعْدَ مَا قَدْ سَمِعْتُهَا^(١)
 وَمَظْلَمَةٌ مِنْهُ بَجَنِّي عَرَكَتُهَا
 وَجَدْتُ أُمُورِي كُلَّهَا قَدْ رَمَتْهَا^(٣)
 وَلَمْ تَتَمَنِّ^(٤) يَوْمَ سِرِّ فُخْنَتِهَا
 وَكَيْفَ اعْتَذَارِي بَعْدَ مَا قَدْ قَذَفْتُهَا

[١٥٨]
و

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا أبو ذر القراطيسي قال حدثنا عبيد الله بن محمد
 ابن أبي الدنيا قال حدثنا عبد الرحمن بن صالح الأزدي أن رجلاً من الأنصار حدثه قال قال
 مسكين الدارمي :

ولست إذا ما سرّني الدهر ضاحكاً
 ١٠ وَلَا جَاعِلًا عِرْضِي لِمَالِي وَقَايَةً
 أَعِفُّ لَدَى عُسْرِي وَأُبْدِي تَجَمُّلاً
 وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي إِذَا كُنْتُ مُعْسِراً
 وَأَقْطَعُ إِخْوَانِي وَمَا حَالَ عَهْدُهُمْ
 فَإِنْ يَكُ عَارًا مَا أَتَيْتُ فَرْبًا
 ١٥ وَمَنْ يَفْتَقِرْ يَلْمَ مَكَانَ صَدِيقِهِ
 وَلَا خَاشِعًا مَا عِشْتُ مِنْ حَادِثِ الدَّهْرِ^(٥)
 وَلَكِنْ أَقَى عِرْضِي فَيُخْرِزُهُ وَفَرِي
 وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَعِفُّ لَدَى الْعُسْرِ
 صَدِيقِي وَإِخْوَانِي بَأَنْ يَلْعَلُوا فَقَرِي
 حَيَاءً وَإِعْرَاضًا، وَمَا بَى مِنْ كِبَرٍ
 أَنَّى الْمَرءُ يَوْمَ السُّوءِ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي
 وَمَنْ يَحْيَى لَا يَمْدَمُ بِلَاءً مِنَ الدَّهْرِ^(٦)

ومن مستحسن قوله :

إِنْ أُدْعَ مَسْكِينًا فَمَا قَصَرْتُ قِدْرِي مُبِيتُ الْحَيِّ وَالْجَدْرُ

(١) العوراء هنا : الكلمة الفبيجة . (٢) د ، ف ، وحاشية الأصل ، وديوان المعاني : « رجاء
 غد » . (٣) رمتها : أصلتها . (٤) د ، ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « لم تأمنني » .
 (٥) أبيات منها في معجم الأدباء ١١ : ١٢٩ ، والآلي : ١٨٦ ، وكنایات الجرجاني : ١٠ ، ٥٧ .
 (٦) حاشية الأصل : (من نسخة) : « ومن يفن » .

وقيل : إن مسكيننا ليس باسمه ، وإنما اسمه ربيعة ، وإنما سمى بذلك لقوله :

وَسُمِّيتُ مِسْكِينًا وَكَانَتْ لَجَاجَةً وَإِنِّي لِمِسْكِينٌ إِلَى اللَّهِ رَاغِبٌ ^(١)

— ومعنى : قصرت قدرى ، أى : سترت ، يريد أنها بارزة لا تحجبها السواتر والحيطان —

مَا مَسَّ رَحْلِي الْعَنْكَبُوتُ وَلَا جَدَّيَاتُهُ مِنْ وَضْعِهِ غُبْرُ

وهذه كناية مليحة عن مواصلة السير وهجر الوطن ، لأن العنكبوت إنما تنسج على

ملا تناله / الأبدى ولا يكثر استعماله ، والجديات : جمع جدية ، وهى باطن دفة الرحل . ^[١٥٨] ط

لَا آخُذُ الصَّبَّانَ الشَّمَمَ وَالْأَمْرُ قَدْ يُغَيِّرُ ^(٢) بِهِ الْأَمْرُ

— يقول : لا أقبل الصبي ؟ وأنا أريد التعريض بأمه .

ومثله لغيره :

وَلَا أُلْقِي لِنَدَى الْوَدَعَاتِ سَوْطِي ^(٣) أَلَاعِبُهُ ^(٤) وَرَبِّتُهُ ^(٥) أُرِيدُ ١٠

وأنشد ابن الأعرابي مثله :

إِذَا رَأَيْتَ صَبِيَّ الْقَوْمِ يَلْتَمُهُ ضَنْخُ الْمَنَاقِبِ لَا عَمَّ وَلَا خَالَ
فَاحْفَظْ صَبِيَّكَ مِنْهُ أَنْ يُدْنِسَهُ وَلَا يَغُرَّنْكَ يَوْمًا قَلَّةُ الْمَالِ ^(٦)

— رجع إلى تمام القصيدة —

وَلَرُبَّ يَوْمٍ قَدْ تَرَكْتُ وَمَا بَيْنِي وَبَيْنَ لِقَائِهِ سِتْرُ ١٥
وَمُخَاصِمٍ ^(٧) قَاوَمْتُ فِي كَبْدٍ مِثْلِ الدَّهَانِ فَكَانَ لِي الْعَذْرُ ^(٨)

(١) الشعر والشعراء : ٥٢٩ . (٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « يعزى » .

(٣) م : « صوتى » . (٤) د : « لألته » ، ومن نسخة بحاشية ف : « لألته » .

(٥) د ، ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « وربته » ، أى أمه التى تربته . والودعات :

الحرزات . (٦) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « كثرة المال » .

(٧) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « ومقام » . (٨) فى حاشيتي الأصل ، ف : « إنما

يكون العذر إذا كان ثم ظلم ، فيقول : إنما أقاوم وأخاصم مظلوماً متمدى عليه ، وإذا كان كذلك ، فيجب الاعتذار على الظالم ؛ ويكون العذر لى ، كقوله :

فَإِنْ كَانَ سِجْرًا فَاعْذِرْنِي عَلَى الْهَوَى وَإِنْ كَانَ دَاءً غَيْرَهُ فَلَكَ الْعَذْرُ

— و يروى : « القَمَر » ، والكَبَد : المنزلة التي لا تثبت فيها الأرجل ، والدهان

الأديم الأحمر —

مَا عَلَّتِي ^(١) ! قَوْمِي بَنُو عُدُسٍ وَهُمْ الْمُلُوكُ وَخَالِي الْبَشَرُ ^(٢)
عَمِّي زُرَّارَةٌ غَيْرَ مُنْتَحِلٍ وَأَبِي الَّذِي حُدَّتْهُ عَمْرُو
فِي الْمَجْدِ غُرَّتْنَا مَبِينَةٌ لِلنَّاطِرِينَ كَأَنَّهَا الْبَدْرُ
لَا يَرَهَبُ الْجِيرَانُ غَدْرَتَنَا حَتَّى يُوَارِيَ ذِكْرَنَا الْقَبْرُ
لَسْنَا كَأَقْوَامٍ إِذَا كَلَحَتْ إِحْدَى السَّنِينَ فَجَارُهُمْ تَمَرُ

— أَى يَسْتَعْلَى النَّدَرُ بِهِ كَمَا يُسْتَحْلَى التَّمَرُ —

مَوْلَاهُمْ لِحْمٌ عَلَى وَضَمٍ تَنْتَابُهُ الْعِقْبَانُ وَالنَّسَرُ
نَارِي وَنَارُ الْجَارِ وَاحِدَةٌ وَآلِهِ قَبْلِي تُنْزَلُ الْقِدْرُ

يقال : إنه كان له امرأة تماظه ، فلما قال ذلك قالت له : أجل ؛ إنما ناره و نارك واحدة ، لأنه / [١٥٩]

أوقد ولم توقد ، والقِدْرُ تنزل إليه قبلك ؛ لأنه طبخ ولم تطبخ ، وأنت تستطعمه .

مَا ضَرَّ جَارِي إِذْ أُجَاوِرُهُ أَنْ لَا يَكُونَ لِبَيْتِهِ سِتْرُ

— قال : ويقال إنها قالت له في هذا البيت أيضا : أجل إن كان له سِتْرُهُ هَتَكَتُهُ —

أَعْمَى إِذَا مَا جَارَتِي خَرَجْتُ حَتَّى يُوَارِيَ جَارَتِي الْخِذْرُ
وَيَصْمُ عَمَّا كَانَ بَيْنَهُمَا سَمِعِي وَمَا بِي غَيْرُهُ وَقُرُ

وأنشد عمر بن شبة لسكين أيضا :

لَا تَجْمَلَنِي كَأَقْوَامٍ عَلِمَتْهُمْ ^(٣) لَمْ يَظْلَمُوا لَبَةً يَوْمًا وَلَا وَدَجًا ^(٤)

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « ما عابني » . (٢) من نسخة في حاشيتي الأصل ، ف : « هو مسكين بن عامر بن أنيف بن شريح بن عمرو بن عمرو بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم ؛ فهذا عدس وعدس أبو زرارة ، مثل قم ؛ وقال ابن دريد : يقال عدس وعدس » ، بضم الدال وفتحها .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « لا تجمليني كأقوام علمتهم » .

(٤) حاشية الأصل : « أَى لم ينحروا للأضياف فيطعنوا في لبة أو ودج » .

إِنِّي لِأَغْلَاهُمُ بِاللَّحْمِ قَدْ عَلِمُوا نَيْثًا، وَأَرْخَصُهُم بِاللَّحْمِ إِذْ نَضِجَا
أَنَا ابْنُ قَاتِلِ جَوْعِ الْقَوْمِ قَدْ عَلِمُوا إِذَا السَّمَاءُ كَسَتْ آفَاقَهَا رَهَجًا^(١)
يَارُبَّ أُمَرَيْنِ قَدْ فَرَّجْتُ بَيْنَهُمَا إِذَا هَا نَشَبَا فِي الصَّدْرِ وَاعْتَلَجَا^(٢)
أَدِيمُ خُلُقِي لِمَنْ دَامَتْ خَلِيقَتُهُ وَأَمَزُجُ الْحُلُوفِ أَحْيَانًا لِمَنْ مَزَجَا
وَأَقْطَعُ الْخَرْقَ بِالْخَرْقَاءِ لَاهِيَةً إِذَا الْكَوَاكِبُ كَانَتْ فِي الدُّجَى سُرُجًا^(٣) ٥
مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ أَمْرٍ فَأَكْرَهُهُ إِلَّا سَيَجْعَلُ لِي مِنْ بَعْدِهِ فَرَجًا
مَا مَدَّ قَوْمٌ بِأَيْدِيهِمْ إِلَى شَرَفٍ إِلَّا رَأَوْنَا قِيَامًا فَوْقَهُمْ دَرَجًا
وَأُنْشِدُ أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبُ لَهُ :

أَضَاحِكُ ضَيْفِي قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ وَلَمْ يُلْهِنِي عَنْهُ غَزَالٌ مُقَنَّعٌ
أَحَدْتُهُ إِنْ الْحَدِيثَ مِنَ الْقَرَى وَتَعَلَّمْتُ نَفْسِي أَنَّهُ سَوْفَ يَهْجَعُ ١٠
ومثله لغيره :

أَضَاحِكُ ضَيْفِي قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ وَيُنْخَصِبُ عِنْدِي وَالْمَكَانُ جَدِيبُ
وَمَا الْخَصِيبُ لِلْأَضْيَافِ أَنْ يَكْثُرَ الْقَرَى وَلَكِنَّمَا وَجْهُ الْكَرِيمِ خَصِيبُ
ومعنى :

١٥ * أَحَدْتُهُ إِنْ الْحَدِيثُ مِنَ الْقَرَى *

أى أصبر على حديثه ، وأعلم أنه سوف ينام ، ولا أعرض بمحادثته / فأكون قد محقت [١٥٩] قراى ؛ والحديث الحسن من تمام القرى .

وقال الأصمعي : أحسن ما قيل في الغيرة قول مسكين الدارمي :
أَلَا أَيُّهَا الْغَائِرُ الْمُسْتَشْيِطُ عَلَامَ تَغَارُ إِذَا لَمْ تَغَرَّ

(١) الرهج : الغبار . (٢) اعتلج . اضطرب .

(٣) الحزن : المفازة الواسعة ، والخرقاء : الناقة السريعة .

فَمَا خَيْرُ عَرَسٍ إِذَا خِفَتْهَا وَمَا خَيْرُ بَيْتٍ إِذَا لَمْ يُزَرَ^(١)
تَعَارَوْا عَلَى النَّاسِ أَنْ يَنْظُرُوا وَهَلْ يَفْتِنُ الصَّالِحَاتِ النَّظَرُ
فَإِنِّي سَأُخْلِ لَهَا بَيْتَهَا فَتَحْفَظُ لِي نَفْسَهَا أَوْ تَذَرُ
إِذَا اللَّهُ لَمْ يُعْطِهِ وَدَّهَا فَإِنَّ يُعْطَى الْوَدَّ سَوْطٌ مُمَرَّ
وَمَنْ ذَا يُرَاعَى لَهُ عَرَسُهُ إِذَا ضَمَّهُ وَالْمِطَى السَّفَرُ !

قال المرتضى رضى الله عنه: وكان مسكين كثير اللهج بالقول في هذا المعنى ، فمن ذلك قوله:

وَإِنِّي أَمْرُو لَا آلفُ الْبَيْتَ قَاعِدًا إِلَى جَنْبِ عَرْسِي لَا أُفَرِّطُهَا شِبْرًا
وَلَا مَقْسِمٌ لَا أَبْرَحُ الدَّهْرَ بَيْنَهَا لَا أَجْعَلُهُ قَبْلَ الْمَاتِ لَهَا قَبْرًا
إِذَا هِيَ لَمْ تُحْصِنْ أَمَامَ فَنَائِهَا فَلَيْسَ بِمُنْجِيهَا إِنَّمَا لَهَا قَصْرًا
وَلَا حَامِلِي ظَنِّي وَلَا قَبِيلُ قَائِلٍ^(٢) عَلَى غِيْرَةٍ حَتَّى أُحِيطَ بِهَا نُجْبَرًا
فَهَبْنِي أَمْرًا رَاعَيْتُ مَا دُمْتُ شَاهِدًا فَكَيْفَ إِذَا مَا سِرْتُ مِنْ بَيْتِهَا شَبْرًا
وَأُنْشِدُ أَبُو الْعَبَّاسِ^(٣) عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ لِمَسْكِينٍ :

مَا أَحْسَنَ الْغَيْرَةَ فِي حِينِهَا وَأَقْبَحَ الْغَيْرَةَ فِي كُلِّ حِينٍ^(٤)
مَنْ لَمْ يَزَلْ مُتَّهِمًا عَرْسَهُ مُنَاصِبًا فِيهَا لَوْ هُمْ الظُّنُونُ
بُوشِكُ أَنْ يَغْرِيَهَا بِالذِّى يَخَافُ ، أَوْ يَنْصَبُهَا لِلْعُمُيُونِ
حَسْبُكَ مِنْ تَحْصِينِهَا ضَمُّهَا مِنْكَ إِلَى خُلُقِ كَرِيمٍ وَدِينٍ
لَا تَظْهَرَنَّ مِنْكَ عَلَى عَوْرَةٍ فَيَتَّبَعَ الْمُقْرُونُ حَبْلَ الْقَرِينِ^(٥)

(١) حاشية الأصل : « للسؤال » . (٢) حاشية الأصل (من نسخه) : « وإن قال قائل »

(٣) ف : « أبو العيناء » . (٤) حاشية الأصل (من نسخه) : « غير حين » .

(٥) حاشية الأصل : « أى إياك أن تطلع المرأة منك على زنا وريبة ؛ فإنها أ يضاترنى أو تفعل كما فعلت »

مَجْلِسُ آخِرِ

تَأْوِيلُ آيَةٍ

/إن سأل سائل عن قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ [١٦٠] و
لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ الشُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا
الْمُخْلِصِينَ ۖ﴾ [يوسف : ٢٤] .

فقال : هل يسوغُ ما تأوَّل بعضهم هذه الآية عليه من أن يوسفَ عليه السلام عزمَ
على المعصية وأرادَها ، وأنه جلسَ مجلسَ الرجل من المرأة ، ثم انصرفَ عن ذلك بأن رأى
صورةَ أبيه يعقوبَ عليه السلام عاضاً على إصبعه ، متوقداً له على واقعة المعصية ، أو بأن نُوديَ
له بالنهي والزجر في الحال على ما ورد به الحديث ؟

الجواب ، قلنا : إذا ثبت بأدلة العقول التي لا بدَّ خلُّها الاحتمالُ والمجازُ ووجوه التأويلات
أنَّ المعاصيَ لا تجوز على الأنبياء عليهم السلام صرفنا كل ماورد ظاهره بخلاف ذلك من
كتابٍ أو سنة إلى ما يطابق الأدلة ويوافقها ، كما نفعل مثل ذلك فيما يرد ظاهره مخالفاً لما
تدل عليه العقول من صفاته تعالى ، وما يجوز عليه أو لا يجوز .

ولهذه الآية وجوه من التأويل ؛ كلُّ واحدٍ منها يقتضي نزاهة نبي الله تعالى من العزم على
الفاحشة وإرادة المعصية .

أولها أنَّ الهمَّ في ظاهر الآية متعلِّق بما لا يصح أن يعلِّق به العزم أو الإرادة على الحقيقة ؛
لأنه تعالى قال : ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ ، فمتعلِّق الهمُّ بهما ، وذاتهما لا يجوز أن يُراد
أو يمزَم عليهما ؛ لأنَّ الوجود الباقي لا يصحَّ ذلك فيه ، فلا بدَّ من تقدير محذوفٍ يتعلَّق
العزم به ؛ وقد يمكن أن يكون ما تعلَّق به همُّه إنما هو ضربُها أو دفعُها عن نفسه ، كما

يقول القائل : كنت هممت بفلان ، وقد همَّ فلان بفلان ؛ أى بأن يوقع به ضرباً أو مكروها .

فإن قيل : فأى معنى لقوله تعالى : ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ والدفعُ لها عن نفسه طاعةً لا يصرف البرهان عنها ؟

٥ قلنا : يمكن أن يكون الوجه في ذلك أنه لما همَّ بدفعها وضربها أراه الله برهاناً على أنه إن أقدم على ما همَّ به أهلكه أهلها وقتلوه ، أو أنها تدعى عليه المراودة على القبيح وتقذِفه [١٦٠] بأنه دعاها إليه ، وأنَّ ضربه لا يستنأها ، فيظنُّ به ذلك من لا تأمل له ، ولا علم بأنَّ مثله لا يجوز عليه ، فأخبر الله تعالى بأنه صرَّف بالبرهان عنه السوء والفحشاء ، ويعنى بذلك القتل والمكروه اللذين كانا يوقعان به ، لأنهما يستحقان الوصف بذلك من حيث القبح ، أو ١٠ يُعنى بالسوء والفحشاء ظنُّهم به ذلك .

فإن قيل : هذا الجواب يقتضى أنَّ جواب ﴿لَوْلَا﴾ يتقدَّمها ، ويكون التقدير : لولا أن رأى برهان ربِّه لهمَّ بضربها ودفعها ، وتقدَّم جواب ﴿لَوْلَا﴾ قبيح غير مستعمل ، أو يقتضى أن تكون ﴿لَوْلَا﴾ بغير جواب .

١٥ قلنا : أما تقدَّم جواب ﴿لَوْلَا﴾ فجأز ، وسندكر ما فيه عند الجواب المختص بذلك ، غير أنَّنا لا نحتاج إليه في هذا الجواب ، لأنَّ الهمَّ بالضرب قد وقع ، إلا أنه انصرف عنه بالبرهان ؛ والتقدير : ولقد هممت به وهمَّ بدفعها لولا أن رأى برهان ربِّه لفعل ذلك ، فالجواب في الحقيقة محذوف ، والكلام يقتضيه ، كما حذف الجواب في قوله تعالى : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ؛ [النور : ٢٠] ، معناه : ولولا فضل الله عليكم ورحمته لهلكتم ، ومثله : ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ . كَرَّوْنَا الْجَحِيمَ﴾ ؛ [التكاثر : ٥ ، ٦] ، معناه : لو تعلمون علمَ اليقين لم تتنافسوا في الدنيا ، وتفاخروا بها ؛ وقال أمرؤ القيس :

فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ سَوِيَّةً وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تَسَاقُطُ أَنْفُسًا^(١)

أراد : فلو أنها نفسٌ تموت سويةً لا نقضت وفنيت ، فحذف الجواب ؛ على أن مَنْ تأول هذه الآية على الوجه الذى لا يليق بنبيّ الله تعالى ، وأضاف العزم على المصيبة إليه لا بد له من تقدير جواب محذوف ، ويكون التقدير عنده : ولقد هممت بالزنا وهم به ؛ لولا أن رأى برهان ربه لفعله .

فإن قيل قوله : ﴿ هَمَّ بِهَا ﴾ كقوله : ﴿ هَمَّتْ بِهِ ﴾ فلم جعلتم هَمَّها به متعلقاً بالقبيح وهمَّه بها متعلقاً بما ذكرتم من الضرب وغيره ؟

قلنا : أما الظاهر فلا يدلُّ على ما تعلق به الهم والعزم فيهما جميعاً ، وإنما أثبتنا هَمَّها به متعلقاً بالقبيح ، لشهادة الكتاب والآثار ؛ وهى ممن يجوز عليه فعل القبيح ، ولم يؤمن دليلٌ من امتناعه عليها ؛ كما أمن ذلك فيه عليه السلام .

والموضع الذى يشهد بذلك من الكتاب قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ، [يوسف : ٣٠] ، وقوله تعالى : ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾ [يوسف : ٢٣] ، وقوله تعالى : ﴿ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ^(٢) وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [يوسف : ٥١] ، وفى موضع آخر : ﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾ [يوسف : ٢٢] .

(١) ديوانه : ١٤٠ ، وروايته : « تموت جميعة » . وفى حاشية الأصل : « وروى : « تساقط » [بضم التاء] ، وساقط بوزن فاعل متعد ؛ ويكون « أنفسا » مفعولاً ؛ وإذا روى : « تساقط » [بفتح التاء] جاز أن يكون « تفاعل » متعدياً ؛ والمعنى : أسقط . ويجوز أن يكون غير متعد أيضاً ؛ و « أنفسا » نصبت على الحال ، كقوله تعالى : ﴿ تَسَاقَطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴾ ، أى تساقط عليك ثمر النخلة رطباً ، وقال الفراء : هو تميز ، وكلاهما حسن . ويجوز إذا كان حالاً أن يفيد كثرة الرطب على الخدع فكانها إذا تساقطت رطباً .

(٢) حاشية الأصل : « معنى ﴿ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ﴾ ؛ أى طلبت منه أن ينزل عن نفسه فيسلمها منى ؛ هذا هو حقيقه هذه الكلمة ؛ فاختصر » .

والآثار واردة بإطباق مفسري القرآن ومتأوليّه على أنها همت بالفاحشة والمعصية .

والوجه الثاني في تأويل الآية أن يُحمل الكلام على التقديم والتأخير ، ويكون تلخيصه :
ولقد همت به ، ولولا أن رأى برهان ربه لَهَمَّ بها ؛ ويجرى ذلك بحرى قولهم : قد كنتَ
هَلَكْتَ لولا أنى تداركتك ، وقُتِلْتَ لولا أنى خلصتُك ، والمعنى : لولا تداركى لهلكت ،

ولولا تخليصى لقتلت ، وإن لم يكن وقع هلاك ولا قتل ؛ قال الشاعر :

فَلَا يَدْعُنِي قَوْمِي صَرِيحًا لِحِرَّةٍ لَئِنْ كُنْتُ مَقْتُولًا ، وَيَسْلَمَ عَامِرُ^(١)

وقال آخر :

فَلَا يَدْعُنِي قَوْمِي صَرِيحًا لِحِرَّةٍ لَئِنْ لَمْ أُعَجَّلْ طَعْمَةً أَوْ أُعَجَّلْ^(٢)

فقدم جواب ﴿لَوْ لَا﴾ في البيتين جميعاً ، وقد استشهد عليه أيضا بقوله تعالى : ﴿لَوْ لَا
فَضَّلُ اللَّهُ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ﴾ ، والهمّ لم يقع لمكان فضل
الله ورحمته .

ومما يشهد لهذا التأويل أن في الكلام شرطاً ، وهو قوله تعالى : ﴿لَوْ لَا أَنْ رَأَى
بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ ؛ فكيف يحتمل على الإطلاق ، مع حصول الشرط ؟ وليس لهم أن يجهلوا
جواب ﴿لَوْ لَا﴾ محذوفاً مقدراً لأن جعل جوابها موجوداً أولى .

وقد استبعد قوم تقديم جواب ﴿لَوْ لَا﴾ عليها ، قالوا : ولو جاز ذلك لجاز : « قام زيدٌ
لولا عمرو » ، و« قصدتك لولا بكرٌ » وقد بيّنا بما أوردناه من الأمثلة والشواهد جواز
تقديم جواب ﴿لَوْ لَا﴾ ، والذي ذكره لا يشبه ما أجزناه .

وقد يجوز أن يقول القائل : « قد كان زيد قام لولا كذا وكذا » ، و« قد كنت قصدتك لولا

أن صدّنى فلان » ، وإن لم يقع قيام ولا قصد ؛ وهذا هو الذي يشبه الآية ؛ وليس تقديمُ

(١) صريحاً : خالص النسب . (٢) م :

فَلَا يَدْعُنِي قَوْمِي لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ لَئِنْ لَمْ أُعَجَّلْ ضَرْبَةً أَوْ أُعَجَّلْ

وفي حاشية الأصل : « في نسخة من البيت الثاني مقدم على الأول » .

جواب ﴿لَوْلَا﴾ بِأَبَعَدَ من حذف جواب ﴿لَوْلَا﴾ جُمْلَةً من الكلام . وإذا جاز عندهم الحذف - لثلا يلزمهم تقديمُ الجواب - جاز لغيرهم تقديمُ الجواب حتى لا يلزم الحذف .

والجواب الثالث ما اختاره أبو عليّ الجبائيّ - وإن كان غيرُهُ قد تقدمه إلى معناه - وهو أن يكون معنى ﴿هَمَّ بِهَا﴾ اشتهاها، ومال طبعه إلى مادته إليه . وقد يجوز أن تسمّى الشهوة في مجاز اللغة هَمًّا ؛ كما يقول القائل فيما لا يشتهيه : ليس هذا من همّي ، وهذا أحمُّ الأشياء إلى ؛ ٥ ولا قبسَ في الشهوة لأنها من فعل الله تعالى فيه ؛ وإنما يتعلق القُبسُ بتناول المشتهى . وقد روى هذا التأويل عن الحسن البصريّ قال : أما همُّها فكان أخبثَ الهمِّ ، وأما همُّه فما طُبِعَ عليه الرجال من شهوة النساء ، ويجب على هذا الوجه أن يكون قوله تعالى : ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ ، متعلق بمحذوف ؛ كأنه قال : لولا أن رأى برهان ربه لَعَزَمَ أَرَفَعَلَ .

١٠

والجواب الرابع ، أن من عادة العرب أن يسمّوا الشيء باسم ما يقع عنده في الأكثر ، وعلى هذا لا يُنكر أن يكون المراد بـ ﴿هَمَّ بِهَا﴾ خطرَ بباله أمرُها^(١) ، ووسوس إليه الشيطان بالدعاء إليها ؛ من غير أن يكون هناك همٌّ أو عزمٌ ، فسمّي الخطور بالبال هَمًّا من حيث كان الهمُّ يقع في الأكثر عنده ، والعزم في الأغلب يتبعه .

وإنما أنكرنا ما ادّعاه جهلة المفسرين ومُخرّفو القصّاص ، وقرّفوا به نبي الله عليه السلام ، لما ١٥ في العقول من الأدلة على أن مثل ذلك لا يجوز على الأنبياء عليهم السلام ؛ من حيث كان منفراً عنهم ، وقادحاً في العَرَضِ المجرى إليه بإرسالهم ؛ والقصة تشهد بذلك ؛ لأنه تعالى قال : ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ ؛ ومن أكبر السوء والفحشاء العزمُ على الزنا ، ثم الأخذ فيه ، والشروع في مقدماته ؛ وقوله تعالى أيضاً : ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ يقتضى تنزيهه

(١) س : « ما خطر بباله أمرها » .

عن الهم بالزنا ، والعزم عليه . وحكايته عن النسوة قولهن : ﴿ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ﴾ [يوسف : ٥١] ، تدل أيضا على براءته من القبيح .

فأما البرهان الذي رآه فيحتمل أن يكون لطفًا لطف الله له به في تلك الحال أو قبلها ، اختار عنده الانصراف عن المعاصي ، والتنزه عنها .

[١٦٢] ويحتمل أيضا / ما ذكره أبو علي ، وهو أن يكون البرهان دلالة الله تعالى له على تحريم ذلك عليه ، وعلى أن من فعله يستحق العقاب . وليس يجوز أن يكون البرهان ما ظنّه الجهال من رؤية صورة أبيه يعقوب عليه السلام متوعدًا له ، أو النداء له بالزجر والتخويف ، لأن ذلك يُنافي المحنة ، وينقض الغرض بالكليف ، ويقتضى ألا يستحق على امتناعه وانزجاره مدحًا ولا ثوابًا ؛ وهذا سوء ثناء على الأنبياء ، وإقدام على قرفهم بما لم يكن منهم ، ونحمد الله على حسن التوفيق . ١٠

روى أحمد بن عبد الله بن العباس الصوليّ الملقب بطماس قال : كنت يوماً عند عمي إبراهيم بن العباس^(١) ، فدخل عليه رجل فرفعه حتى جلس إلى جانبه ، أو قريباً من ذلك ، ثم حادثه إلى أن قال عمي : يا أبا تمام ؛ ومن بقي ممن يُعتصم به ويلجأ إليه ؟ قال : أنت لا عِدْمَتَ - وكان إبراهيم طويلاً - أنت والله كما قيل :

يَمْدُ نِجَادِ السَّيْفِ حَتَّى كَأَنَّهُ ١٥
بِأَعْلَى سَنَامِي فَالْجِ يَتَطَوَّحُ
وَيُدْلِجُ فِي حَاجَاتِ مَنْ هُوَ نَائِمٌ
وَيُورِي كَرِيَمَاتِ النَّدَى حِينَ يَقْدَحُ
إِذَا اعْتَمَّ بِالْبُرْدِ الْيَمَانِي خِلْتَهُ
هَلَالًا بَدَا فِي جَانِبِ الْأَفْقِ يَلْهَجُ
يَزِيدُ عَلَى فَضْلِ الرِّجَالِ فَضِيلَةً
وَيَقْصُرُ عَنْهُ مَدْحُ مَنْ يَتَمَدَّحُ

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول ، شاعر مجيد ؛ توفي سنة ٢٤٣ ، وله ديوان شعر ، نشره الأستاذ عبد العزيز الميعني ؛ ضمن مجموعة الطرائف سنة ١٩٣٧ م . (وانظر ترجمته في الأغاني ٢٠٩ - ٣٣ ، وابن خلكات ١ : ٩ - ١١ ، ومعجم الأدباء ، ١ : ١٦٤ - ١٩٨ ، وتاريخ بغداد ٦ : ١١٧) .

فقال له إبراهيم: أنت تحسن قائلًا، وراويًا، ومتمثلًا؛ فلما خرج تبعته وقلت له: أكتبني الأبيات، فقال: هي لأبي الجويرية العبدى^(١) نخذها من شعره .

وروى عن يحيى بن البحتري قال: رأيت أبي يُذاكر جماعة من أمراء أهل الشام بعمان من الشعر، فمرّ فيها ذكر قلة نوم العاشق وما قيل فيه، فأنشدوا إنشادات كثيرة، فقال لهم أبي: قد فرغ من هذا كاتب كان بالعراق فقال:

أَحْسِبُ النُّوْمَ حَسَكَا إِذْ رَأَى مِنْكَ جَفَاً كَا^(٢)
مَنَى الصَّبْرُ وَمِنْكَ أَلْ هَجَرُ فَا بُلُغْ بِي مَدَا كَا
بَعْدَتْ هِمَّةُ عَيْنٍ طَمِعَتْ فِي أَنْ تَرَآ كَا
أَوْ مَا خُطَّ لِعَيْنِي أَنْ تَرَى مَنْ قَدَرَ آ كَا
لَيْتَ حَظِّي مِنْكَ أَنْ تَعْلَمَ مَا بِي مِنْ هَوَا كَا

قال أبي: /إنه تصرّف في معاني من الشعر في هذه الأبيات، قال: وكتبها عنه جماعة من^[١٥٨] حضر؛ والأبيات لإبراهيم بن العباس الصولى.

وأخبرنا على بن محمد السكاتب قال أخبرنا محمد بن يحيى الصولى قال: لما بايع المأمون لعلى ابن موسى الرضا عليهما السلام بالعهد، وأمر الناس بلبس الخضرة صار إليه دُعبل^(٣) بن على

(١) اسمه عيسى بن أوس بن عصبه؛ أبو جويرية العبدى؛ شاعر محسن متمكن؛ ذكره الآمدى في المؤلفات والمختلف: ٧٩، والرزبانى فى المعجم: ٢٥٨ .

(٢) ديوان إبراهيم بن العباس: ١٤٨ .

(٣) هو دُعبل بن على الخزاعى، شاعر مطبوع؛ كان هجاء خبيث اللسان؛ ولم يسلم من لسانه أحد ممن عاصره من الخلفاء والوزراء ولا من أولادهم وأولاد أولادهم؛ ولا ذو نباهة؛ أحسن إليه أو لم يحسن، وكان من مشاهير الشيعة؛ قال ياقوت «وقصيدته النائية فى أهل البيت من أحسن الشعر وأسنى المدائح، قصدها على بن موسى الرضا بنجراسان، فأعطاه عشرة آلاف درهم، وخلع عليه بردة من ثيابه، فأعطاه بها أهل قم ثلاثين ألف درهم فلم يبهما؛ ففقطعوا عليه الطريق ليأخذوها فقال لهم: لأنها تراد لله =

وإبراهيم بن العباس الصولي - وكانا صديقين لا يفترقان ، فأنشده دِعْبِلُ :
مَدَارِسُ آيَاتٍ خَلَتْ مِنْ تِلَاوَةٍ وَمَنْزِلٌ وَحْيٍ مُتَقَرُّ الْعَرَاصِ (١)

وأنشده إبراهيم بن العباس على مذهبا قصيدة ، أولها :

أَزَالَتْ عَزَاءَ الْقَلْبِ بَعْدَ التَّجَلُّدِ مَصَارِعُ أَوْلَادِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

قال : فوهب لها عشرين ألف درهم من الدراهم التي عليها اسمه ، وكان المأمون أمر بضربها في ذلك الوقت ؛ فأمدعبل بن علي فصار بالشطر منها إلى قم ، فاشتري أهلها منه كل درهم بعشرة ، فباع حصته بمائة ألف درهم .

= عزوجل ؛ وهي محرمة عليكم ؛ فدفعوا له ثلاثين ألف درهم ، فحلب ألا يبيعها أو يعطوه مذهبها يسكون في كفته ، فأعطوه كما واحدا ؛ فكان في أكفانه ؛ ويقال : إنه كتب القصيدة في ثوب وأحرم فيه ؛ وأوصى بأن يكون في أكفانه ، ونسخ هذه القصيدة مختلفة ، في بعضها زيادات ؛ يظن أنها مصنوعة ، وتوفي دعبل سنة ٢٤٦ .

(وانظر ترجمته في معجم الأدباء ١١ : ١٩ : ١١٢ ، وابن خلكان ١ : ١٧٩ - ١٨٠ ، والأغاني ١٨ : ٢٩ - ٣٢ ، وتاريخ بغداد ٨ : ٣٨٢) .

(١) القصيدة في معجم الأدباء ، وتنوير الأبصار : ١٤١ ، ١٤٢ ؛ ومطلعها فيه :

ذَكَرْتُ مَحَلَّ الرَّبْعِ مِنْ عَرَافَاتٍ وَأَجْرِيْتُ دَمْعَ الْعَيْنِ بِالْعِبْرَاتِ
وَفَكَّ عُرَى صَبْرِي وَهَاجَتْ صَبَابَتِي رَسُومُ دِيَارٍ أَقْفَرَتْ وَعِرَاتِ
مَدَارِسُ آيَاتٍ

وفيه يقول :

أَلَمْ تَرَ أَنِي مِنْ ثَلَاثِينَ حِجَّةً	أُروِحُ وَأَعْدُو دَائِمَ الْحَسَرَاتِ
أَرَى فِيهِمْ فِي غَيْرِهِمْ مَتَقَسَّمًا	وَأَيْدِيهِمْ مِنْ فِيهِمْ صَفِرَاتِ
فَالرَّسُولِ اللَّهِ نُحِفُ جَسُومُهُمْ	وَأَلْ زِيَادِ حُفْلُ الْقَصَرَاتِ
بَنَاتُ زِيَادِ فِي الْقُصُورِ مَصُونَةٌ	وَأَلْ رَسُولِ اللَّهِ فِي الْفَلَوَاتِ
إِذَا وَتَرُوا مَدُّوا إِلَى أَهْلِ وَتَرِهِمْ	أَكْفَمًا عَنِ الْأَوْتَارِ مَنَقِبُضَاتِ
فَلَوْلَا الَّذِي أَرْجُوهُ فِي الْيَوْمِ أَوْغِدِ	لَقُطِّعَ قَلْبِي إِثْرَهُمْ حَسَرَاتِ

وأما إبراهيم بن العباس فلم يزل عنده بعضها حتى مات؛ قال الصولي: ولم أنف من قصيدة إبراهيم على غير هذا البيت .

قال: وكان السبب في ذهاب هذا الفن من شعره ما حدثني به أبو العباس أحمد بن محمد بن الفرات والحسين بن عليّ الباقطاني^(١) قالا: كان إبراهيم بن العباس صديقاً لإسحاق بن إبراهيم أخى زيدان الكاتب المعروف بالزمن، فأنسخه شعره في عليّ بن موسى الرضا عليهما السلام، وقد انصرف من خراسان، ودفع إليه شيئاً بخطه منه، وكانت النسخة عنده إلى أن ولي المتوكل، وولي إبراهيم بن العباس ديوان الضياع، وقد كان تباعد ما بينه وبين أخى زيدان، فعزله عن ضياع كانت في يده بمخوان وغيرها وطلبه بمالٍ وألح عليه، وأساء مطايبته، فدعا إسحاق بعض من يثق به من إخوانه، وقال له: امض إلى إبراهيم بن العباس، فأعلمه أن شعره في عليّ بن موسى بخطه عندي، وبغير خطه، والله لئن استمرّ على ظلمي^(٢)، ولم يُزل عني المطالبة لأوصان الشعر ١٠ إلى المتوكل؛ قال: فصار الرجل إلى إبراهيم بن العباس، فأخبره بذلك، فاضطرب اضطراباً شديداً، وجعل الأمر / في ذلك إلى الوسطة في ذلك حتى أسقط جميع ما كان طالبه به، وأخذ [١٦٣] الشعر منه، وأحلفه أنه لم يبق عنده منه شيء، فلما حصل عنده أحرقه بحضرته .

وذكر أبو أحمد يحيى بن عليّ المنجم أن أباه عليّ بن يحيى كان الوسطة بينهما .
قال الصولي: وما عرفت من شعر إبراهيم في هذا المعنى شيئاً إلاّ أبياتاً؛ وجدت بها بخط أبي ١٥ قال: أنشدني أخى لعمه في عليّ بن موسى من قصيدة :

كفى بفعّالٍ امرئٍ عالمٍ على أهله عادلاً شاهداً^(٣)
أرى لهم طارفاً مؤنقاً ولا يُشبههُ الطّارِفُ التّالداً
يُمنُّ عليكم بأموالكم وتُمطّون من مائةٍ واحداً

(١) حاشية الأصل : الباقطان : قرية بالعراق ، والنسبة إليها باقطانى ؛ وم أيضاً قرية يقال لها باقطينا ؛ والنسبة إليها باقطينى . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « ظلمه » .
(٣) ديوانه : ١٧٢ ، ومن نسخة بحاشية الأصل : « على قومه عادلاً » .

فلا حمَدَ اللهُ مستنصرًا^(١) يكونُ لأعدائكمُ حامدا
فضلتَ قسيمك في قعدُدٍ^(٢) كما فضلَ الوالدُ الوالدَا

قال الصولئ : فنظرت في قوله :

* فضلتَ قسيمك في قعدُدٍ *

٥ فوجدت علي بن موسى عليهما السلام والمأمون متساويين في قعدُدِ النسب، وهاشم التاسع من آبائهما جميعاً .

وروى الصولئ أن منشداً أنشد إبراهيم بن العباس وهو في مجلسه في ديوان الضياع :
ربّما تكررهُ النفوسُ من الأمِ رِله فرجةٌ كحلّ العقالِ^(٣)
قال : فنكت بقلمه ساعة ثم قال :

١٠ وكرّب نازلةً يضيّقُ بها الفتى ذرعاً وعندَ اللهٍ منها مخرجُ^(٤)
كملتَ فلما استحكمت حلقاتُها فرجتُ وكانَ يظنُّها لا تُفرَجُ
فمجب من جودة بديهته .

وأخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرني محمد بن يحيى الصولئ قال حدثني القاسم بن إسماعيل أبو ذكوان الراوية قال : كنت بالأهواز أيام الواثق، وإبراهيم بن العباس ١٥ بلي معونتها وخراجها ، فوصفت له بالأدب فأمر بإحضاري ، فلما دخلت عليه قرّب مجلسي [١٦٣] وقال : تسكّف^(٥) أنس المطاولة؛ فإن الاستمتاع لا يتم إلاّ به، فانبسطت وتساءلنا / عن الأشعار، ظ
فأرأيت أحداً قط أعلم بالشعر منه، فقال لي : ما عندك في قول النابغة :

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : ❦ فلا حمَدَ اللهُ مُستنصرٌ ❦

(٢) حاشية الأصل : « في قعدُد » تتعلق بقسيمك ، والقعدُد : الأقرب إلى الأب الأكبر ، وفلان أقعد من فلات نسباً إذا كان أقرب إلى الأب الأكبر . (٣) البيت لأمية بن أبي الصلت ؛ وهو في شعراء النصرانية : ٢٠٣ ، واللسان (فرج) . والفرجة ؛ بالفتح مصدر ؛ وبالضم اسم ، والرواية بالفتح . (٤) ديوانه : ١٧١ . (٥) حاشية الأصل : تسلف ؛ أي خذه سلفاً ؛ يعني أنك ستنبسط إلىّ بعد المطاولة ؛ فخذ ذلك سلفاً وانبط .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً تَرَى كُلَّ مَلَكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَبُ^(١)
فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبٌ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَوَكَبٌ

فقلت : أراد تفضيله على الملوك ، فقال : صدقت ، ولكن في الشعر خَبٌّ^(٢) ، وهو أنه اعتذر إلى النعمان من ذهابه إلى آل جفنة إلى الشام ، ومَدَحِهِ لَهُمْ ، وقال : إنما فعلت هذا لجفائك بي ، فإذا صلحت لي لم أَرِدْ غيرك ، كما أن مَنْ أضاءت له الشمس لم يحتج إلى ضوء الكواكب ؛ ه فأتى بمعنيين : بهذا ، وبتفضيله ، قال : فاستحسنْتُ ذلك منه .

وكان إبراهيم بن العباس من أصدق الناس لأحمد بن أبي دؤاد ، فعتب على ابنه أبي الوليد من شيء قدَّمه ، ومدح أباه وأحسن في التخلّص كل الإحسان فقال :

عَفَّتْ مَسَاوِي تَبَدَّتْ مِنْكَ وَاضِحَةً عَلَى مُحَاسِنَ بَقَاها أَبُوكَ لَكَا^(٣)
لَنْ تَقْدَّمَ أَبْنَاءُ الْكِرَامِ بِهِ لَقَدْ تَقَدَّمَ أَبْنَاءُ اللَّثَامِ بِكَ ١٠

ولإبراهيم :

تَمَرُ الصَّبَا صَفْحًا بَسَا كَنَ ذِي الْغَضَا وَيَصْدَعُ قَلْبِي أَنْ يَهَبَّ هُبُوبُهَا^(٤)
قَرِيبَةُ عَهْدٍ بِالْحَبِيبِ وَإِنَّمَا هَوَى كُلِّ نَفْسٍ حَيْثُ كَانَ حَبِيبُهَا
تَطْلَعُ مِنْ نَفْسِي إِلَيْكَ نَوَازِعُ عَوَارِفُ أَنْ الْيَأْسَ مِنْكَ نَصِيبُهَا
وأخذ هذا من قول ذي الرُّمَّة :

إِذَا هَبَّتِ الْأَرْوَاحُ مِنْ نَحْوِ جَانِبٍ بِهِ آلٌ مَيَّ هَاجَ شَوْقِي هُبُوبُهَا^(٥)
هَوَى تَذْرِفُ الْعَيْنَانِ مِنْهُ ، وَإِنَّمَا هَوَى كُلِّ نَفْسٍ حَيْثُ كَانَ حَبِيبُهَا
ولإبراهيم :

دَنْتُ بِأَنَاسٍ عَنْ تَنَاءِ زِيَارَةٍ وَشَطَّ بَلِيلِي عَنْ دَنَوٍ مَزَارُهَا^(٦)
وَإِنَّ مَقِيمَاتٍ بِمَنْقَطَعِ اللَّوَى لِأَقْرَبُ مِنْ لَيْلَى وَهَاتِيكَ دَارُهَا ٢٠

(١) ديوانه : ١٣ . (٢) الحب : ماخبي واستتر ، كالخبي . (٣) ديوانه : ١٦٢ .

(٤) ديوانه : ١٣٩ . (٥) ديوانه : ٦٥ - ٦٦ .

(٦) ديوانه : ١٤٥ ، وفي حاشية الأصل : « يروى البيتان لمحمد بن عبد الملك الزيات » .

[١٦٤]

/ وأخذ ذلك من قول النظار الفقعسي :

يَقُولُونَ هَذِي أُمُّ عَمْرٍو قَرِيبَةٌ دَنَتْ بِكَ أَرْضٌ نَحْوَهَا وَسَمَاءُ
أَلَا إِنَّمَا بُعِدُ الْحَبِيبِ وَقُرْبُهُ إِذَا هُوَ لَمْ يَوْصَلْ إِلَيْهِ سَوَاءُ

ووجدت بعض أهل الأدب يظنّ أن إبراهيم بن العباس سبق إلى هذا المعنى في قوله :

كُنْ كَيْفَ شِئْتَ وَأَنْتَ تَشَا وَأَبْرِقْ يَمِينًا وَأَرْعِدْ شِمَالًا^(١)
نَجَابِكَ لَوْ مُكَّ مِنْجَى الذُّبَابِ حَمَتُهُ مَقَاذِيرُهُ أَنْ يُنَالَا^(٢)

حتى رأيت مُسلم بن الوليد قد سبق إلى هذا المعنى ، فأحسن غاية الإحسان فقال :
أَمَّا الْمَهْجَاءُ فَدَقَّ عِرْضُكَ دُونَهُ وَالْمَدْحُ عَنْكَ كَمَا عَلِمْتَ جَلِيلُ^(٣)
فَاذْهَبْ فَأَنْتَ طَلِيقُ عِرْضِكَ إِنَّهُ عِرْضُ عَزَزْتَ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلُ

(١) ديوانه : ١٦٣ . (٢) من نسخة بحاشية الأصل : « مقاذره » .

(٣) ملحقات ديوانه : ٢٤٢ .

مَجْلِسٌ ٣٧ آخِرُ

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى حاكياً عن يوسف عليه السلام : ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ ، [يوسف : ٢٣] .

فقال : إذا كانت المحبةُ عندكم هي الإرادة، فهذا تصريح من يوسف عليه السلام بإرادة المعصية؛ لأن حبسه في السجن، وقطعه عن التصرف معصيةٌ من فاعله ؛ وقبيح من المقدم عليه ؛ وهو في القُبْحِ يجري مجرى ما دُعِيَ إليه من الزنا . وقوله من بعد : ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ ﴾ يدل على أن امتناعه من القبيح ^(١) مشروط بمنعهنَّ وصرْفهنَّ^(٢) عن كَيْدِه ؛ وهذا بخلافِ مذهِبكم ، لأنكم تذهبون إلى أن ذلك لا يقع منه ؛ صرْفَ النِّسْوةِ عن كَيْدِه، أو لم يصرفهنَّ .

الجواب، قلنا: أما قوله: ﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ ففيه وجهان من التأويل :

أولهما أن المحبةَ متعلقةٌ في ظاهر الكلام بما لا يصحُّ في الحقيقة أن يكون محبوباً مراداً؛ لأنَّ السجن إنما هو الجسم، والأجسام لا يجوز أن يريدوها؛ وإنما يريد الفعلَ فيها ، أو المتعلقَ بها ؛ والسجن نفسه ^(٢) ليس / بطاعة ولا معصية ، وإنما الأفعالُ فيه قد تكون طاعاتٍ [١٦٤]^ط ومعاصي بحسب الوجوه التي يقع عليها؛ وإدخالُ القومِ يوسفَ عليه السلام الحبسَ ، أو إكراههم له على دخوله معصية منهم ؛ وكونه فيه وصبره على ملازمته ، والمشاqq التي تناله باستيطانه ١٥ طاعةً منه وقربةً ، وقد علمنا أن ظالماً لو أكره مؤمناً على ملازمة بعض المواضع ، وترك

(١-١) د ، ف : « مشروط بمنعهم وصرْفهم » .

(٢) حاشية ف (من نسخة) : « وحده » .

التصرف في غيره لكان فعلُ المُكره حسناً، وإن كان فعلُ المُكره قبيحاً. وهذه الجملة تبين
الآثارَ في الآية^(١) يقتضى ما عنده؛ وأنه لا بدّ من تقدير محذوف يتعلق بالسّجن؛ وليس
لهم أن يقدّروا ما يرجع إلى الحابس من الأفعال؛ إلّا ولنا أن تقدّر ما يرجع إلى المحبوس؛
وإذا احتمل الكلام الأمرين، ودلّ الدليل على أن النّبي عليه السلام لا يجوز أن يريد المعاصي
والقبائح اختصّ المحذوف المقدّر بما يرجع إليه مما ذكرناه، وذلك طاعة لا لوم على مریده
وُحْبِهِ.

فإن قيل: كيف يجوز أن يقول: ﴿السّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾، وهو لا يحبّ
ما يدعوّه جملةً؛ ومن شأن هذه اللفظة أن تدخلَ بين ما وقع^(٢) فيه اشتراكٌ في معناها؛ وإن
فُضِّلَ البعض على البعض؟

١٠ قلنا: قد تستعمل هذه اللفظة في مثل هذا الموضع؛ وإن لم يكن في معناها اشتراكٌ على
الحقيقة، إلّا ترى أن من خيّرَ بين ما يحبه وما يكرهه جازٍ أن يقول: هذا أحبُّ إليّ
من هذا، وإن لم يجزُ مبتدئاً أن يقول من غير أن يُخيّر: هذا أحبُّ إليّ من هذا، إذا كان
لا يُحبُّ أحدهما جملةً!

وإنما يسوغ ذلك على أحد الوجهين دون الآخر؛ من حيث كان الخيّر بين الشيئين لا يُخيّر
١٥ بينهما إلّا وهما مرادان له، أو مما يصحّ أن يريدتهما، فموضوع التخيير يقتضى ذلك،
وإن حصل فيما ليس هذه صفته، والمجيب على^(٣) هذا متى قال: كذا أحبُّ إليّ من
كذا كان مُجيباً على ما يقتضيه موضوع التخيير، وإن لم يكن الأمران يشتركان في تناول
محَبَّتِهِ.

وما يقارب ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾؛ [الفرقان . ١٥]، ونحن
٢٠ نعلمُ إلّا خيرَ في المقاب؛ وإنما حسن ذلك لوقوعه موقعَ التوبيخ والتفريع على اختيار

(١) حاشية ف (من نسخة): «للاية». (٢) حاشية ف (من نسخة): «يقع».

(٣) حاشية ف (من نسخة): «عن هذا».

المعاصي على الطاعات ، وأنهم ما ركبوا المعاصي وآثروها على الطاعات إلا لاعتقادهم^(١) أن
فيها خيرا / ونفعاً ، فقل : أذلك خير على ما تظنونه وتمتدونه ، أم كذا وكذا ؟ [١٦٥]

وقد قال قوم في قوله تعالى : ﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ ﴾ إنما حسن ذلك لاشتراك
الحالين في باب النزلة ، وإن لم يشتركا في الخير والنفع ، كما قال تعالى : ﴿ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ
مَقِيلًا ﴾ ؛ [الفرقان : ٢٤] ، ومثل هذا يتأتى في قوله تعالى : ﴿ رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ ﴾
لأنَّ الأمرين - بمعنى المعصية ودخول السجن - مشتركان في أن لكل منهما داعياً ، وعليه
باعثاً ، وإن لم يشتركا في تناول المحبة ، فجعل اشتراكهما في داعي المحبة اشتراكا في المحبة نفسها
وأجرى اللفظ على ذلك .

ومن قرأ هذه الآية بفتح السين فالتأويل أيضاً ما ذكرناه ؛ لأن «السَّجْنَ» المصدر ، فيحتمل أن
يريد : أن سَجَنِي لهم نفسي ، وصبري على حبسهم أحبُّ إليَّ من مواجهة المعصية ؛ ولا يرجع
بالسجن إلى فعلهم بل إلى فعله .

والوجه الثاني أن يكون معنى ﴿ أَحَبُّ إِلَيَّ ﴾ أى أهون عندي وأسهل على ؛ وهذا كما
يقال لأحدنا في الأمرين يكرههما معا : إن فعلت كذا وإلا فُعل بك كذا وكذا ؛ فيقول : بل
كذا أحبُّ إليَّ ، أى بـمـنى أسهل وأخفُّ ، وإن كان لا يريد واحدا منهما ؛ وعلى هذا الجواب
لا يمتنع أن يكون إنما عَنَى فعلهم به دون فعله ، لأنه لم يخبر عن نفسه بالمحبة التي هي الإرادة ؛
وإنما وضع ﴿ أَحَبُّ ﴾ موضع أخف ، والمعصية قد تكون أهون وأخف من أخرى .

وأما قوله : ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ ﴾ فليس المعنى فيه على ما ظنّه
السائل ؛ بل المراد : متى لم تلطف لي مما يدعونني إلى مجانبة المعصية ، ويثنييني إلى تركها
ومفارقتها صوبتُ ؛ وهذا منه عليه السلام على سبيل الانقطاع إلى الله تعالى ، والتسليم لأمره ،
وأنه لولا معونته ولطفه ما نجا من كيدهنَّ ؛ ولا شبهة في أن النبي عليه السلام إنما يكون
٢٠

(١) حاشية ف (من نسخة) : « لاعتقادهم » .

معصوماً من القبايح بعصمة الله تعالى له وبلطفه وتوفيقه .

فإن قيل: الظاهر خلاف ذلك لأنه قال: ﴿وَالْإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ فيجب أن يكون المراد ما يمنعهم من الكيد ويرفعه ؛ والذي ذكرتموه من انصرافه عن المعصية لا يقتضى ارتفاع الكيد والانصراف عنه .

[١٦٥] قلنا: معنى الكلام: وإلا تصرف/ عنى ضرر كيدهن والغرض به ؛ لأنهن إنما أجرين بكيدهن إلى مساعدته لمن على المعصية ، فإذا عصم منها ولطف له في الانصراف عنها؛ فكان الكيد قد انصرف عنه ولم يقع به ، من حيث لم يقع ضرره وما أجرى به إليه ، ولهذا يقال لمن أجرى بكلامه إلى غرض لم يقع: ما قلت شيئاً ، ولمن فعل مالا تأثير له: ما فعلت شيئاً ، وهذا بين بحمد الله ومنه .

تأويل خبر

١٠ إن سأل سائل عن تأويل الخبر الذى يرويه عُقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال فى خطبة طويلة خطبها: « من يتبع المشمة يشمّع الله به » .

والجواب ، إن المشمة هى الضحك والمزاح واللعب ، يقال: شمّع الرجل يشمّع شموعاً ، وامرأة شموع إذا كانت كثيرة المزاح والضحك : قال أبو ذؤيب يصف الحمير :

بقرارِ قيمانٍ سقاها وإبلٌ واهٍ فأنجمَ برهةً لا يُقلعُ^(١)
فلينَ حيناً يعتلجنَ بروضةٍ فيجدُ حيناً فى العلاجِ ويشمّعُ^(٢)

١٥ أراد أن هذا الحمار الذى وصف حاله مع الأتن ، وأنه ممهنّ فى بعض القيمان يُبارك هذه الأتن .

(١) ديوان الهذليين ١ : ٥ . الفرار : مستقر الماء . والقيمان : مناقع الماء فى حر الطين ؛ وفى حاشيتي الأصل ، ب : « سقاها ، أى سقى القيمان واه ؛ أى سحاب كثير المطر ؛ وهذه استعارة ؛ أى كأن هذا السحاب ضعيف فينهل عنه الماء انهلالاً . وأنجم : أقام برهة ؛ أى مدة من الزمان لا يقلع ولا يذهب » .
(٢) حاشية الأصل : « يروى ، « بروضة » ، والضمير للبعير الذى بصفه ، أو للقرار ، أو للوابل » .

ومعنى « يَمْتَلِجُنْ » يُعَاضُ بعضها بعضاً ، ويتراخُنْ من النشاط فيجدُ الفحل معهنَّ مرةً ، وأخرى يأخذ معهنَّ في اللعب فيسمع ، وفي يجد لغتان : يَجِدُ وَيُجِدُ ، والفتوح لغة هذيل ؛ ويقال فلان جادٌ مُجدٌّ على اللغتين معاً .

وقيل إن معنى يَشْمَعُ الحمار أنه يَتَشَمَّعُ ، ثم يرفع رأسه فيكشِّر عن أسنانه ، فجمل ذلك بمنزلة الضحك ، قال الشماخ :

ولو أني أشاءُ كُنْتُ نَفْسِي إِلَى لَبَّاتِ بَهْكَمَةٍ شَوْعٍ^(١)

وقال المتنخل الهذلي :

وَلَا وَاللَّهِ نَادَى الْحَيُّ ضَيْفِي هَدَوْءًا بِالْمَسَاءَةِ وَالْمِلَاطِ^(٢)
سَأَبْدُوهُمْ بِشَمْعَةٍ وَأُنِّي بِجَهْدِي مِنْ طَعَامٍ أَوْ بَسَاطِ

أراد بقوله « نادى الحى ضيفي » أى لا ينادونه ، من النداء بالسوء والمكروه ولا يتلقونه بما لا يؤثِّر / . وَالْمِلَاطُ : من أَعْلَطَه واعتلط به ؛ إذا خاصمه وشاغبه ووسمه بالشر ؛ وأصله من [١٦٦] عِلَاط البعير ، وهو وَسَمٌ في عنقه .

وقيل إن معنى « نادى الحى » من النادى ؛ أى لا يجالسونه بالمكروه والسوء .

ومعنى « سأبدوهم بمشمة » أى بلعب وضحك ، لأن ذلك من علامات الكرم والسرور

بالضيف ، والقصد إلى إيناسه وبسطه ، ومنه قول الآخر :

وَرُبَّ ضَيْفٍ طَرَقَ الْحَيَّ سُرَى صَادَفَ زَادًا وَحَدِيثًا مَا اشْتَهَى

إِنَّ الْحَدِيثَ جَانِبٌ مِنَ الْقَرَى^(٣)

وروى الأصمعي عن خالف الأحمر قال : سُنَّةُ الأعراب أنهم إذا حدَّثوا الرجل الغريبَ

(١) ديوانه : ١٧ ؛ وروايته : « هيكلة » ؛ وهى الضخمة . وكنت نفسى : سترتها . ولبات :

جمعية ؛ وهى موضع الفلاة ؛ والبهكنة : الغضة الحسنة الخلق .

(٢) ديوان الهذليين ٢ : ٢١ . (٣) الأبيات للشماخ يقولها فى عبد الله بن جعفر ، وقبلها :

إِنَّكَ يَا بَنَ جَعْفَرٍ نَعَمَ الْفَتَى وَنَعَمَ مَاوَى طَارِقٍ إِذَا أَتَى

وانظر الأغاني ٩ : ١٦٨ (طبع دار الكتب المصرية) .

وهشوا إليه ومازحوه أيقن بالقري ، وإذا أعرضوا عنه عرف الحرمان .

ومعنى : « أثنى * بجهدى من طعام أو بساط » ، أى أتبع ذلك بهذا .

ومعنى الخبر على هذا أن مَنْ كان من شأنه العبث بالناس والاستهزاء بهم ، والضحك منهم أصاره الله تعالى إلى حالة يُعبث به فيها ، ويستَهْزَأُ منه .

٥ ويقارب هذا الحديث من وجه حديث آخر ؛ وهو ما زوى عن النبي صلى الله عليه وآله : « مَنْ يُسَمِّعِ النَّاسَ بِعَمَلِهِ يُسَمِّعِ اللَّهُ بِهِ » ؛ والمعنى : مَنْ يراى ^(١) بأعماله ويظهرها تقرباً إلى الناس واتخاذاً للمنازل عندهم ؛ يشهره ^(٢) الله بالرياء ويفضحه ويهتكه .

ويمكن أيضا فى الخبر الأول وجه آخر لم يذكر فيه ؛ وهو أن من عادة العرب أن يسموا الجزاء على الشيء باسمه ؛ ولذلك نظائر فى القرآن وأشعار العرب كثيرة مشهورة ، فلا يُنكر ١٠ أن يكون المعنى : مَنْ يَتَّبِعِ اللّهُوَ بالناس ، والاستهزاء بهم يعاقبه الله تعالى على ذلك ويجازيه ؛ فسمى الجزاء على الفعل باسمه ؛ وهذا الوجه أيضا ممكن فى الخبر الثانى .

أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانى قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن بن أخى الأصمعى عن عمه قال : إني لفي سوق ضريبة ^(٣) ، وقد نزلت على رجل من بنى كلاب كان متزوجا بالبصرة ، [١٦٦] وكان له ابن بضريبة ، إذ أقبلت عجوز على ناقة لها ، حسنة البزة ، فيها بقايا جمال ، فأناخت ^ط ١٥ وعقلت ناقها ، وأقبلت تتوكأ على محجن ^(٤) لها فجلست قريبا منا ، وقالت : هل من منشد ؟ فقلت للكلابى : أيحضرك شيء ؟ قال : لا ، قال : فأنشدتها شعر البشر بن عبد الرحمن الأنصارى :
وقصيرة الأيام ودّ جلسيها لو باع مجلسها بفقد حميم ^(٥)

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « من براء » .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « يشهره » ، بالجزم . (٣) ضريبة : قرية بنجد فى طريق مكة من البصرة . (٤) المحجن : عصا معوجة معقفة الرأس ؛ فى رأسها حديدة كالملاق .

(٥) الأبيات فى الحماسة - بشرح التبريزى ٣ : ٣٠١ ، وأمالى القالى . ٢٠٣ : ١ ، من غير عزو . مع اختلاف فى الترتيب . والبيت الأول منها فى اللسان (ردع) منسوب إلى قيس بن معاذ مجنون بنى عامر . وفى الحماسة : « لو نال مجلسها » ، وفى أمالى القالى : « لو دام مجلسها » .

(١) مِنْ مُحَدِّثَاتِ أَخِي الْهُوَيِّ غُصَصِ الْجَوَى^(١) بدلالٍ غانيةٍ ومُقلِّةٍ ريمٍ
صَفَرَاءُ مِنْ بَقَرِ الْجَوَاءِ كَأَنَّمَا خَفَرُ الْحَيَاءِ بِهَا رُدَاعُ سَقِيمٍ^(٢)
قال : فُجِئت على رُكْبَتَيْهَا وأقبلت تحرش^(٣) الأرض بمحجَّيْهَا ، وأنشأت تقول^(٤) :
قَفِي يَا أَمِيمَ الْقَلْبِ^(٥) تَقْرَأُ تَحِيَّةً ونَشْكُ الْهُوَيِّ ، ثم افعلى ما بدا لك^(٦)
فلَوَ قُلْتَ : طَأْ فِي النَّارِ أَعْلَمُ أَنَّهُ^(٧) هَوَى لَكَ ، أَوْ مُدْنٍ لَنَا مِنْ وَصَالِكَ^٥
لَقَدَّمْتُ رِجْلِي نَحْوَهَا فَوَطِئْتُهَا^(٨) هُدًى مِنْكَ لِي ، أَوْ ضَلَّةً مِنْ ضَلَالِكَ^(٩)
سَلَى الْبَانَةَ الْعَلِيَّامِينَ الْأَجْرَعِ^(٩) الَّذِي بِهِ الْبَانُ : « أَهْلُ حَيَّتْ أَطْلَالِ دَارِكَ^(١٠)
وَهَلْ قُمْتُ فِي أَطْلَالِهَا عَشِيَّةً^(١١) مَقَامَ سَقِيمِ الْقَلْبِ^(١١) ، واخترتُ ذَلِكَ

(١-١) مِنْ نسخة بحاشيتي الأصل ، ف :

* مِنْ مُحَدِّثَاتِ أَخِي الْأَسَى غُصَصِ الْهُوَيِّ *

(٢) الجواء : موضع بعثات . (٣) تحرش : تضرب عليها ؛ من حرش الضب ، والحرش

كالحرش وهو الخدش .

(٤) الأبيات لابن الدمينه ؛ ديوانه : ١٥ ، وأمالى الزجاجي ١١٠ عن ابن الأعرابي ، وأمالى

القالى ٢ : ٣٣ عن ابن دريد ، ومعاهد التنصيص ١ : ١٥٩ ؛ وهى أيضا فى الحماسة - بشرح التبريزي

٣ : ٢٦٣ ، من غير عزو . (٥) حاشية الأصل : « أضافها إلى القلب كرامة لها وإعجاباً بها » .

(٦) فى حاشيتي الأصل ف : « الأحسن أن يقال : « بدالك » بكسر اللام لتتوازن القوافي ،

والعلة فيه مجاورة كسرة الكاف كقراءة من قرأ : ﴿ مِمَّا خَطِيئَاتُهُمْ ﴾ ، وكقوله تعالى : ﴿ عَتِيًّا ﴾ ، و﴿ صِلِيًّا ﴾ .

(٧) حاشية الأصل (من نسخة) : « أنها » .

(٨ - ٨) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف :

* سُرُورًا لِأَنِّي قَدْ خَطَرْتُ بِبَالِكَ *

(٩ - ٩) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « سلى البانة الفيناء بالأجرع » ، وهى رواية

الحماسة . والفيناء : الشجرة العظيمة الواسعة الظل . والأجرع : السهل المختلط بالرمل .

(١٠ - ١٠) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « هل حيت أطلال ضالك » ، والضال : شجر .

(١١ - ١١) من نسخة بحاشية الأصل ، ف : « قيام سقيم البال » .

لِيَهْنِكَ^(١) إِمْسَاكِ بِكَفِّي عَلَى الْحِشَا وَرَقْرَاقُ عَيْنِي^(٢) رَهْبَةً^(٣) مِنْ زِيَالِكَ
 قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : فَأَظْلَمْتُ وَاللَّهِ عَلَى الدُّنْيَا بِحُلَاوَةِ مَنْطِقِهَا ، وَفَصَاحَةِ لَهْجَتِهَا ؛ فَدَنَوْتُ مِنْهَا
 فَمَلْتُ : نَشَدْتُكَ اللَّهُ لَمَّا زَوَّدْتَنِي^(٤) مِنْ هَذَا ! فَرَأَيْتُ الضَّحْكَ فِي عَيْنِهَا ، وَأَنْشَدَتْ :
 وَمُسْتَخْفِيَاتٍ لَيْسَ يَخْفَيْنَ زُرْنَنَا يُسَجِّينَ^(٥) أَذْيَالِ الصَّبَابَةِ وَالشَّكْلِ^(٦)
 جَمْعَنَ^(٧) الْهَوَى حَتَّى إِذَا مَا مَلَكَهُ نَزَعَنَ ، وَقَدْ أَكْثَرَنَ فِينَا مِنَ الْقَتْلِ
 مَرِيضَاتٍ رَجَعَ الْقَوْلُ^(٨) خُرْسٍ عَنِ الْخَنَا

تَأَلَّفَنَ أَهْوَاءَ الْقُلُوبِ بَلَا بَذَلٍ
 مَوَارِقُ مِنْ خَتَلِ الْحَبِّ ، عَوَاطِفٍ بِخَتَلِ ذَوَى الْأَلْبَابِ بِالْجِدِّ وَالْهَزْلِ^(٩)
 يُعْتَفْنِي الْعَدَالُ فِيهِنَّ ، وَالْهَوَى يُحَذِّرُنِي مِنْ أَنْ أُطِيعَ ذَوَى الْعَدْلِ

١٠ أما قول الأنصاري « وقصيرة الأيام » فأراد بذلك أن السرور يتكامل بحضورها لحسنها
 [١٦٧] / وطيب حديثها فنقص أيام جلسها ، لأن أيام السرور موصوفة بالقصر .

ويمكن أن يريد بقصيرة الأيام أيضا حدائة سنّها وقرب عهد مولدها ؛ وإن كان الأول
 أشبه بما أتى في آخر البيت .

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « ليهنك » ؛ وهي رواية الحماسة .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « ورقراق دمع » .

(٣) بعد هذا البيت في ف :

لئن ساءني أن نلتني بمساءة لقد سرني أني خطرت بيالك
 وهو أيضا في حاشية الأصل .

(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « زودتني » ومن نسخة أخرى . « زدتي » .

(٥) من نسخة بمحاشيتي الأصل ، ف : « ويسجين »

(٦) الأبيات في أمالي الفالي ٢ : ٢٨٧ غير منسوبة (٧) من نسخة بمحاشيتي . الأصل :

« بلغن » (٨) من نسخة بمحاشيتي الأصل ، ف : « الطرف » .

(٩) في حاشيتي الأصل ، ف : « أي لا يخلطن المحب ، بل يخلطن ذوى الألباب » .

ومعنى:

* لوباعٌ مجاسها بفقد حميم *

أى ابتاعه ، وهذا اللفظ من الأضداد؛ لأنه يستعمل فى البائع والمشتري معاً ، قال الفراء:
سمعت أعرابياً يقول : بَعُ لى تمرأ بدرهم ، أى اشترى لى تمرأ بدرهم ، وقال الشاعر :

فَيَا عَزُّ لَيْتَ النَّأَى إِذْ حَالَ بَيْنُنَا وَبَيْنَكَ بَاعَ الْوَدَّ لِي مِنْكَ تَا جَرُ (١)
أى ابتاع .

وقوله : « من مُحْذِيَاتِ أَخِي الْمَوَى » أى من مُعْطِيَاتِ ، يقال : أَحْذَيْتَ الرَّجُلَ مِنَ
الْعُطِيَّةِ (٢) وَالْغَنِيْمَةِ أَحْذِيهِ إِذَا أُعْطِيْتَهُ ، وَالْأَسْمُ الْحَذِيَّةُ وَالْحَذْوَةُ وَالْحُذْيَا ؛ كُلُّ ذَلِكَ الْعُطِيَّةُ .
وقوله :

١٠ * كَأَنَّمَا خَفَرُ الْحَيَاءِ بِهَا رُدَّاعٌ سَقِيمٌ *

فالرُدَّاعُ هو الوجع فى الجسد ؛ فَكَأَنَّهُ أَرَادَ أَنَّهَا مَنْقَبِضَةٌ مَنَكْسِرَةٌ مِنَ الْحَيَاءِ كَالسَّقِيمِ ،
أَوْ يَرِيدُ تَغْيِيرَ لَوْنِهَا وَصَفَرَتِهَا (٣) كَمَا يَتَغَيَّرُ لَوْنُ السَّقِيمِ ؛ وَيَجْرَى ذَلِكَ مَجْرَى قَوْلِ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةِ :
وَمُخْرِقٍ عَنْهُ الْقَمِيصُ تَخَالُهُ بَيْنَ الْبُيُوتِ مِنَ الْحَيَاءِ سَقِيماً (٤)

أخبرنا الرزبانى قال حدثنا أبو عبد الله الحكيمى قال حدثنى ميمون بن هارون الكاتب
قال : حدثنا ابن أخى الأصمعى عن عمه قال : لقيت أعرابياً بالبادية فاسترشدته إلى مكان ، ١٥
فأرشدنى وأنشدنى :

(١) البيت لكثير ؛ وهى فى ديوانه ١ : ٩١ .

(٢) ساقطة من م .

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « صفرته » . (٤) من أبيات فى الخامسة - يشرح التبريزى

٤ : ١٥٥ ؛ والعبى ٢ : ٤٧ ، وأمالى القالى ١ : ٢٤٨ وفى م بعد هذا البيت :

حَتَّى إِذَا خَفَقَ اللَّوَاءُ رَأْيَتَهُ تَحْتَ اللَّوَاءِ عَلَى الْخَمِيسِ زَعِيماً

لَيْسَ الْعَمَى طُولُ السُّؤَالِ وَإِنَّمَا تَمَامُ الْعَمَى طُولُ السُّكُوتِ عَلَى الْجَهْلِ
ثم رجعتُ إلى البصرة فمكثت بها حيناً ، ثم قدمت البادية ، فإذا بالأعرابي جالساً
بين ظهراني قوم ؛ وهو يقضى بينهم ، فما رأيت قضية أخطأت قضية الصالحين من قضيتته ؛
فجلست إليه ، فقلت : يرحمك الله أما من رشوة ؟ أما من هدية ؟ أما من صلة ؟ فقال : لا إذا
جاء هذا ذهب التوفيق ؛ فشكوتُ إليه ما ألقى من عدلٍ حليلة لي إياي في طلب المعيشة ،
فقال : لست فيها بأوحد ، وإني لشريكك ، ولقد قلت في ذلك شعراً ، فقلت : أنشدني ،
فأنشدني :

[١٦٧] / بَاتَتْ تُعِيرُنِي الْإِقْتَارَ وَالْمَدَامَا
عُنْفُ لِرَأْيِكَ ! مَا الْأَرْزَاقُ مِنْ جَلْدٍ ،
يَا أَمَةَ اللَّهِ إِنِّي لَمْ أَدْعُ طَلِباً ١٠
وَكُلُّ (١) ذَلِكَ بِالْإِجْمَالِ فِي طَلَبٍ
لَوْ كَانَ مِنْ جَلْدٍ ذَا الْمَالِ أَوْ آدَبٍ
ارْضَى مِنَ الْعَيْشِ مَا لَمْ تُخَوِّجْنِي مَعَهُ
وَاسْتَشْمَعَرِي الصَّبْرَ عَلَى اللَّهِ خَالِقِنَا
لَا تُخَوِّجِينِي (٣) إِلَى مَا لَوْ بَدَلْتُ لَهُ ١٥
بِاللَّهِ سَرِّكَ أَنَّ اللَّهَ خَوَّلَنِي
مَا سَرَّنِي أَنَّنِي خَوَّلْتُ ذَاكَ وَلَا
وَأَنَّنِي لَمْ أُحْزَ (٤) عَقْلاً وَلَا آدَباً
فَعَسْرَةُ الْمَرْءِ (٥) أُخْرَى فِي مَعَاشِكَ مِنْ

لَمَّا رَأَتْ لِأَخِيهَا الْمَالَ وَالْخَدَمَا
وَلَا مِنْ الْمَجْرِ ؛ بَلْ مَقْسُومَةٌ قِسْمَا
لِلرِّزْقِ - قَدْ تَعْلَمِينَ - الشَّرْقَ وَالشَّامَا
لَمْ أُرِدْ عِرْضاً ، وَلَمْ أَسْفِكْ لِذَلِكَ دَمَا
لَكُنْتُ أَكْثَرَ مِنْ نَمْلِ الْقُرَى نَعْمَا
أَنْ تَفْتَحَنِي لِسُؤَالِ الْأَغْنِيَاءِ فَمَا
يَوْمًا سَيَكْشِفُ عَنَّا الْفَقْرَ وَالْمَدَامَا (٢)
نَفْسِي لِأَعْقَبِكَ التَّهْمَامَ وَالنَّدَامَا
مَا كَانَ خَوَّلَهُ الْأَعْرَابَ وَالْمَجْمَا
أَلَا أَقُولَ لِبَاغِي حَاجَةً نَعْمَا
وَلَمْ أَرُثْ وَالِدِي بَحْداً وَلَا كَرَمَا
أُمِرُ بِجُرْءٍ عَلَيْكَ الْهَمَّ وَالْأَلَمَا

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « فسل » .
(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « مع نون التوكيد » .
(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « لا تخوِّجني » .
(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « لم أفد عقلاً » .
(٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « ففسرة المال » .

قال : فوالله ما أنشدتها حتى حلفت ألا تمذلني أبداً .

حدثنا علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه قال : رأيت بقاء شاباً من بني عامر ؛ فإرأيت بدويّاً أفصح منه ، ولا أظرف ؛ فوالله لكانه شوّاطٌ يتلظى ، فاستنشدته فأنشدني :

فَلَمْ أَنْسِكُمْ يَوْمَ اللَّوَى إِذْ تَعَرَّضْتُ لَنَا أُمُّ طِفْلٍ خَاذِلًا قَدْ تَحَلَّتْ (١)
وَقَالَتْ سَأُنْسِيكَ الْعَشِيَّةَ مَا مَضَى وَأَصْرِفُ مِنْكَ النَّفْسَ عَمَّا أَجَنَّتْ (٢)
فَمَا (٣) فَعَلْتُ - لَا وَالَّذِي أَنَا عَبْدُهُ - عَلَى مَابَدَا مِنْ حُسْنِهَا إِذْ أَدَلَّتْ
أَبْتُ سَابِقَاتُ الْحُبِّ إِلَّا مَقَرَّهَا إِلَيْكَ ، وَمَا تُثْنِي إِذَا مَا اسْتَقَرَّتْ
هُوَ الْكَ الَّذِي فِي النَّفْسِ أَمْسَى دَخِيلُهَا عَلَيْهِ انْطَوَتْ أَحْشَاؤُهَا وَاسْتَمَرَّتْ
وَأَنْشَدَنِي أَيْضًا :

١٠

دِيَارُ لَلَّتِي طَرَقَتْكَ وَهْنًا بَرِيًّا رَوْضَةً وَذَكَاءٍ رَنْدٍ (٤)
تُسَائِلُنِي وَأُحْبَابِي هُجُودٌ وَتُثْنِي عِطْفُهَا مِنْ غَيْرِ صَدٍّ
فَلَمَّا أَنْ شَكَوْتُ الْحُبَّ قَالَتْ : فَإِنِّي فَوْقَ وَجْدِكَ كَانَ وَجْدِي
وَلَكِنْ حَالِ دُونِكَ ذُو شِدَاةٍ أَسْرُ بِفَقْدِهِ وَيَهْرُ فَقْدِي (٥)

وبهذا الإسناد عن الأصمعي قال : قعدت إلى أعرابي يقال له إسماعيل بن عمار ، وإذا ١٥
هو يفتل أصابعه ويتألف ، فقلت له : علام تتلف ؟ فأنشأ يقول :

عَيْنَايَ مَشْمُومَتَانِ وَيَحْهُمَا ! وَالْقَلْبُ حَيْرَانٌ (٦) مُبْتَلَى بِهِمَا

(١) الخاذل من الظباء : التي تتخلف عن صواحبها . (٢) حاشية الأصل : « أي أصرف نفسي عنك

عما أجنته » . (٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « فلا فعلت » .

(٤) الدهن : الليل ساعة يدبر . والرند : شجر طيب الرائحة .

(٥) الشداة : الحدة ، ويهر : يكره . (٦) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « حران » .

عَرَفْتَاهُ الْهُوَى بِظُلْمِهِمَا يَأْتِيَنِي قَبْلَهَا عِدْمُهُمَا
هُمَا إِلَى الْحَيْنِ قَادَتَا وَهْمَا دَلَّ عَلَى مَا جُنَّ دَمْعُهُمَا
سَأَعْدُرُ الْقَلْبَ فِي هَوَاهُ فَمَا سَبَبَ هَذَا الْبَلَاءَ غَيْرُهُمَا

وبهذا^(١) الإسناد عن الأصمعيّ قال : نزلتُ ذات ليلة في وادي بني العنبر ، وهو إذ ذاك
مَمَان^(٢) بأهله - أي أهل - فإذا فتية يريدون البصرة ؛ فأحببتُ صحبتهم ، فأقتُ ليلتي تلك
عليهم ؛ وإني لو صِبتُ محموم ؛ أخاف ألا أستمسك على راحلتي ؛ فلما أقاموا ليرحلوا
أيقظوني ؛ فلما رأوا حالي رحلوا وحملوني ؛ وركب أحدهم ورأى يُمسكني ؛ فلما أمعن السيرُ
تنادوا ألا فتى يحدو بنا أو يُنشدنا ! فإذا منشد في سواد الليل بصوتٍ ندٍ حزين يُنشد :
لَعَمْرُكَ إِذْ يَوْمَ بَانُوا فَلَمْ أُمْتَ خُفَانًا عَلَى آثَارِهِمْ لَصَبُورُ
غَدَاةَ الْمُنْقَى إِذْ رَمَيْتُ بِنَظْرَةٍ وَنَحْنُ عَلَى مَتْنِ الطَّرِيقِ نَسِيرُ^(٣)
فَقُلْتُ لِقَلْبِي حِينَ خَفَّ بِهِ الْهُوَى وَكَادَ مِنَ الْوَجْدِ الْمُنَّ يَطِيرُ^(٤)
فَهَذَا وَلَمَّا تَمَضَّ لِلْبَيْنِ لَيْلَةٌ فَكَيْفَ إِذَا مَرَّتْ عَلَيْهِ شُهُورُ
/ وَأَصْبَحَ أَعْلَامُ الْأَحِبَّةِ دُونَهَا مِنْ الْأَرْضِ غَوْلٌ نَازِحٌ وَمَسِيرُ
وَأَصْبَحْتُ نَجْدِي الْهُوَى مُتَبَعًا لَهَا أَزِيدُ اشْتِيَاقًا أَنْ يَتَجَنَّ بَعِيرُ
عَسَى اللَّهُ بَعْدَ النَّأْيِ أَنْ يُسْعِفَ النَّوَى وَيُجْمَعُ شَمْلُ بَعْدَهَا وَسُرُورُ
[١٦٨] ظ
قال : فسكنتُ والله الحمى عني ، حتى ما أحسُّ بها ، فقلت لرفيقي : انزلْ رحمك الله
إلى راحلتك ، فإني متماسك ؛ وجزاك الله عن حُسن الصُّعْبَةِ خيراً .

(١) الخبر والأبيات في حماسة ابن الشجري ١٦١-١٦٢ بروايته عن ابن قدامة عن المرتضى ، وهو
أيضا في أمالي القالي ٢ : ٢٦٧ بروايته عن ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه .
(٢) في ابن الشجري : «ممان آهله» . (٣) المنق : موضع بين أحد والمدينة .
(٤) المتن : اللازم المقيم ، وفي س : «المبر» .

أخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن العباس قال حدثنا محمد بن يزيد الذحوي قال حدثني بعض أصحابنا عن الأصمعي قال: كان^(١) بالبصرة أعرابي من بني تميم؛ يتطفل على الناس، فعاتبته على ذلك فقال: والله ما بُنيت المنازل إلا لتدخل، ولا وُضِع الطعام إلا ليؤكل؛ وما قدمت هدية فأتوقع رسولاً؛ وما أكره أن أكون ثِقلاً ثقيلاً على مَنْ أراه شحيحاً بخيلاً؛ أتقحم عليه مستأنساً، فأضحك إن رأيته عابساً، فأكل برغمه، وأدعاه بغمه؛ وما اخترق اللهوات طعاماً أطيب من طعام ٥ لا ينفق فيه درهم، ولا يمسي إليه خادم، ثم أنشد:

كُلَّ يَوْمٍ أَدُورُ فِي عَرِصَةِ الْحَيَاةِ ١٠ يَأْتِي أَيْمُنُ الْقُتَارِ شَمَّ الذَّنَابِ^(٢)
فَإِذَا مَا رَأَيْتُ آثَارَ عُرْسٍ أَوْ خِثَانٍ أَوْ مَجْمَعِ الْأَصْحَابِ^(٣)
لَمْ أُرَوْعْ دُونَ التَّقَحُّمِ لَا أُرِ هَبْ دَفْعاً وَلَكَزَةَ الْبَوَابِ^(٤)
مُسْتَهِيناً بِمَا هَجَمْتُ عَلَيْهِ غَيْرَ مُسْتَأْذِنٍ ، وَلَا هَيَّابِ
فَتَرَانِي أَلْفٌ بِالرَّغْمِ مِنْهُمْ كُلَّ مَا قَدَمُوهُ لَفَّ الْعُقَابِ^(٥)
ذَلِكَ أَدْنَى مِنَ التَّكْلِيفِ وَالْغُرْمِ مِمْ وَغِيظِ الْبَقَالِ وَالْقَصَابِ^(٦)

(١) الخبر في التطفيل للخطيب البغدادي ٧٣ - ٧٤ يرويه عن الحسن بن أبي القاسم عن أبي الفرج عن جعفر بن قدامة عن أبي هفان .
(٢) في التطفيل : « عرصة الباب » ، ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « شم الذباب » .
(٣) في التطفيل : « أو دعوة لصحاب » . (٤) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « لم أروع » ، ورواية الخطيب في هذا البيت وتاليه :

لَمْ أَعْرِجْ دُونَ التَّقَحُّمِ فِيهَا غَيْرَ مُسْتَأْذِنٍ وَلَا هَيَّابِ
مُسْتَخَفّاً بِمَنْ دَخَلْتُ عَلَيْهِ لَسْتُ أَخْشَى تَجَهُّمِ الْبَوَابِ
(٥) رواية البيت في حاشيتي الأصل (من نسخة) :

فَتَرَانِي أَلْفٌ مَا قَدَّمَ الْقَوُ مُ عَلَى رَغْمِهِمْ كَلَفَ الْعُقَابِ
(٦) زاد الخطيب بعد هذا البيت :

قَابِلٌ إِنْ جَرَى عَلَى امْتِهَانٍ فِي سَبِيلِ الْحُلُوءِ وَالْجُودَابِ

مَجْلِسٌ آخِرٌ^{٣٨}

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ، فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ [هود : ٤٥ ، ٤٦] .

[١٦٩] فقال: ظاهر قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ يقتضى تكذيب / قوله: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ والنبي لا يجوزُ عليه الكذب ، فما الوجه في ذلك ؟ وكيف يصح أن يخبر عن ابنه بأنه ﴿عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾؟ وما المراد به ؟
الجواب ، قلنا: في هذه الآية وجوه :

أولها أن نفيه لأن يكون من أهله لم يتناول نفي النسب ، وإنما نفى أن يكون من أهله الذين وعده الله بنجاتهم؛ لأنه عز وجل كان وعدنوحاً عليه السلام بأن ينجي أهله، ألا ترى إلى قوله: ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ [هود : ٤٠] ، فاستثنى تعالى من أهله من أراد إهلاكه بالفرق! ويدل عليه أيضاً قول نوح: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ ، وعلى هذا الوجه يتطابق الأمران^(١) ولا يتنافيان ؛ وقد روى هذا التأويل بعينه عن ابن عباس وجماعة من المفسرين .

١٥ والجواب الثاني ، أن يكون المراد بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ أى أنه ليس على دينك ؛ وأراد تعالى أنه كان كافراً مخالفاً لأبيه ؛ فكان كفره أخرجه عن أن يكون له أحكام

(١) حاشية ف (من نسخة) : « الخبران » .

أهله؛ ويشهد لهذا التأويل قوله عز وجل على طريق التعليل: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾، فبين أنه إنما خرج عن أحكام أهله لكفره وسبى عمله، وقد روى هذا التأويل أيضا عن جماعة من المفسرين؛ وحكى عن ابن جريج أنه سئل عن ابن نوح فسبح طويلاً ثم قال لا إله إلا الله! يقول الله: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾؛ وتقول: ليس منه! ولكنه خالفه في العمل فليس منه من لم يؤمن.

وروى عن عكرمة أنه قال: كان ابنه ولكن كان مخالفاً له في النية والعمل؛ فمن ثم قيل: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾.

والوجه الثالث أنه لم يكن ابنه على الحقيقة؛ وإنما ولد على فراشه، فقال عليه السلام: إنه ابني على ظاهر الأمر؛ فأعلمه الله أن الأمر بخلاف الظاهر، ونبهه على خيانة امرأته؛ وليس في ذلك تكذيب لخبره، لأنه إنما أخبر عن ظنه، وعمّا يقتضيه الحكم الشرعي، فأخبره ١٠ الله تعالى بالغيب الذي لا يعلمه غيره؛ وقد روى هذا الوجه عن الحسن وغيره.

وروى قتادة عن الحسن قال: كنت عنده؛ فقال: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ لعمرك الله ما هو ابنه، قال: قلت: يا أبا سعيد؛ يقول الله: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ وتقول: ليس بابنه! قال: أفرأيت قوله: ﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾؟ قال: قلت معناه: / ليس من أهلك الذين [١٦٩] وعدت أن أنجيهم معك، ولا يختلف أهل الكتاب أنه ابنه، فقال: أهل الكتاب يكذبون؛ ١٥ وروى عن مجاهد وابن جريج مثل ذلك.

وهذا الوجه يبعد إذ فيه منافاة للقرآن؛ لأنه تعالى قال: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾، فأطلق عليه اسم البنوة؛ ولأنه أيضا استثناء من جملة أهله بقوله تعالى: ﴿وَأَهْلِكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾؛ ولأن الأنبياء عليهم السلام يجب أن يُنزهوا عن مثل هذه الحال؛ لأنها تُمرّ وتُشِين وتغض من القدر؛ وقد جنّب الله تعالى أنبياءه عليهم السلام ما هو دون ذلك؛ تعظيماً ٢٠ لهم وتوقيراً، ونفيًا لكل ما ينفّر عن القبول منهم؛ وقد حمل ابن عباس ظهور ما ذكرناه من الدلالة على أن تأويل قوله تعالى في امرأة نوح وامرأة لوط: ﴿فَخَا تَتَاهُمَا﴾ على أن الخيانة

لم تكن منهما بالزَّنا، بل كانت إحداهما تخبر الناس بأنه مجنون ؛ والأخرى تدل على الأضياف ؛
والعتمد في تأويل الآية هو الوجهان المتقدمان .

فأما قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ فالتقراءه المشهورة بالرفع ، وقد روى عن
جماعة من المتقدمين أنهم قرءوا : ﴿ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ بنصب اللام وكسر الميم
ونصب «غير» ؛ ولكل وجه .

فأما الوجه في الرفع فيكون على تقدير أن ابنك ذو عملٍ غير صالح ؛ وصاحب عمل غير
صالح ؛ فحذف المضاف ، وأقام المضاف إليه مقامه ؛ وقد استشهد على ذلك بقول الخنساء :

مَا أُمُّ سَقْبٍ عَلَى بَوٍّ تُطِيفُ بِهِ قَدْ سَاعَدَتْهَا عَلَى التَّحْنَانِ أَظَارُ^(١)
تَرْتَعُ مَارَتَعَتْ حَتَّى إِذَا ذَكَرْتُ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ^(٢)

أرادت إنما هي ذات إقبال وإدبار .

وقال قوم : إن المعنى أصلُ ابنك هذا الذي، وَلِدَ عل فراشك وليس بابنك في الحقيقة^(٣) عمل
غير صالح ، يعني الخيانة من امرأته ، وهذا جواب مَنْ ذهب إلى أنه لم يكن ابنه على الحقيقة^(٣)
والذي اخترناه خلاف ذلك .

وقال آخرون إن الهاء في قوله : ﴿ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ راجعة إلى السؤال ؛ والمعنى :

(١) ديوانها : ٧٨ ؛ وروايته :

فَمَا عَجُولٌ عَلَى بَرٍّ تُطِيفُ بِهِ لَهَا حَنِينَانُ : إِصْغَارٌ وَإِكْبَارُ
والسقب : الذكر من ولد الناقة . والبو : أن ينحر ولد الناقة ويؤخذ جلده فيحشى ويدنى من أمه
فترأمه والتحنان : الحنين . والأظفار : جمع ظفر ؛ وهى التى تمطف على واد غيرها .
(٢) بعدها :

لَا تَسْمِنُ الدَّهْرُ فِي أَرْضٍ وَإِنْ رُبِعَتْ فَإِنَّمَا هِيَ تَحْنَانٌ وَتَسْجَارُ
يَوْمًا بِأَوْجَدَ مِنِّي يَوْمَ فَارَقَنِي صَخْرٌ ، وَلِلدَّهْرِ إِحْلَاءٌ وَإِمْرَارُ
(٣-٣) ساقط من م .

إن سؤالك إياي ما ليس لك به علم عمل غير صالح لأنه قد رقع من نوح دليل^(١) السؤال والرغبة في قوله: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ / ومعنى ذلك أى نَجَّه كُنْجِيَّتِهِمْ، ومن [١٧٠] و
يجيب بهذا الجواب يقول : إن ذلك صغيرة من النبي ؛ لأن الصغائر تجوز عليهم ، ومن يمنع أن يقع^(٢) من الأنبياء شيء من القبائح يدفع هذا الجواب ؛ ولا يجعل الهاء راجعة إلى السؤال بل إلى الابن ، ويكون تقدير الكلام ما تقدم .
٥

فإذا قيل له: فَلِمَ قَالَ: ﴿فَلَا تَسْأَلُنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ ؟ وكيف قال نوح عليه السلام من بعد: ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ؟ .

قال : لا يمتنع أن يكون نُهيَ عن سؤال ما ليس له به علم ؛ وإن لم يقع منه وأن يكون تعود من ذلك وإن لم يوافقه ؛ ألا ترى أن الله قد نهى نبيه عن الشرك والكفر ؛ وإن لم يكن ذلك قد وقع منه ؛ فقال: ﴿أَيُّنَ أَشْرَكْتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ﴾ ؛ [الزمر : ٥٦ ، وكذلك لا يمتنع أن يكون نهاده في هذا الموضع عملاً لم يقع منه ، ويكون عليه السلام إنما سأله نجاته ابنه باشتراط المصلحة لا على سبيل القطع ؛ وهكذا يجب في مثل هذا الدعاء .

فأما القراءة بنصب اللام فقد ضعفها قوم وقالوا : كان يجب أن يقال : إنه عمل عملاً غير صالح ؛ لأن العرب لا تكاد تقول هو يعمل غير حسن ، حتى يقولوا : عملاً غير حسن ، وليس ١٥ وجهها بضعيف في العربية ؛ لأن من مذهبهم الظاهر إقامة الصفة مقام الموصوف عند انكشاف المعنى وزوال اللبس ؛ فيقول القائل: قد فعلتُ صواباً ، وقلتُ حسناً ، بمعنى فعلتُ فعلاً صواباً وقلتُ قولاً حسناً ؛ وقال عمر بن أبي ربيعة الخزومي :

أَيُّهَا الْقَائِلُ غَيْرَ الصَّوَابِ أَخْرِ النَّصْحَ وَأَقْلِلْ عِتَابِي^(٣)

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « دليل في السؤال » ، وحاشية ف من نسخة : « دليل على

السؤال » . (٢) ف : « على الأنبياء » . (٣) ديوانه : ٤٢٥ .

وقال أيضاً :

وَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ مَا يُبَايَ بِهِ دَمٌ وَمِنْ غَلَقٍ رَهْنٍ إِذَا لَفَهُ مَنِي^(١)
وَمِنْ مَالٍ عَيْنِيهِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِهِ إِذَا رَاحَ نَحْوَ الْجَمْرَةِ الْبَيْضِ كَالدُّمَى^(٢)
أراد : وكم إنسان قتيل ! وأنشد أبو عبيدة لرجل من بجيلة :

كَمْ مِنْ ضَعِيفِ الْعَقْلِ مُنْتَكِبِ الْقُوَى مَا إِنْ لَهُ نَقْضٌ وَلَا إِبْرَامُ^٥
/ مَالَتْ لَهُ الدُّنْيَا عَلَيْهِ بِأَسْرَهَا فَعَلَيْهِ مِنْ رِزْقِ الْإِلَهِ رُكَامُ^[١٧٠]
وَمُشَيِّعٍ جَلَدٍ أَمِينٍ حَازِمٍ مَرَسٍ لَهُ فِيهَا يَرُومُ مَرَامُ
أَعْمَى عَلَيْهِ سَبِيلُهُ^(٣) فَكَأَنَّهُ فِيهَا يُحَاوِلُهُ عَلَيْهِ حَرَامُ
أراد : كم من إنسان ضعيف القوى .

١٠ أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا ميمون بن هارون قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال : كان محمد بن منصور بن زياد الملقب بفتى العسكر يميل إلى الأصمعي ويفضله ، ويقوم بأمره قال : فحجته يوماً بعد موت محمد ، وعنده عبد كان لمحمد أسود ، وقد ترك الناس ، وأقبل عليه وساءله وتحفّى به وحادثه ، فلما خرج لُمته على ذلك وقلت : مَنْ هذا حتى أفنيتَ عمرَ يومك به ؟ فقال : هذا غلام ابن منصور ،
١٥ ثم أنشدني :

وَقَالُوا يَا جَمِيلُ أَتَى أَخُوهَا فَقُلْتُ : أَتَى الْحَبِيبُ أَخُو الْحَبِيبِ^(٤)

(١) دبوانه : ٤٥١ لا يباي به دم ، أى ليس من يكانته فيقتل به . وغلق الرهن إذا صار لاسييل إلى سكاكه ، وفي حاشية ف (من نسخة) : « ومن غلق رهنا إذا ضمه » .
(٢) حاشية ف (من نسخة) :

* إذا راح نحو الحيرة البيض كالدُّمَى *

(٣) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « سبيله » بضم اللام .

(٤) حاشية ف : « صفة الحبيب » ، أى الذى هو أخو الحبيب .

أُحِبُّكَ وَالْقَرِيبُ بِنَا بَعِيدُ لَأَنْ نَاسَبْتَ بَثْنَةً مِنْ قَرِيبٍ
فقلت له - وكنت أفعل هذا كثيراً به لأستجِرَّ كلامه وعِلمه - : يا أباسعيد، ذاك أخوها،
وهذا غلامها^(١) فضحك، وقال : أنشد أبو عمرو - أو قال غيره :

أَرَى كُلَّ أَرْضٍ^(٢) أَوْطَنْتَهَا وَإِنْ خَلْتُ لَهَا حِجَجٌ تَنْدَى بِمِسْكٍ تَرَاهَا
وَأَقْسِمُ لَوْ أَنِّي أَرَى تَبِعاً لَهَا^(٣) ذِئَابَ الْغَضَى حُبَّتْ إِلَى ذِئَابِهَا ه
قال : فجعلت أعجب من قرب لسانه من قلبه وإجادة حفظه له متى أرادته .

وبهذا الإسناد عن إسحاق الموصلي قال قرأت على الأصمعيّ شعرَ امرئ القيس ، فلما
بلغت إلى هذا البيت :

أَمِنْ أَجْلِ أَعْرَابِيَّةٍ حَلَّ أَهْلُهَا بِرَوْضِ الشَّرَى عَيْنَاكَ تَبْتَذِرَانِ!^(٤)
فقال لي أتعرف في هذا البيت خبئاً باطناً غير ظاهرٍ ؟ قلت : لا ، فسكت عني ، فقلت : ١ .
إن كان فيه شيء فأفنديه، فقال : نعم ، أما يد لك البيت على أنه لفظ مَلِكٍ مُسْتَهِينٍ ذِي قُدْرَةٍ
على ما يريد ؟ / قال إسحاق : وما رأيت قطّ مثل الأصمعيّ بالعلم بالشعر .
[١٧١]

و

(١) من نسخة بحاشية الأصل : « غلامه » . (٢) ف : « كل دار » .

(٣) حاشية الأصل من نسخة : « حلفت لو أني » ، ومن نسخة أخرى : « حلفت إلهي » ، ومن نسخة
أخرى :

حَلَفْتُ بِأَنِّي لَوْ أَرَى تَبِعاً لَهَا *

(٤) ديوانه : ١٢٤ ؛ وروايته :

أَمِنْ ذِكْرِ نَهَائِيَّةٍ حَلَّ أَهْلُهَا بِجَزَعِ الْمَلَا عَيْنَاكَ تَبْتَذِرَانِ !

قال شارحه : « نهائية : امرأة من نهان ، ونهان من ماضي » ، وكان امرؤ القيس نازلاً فيهم ثم
ارتحل عنهم ، والجزع : منعطف الوادي ، والملا : ما استوى من الأرض ؛ ومعنى تبْتَذِرَانِ تستبقان بالدمع ؛
أي أنه لما أبدع به الشوق وغلبه البكاء لام نفسه على ذلك . وفي حاشية الأصل : « قبله :

فدمعهما سَحَّ وَسَكَبٌ وَدِيمَةٌ وَرَشٌّ وَتَوَكَّافٌ وَتَنَهْمِلَانِ

وروى عن إسحاق أيضا أنه قال : قال لي الأصمعيّ : ما يعنى امرؤ القيس بقوله :
فَمِثْلِكَ حُبَّائِي قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعٍ فَأَلْهِمْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمٍ مُجَوِّلٍ^(١)
فقلت : تخبرني ، فقال : كان مَفَرَّكَ^(٢) فيقول : ألهيتُ هؤلاء عن كراهتهنَّ للرجال ،
فكيف أنا عند المحبات لهم .

د وروى أنَّ السبب الذي هاج التنافرَ بين الأصمعيّ وابن الأعرابيّ أنَّ الأصمعيّ دخل
ذات يومٍ على سعيد بن سلمٍ وابن الأعرابيّ حينئذٍ يؤدب ولده — فقال لبعضهم : أنشدأبوسعيد،
فأنشد الغلام أبياتا لرجلٍ من بني كلاب ، رواه إياها ابن الأعرابيّ ، وهى :
رَأْتُ نِضْوَ أَسْفَارٍ أُمَيْمَةٍ قَاعِدًا عَلَى نِضْوِ أَسْفَارٍ فَجَنٍّ جُنُونُهَا^(٣)
فَقُلْتُ : مِنْ أَى النَّاسِ أَنْتَ وَمَنْ تَكُنْ ؟ فَإِنَّكَ رَاعِي صِرْمَةٍ لَا يَزِينُهَا^(٤)
فَقُلْتُ لَهَا : لَيْسَ الشُّحُوبُ عَلَى الْفَتَى بَعَارٍ ، وَلَا خَيْرُ الرَّجَالِ سَمِينُهَا
عَلَيْكَ رِاعِي ثَلَاثَةِ مُسْلَحِيَّةٍ يَرُوحُ عَلَيْهَا مَحْضُهَا وَحَقِيقُهَا^(٥)

(١) ديوانه : ٢٤ . وفي حاشية الأصل . « روى أن النبي صلى الله عليه وآله استنشد هذه القصيدة ،
فلما سمع البيت الذى قبله هذا قال : لا تنشد البيت الذى بعده ، وهذا دليل على أنه عليه السلام كان يعرف
الشعر . ولا سمع قوله :

﴿ قَفَا نَبَأِكَ مِنْ ذِكْرِى حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ ﴾

قال : وقف واسترقب ، وكى وأبكى ، وذكر الحبيب والمنزل فى نصف بيت ؟ فقالوا : يا رسول الله ؟
فدينك ! أنت فى هذا النقد أشعر منه . (٢) . المفرك : الذى تبغضه النساء .

(٣) الخبر بتمامة فى اللسان (ضحا) ، والمزهر ٢ : ٣٧٩ ، والمجالس المذكورة للأعلاء ٩ ، وإنباه
الرواة ٣ : ١٣٣—١٣٤ ؛ والأبيات وردت متفرقة فى اللسان (ضحا ، جنن ، حقن ، نعم) .
النضو : الدابة التى أهرتها الأسفار وأذهبت لحمها . وفى اللسان : « أيممة شاحبا » .

(٤) الصرمة : القطعة من الإبل ؛ ما بين العشرين إلى الثلاثين . ورواية اللسان :

﴿ فَإِنَّكَ مَوْلى أَسْرَةٍ لَا يَدِينُهَا ﴾

(٥) الثلة ، بالفتح : جماعة الغنم . والمسلحية : الممتدة ؛ وأصله فى الطريق . والمحض : اللبن الخالص ،
والحقين : اللبن الحبيس فى الوطى ؛ وقد ورد البيت فى اللسان (حقن) ونسبه للمخبل ، والرواية فيه :
وفى إبلٍ سَتَيْنَ حَسْبُ ظَمِينَةٍ يَرُوحُ عَلَيْهَا مَحْضُهَا وَحَقِيقُهَا
وفى حاشية الأصل : « أى لست بالراعى فاطلبى غيرى لو كنت تطالبين راعيا » .

سَمِينُ الضَّوَّاحِي لَمْ تُورِّقْهُ لَيْلَةٌ وَأَنْعَمَ أَبْكَارُ الْهُمُومِ وَعَوْنُهَا
ورفع «ليلة» فقال الأصمعي: مَنْ رَوَّاهُ هَذَا؟ فقال مؤدبي؛ فأحضره فاستنشدته فأنشده،
ورفع «ليلة»، فأخذ ذلك عليه؛ وفسر البيت فقال: إنما أراد: لَمْ تُورِّقْهُ لَيْلَةٌ أَبْكَارُ الْهُمُومِ
وعونها، وأنعم، أي زاد على هذه الصفة.

وقوله: «سَمِينُ الضَّوَّاحِي» أي ما ظهر منه وبدا سمين، ثم قال الأصمعي لابن سلم: ٥
مَنْ لَمْ يُحَسِّنْ هَذَا الْمَقْدَارَ فَلَيْسَ مَوْضِعًا لِتَأْدِيبِ وَلَدِ الْمَلُوكِ.

وأخبرنا المرزباني قال: حدثنا أحمد بن المسكي قال حدثنا أبو العيناء قال حدثنا الأصمعي
قال: وَلِدَ بَشَّارُ بْنُ بَرْدٍ أَوْ كَمَهُ لَمْ يَنْظُرْ إِلَى الدُّنْيَا قَطُّ— وَكَانَ ذَافِطَنَةً— قَلَّتْ لَهُ يَوْمًا: مِنْ أَيْنَ
لَكَ هَذَا الذِّكَاءُ؟ قَالَ: مِنْ قِدَمِ الْعَمَى؛ وَعَدَمِ النَّوَظِرِ يَمْنَعُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْخَوَاطِرِ الْمَذْهِلَةِ فَيَكْسِبُ
فِرَاقَ الذَّهْنِ؛ وَصَحَّةَ الذِّكَاءِ، وَأَنْشَدَ لِنَفْسِهِ يَفْخَرُ بِالْعَمَى:

١٠

[١٧١] ط
عَمِيتَ جَنِينًا وَالذِّكَاءُ مِنَ الْعَمَى فَجِئْتُ عَجِيبَ الظَّنِّ لِلْعِلْمِ مَوْئِلًا^(١)
وَعَاظَ ضِيَاءُ الْعَيْنِ لِلْعَقْلِ رَافِدًا قَلْبِي إِذَا مَا ضَيَّعَ النَّاسُ حَصَلًا
وَشِعْرِ كَنُورِ الرَّؤُوسِ لَا أَمْتَ بَيْنَهُ بِقَوْلٍ إِذَا مَا أَحْزَنَ الشَّعْرُ أَمَّهَلًا

وأخبرنا المرزباني قال أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أبو العيناء قال حدثنا
الأصمعي قال: أنشد رجل وأنا حاضر بشاراً قول الشاعر:

١١
وَقَدْ جَعَلَ الْأَعْدَاءُ يَنْتَقِصُونَنَا وَتَطْمَعُ فِينَا أَلْسُنٌ وَعِيُونُ^(٢)
أَلَا إِنَّمَا كَلَيْ عَصَا خَيْرُ رَأْنَةٍ إِذَا غَمَزُوهَا بِالْأَكْفِ تَلِينُ

فقال بشار: والله لو جعلها عصا مخ أو زُبْدٍ لما كان إلا مخطئاً مع ذكر العصا! ألا قال

كما قلت:

وَحَوْرَاءِ الْمَدَامِجِ مِنْ مَعَدٍّ كَأَنَّ حَدِيثَهَا قِطْعُ الْحِنَانِ
إِذَا قَامَتْ لِسَبْحَتِهَا تَذَنَّتْ كَأَنَّ قَوَامَهَا مِنْ خَيْرُ الرَّانِ
يُنْسِيكَ الْمُنَى نَظَرُ إِلَيْهَا وَيَصْرِفُ وَجْهَهَا وَجْهُ الزَّمَانِ

وأخبرنا المَرْزُبَانِيَّ قَالَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْفَارِسِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ عَمْرِ بْنِ شُبَّةٍ قَالَ قَالَ لِي أَبُو عُبَيْدَةَ : رَحَلَ بَشَارٌ إِلَى الشَّامِ ، فُدِحَ سَلِيمَانُ بْنُ هِشَامٍ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَكَانَ مَقِيمًا بِمَجْرَّانَ ، ؛ فَقَالَ قَصِيدَةً طَوِيلَةً أَوْ لَهَا :

نَأْتِكَ عَلَى طُولِ التَّجَاوُرِ زَيْنَبُ وَمَا عَلِمْتُ أَنَّ النَّوَى سَوْفَ يَشْعَبُ^(١)
وَكَانَ سَلِيمَانُ بِحَيْلَا فَأَعْطَاهُ خَمْسَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ ، وَلَمْ يَصِبْ غَيْرَهَا بَعْدَ أَنْ طَالَ مَقَامُهُ ، فَقَالَ :
إِنْ أُمِسَ مُنْشَنِجَ الْيَدَيْنِ عَنِ النَّدَى وَعَنِ الْعَدُوِّ مُحَبَّسَ الشَّيْطَانِ^(٢)
فَلَقَدْ أَرْوَحُ عَلَى اللَّثَامِ مُسْلَطًا تَلِجَ الْقَيْلِ^(٣) مُنْعَمَ النَّدْمَانِ^(٤) ١٠
فِي ظِلِّ عَيْشٍ عَشِيرَةٍ مَحْمُودَةٍ تَنْدَى يَدِي ، وَيَخَافُ فَرْطَ لِسَانِي
أَزْمَانِ سِرْبَالِ الشَّبَابِ مُذَيَّلُ وَإِذِ الْأَمِيرُ عَلِيٌّ مِنْ جِيرَانِي
/ رَيْثُمُ بِأُخُوِيَّةِ الْعِرَاقِ إِذَا بَدَأَ بَرَقَتْ عَلَيْهِ أَكِلَّةُ الْمَرْجَانِ^(٥) [١٧٢]
و
فَاكْحَلْ بِعَبْدَةِ مُقَلَّتِيكَ مِنَ الْقَدَى وَبَوَشِكِ رُؤْيَيْهَا مِنَ الْهَمَلَانِ
فَلَقُرْبُ مِنْ تَهْوَى وَأَنْتَ مُتَمِّمٌ أَشْفَى لِدَائِكَ مِنْ بَنِي مَرْوَانَ ١٥

فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى الْعِرَاقِ بَرَّهُ ابْنُ هُبَيْرَةَ وَوَصَلَهُ ، وَكَانَ ابْنُ هُبَيْرَةَ يَتَقَدَّمُهُ وَيُؤَثِّرُهُ لِمَدْحِهِ قَيْسًا وَافْتِخَارَهُ بِهَا ، فَلَمَّا جَاءَتْ دَوْلَةُ خُرَاسَانَ عَظُمَ شَأْنُهُ .

(١) الْأَغَانِي ٣ : ٥٦ ؛ وَيَشْعَبُ : يَفْرُقُ ، وَبَعْدَهُ :

يَرَى النَّاسُ مَا تَلْقَى بِزَيْنَبٍ إِذْ نَأَتْ عَجَبِيَا ، وَمَا تَحْفِي بِزَيْنَبٍ أَعْجَبُ

(٢) الْخَبَرُ وَالشَّعْرُ فِي الْأَغَانِي ٣ : ٥٦ . وَمِنْ نَسْخَةِ بِحَاشِيَةِ الْأَصْلِ : « مُخْبِسَ الشَّيْطَانِ » .

(٣) م : « تَلِجَ الْمَقَامِ » . (٤) أُخُوِيَّةٌ جَمْعُ حَوَاءَ ؛ وَالْحَوَاءُ : جَمَاعَةُ الْبُيُوتِ الْمُتَدَانِيَةِ .

وَالْأَكِلَةُ : جَمْعُ الْكَلِيلِ ؛ وَهُوَ النَّاجِ ؛ أَوْ شَبَّهِ عَصَابَةِ تَرِينَ بِالْجَوَاهِرِ .

وأخبرني الرزباني قال حدثنا محمد بن أحمد الكاتب قال حدثنا أحمد بن يحيى النحوي قال قال الأصمعي : ما وصف أحدُ الثَّغَرِ إِلَّا احتاج إلى قول بشر بن أبي خازم :

يُفَلِّجَنَّ الشَّفَاةَ عَنْ أَقْحَوَانٍ جَلَاهُ غِيبٌ سَارِيَةٌ قِطَارُ

ولا وصف أحدُ اللون بأحسن من قول عمر بن أبي ربيعة :

وَهِيَ مَكْنُونَةٌ تَحِيَّرَ مِنْهَا فِي أَدِيمِ الْخَدَّيْنِ مَاءُ الشَّبَابِ ^(١)

شَفَّ مِنْهَا مُحَقَّقٌ جَنْدِيُّ فَهِيَ كَالشَّمْسِ مِنْ خِلَالِ السَّحَابِ ^(٢)

ولا وصف أحدُ عيني امرأةٍ إِلَّا احتاج إلى قول عدي بن الرِّقَاع :

لَوْ لَا الْحَيَاءُ وَأَنَّ رَأْسِي قَدْ بَدَأَ فِيهِ الْمَشِيبُ لَزُرْتُ أُمَّ الْفَاسِمِ ^(٣)

وَكَأَنَّهَا وَسَطَ النِّسَاءِ أَعَارَهَا عَيْنَيْهِ أَخَوْرٌ مِنْ جَاذِرِ جَاسِمِ ^(٤)

وَسَنَانُ أَقْصَدِهِ النَّعَاسُ فَرَنَّقَتْ فِي عَيْنِهِ سِنَّةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمِ ^(٥)

ولا وصف أحدُ نجيباً إِلَّا احتاج إلى قول مُحمَّد بن ثور :

مُحَلِّي بِأَطَوَاقٍ عِتَاقٍ يُبَيِّنُهَا عَلَى الضَّرِّ رَاعِي الضَّانِ لَوْ يَتَقَوَّفُ ^(٦)

ولا وصف أحدُ ظليماً إِلَّا احتاج إلى قول علقمة بن عبدة :

(١) ديوانه : ٤٢٣ . (٢) ثوب محقق بحكم الفسج ، وجند : بلد باليمن .

(٣) الشعر والشعراء ٦٠٢ ، والآلي ٥٢١ ، وفي حاشية الأصل (من نسخة) : « قدفشا » ،

ومن نسخة أخرى : « قد غشا » . (٤) الجاذر : جمع جؤذر ، بضم الذل وفتحها ، وهو ولد

البقرة الوحشي . جاسم قرية بينها وبين دمشق ثمانية فراسخ . (٥) أقصده : صرعه . رنقت : خالطت ،

والبيت أيضا في اللسان (رنق) . (٦) ديوانه ١١١ ؛ وفي حاشيتي الأصل ، ف : « يصف بعيرا

ومحلى ؛ أى عليه نجار العنق ، وإذا رآه صاحب الضأن الذي لا بصيرة له عرف عتقه ونجابهته على مامسه من

الضر . لم يتقوف ، من الفيافة ، ويروى : « لو يتعيف » . شبه ما يبين من عتقه بأطوق تظهر لمن رآها

ويروى : « يبينه » أى البعير ، وقبل هذا البيت :

فَظَرْتُ إِلَى عَارِي الْعِظَامِ كَأَنَّهُ شَقَا ابْنَ ثَلَاثٍ ظَهَرَهُ مُتَجَرِّفُ

طَوْتُهُ الْفَلَا حَتَّى كَانَ عِظَامُهُ مَآسِيرَ عِيدَانٍ تَمْوِجُ وَتُرْجَفُ

فَنَارَ وَمَا يُمَسِّي فَوْيُقَ عِظَامِهِ بِرَمٍ وَلَكِنْ عَارِفٌ مُتَكَلِّفٌ =

هَيْقُ كَانَ جَنَاحِيهِ وَجُؤُجُوهُ بَيْتٌ أَطَافَتْ بِهِ خَرْقَاءٌ مَهْجُومٌ^(١)

ولا اعتذر أحد إلا احتاج إلى قول النابغة :

[١٧٢] / فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خَاتُ أَنْ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ^(٢) ط

قال سـيدنا أدام الله علوه : أما قول محمد بن ثور : « محلى بأطواق عتاق »

فإنه يريد أن عليه نجار الكرم والعقيق ، فصارت دلالتهما وسماتهما حلية له من حيث كان موسوماً بهما .

ومعنى : « يبينها على الضراء » يبينها ويعرفها هذا الراعى فيعلم أنه كريم ، والتقوّف من القيافة .

فأما قول علقمة « هَيْقُ... » فالهَيْقُ : ذكر النعام . ومعنى : « أطافت به خرقاء » ، أى عملته

١٠ وابتنته ، وقيل : إن خرقاءها هنا هى الحاذقة ، وأن هذه اللفظة تستعمل على طريق الأضداد فى الحاذقة

وغير الحاذقة ، ومعنى « مهجوم » : أى مهدوم ، وقال الأصمعى : معنى « أطافت به » ، أى

عملته فخرقت فى عمله ، يقول : قد أرسل جناحيه كأنه خباء امرأة خرقاء ، كما رفعت ناحية

استرخت أخرى ؛ والوجه الثانى أشبه وأملح .

فأما قول بشرى فى وصف الثغر فأحسن منه وأكشف وأشد استيفاء قول النابغة :

== قوله : « عارى العظام » أى بعير مهزول ، وشقا ابن ثلاث أى هلال ابن ثلاث . وماء أسير عيدان

ويروى « ماء أسر عيدان » ، أى عيدان مأسورة مشدودة . والرم . المنخ ، يريد أنه ليس يسمى برم ،

أى ليس فى عظامه مخ ؛ ولكنه عارف ؛ أى معترف بالسير ، ذليل . تكاف . يتكاف السير على جهد .

(١) حاشية الأصل : « هَيْقُ ، أى ظليم ، وهو اسم له ، والجؤجؤ : الصدر ؛ وأراد بالبيت بيتان

الشعر أو الوبر . الخرقاء : المرأة التى ليست بصناع . ومهجوم : مصروع ساقط ، يقول : أنت البيت

هذه الخرقاء لتصاحبه فلم تحسن ، واستخرجت عيدانه وأطنا به ، فشبّه الظالم به ، لاسترخاء جناحيه ونشره

إياها . وقال المازنى : إذا بنت الخرقاء بيتا تهدم سريما . وقال غيره : خرقاء هنا : ربح لاتدوم على جهة

واحدة . والبيت فى ديوانه ١٣٠ ، والمفضليات : ٤٠٠ ، (طبعة المعارف) وروايته فيهما :

(٢) ديوانه :

* صَعْلٌ كَانَ جَنَاحِيهِ وَجُؤُجُوهُ *

كَلَّا أَفْحَوَانَ غَدَاةَ غَبِّ سَمَائِهِ جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدِ^(١)
 فَإِنَّمَا وَصَفَ أَعَالِيَهُ بِالْجُفُوفِ ؛ لِيَكُونَ مَتَفَرِّقًا مَتَنَضِّدًا غَسِيرَ مَتَابَدٍ وَلَا مُجْتَمِعَ ؛ فَيَشْبَهُ
 حِينَئِذٍ الثَّغُورَ ، ثُمَّ قَالَ : « وَأَسْفَلُهُ نَدِ » حَتَّى لَا يَكُونَ قَحْلًا يَابِسًا ، بَلْ يَكُونَ فِيهِ الْغَضَاضَةُ
 وَالصَّقَالَةُ ، فَيَشْبَهُ غُرُوبَ الْأَسْنَانِ الَّتِي تَلْمَعُ وَتَبْرِقُ .

وَرَوَى الرِّيَاشِيُّ قَالَ : سَمِعْتُ الْأَصْمَعِيَّ يَقُولُ : أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي وَصْفِ الثَّغْرِ قَوْلُ ٥
 ذِي الرُّمَّةِ :

وَتَجَلَّوْا بِفَرْعٍ مِنْ أَرَاكِ كَأَنَّهُ مِنْ الْعَنْبَرِ الْهِنْدِيِّ وَالْمِسْكِ يُصْبَحُ^(٢)
 ذُرًّا أَفْحَوَانَ وَاجَهَ اللَّيْلِ وَارْتَقَى إِلَيْهِ النَّدَى مِنْ رَامَةِ الْمَرْوَحِ^(٣)
 هِجَانِ الثَّنَائَا مُغْرَبًا لَوْ تَبَسَّمْتُ لِأَخْرَسَ عَنْهُ كَادَ بِالْقَوْلِ يُفْصِحُ^(٤)

(١) ديوانه : ٣١ . الأفحوان : نبت له نوار أصفر ، حواليه ورق أبيض وفي حاشيتي الأصل ،
 ف : « ضمن اللجام الحُراني هذا البيت في هجو فجعله آبدة من الأوابد فقال :

يَسْأَلُنِي عَنْ جَعْفَرٍ ، عَلِمِي بِهِ رَطْبُ الْعِجَانِ وَكَفُّهُ كَالْجَلْمَدِ
 كَلَّا أَفْحَوَانَ غَدَاةَ غَبِّ سَمَائِهِ جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدِ

وَالْبَيْتَانِ فِي خَاصِ الْخَاصِ : ١٤٤ . (٢) ديوانه : ٨٣ . يَصْبَحُ : يَسْقَى وَفِي وَقْتُ الصَّبَاحِ .

(٣) فِي الدِّيَّوَانِ : « رَاحَةُ اللَّيْلِ » ، بِالرَّفْعِ . رَامَةٌ : رَمَلَةٌ بَعَيْنَهَا . الْمَرْوَحُ : الَّذِي جَاءَ رَوَاحًا . وَبَعْدَ هَذَا
 الْبَيْتِ فِي رَوَايَةِ الدِّيَّوَانِ :

تَحْفُفُ بِتُرْبِ الرَّوْضِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ نَسِيمُ كِفَارِ الْمِسْكِ حِينَ يُفْتَحُ
 (٤) الْمَغْرِبُ : الْأَيْضُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .

مَجْلِسُ آخِرِ

تَأْوِيلُ آيَةِ

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ / الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [١٧٣] ،
[التوبة : ٥٥] .

فَقَالَ : كَيْفَ يَعْذِّبُهُمُ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ لَهُمْ فِيهَا سُرُورًا وَلَذَةً ؟ وَمَا تَأْوِيلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ ؟ وَظَاهِرُهُ يَقْتَضِي أَنَّهُ أَرَادَ كُفْرَهُمْ مِنْ حَيْثُ أَرَادَ أَنْ تَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ ٥ فِي حَالِ كُفْرِهِمْ ، لِأَنَّ الْقَائِلَ إِذَا قَالَ : أُرِيدُ أَنْ يَلْقَانِي فَلَانٌ وَهُوَ لَا بَسُّ أُرِ عَلَى صِفَةِ كَذَا وَكَذَا ، فَالظَّاهِرُ أَنَّهُ أَرَادَ كَوْنَهُ عَلَى تِلْكَ الصِّفَةِ ؟
الْجَوَابُ ، قُلْنَا : أَمَا التَّعْذِيبُ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ فَفِيهِ وَجُوهٌ :

أَوَّلُهَا مَا رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَتَقَادَّةٍ ، وَهُوَ أَنَّ يَكُونُ فِي الْكَلَامِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ ، وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ : فَلَا تُعْجِبْكَ يَا مُحَمَّدُ وَلَا تُعْجِبِ الْمُؤْمِنِينَ مَعَكَ أَمْوَالُ هَؤُلَاءِ الْكَافِرِ وَالْمُنَافِقِينَ ١٠ وَلَا أَوْلَادَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ؛ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْآخِرَةِ عِقَابًا لِمَنْعِهِمْ حَقُوقَهَا ؛ وَاسْتَشْهَدَ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظَرُ مَاذَا يَرِجْمُونَ ﴾ [النمل : ٢٨] ، وَالْمَعْنَى : فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ فَانْظَرُ مَاذَا يَرْجِعُونَ ، ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ ؛ وَأَنْشَدَ فِي ذَلِكَ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

عَشِيَّةٌ أَبَدَتْ جِيدَ أَدْمَاءٍ مُغْزِلٍ وَطَرَفًا يُرِيكَ الْإِمْدَ الْجَوْنَ أَحُورًا^(١) ١٥
يُرِيدُ : وَطَرَفًا أَحُورَ يُرِيكَ الْإِمْدَ الْجَوْنَ ؛ وَقَدْ اعْتَمَدَ هَذَا الْوَجْهَ أَيْضًا أَبُو عَلِيٍّ قَطْرُبٌ ، وَذَكَرَهُ أَبُو الْقَاسِمِ الْبَلْخِيُّ وَالزَّجَّاجُ .

وثانيها أن يكون معنى التعذيب بالأموال والأولاد في الدنيا هو ما جعله للمؤمنين من قتالهم وغنيمة أموالهم وسبي أولادهم واسترقاقهم ؛ وفي ذلك لأمحالة إبلام لهم ، واستخفاف بهم ، وإنما أراد تعالى بذلك إعلام نبيه عليه السلام والمؤمنين أنه لم يرزق الكفار الأموال والأولاد ؛ ولم يبقها في أيديهم كرامة لهم ، ورضاً عنهم ؛ بل للمصلحة الداعية إلى ذلك ، وأنهم مع هذه الحالة معذبون بهذه النعم من الوجه الذي ذكرناه ، فلا يجب أن يُنَبَّطُوا ، ٥ ويُحَسَدُوا عليها ؛ إذ كانت هذه عاجلتهم ، والمقاب الأليم في النار آجلتهم ؛ وهذا جواب أبي عليّ الجبائيّ .

وقد طعن عليه بعضُ مَنْ لا تأمّلَ له فقال : كيف يصح هذا التأويل ، مع أنا نجد كثيراً من الكفار لا تنالهم أيدي المسلمين ، ولا يقدرّون على غنيمة أموالهم ، ونجد أهل [١٧٣] الكتاب أيضاً خارجين عن هذه الجملة لكان الذمة والعهد ؟ وليس هذا الاعتراض بشيء ، ١٠ لأنه لا يمتنع أن تختص الآية بالكفار الذين لا ذمة لهم ولا عهد ؛ ممن أوجب الله تعالى محاربتهم ؛ فأما الذين لا تنالهم الأيدي ، أو هم من القوة على حدٍّ لا يتم معه غنيمة أموالهم ؛ فلا يقدح الاعتراض بهم في هذا الجواب لأنهم ممن أراد الله تعالى أن يُسَبِّي وَيَغْنَمَ ، ويجاهد ويُغلب ؛ وإن لم يقع ذلك ؛ وليس في ارتفاعه بالتعذر دلالة على أنه غير مراد .

وثالثها أن يكون المراد بتعذيبهم بذلك كلّ ما يدخله في الدنيا عليهم من الغموم والمصائب ١٥ بأموالهم وأولادهم التي لهؤلاء الكفار المنافقين عقاب وجزاء ، وللمؤمنين محنة وجالبة للمعوض وللنفع .

ويجوز أيضاً أن يراد به ما يندّرُ به الكافر قبل موته ، وعند احتضاره ، وانقطاع التكليف عنه مع أنه حيّ ، من العذاب الدائم الذي قد أعدّ له ، وإعلامه أنه صائر إليه ، ومنقل إلى قراره ؛ ٢٠ وهذا الجواب قد روي معنى أكثره عن قوم من متقدمي المفسرين^(١) ، وذكره أبو عليّ الجبائيّ أيضاً .

(١) حاشية الأصل : « نسخة الشجرى : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري » .

ورابعها [جواب] ^(١) يحكى عن الحسن البصرى ، واختاره الطبرىّ وقدمه على غيره ، وهو أن يكون المراد بذلك ما ألزمه هؤلاء الكفار من الفرائض والحقوق في أموالهم ؛ لأن ذلك يُؤخذُ منهم على كرهٍ ، وهم إذا أنفقوا فيه أنفقوا بغير نيّة ولا عزيمة ؛ فتسير نفقتهم غرامة وعذاباً من حيث لا يستحقون عليها أجراً .

٥ قال السيد قدس الله روحه : وهذا وجه غير صحيح ؛ لأن الوجه في تكليف الكافر إخراج الحقوق من ماله كالوجه في تكليف المؤمن ذلك ؛ ومحال أن يكون إنمّا كلف إخراج هذه الحقوق على سبيل العقاب والجزاء ؛ لأن ذلك لا يقتضى وجوبه عليه ^(٢) ؛ والوجه في تكليف الجميع هذه الأمور هو المصلحة والالطف في التكليف .

ولا يجرى ذلك مجرى ما قلناه في الجواب الذى قبل هذا ؛ من أن المصائب والنعموم قد تكون للمؤمنين محنة ، وللـكافرين عقوبة ؛ لأن تلك الأمور مما يجوز أن يكون وجهُ حسنّها العقوبة والمحنة جميعاً ؛ ولا يجوز في هذه الفرائض أن يكون لوجوبها على المكلف إلا وجهٌ واحد ، وهو المصلحة في الدين ، فافترق الأمران .

[١٧٤] وليس لهم أن يقولوا : / ليس التعذيب في إيجاب الفرائض عليهم ؛ ^(٣) وإنمّا هو لإخراجهم أموالهم على وجه التكره والاستئثار ^(٤) ؛ وذلك أنه إذا كان الأمر على ما ذكره خرج من أن يكون مراد الله تعالى ؛ لأنه جلّ وعز ما أراد منهم إخراج المال على هذا الوجه ، بل على الوجه الذى هو طاعة وقربة ؛ فإذا أخرجوها متكرهين مستثقلين لم يُرد ذلك ؛ فكيف يقول : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَمْدَنَّهُمْ بِهَا ﴾ ! ويجب أن يكون ما يمدنون به شيئاً يصح أن يريده الله تعالى .

وجميع هذه الوجوه التى حكيناها في الآية - إلا جواب التقديم والتأخير - مبنية على أن

(١) من ف . (٢-٢) ساقط من الأصل ، وما أثبتته عن ف .

(٣-٣) ف : « وإنمّا هو في إخراجهم لأموالهم على وجه التكره والاستئثار » .

الحياة الدنيا ظرف للعذاب؛ فتحمّل^(١) كل متأوّل من القوم ضرباً من التأويل ؛ طابق^(٢) ذلك .

وما يحتاج عندنا إلى جميع ما تكلفوه، ولا إلى التقديم والتأخير إذا لم تُجَمَل^(٣) الحياة ظرفاً للعقاب ، بل جعلناها ظرفاً للفعل الواقع بالأموال والأولاد ؛ والمتعلّق بهما ؛ لأننا قد علمنا أولاً أن قوله : ﴿ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا ﴾ لا بد من الانصراف عن ظاهره ؛ لأن الأموال والأولاد • أنفسها لا تكون عذاباً ؛ والمراد على سائر وجوه التأويل الفعل المتعلّق بها والمضاف إليها ؛ سواء كان إنفاقها والمصيبة بها والغمّ عليها، أو إباحة غنيمتها وإخراجها عن أيدي مالكيها؛ فكان تقدير^(٤) الآية : إنما يريد الله ليعذّبهم بكذا وكذا؛ مما يتعلّق بأموالهم وأولادهم ، ويتّصل بها ؛ وإذا صحّ هذا جاز أن تكون الحياة الدنيا ظرفاً لأفعالهم القبيحة في أموالهم وأولادهم التي تغضب الله تعالى وتُسَخِّطه ؛ كإنفاقهم الأموال في وجوه المعاصي ، وحملهم الأولاد على ١٠ الكفر، وإلزامهم الموافقة لهم في النجاسة، ويكون تقدير الكلام: إنما يريد الله ليعذّبهم بفعلهم في أموالهم وأولادهم ؛ الواقع ذلك منهم في الحياة الدنيا ؛ وهذا وجه ظاهر يغني عن التقديم والتأخير ؛ وسائر ما ذكره من الوجوه .

فأما قوله تعالى : ﴿ وَتَزَهَّقَ أَنْفُسُهُمْ ﴾ فمعناه تبطل وتخرج ؛ أي أنهم يموتون على الكفر؛ وليس يجب إذا كان مريداً لأن تزهق أنفسهم وهم على هذه الحال أن يكون مريداً للحال ١٥ نفسها على ما ظنّوه؛ لأن الواحد ممناً قد يأمر / غيره ويريد منه أن يقاتل أهل البغي وهم [١٧٤] محاربون ، ولا يقاتلهم وهم منهزمون ، ولا يكون مريداً لحرب أهل البغي للمؤمنين ؛ وإن أراد قتالهم على هذه الحالة ، وكذلك قد يقول لغلامه: أريد أن تواظب على المصير إلى في السّجن وأنا محبوس ، وللطبيب : صِرْ إلى ولازمي وأنا مريض ، وهو لا يريد المرض ولا

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « فتحمّل » . (٢) ف : « يطابق » .

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « لم نجعل الحياة » .

(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « فكان تقدير الكلام » .

الجنس ؛ وإن كان قد أراد ما هو متعلق بهاتين الحالتين .

وقد ذكر في ذلك وجه آخر على ألا يكون قوله : ﴿ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ حالاً لزهوق أنفسهم ؛ بل يكون كأنه كلام مستأنف ، والتقدير فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم ؛ إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا ؛ وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ كَافِرُونَ صَائِرُونَ إِلَى النَّارِ ؛ وَتَكُونُ الْفَائِذَةُ أَنَّهُمْ مَعَ عَذَابِ الدُّنْيَا قَدْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ عَذَابُ الْآخِرَةِ ؛ وَيَكُونُ مَعْنَى ﴿ تَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ ﴾ عَلَى هَذَا الْجَوَابِ غَيْرُ الْمَوْتِ وَخُرُوجِ النَّفْسِ عَلَى الْحَقِيقَةِ ، بَلِ الْمَشَقَّةُ الشَّدِيدَةُ وَالْكُلْفُ ^(١) الصَّعْبَةُ ، كَمَا يُقَالُ : ضَرَبْتُ فَلَانًا حَتَّى مَاتَ وَتَلَفَتْ نَفْسَهُ ، وَخَرَجَتْ رُوحَهُ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .

قال سيدنا أدام الله تمكينه : ذاكرني قوم من أهل الأدب بأشعار المحدثين وطبقاتهم ١٠ وانتهوا إلى مروان بن يحيى بن أبي حفصة ^(٢) ؛ فأفرط بعضهم في وصفه وتقريضه ، وآخرون في ذمه وتهجينه والإزراء على شعره وطريقته ؛ واستخبروا عما اعتقده فيه ، فقلت لهم : كان مروان متساوياً الكلام ، متشابه الألفاظ ، غير متصرف في المعاني ولا غواص عليها ولا مدقق لها ؛ فلذلك قلت النظائر في شعره ، ومدائحه مكررة الألفاظ والمعاني ، وهو غزير الشعر قليل المعنى ؛ إلا أنه مع ذلك شاعر له تجويد وحذق ، وهو أشعر من كثير من أهل زمانه وطبقته ، وأشعر شعراء أهله ؛ ويجب أن يكون دون مسلم بن الوليد في تنقيح الألفاظ وتدقيق المعاني ، وحسن الألفاظ ، ووقوع التشبيهات ، ودون بشار بن برد في الأبيات النادرة السائرة ، فكأنه طبقة بينهما ؛ وليس بمقتصر دونهما شديداً ، ولا منحط عنهما بعيداً .

وكان إسحاق بن إبراهيم الموصلي يقدمه على بشار ومسلم ، وكذلك أبو عمرو الشيباني

(١) ف : « والكلفة » . (٢) هو أبو السمط - وقيل أبو الهندام . مروان بن أبي حفصة ؛ ولد سنة ١٠٥ ، وهلك في أيام الرشيد سنة ١٨٢ . (وانظر ترجمته وأشعاره في الشعر والشعراء ٧٣٩-٧٤١ ، وابن خلكان ٢ : ٧٩-٨١) .

وكان الأصمعي يقول : مروان / مؤد^(١) ، وليس له علم باللغة . واختلافُ الناس في اختيار الشعر [١٧٥] و
بحسب اختلافهم في التنبيه على معانيه ؛ وبحسب ما يشترطونه من مذاهبه وطرائقه .

فسئلت عند ذلك أن أذكر مختار ما وقع إلى من شعره وأنبه على سرقاته ونظائر
شعره ، وأن أملي ذلك في خلال المجالس وأثنائها .

٥ فمما يختار من شعره قوله من قصيدة يمدح بها المهدي أولها :
أَعَادَكَ مِنْ ذِكْرِ الْأَحِبَّةِ عَائِدُ ! أَجَلْ ، وَاسْتَخَفَّتْكَ الرُّسُومُ الْبَوَائِدُ
يقول فيها :

تَذَكَّرْتُ مِنْ تَهْوَى فَأَبْكَاكِ ذِكْرُهُ	فَلَا الذِّكْرُ مَنَسِيٌّ وَلَا الدَّمْعُ جَامِدُ
تَحْنُ وَيَأْبَى أَنْ يُسَاعِدَكَ الْهَوَى	وَلَمَمْتُ خَيْرٌ مِنْ هَوَى لَا يُسَاعِدُ
أَلَا طَالَمَا أَتَيْتَ دَمْعَكَ طَائِعًا	وَجَارَتْ عَلَيْكَ الْآنِسَاتُ النَّوَاحِدُ ١٠
تَذَكَّرْنَا أَبْصَارُهَا مُقَلَّ الْمَهَا	وَاعْنَاقُهَا أَذْمُ الظُّبَاءِ الْعَوَاقِدُ ^(٢)
تَسَاقَطُ مِنْهُنَّ الْأَحَادِيثُ غَضَّةٌ	تَسَاقَطَ دُرٌّ أَسْلَمَتْهُ الْمَعَاقِدُ
إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَجَاذَبَتْ	بِنَا اللَّيْلِ خُوصٌ كَالْقِسِيِّ شَوَارِدُ
يَمَانِيَّةٌ يَنَائِي الْقَرِيبُ مَحَلَّةٌ	بِهِنَّ ، وَبَدَنُ الشَّاحِطِ الْمُتَبَاعِدُ
تَجَلَّى الشَّرَى عَنْهَا ، وَلِلْعَيْسِ أَعْيُنُ	سَوَامٍ وَأَعْنَاقُ إِلَيْكَ قَوَاصِدُ ١٥
إِلَى مَلِكٍ تَنْدَى إِذَا يَبَسَ الثَّرَى	بِنَائِلٍ كَفِيَّةٍ الْأَكْفُ الْجَوَامِدُ

(١) ف : « المولدون الذين بهد المخضرين » وفي حاشية الأصل (من نسخة) : « مولد » بكسر
اللام ؛ أي يولد الكلام . (٢) المعاقد : هو الظبي الذي عطف عنقه إلى ناحية عجزه ؛ وقيل إن
الصفائر تفعل ذلك كثيرا ؛ قال ساعدة :

وَكُنَّامًا وَافَاكَ يَوْمَ لَقِيَتَهَا مِنْ وَحْشٍ وَجَرَةٍ عَاقِدٍ مُتَرَبِّبٍ
ولا يبعد أن يكون العواقد اللائي بأوين إلى عقدات الرمل ، أو يكون معناه أنها عقدت أعناقها
ملنفة إلى أذنانها ، وذلك معهود من عاداتها .

له فوقَ جَدِّ النَّاسِ جَدَّانِ مِنْهُمَا طريف وعاديُّ الجَرَائِمِ تالِدُ
 وَأَحْوَاضُ عِزِّ حَوْمَةِ الْمَوْتِ دُونَهَا وَأَحْوَاضُ عُرفٍ لَيْسَ عَنْهُنَّ ذَائِدُ
 أَيْدِي بَنِي الْعَبَّاسِ بِيضٌ سَوَابِغُ عَلَى كُلِّ قَوْمٍ بَادِيَاتُ عَوَائِدُ
 هُمْ يَمْدُلُونَ السَّمَكَ مِنْ قُبَّةِ الْهُدَى كَمَا تَعْدِلُ الْبَيْتَ الْحَرَامَ الْقَوَاعِدُ
 ٥ سَوَاعِدُ عِزِّ الْمُسْلِمِينَ ، وَإِنَّمَا تَنَوُّ بِصَوَلَاتِ الْأَكْفِ السَّوَاعِدُ
 [١٧٥] / يَكُونُ غِرَارًا نَوْمُهُ مِنْ حِذَارِهِ عَلَى قُبَّةِ الْإِسْلَامِ وَالْخَلْقُ رَاقِدُ
 كَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدًا لَرَأْفَتِهِ بِالنَّاسِ لِلنَّاسِ وَالِدُ
 أما قوله :

تساقط منهنَّ الأحاديث غَضَّةٌ تساقطُ دُرٌّ أَسْلَمَتْهُ الْمَعَائِدُ

١٠ فكثير في الشعر ، وأظن أن الأصل فيه أبو حية النيرى في قوله :

إِذَا هُنَّ سَاقَطْنَ الْأَحَادِيثَ لِلْفَتَى سَقُوطَ حَصَى الرَّجَانِ مِنْ كَفِّ نَاطِمِ
 وَإِنَّمَا عَنَى بِالرَّجَانِ صِفَارَ اللَّوْلُو ، وعلى هذا يُتَأَوَّلُ قوله تعالى : ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُو
 وَالْمَرْجَانُ ﴾ ؛ [الرحمن : ٢٢] .

ومثله قول الآخر :

١٥ هِيَ الدُّرُّ مَنثورَا إِذَا مَا تَكَلَّمْتُ وَكَالدُّرِّ مَنْظُومًا إِذَا لَمْ تَكَلِّمْ
 ومثله :

مِنْ نَغْرِهَا الدُّرُّ النَّظِيرُ مُمْ وَلَفْظُهَا الدُّرُّ النَّشِيرُ

ونظيره قول البحترى - وأحسن غاية الإحسان :

وَلَمَّا التَّمِينَا وَالنَّقَا مَوْعِدُ لَنَا تَعَجَّبَ رَأَى الدُّرُّ حُسْنًا وَلَا قِطْعُهُ
 فَمِنْ لَوْلُو تَجْلُوهُ عِنْدَ ابْتِسَامِهَا وَمِنْ لَوْلُو عِنْدَ الْحَدِيثِ تُسَاقِطُهُ

ومثله قول الأَخِيْطِل (١).

خَلَوْتُ بِهَا وَسَجَفُ اللَّيْلِ مُلْقَى وَقَدْ أَصَفْتُ إِلَى الْغَرْبِ النَّجُومُ
كَأَنَّ كَلَامَهَا دُرٌّ نَشِيرٌ وَرَوْنَقٌ ثَغْرِهَا دُرٌّ نَظِيمٌ

ولغيره :

تَبَسَّمتُ فَرَأَيْتُ الدَّرَّ مُنْتَظِماً وَحَدَّثْتُ فَرَأَيْتُ الدَّرَّ مُنْتَبِراً ٥

ولآخر :

وَتُحْفِظُ لَا مِنْ رِيَّةٍ يَحْذَرُونَهَا وَلَكِنِهَا مِنْ أَعْيُنِ النَّاسِ تُحْفِظُ
وَتَلْفِظُ دُرًّا فِي الْحَدِيثِ إِذَا جَرَى وَلَمْ نَرَ دُرًّا قَبْلَ ذَلِكَ يُلْفِظُ

ولبعض من تأخر زمانه من الشعراء وقرب من عصرنا هذا :

أُظْهَرْنَ وَصَلًا إِذْ رَحِمْنَ مُتَيَّمًا وَأَرَبْنَ هَجْرًا إِذْ خَشِينَ مُرَاقِبًا ١٠
/ فَتَظْمَنَ مِنْ دُرِّ الْمَبَاسِمِ جَامِدًا وَثَرْنَ مِنْ دُرِّ الْمَدَامِعِ ذَائِبًا [١٧٦]
قال قدس الله روحه : وليس قول أبي دهب في صفة الحديث (٢) :

كَتْسَاقُطِ الرُّطْبِ الْجَنِيِّ مِنْ الِ أَقْنَاءٍ لَا ثَرًّا وَلَا نَزْرًا

من هذا الباب في شيء ، لأن جميع ما تقدم هو في وصف الثغر ؛ وهذا في وصف حسن

الحديث وأنه متوسط في القلة والكثرة ، لازم للقصد كالتنثار الرُّطْب من الأقناء ؛ ويشبهه ١٥
أن يكون أراد أيضاً مع ذلك وصفه بالحلاوة والغضاضة لتشبيهه له بالرطب ، ثم إنه غضٌّ طَرِيٌّ
غير مكرَّرٍ ولا معاد ؛ لقوله : « الرطب الجنى » فتجتمع له أغراض : الوصف بالاعتقاد في القلة
والكثرة ، ثم وصفه بالحلاوة ، ثم الفصاحة ، ثم الغضاضة .

(١) في م : « الأخطل » خطأ ؛ وفي حاشية الأصل : « الأنهوازي ، يقال له برقونا » ؛ وهو

محمد بن عبد الله ، شاعر مجيد من أهل الأهواز .

(٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « في وصف حسن الحديث والثغر » .

ونظير قول أبي دَهبل قول ذى الرِّمَّة :

لَهَا بَشَرٌ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ رَحِيمٌ الْحَوَائِي لَا هُرَاءَ وَلَا نَزْرُ^(١)

فأما قول مروان :

إِلَى مَلِكٍ تَنْدَى إِذَا يَبْسُ الثَّرَى بَنَائِلَ كَفَيْهِ الْأَكْفُ الْجَوَامِدُ

فمثل قول أبي حنشل النُميريّ في يحيى بن خالد البرمكي :

لَا تَرَانِي مُصَافِحًا كَفَّ يَحْيَى إِنَّنِي إِنْ فَعَلْتُ أَتَلَفْتُ^(٢) مَالِي

لَوْ يَمَسُّ الْبَخِيلُ رَاحَةً يَحْيَى لَسَخَتْ نَفْسُهُ بِبَذْلِ النَّوَالِ

ومثله قول ابن الخياط^(٣) المدنيّ في المهديّ :

لَمَسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَبْتَغَى الْغَنَى وَلَمْ أَذِرْ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُمْدِي^(٤)

فَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أَفَادَ ذَوُو الْغَنَى أَفَدْتُ ، وَأُعْدَانِي فَأَتَلَفْتُ مَا عِنْدِي

وقد قيل إن هذا الشاعر كأنه مُصَرِّحٌ بالهجاء ؛ لأنه زعم أن الذي لمس كَفَّهُ لم يفده

شيئاً بل أعدهاء جوده ، فأتلف ماله ، ولم يُرد الشاعر إلا المدح ؛ ولقوله وجه ، وهو

أن ذَوِي الْغَنَى هم الذين تستقر الأموال في أيديهم وتلبث تحت أيماهم ؛ ومن أخرج ما يملكه

حالا بحال لا يوصف بأنه ذو غنى ، فأراد الشاعر أني لم أفد منه ما بقي في يدي واستقر

١٥ تحت ملكي ؛ فلهذا قال : لم أفد ما أفاد ذوو الغنى .

ومن هذا المعنى قول مسلم :

[١٧٦] / إِلَى مَلِكٍ لَوْ صَافَحَ النَّاسَ كُلَّهُمْ لَمَا كَانَ حَيٌّ فِي الْبَرِيَّةِ يَبْخُلُ

ومثله قول العكوك :

لَوْ لَمَسَ النَّاسُ رَاحَتِيهِ مَا بَخِلَ النَّاسُ بِالْعَطَاءِ

(١) ديوانه ٢١٢ . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « أتلف » .

(٣) حاشية الأصل : « ابن الخياط ، هو عبد الله بن محمد ، ويعرف بابن الخياط ؛ ذكر ذلك

أبو الفرج الأصبهاني رحمه الله » وترجمته في الأغاني ١٨ : ٩٤ - ١٠٠ .

(٤) الأغاني ١٨ : ٩٤ .

وأحسن من هذا كله وأشبهه بالمدح ، وأدخل في طريقته قول البحترى :

مَنْ شَاكَرَ عَنَى الْخَلِيفَةِ بِالَّذِي أَوْلَاهُ مِنْ طَوْلِ وَمِنْ إِحْسَانِ^(١)
مَلَأَتْ يَدَاهُ يَدَيَّ وَشَرَّدَ جُودُهُ بُخْلِي ، فَأَفْقَرَنِي كَمَا أَغْنَانِي
حَتَّى لَقَدْ أَفْضَلْتُ مِنْ إِفْضَالِهِ وَرَأَيْتُ نَهْجَ الْجُودِ حَيْثُ أَرَانِي
وَوَثَّقْتُ بِالْخَلْفِ الْجَمِيلِ مُعْجَلًا مِنْهُ ، فَأَعْطَيْتُ الَّذِي أَعْطَانِي ٥

ومن هذا قول الآخر :

رَأَيْتُ النَّدَى فِي آلِ عَوْفٍ خَافِقَةً إِذَا كَانَ فِي قَوْمٍ سِوَاهُمْ تَحْلُقًا
وَلَوْ جُزَّتْ فِي أَبِيائِهِمْ^(٢) لَتَعَلَّمْتُ يَدَاكَ النَّدَى مِنْهُمْ فَأَصْبَحْتُ مُمْلِكًا
وَلابن الرومي :

يَجُودُ الْبَخِيلُ إِذَا مَارَاكَ وَيَسْطُو الْجَبَانُ إِذَا عَايَنَاكَ ١٠
فأما قوله :

وَأَحْوَاضُ عَزَّةٍ حَوْمَةُ الْمَوْتِ دُونَهَا وَأَحْوَاضُ عُرْفٍ لَيْسَ عَنْهُنَّ ذَائِدُ

فينسبه أن يكون إبراهيم بن العباس الصولي أخذ في قوله :

لَنَا إِبِلٌ كَوْمٌ يَضِيقُ بِهَا الْفَضَا وَتَفَرَّتْ عَنْهَا أَرْضُهَا وَسَمَاوَاهَا^(٣)
فَمِنْ دُونِهَا أَنْ تُسْتَبَاحَ دِمَاؤُنَا وَمِنْ دُونِنَا أَنْ تُسْتَبَاحَ دِمَاؤُهَا ١٥
حِمِيٍّ وَقَرَى فَاَلَمُوتُ دُونَ مَرَامِهَا وَأَيْسَرُ خَطْبٍ عِنْدَ حَقٍّ فَنَاؤُهَا
وقد أحسن إبراهيم بن العباس في أبياته كل الإحسان .

فأما قوله :

يَكُونُ غِرَارًا نَوْمُهُ مِنْ حِدَارِهِ عَلَى قُبَّةِ الْإِسْلَامِ وَالْخَلْقِ رَاقِدُ

[١٧٧]

/ فكثير متداول ، ومن حسنه قول محمد بن عبد الملك الزيات :

و

(١) ديوانه ٢ : ٢٧٢ . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « في أنائمهم » .

(٣) ديوانه : ١٥٣ ، والأغاني ١٠ : ٥٩ (طبع دار الكتب المصرية) . الكوم : الإبل الضخمة

العظيمة السنام ؛ الواحد أ كوم والأنثى كوما .

نَعِمَ الْخَلِيفَةُ لِلرَّعِيَّةِ مَنْ إِذَا رَقَدَتْ وَطَابَ لَهَا الْكَرَى لَمْ يَرْقُدْ
ومثله :

وَيَظَلُّ يَحْفَظُنَا وَنَحْنُ بِغَفْلَةٍ وَيَبِيتُ يَكَلُونَا وَنَحْنُ نِيَامُ
ومثله للبحترى :

٥ أَرْبِيعَةَ الْفَرَسِ اشْكُرِي يَدَ مُنْعِمٍ وَهَبَ الْإِسَاءَةَ لِلْمُسِيءِ الْجَانِبِ (١)
رَوَّعْتُمُو جَارَاتِهِ فَبَعَثْتُمُو مِنْهُ حَمِيَّةَ آتِفٍ غَيْرَانِ
لَمْ تَكْرَرْ عَنْ قَاصِي الرِّعِيَّةِ عَيْنُهُ فَتَنَامَ عَنْ وَتْرِ الْقَرِيبِ الدَّانِي

فأما قوله :

كَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدًا لَرَأْفَتِهِ بِالنَّاسِ لِلنَّاسِ وَالِدُ

١٠ فنظير قول بعض الشعراء في يحيى بن خالد البرمكي :

أَحْيَا لَنَا يَحْيَى فَعَالَ خَالِدٍ فَأَصْبَحَ الْيَوْمَ كَثِيرَ الْحَامِدِ
يَسْخَرُ بِكُلِّ طَارِفٍ وَتَالِدِ عَلَى بَعِيدٍ غَائِبٍ وَشَاهِدِ
النَّاسُ فِي إِحْسَانِهِ كَوَاحِدِ وَهُوَ لَهُمْ أَجْمَعِهِمْ كَالْوَالِدِ

ومن جيد قول مروان من قصيدة أولها :

١٥ خَلْتُ بَعْدَنَا مِنْ آلِ لَيْلَى الْمَصَانِعُ وَهَاجَتْ لَنَا الشُّوقَ الدَّيَارُ الْبَلَاقِعُ
يقول فيها :

وَمَالِي إِلَى الْمَهْدِيِّ لَوْ كُنْتُ مُذْنِبًا سَوَى حِلْمِهِ الضَّافِي عَلَى النَّاسِ شَافِعُ
وَلَا هُوَ عِنْدَ السُّخْطِ مِنْهُ وَلَا الرِّضَا بَغِيرِ الَّتِي يَرْضَى بِهَا اللَّهُ وَاقِعُ (٢)
تَغْضُّ لَهُ الطَّرْفَ الْمَيُّونُ وَطَرْفُهُ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ خَاشِعُ

(١) ديوانه ٢ : ٢٧٢ . وفي حاشية الأصل : « ربيعة رجل ورث أباه دوا به ، فقبل له ربيعة

الفرس ؛ وسميت القبيلة باسم ربيعة وهي التي تذكر مع مضر » .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « ولا هو » وفيها (من نسخة) : « فأنع » .

أما قوله :

❖ ولا هو عند السخط منه ولا الرضا ❖... البيت

فمثل قول أشجع :

وَلَسْتُ بِخَائِفٍ لِأَبِي عَلَىَّ وَمَنْ خَافَ إِلَهَ فَلَنْ يُخَافَا

[١٧٧]

ط

/ومثله:

أَمَّنِّي مِنْهُ وَمَنْ خَوْفِهِ خِيفَتْهُ مِنْ خَشْيَةِ الْبَارِي

ولأبي نُوَّاس :

قَدْ كُنْتُ خِفْتُكَ ثُمَّ أَمَّنِي مَنْ أَنْ أَخَافَكَ خَوْفُكَ اللَّهُ^(١)

ويُشَبِّه هذا المعنى ما روى عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه وآله أنه دعا غلاماً مراراً

فلم يجبه ، فخرج فوجده على الباب^(٢) فقال له : ما حملك على تركِ إجابتي ؟ قال : كسيت

عن إجابتك ، وأمنت عقوبتك ، فقال : عليه السلام : الحمد لله الذي جعلني ممن يأمنه خلقه .

فأما قوله : « تَغُضُّ لَهُ الطَّرَفَ الْعَيُونَ » فيشبه أن يكون مأخوذاً من قول الفرزدق ، أو ممن

تنسب إليه هذه الأبيات :

يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَتَسَمُّ^(٣)

(١) ديوانه ١٠٩ ؛ من أبيات بعث بها إلى الفضل بن الربيع .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « على باب البيت » .

(٣) ينسب هذا البيت مع غيره أيضاً للعزير السكناني ؛ وانظر مامر من حواشي ص ٦٨ .

مَجْلِسُ آخِر

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال : ٢٤] . فقال : مامعنى الحَوْل بين المرء وقلبه ؟ وهل يصح ما تأوله قومٌ مِنْ أَنَّهُ يحولُ بين الكافر وبين الإيمان ؟ وما معنى قوله : ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ ؟ وكيف تكون الحياة في إجابته ؟

الجواب ، قلنا : أما قوله تعالى : ﴿يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ ففيه وجوه :

أولها أن يريد بذلك أَنَّهُ تعالى يحولُ بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بالموت ، وهذا حثٌّ من الله عز وجل على الطاعات والمبادرة بها قبل الفوت وانقطاع التكليف ، وتعمُّد ما يسوِّفُ به المكلف نفسه من التوبة والإقلاع ؛ فكأنه تعالى قال : بادروا إلى الاستجابة لله وللرسول مِنْ قبل أن يَأْتِيَكُمُ الموت فيحولَ بينكم وبين الانتفاع بنفوسكم وقلوبكم ، ويتعذَّرَ عليكم ماتسوِّفون به ^(١) نفوسكم من التوبة بقلوبكم . ويقوِّى ذلك قوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ^(٢) .

وثانيها أن يحولَ بين المرء وقلبه بإزالة عقله وإبطال تمييزه ، وإن كان حياً ، وقد يقال لمن فقد عقله وسلبَ تمييزه : إِنَّهُ بغير عقل ^(٣) ؛ قال الله تعالى : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ [ف : ٣٧] .

وقال الشاعر :

/وَلِي أَلْفُ وَجْهِ قَدْ عَرَفْتُ مَكَانَهُ/ وَلَكِنْ بَلَا قَلْبٍ إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ!

وهذا الوجه يقربُ مِنَ الأول ؛ لأنه تعالى أخرج هذا الكلام مخرج الإنذار لهم ،

(١) حاشية الأصل (من نسخة) « فيه » . (٢) بقية الآية السابقة

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « بغير قلب » .

والحث لهم^(١) على الطاعات قبل فَوْتِهَا ، لأنه لا فرق بين تعذّر التوبة وانقطاع التكليف بالموت وبين تعذّرُها بإزالة العقل .

وثالثها أن يكون المعنى المبالغة في الإخبار عن قُرْبِهِ من عباده وعلمه بما يبطنون ويخفون ؛ وأن الضمائر المكنونة^(٢) له ظاهرة ، والخفايا المستورة لعلمه بادية ؛ ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ ؛ [ف : ١٦] ، ونحن نعلم أنه لم تعالى يُرِدْ بذلك ٥ قربَ المسافة ، بل المعنى الذى ذكرناه .

وإذا كان عزّ وجل هو أعلم بما فى قلوبنا منّا ، وكان ما نعلمه أيضا يجوز أن ننساه ، ونسهو عنه ، ونَضِلَّ عن علمه — وكل ذلك لا يجوز عليه — جازاً أن يقول : إنه يحول بيننا وبين قلوبنا ؛ لأنه معلوم فى الشاهد أن كل شيء يحول بين شيئين فهو أقربُ إليهما .

ولما أراد تعالى المبالغة فى وصف القرب خاطبنا بما نعرف ونألف ؛ وإن كان القرب الذى عناه ١٠ جَلَّتْ عظمته لم يُرِدْ به المسافة ، والعرب تضعُ كثيراً لفظة القُرْب على غير معنى المسافة ؛ فيقولون : فلان أقرب إلى قلبى من فلان ، وزيد منى قريب ، وعمرو منى بعيد ؛ ولا يريدون المسافة .

ورابعها — ما أجاب به بعضهم — من أن المؤمنين كانوا يفكّرون فى كثرة عدوّهم ، وقلة عددهم ، فيدخلُ قلوبهم الخوف ، فأعلمهم تعالى أنه يحول بين المرء وقلبه ، بأن يبدّله بالخوف ١٥ الأمن ؛ ويبدّل عدوّهم — بظنهم أنهم قادرون عليهم وغالبون لهم — الجبن والخور .

ويمكن فى الآية وجه خامس ؛ وهو أن يكون المراد أنه تعالى يحول بين المرء وبين ما يدعوه إليه قلبه من القبايح ؛ بالأمر والنهى والوعد والوعيد ؛ لأننا نعلم أنه تعالى لو لم يكلف العاقلَ مع ما فيه من الشهوات والنفار لم يكن له عن القبيح مانع ؛ ولا عن مواقفته رادع ؛ فكانَ التكليف حائلٌ بينه وبينه ؛ من حيث زجر عن فعله ، وُصِرَفَ عن مواقفته ؛

(١) ساقطة من ف . (٢) حاشية ف (من نسخة) : « المكنونة » .

[١٧٨] وليس يجب في الحائل / أن يكون في كل موضع مما يمتنع معه الفعل ؛ لأننا نعلم أن المشير منا^ط على غيره في أمر كان قد همَّ به وعزم على فعله أن يجتنبه. والمنبه له على أن الحظ في الانصراف عنه يصح أن يقال : منعه^(١) ، وحال بينه وبين فعله ، قال عبيد الله بن قيس الرقيات^(٢) :

حَالَ دُونََ الْهَوَى وَدَوَّ نَ سُرَى اللَّيْلِ مُضْعَبُ
وَسِيَّاطُ عَلَى أَكُفِّ رِجَالٍ تُقَلِّبُ

ونحن نعلم أنه لم يحل إلا بالتخويف والترهيب دون غيرها .

فإن قيل : كيف يطابق هذا الوجه صدر الآية ؟

قلنا : وجه المطابقة ظاهر^٣ ، لأنه تعالى أمرهم بالاستجابة لله تعالى ولرسوله فيما يدعوان إليه من فعل الطاعات ، والامتناع من المقتضات ، وأعلمهم أنه بهذا الدعاء والإنذار وما يجري^(٤)

١٠ مجراهما يحول بين المرء وبين ما تدعوه إليه نفسه من المعاصي ؛ ثم إن المكاب بعد هذا كله إليه والمنقلب إلى ما عنده ؛ فيجازى كلاً باستحقاقه .

فأما قوله تعالى : ﴿ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ ففيه وجوه :

أولها أن يريد بذلك الحياة في النعيم^(٥) والثواب ، لأن تلك هي الحياة الطيبة الدائمة التي يؤمن من تغيرها ، ولا يخاف انتقامها ، فكأنه تعالى حث على إجابته التي تكسب

١٥ هذه الحال .

وثانيها أنه يختص^(٥) ذلك بالدعاء إلى الجهاد وقتال العدو ، فكأنه تعالى أمرهم بالاستجابة للرسول عليه السلام فيما يأمرهم به من قتال عدوهم^(٦) ؛ ودفعهم عن حوزة الإسلام

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : «منعه منه» . (٢) حاشية الأصل : «كان جده شاعرا يشب

بجماعة من النساء ، اسم كل واحدة منهن رقية ؛ فأضيف إليهن» .

(٣) حاشية ف (من نسخة) : «وما جرى» . (٤) حاشية ف (من نسخة) : «النعيم» .

(٥) ش : «أن يختص» . (٦) من نسخة بمحاشيتي الأصل ، ف «الأعداء» .

وأعلمهم أن ذلك يحبيهم من حيث كان فيه قَهْرٌ للمُشركين، وتقليل لعددهم، وفلَّ لحدِّهم؛ وحَسَمَ لأطماعهم، لأنهم متى كثروا وقوُّوا استلأنوا جانبَ المؤمنين؛ وأقدموا عليهم بالقتل وصنوف المكاره؛ فمن هاهنا كانت الاستجابة له عليه السلام في القتال تقتضي الحياةَ والبقاء؛ ويجري ذلك مجرى قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾؛ [البقرة: ١٧٩].

وثالثها ما قاله قوم من أن كلَّ طاعة حياة، ويوصف فاعلها بأنه حيّ، كما أن المعاصي يوصف فاعلها بأنه ميت، والوجه في ذلك / أن الطائع لما كان ^(١) منتفعاً بحياته، وكانت تؤديه [١٧٩] إلى الثواب الدائم قيل: إن الطاعة حياة؛ ولما كان الكافر المعاصي لا ينتفع بحياته؛ من حيث كان مصيره إلى العقاب الدائم كان في حكم الميت؛ ولهذا يقال لمن كان منغصاً ^(٢) الحياة، غير منتفع بها: فلان بلا عيش ولا حياة، وما جرى مجرى ذلك من حيث لم ينتفع بحياته.

ويمكن في الآية وجه آخر، وهو أن يكون المراد بالكلام الحياة بالحكم لا في الفعل؛ ١٠ لأننا قد علمنا أنه عليه السلام كان مكلفاً مأموراً بجهاد جميع المشركين المخالفين لملته وقتلهم، وإن كان فيما بعد كلف ذلك فيمن عدا أهل الذمة على شَرطها؛ فكأنه تعالى قال: استجيبوا للرسول ولا تخالفوه، فإنكم إذا خالفتم كنتم في الحكم غير أحياء، من حيث تُعبدُّ عليه السلام بقتالكم وقتلكم، فإذا أطعتم كنتم في الحكم أحياء؛ ويجري ذلك مجرى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾؛ [آل عمران: ٩٧]؛ وإنما أراد تعالى أنه يجب أن يكون آمناً؛ ١٥ وهذا ^(٣) حكمه، ولم يخبر بأن ذلك لا محالة واقع.

فأما المُجْبِرَةُ فلا شبهة لهم في الآية، ولا متعلّق بها؛ لأنه تعالى لم يقل: إنه يحول بين المرء وبين الإيمان، بل ظاهر الآية يقتضي أنه يحول بينه وبين أفعاله، وإنما يقتضي ظاهرها أنه يحول بينه وبين قابله؛ وليس للإيمان ولا للكفر ذكر، ولو كان للآية ظاهر يقتضي

(١) ش: «إذا كان». (٢) حاشية ف (من نسخة): «متكدر».

(٣) حاشية ف (من نسخة): «وهكذا حكمه».

ماظنوه - وليس لها ذلك - لا نُصرفنا عنه بأدلة العقل المرجبة أنه تعالى لا يحول بين المرء وبين ما أمره به ، وأراد منه ، وكلفه فعله ؛ لأن ذلك قبيح ، والقبائح عنه منفية .

أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال حدثني أحمد بن محمد الجوهري قال حدثنا الحسن بن عُليّ المنزلي قال حدثنا أحمد بن عمرو بن إسماعيل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن ابن عوف قال حدثني محمد بن خالد^(١) بن عبد الله عن الحجاج السلمي قال : لما اشتد بحضن ابن حذيفة بن بدر وجهه من طمعة كُرُز^(٢) بن عامر إياه يوم بني عُقيل دعا ولده فقال : إن الموت أهون مما أجد ، فأبيكم يُطيعني ؟ قالوا : كلنا نطيعك ؛ فبدأ بأكبرهم فقال : قم فخذ سيفي واطعن به حيث آمرك ، ولا تمجّل ؛ قال : يا أبتاه : أيقتل المرء^(٣) أباه ! فأثنى على [١٧٩] القوم كلهم / ، فأجابوه جواب^(٤) الأول ؛ حتى انتهى إلى عُيَيْنَةَ فقال : يا أبتاه ، أليس لك فيما تأمرني به راحة ، ولي بذلك طاعة ؛ وهو هواك ؟ قال : بلى ، قال : فرّني كيف أصنع ، قال : قم فخذ سيفي فضعه حيث آمرك^(٥) ، ولا تمجّل ، فقام فأخذ سيفه ، ووضع على قلبه ، ثم قال : يا أبتاه ، كيف أصنع ؟ قال : ألق السيف ؛ إنما أردت أن أعلم : أيكم أمضى لما أمر به ؛ فأنت خليفتي ورئيس قومك من بعدى ، فقال القوم : إنه^(٦) سيقول فيما كان بيتاً ، فاحضروه^(٧) فلما أمسى قال :

١٥ وَلَوْأَ عُيَيْنَةَ مِنْ بَعْدِي أُمُورَكُمْ وَاسْتَيْقِنُوا أَنَّهُ بَعْدِي لَكُمْ حَامٍ
إِذَا هَلَكْتُ فَإِنِّي قَدْ بَنَيْتُ لَكُمْ عِزَّ الْحَيَاةِ بِمَا قَدَّمْتُ قَدَامِي
وَاسْتَوْسِقُوا لِتِلْكَ فِيهَا مَرُوءُكُمْ قَوْدَ الْجِيَادِ ، وَضَرَبَ الْقَوْمَ فِي الْهَامِ^(٧)

(١) ش : « عمر بن خالد » . (٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « كريز » .

(٣) ش : « الرجل » . (٤) ف : « بجواب الأول » . حاشية الأصل (من نسخة) :

« الجواب الأول » . (٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « كما أمرت به » .

(٦-٦) م : « إنه سيقول في ذلك شيئاً بيننا ، فاحضروه » . (٧) استوسقوا : انضموا واجتمعوا ،

وفي حاشية الأصل : « نصب » قود الجياد ، على تقدير فعل مضمر ؛ كأنه قال : أعنى قود الجياد .

والقُرْبَ مِنْ قَوْمِكُمْ - وَالْقُرْبُ يُذَفِّعُكُمْ -
 وَلِيَّ حُدَيْفَةُ إِذْ وَلَّى وَخَلَفَنِي
 لَا أَرْفَعُ الطَّرْفَ ذُلًّا عِنْدَ مُهْلَكَةٍ
 حَتَّى اعْتَقَدْتُ لِوَأَقَوْمِي فَقُمْتُ بِهِ
 لِمَا قَضَى مَا قَضَى مِنْ حَقِّ زَائِرِهِ
 أَسْمُو لِمَا كَانَتْ الْآبَاءُ تَطْلُبُهُ
 وَالذَّهْرُ آخِرُهُ شَبَهُ لَأَوَّلِهِ
 فَابْنُوا وَلَا تَهْدِمُوا فَالنَّاسُ كُلَّهُمْ
 وَالْبُعْدَ إِنْ بَاعَدُوا ، وَالرَّمْيَ لِلرَّأْيِ
 يَوْمَ الْهَبَاةِ يَتِيًّا وَسَطًا أَيْتَامَ
 أَلْقَى الْمَدْوُ بَوَجْهِ خَدُّهُ دَائِي
 ثُمَّ ارْتَحَلْتُ إِلَى الْجَفْنَى بِالشَّامِ
 عَجْتُ الْمَطَى إِلَى النُّعْمَانِ مِنْ عَامِي ٥
 عِنْدَ الْمَلُوكِ فَطَرَفِي عِنْدَهُمْ سَامِي
 قَوْمٌ كَقَوْمِ وَأَيَّامٌ كَأَيَّامِ
 مِنْ بَيْنِ بَانٍ إِلَى الْعَلْيَا وَهَدَامِ

قال : ثم أصبح ودعا بني بدر ، فقال : لو أئى ورياستى لعينته ؛ واسمعوا منى ما أوصيكم به :

لا يتكل آخركم على أولكم ؛ فإنما يدرك الآخر ^(١) ما أدركه الأول ؛ وأنكحوا الكف ^(٢) .
 الغريب ؛ فإنه عز حدث ؛ وإذا حضركم أمران نخذوا بخيرهما صدرا ؛ فإن كل مؤرد معرؤف ؛ واصحبوا
 قومكم بأجل أخلاقكم ؛ ولا تحالفوا فيما اجتمعوا عليه ؛ فإن الخلاف يُزري بالرئيس المطاع ؛
 وإذا حاربتم فأوقعوا ثم قولوا صدقا ؛ فإنه لا خير فى الكذب ، وصونوا الخيول ، فإنها حصون
 الرجال ؛ وأطبلوا الرماح ؛ فإنها قرون الخيل ؛ وأعزوا ^(٣) الكبير بالكبير ؛ فإنى بذلك كنت
 أغلب الناس ، ولا تغزوا إلا بالعيون ؛ ولا تسرحوا حتى تأمنوا الصباح ؛ وأعطوا على حسب ١٥
 المال ، وأعجلوا الضيف بالقرى ؛ فإن خيرها أعجله ، واتقوا فضحات البغى ، وفتات المزاح ، ولا
 تجترئوا على الملوك ؛ فإن أيديهم أطول من أيديكم ؛ واقتلوا كرز بن عامر .

ومات حصن فأخذ عينته الرياسة ، وقال :

أَطَعْتُ أَبَا عُمَيْيَّةَ فِي هَوَاهُ فَلَمْ تَخْلُجْ صَرِيْعَتِي الظُّنُونُ ^(٤)

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « الأخير » . (٢) ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) :

« الكنى » . (٣) س : « واغزو » . (٤) الصريعة : الغزبة والرأى . وفى حاشية

الأصل : « يقال : اختلجته الظنون وتخالجته وخلجته ، أى ظن ، والشاعر يقول : لم تأخذنى الظنون مآخذها
 إلى طعنه ، ولم أظن ظنا » .

وَقَدْ عَرَضَ الرَّئِيسُ عَلَى بَنِيهِ فَقَالَ الْقَوْمُ : هَذَا لَا يَكُونُ
 سَيِّحِيًّا أَوْ تَمُوتُ ، فطاولوه^(١) وَقَتْلُ الْمَرْءِ وَالِدَهُ جُنُونٌ
 فَلَمْ أَقْتُلْ بِحَمْدِ اللَّهِ حِصْنًا وَكُلُّ فَتًى سَتُدْرِكُهُ الْمَنُونُ
 وَلَمْ أَنْكُلْ عَلَيْهِ ، وَكُلُّ أَمْرٍ إِذَا هَوْنَتُهُ يَوْمًا يَهُونُ
 فَإِنْ يَكُ بَدْءُ هَذَا الْأَمْرِ غَنًّا فَأَخِرُهُ بَنِي بَدْرِ سَمِينُ ٥

وحكى عمرو بن بحر الجاحظ أن اسم عيينة بن حصن خذيفة، وإنما أصابته اللقوة^(٢)
 فجحظت عينه ؛ وزال فكُّه ، فسمى لذلك عُيَيْنَةً ؛ وإذا عظمت عين الإنسان لقَّبوه أبا عينته،
 وأبا عَيْنَاء .

وروى قيس بن أبي حازم أن عُيَيْنَةَ بن حصن دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله
 ١٠ فقال : « هذا أحقُّ مطاع » .

وروى أيضاً أنه كان يدلّع^(٣) لسانه للحسين بن عليّ عليهما السلام وهو صبيّ ، فيرى
 [الصبيّ]^(٤) لسانه ، فيمشّ له ، فقال له عيينة : ألا أراك^(٥) تصنع هذا بهذا ، فوالله إنه ليكون
 لي الابنُ رجلاً قد خرج وجهه ، ما قبلته قطّ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : «^(٦) إنه
 مَنْ لَمْ يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ^(٦) » .

١٥ ونعود إلى ما كنا وعدنا به من الكلام على شعر مروان ؛ فمما يُختار من شعره قوله من
 قصيدة أولها :

صَحًّا بَعْدَ جَهْلٍ فَاسْتَرَا حَتْ عَوَاذِلُهُ وَأَقْصَرَنَ عَنْهُ حِينَ أَقْصَرَ بَاطِلُهُ
 / وَمَنْ مُدَّ فِي أَيَّامِهِ فَتَأَخَّرَتْ مَنِيَّتُهُ ، فَالْشَيْبُ لَا شَكَّ شَامِلُهُ [١٨٠] ط

(١) حاشية الأصل (من نسخة) :

* سَيِّحِيًّا أَوْ يَمُوتُ فطاولوه *

(٢) اللقوة : داء في الوجه يعوج منه الشدق . (٣) يقال دلّع لسانه وأدلعه إذا أخرجه .

(٤) تكلمة من ش . (٥) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « لا أراك » .

(٦-٦) حاشية الأصل (من نسخة) : « من لم يرحم لا يرحم » .

يقول في المديح فيها :

هُوَ الْمَرْءُ ؛ أَمَّا دِينُهُ فَهُوَ مَانِعٌ
أَمْرٌ وَأَحْلَى مَا بَلَى النَّاسُ طَعْمَهُ
أَبِيٌّ لَمَّا يَأْبَى ذُوو الْحَزْمِ وَالتَّقَى
تَرُوكُ الْهُوَى ، لَا السَّخْطُ مِنْهُ وَلَا الرِّضَا
يَرَى أَنَّ مُرَّ الْحَقِّ أَحْلَى مَغْبَةً
فَإِنَّ طَلِيقَ اللَّهِ مَنْ هُوَ مُطْلِقٌ
وَإِنَّكَ بَعْدَ اللَّهِ لِلْحَكَمِ الَّذِي

صُنُونٌ^(١) ، وَأَمَّا مَالُهُ فَهُوَ بَاذِلُهُ
عِقَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَنَائِلُهُ
فَعُولٌ إِذَا مَا جَدَّ بِالْأَمْرِ فَاعِلُهُ
لَدَى مَوْطِنٍ إِلَّا عَلَى الْحَقِّ حَامِلُهُ^(٢)
وَأُنْجَى وَلَوْ كَانَتْ زُعَافًا مَنَافِلُهُ
وَإِنَّ قَتِيلَ اللَّهِ مَنْ هُوَ قَاتِلُهُ
تُصَابُ بِهِ مِنْ كُلِّ حَقٍّ مَفَاصِلُهُ

أما قوله :

وَمَنْ مُدَّةً فِي أَيَّامِهِ فَتَأَخَّرَتْ
فَمَاخُذُ مَنْ قَوْلِ طَرِيحِ بْنِ إِسْمَاعِيلِ الثَّقَفِيِّ :
وَالشَّيْبُ غَايَةُ مَنْ تَأَخَّرَ حَيْنُهُ
لَا يَسْتَطِيعُ دِفَاعَهُ مَنْ يَجْزَعُ
وَالْأَصْلُ فِي هَذَا قَوْلُ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ :
مَنْ لَمْ يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا
وَالْمَوْتُ كَأْسٌ ، وَالْمَرْءُ ذَائِقُهَا^(٣)
وَيُشَبِّهُ ذَلِكَ قَوْلُ الْآخَرِ :

قُلْ لِعَرْسِي لَيْسَ شَيْبِي بَعَجَبٌ
مَنْ يَعِشُ يَا أُمَّ عَمَّارٍ يَشِبُ
وَمِثْلُهُ قَوْلُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ :

مَنْ يَعِشُ يَهْرَمُ ، وَمَنْ يَكْبُرُ يَمُتُ
وَالْمَنَايَا لَا تُبَالِي مَنْ أَنْتَ^(٤)

(١) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « مصون » . (٢) حاشية الأصل : « أى لا يحمد

السخط ولا الرضا إلا على الحق » .

(٣) عبطة : أى شابا صحيحا ؛ كذا ذكره صاحب اللسان (فى عبط) ، واستشهد بالبيت . وفى

نسخة ش : « فالمرء ذائقها » . (٤) ديوانه : ٣٩ .

يشبهه قول البحترى :

ولا بُدَّ منْ تَرْكِ إِحْدَى اثْنَتَيْنِ / ويقاربه أيضا قوله :
فإِما الشَّبَابُ وإِما العُمُرُ^(١)

[١٨١]
و

وَالشَّيْبُ مَهْرَبُ مَنْ جَارَى مَنِيَّتَهُ / ولا نَجَاءَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ الْهَرَبِ^(٢)
وقريب منه قول ابن المعتز :

وَقَالَتْ كِبَرَتْ وَانْتَضَيْتِ مِنَ الصَّبَا / فَقُلْتُ لَهَا : مَا عِشْتُ إِلَّا لَأَكْبَرَ^(٣)
ولبعضهم :

ولا بُدَّ منْ مَوْتٍ ؛ فإِما شَبِيهَةٌ / وإِما مَشِيْبٌ ، والشَّبِيهَةُ أَصْلَحُ
معنى قوله : « والشببية أصلح » أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا مَاتَ شَابًّا كَانَ أَكْثَرَ لِلْحُزْنِ عَلَيْهِ
١٠ والأسف على مفارقتة ، فإذا أَسْنَى يَرِمَ بِهِ أَهْلُهُ ، وَهَانَ عَلَيْهِمْ فَقْدُهُ .

فأما قوله :

هُوَ الْمَرءُ ، أَمَا دِينُهُ فَهُوَ مَانِعٌ / صئون ، وَأَمَا مَالُهُ فَهُوَ بَاذِلُهُ
فمعناه متكرر في الشعر كثير جداً .

وأحسن شعر جمع بين وصف المدح ؛ بمنع ما يجب منعه ، وبذل ما يجب بذله قول
١٥ مسلم بن الوليد :

يُنْذِرُكَ كَرِّ نِكَاحِ الْجُودِ وَالْبُخْلِ وَالنَّهْيُ / وَقَوْلُ الْخَنَاءِ وَالْحِلْمِ وَالْعِلْمُ وَالْجَهْلُ^(٤)
فَأَلْقَاكَ عَنْ مَذْمُومِهَا مُتَنَزِّهَا / وَأَلْقَاكَ فِي مَحْمُودِهَا وَلَكَ الْفَضْلُ
وَأَحْمَدُ مِنْ أَخْلَاقِكَ الْبُخْلُ إِنَّهُ / بِعِرْضِكَ لَا بِالْمَالِ حَاشَا لَكَ - الْبُخْلُ

(٢) ديوانه ١ : ٣٠

(١) ديوانه ١ : ٢١٩

(٣) ديوانه ١ : ٣١ ، وانتضيت من الصبا ، أى خلع عنك صباك .

وقد أحسن البحترى في قوله :

بَلَوْنَا ضَرَائِبَ مَنْ قَدْ نَرَى فَمَا إِزْ وَجَدْنَا لِفَتْحِ ضَرِيَا^(١)
تَنْقَلَّ فِي سَلَفِي^(٢) سُوْدُودُ سَمَاحًا مُرَجَّى وَبَاسًا مَهِيَا
فَكَالسَيْفِ إِنْ جِئْتَهُ صَارِخًا وَكَالْبَحْرِ إِنْ جِئْتَهُ مُسْتَثِيْبَا

فأما قوله :

نَرُوكَ الْهُوَى، لَا السَّخَطُ مِنْهُ وَلَا الرِّضَا لَدَى مُوْطِنٍ إِلَّا عَلَى الْحَقِّ حَامِلُهُ

فمعنى متداول^(٣) مطروق في الشعر ، وقد كرّره هو في قوله :

إِذَا هُنَّ أَلْقَيْنَ الرَّحَالَ بِيَابِهِ حَطَطْنَ بِهِ ثِقْلًا، وَأَدَرَ كُنَّ مَغْنَمًا^(٤)
/ إِلَى طَاهِرِ الْأَخْلَاقِ، مَا نَالَ فِي رِضَا وَلَا غَضَبٍ مَالًا حَرَامًا وَلَا دِمَا^(٥)

[١٨١]
ط

١٠

وأحسن من هذا قول أبي تمام في محمد بن عبد الملك :

ثَبَّتُ الْخَطَابَ إِذَا اضْطَكَّتْ بِمَظْلَمَةٍ فِي رَحْلِهِ أَلْسُنُ الْأَقْوَامِ وَالرُّكْبُ^(٦)
لَا الْمَنْطِقُ اللَّغْوُ يَزُكُو فِي مَقَاوِمِهِ يَوْمًا، وَلَا حُجَّةُ الْمَلْهُوفِ تُسْتَلَبُ
كَأَنَّمَا هُوَ فِي نَادَى قَبِيلَتِهِ لَا الْقَلْبُ يَهْفُو وَلَا الْأَحْشَاءُ تَضْطَرِبُ
وَتَحْتَ ذَاكَ قَضَا حَزْ شَفَرَتِهِ كَمَا يَعْصُ بِظَهْرِ الْغَارِبِ الْقَتَبُ^(٧)
لَا سَوْرَةٌ تُتَقَى مِنْهُ وَلَا بَلَةٌ وَلَا يُخَافُ^(٨) رِضَا مِنْهُ وَلَا غَضَبُ

١٥

(١) ديوانه ١ : ٥١ ، من قصيدة يمدح فيها الفتح بن خاقان وزير المتوكل وبعاتبه، ومطلعها :

لَوْتُ بِالسَّلَامِ بَنَانًا خَضِييَا وَلِحَظًا يَشُوقُ الْفُؤَادَ الطَّرُوبَا

ومن نسخة بحاشية الأصل : « فَا إِنْ رَأَيْنَا لِفَتْحِ ضَرِيَا » . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) :

« خَلَقِي سُوْدُودُ » ؛ وهى رواية الديوان . (٣) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « فَبَذُول » .

(٤) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « وَأَدِينْ مَغْنَمًا » ،

(٥) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « طَاهِرُ الْأَثْوَابِ » . (٦) ديوانه : ٤٨-٤٩ . وفى م :

« ثَبَّتَ الْجَنَانَ » . (٧) الْغَارِبُ : السَّكَاهِلُ . الْقَتَبُ : مَا يَوْضَعُ عَلَى ظَهْرِ الرَّحْلِ .

(٨) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « وَلَا يَخِيفُ » .

ومثله قول البحترى فى ابن الزيات أيضا :

وَجَّهَ الْحَقَّ بَيْنَ أَخْذٍ وَإِعْطَا
وَاسْتَوَى النَّاسُ فَالْقَرِيبُ قَرِيبٌ
لَا يَمِيلُ الْهَوَى بِهِ حِينَ يَمِضَى
وَسَوَاءٌ لَدَيْهِ أُنْبَاءُ إِبْرَا
مُسْتَرِيحُ الْأَحْشَاءِ مِنْ كُلِّ ضَنْغٍ
وَقَصْدٌ فِي الْجَمْعِ وَالتَّبْدِيدِ^(١)
عِنْدَهُ ، وَالْبَعِيدُ غَيْرُ بَعِيدٍ
أَمْرَ بَيْنَ الْمَقْلِيِّ وَالْمُودِدِ
هِيمَ فِي حُكْمِهِ وَأُنْبَاءُ هُودِ^(٢)
بَارِدُ الصَّدْرِ مِنْ غَلِيلِ الْحُقُودِ
فَأَمَّا قَوْلُهُ :

* وَإِنْ قَتِيلَ اللَّهُ مَنْ هُوَ قَاتِلُهُ *

فيشبهه أن يكون مأخوذا من قول يزيد بن مفرغ فى عبيد الله بن زياد :

إِنَّ الَّذِي عَاشَ خَتَارًا بِذِمَّتِهِ وَمَاتَ عَبْدًا قَتِيلُ اللَّهِ بِالزَّابِ^(٣)
أَمَّا قَوْلُهُ :

وَإِنَّكَ بَعْدَ اللَّهِ لِلْحَكَمِ الَّذِي تُصَابُ بِهِ مِنْ كُلِّ حَقٍّ مِفَاصِلُهُ

فيشبهه قول أبى تمام يصف القلم ، من قصيدة يمدح بها ابن الزيات ، وأجمع العلماء أن هذه الأبيات أحسن وأفخم من جميع ما قيل فى القلم :

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشِبَابَتِهِ تُصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُلِّ وَالْمَفَاصِلِ^(٤)
[١٨٢] / لَهُ الْخَلَوَاتُ اللَّائِي لَوْ لَا نَجِيئُهَا لَمَا احْتَفَلَتْ لِلْمُلْكِ تِلْكَ الْمَحَافِلُ

(١) ديوانه ١ : ٢٠٥ .

(٢) أبناء إبراهيم : العدنانيون ، وأبناء هود : الفحصانيون .

(٣) الزاب : موضع قريب من أذربيجان ؛ وقتيل الزاب هو عبيد الله بن زياد ابن أبيه ؛ قتله أصحاب المختار بن أبي عبيد ؛ ويقال : إن إبراهيم بن الأشتر حمل على كتيفته فانهزموا ، ولقى عبيد الله فضر به فقتله ؛ والبيت فى الأغاني ١٧ : ٦٨ ، وبعده :

الْعَبْدُ لِلْعَبْدِ ، لَا أَصْلَ وَلَا طَرْفَ
أَلَوْتُ بِهِ ذَاتُ أَظْفَارٍ وَأَنْيَابِ

(٤) ديوانه : ٢٥٧ . الشبابة هنا : حد القلم ، والسكى : جمع كلية أو كلوة .

لَمَّابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لَمَّابُهُ
 لَهُ رَيْقَةٌ طَلٌّ ، وَلَكِنَّ وَقَعَهَا
 فَصِيحٌ إِذَا اسْتَنْطَقَتْهُ وَهُوَ رَاكِبٌ ،
 إِذَا مَا امْتَطَى الْخُمْسَ اللَّطَافَ وَأَفْرِغَتْ
 أَطَاعَتُهُ أَطْرَافُ الْقَنَا ، وَتَقَوَّضَتْ
 إِذَا اسْتَغْزَرَ الدَّهْنَ الذِّكْيَّ وَأَقْبَلَتْ
 وَقَدْ رَفَدَتْهُ الْخِنْصَرَانِ وَسَدَّدَتْ^(٤)
 رَأَيْتَ جَلِيلًا شَأْنُهُ وَهُوَ مُرْهَفٌ
 وَأَرَى الْجَنَى اشْتَارَتْهُ أَيْدٍ عَوَاسِلِ^(١)
 بِأَثَارِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَابِلِ^(٢)
 وَأَعْجَمُ إِنَّ خَاطِبَتَهُ وَهُوَ رَاجِلٌ
 عَلَيْهِ شِعَابُ الْفِكْرِ وَهِيَ حَوَافِلُ^(٣)
 لِنَجْوَاهُ تَقْوِيضَ الْخِيَامِ الْجَحَافِلِ ٥
 أَعَالِيهِ فِي الْقِرْطَاسِ وَهِيَ أَسَافِلُ
 ثَلَاثَ نَوَاحِيهِ الثَّلَاثُ الْأَنَامِلُ
 ضَنْئِي ، وَسَمِينَا خَطْبُهُ وَهُوَ نَاجِلُ

(١) الأرى : العسل . اشتارته : استخرجته . عواسل : جمع عاسلة ؛ والماسل : مستخرج العسل .

(٢) الطل في الأصل : المطر القليل . والوابل : المطر الكثير .

(٣) في حاشيتي الأصل ، ف : « جعل القلم ممطيا الأنامل ؛ لأنهن يحملنه وإن علونه ؛ ولي جعل القلم مطية للأنامل لأنها تعلوه لجاز وحسن . وقوله : « أفرغت عليه شعاب الفكر » دلالة قوية على أن للفكر مطية ؛ وبعد فهو منقول من قول أحمد بن يوسف وعمرو بن مسعدة : « الأقلام مطايا الفطن » .

(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « شددت » .

مَجْلِسُ خُر تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿فَأَيُّنَ تَذْهَبُونَ. إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ. وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾؛ [التكوير: ٢٦-٢٩].
فقال: ما تأويل هذه الآية؟ أوليس ظاهرها يقتضى أننا لا نشاء شيئاً إلا والله تعالى شاء له، ولم يخص إيماناً من كفر، ولا طاعة من معصية؟

الجواب، قلنا: الوجه المذكور في هذه الآية، أن الكلام متعلق بما تقدمه من ذكر الاستقامة؛ لأنه تعالى قال: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾؟ ثم قال: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾؛ أى لا تشاءون الاستقامة إلا والله تعالى يريد لها؛ ونحن لا نسكر أن يريد الله تعالى الطاعات؛ وإنما أنكرنا إرادته المعاصي؛ وليس لهم أن يقولوا: تقدم ذكر الاستقامة لا يوجب قصر الكلام عليها؛ ولا يمنع من عمومها؛ كما أن السبب ١٠ لا يوجب قصر ما يخرج من الكلام عليه حتى لا يتعداه؛ وذلك أن الذى ذكره إنما يجب فيه يستقل بنفسه من الكلام دون ما لا يستقل.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ لا ذكر للمراد فيه؛ فهو غير مستقل

[١٨٢] بنفسه؛ وإذا علق بما تقدم من / ذكر الاستقامة استقل؛ على أنه لو كان للآية ظاهر يقتضى

ما ظنوه - وليس لها ذلك - لوجب الانصراف عنه بالأدلة الثابتة؛ على أن الله تعالى لا يريد المعاصي

١٥ ولا القبائح؛ على أن مخالفتها في هذه المسألة لا يمكنهم حمل الآية على العموم؛ لأن العباد قد

يَشَاءُونَ عندهم مالا يشاؤه الله تعالى؛ بأن يريدوا الشيء ويعزموا عليه، فلا يقع لمنع أو

غيره؛ وكذلك قد يريد النبي عليه السلام من الكفار الإيمان، وتعبدنا بأن نزيد من التقديم

على القبيح تركه؛ وإن كان تعالى عندهم لا يريد ذلك إذا كان المعلوم أنه لا يقع؛ فلا بد لهم

من تخصيص الآية؛ فإذا جاز لهم ذلك بالشبهة جاز لنا مثله بالحجة؛ وتجري هذه الآية مجرى قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ، فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾؛ [المزمل : ١٩] ، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ، [الإنسان : ٣٠] ، وقوله تعالى : ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ، [المدثر : ٥٦] ، في تعلق الكلام بما قبله .

فإن قالوا : فالآية تدل على مذهبنا وبطلان مذهبكم^(١) من وجه آخر؛ وهو أنه عز وجل ٥ قال : ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ؛ وذلك يقتضي أنه يشاء الاستقامة في حال مشيئتنا لها؛ لأن «أن» الخفيفة إذا دخلت على الفعل المضارع اقتضت الاستقبال؛ وهذا يوجب أنه يشاء أفعال العباد في كل حال ، ويبطل ما تذهبون إليه من أنه إنما يريد الطاعات في حال الأمر .

قلنا : ليس في ظاهر الآية إلا نشاء إلا ما شاء الله تعالى في حال مشيئتنا كما ظننتم ؛ ١٠ وإنما يقتضي حصول مشيئته لانشأؤه من الاستقامة من غير ذكر لتقدم ولا تأخر؛ ويجري ذلك مجرى قول القائل : ما يدخل زيد هذه الدار إلا أن يدخلها عمرو ؛ ونحن نعلم أنه غير واجب بهذا الكلام أن يكون دخولهما في حال واحدة ؛ بل لا يمتنع أن يتقدم دخول عمرو، ويتلوه دخول زيد، و«أن» الخفيفة وإن كانت للاستقبال على ما ذكرناه، فلم يبطل على تأويلنا معنى الاستقبال فيها؛ لأن تقدير الكلام: وما تشاءون الطاعات إلا بعد أن يشاء الله تعالى، ومشيئته ١٥ تعالى قد كانت لها حال الاستقبال^(٢) .

وقد ذهب أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي إلى أنه لا يمتنع أن يريد تعالى الطاعات حالا بعد حال ؛ وإن كان قد أرادها في حال الأمر ؛ كما يصح أن يأمر بها أمرا بعد أمر ؛ قال : / لأنه قد يصح أن يتعلق بإرادته ذلك منا بعد الأمر وفي حال الفعل مصلحة ؛ ويعلم [١٨٣] و تعالى أننا نكون متى علمنا ذلك كنا إلى فعل الطاعات أقرب ، وعلى هذا المذهب لا يعترض بما ذكرناه .

(١) حاشية ف (من نسخة) : « مذاهبكم » . (٢) حاشية ف (من نسخة) : « حال استقبال » .

والجواب الأول واضح إذا لم نذهب إلى مذهب أبي عليّ في هذا الباب ؛ على أن اقتضاء الآية للاستقبال من أوضح دليل على فساد قولهم ؛ لأن الكلام إذا اقتضى حدوث المشيئة واستقبالها بطل قول من قال منهم : إنه يريد لنفسه ، أو يريد بإرادة قديمة ، وصحّ ما نقوله من إن إرادته متجدّدة محدثة .

ويمكن في تأويل الآية وجه آخر مع حملنا إياها على العموم ؛ من غير أن نخصها بماتقدّم ذكره من الاستقامة ؛ ويكون المعنى : وماتشاءون شيئاً من فعالكم إلا أن يشاء الله تمكينكم من مشيئته ، وإقداركم عليها والتخلية بينكم وبينها ؛ وتكون الفائدة في ذلك الإخبار عن الافتقار إلى الله تعالى ؛ وأنه لا قدرة للعبد على ما لم يُقدِّره الله تعالى عزّ وجلّ ، وليس يجب عليه أن يستبعد هذا الوجه ؛ لأن ما تعلق به المشيئة في الآية محذوف غير مذكور ؛ وليس لهم أن يعلقوا قوله تعالى : ﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ بالأفعال دون تعلقه بالقدرة ؛ لأن كل واحد من الأمرين غير مذكور ، وكل هذا واضح بحمد الله .

ونعود إلى ما كنا وعدنا به من الكلام على شعر مروان ؛ فمما يختار قوله من قصيدة أولها :

طَرَقَتْكَ زَائِرَةٌ ، فحَى خِيَالَهَا بَيْضَاءُ تَخْلِطُ بِالْحَيَاءِ دَلَالَهَا

يقول فيها : ١٥

مَالَتْ^(١) بِقَلْبِكَ فَاسْتَمَادَ وَمِثْلَهَا قَادَ الْقُلُوبَ إِلَى الصَّبَا فَأَمَّا لَهَا
وَكَاثِمًا طَرَقَتْ بِنَفْحَةٍ رَوْضَةٍ سَحَّتْ بِهَا دَيْمُ الرِّبْعِ ظِلَالَهَا
بَاتَتْ تُسَائِلُ فِي الْمَنَامِ مُعَرِّسًا^(٢) بِالْبَيْدِ أَشْعَتْ لَا يَمَلُّ سَوَالَهَا
فِي فِتْيَةٍ هَجَمُوا غِرَارًا بَعْدَمَا سَثَمُوا مُرَاعِشَةَ السَّرَى وَمِطَالَهَا

(١) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « ملكت » .

(٢) التعريس : النزول في آخر الليل

فَكَانَ حَشَوَ ثِيَابِهِمْ هِنْدِيَّةً نَحَلَتْ وَأَغْفَلَتِ الْعِيونُ صِقَالَهَا

[١٨٣] المراعشة^(١) : تحريك الرأس في السير من النوم .
ظ

أما ذكره في أول القصيدة طروق الطيف ؛ فإنه لم يأت فيه بمعنى غريب ؛ ولا لفظ مستعذب ؛ وقد قال الناس في الطَّيْفِ والخيالِ فأكثرُوا ، وقد سبق في ذلك قيس بن الخطيم إلى معنى ؛ كلُّ الناس فيه عيال عليه ، وهو قوله :

أَتَى سُرَبْتٍ وَكُنْتُ غَيْرَ سَرُوبٍ ! وَتَقَرَّبُ الْأَحْلَامُ غَيْرَ قَرِيبٍ^(٢)
مَا تَمْنَعِي يَقْظَى فَقَدْ تَوْتَيْنَهُ فِي النَّوْمِ غَيْرَ مُصَرِّدٍ مُحْسُوبٍ
كَانَ الْمُنَى بَلَقَائِهَا فَلَقِيَتْهَا فَلَهَوْتُ مِنْ لَهْوِ امْرِئٍ مَكْدُوبٍ

وقد أحسن جرير في قوله :

١٠ أَنَنَسَى إِذْ تَوَدَّعْنَا سُلَيْمَى بِفَرَعٍ بِشَامَةٍ سُقَى الْبَشَامُ^(٣)
بِنَفْسِي مَنْ تَجَنَّبَهُ^(٤) عَزِيزٌ عَلَى ، وَمَنْ زِيَارَتُهُ لِمَامٌ
وَمَنْ أَمْسَى وَأَصْبَحُ لَا أَرَاهُ وَيَطْرُقُنِي إِذَا هَجَعَ النَّيَامُ

وهذه الأبيات وإن خلت من معنى في ذكر الطيف غريب ، فلم تخل من لفظ مستعذب .

ولأبي عبادة البحترى في وصف الخيال الفضل على كل متقدم ومتأخر ؛ فإنه تغفل في

(١) حاشية الأصل : « في نسخة الشجرى : قال السيد المرتضى رضى الله عنه : المراعشة في الأصل :

تحريك الرأس في السير من النوم » وفيها أيضا : « الرعش : المشى الضعيف ، من الإعياء وغيره » .

(٢) ديوانه : ٥ ، وحسان ابن الشجرى ١٨٩ ، واللائى : ٥٢٤ . وانظر ص ٣٩٣ من هذا الجزء .

(٣) ديوانه : ٥١٢ ، مع اختلاف في ترتيب الأبيات . والبشامة : واحدة البشام ؛ وهو شجر

ذو أفنان وورق صغير ؛ إذا قصفت غصونه سال منها سائل أبيض كاللبن ؛ يتخذ منه سواك ؛ يريد أنها

أشارت بسواكها تودعه ؛ ولم تتسكلم مخافة الرقباء . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « تجنبه »

وهى رواية الديوان . ولما : قليل .

أوصافه، واهتدى من معانيه إلى ما لا يوجد لغيره، وكان مشغولاً بتكرار القول فيه لهجاً يبدئه وإعادته؛ وإن كان لأبي تمام في ذلك مواضع لا يجهل فضلها، ومحاسن لا يُبلغ شأوها؛ فما لأبي تمام قوله:

زارَ الخَيَالُ لها، لا بَلْ أزارَ كهُ فِكرُهُ إِذا نَامَ فِكرُ الخَلْقِ لَمْ يَنِمْ^(١)
طَبِي تَقَنُّصُهُ لَمَّا نَصَبْتُ لَهُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ أَشْرًا كَأَنَّ الحُلُمَ
نَمَّ اغْتَدَى، وَبنا مِنْ ذِكْرِهِ سَقَمٌ باقٍ، وَإِنْ كَانَ مَشْغُولاً^(٢) مِنَ السَّقَمِ

وقوله:

عَادَكَ الزَّوْرُ لَيْلَةَ الرَّمْلِ مِنْ رَمِّ لَمَّةٍ بَيْنَ الحِمَى وَبَيْنَ المَطَالِ^(٣)
نَمَّ مَا زَارَكَ الخَيَالُ وَلَكِنَّ كَبالَ الفِكرِ زُرْتَ طَيْفَ الخَيَالِ

وقوله:

اللَّيَالَى أَحْفَى بَقَلِي إِذَا مَا جَرَحَتْهُ النَّوَى مِنَ الأَيَامِ
/ يَالَهَا لَذَّةً تَنَزَّهَتْ الأَرْ وَاحٍ فِيهَا سَرًّا مِنَ الأَجْسَامِ
مَجْلِسٌ لَمْ يَكُنْ لَنَا فِيهِ عَيْبٌ غَيْرَ أَنَّا فِي دَعْوَةِ الأَحْلَامِ

فأما البحترى فقولته في هذا المعنى أكثر من أن يذكر جميعه هاهنا؛ غير أنا نشير إلى

١٥ نادره، فمن ذلك قوله:

فَلَا وَصَلَ إِلَّا أَنْ يُطِيفُ خَيَالُهَا بِنَا تَحْتَ جُوشُوشٍ مِنَ اللَّيْلِ أَسْفَعُ^(٤)
أَلَمْتُ بِنَا بَعْدَ الهُدُوءِ فَسَاخَتْ بَوَصْلٍ مَتَى تَطْلُبُهُ فِي الجَدِّ تَمَنَعُ
وَمَا بَرَحَتْ حَتَّى مَضَى اللَّيْلُ وَانْقَضَى وَأَعْجَلَهَا دَاعِي الصَّبَاحِ المُلَمَّعُ
فَوَلَّتْ كَأَنَّ البَيْنَ يَخْلُجُ شَخْصَهَا أَوَانِ تَوَلَّتْ مِنْ حَشَايَ وَأَضْلَعِي^(٥)

(١) ديوانه : ٢٦٨ . (٢) د؛ ومن نسخة بمحاشيني الأصل ، ف : « معسولا ؛ أى وإن

كان ذلك السقم حلوا كالعمل . (٣) المطالي : موضع .

(٤) ديوانه : ٢ : ٧٨ . وفي حاشية الأصل : « الجوشوش : الصدر ؛ وكذلك الجوش والجوشن .

أسفع : أسود . (٥) حاشية الأصل : « الخلج : الجذب ؛ يقول : كأن البين يخلجها من حشاي

وأضلعي . »

وَرُبَّ لِقَاءٍ لَمْ يُؤْمَلْ وَفُرْقَةٍ
أَرَانِي لَا أَنْفَكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ
أَسْرُ بِقُرْبٍ مِنْ مُلَمٍّ مُسْلَمٍ
فَكَأَنَّ لَنَا بَعْدَ النَّوَى مِنْ تَفَرُّقٍ
وَقَوْلُهُ :

وَأَنِّي وَإِنْ ضَنْتُ عَلَى بَوْدِهَا
يَعِزُّ عَلَى الْوَاشِينَ لَوْ يَعْلَمُونَهَا
فَكَمْ غُلَّةٌ لِلشَّوْقِ أَطْفَأَتْ حَرَّهَا
أَضْمُ عَلَيْهِ جَفْنَ عَيْنِي تَعْلُقًا
وَقَوْلُهُ :

بَلَى وَخَيَالٍ مِنْ أَثِيلَةٍ كُلَّمَا
إِذَا زُورَةٌ مِنْهُ تَقَضَّتْ مَعَ الْكَرَى
تَرَى مُقْلَتِي مَالًا تَرَى فِي لِقَائِهِ
وَيَكْفِيكَ مِنْ حَقِّ تَخَيُّلٍ بَاطِلٍ
وَقَوْلُهُ :

إِذَا مَا الْكَرَى أَهْدَى إِلَى خِيَالِهِ
إِذَا انْتَزَعَتْهُ مِنْ يَدِي اتِّبَاهُهُ
وَلَمْ أَرْ مِثْلَيْنَا وَلَا مِثْلَ شَأْنِنَا
وَقَوْلُهُ :

فَمَا نَلْتَقِي إِلَّا عَلَى حُلْمٍ هَاجِدٍ
يُحِلُّ لَنَا جِدْوَالَكَ وَهِيَ حَرَامٌ^(٤)

(١) ديوانه : ٢ : ١٢٢ . (٢) ديوانه ٢ : ٨٧ ؛ وفيه : « وخيال من فتيلة » .

(٣) ديوانه ١ : ١٧٤ . (٤) ديوانه ٢ : ٢٤٩ .

٥

١٠

١٥

[١٨٤]
ظ

شَفَى قُرْبُهُ التَّبَرُّيحَ أَوْ نَفَعَ الصَّدَى^(٣)
عَدَدْتُ حَبِيبًا رَاحَ مِنِّي أَوْ غَدَا
نُعَذِّبُ أَيْقَاطًا وَنَنْعَمُ هُجْدًا

إذا ما تَبَاذَلْنَا النَّفَائِسَ خِلْتَنَا
منَ الْجَدِّ أَيْقَاطًا وَنَحْنُ نِيَامُ^(١)
وقوله :

وَلَيْلَةٌ هَوَمْنَا عَلَى الْعَيْسِ أَرْسَلَتْ
بَطِيفٍ خَيَالٍ يُشَبِّهُ الْحَقَّ بَاطِلُهُ^(٢)
فَلَوْلَا بَيَاضُ الصُّبْحِ طَالَ تَشَبُّثِي
بِعِطْفَى غَزَالٍ بَتُّ وَهَنَا أَغَارِلُهُ
وقوله :

أَمِنْكَ تَأَوُّبُ الطَّيْفِ الطَّرُوبِ
تَخْطَى رِقْبَةَ الْوَاشِينَ كُرْهَا^(٣)
يُكَاذِبُنِي وَأُصْدِقُهُ وِدَادًا
حَبِيبٌ جَاءَ يُهْدِي مِنْ حَبِيبِ^(٤)
وَبُعْدَ مَسَافَةِ الْخَرْقِ الْمَجُوبِ
وَمِنْ كَلَفٍ مُصَادَقَةُ الْكَذُوبِ
وقوله :

مَا تَقْضَى أُبَانَةٌ عِنْدَ لُبْنَى
وَالْمُعْنَى بِالْفَانِيَاتِ مُعْنَى^(٥)
هَجَرَتْنَا يَقْطَى وَكَادَتْ عَلَى مَنْدُ
هَبْهَا^(٦) فِي الصُّدُودِ تَهْجُرُ وَسْنَى
بَعْدَ لَأْيٍ وَقَدْ تَعَرَّضَ مِنْهَا
طَائِفٌ عَرَّجَتْ عَلَى الرَّكْبِ وَهَنَا

قال المرتضى رضى الله عنه : ووجدت أبا القاسم الحسن بن بشر الأمدى مع ميله إلى
البحترى وانحطاطه في شعبه، واجتهاده في تأويل ما أخذ عليه من خطأ وزلل يزعم أن البحترى
١٥ أخطأ في قوله :

هَجَرَتْنَا يَقْطَى وَكَادَتْ عَلَى مَنْدُ
هَبْهَا فِي الصُّدُودِ تَهْجُرُ وَسْنَى
قال: "لأن^(٧) خيالها يتمثل له في كل أحوالها ؛ يقضى كانت أو وسنى". قال: "ولكن
الجيد في هذا المعنى قوله :

(١) حاشية الأصل : « في نسخة س : قرأت في ديوانه على شيخى : « خلطنا » ، بضم التاء .

(٢) ديوانه ٢ : ١٦٢ . (٣) ديوانه ١ : ٨٤ .

(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « وهنا » ؛ وهى رواية الديوان .

(٥) ديوانه ٢ : ٢٩٠ . (٦) في الديوان : « عادت » :

(٧) الموازنة بين أبى تمام والبحترى : ١٨٨ .

أَرَدْتُ دَوْنَكَ يَقْظَانَا وَيَأْذَنُ لِي عَلَيْنِكَ سُكْرُ الْكَرَى إِنْ جِئْتُ وَسْنَا

قال : «والذى أوقع البحتريّ في هذا الغلط قول قيس بن الخطيم :

[١٨٥] / مَا تَمْنَعُنِي يَنْظَى فَقَدْ تَوَيْتَنَهُ فِي النَّوْمِ غَيْرَ مُصَرَّدٍ مُحْسُوبٍ

وكان الأجود أن يقول : ما تمنعني في اليقظة فقد تَوَيْتَنَهُ في النوم ، أى ما تمنعني في يقظتي

فقد تَوَيْتَنَهُ في حال نومي ؛ حتى يكون النوم واليقظة مُنْسُوبَيْنِ إليه ؛ لأن خيال المحبوب يتمثل ٥ في حال نومه ويتمظته جميعاً ، قال : إلاّ أنه يتسع من التأويل في هذا لقيس ما لا يتسع للبحتريّ لأن قيساً قال : « فقد تَوَيْتَنَهُ في النوم » ولم يقل نائمة ؛ وقد يجوز أن يُحْمَلَ على أنه أراد : ما تمنعني يقظي وأنا يقظان ؛ فقد تَوَيْتَنَهُ في النوم ، أى في نومي ؛ ولا يسوغ مثل هذا في بيت البحتريّ لأنه قال : « وسنى » ولم يقل في الوسن .

قال سيّدنا أدام الله علوه : وقد يمكن من التأويل للبحتريّ ما أمكن مثله لقيس ؛ لكنّ ١٠ الآمدى قد ذهب عن ذلك ؛ لأن البحتريّ لما قال : « وسنى » دلّ على حال الوسن ؛ والحال المعهودة للوسن حال يشترك الناس فيها في النوم بالعادة ، كما أنّ الحال المعهودة لليقظة حال مشتركة بالعادة ؛ فقولهُ : « وسنى » يُنبئُ عن كونه هو أيضاً نائماً ؛ وإنما أراد المقابلة في زينة اللفظ بين يَنْظَى ووسنى .

وقوله : « يقظى » متى لم يُحْمَلْ أيضاً على هذا المعنى لم يصحّ ؛ لأنه لا بدّ أن يريد بذلك : ١٥ هَجَرْتَنَا في أحوال اليقظة ؛ ويكون معنى « يَنْظَى » يَتَمَدَّى إليه ؛ ألا ترى ، أن الآمدى حمل قول قيس : « يقظى » على معنى : « وأنا يقظان » وإن لم يبيّن الوجه ؛ فكيف ذهب عليه مثل ذلك في قول البحتريّ !

وقوله : « وسنى » و« يقظى » مثل قول قيس : « يقظى » ، ولو مكّن قيساً وزن الشعر من أن

يقول ؛ « وسنى » في مقابلة : « يقظى » لقاله وما عدل عنه إلى النوم ؛ لأنه لم يكن عليه في « وسنى » إلا ما عليه في « يقظى » ، وما يُتَأَوَّلُ له في أحد الأمرين يُتَأَوَّلُ له في الآخر .

قال سيدنا أدام الله تمكينه : ولى فى الخيال وطروقه معنّى ما علمت أنه سُمِّقَ إليه ، من

جملة قصيدة :

وَزَوْرٍ تَخْطَى جُنُوبَ الْمَلَا فَنَادَيْتُ أَهْلًا بِذَا الزَّائِرِ
أَنَايَ هُدُوءًا وَعَيْنُ الرَّقِيعِ بِمَطَرُوفَةٍ بِالْكَرَى الْعَامِرِ
فَأَعْجَبَ بِهِ يُسْعِفُ الْهَاجِمِينَ وَتُجْرِمُهُ مُقْلَمَةُ السَّاهِرِ
/ وَعَهْدِي بِتَمُودٍ عَيْنِ الْحَبِّ نَيْمٌ عَلَى قَلْبِهِ الطَّائِرِ
فَلَمَّا التَّقَيْنَا بَرَّغَمَ الرُّفَا دِمَوَّةَ قَلْبِي عَلَى نَاطِرِي

٥

[١٨٥]
ط

ومعنى البيت الآخر أن الأحلام إنما هى اعتقادات تحسّل فى القلب لاحقيقة لأكثرها؛

لأن الإنسان يمتدّد أنه راء لما لا يراه على الحقيقة ، ومُدرك لما ليس بمدركه على الحقيقة ؛

١٠ فالقلب يخيّل فى النوم للعين مالا حقيقة له ؛ كما أن العين تخيّل فى كثير من الأحوال للقلب مالا حقيقة له .

فأما قول مروان :

* فكَأَنَّمَا طَرَقَتْ بِنَفْحَةِ رَوْضَةٍ * . . البيت

فيشبهه أن يكون مأخوذاً من قول نهشل بن حرّى^(١) :

١٥

طَرَقَتْ أَسْمَاءُ الرَّحَالِ وَدُونَهَا ثُنْيَانٍ مِنْ كَيْلِ الثَّمَامِ الْأَسْوَدِ^(٢)
وَمَقَاوِزُ وَصَلَ الْفَلَاةَ جُنُوبَهَا بِجُنُوبِ أُخْرَى ، غَيْرَ أَنْ لَمْ تُعْقِدِ

(١) حاشية الأصل : « منسوب إلى الحرة ؛ موضع فيه حجارة سود » .

(٢) فى حاشيتى الأصل ، ف : « الثنى : واحد أثناء الشئ أى تضاعيفه ، وثنى الوادى والجبل : منعطفه » . ومن نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « بينان » ؛ وهو مثنى بين ؛ والبين : القطعة من الأرض على مد البصر . ومن نسخة أيضا :

* نَقْيَانٍ مِنْ رَمْلِ الثَّمَامِ الْأَسْوَدِ *

وفى حاشيتى الأصل ، ف : « يقال : ولد المولود لتمام ، وقر تمام [بفتح التاء وكسرها] ، وليل

التمام ، بالكسر لا غير ؛ وهى أطول ليلة فى السنة » .

رَمَلْهُ إِذَا أُبْدِيَ الرَّكَّابُ قَطَعْنَهُ قَرِعَتْ مَنَاسِمُهَا بِقَفٍّ قَرْدَدٍ^(١)
وَكُنَّ رِيحَ لَطِيمَةٍ هِنْدِيَّةٍ وَذِكْرِي جَادِيَّ بِنِصْعٍ مُجَسَّدٍ^(٢)
وَنَدَى خَزَامَى الْجَوِّ، جَوْ سُوَيْقَةٍ طَرَقَ الْخِيَالُ بِهِ بُعَيْدَ الْمَرْقَدِ^(٣)

أو من قول الآخر :

طَرَقَتْكَ زَيْنَبُ وَالْمَزَارُ بَعِيدُ بِمِغْنَى وَنَحْنُ مُعَرَّسُونَ هُجُودُ^(٤)
فَكَأَنَّمَا طَرَقَتْ بَرِيًّا رَوْضَةً أَنْفٌ يُسَخِّسِحُ مُزْمِنًا وَيَجُودُ^(٥)
وهذا المعنى كثير في الشعر المتقدم والمتأخر جداً.

فأما قوله :

* باتتُ تسائل في المنام معرّساً *

البيت، والبيتان اللذان بعده؛ فقد قال الناس في وصف قلة النوم، ومواصلة السرى، والإدلاج،^{١٠}
وشعث السارين فأكثرُوا، فمن أحسن ما قيل في ذلك قول لبيد :
وَمَجُودٍ مِنْ صُبَابَاتِ الْكَرَى عَاطِفِ النَّمْرِ قِي صَدَقِ الْمُبْتَدَلِ^(٦)

(١) الركاب : الإبل ؛ والمناسم : جمع منسم كجلس : خف البعير . والقف : ما ارتفع من الأرض
وغلظ . والقردد : الغليظ المرتفع . (٢) اللطيمة : العير التي تحمل الطيب والمسك . والجادي :
الزعفران . والنصع : الثوب الأبيض . والمجسد : المصبوغ بالزعفران .
(٣) الخزامى : نبت طيب الريح . وجو سويقة : موضع بالصمان .
(٤) يقال : عرس القوم بالمسكان وأعرسوا ؛ إذا نزلوا في آخر الليل للاستراحة .
(٥) روضة أنف : لم ترع . ويسخسح : يسيل . والجود : المطر الغزير .

(٦) ديوانه ١٣:٢ . المجود : الذي يجهد من العناء ؛ كذا ذكره صاحب اللسان، واستشهد بالبيت .
وفي حاشية الأصل : « المجود الذي سقى الجود ؛ وهو المطر ؛ والمعنى هنا على التشبيه ؛ كأن النوم جاده ؛
أى مطره . والصبابات : جمع صبابة ؛ وهى البقية . والنرقة ، مثلثة : الطنفسة فوق الرجل . وصدق
المبتدل : جلد قوى لا يتغير عند ابتذله نفسه ولا يسقط ؛ والمبتدل : مصدر بمعنى الابتذال ؛ وهو ضد الصيانة » .

[١٨٦] / قَالَ هَجَدْنَا فَقَدْ طَالَ السَّرَى وَقَدَرْنَا إِنْ خَنَى الدَّهْرُ غَفْلًا^(١)
 قَلَمًا عَرَسَ حَتَّى هِجَّتْهُ بِالتَّبَاشِيرِ مِنَ الصُّبْحِ الْأَوَّلِ^(٢)
 يَلْمَسُ الْأَخْلَاسَ فِي مَنْزِلِهِ بِيَدَيْهِ كَالْيَهُودِيِّ الْمَصَلِّ^(٣)
 يَتَمَارَى فِي الذِّى قُلْتُ لَهُ وَلَقَدْ يَسْمَعُ قَوْلِي حَيْهَلًا^(٤)

ومن ذلك قول ذى الرمة :

وَلَيْلٍ كَأَنَّاءَ الرُّؤْيَى جُبَّتُهُ بَارَبَعَةً، وَالشَّخْصُ فِي الْعَيْنِ وَاحِدٌ^(٥)
 - والرُّؤْيَى، هو الطيلسان . وقد روى أيضاً : « كجلباب العروس أدرعته » ؛ وكل
 ذلك وَصَفَ له بالسواد ؛ لأن الطيلسان أسود ، وجلباب العروس أخضر ، والعرب تجمع
 بين الخضرة والسواد -

١٠ أَحْمُ عِلَافِيٍّ، وَأَبْيَضُ صَارِمٍ، وَأَعْيَسُ مَهْرِيٍّ، وَأَشَعْتُ مَا جُدُّ^(٦)

(١) هَجَدْنَا ؛ من التهجد ؛ وهو هنا بمعنى النوم ؛ أى دعنا ننام . والسرى : سير عامة الليل
 وقدرنا ، أى وقدرنا على ورود الماء ، أو قدرنا على التهجد ، أو على السير . وخنى الدهر : آفته وفساده ؛
 أى إن غفل عنا فساد الدهر فلم يعقنا . (٢) قلما ؛ ما المتصلة بقل كافة لها عن طلب الفاعل ؛ وتعملها
 بمنزلة ما النافية فى الأغلب ؛ وهنا لإثبات الغلة . والتعريس : النزول فى آخر الليل للاستراحة ؛ وهجته :
 أيقظته من النوم ، وهاج يهيج : يحى لازماً ومتعدياً . وبالتباشير ، أى بظهورها . والتباشير : أوائل
 الصبح ، جمع تبشير . والأول : صفة التبشير ؛ وهو جمع أولى مؤنث الأول .
 (٣) يلمس الأخلاس ؛ يطالبها ، والأخلاس : جمع حلس ؛ وهو كساء رقيق يكون على ظهر البعير تحت
 رحله . وقوله : « كاليهودى المصل » ؛ قال فى حاشية الأصل : « شبهه باليهودى لأنه يسجد على شق
 وجهه ، وأصل ذلك أنهم لما اتفق الجبل فوقعهم قيل لهم : إما أن تسجدوا وإما أن يلقى عليكم ، فجدوا على
 شق واحد مخافة أن يسقط عليهم الجبل ؛ فصار عندهم سنة إلى اليوم » . وكذا جاء فى شرح الطوسى .
 (٤) التمارى : المجادلة . وحيهل : اسم فعل بمعنى أسرع وهجل ؛ وهذه الأبيات أوردتها صاحب
 الحزانة (٢ : ٢٨) تقلاع الفرر .

(٥) ديوانه : ١٢٩ . أى لانتفاوت الشخوس والألوان فيه لظلمته .

(٦) يقول : جبت الليل بأربعة ؛ ثم فسر الأربعة فقال : أحمر أسود ؛ ويعنى به الرجل ، وعلافى :
 منسوب إلى علاف ؛ وهو رجل من قضاة . والأبيض الصارم : السيف القاطع . والأعيس : الأبيض ،
 يعنى بعيره . والماجد : الكثير المفاخر ؛ وفى حاشية الأصل : « الإبل المهرية : منسوبة إلى مهرة بن حيدان ، =

- أُخُو سُقَّةٍ جَابَ الْفَلَاةَ بِنَفْسِهِ
وَأَشْعَثَ مِثْلَ السَّيْفِ قَدْلَاحَ جِسْمِهِ
سَقَاهُ الْكَرَى كَأْسَ النَّعَاسِ فَرَأَسُهُ
أَقَمْتُ لَهُ صَدْرَ الْمَطِيِّ فَمَا دَرَى
تَرَى النَّاشِيَّ الْغَرِيدَ يُضْجِي كَأَنَّهُ
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي حَبِيبَةَ الْمَيْمُونِيِّ :
- وَأَغْيَدَ مِنْ طُولِ الشَّرَى بَرَّحَتْ بِهِ
سَرَيْتُ بِهِ حَتَّى إِذَا مَا تَمَزَّقَتْ
أَنْخَنَا فَلَمَّا أَنْ جَرَتْ فِي دِمَاعِهِ
فَمَا قَامَ إِلَّا بَيْنَ أَيْدٍ تُقِيمُهُ
خَطَا الْكُرَّةَ مَغْلُوبًا كَأَنَّ لِسَانَهُ
وودَّ بوسطى الخمس منه لو أننا
- عَلَى الْمَوَلِ حَتَّى طَوَّحَتْهُ الْمَطَارِدُ^(١)
وَجِيفُ الْمَهَارَى وَالْهُمُومُ الْآبَاعِدُ^(٢)
لَدَيْنَ الْكَرَى مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ سَاجِدُ
أَجَائِرَةٍ أَغْنَاهَا أَمْ قَوَاصِدُ
عَلَى الرَّحْلِ مِمَّا مِنْهُ السَّيْرُ عَاصِدُ^(٣)
- أَفَانِينَ مُهَاضٍ عَلَى الْأَبْنِ مِرْجَمٍ^(٤)
تَوَالِي الدُّجَى عَنْ وَاصِحِ اللَّوْنِ مُعَلِّمُ
وَعَيْنِيهِ كَأْسُ النَّوْمِ قُلْتُ لَهُ: قُمْ
كَمَا عَطَفْتُ رِيحُ الصَّبَاخِ وَطَاسَسَمِ^(٥)
- لَمَّا رَدَّ مِنْ رَجْعِ لِسَانِ الْمُبَلَّسَمِ
رَحَانًا وَقُلْنَا فِي الْمُنَاخِ لَهُ: نَمِ^(٦)

والجمع المهارى، ثم تخفف فيقال: مهارى، ونفتح الراء فيقال: مهارى، تشبها بصحارى وعذارى، وأصله صحارى وعذارى، ففهم من يحذف الياء فيقول صحارى [بالكسر]، ومنهم من يحذف الأولى ويجعل الثانية ألفافية ولصحارى [بالتفتح] لتسلم الألف من الحذف عند التنوين، ومن يحذف الثانية يقول: صحار كجوار .

(١) جاب الفلاة: قطعها . وطوحته: أبعده . وفي الديوان: « لوحته » . وفي حاشية الأصل: « المطارد: المواضع التي يطرد فيها . ويجوز أن يكون جمع مطرد » . وفي الديوان: « المطاود » .

وفي شرحه: « المطاود: الذهاب في الأسفار » . (٢) أشعث، بمعنى صاحبه، يشبهه بالسيف في ضموه ودقته؛ والجيف: نوع من السير .

(٣) الناشي: الشاب . والغريد: ذوالصوت الحسن . وفي حاشية الأصل: « العاصد من الإبل: الذي يلوى عنقه إلى حاركة عند الموت . والعصد: إلى » .

(٤) المرجم: الرجل الشديد، كأنه يرمى به مماديه .

(٥) الساسم: نوع من الشجر؛ قيل هو الآبنوس . (٦) بوسطى الخمس: أى بدل قطع الوسطى؛ وفي حاشية الأصل: « يروى « بجدع الأنف »، ويروى: « بقطع الخمس » .

مَجْلِسُ آخِر

تَأْوِيلُ آيَةٍ

[١٨٦] ط
 ٥ إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ ؛ [هود : ٢٠] .

فقال: أى معنى الاختصاص «الأرض» بالذکر وهم لا يفوتون الله تعالى ولا يُعْجِزونه، ولا يخرجون عن قبضته على كل حالٍ ، وفى كل مكان ؟ ولم نفى الأولياء عنهم ، وقد نجد أهل الكفر يتولّى بعضهم بعضا وينصرونهم ويحمونهم من المكاره ؟ وكيف نفى استطاعتهم للسمع والإبصار ، وأكثروا قد كان يسمع بأذنه ويرى بعينه ؟

١٠ الجواب ، قلنا : أمّا الوجه فى اختصاص الذکر بالأرض ، فلأنّ عادة العرب جارية بقولهم للمتوعدّ : لا مهرب لك منى ، ولا وزر ، ولا نفق ، والوزر : الجبل ، والنفق : السّرّب ، وكلّ ذلك مما يلجأ إليه الخائف المطلوب ، فسكّانه تعالى نفى أن يكون لهؤلاء الكفار عاصم منه ، ومانع من عذابه ؛ وأن جبال الأرض وسهولها لا تحجز بينهم وبين ما يريد إيقاعه بهم ؛ كما أنّها تحجز عن كثير من أفعال البشر ؛ لأنّ معاقل الأرض هى التى يهرب إليها البشر من المكاره ؛ ويلجئون إلى الاعتصام بها عند المخاوف ؛ فإذا نفى تعالى أن يكون لهم فى الأرض معقل فقد نفى المعقل من كل وجه .

١٥ فأما قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ﴾ فمعناه أنه لاولى لهم ، ولا ناصر من عذاب الله تعالى وعقابه لهم فى الآخرة ؛ ولا مما يريد أيضا إيقاعه بهم فى الدنيا ، وإن كان لهم من يحميهم من مكروه البشر وينصرهم ممن أرادهم بسوء ؛ وقد يجوز أن يكون ذلك أيضا بمعنى الأمر ، وإن كان مخرجه مخرج الخبر ؛ ويكون التقدير : وليس لهم أن يتخذوا أولياء

من دون الله، بل الواجب أن يرجعوا إليه في معونتهم ونصرهم ، ولا يعوّلوا على غيره .
فأما قوله عز وجل : ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ ففيه
وجوه :

أحدها أن يكون المعنى : يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلا يسمعون ؛
وبما كانوا يستطيعون الإبصار فلا يبصرون ؛ عناداً للحق ، وذهاباً عن سبيله ؛ فأسقط الباء ٥
من الكلام ، وذلك جائز كما جاز في قولهم : لأجزيتك بما عملت ، ولأجزيتك ما عملت ؛ ولأحدثتك
بما عملت ، ولأحدثتك ما عملت ؛ وكما قال الشاعر :

نُغَالِي اللَّحْمَ لِلْأَضْيَافِ نَيْثًا وَنَبْذُلُهُ إِذَا نَضِجَ الْقَدِيرُ^(١)

فأراد : نغالي باللحم .

والوجه الثاني أنهم لاستئثارهم استماع آيات الله تعالى ، وكرهيتهم^(٢) تذكرها وتفهمها ١٠
جروا بجري مَنْ لا يستطيع السمع ، كما يقول القائل : ما يستطيع فلان أن ينظر لشدة
عداوته إلى فلان ، وما يقدر على أن يكلمه ؛ وكما نقول لمن عهدنا منه العناد والاستئثار
لاستماع الحجج والبيّنات : ما تستطيع أن تسمع الحق ؛ وما تطيق أن يُذكَرَكَ ؛ وكما قال
الأعشى :

وَدَّعْ هَرِيرَةَ إِنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلٌ وَهَلْ يُطِيقُ وَدَاعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ^(٣) ! ١٥

ونحن نعلم أنه قادرٌ على الوداع ؛ وإنما نفى قدرته عليه من حيث الكراهة والاستئثار .
ومعنى : ﴿ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ أي أن إبصارهم لم يكن نافعا لهم ؛ ولا مُجْدِيًا عليهم ؛ مع
الإعراض عن تأمل آيات الله تعالى وتدبرها ؛ فلما انتفت عنهم منفعة الإبصار جاز أن ينفي
عنهم الإبصار نفسه ؛ كما يقال للمعرض عن الحق ، العادل عن تأمله : مالك لا تبصر ، ولا تسمع ؛
ولا تعقل ؟ وما أشبه ذلك .

(١) البيت في اللسان (غلا) : قال في شرحه : « نغالي اللحم ، نشتره غاليا ، ثم نبذله ونطعمه لذاذا

نضج في قدورنا » . والقدير : ما طبخ من اللحم بتوالي . (٣) ديوانه : ٤١ .

والوجه الثالث ^(١) أن يكون معنى نقي السمع والبصر ^(٢) راجعاً إلى آلهتهم لا إليهم؛ وتقدير الكلام : أولئك وآلهتهم لم يكونوا معجزين في الأرض، يضاعف لهم العذاب؛ ثم قال مخبراً عن الآلهة : ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ ، وهذا الوجه يُروى ^(٣) عن ابن عباس رحمة الله عليه ، وفيه أدنى بمد .

ويمكن في الآية وجه رابع ، وهو أن يكون مافي قوله تعالى : ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ ﴾ ليست للنبي ؛ بل تجرى مجرى قولهم : لأواصلنك ملاح نجم؛ ولأقيمَنَّ على مودتك ما طلعت شمس ؛ ويكون المعنى أن العذاب يضاعف لهم في الآخرة ؛ ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون ؛ أي أنهم معذبون ما كانوا أحياء .

فإن قيل : كيف يعبر عن كونهم أحياء باستطاعة السمع والإبصار ؛ وقد يكون حياً ^{١٠} من لا يكون كذلك؟

[١٨٧] قلنا : للعرب في مثل هذا / عادة ؛ لأنهم يقولون : والله لا كلمت فلاناً ما نظرت عيني، ومشت قدماً ؛ وهم ، يريدون : ما بقيت وحييت ؛ لأن الأغلب من أحوال الحي أن تنظر عينه ، وتمشي قدمه ؛ فجعلوا الأغلب كالواجب ؛ ومن ذلك قول الشاعر :

وما أنسَ من شيءٍ تقادمَ عهدهُ فلستُ بناسٍ ما هدتُ قدَمي نعلِي
عَشِيَّةً قالتُ والدُّمُوعُ تُعِينُهَا : ^(٣) هَنِيئاً لِقَلْبٍ عَنْكَ لَمْ يُسَلِّهِ مُسْلِي ^(٤) ^{١٥}

وإنما أراد : أتى لا أنسى ذلك ما حييت ؛ وكذلك لا يمتنع أن يعلق على هذا المذهب دوامُ العذاب بكونهم مستطيعين للسمع والإبصار ؛ ويعودُ المعنى إلى تعلقه ببقائهم ، وبكونهم أحياء ؛ والرجوع في ذلك إلى التأبيد ؛ لأنه إذا علق العذاب ببقائهم وإحيائهم وعلمنا أن الآخرة لا موت فيها، ولا خروج عن الحياة ، علمنا تأبيد العذاب .

(١-١) حاشية ف (من نسخة) : « أن يكون نقي السمع والبصر » .

(٢) م : « مروي » . (٣) د ، ف : « بعينها » .

(٤) د ، ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « مل » .

ونعود إلى ما كنا شرعنا فيه من الكلام على شعر مروان ؛ فما يختار له من القصيدة التي مضى أولها وتكلمنا عليها :

وَضَعُوا الْخُدُودَ لَدَى سَوَاهِمِ جُنَحٍ تَشْكُو كُلوْمَ صِفَاحِهَا وَكَلَالَهَا
طَلَبْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَوَاصَلْتُ بَعْدَ السُّرَى بَغْدُودَهَا آصَالَهَا
نَزَعْتُ إِلَيْكَ صَوَادِيًا فَتَقَاذَفْتُ تَطْوِي الْفَلَاةَ حُزُونَهَا وَرِمَالَهَا (١) •
يَتَّبَعْنَ نَاجِيَةً يَهْزُ مِرَاحُهَا بَعْدَ النَّحُولِ تَلِيلَهَا وَقَدَالَهَا (٢)
هُوَ جَاءَ تَدَرَّعُ الرُّبَا وَتَشَقُّهَا شَقَّ السَّمُوسِ إِذَا تُرَاعُ جِلَالَهَا (٣)
تَنْجُو إِذَا رُفِعَ الْقَطِيعُ كَمَا نَجَتْ خَرَجَاهُ بَادَرَتِ الظَّلَامَ رِثَالَهَا (٤)
كَالْقَوْسِ سَاهِمَةً أَتَتْكَ وَقَدْ تُرَى كَالْبُرْجِ تَمَلُّ رَحْلَهَا وَجِبَالَهَا

هذه الأبيات في وصف الرّواحِلِ بالسرعة والنّحول، جيّدة الألفاظ، مطرّدة النسيج، ١٠ وقد سبق الناسُ في هذا المعنى إلى ضروب من الإحسان ؛ فمن ذلك قول الأخطل :

بِخُوصٍ كَأَعْطَالِ الْقِسَى تَقَلَّقَلْتُ أَجْنَتْهُ مِنْ شُقَّةٍ وَدُءٍ (٥)

(١) نزعت : اشتاقت . صواديا : عطاشا . تقاذفت : تسارعت . (٢) التليل : العنق .

(٣) السموس : الفهر .

(٤) الخرج ، بالتحريك : لونان ؛ سواد وبياض ؛ يقال : نامة خرجاء وظليم أخرج والريال : جمع رأل ؛ وهو ولد النعام ، وبادرت الظلام رثالها ؛ أى بدرت الظلام إلى رثالها .

(٥) ديوانه ١٧٩-١٨٠ وفي حاشية الأصل : « هذه الأبيات من قصيدة يمدح الأخطل فيها عياد بن زياد بن أبيه : أولها :

خَلِيلِي قَوْمًا لِلرَّحِيلِ فَإِنِّي وَجَدْتُ بَنِي الصَّمْعَاءِ غَيْرَ قَرِيبِ

— يعني عمير بن الحباب ورهطه — :

وَأُسْفَهْتُ إِذْ مَنَيْتُ نَفْسِي ابْنَ وَاسِعٍ مَنَى ذَهَبْتُ لَمْ تَسْقِنِي بَذَنُوبِ
فَإِنْ تَنَزَّلَا بَابِنَ الْحَلَقَى تَنَزَّلَا بَذَى عَذْرَةَ يَبْدَا كَمَا بَلْغُوبِ

— الحلقى : عبد العزيز بن حنتم —

لِمَا لَلَّهِ أَرْمَاكَ بِدِجْلَةٍ لَا تَقَى أَذَاةَ أَمْرِي عَضْبِ اللِّسَانِ شَمُوبِ

— يعني نفسه — .

[١٨٨]

/ إِذَا مُعْجَلٌ غَادَرْنَهُ عِنْدَ مَبْرَكٍ^(١) أَسِيحَ إِيْجَوَابِ الْفَلَاةِ كَسُوبِ

— المعجل : الملقى من الأجنة لغير تمام، وجواب الفلاة : الذئب —

وَهُنَّ بَنَّا عُوجٌ كَانَ عِيُونَهَا مَسَانِيفٌ يَطْوِيهَا مَعَ الْقَيْظِ وَالشَّرَى قَدِيمٌ تَرَى الْأَصْوَاءَ فِيهِ كَانَتْهَا يَمُنُّ بَنَّا عَوَمَ السَّفِينِ إِذَا انْجَلَتْ

بَقَايَا قِلَاتٍ قَلَصَتْ لِنُضُوبِ^(٢) تَكَالَيْفُ طَلَّاعِ النَّجَادِ رَكُوبِ^(٣) رَجَالٌ قِيَامٌ عُصْبُوا بِسُبُوبِ^(٤) سَحَابَةٌ وَضَاحِ السَّرَابِ جَنُوبِ^(٥)

وقال مسلم بن الوليد الأنصاري :

إِلَى الْإِمَامِ تَهَادَانَا بِأَرْحُلِنَا كَأَنَّ إِفْلَاتَهَا وَالْفَجْرُ يَأْخُذُهَا

خَلَقَ مِنَ الرِّيحِ فِي أَشْبَاحِ ظِلْمَانَ^(٦) إِفْلَاتٌ صَادِرَةٌ عَنْ قَوْسِ حُسْبَانَ^(٧)

وقال بشار :

وَإِذَا الْمَطِيُّ سَبَّحَنَ فِي أَعْطَافِهِ فَاتَ الْمَطِيُّ بِكَاهِلٍ وَتَلِيلِ^(٨)

= إِذَا نَحْنُ وَدَّعْنَا بِلَادًا هُمْ بِهَا نَسِيرُ إِلَى مَنْ لَا يُنْبِئُ نَوَالَهُ

فَبَعْدًا لِحَرَّاتٍ لَهَا وَشُهُوبِ ! وَلَا مُسْلِمٌ أَعْرَاضَهُ لِسُبُوبِ

بخوص . . .

أعطال : جمع عطل ؛ وهو القوس الذي لا وتر له . ونقلت أجنحتها : تحركت في بطونها من سرعة السير .
(١) في الديوان : « منزل » . (٢) بنا ، أى بحملنا ؛ أو حمل أعياننا . والعوج : جمع أعوج وعوجاء . والفلات : جمع قلت ؛ وهو النقرة في الجبل : والتقليب : الانزواء ، والنضوب : غثور الماء .
(٣) المسانيف هنا : الإبل المتدمات والنجاد : جمع نجد ؛ وهو المرتفع من الأرض . والركوب .
المذل . (٤) قديم ؛ أى طريق قديم . والأصواء : الأعلام . والسبوب : جمع سب ؛ وهو الثوب الأبيض الرقيق ؛ وقيل هو العمامة . (٥) ف : « نعوم » . « خبوب » . وهى رواية الديوان .
(٦) ديوانه : ١٠٣ . والتهادى : المشى الضعيف يتكئ صاحبه على اثنين يمينا وشمالا . والظلمان : جمع ظليم ؛ وهو الذكر من النعام . ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « خلق من الزنج » .

(٧) إفلاتها ؛ أى سرعتها . صادرة ، أى إفلات سهام صادرة . والحسان : سهام يرمى بها الرجل في جوف قصبة ، ينزع في القوس ثم يرمى بعشرين منها فلا تمر بشيء إلا عقرته ؛ والواحد حسبانة .
(٨) حاشية الأصل (من نسخة) « سنجن » أى ظهرن . وأعطافه : جوانبه . وفات : سبق ؛ والتليل : العنق ؛ يقول : « إذا بدا يسير مع الخطايا جاوزهن بكاهل وعنق » .

فَكَأَنَّهُ وَالنَّاعِجَاتُ^(١) يُرْدَنَهُ قَدْخُ تَطْلَعُ مِنْ قِدَاحٍ مُجِيلٍ

ولبعض الحارثيين :

نَهَشَ الْهَجَارُ وَالظَّهَارُ لَحْمَهَا حَتَّى تَحْدَدَ لَحْمَهَا الْمُتَضَارُ^(٢)
حَرْفٌ تُنَاهِبُهَا النَّجَاءُ قَلَائِصُ مِمَّا تَدْخُلُ^(٣) شَدَقَمٌ أَوْ دَاعِرُ^(٤)
صُبْرُ إِذَا عَطَفَتْ سَوَالِفَهَا الْبُرَى سَمِعَتْ لَهُنَّ كَشَاكِشٌ وَجَرَجِرُ^(٥)
وَيُخَلْنَ مِنْ عِزِّ النُّفُوسِ وَجِدَّهَا^(٦) جِنًا ، وَهُنَّ إِذَا اخْتَبِرْنَ أَبَاعِرُ
أَمَّا إِذَا مَا أَقْبَلَتْ فَكَأَنَّمَا دُعْرُ مَهَادَتِهَا الْفَلَاةُ نَوَافِرُ^(٧)
أَمَّا إِذَا مَا أَعْرَضَتْ فَكَأَنَّمَا كُدْرُ تَوَرَّدَنَ الطَّافُ صَوَادِرُ^(٨)
أَمَّا إِذَا مَا أُبْرِكَتْ فَكَأَنَّمَا صُرُخٌ مُشِيدَةٌ وَهْنٌ ضَوَامِرُ^(٩)

/ وإني لأستحسن قول بشامة بن الغدير في وصف الناقة بالسرعة^(١٠) :

[١٨٨]
ظ

(١) الناعجات هنا : الخفاف من الإبل ؛ ومنه قوله :

* والناعجات المسرعات للنجا *

(٢) اللحم المتضارب: المتراكم المكتنز ، وفي حاشية الأصل (من نسخة) : « المتضارب » . ومن نسخة

أخرى « المنظائر » . (٣) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « منجل » .

(٤) الحرف : الناقة الضامر: الصلبة . وتناهبها : تباريها في الجرى . والنجاء : السير السريع .

والقلائص : جمع قلويس ؛ وهي الفتية من الإبل . وشدقم وداعر : اسمان لفحلين منجيين من فحول الإبل ،

تنسب إليهما الإبل الشدقيات والإبل الداعرية . (٥) السوالب : جمع سالفة ؛ وهي أعلى العنق ، والبرى :

جمع برة ، وهي الحلقة في الزمام . والكشاكش والجراجر : أصوات تخرج من جوف الإبل .

(٦) حاشية الأصل (من نسخة) : « وحدها » . (٧) دعر ؛ أى وحش مذعورة ؛ ويجوز

أن يريد بلدعر النعام ؛ وهي توصف بذلك . (٨) الكدر : قضا ألوانها كلون الرماد . والنطاف :

جمع نطفة ؛ وهي الماء القليل . (٩) في حاشيتي الأصل ، ف : « صرح : جمع صرح ؛ وهو الفصر ،

وأصله صروح فقصره ؛ وقد قيل في أسد ، جمع أسد أنه أسود ، فقصر ثم خفف بتسكين السين » .

(١٠) الأبيات من قصيدة في الفضليات ٧٩-٩١ ، ومختارات ابن الشجرى ١٤-١٦ ، وأبيات منها

في حماسته ٢٠٥-٢٠٦ ، ومجموعة المعاني ٥٢ ، وأبيات منها أيضا في الأغاني ١١ : ٨٧ ، ونسبها العقيل بن علفة .

كَأَنَّ يَدَيْهَا إِذَا أَرْقَاتُ وَقَدْ جُرْنَ نَمَّ اهْتَدَيْنَ السَّبِيلَا^(١)
 يَدَا سَابِحٍ خَرَّ فِي غَمْرَةٍ وَقَدْ شَارَفَ الْمَوْتَ إِلَّا قَلِيلَا^(٢)
 إِذَا أَقْبَلْتَ قُلْتَ مَشْحُونَةٌ أَطَاعَتْ لَهَا الرِّيحُ قَلَمًا جَفُولَا^(٣)
 وَإِنْ أَدْبَرْتَ قُلْتَ مَذْعُورَةٌ مِنَ الرُّبْدِ تَتَّبَعُ هَيْقًا ذُمُولَا^(٤)

ومعنى قوله :

* وقد جرن نَمَّ اهتدين السبيلَا *

يعنى المطايا ؛ يقول : كن نشيطاتٍ يمرحن فلا يلزمن لَقَمَ^(٥) الطريق ؛ بل يأخذن عيمًا
 وشمالا ؛ فلما عضَّهن الكلال استقمن على المحجة ، فكأنه وصف ناقته ببقاء النشاط مع كلال
 المطى ؛ وكنى عن الكلال بلزوم جادة الطريق بعد تنكُّبها وهذه كناية فصيحة مليحة .

ومثله قول الآخر :

كَأَنَّ يَدَيْهَا حِينَ جَدَّ نَجَوُهَا يَدَا سَابِحٍ فِي غَمْرَةٍ يَتَذَرَّعُ^(٦)

ومما يشاكل هذا المعنى ويقاربه قول الشماخ :

كَأَنَّ ذِرَاعَيْهَا ذِرَاعَا مُدَلَّةٍ بُعِيدَ السَّبَابِ حَاوَلَتْ أَنْ تَعْدَرَا^(٧)
 مُمَجَّدَةُ الْأَعْرَاقِ قَالَ ابْنُ ضَرَّةٍ عَلَيْهَا كَلَامًا جَارَ فِيهِ وَأَهْجَرَا

(١) أرقلت : أسرعت . وجرن : عدان عن محجة الطريق .

(٢) الغمرة : الماء الكثير ؛ ورواية ابن الشجرى :

يَدَا عَائِمٍ خَرَّ فِي غَمْرَةٍ فَأَدْرَكَهُ الْمَوْتُ إِلَّا قَلِيلَا

(٣) المشحونة : المألوة ، وهو من وصف السفينة . والجفول : الذى تستخفه الريح ثم تحركه .

(٤) الربد : جمع ربداء ؛ وهى فى السوداء المنقطة بحمرة ؛ من وصف النعام . والهيق : ذكر النعام

والذمول : وصف لسير الظليم ، ورواية المفضل :

إِذَا أَقْبَلْتَ قُلْتَ مَذْعُورَةٌ مِنَ الرُّمْدِ تَلْحَقُ هَيْقًا ذُمُولَا

(٥) لقم الطريق معطمه ؛ وقال الليث : لقم الطريق منفرجه ، تقول : عليك بلقم الطريق فالزمه .

(٦) يقال : ذرع السابح ، إذا حرك يديه للسبح . (٧) من قصيدة طويلة فى ديوانه :

٢٦-٣٤ ، وأولها :

أَتَعْرِفُ رَسْمًا دَارِسًا قَدْ تَعِيرَا بِذَرْوَةِ أَقْوَى بَعْدَ لَيْلٍ وَأَقْفَرَا

شبه ذراعها وهي تتذرع في مشيها^(١) بذراعى امرأة مُدَلَّة على أهلها ببراءة ساحتها ، وقد حكى عنها ابن ضرتها كلاماً أهجرفيه ؛ أى أخش ، فهي ترفع يديها وتضمهما تعتذرو وتحلف وتنضح عن نفسها .

وقد قيل إن معنى قوله : « مُدَلَّة » أنها ندِلَ بحسن ذراعها ، فهي تُدْمِن إظهارها لِتُرَى^(٢) حسنهما .

وقوله : « بُعِيدَ السَّبَاب » أى فى عقيب المسابة قامت تعتذر إلى الناس ؛ وقوم يروونه « بعيد السباب » ؛ ومعنى هذه الرواية أنها نصف من النساء ، فهي أقوم بحجتها من الحديثة الغرة ؛ ويشهد لهذه الرواية الأخيرة قول الآخر :

كَأَنَّ يَدَيْهَا حِينَ يَقْلَقُ ضَفْرُهَا يَدَا نَصَفٍ غَيْرَى تَعْذِرُ مِنْ جُرْمِ^(٣)

و / قوله : « حِينَ يَقْلَقُ ضَفْرُهَا » فيه سرٌّ وفائدة ؛ لأنَّ الضفر هو الأنساع^(٤) ؛ [١٨٩]
وإنما تقلق إذا جهدتها السير فضمرت ، فكأنه وصفها بالتذرع والنشاط مع الجهد والكلال ؛
ومثله :

كَأَنَّ ذِرَاعَيْهَا ذِرَاعَا بَذِيَّةٍ مَفِجَّةٌ لَاقَتْ ضُرَائِرَ عَنْ عُفْرِ^(٥)
سَمِعْنَ لَهَا وَاسْتَمَجَلَتْ فِي كَلَامِهَا فَلَا شَيْءَ يَفْرِى بِالْيَدَيْنِ كَمَا تَفْرِى^(٦)

١٥

ويقاربه قول الآخر :

أَلَا هَلْ تُبْلِغْنِيهِمْ عَلَى اللَّأْوَاءِ وَالظَّنَّةِ
وَأَةً لِحَصَى الْمَعْرَا فِي أَخْفَافِهَا رَنَّهُ^(٧)
إِذَا مَا عَسَفَتْ قُلْتَ سَحَابَةً فَاضَحَتْ كَنَّهُ^(٨)

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « فى سيرها » . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) :
« ابرى حسنهما » بالبناء للمجهول . (٣) النصف : المرأة التى ذهب نصف عمرها ، ويقال للرجل أيضا .
(٤) الأنساع : جمع نسع ، وهو السير المضفور يحمل زماما للبعير وغيره .
(٥) عن عفر ، أى بعدحين . وفى حاشيتي الأصل ، ف : ويروى « عن عفر » . أى بعد كونها عاقرا .
(٦) يفرى ، أى يأتى بالعجب . (٧) الوأة : النجبة من الإبل . والمغزاء : المسكان
الصلب الكثير الحصى : (٨) الحماة : أم الزوجة . والكنة : امرأة الولد :

وممن شبه سرعة أيدي الإبل بأيدي النوايح كعب بن زهير فقال^(١) :

كَأَنَّ أَوْبَ ذِرَاعَيْهَا إِذَا عَرِقَتْ وَقَدْ تَلَفَّعَ بِالْقُورِ الْعَسَاقِيلُ^(٢)
وَقَالَ لِلْقَوْمِ حَادِيَهُمْ وَقَدْ جَعَلْتُ أُرْقُ الْجِنَادِبِ يَرْكُضْنَ الْحَصَى : قِيلُوا^(٣)
شَدَّ النَّهَارِ ذِرَاعَا عَيْطِلٍ نَصَفٍ قَامَتْ فِجَازُهَا نُكْدٌ مِمَّا كِيلُ^(٤)
نَوَاحَةٌ رِخْوَةٌ الضَّبَمَيْنِ لَيْسَ لَهَا لَمَّا نَعَى بِكَرِّهَا النَّاعُونَ مَعْقُولُ^(٥)

العساquil : أوائل السراب ؛ ولا واحد لها من لفظها . وأخبر أن ناقته في شدة الحر
واتقاد الظهيرة تمرح في سيرها وتتذرع بيديها ؛ وشبه ذراعيها بذراعي امرأة نصف تنوح على
ابنها ، وقد نعى إليها ؛ فهي تشير بيديها وتوالى تحريكهما . والعيطل : الطويلة العنق ، وجعلها
نصفاً لأنها قد كادت تيأس من الولد فهي أشد لحزنها على ابنها وتفجعها عليه ، والقور : جمع
١٠ قارة وهي ما ارتفع واستدار من الرمل ؛ وأراد أن يقول : كما تلفعت القور بالعساquil ، فلم
يمكنه فقلب .

(١) ديوانه : ١٦-١٨ ، من قصيدته المشهورة : « بانت سعاد » .

(٢) رواية الديوان : « وقد عرقت » . وأوب : رجع . وتلفع : تلحف ، وفي حاشية الأصل :
« قريب منه قول المارار الفقعسي يصف ناقته :

كَأَنَّ أَوْبُ يَدَيْهَا إِلَى حَيْزُومِهَا فَوْقَ حَصَى الْجَدَجَدِ
نَوْحُ ابْنَةِ الْجَوْنِ عَلَى هَالِكٍ تَنْدِبُهُ رَافِعَةُ الْمَجْلَدِ

— الجدجد : الأرض الصلبة . ابنة الجون : نواحة معروفة . والمجلد : قطعة جلد تضرب بها الناحية
على صدرها . (٣) حاشية ف (من نسخة) : « ورق » ، والورق والأرق : جمع أورق ؛ وهو الأخضر
المائل إلى السواد . أو ما كان على لون الرماد وقيلوا ؛ من الفائلة .

(٤) شد النهار : ارتفاع النهار ؛ وهو ظرف ، أي وقت ارتفاع النهار . والعيطل : الطويلة ،
ونكد : قليلات الأولاد . والنصف ، هي التي قامت تنوح ، شبه يدي ناقته أيدي هذه المرأة . والنكد :
جمع نكداء ، وهي التي لا يصيبها خير . (٥) نواحة ، يعني هذه النصف ، وقوله : « رخوة الضبيين »
يريد أنها شديدة الحركة والاندفاع . والضبعان هما المضدان ، والواحد ضبع . وبكرها : أول ولدها .
والمعقول : العقل ، يقال : ما اللان معقول ، وماله مجلود .

ومثله :

وَكَاثِمًا رَفَعَتْ يَدَى نَوَاحِي شَمْطَاءَ قَامَتْ غَيْرَ ذَاتِ خِمَارِ

[١٨٩] ط

/ وإنما خص الشَّمْطَاءَ لما ذكرناه من اليأس من الولد، كما قال عمرو بن كلثوم :

وَلَا شَمْطَاءَ لَمْ يَتْرِكْ شَقَّاهَا لَهَا مِنْ تِسْعَةٍ إِلَّا جَنِينًا^(١)

وقد قيل في بيت عمرو : بل شبه الناقةَ بشمطاء، لما على رأسها من اللغام^(٢) .

ومثل ما تقدم من المعاني قول الشاعر :

يَا لَيْتَ شَعْرِي وَالْمُنَى لَا تَنْفَعُ ! هَلْ أَغْدُونَ يَوْمًا أَمْرِي مُجْمَعُ !

وَتَحْتَ رَحْلِي زَفْيَانُ مَيْلَعُ كَأَنَّهَا نَائِحَةٌ تَفْجَعُ

تَبْكِي لِمَيِّتٍ وَسِوَاهَا الْمَوْجَعُ

— الزَّفْيَانُ : الناقة الخفيفة ، والمَيْلَعُ : السريمة ؛ وشبه رجع يديها في السير لنشاطها ١٠

بيدي نائحة تنوح لقوم على ميتهم بأجرة ، فهي تزيد في الإشارة بيديها ليرى مكانها .

ومثله بمعينه قول ذى الرمة :

بِحَا نَيْقٍ تُضْحِي وَهِيَ عُوجُ كَأَنَّهَا بِجَوْرِ الْفَلَا مُسْتَأْجَرَاتُ نَوَاحٍ^(٣)

(١) من المعلقة : ٢١٥ — بشرح التبريزي ؛ وقبله :

فَمَا وَجَدْتُ كَوْجِدِي أَمْ سَقَبٍ أَضَلَّتْهُ فَرَجَعَتِ الْحَنِيفَا

والسقب : ولد الناقة الذكر .

(٢) اللغام : الزبد الذي يعلو شفاة الإبل إذا احتاجت

(٣) ديوانه : ١٠٤ . والعوج : جمع عوجاء ، وهي الناقة الضامرة ، كأنها عجفت فاعوج ظهرها .

وقبل هذا البيت :

وَسَيَّرِي وَأَعْرَاءَ الْمَتَانِ كَأَنَّهَا إِضَاءُ أَحْسَتْ نَفْحَ رِيحٍ ضَحَاحُ

عَلَى حِمِيرِيَّاتٍ كَأَنَّ عَيُونَهَا ذِمَامُ الرِّكَايَا أَنْكَرَتْهَا الْمَوَاحُ

— الأعراء : الخالية من النبات . والمتان : ما ارتفع من الأرض . والإضاء : جمع أضاء ، وهو الغدير .

والضحاح : قليلة الماء . والحميريات : إبل منسوبة إلى حمير . وركية ذمة : قليلة الماء . ونكرت الركبة :

قل ماؤها ، وأنكرتها أنا .

المجانيق : التي ضَمَرْنَ بعد سَمَن ؛ وخصّ المستأجرات من النوائح للمعنى الذى ذكرناه .

وقال الشماخ فيما يقارب هذا المعنى :

كَأَنَّ أَوْبَ يَدَيْهَا حِينَ أَعْجَلَهَا أَوْبُ الْمُرَاحِ وَقَدْ نَادَوْا بِتَرْحَالِ
مَقْطُ الْكُرَيْنِ عَلَى مَكْنُوسَةٍ زَلَقٍ فِي ظَهْرِ حَنَانَةِ النَّيْرَيْنِ مَغْوَالِ

— معنى : « أوب ذراعها » أى رُجْمُهما - وأوب المُرَاح ، إذا أراح القوم عازبَ أموالهم ليرحلوا ، وقدروى : « أوب المِرَاح » بالكسر ؛ ومعناه رجع المِرَاح والنشاط . والمَقْطُ : اللعب بالكرة . والكُرَيْن : جمع كرة . والمنكوسة : الأرض البراح التى لا شىء فيها . والزَلَق : المستوية من الأرض . والحنانة : الريح . والنيران : جانبها هذه الأرض . ومغوال ، ١٠ قيل : إنه من صفات الريح ؛ وقيل : من صفات الأرض ؛ وإن كان من صفات الريح فمعناه أن الريح تَفُولُ الأرض بأسرها ؛ أى تملؤها ، وإذا كان للأرض فالمعنى أنها تَفُولُ من [١٩٠] سَلَكِهَا أى هُلِكَه ؛ وتلخيص معنى البيت أنه شبه يدي ناقته يدي ضاربٍ / بكرة في أرض واسعة في يوم ريح عاصف ؛ وهذا من دقيق المعانى وحسن التشبيه والمبالغة .

ومثل بيتي الشماخ قول المسيّب بن عَلس^(١) :

مَرِحَتْ يَدَاهَا لِلنَّجَاءِ كَأَنَّمَا تَكْرُوْ بِكَفِّيْ مَاقِطٍ فِي قَاعِ^(٢)
فَعَلَ السَّرِيعَةَ بَادَرَتْ جُدَادَهَا قَبْلَ الْمَسَاءِ تَهْمٌ بِالْإِسْرَاعِ

(١) فى حاشيتى الأصل ، ف : قال س : « وجدت بخط الفاضى أبى عبد الله محمد بن سلامة القضاى رحمه الله : « علس » بفتح العين مضبوطا كأنه يجعله فعلا ماضيا ، والعلس : حب كالمدس » .
(٢) من قصيدة فى المفضليات ٦٠-٦٣ (طبعة المعارف) أولها :

أرحلت من سلمى بغير متاع قبل المطاس ورعتها بوداع
والمقاط : الضارب ، ورواية المفضليات :

* تَكْرُوْ بِكَفِّيْ لَاعِبٍ فِي صَاعِ *

معنى: «تَكْرُو» أى كأنها تلاعب بِكُرَّةٍ . والسريعة ، يعنى نَسَاجَةٌ . والجُدَاد: الغزل الضعيف، فأراد أنها تُسرِع الضرب بالحَفِّ^(١) والنسج قبل المساء ؛ وما دامت تبصر ؛ فشبهَ يدي ناقته في تذرّعها بيدي هذه النساجة .

وقال الأصمعيّ الجُدَاد : هُدْبُ الثوب ؛ فيعنى أن هذه النساجة قد قاربت الفراغ من

الثوب ، وبلغت إلى هُدْبِهِ ؛ فهي تبادر لتفرُّغ منه قبل المساء .

وقريب منه قول الآخر :

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِقِ^(٢) أَيْدِي جَوَارٍ^(٣) يَتَعَاظِنَ الْوَرِقُ

فالقَرِقُ الخَشِن الذى فيه الحصى ؛ وشبهه خَذَفُ^(٤) مناسِمهنَّ^(٥) له بخَذَفِ جَوَارٍ يلعبن بدراهم، وخصّ الجوارى لأنهن أخفُّ يدًا من النساء .

وقال آخرون : القَرِقُ هاهنا: المستوي من الأرض، الواسع؛ وإنما خصّ بالوصف لأن أيدى ١٠

الإبل إذا أسرع في المستوى فهو أَحْمَدُ لها ؛ وإذا أبطأت في غيره فهو أَحْمَدُ لها .

ومن أحسن ما قيل في الإسراع قول المرّار بن سعيد :

فَتَنَاوَلُوا شُعَبَ الرَّحَالِ فَقَلَّصَتْ سُودُ الْبُطُونِ كَفَضْلَةِ الْمُتَنَمِّسِ

ذكر قوما سَفَرًا هَبُّوا من رقدتهم إلى رحالهم ليسيروا ؛ ويعنى بسود البطون الإبل ؛

والتنمّس: الصائد الذق اتخذ ناموساً ، وهو ما يستتر به ليختلّ الصيد، فشبه المطايا في سرعتها ١٥

بقطاً قد صاد الصائد بعضها ، وأفلت بعضها ؛ فهنَّ يَطْرُنَ طيراناً شديداً .

ومثل هذا - وإن كان في صفة الخيل - قولُ النابغة :

(١) الحف : المنسج . (٢) البيتان في اللسان (قرق) .

(٣) اللسان : « أيدى نساء » . (٤) الخذف : الرمي بالحصى الصفار .

(٥) م « مناسمها » .

* كَالطَّيْرِ تَنْجُو مِنَ الشُّؤْبِ ذِي الْبَرْدِ *^(١)

وأما قول مروان :

... يَهْزُ مِرَاحُهَا بَعْدَ النُّحُولِ تَلِيَابَهَا وَقَدَّالَهَا

فقد مضى من وصف المطايا بالنشاط بعد السآمة والجهد ماضى .

[١٩٠] وأحسن من قول مروان / وأشدُّ إفصاحاً بالمعنى وإعراباً عنه قولُ الهذليّ :

وَمِنْ سِيرِهَا الْعَنْقُ الْمُسَبِّطُ رُ وَالْعَجْرَفِيَّةُ بَعْدَ الْكَلَالِ^(٢)

وإنما كان هذا أحسنَ لأنه صريح بنشاطها بعد كلالها . وقول مروان : « بعد النحول »

لا يجرى هذا المجرى ؛ لأن النحول قد يكون عن جَهد السفر والتعب ، ويكون عن غيره .

وأما قوله :

* كَالْقَوْسِ سَاهِمَةٌ أَتَتْكَ وَقَدْ تُرَى *

١٠

فقد أ كثرت العرب في وصف المطايا بالنحول وتشبيهها بالقسيّ وغيرها ؛ وقد أحسن

كثير في قوله :

نَفَى السَّيْرُ عَنْهَا كُلَّ دَاءٍ إِقَامَةً فَهَنْ رَذَايَا بِالطَّرِيقِ تَرَائِكَ^(٣)

وُمَحَلَّتِ الْحَاجَاتِ خُوصاً كَأَنَّهَا وَقَدْ ضَمَرَتْ - صُفْرُ الْقَسَى الْعَوَاتِكَ^(٤)

وقال سلم بن عمرو الخاسر^(٥) :

١٥

وَكَأَنَّهِنَّ مِنَ الْكَلَالِ أَهْلَةٌ أَوْ مِثْلُهُنَّ عَطَائِفُ الْأَفْوَاسِ^(٦)

(١) ديوانه : ٢٣ ، صدره :

* وَالْخَيْلُ تَمْزَعُ غَرْبًا فِي أَعْنَتِهَا *

(٢) ديوان الهذليين ٢ : ١٧٥ ، والبيت لأمية بن عائذ العنق : السير المنبسط . والمسيطر : المسترسل .

السهل . والعجرفيه : الشديد . (٣) ديوانه : ٢ : ١٣٦ ؛ الرذايا : جمع رذية ؛ وهى الناقة المهزولة من السير .

والترائك : المتروكة لضعفها . (٤) العواتك : جمع عاتكة ؛ وهى القوس إذا قدمت واحرت .

(٥) فى حاشيتى الأصل ، ف : « قيل لأناسمى عمرو خاسرا لأنه ورت عن أبيه مصحف قرآن ، فاشتري

به عوداً » . (٦) القوس العظيفة : المعطوفة ؛ وهى المنحنية .

قُوذُ طَوَاهَا مَا طَوَتْ مِنْ مَهْمِهِ نَأَى الصَّوَى وَمَنَاهَجٍ أَدْرَاسٍ^(١)
وقال أبو تمام يصف ناقة :

أَتَيْنَا الْقَادِسِيَّةَ وَهِيَ تَرْنُو إِلَى بَعَيْنِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ^(٢)
فَمَا بَلَغَتْ بَنَا عُسْفَانَ حَتَّى رَنْتُ بِلِحَاطِ لَقْمَانَ الْحَكِيمِ
وَبَدَّ لَهَا السَّرَى بِالْجَهْلِ حِلْمًا وَقَدْ أَدِيمَهَا قَدْ الْأَدِيمِ
أَذَابَ سَنَامَهَا قَطْعُ الْفَيَافِي وَمَزَّقَ جِلْدَهَا نَضْحُ الْعَصِيمِ^(٣)
بَدَتْ كَالْبَدْرِ وَاقَى لَيْلَ سَمْدٍ وَأَبَتْ مِثْلَ عُرْجُونٍ قَدِيمِ

وقال البحتري :

وَخَدَانُ الْقَلَاصِ حَوْلًا إِذَا قَا بَلَنْ حَوْلًا مِنْ أَنْجَمِ الْأَسْحَارِ^(٤)
يَتَرَفَّرْنَ كَالسَّرَابِ وَقَدْ خُضْنَ غِمَارًا مِنَ السَّرَابِ الْجَارِي
/ كَالْقِسِيِّ الْمُعْطَلَاتِ، بَلِ الْأَسْ هَمَّ مَبْرِيَّةً ، بَلِ الْأُونَارِ

١٠
[١٩١]
و

(١) قود : جمع أقود ؛ وهو من الإبل الطويل العنق . الصوى : جمع صوة ؛ وهى الأعلام فى الطريق .
وفى حاشية الأصل : « ومثله بعينه للمتنبى :

فَتَبَّتِ تُسْتَدُّ مُسْتَدًّا فِي نِيهَا إِسْتَادَهَا فِي الْمَهْمَةِ الْإِنْضَاءُ

الإستاد : لإسراع السير فى الليل . والنى : الشحم . والمهمه : الأرض الواسعة البعيدة . والإنضاء :
مصدر أنضاء ينضيه إذا هزله . قال العكبرى : « والمعنى أن المهمة ينضيه كما تنضيه » .

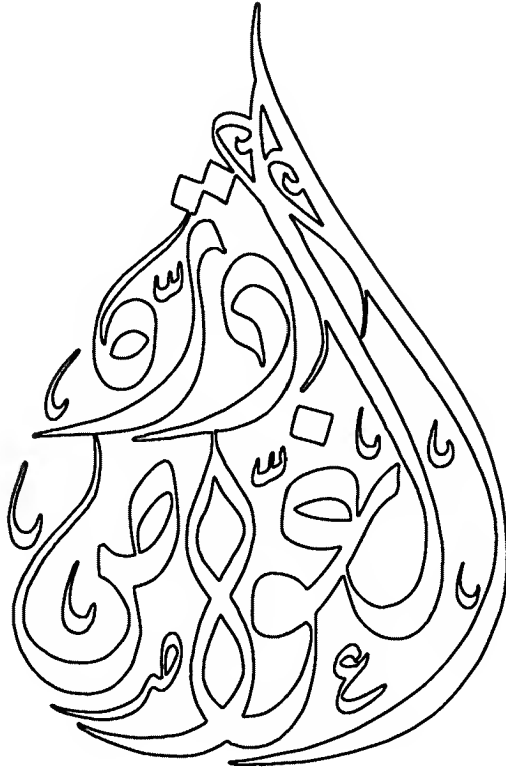
(٢) ديوانه : ٤٢٣ ؛ من قصيدة يصف حجة حجبها ؛ وأولها :

لَعَلَّكَ ذَاكِرُ الطَّلَلِ الْقَدِيمِ وَمَوْفٍ بِالْمَهْودِ عَلَى الرُّسُومِ
وَوَاصِفُ نَاقَةٍ تَذَرُ الْمَهَارَى مُوَكَّلَةٌ بِوُخْدٍ أَوْ رَسِيمِ
وَقَدْ أُمِتَ بَيْتَ اللَّهِ نِضْوًا عَلَى عَيْرَانَةٍ حَرْفِ سَعُومِ
أَتَيْتِ الْقَادِسِيَّةَ . . .

(٣) النضج : الرشح . والعصم : العرق . (٤) ديوانه : ٢ : ٢٤ ؛ من قصيدة يمدح فيها
أبا جعفر بن حميد . وخدان القلاص : لإسراعها . وحول : جمع حائل ، وحول الثانية جمع أحول .

وله أيضاً :

وَهِيَ الْعَيْسُ، دَهْرَهَا فِي ارْتِحَالٍ مِنْ حُلُولٍ، أَوْ فُرْقَةٍ مِنْ جَمِيعٍ ^(١)
 رَبِّ مَرَّتٍ مَرَّتٍ تُجَاذِبُ قَطْرِي؛ سَرَابًا كَالْمُهَلِّ الْمَشْرُوعِ ^(٢)
 وَسُرِّي تَنْتَحِيهِ بِالْوَحْدِ حَتَّى تَصْدَعُ اللَّيْلَ عَنْ بِياضِ الصَّدِيعِ ^(٣)
 كَالْبَرَى فِي الْبَرَى وَيُحْسِنُ أَحْيَا نَا نُسُوعًا مَجْدُودَةً فِي نُسُوعِ ^(٤)



(١) ديوانه ٢ : ٩١؛ من قصيدة يمدح فيها محمد بن محمد الواثق .
 (٢) المَرْت : الأرض القفر . (٣) الصديع : الفجر .
 (٤) البرى : جمع برة ؛ وهى الحلقة . والنسوع : الجبال .

مَجْلِسُ آخِرِ تَأْوِيلِ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ
أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ [س : ٧٥] .

فقال : كيف أضافُ إلى نفسه اليد ؛ وهو ممن يتعالى عن الجوارح ؟
الجواب ، قلنا في هذه الآية وجوه :

أولها أن يكون قوله تعالى : ﴿ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ ﴾ جارياً مجرى قوله : « لما خلقت أنا » ،
وذلك مشهور في لغة العرب ، يقول أحدهم : هذا ما كسبتُ يداك ؛ وما جرّت عليك يداك ؛
وإذا أرادوا نفي الفعل عن الفاعل استعملوا فيه هذا الضرب من الكلام فيقولون : فلان
لا تمشي قدمه ، ولا ينطق لسانه ، ولا تكتب يده ؛ وكذلك في الإثبات ، ولا يكون للفعل
رجوع إلى الجوارح في الحقيقة ؛ بل الفائدة فيه النفي عن الفاعل .

وثانيها أن يكون معنى اليد هاهنا النعمة ، ولا إشكال في أن أحدَ احتمالات لفظة اليد ١٠
النعمة .

فأما الوجه في ثنيتها فقد قيل فيه إن المراد نعمة الدنيا ونعمة الآخرة ، فكأنه تعالى
قال : ما منمك أن تسجدَ لما خلقتُ لنعمتي ؛ وأراد بالباء اللام .

وثالثها أن يكون معنى اليد هاهنا القدرة ؛ وذلك أيضا من احتمالات اللفظة ؛
يقول القائل : مالي بهذا الأمر يَدٌ ولا يدان ، وما يجري مجرى ذلك ؛ والمعنى : أننى لأقدر ١٥
عليه ولا أطيقه ؛ وليس المراد بذلك إثباتُ قدرة على الحقيقة ؛ بل إثبات كون القادر قادرا ، ونفى

كونه قادراً ، فكأنه تعالى قال : ما منمك أن تسجد لما خلقت وأنا قادر على خلقه ؛ فعبّر عن كونه قادراً بلفظ اليد الذي هو عبارة عن القدرة ؛ وكل ذلك واضح في تأويل الآية .

[١٩١] ونعود إلى ما كنا ابتدأناه من /الكلام على شعر مروان .

فمن قصيدته التي تقدم بعضها ووقع الكلام عليه مما يختار قوله :

أحيا أمير المؤمنين محمد^٥ سنن النبي حرامها وحلالها
ملك تفرع نبعة من هاشم^٥ مد الإله على الأنام ظلها
جبل لأمتيه تلوذ بر كنه^٥ رادى جبال عدوها فازالها^(١)
لم تغشها مما تخاف عظمة^٥ إلا أجال لها الأمور مجالها
حتى يفرجها أغر مبارك^(٢) ألفى أباه مفرجاً أمثالها
نبت على زلل الحوادث راكب^٥ من صر فيه لكل حال حالها^(٣)
كلتا يديك جعلت فضل نوالها^٥ للمسلمين ، وفي العدو وبالها^(٤)
وقعت مواقعها بعفوك أنف^٥ أذهبت بعد مخافة أوجالها
أمنت غير معاقب طرادها^٥ وفككت من أسرائها أغلالها
ونصبت نفسك خير نفس دونها^٥ وجعلت مالاً واقياً أموالها^(٥)

١٥ أما قوله :

أحيا أمير المؤمنين محمد^٥ سنن النبي حرامها وحلالها
فقد عابه عليه بعض من لا معرفة له بنقد الشعر فقال : كيف يكون في سنن النبي عليه

(١) في حاشيتي الأصل ؛ ف « رادى » فاعل « من المراداة ؛ وهى مرأاة الحجر ؛ أصله من الردى وهو الحجر الذى يكسر به الحجارة ، يستعمل فى المفاخرة والمناجزة . (٢) م : « مذهب » .
(٣) أى راكب من الصروف لكل حال حالها . (٤) ش : « وللعو وبالها » .
(٥) حاشية ف : « بخط عبد السلام بن الحسين البصرى رحمه الله : صياها » .

السلام حرام ! وما ذلك بغميب ؛ لأنه أراد بقوله : « حلالها وحرامها » التحليل والتحريم ؛ ومن سنته تحريمُ الحرام ، وتحليل الحلال ؛ وإنما الغيب من هذا قول ابن الرِّقَّاع العاملي :
ولقد أراد الله إذ ولاَّ كَها من أُمَّةٍ إِصلاحَها وَفَسادَها^(١)
ومثل قول مروان قولُ سلم الخاسر :

ولما وليتَ ذَكَرتُ النَبيَّ بتحليله وبتحريمه
فأما قوله :

* حتى يفرَّجها أغرُّ مبارك * ... البيت

فكثير جداً للمتقدمين والمحدثين ؛ والأصل فيه قول زهير :
وما كانَ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ فَإِنَّمَا تَوَارِثُهُ آبَاءُ آبَائِهِمْ قَبْلُ^(٢)
وَهَلْ يُنْبِتُ الحَطَّيَّ إِلَّا وَشِيجُهُ وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ!^(٣)
ومثله قول الآخر :

/ وَحَمْرَةٌ وَالْعَبَّاسُ مِنْهُمْ وَمِنْهُمْ عَقِيلٌ، وَمَاءُ الْعُودِ مِنْ حَيْثُ يُعْصَرُ^(٤)
ومثله للرَّبيع بن أبي الحَقِيقِ اليهودي :
إِذَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ قَامَ بَعْدُهُ لَهُ خَلْفٌ يَكْفِي السَّيَادَةَ بَارِعُ

(١) الطرائف الأدبية : ٩٠ ؛ والرواية هناك : « إِصلاحها ورشادها » ، وهي أيضاً رواية المؤلف في المجلس التاسع والأربعين . وفي الحاشية : « عدى قال : « فسادها » ، والأصمعيّ أنشد : « رشادها » ؛ والبيت من قصيدته التي أولها :

عرف الديار توها فاعتادها من بعد ما درس البلى أبلادها

وانظر روايتها وتخرج أبياتها في الطرائف الأدبية ٨٧-٩١ .

(٢) ديوانه : ١١٥ ؛ وتوارثه ؛ أي ورثوه كابرا عن كابرا ؛ كناية عن مجدهم القديم .

(٣) الحطّايّ : الرماح ؛ منسوبة إلى الحطّ ؛ وهي جزيرة بالبحرين ترفأ إليها سفن الرماح . والوشيج :

القنا الملتف في منبته ، واحدها وشيجة . (٤) حاشية الأصل : « ومثله للعتبي :

فإن كان سيارُ بن مكرمٍ انقضى فإنك ماء الورد إن ذهب الوردُ

من أبنائه والعرقُ ينْصُرُ فرْعَه على أصله، والعرقُ للعرقِ نازِعٌ^(١)
ومثله له:

تَرْجُو الغلامَ وَقَدْ أَغْيَاكَ والدُهُ وفي أرومته ما يَنْبُتُ العودُ
وأخذ هذا المعنى وبعض اللفظ الكميّ فقال :

٥ تجرى أصاغرهم تجرى أكارهم وفي أرومته ما يَنْبُتُ الشَّجَرُ

ومن هذا المعنى قول عبيد الله بن قيس الرقيات:

يَخْلُفُكَ البَيْضُ من بَنِيكَ كما يَخْلُفُ عودُ النَّضَارِ في شُعْبِهِ^(٢)
ومنه قول نهشل بن حرّى:

أَرَى كلَّ عودٍ نَابِتًا في أرومةِ أُنْبِ نَسَبُ العِيدَانِ أن يَتَغَيَّرَا^(٣)
١٠ بَنُو الصَّالِحِينَ الصَّالِحُونَ وَمَنْ يَكُنْ لَوَالِدٍ سَوْءٌ يَلْقَاهُ حَيْثُ سِيرَا^(٤)

ومثله لمسلم بن الوليد الأنصاري :

أَلَحَّ على الأَيَّامِ يَفْرِى خُطُوبَهَا على مَهْجِ أَلْفَى أَبَاهُ به قَبْلُ^(٥)
ولبشار :

* على أعراقها تجرى الجياد *

(١) نازع ؛ أى ينزع إليه في الشبه . (٢) النضار : شجر الأثل ؛ وقيل : النضار : كل شجرة ناضرة . (٣) ف : « ناميا في أرومة » . (٤) نسب هذا البيت في حماسة أبي تمام - بشرح التبريزي ١ : ٣٠٠ إلى جميل بن عبد الله بن معمر ؛ ضمن أبيات ثلاثة ؛ وهى :

أَبوك حبابٌ سارقُ الضيفِ بُرْدُهُ وَجَدَّيَ ياحجّاج فارس شَمْرَا
بنو الصالحين الصالحون وَمَنْ يَكُنْ لآبَاءِ صدق يَلْقَاهُمْ حَيْثُ سِيرَا
فإن تفضبوا من قِسْمَةِ الله حَظَّكُمْ فَلله إِذْ لم يُرْضِكُمْ كَانَ أَبْصَرَا

وهى في الحماسة - بشرح المرزوقى ٣١٥-٣١٦ من غير نسبة .

(٥) ديوانه : ٢٠٣

ومثله :

وَمَا فِيَّ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ فَإِنِّهَا
هُمْ الْقَوْمُ فَرَعَى مِنْهُمْ مُتَفَرِّعٌ
وَعُودُهُمْ عِنْدَ الْحَوَاثِ عُوْدِي

وللبحتري :

وَإِذَا أَبُو الْفَضْلِ اسْتَعَارَ سَجِيَّةً
شَرَفٌ تَتَابَعَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ
لَلْمَكْرُمَاتِ فَمِنْ أَبِي يَعْقُوبٍ^(١)
كَالْزُمَحِ أَنْبُوبًا عَلَى أَنْبُوبِ
وَأَرَى النَّجَابَةَ لَا يَكُونُ تَمَامُهَا
لِنَجِيبِ قَوْمٍ لَيْسَ بَابُنْ نَجِيبِ

/ وله أيضاً :

مَا سَمَوْا يَخْلُفُونَ غَيْرَ أَبِيهِمْ
كُلُّ سَاعٍ مَنَّا يُرِيدُ نِصَابَهُ^(٢)

وله أيضاً :

وَمَا تَابِعٌ فِي الْمَجْدِ نَهْجَ عَدُوِّهِ
كَمُتَّبِعٍ فِي الْمَجْدِ نَهْجِ أَبِيهِ^(٣)

وفي هذه القصيدة يقول مروان :

هَلْ تَعْلَمُونَ خَلِيفَةً مِنْ قَبْلِهِ
طَلَعَ الدُّرُوبُ مُشَمَّرًا عَنْ سَاقِهِ
أُجْرِي لِنَايَتِهِ الَّتِي أُجْرِي لَهَا
بِالْحَيْلِ مُنْصَلِتًا يُجِدُّ نَعَالَهَا^(٤)
قُودًا تَرِيْعُ إِلَى أَغْرٍ لَوَجْهِهِ
قَصُرَتْ سَمَائِلُهُ عَلَيْهِ فَقَلَّصَتْ
نُورٌ يُضِيءُ أَمَامَهَا وَخِلَالَهَا^(٥)
وَلَقَدْ نَحَفَّظَ قَيْنُهَا فَأَطَا لَهَا
حَتَّى إِذَا وَرَدَتْ أَوَائِلُ خَيْلِهِ
جَيْحَانٌ بَثٌّ عَلَى الْمَدْوِ رِعَالَهَا^(٦)

(١) ديوانه ١ : ٥٧ ؛ من قصيدة يمدح فيها يعقوب بن إسحاق التوبختي .

(٢) ديوانه ١ : ٩٠ ؛ من قصيدة يمدح فيها أبا ثوبة .

(٣) ديوانه ٢ : ٣٢٨ ؛ من قصيدة يمدح بها أحمد بن المدبر .

(٤) الدروب ، بربد بها دروب الروم . والمنصلت : الماضي في الأمر .

(٥) قود : جمع أقود ، وهو اللؤلؤ من الحيل . وتربع : ترجع .

(٦) جيحان : اسم نهر . والرعال : جمع رغيل ؛ وهو القطعة من الحيل تتقدم العسكر .

أُخْمِي بِلَادَ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ
أَدَمْتُ دَوَائِرَ خَيْلِهِ وَشَكِيمَهَا
لَمْ تُبْقِ بَعْدُ^(٣) مَقَادِهَا وَطِرَادِهَا
رَفَعَ الْخَلِيفَةُ نَاطِرِي وَرَاشِنِي
وَحَسِدْتُ حَتَّى قِيلَ أَصْبَحَ بَاغِيَا
وَلَقَدْ حَدَوْتُ لَنْ أَطَاعَ وَمَنْ عَصَى
وَأَبَاحَ سَهْلَ بِلَادِهِمْ وَجِبَالَهَا
غَارَاتُهُنَّ وَالْحَقْتُ أَطَالَهَا^(١)
إِلَّا نَحَائِزَهَا وَإِلَّا آلَهَا^(٢)
بَيْدَ مُبَارَكَةِ شَكَرْتُ نَوَالَهَا
فِي الْمَشَى مُتَرَفٍ شِيمَةٍ مُخْتَالَهَا^(٤)
نَمَلًا وَرِثْتُ عَنِ النَّبِيِّ مِثَالَهَا^(٥)

أما قوله : « قَصَرْتُ سَمَاثِلَهُ » فالأصل فيه قول عنتره :

بَطْلٌ كَانَ ثِيَابَهُ فِي سَرَحَةٍ
يُحْدِي نِمَالَ السَّبْتِ لَيْسَ بَتَوْعْمٍ^(٦)
أو قول الأعشى :

إِلَى مَا جِدَ كِهْلَالِ السَّمَاءِ
طَوِيلِ النَّجَادِ ، رَفِيعِ الْعِمَاءِ
أَزَكَّى وَفَاءً وَجَدًا وَخَيْرًا^(٧)
دِ ، يَحْمِي الْمُضَافَ ، وَيُغْنِي الْفَقِيرَا^(٨)

[١٩٣] / ومثله :

طَوِيلُ نِجَادِ السَّيْفِ عَارِ جَبِينَهُ
إِذَا هُمْ بِالْمَعْرُوفِ لَمْ تَجْرِ طَيْرُهُ
كَنْصَلِ الْيَمَانِي أَخْلَصَتْهُ صَيَا قَلَهُ
نُحُوسًا ، وَلَمْ تَسْبِقْ نَدَاهَ عَوَازِلُهُ

(١) الدوائر: جمع دابرة ، وهى الموضع الذى يقع عليه مؤخر السرج . والحقت : ضمرت . والآطال : جمع لطل ؛ وهى الخاصرة . (٢) ش : « لَمْ يُبْقِ بَعْدُ » .

(٣) نَحَائِزُهَا : طَبَاعُهَا . وَآلَهَا : يَرِيدُ شَخْصَهَا . (٤) الْمَتَرَفُ : الْمَبْقَى فِي الْمَلِكِ وَالنِّعْمَةِ .

(٥) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ : « يَعْنِي أَنَّهُ اقْتَدَى عَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَعْمَالِهِ حَذْوُ النَّمْلِ بِالنَّمْلِ » .

(٦) الْمُعْلَقَةُ — بَشْرَحُ التَّبْرِيزِي : ١٩٩ ؛ أَيْ هُوَ بَطْل . وَالسَّرَحَةُ : الشَّجَرَةُ الْكَبِيرَةُ الطَّوِيلَةُ ؛ يَسْتَظِلُّ بِهَا . وَنِمَالَ السَّبْتِ : الْمَدْبُوعَةُ بِالْقَرْطِ ، وَكَانَتْ الْمُلُوكُ تَلْبَسُهَا وَلَيْسَ بَتَوْعْمٌ : لَمْ يُولَدْ مَعَهُ آخَرُ فَيَكُونُ ضَعِيفًا . (٧) دِيَوَانُهُ : ٧٠ . وَالرَّوَايَةُ فِيهِ : « إِلَى مَلِكٍ » .

(٨) رَوَايَةُ الدِّيَوَانِ : « وَبَعِطَى الْفَقِيرَا » . وَالْمُضَافُ : الْمَلْجَأُ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : أَضَافَ ظَهْرَهُ إِلَى الْحَائِطِ أَيْ اسْتَعْدَ إِلَىهَا .

ومثله قول طريح بن إسماعيل الثقفي :

وأشعثَ طلاعَ الثنايا مباركٍ
ولأبي جويرية العبدى :

يعدُّ نجادَ السيفِ حتى كأنه
إذا اهتزَّ في البردِ اليماني خلتَه
ولأبي عطاء السندي :

وأزهرَ من بني عمرو بن عمرو
ولبعضهم في آل المهلب :

رأيتكم أعزَّ الناسِ جاراً
سمائلكم وإن كانت طوالاً
وأمنهم إذا غدوا ذماراً^(١)
نراها عن شمائلكم قصاراً

ولبعض بني العنبر في معنى الطول :

فجاءت به عبلَ العظام كأنما
عمامته بين الرجال لواء^(٢)

ولآخر:

أشتم طويلُ الساعدين كأنما
تناطُ إلى جذعِ طويلٍ سمائله^(٤)

ولابن هرمة:

تناطُ سمائلُ الهندي منه
ولكن تستقلُّ به قواه
بماتق ، لا ألفٌ ولا ضئيل
على ماضٍ بقائه نبيل

(١) د ، ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « بطول » .

(٢) الذمار : الذمة والمهد .

(٣) عبل العظام : ضخمها ، والبيت من أبيات ثلاثة في الحماسة — بشرح المزدقي ٢٦٩-٢٧٠ ،

والرواية هناك : « سبط العظام » . (٤) حاشية ف (من نسخة) : « طول الساعدين » .

ولسلم الخاسر :

يَقُومُ مَعَ الرُّمَحِ الرُّدَيْنِيِّ قَائِمًا وَيَقْصُرُ عَنْهُ طُولُ كُلِّ نِجَادٍ
وللختمى :

يُوزَايِ الرُّدَيْنِيَّ فِي طَوْلِهِ وَيَقْصُرُ عَنْهُ نِجَادُ الْحُسَامِ

وللوالبي :

[١٩٣]
ظ

طَوْلُهُ وَطَوْلُهُ فَتَرَى كَفَّهُ
يَهْلُ بِالطَّوْلِ انْهَالُ الْغَمَامِ
وَطَوْلُهُ يَفْتَالُ يَوْمَ الْوَعَى
وغيره فَضْلَ نِجَادِ الْحُسَامِ

فأما قوله :

وَلَقَدْ حَدَّثْتُ لِمَنْ أَطَاعَ وَمَنْ عَصَى نَعْلًا وَرِثَتْ عَنْ النَّبِيِّ مِثَالَهَا

فقد ردّد مروان معناه في مواضع من شعره فقال :

شَبِيهُ أَبِيهِ مَنْظَرًا وَخَلِيقَةً
كَمَا حَدَّثَتْ يَوْمًا عَلَى أُخْتِهَا النَّعْلُ

وقال في موضع آخر :

أَحْيَا لَنَا سُنَنَ النَّبِيِّ سَمِيَّةُ^(١)
قَدَّ الشَّرَاكِ بِهِ قَرَنْتَ شِرَاكًا^(٢)

وقال أيضا :

صَحِيحُ الضَّمِيرِ ، سِرُّهُ مِثْلُ جَهْرِهِ
قِيَاسَ الشَّرَاكِ بِالشَّرَاكِ تُقَابِلُهُ

وقال أيضا :

تَشَابَهَتْهُمَا حِلْمًا وَعَدْلًا وَنَائِلًا
تَنَازَعَتْهُمَا نَفْسَيْنِ ؛ هَذِي كَهَذِهِ
كَمَا قَاسَ نَعْلًا حَضْرَمِيٌّ فَقَدَّهَا
وَحَزْمًا إِذَا أَمْرُ أَقَامَ وَأَقْعَدًا
عَلَى أَصْلِ عِرْقٍ كَانَ أَفْخَرَ مُتَلَدًا
عَلَى أُخْتِهَا لَمْ يَأْلُ أَنْ يَتَجَوَّدَا

(١) م : « محمد » . (٢) حاشية ف : « قد الشراك : مصدر في موضع الحال ، أى قادا » .

وأخذ هذا المعنى أبو نواس فقال :
تَنَازَعَ الْأَحْمَدَانِ الشَّبَهَ قَاتِفَقَا خَلَقًا وَخُلُقًا كَمَا قَدَّ الشَّرَّاءُ كَانَ^(١)

والأصل في هذا قول ابن أبي ربيعة :
فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا عَرَفْتُ الَّذِي يَبْهَى كَمِثْلِ الَّذِي بَى، حَدَوَكَ النَّعْلَ بِالنَّعْلِ^(٢)

ومثله للسيد بن محمد الحميري رحمه الله تعالى :

يَتَلَوْنَ أَخْلَاقَ النَّبِيِّ وَفَعْلَهُ فَالنَّعْلُ تُشَبِّهُ فِي الْمِثَالِ طِرَاقَهَا^(٣)

وقد تقدم إلى هذا المعنى يزيد بن الكسّر بن ثعلبة بن سيّار العجليّ بقوله في يوم ذي قار،
يُحْرَضُ قَوْمُهُ عَلَى الْقِتَالِ :

مَنْ فَرَمَكُمْ فَرًّا عَنْ حَرِيمِهِ^(٤) وَجَارِهِ ، وَفَرًّا عَنْ نَدِيمِهِ

/ أَنَا بِنُ سَيَّارٍ عَلَى شَكِيمِهِ^(٥) مِثْلُ الشَّرَّاءِ قَدْ مِنْ أَدِيمِهِ

[١٩٤]
و

* وَكُلُّهُمْ يُجْرَى عَلَى قَدِيمِهِ *

فأما قوله :

* وَحُسِدْتُ حَتَّى قِيلَ أَصْبَحَ بَاغِيًا * . . . البيت

ففي معناه قول البحتريّ :

أَلَنْتَ لِيَ الْأَيَّامَ مِنْ بَعْدِ قَسْوَةٍ وَعَاتَبْتَ لِيَ دَهْرِي الْمُسَىءِ فَأَعْتَبَا^(٦)
وَأَلْبَسْتَنِي النُّعْمَى الَّتِي غَيَّرْتُ أَخِي عَلَى فَأَمْسَى نَارِحَ الْوُدِّ أَجْنَبَا

١٥

ومما يختار لمرؤان قوله :

(١) حاشية الأصل : « أى ينزعان في الشبه ، كل منهما إلى صاحبه في الشبه ، ويجوز أن يكون تنازع ، من النزاع الذى هو السلب » . (٢) ديوانه : ٣٢٦ .
(٣) طراق النعل : ما أطبق عليه فخرزت به . (٤) الأبيات في تاريخ الطبرى ٢ : ١٥٤ .
وفي حاشية الأصل : من نسخة « منكم » . (٥) شكيمه : طبعه وعادته . (٦) ديوانه ١ : ٥٦ .

مَوْفَّقٌ لِسَبِيلِ الرُّشْدِ مُتَّبِعٌ يَزِينُهُ كُلُّ مَا يَأْتِي وَيَجْتَنِبُ
تَسْمُو الْعُيُونُ إِلَيْهِ كَلَّمَا انْفَرَجَتْ لِلنَّاسِ عَنْ وَجْهِهِ الْأَبْوَابُ وَالْحُجُبُ
لَهُ خَلَائِقُ رِيضٌ لَا يُغَيِّرُهَا صَرَفُ الزَّمَانِ كَمَا لَا يَصْدَأُ الذَّهَبُ

ووجدت بعض من ينتقد^(١) الشعر يقول: ليس في شعر مروان بيت يُتمثل به غير هذا البيت
٥ الأخير من الثلاثة الأبيات . وكان ابن منذر^(٢) إياه أراد بقوله ، وقد سأل وهو مجاور بمكة :
عمن يبغذاذ من الشعراء ؟ ف قيل له : العباس بن الأحنف ؛ فقال : أنشدوني له ، فأنشدوه :
لَوْ كُنْتُ عَاتِبَةً لَسَكَّنَ عَبْرَتِي أَمَلِي رِضَاكَ ، وَزُرْتُ غَيْرَ مُرَاقِبٍ^(٣)
لَكِنْ مَلَيْتُ فَلَمْ تَكُنْ لِي حِيلَةً ، صَدُّ الْمَلُولِ خِلَافُ صَدِّ الْعَاتِبِ^(٤)
فقال ابن منذر : أَخْلِقْ بِنِ أَدَامَ بَحْثَ التَّرَابِ أَنْ يَصِيبَ خَرَزَةَ .

١٠ قال سيدنا أدام الله تمكينه : ولا شك في قلة الأمثال في شعر مروان ؛ ولكن ليس إلى
هذا الحد ؛ وهذا المعنى الذي قد تضمنه البيت قد سُبِقَ إليه أيضا ، قال طُريح بن إسماعيل :
جَوَادٌ إِذَا جِئْتَهُ رَاجِيًا كَفَاكَ السُّؤَالَ وَإِنْ عُدْتَ عَادَا
خَلَائِقُهُ كَسِيكَ النَّضَا لَا يَعْمَلُ الدَّهْرُ فِيهَا فَسَادَا
ومثله قول الخُرَيْمِي :

[١٩٤] /رَأَيْتَكَ يَا زَيْدُ زَيْدَ النَّدَى وَزَيْدَ الْفَخَّارِ وَزَيْدَ الْكَرَمِ
تَزِيدُ عَلَى نَائِبَاتِ الْخَطُوءِ بِبَدَلٍ لَا وَفِي سَائِبَاتِ النِّعَمِ
كَذَا الْخَمْرُ وَالذَّهَبُ الْمَعْدِنِ يُجَوِّدُ هَذَا وَذَاكَ الْقَدَمِ

وفي قوله : «الذهب المعدني» فائدة؛ لأنه إذا خَلَصَ الذهب وصفاً لم يفسد؛ وإذا امتزج

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « ينقد » . (٢) حاشية الأصل : « ابن منذر ، بضم الميم ، ومنهم من يفتح الميم ، ذهابا إلى أن له آباء اسم كل منهم المنذر ، وليس هذا بشيء . وقيل له : يا ابن منذر ، فقال : منذر الصغرى أم الكبرى ؟ وهما ناحيتان بالأهواز ، بل أنا ابن منذر ، بضم الميم » .
(٣) ديوانه : ٢ : ٢٢ . (٤) رواية الديوان : « لكن مللت » .

بغيره لم يكن هذا حكمه ؛ ومثله للأُموي^(١) :

يَأْوِي إِلَى خُلُقٍ لَمْ يُصْدِهِ طَبَعٌ كَأَنَّ جَوْهَرَهُ مِنْ جَوْهَرِ الذَّهَبِ

ولبعضهم :

مَلِكٌ لَهُ خُلُقٌ خَلِيقٌ بِالْعَلَا كَسِيكَةِ الذَّهَبِ الَّتِي لَا تَكْلَفُ^(٢)

وقد أخذ الخبز أُرْزِي هذا المعنى في قوله :

فَلَا تُعَنَّ لَتَحْذِيفٍ تَكْلَفُهُ لِصُورَةٍ حُسْنِهَا الْأَصْلَى تَكْفِيهَا
إِنَّ الدَّانِيَةَ لَا تُجَلَّى وَإِنْ عُتِقَتْ وَلَا تَزَادُ عَلَى النَّقْشِ الَّذِي فِيهَا

ولحظة مثله :

صَدِيقٌ لِي لَهُ أَدَبٌ صَدَاقَةٌ مِثْلُهُ حَسَبُ
رَعَى لِي فَوْقَ مَا يُرْعَى وَأَوْجَبَ فَوْقَ مَا يَجِبُ
وَلَوْ نُقِدَتْ خِلَافُهُ لَبْهَرَجَ عِنْدَهَا الذَّهَبُ

١٠

(١) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : والأسدي ، (٢) لا تكلف : لا تصدأ ؛ من الكلف ؛ وهو

لون يخالف لون الوجه .

مكتبة الدكتور مرزوق الوائلي

مجلد آخر

تأويل آية

إن سائل سائل عن قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ
نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾؛ [الإسراء: ٤٧] .
فقال: لم وحد ﴿نَجْوَى﴾ وهو خبر عن جمع ؟ وما معنى ﴿مَسْحُورًا﴾ وما جرت
عادة مشركي العرب بوصف رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك ، بل عادتهم جارية بقرنه
بأنه ساحر ؟

الجواب ، قلنا : أما قوله تعالى : ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾ فإن « نَجْوَى » مصدر يوصف
به الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث ، وهو مُقَرَّرٌ على لفظه . ويجرى ذلك بحجوى
[١٩٥] / قولهم : الرجال صوم ، والمنازل سمح ، بمعنى بصوم صائمون ، وبمحمد محمودون .
وقد قال قوم : إن معناه : وإذ هم أصحاب نجوى ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ،
١٠ ويقال : القوم نجى والقوم أنجى ، فمن وحد بنى على مذهب المصدر ، ومن جمع جعله منقولاً
عن المصادر ، ملحقاً برغيف وأرغفة ، وما أشبه ذلك .
وقد قال الشاعر (١) :

أَتَانِي نَجِيِّي بَعْدَ هَذِهِ وَرَقْدَةٍ وَلَمْ أَكُ فِيمَا قَدْ بَلَوْتُ بِكَاذِبٍ (٢)

(١) ف : « وقال الشاعر في التوحيد » ؛ وهو سواد بن قارب السدوسي ؛ صحابي ذكره ابن حجر
في الإصابة ٣ : ١٤٨-١٤٩ . (٢) من أبيات أنشدها عند الرسول عليه السلام ، ذكرت مع
خبر له في مقدمة جهرة الأشعار ٢٤-٢٦ . والرواية هناك :

وأنشد الفراء في الجمع:

ظَلَّتْ نِسَاؤُهُمْ وَالْقَوْمُ أَنْجِيَّةٌ يُعَدَى إِلَيْهَا كَمَا يُعَدَى عَلَى الْغَنَمِ^(١)

فأما قوله تعالى: ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ ففيه وجوه:

أولها أن يكون المراد: إن تتبعون إلا رجلاً متغير العقل؛ لأن الشركين كان من مذهبهم عيب النبي صلى الله عليه وآله، وتضعيف أمره وتوهين رأيه، وكانوا في وقت ينسبونه إلى أنه ساحر، ٥ وفي آخر يرمونه بالجنون، وأنه مسحور متغير العقل^(٢)، وربما قذفوه بأنه شاعر حوشي من ذلك كله. وقد جرت عادة الناس أن يصفوا من يضيفونه إلى البله والغفلة وقلة التحصيل بأنه مسحور.

وثانيها أن يريدوا بالمسحور المخدوع الملل؛ لأن ذلك أحد ما يستعمل فيه هذه اللفظة،

١٠

قال امرؤ القيس:

أَرَانَا مُوَضِّعِينَ لِحِجَمِ غَيْبٍ وَنُسَجَّرُ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ^(٣)

وقال أمية بن أبي الصلت:

فَإِنْ تَسْأَلِنَا فِيمَ نَحْنُ فَإِنَّا عَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الْأَنَامِ الْمُسَحَّرِ^(٤)

(١) البيت في اللسان (نجاء)، ونسبه لسحيم، ولم يذكر في ديوانه. وفي ف، وحاشية الأصل

(من نسخة): «يعدى عليها». (٢) د، ف، حاشية الأصل من نسخة: «متغير العقل».

(٣) ديوانه: ١٣٢. موضعين: مسرعين، والإبضاع: نوع من السير. والحم: الإيجاب؛ وبعده:

عصافير وذبان ودود وأجراً من مجلحة الذئاب

فبعض اللوم عاذلتى فائى ستكفينى التجارب وانتسابى

إلى عرق الثرى وشجت عروقي وهذا الموت يسلبنى شبابى

(٤) البيت في اللسان (سحر)، ونسبه إلى أبييد؛ وهو أيضاً في ديوانه ١: ٨١

وثالثها أن السَّحَر في لغة العرب الرُّثَّة وما تعلق بها ، فيها ثلاث لغات: سَحَرٌ وسِحْرٌ وسُحْرٌ ، وقيل السَّحَر ما لصق بالخلقوم والمرى من أعلَى الجوف ؛ وقيل إنه الكبد ؛ فكأن المعنى على هذا : إن تَبْعَمُونَ إلا رجلا ذا سِحْر ؛ خلقه الله بشرا كَخَلَقَكُمْ .

ورابعها أن يكون معنى مسحور أى ساحر ، وقد جاء لفظ مفعول بمعنى فاعل ؛ قال الله [١٩٥] تعالى : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ / جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴾ [الإسراء : ٤٥] ، أى ساترا ، والعرب تقول للمعسر : مُلْفَج ، ومعناه مُلْفِج ؛ لأن ماضيه أَلْفَجَ^(١) ، فجاءوا بلفظ المفعول وهو الفاعل ؛ ومن ذلك قولهم : فلان مشثوم على فلان وميمون ؛ وهم يريدون شائم له ويامن ؛ لأنه من شائمهم^(٢) ويمنهم .

ورأيت بعض العلماء يطعن على هذا الاستشهاد الأخير فيقول : العرب لا تعرف «فلان مشثوم على فلان» ؛ وإنما هذا من كلام أهل الأمصار ؛ وإنما تسمى العرب من لحقه الشثوم مشثوما ؛ قال عاقمة بن عبدة :

ومن تعرّض للغربان يزجرها على سلامته لابدّ مشثوم^(٣)
والوجوه الثلاثة الأول أوضح وأشبهه .

ومما يختار لمروان بن أبي حفصة قوله من قصيدة يمدح بها معن بن زائدة الشيباني ، أولها :

أرى القلب أمسى بالأوانيس مولعا وإن كان من عهد الصبا قد تمتعا^(٤) ١٥

يقول فيها :

ولما مرى الهم الغريب قرّيته قرى من أزال الشك عنه وأزَمَعَا

(١) حاشية الأصل : « يقال : أَلْفَج ؛ فهو ملفج ، وأسهب إذا ذهب عقله فهو مسهب ، وأحصن فهو محصن » . (٢) شائمهم : أصابهم بشؤم . (٣) ديوانه : ١٣١ ، الفضليات : ١٢٠ (طبعة المعارف) . (٤) الأوانيس : جمع آنسة ؛ وهى الفتاة الطيبة الحديث والنفس .

عَزَمْتُ فَعَجَّلْتُ الرَّحِيلَ وَلَمْ أَكُنْ
فَأَمْتُ رِكَابِي أَرْضَ مَعْنٍ وَلَمْ تَزَلْ
نَجَائِبُ لَوْلَا أَنَّهَا سَخَّرْتُ لَنَا
كَسَوْنَا رِحَالَ الْمَيْسِ مِنْهَا غَوَارِبًا
فَمَا بَلَغْتُ صَنَعَاءَ حَتَّى تَوَاضَعْتُ
وَمَا الْغَيْثُ إِذْ عَمَّ الْبِلَادَ بِصَوْبِهِ
يقول فيها:

تَدَارَكَ مَعْنٍ قَبَّةَ الدِّينِ بَعْدَمَا
أَقَامَ عَلَى الثَّغْرِ الْمَخُوفِ ، وَهَاشِمٌ
مُقَامَ أَمْرِي يَا بَنِي سِوَى الْخُطَّةِ الَّتِي
وَمَا أَحْجَمَ الْأَعْدَاءُ عَنْكَ بَقِيَّةً
رَأَوْا مُخْذِرًا قَدْ جَرَّبُوهُ وَعَايَنُوا
/ وَلَيْسَ بِثَانِيهِ إِذَا شَدَّ أَنْ يَرَى
لَهُ رَاحَتَانِ : الْحَتَفُ وَالْغَيْثُ فِيهِمَا
لَقَدْ دَوَّخَ الْأَعْدَاءُ مَعْنٍ فَاصْبَحُوا
نَجِيبُ مَنَاجِبٍ وَسَيِّدُ سَادَةٍ
لَبَّانَتْ خِصَالُ الْخَيْرِ فِيهِ وَأُكْمِلْتُ
تَدَارَكَ مَعْنٍ قَبَّةَ الدِّينِ بَعْدَمَا
أَقَامَ عَلَى الثَّغْرِ الْمَخُوفِ ، وَهَاشِمٌ
مُقَامَ أَمْرِي يَا بَنِي سِوَى الْخُطَّةِ الَّتِي
وَمَا أَحْجَمَ الْأَعْدَاءُ عَنْكَ بَقِيَّةً
رَأَوْا مُخْذِرًا قَدْ جَرَّبُوهُ وَعَايَنُوا
/ وَلَيْسَ بِثَانِيهِ إِذَا شَدَّ أَنْ يَرَى
لَهُ رَاحَتَانِ : الْحَتَفُ وَالْغَيْثُ فِيهِمَا
لَقَدْ دَوَّخَ الْأَعْدَاءُ مَعْنٍ فَاصْبَحُوا
نَجِيبُ مَنَاجِبٍ وَسَيِّدُ سَادَةٍ
لَبَّانَتْ خِصَالُ الْخَيْرِ فِيهِ وَأُكْمِلْتُ

(١) نزعا ، أى مشتافين . (٢) الميس : خشبة الرحل ، والغوارب : أعلى السنام . والني : الشحم .

(٣) ذراها : جمع ذروة ؛ وهى الأعلى ؛ ويعنى هنا الأسنمة .

(٤) المخدر : الأسد فى خدره وهو غيلة ؛ ويعنى بالمخدر الأجمة . (٥) فى حاشيتى الأصل ، ف :

ومثله لآخر :

لَيْنٌ فَرِحَتْ بِي مَعْقِلٌ عِنْدَ شَيْبَتِي لَقَدْ فَرِحَتْ بِي بَيْنَ أَيْدِي الْقَوَابِلِ

لقد أصبحت في كلِّ شرقيٍّ ومغربٍ بِسَيْفِكَ أَعْنَقُ الْمُرَيْبِينَ خُضْعًا
وَطِئْتَ خُدُودَ الْحَضَرَمِيِّينَ وَطَاءَةً لَهَا هَدَّ رُكْنَا عِزَّهُمْ (١) فَتَضَعُضَعَا
فَأَقْعَمُوا عَلَى الْأُذُنَابِ إِقْعَاءَ مَعْشِيرٍ بَرَوْنَ لُزُومَ السَّلَمِ أَبَقَى وَأَوْدَعَا
فَلَوْ مُدَّتِ الْأَيْدَى إِلَى الْحَرْبِ كُلِّهَا لَكَفَّوْا وَمَا مَدُّوا إِلَى الْحَرْبِ إِنْصَبَا

٥ أَمَاقوله:

فَمَا بَلَغَتْ صَنَمَاءُ حَتَّى تَوَاضَعَتْ ذُرَاهَا ، فزَالَ الْجَهْلُ عَنْهَا فَأَقْلَعَا
فَقَدْ رَدَّدَهُ فِي مَوْضِعٍ آخِرٍ فَقَالَ :

فَمَا بَلَغَتْ حَتَّى سَحَاها كَلَالُهَا إِذَا عُرِّيَتْ أَصْلَابُهَا أَنْ تُقَيِّدَا
وهذا المعنى (٢) كثير في الشعر القديم والمحدث (٢)، ففنه قول جرير :

١٠ إِذَا بَلَّغُوا الْمَنَازِلَ لَمْ تُقَيِّدْ وَفِي طَوْلِ الْكَلَالِ لَهَا قِيُودُ (٣)

وروى أنه قيل لنُصَيْبٍ : لك بيت نازعك فيه جرير ؛ أَيُكَمَا فِيهِ أَشْعَرُ ؟ فقال : مَا هُوَ ؟

فقيل قولك :

أُضَرَّ بِهَا التَّهْجِيرُ حَتَّى كَانَتْهَا بَقَايَا سُلَالٍ لَمْ يَدْعُهَا سُلَالُهَا (٤)

وَأَنشَدَ بَيْتَ جَرِيرِ الَّذِي تَقَدَّمَ ، فَقَالَ : قَاتَلَ اللَّهُ ابْنَ الْخَطَفِيِّ ! فَقِيلَ لَهُ : قَدْ فَضَّلْتَهُ

١٥ عَلَيْكَ ، فَقَالَ : هُوَ ذَاكَ .

وَأَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى الْمُؤْمِلُ بْنُ أُمَيْلٍ الْحَارِثِيُّ فَقَالَ :

كَانَتْ تُقَيِّدُ حِينَ تَنْزِلُ مَنْزِلًا فَالْيَوْمَ صَارَ لَهَا الْكَلَالُ قِيُودَا

وَلَا بِي نَحِيلَةَ :

/ قَيَّدَهَا الْجَهْدُ وَلَمْ تُقَيِّدْ فَهِيَ سَوَامٍ كَالْقَنَاءِ الْمُسْنَدِ

[١٩٦]
ظ

(١) حاشية ف (من نسخة) : « عزمهم » . (٢-٢) من نسخة بمحاشيتي الأصل ، ف :

« كثير في شعر القدماء والمحدثين » . (٣) ديوانه : ١٤٨ . (٤) السلال : السل .

ومآلها مُعَلَّلٌ^(١) من مِرْزُودٍ مِنْهَا^(٢) ولا من شاحِطٍ مُسْتَبَعِدٍ

ومعنى قوله : « سَوَامٍ » أى هى رافعة رؤوسها ، وشبهها بالقنا ، لأن القنا إذا ركز مال قليلا مع الريح^(٣) ، فيقول : فى أعناقها ميل من الضعف ، كما قال الشماخ :
فَأَضْحَتْ تَفَالَى بِالسُّتَارِ كَأَنَّهَا رِمَاحٌ نَحَاها وَجْهَةَ الرِّيحِ رَاكِزٌ^(٤)
وكما قال حميد بن ثور الهلالي :

بِمَثْوًى حَرَامٍ وَالْمَطَى كَأَنَّهُ قَنَّا مُسْنَدٌ هَبَّتْ لَهُنَّ خَرِيقٌ^(٥)

(١) ش « معلل » ، بكسر اللام المشددة . وهو على هذا كناية عن العلف الذى تجتره من جوفها .
(٢) فى حاشيتى الأصل ، ف : « منها ، متعلق بالمرزود ؛ أى من مرزود منها ، أى من نفسها ، يعنى كرسها » .
(٣) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « من الرع » .
(٤) فى حاشيتى الأصل ، ف : « وهذا البيت آخر زائته ؛ وقبله :

فَأَصْبَحَ فَوْقَ الْحِقْفِ حِقْفٌ تَبَالَهَ لَهُ مَرَكْدٌ فِى مَسْتَوِى الْجَبَلِ بَارِزٌ
فَأَضْحَتْ تَفَالَى بِالسُّتَارِ كَأَنَّهَا . . .

يصف حميرا وصائدا ، والحقف : ما اعوج من الرمل ، والمركد : المقام والجبل : المتمد من الرمل .
وقوله : « تفالى » أى تدخل رؤوسها بعضها فى بعض . والستار : موضع ؛ وشبهها فى دقتها وطولها بالرماح ونحائها : جعلها فى ناحية الريح ؛ شبهها منحنفة إلى ناحية الريح تستنشى ؛ فإن حملت الريح رعا الصائدا إليها تركت ذلك المورد وأنت غيرة ؛ ولا انقدمت بالرماح أو الفصيصة فى ديوانه : ٤٣-٥٣ ؛ ورواية البيهقي فيه :

وَأَصْبَحَ فَوْقَ الدَّشْرِ نَشْرٌ حَمَامَةٌ لَهُ مَرَكْضٌ فِى مَسْتَوِى الْأَرْضِ بَارِزٌ
وَضَلَّتْ تَفَالَى بِالْيَفَاعِ كَأَنَّهَا رِمَاحٌ نَحَاها وَجْهَةَ الرِّيحِ رَاكِزٌ

(٥) ديوانه : ٣٤ ، من قصيدة طويلة ؛ أولها :

نَأَتْ أُمُّ عَمْرٍو فَالْفَوَادُ مَشُوقٌ يَحْنُ إِلَيْهَا وَهَلَّا وَيَتُوقُ

وهو أيضا فى السكامل - بشرح الرصفى ٦ : ١٩٣ ، واللسان (خرق) ، وفى حاشيتى الأصل ، ف :

نسخة س : « مئوى حرام : مئى » ، وقبل هذا البيت :

فَأَعْرَضْتُ عَنْهَا فِى الزِّيَارَةِ أَتَقَى وَذُو اللَّبِّ بِالتَّقْوَى هُنَاكَ حَقِيقٌ

وهذا البيت لم يرد فى ديوانه ؛ والذى ورد قبل البيت المذكور :

أَلَا طَرَقْتُ صَحْبِي عَمِيرَةَ إِنَّهَا لَنَا بِالْمَرُورَةِ الْمُطِيلِ طَرُوقُ

والمروراة هنا : الأرض أو المغازاة لاشئ فيها .

فالخرق ریحٌ شديدة تنخرقُ من كل جهة .

ومعنى قول أبي نخيلة : « من مزود » أى من ثملة^(١) تجترها، من الاجترار، وأراد أنه لاشئ في أجوافها تتمل^(٢) به . والمستبعد : ما بُعد من المرعى .

وأشدد أبو العباس ثعلب :

إِذَا بَلَغُوا الْمَافَزَ لَمْ تُقَيَّدَ رَكَابُهُمْ وَلَمْ تُشَدَّ بِمَقْلٍ
فَهِنَّ مُتَمِدَّاتٌ مُطْلَقَاتٌ نَقَضَّ مَا تَشَدَّرَ فِي الْمَحَلِّ^(٣)

والأصل في هذا قول امرئ القيس :

مَطَوْتُ بِهِمْ حَتَّى تَكِلَ مَطِيئُهُمْ وَحَتَّى الْجِيَادُ مَا يُقَدِّنَ بِأَرْسَانِ^(٤)

ولعباد بن أنف الكلب الصيداوى :

فَتُمْسِي لَا أُقَيِّدُهَا بِجَبَلٍ بِهَا طُولُ الضَّرَاوَةِ وَالْكَلَالِ

ومن جيد هذا المعنى قول الفرزدق يصف الإبل :

بَدَأْنَا بِهَا مِنْ سَيْفِ رَمْلٍ كَهَيْلَةٍ وَفِيهَا نَشَاطٌ مِنْ مِرَاحٍ وَعَجَرَفُ^(٥)

(١) الثملة : بقية العلف .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « فتتمل به » . (٣) تشدر : تفرق ؛ وفي د ، ف :

« تشذب » ، وهى بمعنى تفرق أيضا . (٤) ديوانه : ١٢٩ . مطوت بهم ؛ أى مددت بهم في السير، ما يقدن بأرسان ؛ أى أعيت فلا تحتاج إلى أرسان . وفي حاشيتي الأصل ، ف : « قبله :

وَجَرَّ كَغُلَّانِ الْأَنِيمِ بِالْغِ دِيَارَ الْعَدُوِّ ذِي زُهَاءٍ وَأَرْكَانِ

الحجر : الجيش الكبير الثقيل . والغلان : الأودية ؛ واحدا غال ، وهو الوادى الكثير الشجر . وذوذهاء ؛ أى لا يحصون لكثرتهم . (٥) ديوانه ٢ : ٥٥١-٥٥٨ ؛ من نقائض المشهورة ، وأولها :

عَزَفْتَ بِأَعْشَاشٍ وَمَا كَدْتَ تَعْرِفُ وَأَنْكَرْتَ مِنْ حُدْرَاءٍ مَا كُنْتَ تَعْرِفُ

وأصل السيف شاطئ البحر ، وكهيلة : موضع . والعجرف : سير فيه نشاط . وفي حاشيتي الأصل ، ف :

فَمَا بَلَغَتْ حَتَّى تَقَارِبَ خَطُوهَا وَبَادَتْ ذُرَاهَا وَالْمَنَاسِمُ رُعْفٌ^(١)
وَحَتَّى قَتَلْنَا الْجَهْلَ عَنْهَا وَغُودِرَتْ إِذَا مَا أُنِخْتُ وَالْمَدَامِغُ ذُرْفٌ^(٢)
/ وَحَتَّى مَشَى الْحَادِي الْبَطِيءُ يُسَوِّقُهَا لَهَا بِخَصٍّ دَامٍ وَدَأَى مُجَلِّفٌ [١٩٧]
و
- الْبَخَصُ : لَحْمُ الْخِفِّ الَّذِي تَطَأُ عَلَيْهِ . وَالْدَأَى : فَقَارُ الظَّهْرِ . وَالْمَجَلِّفُ : الْمُقْشُورُ -
وَحَتَّى بِمَثْنَاهَا وَمَا فِي يَدِهَا إِذَا حُلَّ عَنْهَا رُمَّةٌ وَهِيَ رُسْفٌ
- الرُّمَّةُ : الْحَبْلُ ؛ وَأَرَادَ أَنَّهَا تَرُسْفُ كَمَا يَرُسْفُ الْمَقِيدُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي يَدِهَا قَيْدٌ -
إِذَا مَا نَزَلْنَا قَاتَلَتْ عَنْ ظُهُورِهَا حَرَاجِيجُ أُمْتَالِ الْأَهْلَةِ شُسْفٌ
- الْحَرَاجِيجُ : الطُّوَالُ مِنَ الْإِبِلِ ، وَالشُّسْفُ : الْيَابِسَةُ مِنَ الْجُحْدِ وَالْكَلَالِ . وَمَعْنَى
قَتَلَهَا لِلْغُرَبَانِ أَنَّهَا إِذَا عَرَّيَتْ ظُهُورَهَا تَقَعُ الْغُرَبَانُ عَلَيْهَا لَتَأْكُلَ دَبْرَهَا ؛ فَالْإِبِلُ تُدَافِعُ
الْغُرَبَانَ بِأَفْوَاهِهَا عَنْ ظُهُورِهَا وَذَلِكَ قَتَالُهَا -

١٠

= إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَمَتْ بَنَاءَ هُمُومِ الْمَنَى وَالْهُوْجَلُ الْمُتَعَسِّفُ
وَعَضُّ زَمَانٍ يَابِنُ مَرَوَانَ لَمْ يَدْعُ مِنْ الْمَالِ إِلَّا مُسْجِتًا أَوْ مَجْرَفُ
وَمَائِرَةُ الْأَعْضَادِ صُهْبٍ كَأَنَّمَا عَلَيْهَا مِنَ الْإِئْنِ الْجِسَادُ الْمَدُوفُ
بَدَأْنَا بِهَا مِنْ سَيْفٍ رَمَلٍ كَهَيْلَةٍ ...

- الْهُوْجَلُ : الْبَطْنُ الْوَاسِعُ فِي الْأَرَسِ . الْمُتَعَسِّفُ : الطَّرِيقُ الْمَسْلُوكُ مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ . وَيُرْوَى : « إِلَّا مَسَحَتْ » ،
بِالْفَرْعِ ؛ وَمَعْنَى : لَمْ يَدْعُ ، مِنَ الدَّعَةِ ؛ أَيْ « لَمْ يَتَدَع » مَعَ هَذَا الزَّمَانِ إِلَّا مَسَحَتْ مُسْتَأْصِلٌ . قَالَ سُوَيْدٌ :

أَرَقَّ الْعَيْنَ خَيَالٌ لَمْ يَدْعُ مِنْ سُلَيْمَى فَفُؤَادِي مُنْتَزِعٌ

وَالْمَجْرَفُ : الَّذِي أَخَذَ مَا دُونَ الْجَمِيعِ ؛ وَقَالَ ثَعْلَبُ : « مَسَحَتْ » نَصَبٌ بِوُقُوعِ الْفِعْلِ عَلَيْهِ ، وَقَدْ وَلِيَهُ
الْفِعْلُ ، وَلَمْ يَلِ الْفِعْلُ « مَجْرَفٌ » فَاسْتَوْفَّ بِهِ فَرْعٌ ، قَالَ : التَّقْدِيرُ : « هُوَ مَجْرَفٌ » . وَمَائِرَةُ الْأَعْضَادِ :
الَّتِي تَمُورُ بِيَدَيْهَا دُونَ رِجَالِهَا ، وَذَلِكَ مِمَّا يَسْتَجِبُ فِي الْإِبِلِ . وَالْجِسَادُ : الْعِرْقُ ؛ وَهُوَ مَا أَصْفَرُ ، يُضْرَبُ إِلَى
الْحُمْرَةِ .

(١) بَاءَتْ : هَلَكْتَ أَسْنَمْتَهَا وَالْمَنَاسِمُ : أَظْغَارُ الْإِبِلِ . وَرَعْفٌ : دَامِيَةٌ مِنَ الْخَفَاءِ .

(٢) نَسْجَةُ الشَّجَرِ : « قَتَلْنَا جَهْلَهَا ؛ وَهُوَ مَرْحَبُهَا وَنَشَاطُهَا بِالْكَلَالِ » . وَيُرْوَى : « وَغُورَتْ ،

مِنَ التَّغْوِيرِ ، وَهُوَ تَرْوِلُ الْغَائِرَةِ ؛ وَالْغَائِرَةُ نِصْفُ النَّهَارِ » .

إذا ما أَرَيْنَاهَا الْأَزِمَّةَ أَقْبَكَتْ إِلَيْنَا بِحَرَاتِ الْخُدُودِ تَصَدَّفُ
فَأَفْنَى مِرَاحِ الدَّاعِرِيَّةِ^(١) خَوْضُهَا بِنَا اللَّيْلِ إِذْ نَامَ الدُّثُورُ الْمُلَفَّفُ^(٢)

ومن أحسن ما قيل في وصف الإبل بالنحول من الكلال والجهد بعد السمن قول
الشاعر:

• وذاتِ مَاءَيْنِ قَدْ غَيَّضَتْ مُجْتَهَتَهَا بِحَيْثُ تُسْتَمْسِكُ الْأَرْوَاحُ بِالْحَجَرِ
رَدَّتْ عَوَارِي غِيْطَانِ الْفَلَا وَنَجَّتْ بِمَثَلِ إِيْبَالَةٍ مِنْ حَائِلِ الْعُشْرِ^(٣)
قوله: «ذات مائين» معنى سمناً على سمن؛ وقيل: بل عنى أنها رعت كلاً عامين.
وقوله «قد غيَّضَتْ مُجْتَهَتَهَا» يعنى أنه أتعبها بالسير حتى ردها هزلاً بعد سمن؛ فكأنه
غيَّضَ بذلك ماءها.

١٠ ومعنى:

* بِحَيْثُ تُسْتَمْسِكُ الْأَرْوَاحُ بِالْحَجَرِ *

يعنى الفلاة؛ حيث لا يكون فيها الماء، فيقتسم الركب الماء الذى يكون معهم بالحجر الذى
يقال له القلة^(٣) فتمسك أرواقهم.

وقوله:

* رَدَّتْ عَوَارِي غِيْطَانِ الْفَلَا وَنَجَّتْ *

١٥

أى مارعت من كلاً هذه الأماكن وسمنت عنه كان كمارية عندها، فردته حيث جهدها
السير وأهزلها^(٤). والإيْبَالَةُ: الحزْمة من الحطب اليابس.

(١) الداعرية: إبل منسوبة إلى فعل يقال له: داعر، معروفة بالنجابة والكرم. وخوضها: سيرها
بالليل. والدثور: الرجل الثقيل البدن، الذى لا يبرح مكانه. الملفف، أى فى ثيابه.
(٢) العشر: شجر له صمغ، وفى حاشيتى الأصل، ف: «بى بجائل العشر ما ييس من هذا
الشجر، وأصل الحائل فى الإبل إذا لم تحمل».

(٣) القلة، بالفتح: حصاة القسم؛ توضع فى الإناء ليعرف قدر ما يسقى كل واحد منهم؛ وذلك عند
قلة الماء فى المفاوز. (٤) من نسخة بجاشيتى الأصل، ف: «هزلها».

وأخذ هذا المعنى بعينه أبو تمام فقال :

رَعَتْهُ الْفَيَافِي بِمَدٍّ مَا كَانَ حَقِيبَةً رَعَاهَا، وَمَاءُ الْمُزْنِ يَنْهَلُ سَاكِبَهُ^(١)

فَكَمْ جَزَعٌ وَإِدْجَبٌ ذِرْوَةَ غَارِبٍ وَمِنْ قَبْلِ كَانَتْ أَتَمَّكَتُهُ مَذَانِبُهُ^(٢)

فَأَمَّا قَوْلُهُ / :

فَمَا أَحْبَبْتُمُ الْأَعْدَاءَ عَنْكَ بَقِيَّةً عَلَيْكَ، وَلَكِنْ لَمْ يَرَوْا فِيكَ مَطْمَعًا

فَمَاخُذٌ مِنْ قَوْلِ الْأَوَّلِ^(٣) :

فَمَا بُقِيََا عَلَى تَرَكَتُمَانِي وَلَكِنْ خِفْتُمَا صَرَدَ النَّبَالَ^(٤)

وقريب منه قول الآخر :

لَمَمَرُّكَ مَا النَّاسُ أَتْنَوْا عَلَيْكَ وَلَا قَرَّظُوكَ وَلَا عَظَّمُوا

وَلَوْ أَنَّهُمْ وَجَدُوا مَطْمَعًا إِلَى أَنْ يَعْيِيوكَ مَا أَحْجَمُوا

فَأَنْتَ بِفَضْلِكَ أَلْجَأْتَهُمْ إِلَى أَنْ يُجَالُوا وَأَنْ يُعْظَمُوا

(١) ديوانه : ٤٤ من قصيدته التي يمدح فيها عبد الله بن طاهر ؛ وأولها :

أَهْنِ عَوَادِي يَوْسُفَ وَصَوَاحِبُهُ فَمَزْمًا فَقَدَمَا أَدْرَكَ السُّؤْلَ طَالِبُهُ

وفي الديوان : « وماء الروض ينهل ساكبه » . وبعده :

فَأُضْحِي الْفَلَاقُ دَجْدَجًا فِي بَرَى نَحْضُهُ وَكَانَ زَمَانًا قَبْلَ ذَلِكَ يَلَاغِبُهُ

النحس : اللحم المكتنز .

(٢) جب : قطع . أتمكته : أسمىته المذائب : مجارى الماء . ورواية الديوان :

* وَبِالْأَمْسِ كَانَتْ أَتَمَّكَتُهُ مَذَانِبُهُ *

(٣) هو اللعين المأقري ؛ وكان قد تعرض لجرير والفرزدق فقال :

سَأَقْضِي بَيْنَ كَلْبِ بَنِي كَلِيبٍ وَبَيْنَ الْقَيْنِ قَيْنِ بَنِي عَقَالٍ

بَأَنَّ الْكَلْبَ مَرْتَمَهُ وَخِيمٌ وَأَنَّ الْقَيْنَ يَمْعَلُ فِي سَفَالٍ

فلم يجبه أحد منهما ؛ فقال :

فَمَا بَقِيََا عَلَى تَرَكَتُمَانِي ، وَلَكِنْ خِفْتُمَا صَرَدَ النَّبَالَ

(٤) البقيا : الرحمة والشفقة . وصرد السمهم : نفذ أو نسل ؛ وهو من الأضداد ؛ والمعنى على الأول :

أنكما خفتما أن تنفذ سهمي فيكما ، أي هجائي ، وعلى الثاني : أنكما خفتما ألا تنفذ سهامكما ، فنجرتما عن الرد عليّ .

ومثله وقريب منه :

أما لو رأى فيك المدؤ نقيصة
نخب بتصر يف العيوب وأوضعا
ولكنه لما رآك مبراً
من العيب غطى رأسه وتقبعاً

ومثله :

قد طلب العاذل عيباً فما
أصاب عيباً فأنشنى عاذراً

وللبحتري في معنى قول مروان :

* فما أحجم الأعداء عنك بقية *
من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان ويصف لقاء الأسد :

غداة لقيت الليث والليث خادِرٌ
شهدت ، لقد أنصفتَهُ يومَ تنبري
فلَمْ أَرِ ضِرْغامينِ أصدقَ مِنْكُما
هزبرٌ مشى يبغي هزبراً ، وأغلبٌ
أدلَّ بشغبٍ ثمَّ هالتهُ صولةٌ
فأحجمَ لما لم يجدْ فيكَ مَطْعمًا
فلم يَغْنِهْ أن كَرَّ نَحْوَكِ مُقبِلاً ،
حملتَ عليه السَّيفَ لا عِزُّمُكِ أنْشنى ،
/ وكُنْتَ متى تَجْمَعُ يَمِينُكَ ^(٥) تَهْتِكُ الخُزْ

يُحدِّدُ ناباً للقاءِ ومُخلَباً ^(١)
لَهُ مُصْلِئاً عَضْباً من البِيضِ مِثْمَباً ^(٢)
عِراكاً إذا الهَيَّابَةُ النَّكْسُ كَذَباً ^(٣)
من القَوْمِ يُغشَى بِاسِلَ الوجهِ أَغْلَباً ^(٤)
رآكَ لها أَمْضَى جَنَاناً وأشغِباً
وأقْدَمَ لِمَا لم يَجِدْ عَنْكَ مَهَباً
ولم يُنْجِهْ أن حَادَ عَنْكَ مُنْكَباً
ولا يَدُكَ ارْتَدَّتْ ، ولا حَدُّهُ نَباً
أولا تُبْقِ لِلسَّيفِ مَضْرِباً

١٠

١٥

[١٩٨]

ومن صافي كلام مروان ورائقه ، ومما اجتمع له فيه جودة المعنى واللفظ واطراد النسيج

قوله :

(١) ديوانه ١ : ٥٦ . (٢) يقال : أصلت السيف إذا جردته . والعضب : السيف القاطم .

والقضيب : القطع أيضا . (٣) أي كذب الظن فيه ؛ ومن نسخة بحاشية الأصل : « نكبا » .

(٤) الأغلب : الأسد إذا كان غليظ الرقبة . (٥) جعل كلتا يديه يميناً .

بُنُو مَطَرٍ يَوْمَ اللَّقَاءِ كَانَتْهُمْ
 هُمْ يَمْنَمُونَ الْجَارَ حَتَّى كَانَمَا
 لَهُمِمْ فِي الْإِسْلَامِ سَادُوا وَلَمْ يَكُنْ
 هُمْ الْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا، وَإِنْ دُعُوا
 وَمَا يَسْتَطِيعُ الْفَاعِلُونَ فِعَالَهُمْ
 ثَلَاثٌ بِأَمْثَالِ الْجِبَالِ حُبَاهُمْ
 أَسُودُهَا فِي غِيلِ خَفَانَ أَشْبُلُ^(١)
 لِحَارِهِمْ بَيْنَ السَّمَائِينَ مَنَزِلُ
 كَأَوَّلِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَوَّلُ
 أَجَابُوا، وَإِنْ أَعْطُوا أَطَابُوا وَأَجَزَلُوا
 وَإِنْ أَحْسَنُوا فِي النَّائِبَاتِ وَأَجْمَلُوا
 وَأَحْلَاهُمْ مِنْهَا لَدَى الْوِزَنِ أَنْقَلُ
 ٥

ومن جيد قوله من قصيدة يمدح بها معنًا :

مَا مِنْ عَدُوٍّ يَرَى مَعْنًا بِسَاحَتِهِ
 يُلْفَى إِذَا الْخَيْلُ لَمْ تُقَدِّمْ فَوَارِسُهَا
 أَعْرَى يُحْسَبُ يَوْمَ الرَّوْعِ ذَا لِبْدٍ
 إِلَّا يَظُنُّ الْمَنَايَا تَسْبِقُ الْقَدَرَا
 كَاللَّيْثِ بَزْدَادُ إِقْدَامَا إِذَا زَجَرَا
 وَرَدَا وَيُحْسَبُ فَوْقَ الْمِنْبَرِ الْقَمَرَا^(٢)
 ١٠

وله من قصيدة يصف يوماً حارًّا :

وَيَوْمَ عَسُولِ الْآلِ حَامٍ كَانَمَا
 نَصَبْنَا لَهُ مَنَّا الْوُجُوهَ وَكُنْهَا
 لَظَى شَمْسِهِ مَشْبُوبُ نَارٍ تَلَهَّبُ^(٣)
 عَصَائِبُ أَسْمَالٍ بِهَا تَتْعَصَّبُ

ويشبه أن يكون أخذ ذلك من قول الشَّنْفَرَى :

وَيَوْمٍ مِنَ الشُّعْرَى يَدُوبُ لَمَابُهُ
 نَصَبْتُ لَهُ وَجْهِي وَلَكِنَّ دُونَهُ
 أَفَاعِيهِ فِي رَمَضَانِهِ تَتَمَلَّمُ^(٤)
 — وَلَا سِتْرَ — إِلَّا لَا تُحْمَى الْمَرْغَبُ^(٥)
 ١٥

(١) حماسة ابن الشجرى : ١٠٩ - ١١٠ ، وأبيات منها في لباب الآداب ٢٦٥ ، ٢٦٦

(٢) لبْد : جمع لبدة ؛ وهو ما اجتمع من الشعر على قفا الأسد فتلبد .

(٣) عسول : جار ؛ وأصله في الذئب والثعلب . وحام : حار . (٤) لامية العرب — بشرح الرخمىرى :

١٢٨ - ١٢٩ . الشعرى : من السكواكب الفيزية . (٥) الأنحى : نوع من البرود . والمرعبل :

ولمروان من أبيات يصف فيها حديقة وهبها له المهدي ، ويذكر نخلها وشجرها
أجاد فيها :

نواضِرَ غُلْبًا قَدْ تَدَانَتْ رِءُوسُهَا من النَّبْتِ حَتَّى مَا يَطِيرُ غُرَابُهَا^(١)
تَرَى الْبَاسِقَاتِ الْعُمَّ فِيهَا كَأَنَّهَا ظَمَائِنُ مَضْرُوبٍ عَلَيْهَا قِبَابُهَا
/ تَرَى بَابَهَا سَهْلًا لِكُلِّ مُدْفَعٍ إِذَا أَيْتَمْتُ نَخْلٌ فَأَغْلِقَ بَابُهَا^(٢) [١٩٨]
يَكُونُ لَنَا مَا نَجْتَنِي مِنْ ثَمَارِهَا رَسِيمًا إِذَا الْآفَاقُ قَلَّ سَحَابُهَا
حَظَائِرُ لَمْ يُخْلَطْ بِأَتَمَائِهَا الرَّبَا وَلَمْ يَكْ مِنْ أَخْذِ الدِّيَاتِ اكْتِسَابُهَا
وَلَكِنْ عَطَاءُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ مِدْحَةٍ جَزِيلٍ مِنَ الْمُسْتَخْلِفِينَ ثَوَابُهَا
وَمَنْ رَكُضِنَا بِالْخَيْلِ فِي كُلِّ غَارَةٍ حَلَالٌ بِأَرْضِ الْمُشْرِكِينَ نَهَابُهَا^(٣)
حَوَتْ غُنْمَهَا آبَاؤُنَا وَجَدُودُنَا بِصُمِّ الْعَوَالِي وَالْدِّمَاءِ خِضَابُهَا ١٠

أما قوله :

حَظَائِرُ لَمْ يُخْلَطْ بِأَتَمَائِهَا الرَّبَا وَلَمْ يَكْ مِنْ أَخْذِ الدِّيَاتِ اكْتِسَابُهَا
فَكَانَ ابْنُ الْمُعْتَزِ نَظَرَ إِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ :
لَنَا إِبِلٌ مَا وَقَرَّتْهَا دِمَاؤُنَا وَلَا ذَعَرَتْهَا فِي الصَّبَاحِ الصَّوَابِحُ^(٤)
وفي ضد هذا قول أبي تمام : ١٥

(٢) يريد أنه إذا أغلق الآخرون الأبواب على نخلهم ؛

(١) ف : « نواضر عليا » .

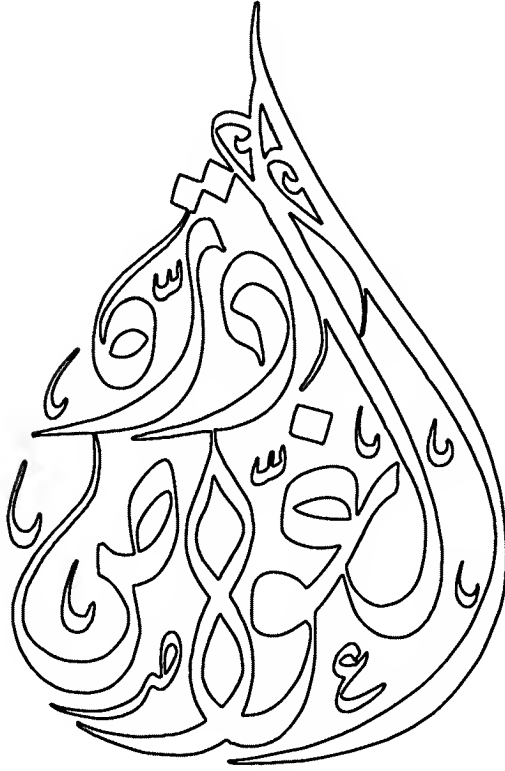
فإن نخل هذه الروضة لا يفتح بابه .

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « للخيول » . (٤) ديوانه : ٢٢ ؛ والرواية فيه :

* لَنَا وَفَرَّةٌ مَا وَقَرَّتْهَا دِمَاؤُنَا *

وفي نسخة ش : « الصوائح » ؛ والمعنى أنه لم تأخذ عوضاً عن دماننا .

كَثُرَتْ فِيهِمُ الْمَسَارِحُ إِلَّا أَنَّهَا مِنْ مَنَاكِحٍ وَدِيَاتٍ^(١)
ومثل الأول قول حسان يهجو قوماً من قریش :
وما لَكُمْ لامن طرادِ فوارِسٍ ولكن من التَّرْقِيحِ يآلَ مالِكِ^(٢)



(١) ف ، حاشية الأصل من نسخة : « المواشى » ؛ وفي حاشيتهما أيضاً : إذا سكنت الياء من « المواشى » ؛ كان البيت مشعث العروض ؛ والتشعيث في العروض غير مألوف وإنما هو في الضرب الأول من الخفيف . والتشعيث : أن تقطع وتد فاعلاتن فتحذف ألفه وتسكن لامه فتصير : « فاعلتن » ، فتصير : « مفولن » .
(٢) الترقيح : إصلاح المال .

مَجْلِسُ آخِرِ تَأْوِيلِ آيَةٍ

إن سأل سائل عن معنى قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص : ٢٨].
وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لِرِجْهِ اللَّهِ﴾ ؛ [الإنسان : ٩] .
وقوله تعالى : ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ؛ [الرحمن : ٢٧] .
وما شا كل ذلك من آى القرآن المتضمنة لذكر الوجه .

الجواب ، قلنا : الوجه فى اللغة العربية ينقسم إلى أقسام :

فالوجه المعروف المركب فيه العينان من كل حيوان .

والوجه أيضا أولُ الشىء وصدرة ؛ ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَقَالَتْ طَافَّةٌ مِّنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا بآخِرِهِ﴾ [آل عمران: ٧٢]
أى أول النهار ؛ ومنه قول الربيع بن زياد :

[١٩٩] / مَنْ كَانَ مُسْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ فَلَيَاتِ نِسْوَتَنَا بِوَجْهِ نَهَارٍ^(١)

أى غداة كل يوم . وقال قوم : وجه نهار : موضع .

والوجه القصد بالفعل ؛ من ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ ؛

[لقمان : ٢٢] ؛ معناه : من قصد بأمره وفعله إلى الله سبحانه ، وأراد بهما . وكذلك

قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ ، [النساء : ١٢٥] ؛ وقال

الفرزدق :

(١) الحماسة — بشرح المرزوق ٩٩٥ ؛ وفى نسخة بجاشيتى الأصل ، ف : « فليأت ساحتنا » ؛

وهى رواية الحماسة ؛ وهو مالك بن زهير العبسى قتل فى بنى فزارة ؛ فرتاه الربيع بأبيات من هذا البيت .

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي حِينَ شُدَّتْ رَكَابِي إِلَى آلِ مَرْوَانَ بُنَاةَ الْمَكَارِمِ
 أَيْ جَعَلْتُ قَصْدِي وَإِرَادَتِي لَهُمْ ، وَأَنْشَدَ الْفَرَاءُ :
 أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُخْصِيَهُ رَبَّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ
 أَيْ الْقَصْدُ ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ فِي الصَّلَاةِ : وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ؛ أَيْ
 قَصَدْتُ قَصْدِي بِصَلَاتِي وَعَمَلِي ؛ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ ﴾ ٥
 [الرُّومُ : ٤٣] .

وَالْوَجْهُ الْاِحْتِيَالُ لِلْأَمْرَيْنِ ؛ مِنْ قَوْلِهِمْ كَيْفَ الْوَجْهَ لِهَذَا الْأَمْرِ ؟ وَمَا الْوَجْهَ فِيهِ ؟ أَيْ
 مَا الْحِيلَةُ ؟

وَالْوَجْهَ الْمَذْهَبَ وَالْجَهَةَ وَالنَّاحِيَةَ ، قَالَ حَمْزَةُ بْنُ بَيْضِ الْخَنْفِيِّ :
 ١٠ أَيْ الْوُجُوهِ اِتَّجَعَتْ ؟ قُلْتُ لَهُمْ : لَا أَيْ وَجْهٍ إِلَّا إِلَى الْحَكَمِ^(١) !
 مَتَى يَقُولُ صَاحِبًا سُرَادِقِهِ : هَذَا ابْنُ بَيْضٍ بِالْبَابِ يَبْتَسِمُ

وَالْوَجْهَ : الْقَدْرَ وَالْمَنْزِلَةَ ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : لِفُلَانٍ وَجْهٌ عَرِيضٌ ، وَفُلَانٌ أَوْجَهُ مِنْ فُلَانٍ ،
 أَيْ أَعْظَمَ قَدْرًا وَجَاهًا ، وَيُقَالُ : أَوْجَهَهُ السُّلْطَانُ إِذَا جَعَلَ لَهُ جَاهًا ؛ قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ :
 وَنَادَمْتُ قَيْصَرَ فِي مُلْكِهِ فَأَوْجَهَنِي وَرَكَبْتُ الْبَرِيدَا^(٢)

وَالْوَجْهَ الرَّئِيسَ الْمَنْظُورَ إِلَيْهِ ؛ يُقَالُ : فُلَانٌ وَجَهُ الْقَوْمِ ، وَهُوَ وَجْهٌ عَشِيرَتُهُ ؛ وَوَجْهٌ ١٥
 الشَّيْءِ نَفْسُهُ وَذَاتُهُ ؛ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ جَنْدَلِ السَّعْدِيِّ :

(١) الْأَغَانِي ١٥ : ١٤ . (٢) اللِّسَانُ (وَجْهٌ) ؛ وَهُوَ مِنْ أَيْبَاتِ أَرْبَعَةٍ فِي الْأَغَانِي ١٩٦ : ٨

(طَبْعَةُ دَارِ الْكِتَابِ الْمِصْرِيَّةِ) ، وَفِي حَاشِيَةِ ف : « يُقَالُ : حَمَلَ فُلَانٌ عَلَى الْبَرِيدِ إِذَا هَيَّأَ لَهُ فِي كُلِّ مَرَحَلَةٍ
 مَرْكُوبًا لِيَرْكَبَهُ ؛ فَإِذَا وَصَلَ إِلَى الْمَرَحَلَةِ الْآخَرَى نَزَلَ عَنِ الْمَعْيِ وَرَكَبَ الْمَرْفَهَ ؛ وَهَكَذَا إِلَى أَنْ يَصَلَ إِلَى
 مَقْصَدِهِ » .

وَنَحْنُ حَفْزَنَا الْحَوْفَزَانَ بَطْمَنَةً فَأَفَلَتْ مِنْهَا وَجْهَهُ عَتِدَتْ نَهْدٌ^(١)

أراد أفلته ونجته ومنه قولهم : إنما أفعل ذلك لوجهك ، وبدل أيضا على أن الوجه يُعبر به/عن الذات قوله تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ . وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ . تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢ - ٢٥] ، وقوله تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ لِّسْمِيعٍ رَّاضِيَةٌ ﴾ [الغاشية : ٨ ، ٩] ، لأن جميع ما أضيف إلى الوجوه في ظاهر الآي ؛ من النظر ، والظن ، والرضا لا يصح إضافته في الحقيقة إليها وإنما يضاف إلى الجملة ، فمعنى قوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ ؛ أى كل شيء هالك إلا هو ؛ وكذلك قوله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ ؛ لما كان المراد بالوجه نفسه لم يقل « ذى الجلال » كما قال : ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ ؛ ١٠ [الرحمن : ٧٨] : لما كان اسمه غيره .

ويمكن في قوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ وجه آخر ؛ وقد روى عن بعض المتقدمين ، وهو أن يكون المراد بالوجه ما يقصد به إلى الله تعالى ويوجهه ؛ نحو القربة إليه أجلت عظمته ؛ فيقول : لا تُشرك بالله ، ولا تدع لها غيره ؛ فإن كل فعل يُتقرب به إلى غيره ، ويُقصد به سواه فهو هالك باطل ؛ وكيف يسوغ للمشبّهة أن يحملوا هذه الآية ١٥ والتي قبلها على الظاهر ! أوليس ذلك يوجب أنه تعالى يَفْنَى ويبقى وجهه ؛ وهذا كفر وجهل من قائله .

فأما قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ ﴾ ، [الإنسان : ٩] ، وقوله : ﴿ إِلَّا

(١) حفزنا : طعنا . ويقال فرس عتد ، بفتح التاء وكسرها ؛ إذا كان شديدا تام الخلق سريع الوبئة ؛ ليس فيه اضطراب ولا رخاوة والنهد من نعت الخيل : الجسم المشرف . والحوفزان هو الحارث بن شريك طعنه قيس بن عاصم يوم جدود ؛ والمشهور في ذلك قول سوار بن حبان المقرئ :

وَنَحْنُ حَفْزَنَا الْحَوْفَزَانَ بَطْمَنَةً سَقْتَهُ نَجِيمًا مِنْ دَمِ الْجُوفِ أَشْكَلا
وَجِرَانٍ قَسْرًا أُنْزِلَتْهُ رِمَاحُنَا فَعَالَجُ غُلًّا فِي ذِرَاعَيْهِ مُقْفَلًا

ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿٢٠﴾ [الليل : ٢٠] ، وقوله : ﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ [الروم : ٣٩] ؛ فمعلوم أن هذه الأفعال مفعولة له ؛ ومقصود بها ثوابه ، والقربة إليه ، والزلفة عنده .

فأما قوله تعالى : ﴿ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَجْهُ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ١١٥] ، فيحتمل أن يُراد به : فمَّ الله ، لا على معنى الحلول ، ولكن على معنى التدبير والعلم ، ويحتمل أن يراد به : فمَّ رضا الله وثوابه والقربة إليه .

ويحتمل أن يُراد بالوجه الجهة ، وتكون الإضافة بمعنى الملك والخلق والإنشاء والإحداث ؛ لأنه عز وجل قال : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَجْهُ اللَّهِ ﴾ ؛ أى أن الجهات كلها لله تعالى وتحت ملكه ؛ وهذا واضح بين بحمد الله .

أخبرني أبو الحسن عليّ بن محمد الكاتب قال حدثني محمد بن يحيى الصولى قال : أنحدنا^{١٠} مع المكتفى بالله في آخر سفرة سافر لها للصيد من الموضع المعروف بحنة إلى تكريت في حرّاقة^(١) فكانت تمنح كثيراً ، فيشتد فزع من معه من الجلساء / لذلك ؛ وكنت أشدهم [٢٠٠] و فزعا ، وكان في الحرّاقة سوى من الجلساء يحيى بن عليّ المنجم ، ومتوّج بن محمود بن مروان ، والقاسم المعروف بابن حبابة ، وكان يضحك لفزعنا ويقول : لقد قسم الله لكم حظا من الشجاعة جزيلا ، فقلت له : إن البحتريّ يقول شعرا يصف فيه مثلَ حالنا ، ويمدح به أحمد بن ١٥ دينار بن عبد الله - وقد غزا الروم في مراكب - أوله :

أَلَمْ تَرَ تَغْلِيَسَ الرَّبِيعَ الْمَبَكِّرَ وما حاك من وشى الرّياض المنشر^(٢)

(١) الحرّاقة : اسم لسفينة ؛ وأصل الحرّاقات : سفن كانت بالبصرة ، فيها مرامى نيران يرمى بها العدو .

(٢) ديوانه ٢ : ٢٢ - ٢٤ .

فقال له : أنشدني الموضع الذي ذكر هذا فيه منها - وكان جيّد العلم بالأشعار ، حافظاً
للاخبار - فأنشده :

غَدَوْتُ عَلَى الْمَيْمُونِ صُبْحًا ، وَإِنَّمَا غَدَا الْمَرْكَبُ الْمَيْمُونُ تَحْتَ الْمَظْفَرِ (١)
إِذَا زَمَجَرَ النُّوتَى فَوْقَ عِلَاتِهِ رَأَيْتَ خَطِيئًا فِي ذُوَابَةِ مِنْبَرِ (٢)
يَغْضُونَ دُونَ الْإِشْتِيَامِ عُيُونَهُمْ وَفَوْقَ السَّمَاطِ لِلْعَظِيمِ الْمُؤَمَّرِ (٣)
إِذَا مَا عَلَتْ فِيهِ الْجَنُوبُ اعْتَلَى لَهُ جَنَاحًا عُمَابٍ فِي السَّمَاءِ مُهَجَّرِ (٤)
إِذَا مَا انْكَفَأَ فِي هَبْوَةِ النَّارِ خِلْتَهُ تَلَفَّعَ فِي أَثْنَاءِ بُرْدٍ مُجَبَّرِ (٥)
وَحَوْلَكَ رَكَابُونَ لِلْهَوْلِ عَاقِرُوا كَوْدَسَ الرَّدَى ؛ مِنْ دَارِ عَيْنٍ وَخُسَّرِ (٦)
تَمِيلُ الْمَنِيَا حَيْثُ مَالَتْ أَكْفُهُمْ إِذَا أَصْلَتُوا حَدَّ الْحَدِيدِ الْمَذْكُرِ
إِذَا أَرَشَقُوا بِالنَّارِ لَمْ يَكُ رِشْقُهُمْ لِيُقْلِعَ إِلَّا عَنْ شِوَاءٍ مُقْتَرِ (٧)

(١) قبله :

وَلَمَّا تَوَلَّى الْبَحْرُ وَالْجُودُ صِنْوُهُ غَدَا الْبَحْرُ مِنْ أَغْلَاقِهِ بَيْنَ أَبْحُرِ
أَضَافَ إِلَى التَّدْيِيرِ فَضْلَ شَجَاعَةٍ وَلَا عَزَمَ إِلَّا لِلشَّجَاعِ الْمَدْبَرِ
إِذَا شَجَرُوهُ بِالرَّمَاكِ تَكَسَّرَتْ عَوَامِلُهَا فِي صَدْرِ لَيْثٍ غَضَنْفَرِ

والميمون ، يريد به السفينة ؛ وفي حاشية الأصل : « هو اسم حراقة » .

(٢) حاشية الأصل : « العلاة : الموضع الذي يركب فيه الملاح من السفينة » .

(٣) حاشية الأصل : « يقال وقفوا دونه سماء ؛ أى اصطفوا ؛ وفي شعره : « وتوف السماط » ؛ قال

س : « وهو الصواب ؛ وكذا قرأت على مشايخي . والإشتيام : رئيس المركب ؛ كلمة نبطية » .

(٤) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « إذا عصفت فيه » ؛ وهى رواية الديوان ومهجر ؛ أى

يخلق فى الهاجرة . (٥) فى حاشيتي الأصل ، ف : « انكفا الميمون ؛ أى تمائل ؛ وأراد بهوة

النار ما كانوا يرمون به من النار إلى المدر من الحراقة التى اسمها ميمون ، وشبهه مواد الحراقة وحرارة النار

وبياض الماء بلون البرد . وانكفا ، أصله الهمز يخفف ؛ يقال : انكفأت المرأة وتكفأت ؛ إذا تمايلت فى

سيرها » . وفى م : والديوان : « هبوة الماء » تصحيف . (٦) المعاقرة : الملازمة .

(٧) الرشق : الرمي من جهة واحدة . والشواء المقر : الذى يصعد منه القطار ؛ وانقار عند العرب :

ريح الشواء إذا ذهب على الجمر .

صَدُمْتَ بِهِمْ صُحْبَ الْعَمَانِينَ دُونَهُمْ
يَسُوقُونَ أَسْطُولًا كَأَنَّ سَفِينَهُ
كَأَنَّ ضَجِيجَ الْبَحْرِ بَيْنَ رِمَاحِهِمْ
تُقَارِبُ مَنْ زَحْفِهِمْ فَكَأَنَّمَا
فَارِمَتْ حَتَّى أَجَلَتْ الْحَرْبُ عَنْ طُلَى
عَلَى حِينَ لَا تَنْقُحُ تَطَوُّحُهُ الصَّبَا
وَكُنْتَ ابْنُ كِسْرَى قَبْلَ ذَلِكَ وَبَعْدَهُ
/ جَدَحْتَ لَهُ الْمَوْتَ الدُّعَا فَعَا فُهُ
مَضَى وَهُوَ مَوْلَى الرِّيحِ يَشْكُرُ فُضَاهَا

ضِرَابٌ كَمَا يُقَادِرُ اللَّطَى الْمَتَسَمِّرُ
سَحَابٌ صَيْفٌ مِنْ جَهَامٍ وَمُمِطِرٌ (١)
إِذَا اخْتَلَفَتْ تَرْجِيْعُ عَوْدٍ مُجَرَّرٌ جَرٍ (٢)
تَوَلَّى مِنْ أَعْنَاقٍ وَخَشٍ مُنْفَرٍ
مُقَصَّصَةٌ فِيهِمْ ، وَهَامٍ مُطِيرٍ (٣)
وَلَا أَرْضَ تَلْقَى لِلصَّرِيحِ الْمُقْطَرِ (٤)
مَلِيًّا بَأَنَّ تُوْهِى صَفَاةَ ابْنِ قَيْصَرٍ
وَطَارَ عَلَى أَلْوَا حِ شَطْبٍ مُسَمَّرٍ (٥)
عَلَيْهِ ، وَمَنْ يُؤَلَى الصَّنِيعَةَ يُشْكِرُ

٥ [٢٠٠] ط

١٠ قال : فاستجد المكنى قوله :

* عَلَى حِينَ لَا تَنْقُحُ تَطَوُّحُهُ الصَّبَا *

فقال له يحيى بن علي : أنشدني ابن الرومي شعرا له في هذا المعنى :

وَلَمْ أَنْعَلَمْ قَطُّ مَنْ ذِي سِبَاحَةٍ
وَلَمْ لَا؟ وَلَوْ أُلْقِيَتْ فِيهَا وَصَخْرَةٌ
وَأَيْسَرُ إِشْفَاقِي مِنَ الْمَاءِ أَنْنِي
وَأَخْشَى الرَّدَى مِنْهُ عَلَى كُلِّ شَارِبٍ

سَوَى الْغَوْصِ ، وَالْمَضْعُوفُ غَيْرُ مُغَالِبٍ (٦)
لَوَافَيْتُ مِنْهَا الْقَعْرَ أَوَّلَ رَاسِبٍ
أُمُرٌ بِهِ فِي الْكُوزِ مَرٌّ الْمَجَانِبِ ١٥
فَكَيْفَ بِأَمْنِيهِ عَلَى كُلِّ رَاكِبٍ !

(١) الأسطول : جماعات السفن . وفي حاشيتي الأصل ، ف : « قال ش : ذكر لي أستاذي عند قراءة شعر البحرى عليه بأصبهان أن الأسطول لغة مصرية ؛ وهى عندهم عبارة عن جماعة العسكر الذين يتوجهون إلى البحر بجوئهم ؛ فهم مجموع رماحيهم وحرقاتهم وشباراتهم وتجارهم أسطول ؛ ويشتكى أهل مصر فيقولون : ماجاءنا العام أسطول » . وفي حاشية الأصل أيضا : « الشبارات : نوع من المراكب البحرية » .

(٢) العود : المسن من الإبل . (٣) الطلى : جمع طلية ؛ وهى صفحة العنق ؛ ومقصصة :

مقطعة . ورواية الديوان : « طلى مقطعة » . (٤) يقال : طعنه فقطره ؛ أى ألقاه على قطره ، أى

جانبه ، فقطر . (٥) جدحت : خلطت ؛ والشطب في الأصل : الفرس الطويل ؛ وجعل المركب

شطبا على التشبيه للمركب ونجا . (٦) ديوانه الورقة ٢٣ ؛ مع اختلاف في ترتيب الأبيات .

فقلت له : إنما أخذ ابن الرومي بيته الثالث من قول أبي نواس ؛ فقال المكتفي بالله : فما قال ؟ قلت : حدثني علي بن سراج المصري قال حدثني أبو وائل اللخمي قال حدثني إبراهيم بن الحبيب قال : وقف أبو نواس بمصر على النيل ؛ فرأى رجلاً قد أخذه التماسح فقال :

أَضْمَرْتُ لِلنَّيْلِ هِجْرَانًا وَمَقْلِبَةً مَذْقِيلَ لِي : إِنَّمَا التَّمَسَّحُ فِي النَّيْلِ
فَمَنْ رَأَى النَّيْلَ رَأَى الْعَيْنَ مِنْ كَثْبٍ فَمَا أَرَى النَّيْلَ إِلَّا فِي الْبَوَاقِلِ
قال الصولي : والبواقل سُفْنُ صغار .

ثم أجرى المكتفي بعد ذلك ذكر الشيب ، فقال : العرب تقول أظلم من شيب ، وقد شُيِّبَتْ ، وظلمني الشيب ؛ وشبت يا صولي ، فقلت : جواب عبدك في هذا جوابُ معن بن زائدة الشيباني لجدك المنصور وقد قال له : كَبُرْتَ يامعن ، فقال : في طاعتك يأمر المؤمنين ، قال : وَإِنَّكَ لَتَتَجَادَدُ ، قال : على أعدائك ، قال : وفيك بحمد الله بقية ، قال : لُحْدُمْتُكَ . فنزع المكتفي عمامته ، فإذا شيبتان في مقدم رأسه ، فقال : لقد غمّنى طلوع هاتين الشيبتين ، فقلت له : إنما يعيش الناس في الشيب ؛ فأما السواد فلا يصحب الناس خالصاً أكثر من [٢٠١] أربعين سنة إلى الخمسين / ، وقد يعاش في البياض الذي لاسواد فيه ثمانون سنة . وأنشده يحيى ١٥ ابن علي في معنى طول العمر مع الشيب قول امرئ القيس :

أَلَا إِنَّ بَعْدَ الْعُدْمِ لِلْمَرْءِ قِنُوءَةً وَبَعْدَ الْمَشَيْبِ طُولَ عُمْرٍ وَمَلَبَسًا^(١)
وأنشدته أنا أيضاً أبياتاً أنشدها إسحاق بن إبراهيم الموصلي لبعض القديسين :
لَمْ يَنْتَقِصْ مِنْي الْمَشَيْبُ قُلَامَةً الْآنَ حِينَ بَدَأَ أَلْبُ وَأُكَيْسُ
وَالشَّيْبُ إِنْ يَظْهَرُ فَإِنَّ وَرَاءَهُ عُمْرًا يَكُونُ خِلَالَهُ مُتَنَفِّسُ

٢٠ قال سيدنا أدام الله تمكينه : أما قول البحترى : « مضى وهو مولى الريح » فقد كرر معناه في قوله من قصيدة يمدح بها أبا سعيد الثغري :

أَشْلَى عَلَى مَنْوِيلَ أَطْرَافَ الْقَنَا فَنَجَا عَتِيقَ عَتِيقَةٍ جَرْدَاءِ^(١)
وَلَوْ أَنَّهُ أَبْطَأَ لَهَنَ هُمِيَّةً لَصَدَرْنَ عَنْهُ ، وَهَنَ غَيْرُ ظَاهِرٍ
فَلَنْ تَبَقَّاهُ الْقَضَاءُ لَوْ قَتِهَ فَاقْدُ عَمَمْتَ جُنُودَهُ بِفَنَاءِ

وأظنه أخذ هذا المعنى من قول أبي تمام في قصيدة يمدح بها المعتصم ، ويذكر فتح
الخرمية^(٢).

لَوْلَا الظَّلَامُ وَقَلَّةُ عِلْفُوا بِهَا بَاتَتْ رِقَابُهُمْ بِغَيْرِ قِلَالٍ^(٣)
فَلَيْشْكُرُوا جُنْحَ الظَّلَامِ وَدَرُوزًا فَهُمْ لِدَرُوزَ وَالظَّلَامِ مَوَالِي^(٤)

وقد أخطأ الصولي في تفسير بيت أبي نواس بأن البواقيل سُفْنُ صغار ؛ لأن البواقيل
جمع بوقال ؛ وهو آلة على هيئة الكوز معروفة ؛ تعمل من الزجاج وغيره ؛ وهذا مثل قول ابن
الرومي :

* أَمْرٌ بِهِ فِي الْكُوزِ مَرَّ الْمَجَانِبِ *

وإنما أراد أنني لا أمر بماء النيل إلا إذا أردت شربه في كوز أو بوقال .

وأظن الصولي استمر عليه الوهم من جهة قوله : « فإرى النيل » وصرف ذلك إلى
أنه أراد النيل على الحقيقة ؛ وإنما أراد ماء النيل ؛ وما علمت أن السفن الصغار يقال لها بواقيل

إلا من قول الصولي ، هذا ولو كان ما ذكره صحيحاً من أن ذلك اسم لصغار السفن لكان ١٥
بيت أبي نواس بما ذكرناه أشبه / وأليق وأدخل في معنى الشعر ؛ وكيف تدخل الشبهة في [٢٠١]
ذلك مع قوله :

(١) ديوانه ١ : ٥ ؛ أشلى : أغرى . ومنوِيل : اسم فلعة والعتيقة هنا : الفرس .

(٢) الخرمية : فرق تنسب إلى بابك الخرمي ؛ خرج من كورة بفارس تدعى البذ ، وأثار فتنة على الخليفة
سنة ٢١٠ ؛ وامتدت زمن الأمون والمعتصم ؛ إلى أن قتل بعد حوادث دامية في أزمان متطاولة ؛ على يد
الأفشين قائد المعتصم سنة ٢٢٣ . (٣) ديوانه : ٢٦٢ . (٤) دروز : موضع في نهر
أذربيجان ؛ كذا ذكره ياقوت وأورد بيتي أبي تمام .

* فمن رأى النيل رأى العين من كُتَبِ *

ومن رأى النيل فى السفن فقد رآه من كُتَبِ، ومن رأى ماءه فى الآنية على بُعد لا يكون رائيًا له من كُتَبِ .

فأمامدح الشيب وتفضيله على الشباب فقد قال فيه الناس فأكثرُوا؛ فما تقدم من ذلك

٥ قول رُؤْبَة بن المَعْجَاج ؛ ويقال إن رُؤْبَة لم يقل من القصيدة إلا هذين البيتين :

أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمُعَيَّرُ بِالشَّيْءِ بـ أَقْلَنَ بِالشَّبَابِ اخْتِخَارًا
قَدْ لَبَسْتُ الشَّبَابَ غَضًّا جَدِيدًا فوجدْتُ الشَّبَابَ ثَوْبًا مُعَارًا

والعلی بن جبلة :

جفا طرَبَ النَّمِيانِ وهوَ طَرُوبُ وأَعْقَبَهُ قُرْبَ الشَّبَابِ مَشِيبُ
تَجَافَتْ عُيُونُ الْبَيْضِ عَنْهُ ، وَرُبَّمَا مَدَدْنَ إِلَيْهِ الْوَصْلَ وَهُوَ حَبِيبُ
لَعَمْرِي لَنِعْمَ الصَّاحِبُ الشَّيْبُ وَأَعْظَا وَإِنْ كَانَ مِنْهُ لِلْعُيُونِ نُكُوبُ
خَلِيطُ نَهْيٍ ، مُتَنَابُ حِلْمٍ ؛ وَإِنَّهُ عَلَى ذَاكَ مَكْرُوهُ الْخِلَاطِ مُرِيبُ

١٠

ولآخر :

وَتَنَكَّرَتْ شَيْبِي فَقُلْتُ لَهَا : لَيْسَ الشَّيْبُ بِنَاقِصٍ عُمرِي
سَيَّانٍ شَيْبِي وَالشَّبَابُ إِذَا مَا كُنْتُ مِنْ عُمرِي عَلَى قَدَرٍ

١٥

ولآخر :

إِنْ أَكُنْ قَدْرُزْتُ أَسْوَدَ كَالْفَحْ مِ وَأُعْقِبْتُ مِثْلَ لَوْنِ الثُّغَامَةِ^(١)
فَلَمَّذْتُ أَسْعِفُ الْكَرِيمَ وَأُحِبُّ أَهْلَهُ بِالْفَدَى وَأَبَى الظَّلَامَةَ

(١) الثُّغَامَةُ : نبت أبيض يشبه به الشيب .

غَيْرَ أَنَّ الشَّبَابَ كَانَ رِداً خَانَنَا فَيَوْهُ كَفَىءُ الْغَمَامَةُ
وَلَا خَيْرَ :

إِنَّ الْمَشِيبَ رِداً الْجِلْمِ وَالْأَدَبِ
تَعَجَّبْتُ إِذْ رَأْتُ شَيْبِي فَقُلْتُ لَهَا :
كَمَا الشَّبَابُ رِداً اللَّهُمَّ وَاللَّعِبِ
لَا تَعْجِبْنِي ، مَنْ يَطْلُ مُعْمَرٌ بِهِ يَسِبُ (١)

٥ ، لابن الجهم :

حَسَرْتُ عَنِّي الْقَنَاعَ ظُلُومُ
/ أَنْكَرْتُ مَا رَأْتُ بِرَأْسِي فَقَالَتْ :
وَتَوَلَّتْ وَدَمَعُهَا مَسْجَرُمُ (٢)
أَمَشِيبُ أُمُّ أُولَؤْا مَنْظُومُ !
قُلْتُ : شَيْبٌ وَلَيْسَ عَيْباً ، فَأَنْتُ
أَنْتَ يَسْتَشِيرُهَا الْمَهْمُومُ
شَدَّ مَا أَنْكَرْتُ تَصْرُمَ عَهْدِ
لَمْ يَدُمَ لِي ، وَأَيُّ شَيْءٍ يَدُومُ !

١٠ وَلَأَبِي هِفَانٍ :

تَعَجَّبْتُ دُرٌّ مِنْ شَيْبِي فَقُلْتُ لَهَا :
وَزَادَهَا عَجَباً لَمَّا رَأْتُ سَمَلِي
لَا تَعْجِبْنِي فَطُلُوعُ الشَّيْبِ فِي الصَّدَفِ (٣)
وَمَا دَرْتُ دُرٌّ أَنَّ الدَّرَّ فِي الصَّدَفِ (٤)

وقد أحسن أبو تمام غاية الإحسان في قوله :

أُبَدَّتْ أَسَى أَنْ رَأَتْنِي (٥) مُخْطِيسَ الْقَصَبِ (٦) وَآلَ مَا كَانَ مِنْ عُجْبٍ إِلَى عَجَبٍ (٧)

(١) د ، ف ، حاشية الأصل من نسخة : « تعجبت. أن رأيت شيبى » ، (٢) ديوانه : ١٧٦-١٧٧ ؛
وظلوم : اسم امرأة . (٣) حماسة ابن الشجرى : ٢٤٥ ؛ والصدف : الظلمات .
(٤) السمل ، محرّكة : الثوب الخلق البالى ، ومن نسخة بحاشية الأصل : « أن رحت في سمل » ؛ وهى
رواية الحماسة . (٥) ديوانه : ١٥ ، والشهاب ١٠ ، وفي حاشية الأصل (من نسخة) : « إذ رأيتنى » ،
وهى رواية الشهاب والديوان . (٦) يقال : أخاس النبات ؛ إذا جفأ أعلاه وابيض ، وفي حاشية
الأصل : « الفصب : الذوائب المفصبة ؛ الواحدة قصبه وتجمع قصائب ، يقال : قصب ، فيسكن » . وبخط
الشجرى : « الفصب » ، بضم ففتح . (٧) حاشية الأصل : « أى كانت تعجب بنى فصارت تعجب
من شيبى » . وفي الشهاب : « أم ، قوله : « من عجب إلى عجب » فن البلاغة الحسنة والاختصار السديد البارع » .

سِتَّ وَعِشْرُونَ تَدْعُونِي فَاتَّبِعْهُمَا إِلَى الْمَشِيبِ وَلَمْ تَظْلِمِ وَلَمْ تَحْبِ (١)
فَلَا يُؤَرْفَكَ إِمَاعُ الْقَتِيرِ بِهِ فَإِنَّ ذَاكَ ابْتِسَامُ الرَّأْيِ وَالْأَدَبِ (٢)

وللبحتري :

عَيَّرَتْنِي بِالشَّيْبِ وَهِيَ رَمَتْهُ فِي عِذَارِي بِالصَّدِّ وَالْإِجْتِنَابِ (٣)
لَا تُرِيهِ عَارًا فَاهُوَ بِالشَّيْبِ بِلَكْنَهُ جَلَاءُ الشَّبَابِ (٤)
وَبِيَاضُ الْبَازِيٍّ أَصْدَقُ حُسْنًا إِنَّ تَأَمَّاتٍ مِنْ سَوَادِ الْعُرَابِ

وله :

هَا هُوَ الشَّيْبُ لَا يَمَّا فَأَفِيقِي وَاتَرُكِهَ إِنْ كَانَ غَيْرَ مُفِيقٍ (٥)
فَلَقَدْ كَفَّ مِنْ عَنَاءِ الْمَعْنَى (٦) وَتَلَفَنِي مِنْ اشْتِيَاقِ الْمَشُوقِ

(١) لم تحب : لم تأثم ؛ والحبوب : الإثم ، وبعده في الديوان :

يَوْمِي مِنَ الدَّهْرِ مِثْلُ الدَّهْرِ مُشْتَهَرٌ عَزَمًا وَحَزَمًا وَسَاعِي مِنْهُ كَالْحُجُبِ
فَأَصْغِرِي أَنَّ شَيْبًا لَاحَ بِي حَدَثًا وَأَكْبِرِي أَنَّنِي فِي الْمَهْدِ لَمْ أَشِبْ

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « فلا يفرنك » . والقنبر : الشيب ، أو أوله . وفي الشهاب

للمرتضى : « وقوله :

* فَإِنَّ ذَاكَ ابْتِسَامُ الرَّأْيِ وَالْأَدَبِ *

يريد أن الرأي والأدب والحام إنما يجتمع ويتكامل في أوان الكبر والشيب دون زمان الشباب ، وقد
تصف الشمرأ أبدا الشيب بأنه تبسم في الشعر لبياضه ؛ إلا أن هذه من أبي تمام تسلية عن الشيب وتنبية على منفعة » .

(٣) ديوانه ١ : ٧ ، والشهاب : ٢٥ . وفي حاشية الأصل :

* عَيَّرَتْنِي الْمَشِيبَ وَهِيَ بَدَتْهُ *

وهي رواية الديوان ؛ وبدته ، مخفف من بدأته بالهمز . وفي حاشية الأصل أيضا (من نسخة) :
« جنته » . (٤) لآثره : لا تظنه . وفي حاشية الأصل : « جعل سواد الشباب وسخا وصدأ على الشخص
والشيب جلاء له » .

(٥) ديوانه ٢ : ١٢٥ ، والشهاب : ٢٥ ، وحاسة ابن الشجرى : ٢٤٣ - ٢٤٤ ، وفي حاشيتي

الأصل ، ف : « يقول : أيتها العاذلة ، أفبقي من عذله وملامته ، فقد أقبل الشيب يلومه ويعذله ، ولا حاجة إلى
عذلك وإن لم يفق فآثر كيه » . (٦) د ، والحاسة والشهاب . « عن عناء المعنى » .

عَذَلْتَنَّا فِي عَشْقِهَا أَمْ عَمْرٍو هَلْ سَمِعْتُمْ بِالْعَاذِلِ الْمَعْشُوقِ^(١)
وَرَأَتْ لِمَةً أَلَمَ بِهَا الشَّيْبُ فُرِيعَتٌ مِنْ ظِلْمَةٍ فِي شُرُوقِ
وَلَعَمْرِي لَوْلَا الْأَفَاحِي لَا بَصَرَ تِ أَنْيَقَ الرِّيَاضِ غَيْرَ أَنْيَقِ
وَسَوَادُ الْعِيُونِ لَوْلَمْ يَكْمَلْ بَيَاضٌ مَا كَانَ بِالْمَوْمُوقِ^(٢)
/ وَمِزَاجُ الصَّهْبَاءِ بِالْمَاءِ أَمَلِي^(٣) بِصَبُوحٍ مُسْتَحْسَنٍ وَغَبُوقِ
أَيُّ لَيْلٍ يَبْهَى بَغِيرِ نَجُومِ أَوْ سَمَاءٌ تَنْدَى بَغِيرِ بَرُوقِ!

[٢٠٢
ط

ويشبهه أن يكون أخذ قوله :

* أَيُّ لَيْلٍ يَبْهَى بَغِيرِ نَجُومِ *

من قول الشاعر :

أَشْيَبُ وَلَمْ أَقْضِ الشَّبَابَ حُقُوقَهُ وَلَمْ يَمُضِ مِنْ عَهْدِ الشَّبَابِ قَدِيمُ^(٤)
رَأَتْ وَضَحًا فِي مَفْرِقِ الرَّأْسِ رَاعِيَا وَشَتَّانَ مُبَيَّضٌ بِهِ وَبِهِمُ
تَفَارِيقُ شَيْبٍ فِي الشَّبَابِ لَوَامِعُ وَمَا حُسْنُ لَيْلٍ لَيْسَ فِيهِ نَجُومُ!

ولحمود الوراق في مثل هذا المعنى وهو قوله :

مَا الدُّرُّ مَنْظُومًا بِأَحْسَنَ مِنْ شَيْبٍ يُجَلِّلُ هَامَةَ الْكَهْلِ
وَكَأَنَّهُ فِيهَا النُّجُومُ إِذَا جَدَّ الْمَسِيرُ بِهَا عَلَى مَهْلِ
لَا تَبْكِينَ عَلَى الشَّبَابِ إِذَا يَبْكِي الْجَهْلُ عَلَيْهِ لِلْجَهْلِ
وَاشْكُرْ لَشَيْبِكَ حُسْنَ صُحْبَتِهِ فَلَقَدْ كَسَاكَ جَلَالَةُ الْفَضْلِ

(١) حاشية الأصل : « إنما عذلتها لأنه شاخ والعشق مع الشيخوخة لا يستحسن » .

(٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « بالرموق » ؛ (٣) في حاشيتي الأصل : « أملى ،

مخفف من أملا ؛ أى أوثق ؛ يقال : ماؤ فلان بذلك ؛ إذا كان ثقة به ، وفلان أملا بكذا من فلان » .

(٤) البيت الأول والثالث في حاشية ابن الشجري : ٢٤٤ ، من غير نسبة .

ولآخر في مدح الشيب :

لا يَرُعَاكَ الشَّيْبُ يَا بَنَّةَ عَبْدِ اللَّهِ
إِنَّمَا تَحْسُنُ الرِّيَاضُ إِذَا مَا
لَهُ فَالشَّيْبُ حِلْيَةٌ وَوَقَارٌ^(١)
ضَحِكْتُ فِي خِلَالِهَا الْأَنْوَارُ

ولى في هذا المعنى من قصيدة :

جَزَعْتُ لَوَخُطَاتِ الشَّيْبِ وَإِنَّمَا
وَالشَّيْبُ إِن فَكَرْتُ فِيهِ مَوْرِدٌ
يَبْيِضُ بَعْدَ سَوَادِهِ الشَّعْرُ الَّذِي
بَلَغَ الشَّبَابُ مَدَى الْكَمَالِ فَنَوَّرَا
لَا بُدَّ يُورِدُهُ الْفَتَى إِنْ عُمِّرَا
إِنْ لَمْ يَزُرْهُ الشَّيْبُ وَارَاهُ النَّثَرَى

ومن عدل بين الشيب والشباب ، ومدح كل واحد منهما طريق بن إسماعيل الثقفي فقال :

والشَّيْبُ لِلْحُكَمَاءِ مِنْ سَفَهِ الصَّبَا
/ وَالشَّيْبُ غَايَةٌ مِنْ تَأَخَّرِ حَيَاتِهِ
إِنَّ الشَّبَابَ لَهُ لَذَاذَةٌ جِدَّةٌ
لَا يَبْعُدُ اللَّهُ الشَّبَابَ فَمُرْحَبَا
بَدَلُ يَكُونُ لَدَى الْفَضِيلَةِ مَقْنَعُ
لَا يَسْتَطِيعُ دِفَاعُهُ مِنْ يَجْزَعُ
وَالشَّيْبُ مِنْهُ فِي الْمَغِيبَةِ أَنْفَعُ
بِالشَّيْبِ حِينَ أَوَى إِلَيْهِ الرُّجْعُ

[٢٠٣]

ومثله لآخر :

وَكَانَ الشَّبَابُ الْغَضُّ لِي فِيهِ لَذَّةٌ
فَسَقِيًا وَرَعِيًا لِلشَّبَابِ الَّذِي مَضَى
فَوْقَرَنِي عَنْهُ الشَّيْبُ وَأَدْبَا
وَأَهْلًا وَسَهْلًا بِالشَّيْبِ وَمَرْحَبَا

٥

(١) حماسة ابن الشجري : ونسبهما إلى علي بن الجهم .

مَجْلِسُ خَر تَأْوِيلِ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٦] فقال : كيف ضَمِنَ الإجابة وتكفل بها ، وقد نرى مَنْ يدعو فلا يجاب ؟ .

الجواب ، قلنا في ذلك وجوه .

أولها أن يكون المراد بقوله تعالى : ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي ﴾ أى أسمع دعوته ؛ ولهذا يقال للرجل : دعوتُ مَنْ لا يجيب أى دعوتُ من لا يسمع . وقد يكون أَيْضاً يسمع بمعنى يجيب ؛ كما كان يجيب بمعنى يسمع ؛ يقال : سمع الله لمن حمده ؛ يراد به : أجاب الله مَنْ حمده وأنشد ابن الأعرابي :

دَعَوْتُ اللَّهَ حَتَّى خِفْتُ الْآلَ يَكُونُ اللَّهُ يَسْمَعُ مَا أَقُولُ

١٠

أراد يجيب ما أقول .

وثانيها أنه تعالى لم يُرِدْ بقوله : ﴿ قَرِيبٌ ﴾ من قُرْبِ المسافة ؛ بل أراد أنى قريب بإجابتي ومعاونتي ونعمتي ، أو بعلمى بما يأتى العبد ويذَر ، وما يُسِرَّ وَيَجْهَر ، تشبيهاً بقرب المسافة ؛ لأن مَنْ قرب من غيره عرف أحواله ولم تخف عليه ؛ ويكون قوله : ﴿ أُجِيبُ ﴾ على هذا تأكيذاً للقرب ؛ فكأنه أراد : إني قريب قريباً شديداً ، وإني بحيث لا يخفى على أحوال العباد ؛ كما يتول القائل إذا وصف نفسه بالقرب من صاحبه والعلم بحاله : أنا بحيث أسمع كلامك ، وأجيب نداءك ، وما جرى هذا المجرى . وقد روى أن قوماً سألوا الرسول صلى الله عليه وآله فقالوا / له : أربنا قريب فنناجيه ، أم بعيد فنناديه ؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية . [٢٠٣] ط

وثالثها أن يكون معنى هذه الآية أنى أجيب دعوة الداعى إذا دعانى على الوجه الصحيح، وبالشرط الذى يجب أن يقارن الدعاء ؛ وهو أن يدعو باشتراط المصلحة ؛ ولا يطلب وقوع مايدعوه به على كل حال ؛ ومن دعا بهذا الشرط فهو مجاب على كل حال ؛ لأنه إن كان صلاحاً فعَل مادعا به ؛ وإن لم يكن صلاحاً لم يفعل لفقد شرط دعائه ، فهو أيضاً مجاب إلى دعائه .

ورابعها أن يكون معنى ﴿ دَعَانِي ﴾ أى عبدنى ، وتكون الإجابة هى الثواب والجزاء على ذلك ؛ فكأنه قال : إبنى أُنِيبُ العباد على دعائهم لى ؛ وهذا مما لا اختصاص فيه .

وخامسها ماقاله قومٌ من أن معنى الآية أن العبد إذا سأل الله تعالى شيئاً فى إعطائه صلاحٌ فَعَله به وأجابه إليه ، وإن لم يكن فى إعطائه إياه فى الدنيا صلاحٌ وخيرة لم يُعطه ذلك ١٠ فى الدنيا ، وأعطاه إياه فى الآخرة ، فهو مجيب لدعائه على كل حال .

وسادسها أنه إذا دعاه العبد لم يَخْلُ من أحد أمرين : إمّا أن يُجاب دعائوه ، وإمّا أن يخارَ له بصرفه عما سأل ودعا ، فحسُن اختيار الله له يقوم مقام الإجابة ، فكأنه يجاب على كل حال .

وهذا الجواب يَضْمَعُ لأنَّ العبد ربما سأل مافيه صلاحٌ ومنفعة له فى الدنيا ، وإن كان فيه فساد فى الدين لغيره فلا يَمْطَى ذلك ، لأمر يرجع إليه ، لكن لما فيه^(١) من فساد غيره ، فكيف يكون مجاباً مع المنع الذى^(٢) لا يرجع إليه منه شيء من الصلاح ! اللهم إلّا أن يقال : إنه دعا؛ مشروط بأن يكون صلاحاً ، ولا يكون فساداً ، وهذا مما تقدم .

ومعنى قوله تعالى ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي ﴾ ، أى فليجيبونى وليصدّقوا رسلى ، قال الشاعر :
وَدَاعٍ دَعَا يَأْمَنُ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى فلمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبٌ^(٣)

(١-١) ساقط من الأصل ، وتكملته من د ، ف . (٢) مطاع قصيدة كعب بن سعد الغنوى ؛
وهى فى أمالى الغالى ٢ : ١٤٨ - ١٥١ .

أى لم يجبه .

قال سيدنا أدام الله علوه : وإذ كنا قد ذكرنا فى المجالس المتقدمة لهذا المجلس طرّفاً من الشعر فى تفضيل الشيب وتقديمه ، والتعزّى عنه ، والتسلىّ عن نزوله ؛ فنحن متبعوه بطرف مما قيل فى ذمّه والتألم به والجزع منه .

فمن ذلك قول أبى حية النيرى :

[٢٠٤] فليت الشيبَ كان به الرّحيل^(١) / ترَحَّلَ بالشَّبابِ الشَّيبُ عَنَّا
وَقَدْ كَانَ الشَّبابُ لَنَا خَلِيلًا فقد قَضَى مآرِبَهُ الْخَلِيلُ
لَعَمْرُؤِ أَبَى الشَّبابِ لَقَدْ تَوَلَّى حميداً ما يُرَادُّ به بَدِيلُ^(٢)
إِذِ الْأَيَّامُ مُتَّيِلَةٌ عَلَيْنَا وَظِلُّ أَرَاكَةِ الدُّنْيَا ظِلِيلُ

وقال الفرزدق :

أَرَى الدَّهْرَ ، أَيَّامُ الشَّيْبِ أَمْرُهُ علينا ، وأيام الشبابِ أطايبه^(٣)
وَفِي الشَّيْبِ لَذَاتٌ وَقُرَّةٌ أَعْيُنٍ ومن قَبْلِهِ عَيْشٌ تَعَلَّلَ جَادِبُهُ^(٤)
إِذَا نَازَلَ الشَّيْبُ الشَّبابَ فَأُصْلَتَا بِسَيِّفَيْهِمَا ، فَالشَّيْبُ لَا بَدَّ غَالِبُهُ
فِيَا خَيْرَ مَهْزُومٍ ، وَيَاشَرَ هَازِمٍ إِذَا الشَّيْبُ وَافَتْ لِلشَّبابِ كِتَابُهُ
وَلَيْسَ شَبَابٌ بِمَدِّ شَيْبٍ بَرَّاجِعٍ مَدَى الدَّهْرِ حَتَّى يُرْجِعَ الدَّرَّ حَالِبُهُ
وَمَا الْمَرْءُ مَنفُوعًا بِتَجْرِبٍ وَاعِظٍ إِذَا لَمْ تَعِظْهُ نَفْسُهُ وَتَجَارِبُهُ

وأُنشد إسحاق الموصلى :

- (١) حماسة ابن الشجرى : ٢٣٩ ، مع اختلاف فى ترتيب الأبيات .
(٢) الحماسة : « لا يراد به بديل » . (٣) ديوانه : ١ : ٥٢ .
(٤) فى حاشيتى الأصل ، ف : جادبه : عائبه ، أى لم يجد عيباً فتعلل وجهاً يتمجّل به باطلاً ومنه قول ذى الرمة :

فيا لك من خد أسيلٍ ، ومنطقٍ رخيم ، ومن خلقٍ تعلل جادبه

لَعَمْرِي لَنْ حُلِّتُ عَنْ مَنَهِلِ الصَّبَا
لِيَالِي أَمْشِي بَيْنَ بُرْدَى لَا هِيَا
سَلَامٌ عَلَى سَيْرِ الْقِلَاصِ مَعَ الرَّكْبِ
سَلَامٌ أَمْرِي لَمْ تَبْقَ مِنْهُ بَقِيَّةٌ
لَقَدْ كُنْتُ وَرَادَا لِمَشْرَبِهِ الْعَذْبِ^(١)
أَمِيسُ كَغُصْنِ الْبَانَةِ النَّاعِمِ الرَّطْبِ
وَوَصْلِ الْغَوَايِ وَالْمُدَامَةِ وَالشَّرْبِ
سِوَى مَنْظَرِ الْعَيْنَيْنِ أَوْ شَهْوَةِ الْقَلْبِ^(٢)

ولنصور النمرى :

مَا تَنْقَضِي حُسْرَةَ مَنِي وَلَا جَزَعُ
بَانَ الشَّبَابُ ففَاتَنِي بِشَرَّتِهِ
مَا كُنْتُ أَوْ فِي شَبَابِي كُنْهَ عِزَّتِهِ
إِذَا ذَكَرْتُ شَبَابًا لَيْسَ يَرْتَجِعُ^(٣)
صُرُوفُ دَهْرٍ وَأَيَّامُهَا خُدْعُ
حَتَّى مَضَى فَإِذَا الدُّنْيَا لَهُ تَبَعُ^(٤)

ولمحمد بن أبي حازم :

عَهْدَ الشَّبَابِ ، لَقَدْ أَبْقَيْتَ لِي حَزَنًا
سَقِيًّا وَرَعِيًّا لِأَيَّامِ الشَّبَابِ وَإِنْ
جَرَّ الزَّمَانُ ذُبُولًا فِي مَفَارِقِهِ
وَرَبَّمَا جَرَّ أَذْيَالَ الصَّبَا مَرَحًا
لَا تَكْذِبَنَّ فَمَا الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا
كَفَاكَ بِالشَّيْبِ عِيًّا عِنْدَ غَايَةِ
مَاجِدَ ذِكْرِكَ إِلَّا جَدًّا لِي تُكَلِّمُ^(٥)
لَمْ يَبْقَ مِنْكَ لَهُ رَسْمٌ وَلَا طَلَلُ
وَاللَّزْمَانِ عَلَى إِحْسَانِهِ عِلَلُ^(٦)
وَبَيْنَ بُرْدَيْهِ غُصْنٌ نَاعِمٌ خَضِلُ
مِنَ الشَّبَابِ يَوْمٌ وَاحِدٌ بَدَلُ
وَبِالشَّبَابِ شَفِيعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ

(١) حيث : طردت ومنعت . (٢) د ؛ ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « نظر العينين » .

(٣) حماسة ابن الشجري : ٢٣٩ (٤) حاشية الأصل (من نسخة) :

مَا كِدْتُ أَوْ فِي شَبَابِي كُنْهَ شَرَّتِهِ حَتَّى مَضَى فَإِذَا الدُّنْيَا لَهُ تَبَعُ

(٥) من أبيات في الأغاني ١٢ : ١٥٢ - ١٥٣ مجموعها ثلاثة عشرة بيتا ؛ وأبيات منها في الورقة :

١١٠ ، وحماسة ابن الشجري : ٢٣٩ . (٦) في حاشيتي الأصل ، ف : « أي للزمان علل على تركه

الإحسان ؛ ويجوز أن يكون المعنى : له مع إحسانه علل » .

ولأبي نواس :

كَانَ الشَّبَابُ مَطِيَّةَ الْجَهْلِ وَمُحَسِّنَ الضَّحَكَاتِ وَالْمَزَلِ^(١)
كَانَ الْجَمِيلُ إِذَا ارْتَدَّتْ بِهِ^(٢) وَمَشَيْتُ أَخْطَرُ صَيِّتِ النَّعْلِ
كَانَ الْبَلِيغُ إِذَا نَطَقْتُ بِهِ وَأَصَاخَتِ الْأَذَانُ لِلْمُغْلَى
كَانَ الْمُسْفَعُ فِي مَآرِبِهِ عِنْدَ الْحِسَانِ وَمُدْرِكَ التَّبَلِ
وَالْبَاعِثُ وَالنَّاسُ قَدْ هَجَعُوا حَتَّى أَيْتَ خَلِيفَةُ الْبَعْلِ
وَالْأَمْرِي حَتَّى إِذَا عَزَمْتُ نَفْسِي أَعَانَ عَلَى الْفَعْلِ
فَالآنُ صَرْتُ إِلَى مَقَارِبَةٍ وَحَطَطْتُ عَنْ ظَهْرِ الصَّبَا رَحْلِي

قال سيدنا رضى الله عنه : وعلى هذا الكلام طلاوة ومسحة من أعرابية ليستا لغيره .

ولبشار :

الشَّيْبُ كُرُهُ، وَكُرُهُ أَنْ يَفَارِقَنِي أَعْجِبُ بِشَيْءٍ عَلَى الْبَغْضَاءِ مَوْدُودِ^(٣)
يَمْضِي الشَّبَابُ وَيَأْتِي بَعْدَهُ خَلْفٌ وَالشَّيْبُ يَذْهَبُ مَفْقُودًا بِمَفْقُودِ

وهذا البيت الأخير يُروى لمسلم بن الوليد الأنصارى .

ومما أحسن فيه مسلم في هذا المعنى قوله :

طَرَفْتُ عُيُونََ الْغَايَاتِ وَرَبَّمَا أَمَّنَ إِلَى الطَّرَفِ كُلِّ مَمِيلِ^(٤)
/وما الشَّيْبُ إِلَّا شَعْرَةٌ، غَيْرُ أَنَّهُ^(٥) قَلِيلُ قَذَاةِ الْعَيْنِ غَيْرُ قَلِيلِ
[٢٠٥] و

(١) ديوانه : ٣١١ . (٢) ديوانه : « كان الجمال » .

(٣) البنتان في حماسة ابن الشجرى : ٢٤٥ ، ونسبهما إلى مسلم .

(٤) البنتان في حماسة ابن الشجرى : ٢٤٢ ، ونسبهما لابن الرومى ؛ وفي حاشيتي الأصل ، ف :

« يقال : فلان مطروف العين بفلان ؛ أى يحبه . والمعنى أنه وقم في عينه ، يقال : طرفت عينه بشوكة وبجاشية ثوب ؛ وأصله من طرفته إذا أصبت طرفه ، ورأسه إذا أصبت رأسه » . (٥) الحماسة :

* وما شبتُ إِلَّا شبيبةً غير أنه *

ونه :

أَهْلًا بِوَافِدَةٍ لِلشَّيْبِ وَاحِدَةٍ وَإِنْ تَرَائَتْ بِشَخِصٍ غَيْرِ مُؤَدُّودٍ
لَا أَجْمَعُ الْحِلْمَ وَالصَّبْرَ قَدْ سَكَنْتُ نَفْسِي إِلَى الْمَاءِ عَنْ مَاءِ الْعِنَاقِيدِ
لَمْ يَنْهَنِي كِبَرُهَا وَلَا فَنَدُ لَكِنْ صَحَوْتُ وَغُصْنِي غَيْرِ مَخْضُودٍ
أَوْفَى بِي الْحِلْمُ وَاقْتَادَ النَّهْيَ طَلَقًا شَأْوِي وَعِفْتُ الصَّبَا مِنْ غَيْرِ تَفْنِيدٍ^(١)

٥

وقد أحسن دعبل في قوله يصف الشباب والشيب :

كَانَ كَحَلَاٍّ لَمَّا قِيَهَا فَقَدْ صَارَ بِالشَّيْبِ لَعَيْنِيهَا قَدَى

ولغيره :

رَأَتْ طَالِعًا لِلشَّيْبِ أَغْفَلَتْ أَمْرَهُ فَلَمْ تَتَعَاهَدَهُ أَكْفُ الْخَوَاضِبِ^(٢)
فَقَالَتْ : أَشَيْبٌ مَا أَرَى ؟ قُلْتُ : شَامَةٌ فَقَالَتْ : لَقَدْ شَانَتْكَ بَيْنَ الْحَبَائِبِ^(٣)

١٠

ولحمود الوراق - ويروى لمحمد بن حازم^(٤) :

أَلَيْسَ عَجِيًّا بَأَنَّ الْفَتَى يُصَابُ بِبَعْضِ الَّذِي فِي يَدَيْهِ
فَمِنْ بَيْنِ بَالِكٍ لَهُ مُوَجَعٌ وَبَيْنَ مُعَزٍّ مُغْدٍ إِلَيْهِ
وَيَسْلُبُهُ الشَّيْبُ مُرَخَّ الشَّبَابِ فَلَيْسَ يُعْزِيهِ خَلْقٌ عَلَيْهِ^(٥)

ولأبي دلف :

١٥

فِي كُلِّ يَوْمٍ أَرَى بَيِّضَاءَ طَالِعَةٍ كَأَنَّمَا طَلَعَتْ فِي أَسْوَدِ الْبَصْرِ
لَئِنْ قَصَصْتُكَ بِالْمِقْرَاضِ عَنْ بَصْرِي لَمَّا قَصَصْتُكَ عَنْ هَمِّي وَعَنْ فِكْرِي

(١) حاشية الأصل : « يقال عدا طلقا وشأوا إذا عدا عدوا شديدا إلى غاية » .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « تتعاهده » . (٣) حاشية الأصل (من نسخة) « شامتك » .

(٤) في الأصل : « محمد بن أبي حازم » ، وصوابه من ف . (٥) حاشية الأصل : « يقول : عجبت

من الناس يعزى بعضهم بضاً على فوت المال ، ولا يمزون على فوت الشباب » .

وليحيى بن خالد بن برمك^(١) - ويروى لغيره :

الليلُ شيبَ والنهارُ كلاهما رأيتُ بكثرةٍ ما تدور رَحَاهُما
يتناهَبانِ نفوسنا ودِماءنا ولجُومنا عَمداً ونَحْنُ نَرَاهُما
والشيبُ إحدى المِيتَتَيْنِ نَقَدَمَتْ أولاهُما وتأخَّرَتْ أخراهُما

/ وقد أتى الفحلان المبرزان أبو تمام وأبو عبادَةَ في هذا المعنى بكل غريب عجيب . [٢٠٥]

فإن ذلك قول أبي تمام :

غداً الهمُّ مُختطاً بفوَدَيَّ خِطَّةً طَرِيقُ الرَدَى مِنْهَا إِلَى المَوْتِ مَهْمَعٌ^(٢)
هُوَ الزَّوْرُ يُجْفَى ، والمَعَاثِرُ يُجْتَوَى وَذُو الإِلْفِ يُقْلَى ، والجَدِيدُ يُرَقَّعُ
لَهُ مَنَظَرٌ فِي العَيْنِ أبيضُ ناصِعٌ وَلَكِنَّهُ فِي القَلْبِ أَسْوَدُ أُسْفَعُ
وَنَحْنُ نُرَجِّيه عَلَى الكَرِهِ والرِّضَا وَأَنْفُ الفَتَى مِنْ وَجْهِهِ وَهُوَ أَجْدَعُ^(٣) ١٠

وله :

شُعْلَةٌ فِي المَفَارِقِ اسْتَوْدَعَتْنِي فِي صَمِيمِ الفُؤَادِ تُكَلَّا صَمِيمًا^(٤)
تَسْتَثِيرُ الهمُّومُ مَا اكْتَنَّ مِنْهَا صُعْدًا وَهِيَ تَسْتَثِيرُ الهمُّومَا
غُرَّةٌ^(٥) مُرَّةٌ إِلَّا إِنَّمَا كُنْ تْ أَغْرًا أَبَامَ كُنْتُ بَهِيمَا

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « البرمكي » . (٢) ديوانه : ١٩٠ ، والشهاب : ٦ ؛

وحامسة ابن الشجرى : ٢٤١ - ٢٤٢ . وفي م قبل هذا البيت :

لَنْ جَزِعَ الوحشُ مِنْهَا لرؤيتي لِأَنسِيَّهَا مِنْ شَيْبِ رَأْسِي أَجْزَعُ

وفي حماسة ابن الشجرى : « غدا الشيب » ، وفي م : « غدا العمر » . وفي حاشية الأصل (من

نسخة) : « إلى النفس مبيع » ، وهي رواية الديوان ؛ ومهجع : واسع .

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « يجذع » .

(٤) ديوانه : ٢٩١ ، وحامسة ابن الشجرى : ٢٤١ ، والشهاب : ٧ .

(٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « عرة » أى عيب .

دِقَّةٌ فِي الْحَيَاةِ تُدْعَى جَلَالاً مَثَلُ مَا سُمِّيَ اللَّدِيغِ سَلِيمًا^(١)
حَلَمْتَنِي - زَعَمْتُمْ - وَأَرَانِي قَبْلَ هَذَا التَّحْلِيمِ كُنْتُ حَلِيمًا

وله :

لَعِبَ الشَّيْبُ بِالْفَارِقِ بَلْ جَدَّ فَأَبْكِي مُتَمَاضِرًا وَلَعُوبًا^(٢)
خَضِبْتُ خَدَّهَا إِلَى لَوْلُو الْعِقَةِ دِمًّا أَنْ رَأَتْ شَوَاتِي خَضِيبًا
كُلُّ دَاءٍ يُرْجَى الدَّوَاءُ لَهُ لَا الْفَظِيْعَيْنِ : مِيتَةً وَمَشِيْبًا
بِأَنْسِيبِ الثُّغَامِ ذَنْبُكَ أَبْقَى حَسَنَاتِي عِنْدَ الْحَسَنِ ذُنُوبًا
وَلَنْ عَيْنَ مَا رَأَيْتَ لَقَدْ أَزْكَرَنَ مُسْتَنْكَرًا وَعَيْنَ مَعِيَا
أَوْتَصَدَّعْنَ عَنْ قَلِيٍّ لَكُنِي بِالْشَّيْبِ وَبَيْنَهُنَّ حَسِيْبًا
لَوْ رَأَى اللَّهُ أَنَّ فِي الشَّيْبِ فَضْلًا جَاوَرَتْهُ الْأَبْرَارُ فِي الْخُلْدِ شَيْبًا

قال سيدنا أدام الله علوه : وجدت الآمدى يذكرك أن قوما ادَّعوا المناقضة على أبي تمام
في هذه الأبيات بقوله :

لَعِبَ الشَّيْبُ بِالْفَارِقِ بَلْ جَدَّ فَأَبْكِي تَمَاضِرًا وَلَعُوبًا *
وقوله :

خَضِبْتُ خَدَّهَا إِلَى لَوْلُو الْعِقَةِ دِمًّا أَنْ رَأَتْ شَوَاتِي خَضِيْبًا
يَا نَسِيبَ الثُّغَامِ ذَنْبُكَ أَبْقَى حَسَنَاتِي عِنْدَ الْحَسَنِ ذُنُوبًا

[٢٠٦] / وقوله :

وَلَنْ عَيْنَ مَا رَأَيْتَ لَقَدْ أَزْكَرَنَ مُسْتَنْكَرًا وَعَيْنَ مَعِيَا

(١) حاشية الأصل : « مثل ، بنى لإضافته إلى « ما » ، ويجوز أن يكون صفة لمُحذوف ، أى تدعى جلالاً لدعوة
مثل تسمية اللدغ سليماً » . (٢) ديوانه : ٢٥ ، ٢٦ ، والشهاب : ٩ .

قالوا: كيف يمكن دماً على شيبه ثم يعبئه !
قال الآمدى: "وليس هذا يتناقض ؛ لأن الشيب إنما أبكى تُمَاضِر ولعوب أسفاً على
شبابه ، والحسان اللواتى عبئه غير هاتين المرأتين ، فيكون مَنْ أشفق عليه من الشيب منهن
وأسفَ على شبابه بَكى ؛ كما قال الأخطل :

لَمَّا رَأَتْ بَدَلَ الشَّبَابِ بَكَتْ لَهُ إِنَّ الشَّيْبَ لَأُرْذَلُ الْأَبْدَالِ^(١)
ولم يكن هذه حال من عابه. قال : " وهذا مستقيم صحيح " .

قال سيدنا أدام الله علوه : وليس يحتاج في الاعتذار لأبى تمام إلى ما تكلفه الآمدى ؛
بل المناقضة زائلة عنه على كل حال ، وإن كان مَنْ قد بكى شبابه ، وتلف عليه من النساء
هُنَّ اللواتى أنكرن شيبه ، وعبئنه به ، وما المنكر من ذلك ! وكيف يتناقض أن يبكى على
شبابه ونزول شيبه منهن مَنْ رَأَيْنَ الشَّيْبَ ذنباً وعيباً منكراً ! وفى هذا غاية المطابقة ؛ لأنه ١٠
لا يبكى الشيب ، ويجزع من حلوله وفراق الشباب إلا مَنْ رآه منكراً ومعيباً .

وقال أبو تمام :

رَاحَتْ غَوَانِي الْحَيِّ عَنْكَ غَوَانِيَا يَلْبَسْنَ نَائِيَا تَارَةً وَصُدُودَا^(٢)
مِنْ كُلِّ سَابِغَةِ الشَّبَابِ إِذَا بَدَتْ تَرَكَتْ عَمِيدَ الْقَرَّيْتَيْنِ عَمِيدَا
أَرْبَيْنَ بِالْمُرْدِ الْغَطَارِفِ بُدْنًا غَيْدَا أَلْفَهُمُ لِدَانَا غَيْدَا
أَحْلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ مَوَاقِمًا مَنْ كَانَ أَشْبَهُهُمْ بِهِنَّ خُدُودَا

وقوله : « أَرْبَيْنَ بِالْمُرْدِ » من أرب بالشئ إذا لزمه ، وأقام عليه ، يقال : أربَّ وألَّبَّ
بالمكان إذا لزمه : يريد أنهم لزمْنَهوى المُرْد وأقمن عليهم . ورواه قوم « أَرْبَيْنَ بِالْمُرْدِ »
من الرِّبَا الذى معناه الزيادة ، يقال : قد أربى الرجل إذا ازداد ؛ فيقول : أَرْبَيْنَ بِالْمُرْدِ ، أى زِدْنِ
عليناهم ، وجعلن للمُرْد زيادةً اخترناها علينا^(٣) . ٢٠

(٣) انظر الشهاب : ١٠ .

(٢) ديوانه : ٨٧ - ٨٨ .

(١) ديوانه ١٥٨

ويقال^(١): إنه أخذ قوله:

* أحلى الرجال من النساء موقماً * . . . البيت

من قول الأعشى :

وَأَرَى الْغَوَانِي لَا يُوَاصِلُنَّ امْرَأً فَقَدَ الشَّبَابَ وَقَدْ يَصْلُنَ الْأُمْرَدَا^(٢)

/ولنصور النمريّ مثله :

[٢٠٦]
ط

كَرِهْنُ مِنَ الشَّيْبِ الَّذِي لَوْ رَأَيْنَهُ
بِهِنَّ رَأَيْنَ الطَّرْفَ عَنْهُنَّ أَزُورًا
ونحوه قول الآخر :

أَرَى شَيْبَ الرَّجَالِ مِنَ الْغَوَانِي كَوَقْعِ مَشْيِهِنَّ مِنَ الرَّجَالِ

وقال أبو تمام:

شَابَ رَأْسِي وَمَا رَأَيْتُ مَشْيِبَ الرَّأْسِ إِلَّا مِنْ فَضْلِ شَيْبِ الْغَوَادِ^(٣)

١٠

وَكَذَلِكَ الْقُلُوبُ فِي كُلِّ بُوْسٍ وَنَعِيمٍ طَلَأُ الْأَجْسَادِ

طَالَ إِنْكَارِي الْبَيَاضَ وَإِنْ عُمْتُ رُتُ شَيْبًا أَنْكَرْتُ لَوْنِ السَّوَادِ^(٤)

زَادَنِي شَخْصُهُ بِطَلْعَةِ ضَيْمٍ عَمَّرْتُ بِمَجْلِسِي مِنَ الْعَوَادِ

نَالَ رَأْسِي مِنْ ثَغْرَةِ الْمَهْمِ لَمَّا لَمْ يَنْلَهُ مِنْ ثَغْرَةِ الْمِيلَادِ^(٥)

ومعنى هذا البيت الأخير أن «الثغر» هي الفرجة والثلمة تكون في الشيء ؛ ولذلك سُمِّيَ

١٥

كل بلد جاور عدواً ثغراً ؛ كأن معناه مكشوف للعدو . ويجوز أن يكون أصله من ثغر الإنسان ،

لأنه أول ما يقابلك من أسنانه ، وأول ما يظهر عند الكلام ، وأول ما يسقط فيرى مثلوماً ،

فيشبه الثغر الذي هو البلد ؛ يقال انغر الصبي وانغر ؛ وتسمى تلك الفرجة في موضع

(١) الموازنة : ٣٠ . (٢) ديوانه : ١٥١ ؛ والرواية : « وأرى الغواني » .

(٣) ديوانه : ٧٥ . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « ولوعمرت شيئاً » أى تعميراً ،

وهي رواية الديوان . (٥) حاشية الأصل : يروى : « من ثغرة المهم مالم * تشتملة » .

السن تُغرة وفي كل موضع منفرج ؛ ومنه ثغرة النَّحْر .

وأراد بقوله :

* نال رأسى من ثغرة الهم لَمَّا *

أى وجد الشيبُ من الهم فرجة دخل على رأسى منها ؛ لأن الهمَّ يُشيب لا محالة .

وقوله :

* مالم ينلْه من ثغرة الميلاد *

أراد بثغرة الميلاد الوقت الذى يهجم عليه فيه الشيب من عمره ؛ لأنه يجد السبيل فى ذلك الوقت إلى الحلول برأسه ؛ فجعله ثغرة من هذا الوجه ؛ فأراد أن الشيب حلَّ برأسه من جهة همومه وأحزانه لَمَّا لم يبلغ السن التى تُوجب حلوله به من حيث كبره .

ورأيت الأمدى يطعن على قوله :

* عمرت مجلسى من العوَاد *

ويقول : " لاحتقيقة لذلك ولا معنى ، لأننا مارأينا ولا سمعنا أحدا / جاءه عوادٌ يعودونه من [٢٠٧] المشيب ؛ ولا أن أحدا أمرضه الشيب ، ولا عزَّاه المعزون عن الشباب " ؛ وهذا من الأمدى قلة نقد للشعر وضعف بصيرة بدقيق معانيه التى يغوص عليها حذاق الشعراء ؛ ولم يرد أبو تمام

بقوله :

* عمرت مجلسى من العوَاد *

العيادة الحقيقية التى يغشى فيها العوَاد مجالس المرضى وذوى الأوجاع ، وإنما هذه استعارة وتشبيه وإشارة إلى الغرض خفية ؛ فكأنه أراد أن شخص الشيب لما زارنى كثير المتوجعون لى ، والمتأسفون على شبابى ، والمتوحشون^(١) من مفارقتة ؛ فكأنهم فى مجلسى عوَاد لى ، لأن من شأن العائد للمريض أن يتوجع ويتفجع .

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « والمتفجعون » .

وكنى بقوله :

✽ عمرتُ مجلسي من العواد ✽

عن كثرة مَنْ تفجع له وتوجّع من مشييه؛ وهذا من أبي تمام كلام في نهاية البلاغة والحسن؛
وما المغيب إلا مَنْ عابه وطمّن عليه ؛ ونحن نذكر في المجلس الآتي بمشيئة الله ما للبحترى
في هذا المعنى إن شاء الله . ٥



مَجْلِسُ آخِرٍ تَأْوِيلُ آيَةٍ

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ [النحل : ١٠] .

فَقَالَ : إِذَا كَانَ الشَّجَرُ لَيْسَ بِبَعْضِ الْمَاءِ كَمَا كَانَ الشَّرَابُ بَعْضًا لَهُ ؛ فَكَيْفَ جَازَأَن يَقُولُ : ﴿ وَمِنْهُ شَجَرٌ ﴾ بِمَدِّ قَوْلِهِ : ﴿ مِنْهُ شَرَابٌ ﴾ ؟ وَمَا مَعْنَى ﴿ تُسِيمُونَ ﴾ ؟ وَهَلِ الْفَائِدَةُ فِي هَذِهِ اللَّفْظَةِ هِيَ الْفَائِدَةُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ [آل عمران : ١٤] ، وَقَوْلِهِ : ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ . مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ [هود : ٨٢ ، ٨٣] ؟ .
الْحَوَاب ، قُلْنَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمِنْهُ شَجَرٌ ﴾ وَجِهَان :

أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنْهُ سَقَى شَجَرٍ ، وَشَرَبَ شَجَرٍ ؛ فَحَذَفَ الْمُضَافَ ، وَأَقَامَ الْمُضَافَ إِلَيْهِ مَقَامَهُ ؛ وَذَلِكَ كَثِيرٌ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْمِجْلَ ﴾ [البقرة : ٩٣] ، أَيْ حَبَّ الْمِجْلِ .

وَالْوَجْهُ الْآخَرُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ : وَمِنْ جِهَةِ الْمَاءِ شَجَرٌ ، وَمَنْ سَقِيَهُ وَإِنْبَاتَهُ شَجَرٌ ؛ فَحَذَفَ الْأَوَّلَ وَخَلَفَهُ الثَّانِي ؛ كَمَا قَالَ عَوْفُ بْنُ الْخَرِيعِ :

أَمِنْ آلِ كَيْلَى عَرَفَتِ الدِّيَارَا بِجَنْبِ الشَّقِيقِ خَلَاءَ قَفَارَا^(١)
أَرَادَ : مِنْ نَاحِيَةِ آلِ لَيْلَى .

(١) الْفَضْلِيَّاتُ ٤١٢ (طَبْعَةُ الْمَعَارِفِ) ، وَالرَّوَايَةُ هُنَاكَ :

أَمِنْ آلِ مَيِّ عَرَفَتِ الدِّيَارَا بِحَيْثِ الشَّقِيقِ خَلَاءَ قَفَارَا
وَالشَّقِيقُ : مَاءُ لَبْنَى أَسِيدَ بْنَ عَمْرٍو بْنِ تَمِيمٍ .

وقال زهير :

[٢٠٧] / أَمِنْ أُمٍّ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلَّمْ بِحَوْمَانَةِ الدَّرَّاجِ فَالْتَشَلَّمْ^(١) ظ
أَرَادَ : مِنْ نَاحِيَةِ أُمٍّ أَوْفَى .

وقال أبو ذؤيب :

٥ أَمِنْكَ الْبَرْقُ أَرْقُبُهُ فَهَاجَا فَبِتُّ إِخَالَهُ دُهُمًا خِلَاجًا^(٢)

وقال أيضاً :

أَمِنْكَ بَرْقُ أَيْتِ اللَّيْلِ أَرْقُبُهُ كَأَنَّهُ فِي عِرَاضِ الشَّامِ مِصْبَاحُ^(٣)

وقال الجعدي :

لِمَنْ الدِّيَارُ عَفْوُونَ بَالْتَهْطَالٍ بَقِيَتْ عَلَى حِجَجٍ خَلَوْنَ طِوَالِ

١٠ أَرَادَ بَقِيَتْ عَلَى مَرٍّ حِجَجٍ ، وَتَكَرَّرَ حِجَجٍ .

فأما قوله تعالى : ﴿ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ فمعناه ترعون ، وترسلون أنعامكم ؛ يقال : أسام الإبل

يسيمنا إسامة ؛ إذا أرهاها وأطلقها فرعت منصرفة حيث شاءت ؛ وسومها أيضا يسومها من ذلك ؛ وسامت هي إذا رعت ؛ فهي تسوم ، وهي إبل ساعة ؛ ويقال : سمتها إذا قصرتها على مرعى بعينه ؛ وسمتها الخسف ؛ إذا تركتها على غير مرعى ؛ ومنه قيل لمن أذلّ واهتضم :

١٥ سِيمَ فُلَانٍ الْخُسْفَ ؛ وَسِيمَ خُطَّةِ الضَّيْمِ ؛ قَالَ السَّكْمِيتُ بْنُ زَيْدٍ فِي الْإِسَامَةِ الَّتِي هِيَ الْإِطْلَاقُ فِي الرَّغَى^(٤) :

(١) أول المعلقة ، ديوانه : ٤ . الدمنة آثار الناس وما سودوا من الرماد وغيره . ولم تبين : لم

تسكلم . وحومانة الدراج والمثلّم : موضعان .

(٢) ديوان الهذليين ١ : ١٦٤ ؛ وفي حاشيتي الأصل ، ف : « شبه السحاب بإبل سود ، وصوت الرعد

بحنينها ؛ ولم يذكر السحاب إلا أن البرق دل عليه ، وخلاج : جمع خلوج ؛ وهي الناقة التي خلج ولدها ؛ وهو فعول في معنى مفعول ، كالركوب والحلوب . »

(٣) ديوان الهذليين ١ : ٤٧ ، واللسان (عرض) ؛ وعراض الشام نواحيه ؛ الواحد عرض .

(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « المرعى » .

رَاعِيَا كَانَ مُسَيِّجًا فَقَدْنَا هُوَ فَقَدَ الْمُسَيِّمَ هُلَكَ السَّوَامُ^(١)

وقال آخر :

وَأَسْكُنُ مَا سَكَنْتَ بِبَطْنِ وَادٍ وَأُظْمِنُ إِنْ ظَعَنْتَ فَلَا أُسَيِّمُ^(٢)

وذهب قوم إلى أنَّ السَّوَمَ في البيع من هذا ؛ لأن كل واحدٍ من المتبايعين يذهب فيما يبيعه من زيادة ثمن أو نقصانه إلى ما يهواه ، كما تذهب سوائهم المواشى حيث شاءت .

وقد جاء في الحديث : « لا سوِّم قبل طلوع الشمس » فحمله قوم على أن الإبل وغيرها لا تُسام قبل طلوع الشمس ؛ لئلا تنتشر وتفوت الراعى ويخفى عليه مقاصدها .

وحمله آخرون على أنَّ السوم قبل طلوع الشمس في البيوع مكروه ، لأنَّ السَّلَمة المبيعة تستر عيوبها أو بعضها ، فيدخل ذلك / في بيع الغرر المنهى عنها .

[٢٠٨]
و

فأما الخيل المسوِّمة ، فقد قيل : إنها المَعْلَمة بعلامات ؛ مأخوذ من السَّيِّء وهي العلامة .

وروى عن الحسن البصرى في قوله تعالى : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ قال : سوِّم نواصبها

وأذناها بالصوف .

وقيل أيضا : إنَّ المسوِّمة هي الحسان .

وروى عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ قال : هي المطهَّمة الحسان .

وقال آخرون : بل هي الراعية ؛ روى ذلك عن سعيد بن جبير ؛ وكلُّ يرجع إلى ١٥

أصل واحد ، وهو معنى العلامة ، لأنَّ تحسين الخيل يجري مجرى العلامة فيها ؛ التي تُعرف بها وتتميز لمكانها ؛ وقد قيل : إنَّ السَّوَمَ من الرَّعَى يرجع إلى هذا المعنى أيضا ، لأنَّ الراعى يجعل في المواضع التي يرعاها علامات أو كالعلامات بما يزيله من نباتها ، ويمحوه من آثارها ؛ فسكان الأصل في الكل متفق غير مختلف .

(١) مسجحا: رفيقا سهلا ، وفي م : « مسيما » (٢) د ، ونسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « ماظننت » .

وقال لبید فی التسویم الذی هو التعلیم :

وَعَدَاةَ قَاعِ الْقَرْنَتَيْنِ أَتَيْنَهُمْ رَهْوَاً يَلُوحُ خِلَالَهَا التَّسْوِيمُ^(١)

أراد التعلیم .

وأما قوله في الملائكة: ﴿ مُسَوِّمِينَ ﴾؛ فالمراد به المعلمين، وكذلك قوله تعالى: ﴿ حِجَارَةً

٥ مِنْ سِجِّيلٍ مَنضُودٍ . مُسَوِّمَةً ﴾ أى مُعَلِّمَةً ؛ وقيل : إنه كان عليها كأمثال الخواتيم .

قال سيدنا أدام الله علوه : ونعود إلى ما كنا وعدنا به من ذكر ما للبحترى في ذمّ الشيب

والتألم من فقد الشباب ؛ فمن ذلك قوله^(٢) :

وَكُنْتُ أَرْجَى فِي الشَّبَابِ شِفَاعَةً فَكَيْفَ لِبَاغِي حَاجَةٌ بِشَفِيعِهِ^(٣)

مَشِيبٌ كُنْتُ السَّرَّ عَىَّ بِحَمَلِهِ مُحَدِّثُهُ ، أَوْضَاقَ صَدْرُ مُذِيعِهِ^(٤)

١٠ تَلَا حَقَّ حَتَّى كَادَ يَأْتِي بِطَيْئِهِ لِحَثِّ اللَّيَالِي قَبْلَ أَنْ يَسْرِيعَهُ

وما أحسن هذا من كلام! وأبلغه وأطبعه^(٥)!

(١) ديوانه : ١ : ١٠٤ وفي حاشية الأصل : « بعد هذا البيت :

بِكُتَائِبِ رُجُوحٍ تَعُودُ كِبَشُهَا نَطْحَ الْكَبَاشِ كَأَنَّهُنَّ نَجُومُ

والقرناتان : موضع ، ورها في السير رهوا أى رفق ، قال القطامي :

يَمْشِينَ رَهْوَاً، فَلَا الْأَعْجَازَ خَاذِلَةً وَلَا الصَّدُورَ عَلَى الْأَعْجَازِ تَتَكَلَّمُ

(٢) ديوانه ٢ : ٩٠ ، والشهاب : ١٣ ، وفي حاشيتي الأصل ، ف : « يقول : كنت أرجى أن

يكون الشباب شفيعى . ويجوز أن يكون المعنى : كنت أرجى في شبابى شفاعته إلى الحسان من طراوتى وحسنى .

(٣) في حاشيتي الأصل ، ف : « يعنى أنه جد محتاج إلى الشفيعى ؛ ولكنه ولى وذهب .

(٤) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « كبت السر . وفيهما أيضا : « أى أنه كان كالسر تبرم

به صاحبه فأفشاء . » (٥) ذكر المرتضى في الشهاب تعليقا على هذه الأبيات : « وهذا والله أبانغ

كلام وأحسنه وأحلاه وأسلمه وأجمعه لحسن اللفظ وجودة المعنى ؛ وما أحسن ماشبه تسكائر الشيب وتلاحقه

بيت السر عن ضيق صدر صاحبه وإعياؤه بحمله وعجزه عن طيه ! ويشبه بعض الشبه قوله :

* تَلَا حَقَّ حَتَّى كَادَ يَأْتِي بِطَيْئِهِ *

وقال أيضاً :

رُدِّيْ عَلَى الصَّبَا إِنْ كُنْتَ فَاعِلَةً
جَاوَزْتُ حَدَّ الشَّبَابِ النَّضْرِ مُلْتَفِتًا
/ وَالشَّيْبُ مَهْرَبٌ مَنْ جَارَى مَنِيتَهُ
وَالْمَرْءُ لَوْ كَانَتْ الشُّعْرَى لَهُ وَطَنًا
إِنَّ الصَّبَا لَيْسَ مِنْ شَانِي وَلَا أَرِي^(١)
إِلَى بَنَاتِ الصَّبَا يَرْكُضْنَ فِي طَلَبِي^(٢)
وَلَا نَجَاءَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَهْرَبِ^[٢٠٨]
صُبَّتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ كَثَبِ^(٣) ٥

وقال أيضاً :

لَا بَسَّ مِنْ شَبِيبَةٍ أَمْ نَاضٍ
وَإِذَا مَا امْتَمَعْتُ مِنْ وَلَعِ الشَّيْبِ
لَيْسَ يَرْضَى عَنِ الزَّمَانِ مَرَوٍ
وَالْبَوَاقِي مِنَ اللَّيَالِي وَإِنْ خَا
نَا كَرَّتْ لِمَتَّى وَنَا كَرَّتْ مِنْهَا
وَمُلِيحٌ مِنْ شَبِيبَةٍ أَمْ رَاضِي^(٤)
بِإِرْأْسِي لَمْ يَنْزِلْ ذَلِكَ امْتِمَاعِي^(٥)
فِيهِ إِلَّا عَنْ غَفْلَةٍ أَوْ تَغَاضٍ^(٦)
لَفَنَ شَيْئًا فَمُشَبَّهَاتُ الْمَوَاضِي^(٧)
سُوءَ هَذِي الْأَبْدَالِ وَالْأَعْوَاضِ ١٠

= قولي من أبيات :

سَبَقَ احْتِرَاسِي مِنْ أَذَاهُ بِطِيئُهُ حَتَّى تَجَلَّلَنِي ، فَكَيْفَ عَجُولُهُ !

وفي البيت لمحة بعيدة من بيت البحتري وليس بنظير له على التحقيق ؛ ومعنى البيت الذي يخصني أدخل في الصحة والتحقيق ؛ لأنني خبرت بأن بطيء الشيب سبق وغلب احتراسي وحذري ؛ فكيف عجوله ! ومن سبقه البطيء كيف لا يسبقه السريع ! والبحتري قال : إن البطيء كاد أن يسبق السريع ؛ وهذا على ظاهره لا يصح ؛ لأنه يجعل البطيء هو السريع ؛ بل أسرع منه ؛ لكن المعنى : أنه متداول متواتر فيكاد البطيء له يسبق السريع ؛ وهذا في غاية الملاحظة .

(١) ديوانه ١ : ٢٩ ، ٣٠ ، والشهاب : ١٤ . (٢) حاشية الأصل : « في نسخة س : قرأت في شعره على شيعي : إلى بنات الردي » . (٣) د ، ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « من صلب » أي حدور ؛ وهو الموضع الذي يتحدر فيه . وفي م : « و يروى : حطت عليه صروف الدهر من كشب » .

(٤) ناض : خالع ، ومليح : مشفق ؛ يخاطب نفسه فيقول : الألبس أنت برد الشباب أم خالعه ؟ .

(٥) في م : « لم يَنْزِلْ ذَلِكَ » وفي الديوان : « لم يعد » . (٦) مرو : مفكر .

(٧) د ؛ ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « مشبهات » ؛ وفي حاشية الأصل : « و يروى : شبهة بالمواضي وهو أحسن . قال س : فمشبهات ، لا بأس به ، والذي حسن الغاء طول الكلام وإن الشرطية فيه » .

شَعَرَاتُ أَقْصَهُنَّ وَبَرَجَهُ
وَأَبَتْ تَرْكِ الْغُدَيَّاتِ وَالْآ
غَيْرَ نَفْعٍ إِلَّا التَّعْلُّلَ مِنْ شَخْ
وَرُوءِ الْمَشِيبِ كَالْبَخْصِ فِي عِي
طَبْتُ نَفْسًا عَنِ الشَّبَابِ وَمَا سَ وَ
فَهَلِ الْحَادِثَاتُ يَا بَنَ عُوفٍ
نَ رُجُوعَ السَّهَامِ فِي الْأَغْرَاضِ^(١)
صَالُ حَتَّى خَضَبْتُ بِالْمَقْرَاضِ^(٢)
صِ عَدُوٍّ لَمْ يَعُدَّهُ إِبْغَاضِي
بَنِي فَقُلْ فِيهِ فِي الْعِيُونِ الْمِرَاضِ^(٣)
طَبْتُ نَفْسًا عَنِ الشَّبَابِ وَمَا سَ وَ
فَهَلِ الْحَادِثَاتُ يَا بَنَ عُوفٍ
نَ رُجُوعَ السَّهَامِ فِي الْأَغْرَاضِ^(١)
صَالُ حَتَّى خَضَبْتُ بِالْمَقْرَاضِ^(٢)
صِ عَدُوٍّ لَمْ يَعُدَّهُ إِبْغَاضِي
بَنِي فَقُلْ فِيهِ فِي الْعِيُونِ الْمِرَاضِ^(٣)

وقال أيضاً :

تَعِيبُ الْغَايَاتُ عَلَيَّ شَيْبِي
وَوَجْدِي بِالشَّبَابِ وَإِنْ تَوَلَّى
وَمَنْ لِي أَنْ أَمْتَعَ بِالْمَعِيبِ^(٤)
حَمِيداً دُونَ وَجْدِي بِالشَّيْبِ

وقال أيضاً :

أَرَأَيْتَهُ مَنْ بَعْدَ جَثَلٍ فَاحِمٍ
فَعَجَبْتُ مِنْ حَالَيْنِ خَالَفَ فِيهِمَا
جَوْنَ الْمَفَارِقِ بِالنَّهَارِ خَضِيباً^(٥)
صَرَفَ الزَّمَانَ وَمَا رَأَيْتُ عَجِيباً

(١) حاشية الأصل : « من شأن الغرض أن تنزع السهام منه ثم تعود إليه في الحال » .
(٢) قال المرتضى في الشهاب تعليقا على هذا البيت والذي قبله : « قوله : خضبت بالمقراض في غاية الملاحه والرشاقة . ومعنى قوله : رجوع السهام في الأغراض أنه لا يملك ردا لطلوع الشيب في شعره ولا تلافيا لحلوله ، فيجرى في ذلك مجرى رجوع السهام إلى الغرض في أنه لا يملك مرسل السهم صده عنه ولا رده عن إصابته . ويمكن في ذلك وجه آخر ؛ وإن كان الأول أشرف ؛ وهو أن يريد بالأغراض المعانل والمواضع العريفة من الأعضاء ؛ فسكانه يشبه رجوع الشيب بعد قصه له وطلوعه في شدة إيلاجه وإيجاعه بإصابة السهام للمعانل والفرائص . ويحتمل وجهها آخر ؛ وهو أن السهام تنزع من الأغراض ، ثم ترجع بالرمي إليها أبداً ، فأشبهت في ذلك الشيب في قصه ثم طلوعه ورجوعه إلى موضعه » .

(٣) حاشية الأصل : الرءاء يهمز ولا يهمز ؛ فإذا لم يهمز كان من الرى وإذا همز كان من الرؤية .
والبخص : لحم نائي فوق العينين أو تحتها كهيئة النفخة . وفي حاشية الأصل أيضا : « مثله لابن الرومي :
إِذَا سَنَنْتَ عَيْنُ الْقَتَى عَيْبَ نَفْسِهِ فَعَيْنُ سِوَاهُ بِالشَّهَادَةِ أَجْدَرُ

(٤) ديوانه : ٢ : ٨٤ .

(٥) ديوانه : ١ : ٧٥ . الجئل من الشعر : السكثير . والجون هنا : الأسود ؛ وهو من الأضداد ، يطلق على الأسود والأبيض . وفي حاشية الأصل : « جمل النهار خضابا لأنه شيء قدشاع وتعرن عليه » .

وَقَالَ أَيْضًا : / إِنَّ الزَّمَانَ إِذَا تَتَابَعَ خَطْوُهُ سَبَقَ الطَّلُوبَ وَأَدْرَكَ الْمَطْلُوبَ [٢٠٦]

رَأَتْ فَلَتَاتِ الشَّيْبِ فَاِبْتَسَمَتْ لَهَا وَقَالَتْ : نُجُومٌ لَوْ طَلَعْنَ بِأَسْعَدِ^(١)
أَعَانِكَ مَا كَانَ الشَّبَابُ مُقَرَّبِي إِلَيْكَ ، فَأَلْحَى الشَّيْبَ إِذْ كَانَ مُبْعِدِي

وَقَالَ أَيْضًا :

عَمْتُ كَبِدِي قَسْوَةً مِنْكَ مَا إِنْ تَزَالُ تُجَدِّدُ فِيهَا نُدُوبًا^(٢)
وَحُمِلْتُ عِنْدَكَ^(٣) ذَنْبَ الْمَشْرِيبِ حَتَّى كَأَنِّي ابْتَدَعْتُ الْمَشْيِيبَا
وَمَنْ يَطْلَعُ شَرَفَ الْأَرْبَعِينَ يُحْيِي مِنَ الشَّيْبِ شَخْصًا^(٤) غَرِيبَا

قال المرتضى رضى الله عنه : ولى فى هذا المعنى :

قُلْنَ لَمَّا رَأَيْنَ وَخْطَاءً مِنَ الشَّيْبِ بِرَأْسِي أَعْيَا عَلَى مَجْهُودِي
كَسَمْنَا بَارِقٍ تَعَرَّضَ وَهْنًا فِي حَوَاشِي بَعْضِ النَّالِي إِلَى السُّودِ
أَبْيَاضٌ مُجَدِّدٌ مِنْ سَوَادٍ كَانَ قَدِّمًا ! لَا مَرَحَبًا بِالْجَدِيدِ
بِالْحَاكِنِّ مَنْ رَمَا كُنَّ بِالْحُسْنِ نَ لَتَتَهَرُّنَا بَنِيرَ جُنُودِ
لَيْسَ بِيضِي مَنِ فَأَجْزَى عَلَيْهِمْ نَّ صُدُودًا أَوْ لَيْسَ فَيَكُنَّ سُودِي
قَلَّ مَاضَرَ كُنَّ مِنْ شَعْرَاتٍ كُنَّ يَوْمًا عَلَى الْوَقَارِ شُهُودِي

وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ أَيْضًا :

خَلَّيَاهُ وَجِدَّةَ اللَّهِوَ مَا دَا مَ رِدَاءُ الشَّبَابِ غَضًّا جَدِيدًا

(١) الشهاب : ١٧ . (٢) ديرانه ١ : ٥١ ، والشهاب : ١٨ ، عنت : قصدت

والندوب : آثار الحراحت . وفى حاشية الأصل : « نسخة ج : ما تزال هو حسن ؛ لتكون عروض البيت محذوفة ؛ والفصيدة بأسرها محذوفة العروض إلا البيت المصرع فى أولها ؛ وإذا روعيت : « ما إن تزال » فالعروض سالمة ، فعولن » .

(٣) حاشية الأصل : « س : روى « حملت عبك » ؛ كأنه تصحيف ، ولكنه حسن » .

(٤) فى حاشيتى الأصل ، ف : « بروى : زورا » . (١) ديوانه ١ : ١٨٢ ، الشهاب : ١٩ .

إِنَّ أَيَّامَهُ مِنَ الْبَيْضِ بَيْضٌ مَرَّائِنَ الْمَفَارِقِ السُّودَ سُودًا

وقال أيضاً :

تَرَكَ السَّوَادَ لِلْإِسِيهِ وَبَيْضًا
وَسَاهَ أَغْيَدُ فِي تَصَرُّفٍ لِحَظِهِ
وَكَأَنَّهُ وَجَدَ الصَّبَا وَجَدِيدَهُ
أُسَيَّانُ أَثَرِي مِنْ جَوَى وَصَبَابَةٍ
وَنَصَا مِنْ السَّيْنِ عَنْهُ مَا نَصَا^(١)
مَرَضٌ أَعْلَى بِهِ الْقُلُوبَ وَأَمْرَضَا^(٢)
دَيْنًا دَنَا مِيقَاتُهُ أَنْ يُقْتَضَى
وَأَسَافَ مَنْ وَصَلَ الْحِسَانَ وَأَنْفَضَا^(٣)

٥

وقال أيضاً :

هَلْ أَنْتَ صَارِفٌ شَيْبَةٍ إِنْ غَلَسَتْ
جَاءَتْ مُقَدَّمَةً أَمَامَ طَوَّالِعِ
وَأَخُو الْغَيْبَةِ تَاجِرٌ فِي لَمَّةٍ
لَا تَكْذِبَنَّ فَا الصَّبَا بِمُخْلَفِ
فِي الْوَقْتِ أَوْ عَجَلَتْ عَنِ الْمِعَادِ^(٤)
هَذِي تَرَاوِحُنِي وَتِلْكَ تُغَادِي
يَشْرِي جَدِيدَ بَيَاضِهَا بِسَوَادِ^(٥)
لَهُوًّا وَلَا زَمَنُ الصَّبَا بِمِعَادِ

١٠

(١) ديوانه ٢ : ٧٠ ، الشهاب : ١٩ . وفي حاشية الأصل : « أى خلع إتيان السنين عليه المسرة والنشاط » . (٢) سَاهَ : غلبه ، وفوم : « سباه » . (٣) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « أسوان » ، وهو الحزين ، وأساف الرجل : ذهب ماله ، وكذلك أنقض ، والمراد هنا أنه ذهب من يده وصل الحسان وميلهن إليه . (٤) ديوانه ١ : ١٤٤ ، الشهاب ٢٠ - ٢١ . (٥) قال الرضى في الشهاب تعليقا على هذا البيت : ووجدت الآمدى قد نزل في معنى قوله :

* يَشْرِي جَدِيدَ بَيَاضِهَا بِسَوَادِ *

لأنه قال : معنى يشرى يبيع ؛ وأراد : أن الغين من باع جديد بياضه بالسواد ، وأراد بالسواد الحضاب ؛ فكأنه ذم الحضاب . والأمر بخلاف ما ذكره ، وما جرى للخضاب ذكر ، ولاها هنا موضع للسكاية عنه ؛ ومعنى : « يشرى » هاهنا يبتاع ؛ لأن قولهم : شريت يستعمل في البائع والمبتاع جميعا ؛ وهذا من الأضداد ، نص أهل اللغة على هذا في كتبهم ؛ فكأنه شهد بالغين لمن يبتاع الشيب بالشباب ويتعوض عنه به ؛ وإنما ذهب على الآمدى أن لفظة « يشرى » تقع على الأمرين المضادين ؛ فتعجل ذكر الحضاب الذى لامعنى له هاهنا .

وَأَرَى الشَّبَابَ عَلَى غُضَارَةٍ حُسْنِهِ وَكَأَلِهِ عَدَدًا مِنْ الْأَعْدَادِ^(١)

/ وقال أيضا :

[٢٠٩]

أَيْثَنَى الشَّبَابُ أُمَ مَا تَوَلَّى مِنْهُ فِي الدَّهْرِ دَوْلَةٌ مَاتَعُودُ^(٢)
لَا أَرَى الْعَيْشَ وَالْمَفَارِقُ بَيْضُ أَسْوَةِ الْعَيْشِ وَالْمَفَارِقُ سُودُ
وَأَعْدُ الشَّقَى جَدًّا وَلَوْ أَعُ طَى غُنْمًا حَتَّى يُقَالَ سَعِيدُ
مَنْ عَدَّتْهُ الْعُمُونَ وَانْصَرَفَتْ عَنْهُ الْتِفَاتًا إِلَى سِوَاهِ الْخُدُودِ

وقال أيضا :

قَدْ كَرِهْتُ مَنِي فَمَا جَرَى السُّقْمُ إِلَّا فِي ضُلُوعٍ عَلَى جَوَى الْحَبِّ تُحَنَّى^(٣)
لَوْرَاتُ حَادِثِ الْخِضَابِ لَأَنْتَ وَأَرَنْتَ مِنْ أَحْمَارِ الْبِرْنَا^(٤)
كَكَلَفُ الْبَيْضِ بِالْمُعَمَّرِ قَدْرًا حِينَ يَكْلَفُنَ وَالْمَصْفَرِّ سِنًا^(٥)
يَتَشَاغَفَنَّ بِالْغَرِيرِ الْمُسَمَّى مِنْ تَصَابٍ دُونَ الْجَلِيلِ الْمَكْنَى^(٦)

(١) قال المرتضى في الشهاب أيضا : « وقال الأمدى في قوله : عددا من الأعداد » أنه أراد : عددا قليلا ؛ وقد أصاب في ذلك ؛ إلا أنه ما ذكر شامده وجهه ؛ والعرب تقول في الشيء القليل إنه معدود ؛ لذا أرادوا الإخبار عن قلته ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَشَرُّهُ بِثَمَنِ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾ وقال جل اسمه في موضع آخر : ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ﴾ وأظنهم ذهبوا في وصف القليل بأنه معدود من حيث كان العد والحصر لا يقع إلا على القليل والكثير ؛ ولكن كثرته لا ينضب ولا ينحصر . (٢) ديوانه ١ : ٢٠٨ ، الشهاب : ١٨ ؛ وبرده : جمع رد ؛ وهو كساء مربع مخطط . (٣) ديوانه ٢ : ٢٩٠ ، الشهاب : ١٩ . (٤) البرنا ، بضم الباء وفتحها ، مقصورة مشددة النون ، والبرناء ، بالضم والمد : الحناء ؛ ويرنأ صبغ به ، كحنأ ؛ وهو من غريب الأفعال . (٥) في حاشية الأصل ف : السكاف : الحبة ؛ وهذا كما قال أبو الشيس : شيطان لا تصبو النساء إليهما حَلُّ الشَّيْبِ وَحُلَّةُ الْإِنْفَاضِ

(٦) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « الكبير » .

وقال أيضاً :

أُخِيَّ إِنَّ الصَّبَا اسْتَمَرَّ بِهِ سِيرُ اللَّيَالِي فَأَنْهَجَتْ بُرْدُهُ (١)
تَصُدُّ عَنِّي الْحِسَانَ مُبِيعِدَةً إِذْ أَنَا لَا قُرْبُ بِهِ وَلَا صَدْدُهُ
شَيْبٌ عَلَى الْمَفْرَقَيْنِ بَارِضُهُ يَكْثُرُنِي أَنْ أَيْبِنَهُ عَدَدُهُ (٢)
تَطْلُبُ مِنِّي الشَّبَابَ ظَالِمَةً بُعِيدَ خَمْسِينَ حِينَ لَا تَجِدُهُ
لَا عَجَبٌ إِنْ مَلَلْتُ خُلَّتْنَا فَافْتَمَدَ الْوَصْلَ مِنْكَ مُفْتَقِدُهُ
مَنْ يَتَطَاوَلُ عَلَى مُطَاوَلَةٍ أَوْ مَيْشُ تَقَعَّقَ مَنْ مَلَّةٍ عَمْدُهُ

قال سيدنا أدام الله تمكينه : ورأيت الآمدى قد أخطأ في معنى البيت الأخير ، لأنه قال : "معنى «تَقَعَّقَ مِنْ مَلَّةٍ عَمْدُهُ» أى عظامه ، يحى لها صوت إذا قام وقعد من كبره وضعفه"
١٠ قال : "وقوله : « من مَلَّة » أى من تملّى العيش ؛ يريد طوله ودوامه ؛ ومنه تملّيت حبيبك"
والأمر بخلاف ما توهمه ، ومعنى «تَقَعَّقَ مِنْ مَلَّةٍ عَمْدُهُ» أَنَّ مَنْ تَطَاوَلَ عَمْرُهُ تَعَجَّلَ [٢١٠] تَرَحُّلُهُ وانتقاله عن الدنيا ؛ وكفى عن ذلك / بتقعقع العمد ؛ وهذا مثل معروف للعرب ، يقولون : « مَنْ يَتَجَمَّعُ يَتَقَعَّقُ عَمْدَهُ » ؛ يريدون أَنَّ التَّجَمُّعَ داعى التفرق ؛ وأنَّ الاجتماع يعقب ويورث ما يدعو إلى الانتقال الذى يتقعقع معه العمد .

والآمدى على كثرة ما يدعيه من التنقيب والتنقيير على علوم العرب إن كان لم يعرف
١٥ هذا المثل ومعناه فهو طريف ، وإن كان قد سمعه وجهل أن معنى بيت البحتري يطابقه فهو أطرف .

فأما قوله : « من مَلَّة » فإنما أراد به من مَلَل ؛ ومَلَّة « فَعْلَمَةٌ » من المَلَل ، وكيف يكون

(١) ديوانه : ١ : ١٤٥ ، الشهاب : ٣٠ . (٢) حاشية الأصل : « البارض : النبت أول

ما يبدو من البهمى ، وهو شوك . أَيْبِنَهُ : أزيله . يَكْثُرُنِي : يغلبني بالكثرة .

من تملّى العيش، ولم يسمع في تملّيت «مَلَّة» ! وهذا خطأ على خطأ^(١).

وقال البحتري :

مَا كَانَ شَوْقِي بِيَدْعِ يَوْمَ ذَاكَ وَلَا
وَلِمَّةٍ كُنْتُ مَشْغُوفًا بِجَدَّتِهَا
دَمْعِي بِأَوَّلِ دَمْعٍ فِي الْهَوَى سُفْحًا^(٢)
فَمَا عَفَا الشَّيْبُ لِي عَنْهَا وَلَا صَفْحًا

وقال أيضاً :

وَمَا أُنْسَ لَا أُنْسَ عَهْدَ الشَّبَابِ وَعَلَوَةَ إِذْ عَيَّرَتْنِي الْكِبَرُ^(٣)
كَوَاكِبُ شَيْبٍ عَلِقْنَ الصَّبَا فَقَلَّلْنَ مِنْ حُسْنِهِ مَا كَثُرُ
وَأِنِّي وَجَدْتُ وَلَا تُكْذِبَنَّ سَوَادَ الْهَوَى فِي بَيَاضِ الشَّعَرِ
وَلَا بَدَّ مِنْ تَرَكٍ إِحْدَى اثْنَتَيْنِ إِمَّا الشَّبَابِ وَإِمَّا الْعُمُرُ

قال الآمدي : ” وعليه في قوله :

ولا بدَّ من تَرَكٍ إِحْدَى اثْنَتَيْنِ إِمَّا الشَّبَابِ وَإِمَّا الْعُمُرُ
معارضة ، وهو أن يقال له : إنَّ مَنْ مات شاباً فقد فارق الشباب وفاته العمر أيضاً ،
فهو تارك لها معاً ، وَمَنْ شاب فارق الشباب ، وهو مفارق للعمر لا محالة ؛ فهو أيضاً تارك
لها جميعاً “ .

(١) وعاد المرتضى فبسط هذا النقد مرة ثانية في كتابه الشهاب فقال : ” وقد نبهنا في كتاب الفرر على
هفوة الآمدي في قول البحتري : « تَقَعَّقَ مِنْ مَلَّةٍ عَمْدُهُ » ؛ لأنه ظن أن معناه أن عظام الكبير
السن يجيء لها صوت إذا قام وقعد ، وتسمع لها قعقة ؛ وما سمعنا بهذا الذي ظنه في وصف ذوى الأسنان
والكبر ؛ والمعنى أظهر من أن يخفى على أحد ؛ لأنه أراد : من عمر وأسن وطاول العيش تعجل رحيله وانتقاله
عن الدنيا ؛ وكفى عن ذلك بتقعق العمدة ؛ لأن ذوى الأطناب والحيام إذا انتقلوا من محل إلى غيره وقوضوا
عمد خيامهم ، وسارت بها الإبل سمعت لها قعقة ، ومن أمثال العرب المعروفة : « من يتجمع يتقعق عمده » ،
يريدون أن التجمع يعقب التفرق والرحيل الذي يتقعق معه العمدة . ومعنى قوله : « من ملة » يريد من السأم
والملال دون . اظنه الآمدي من أنه تملّى العيش “ . (٢) ديوانه ١ : ١١٤ . (٣) ديوانه ١ : ٢١٩ .

”وقوله : «إما وإمّا» لا نوجب إلا إحداها“ قال : ”والعذر للبحترى أن يقال : إن مَنْ مات شاباً فقد فارق الشباب وحده لأنه لم يعمّر ، فيكون مفارقاً للعمر ألا ترى أنهم يقولون : عمّر فلان إذا أسنّ ، وفلان لم يعمّر إذا مات شاباً ، ومنْ شاب وُعمّر ثم مات لم يكن مفارقاً للشباب في حال موته ؛ لأنه قد قطع أيام الشباب ، وتقدمت مفارقتُهُ له ، وإنما يكون في حال موته مفارقاً للعمر وحده ، وإلى هذا ذهب البحتري ، وهو صحيح / ولم يُردْ بالعمر المدّة القصيرة [٢١٠] التي يعمّرُها الإنسان ، وإنما أراد بالعمر هاهنا الكبير ، كما قال زهير :

رَأَيْتُ الْمَنَايَا خَبَطَ عَشَوَاءَ مَنْ تُصِبُ ثُمْتُهُ ، وَمَنْ تَخْطِي يُعْمَرُ قِيَهَرَمُ (١)

قال رضى الله عنه : وما رأيت أشدّ تهافتاً في الخطأ منه فيما يفسّره ويتكلم عليه من شعر هذين الرجلين ! ومعنى البيت غير ما توهمه ؛ وهو أظهر من أن يخفى ؛ حتى يحتاج فيه إلى هذا التغلغل والتعسف ؛ وإنما أراد البحتري أن الإنسان بين حالين : إما أن يفارق الشباب بالشَّيب ، أو العمر بالموت ؛ فمن مات شاباً - وإن كان قد خرج من العمر ، وخرج بخروجه عن سائر أحوال الحياة من شباب وشيب وغيرهما - فإنه لم يفارق الشباب وحده ؛ وإنما فارق العمر الذى فارق بمفارقتة الشباب وغيره . وقِسْمة الرجل تناولت أحد الأمرين : إمّا مفارقة الشباب وحده بلا واسطة - وأن يكون ذلك إلا بالشَّيب - أو مفارقة العمر بالموت . وتلخيص كلامه : أنه لا بدّ للحى من شيب أو موت ، فكأن الشيب والموت متعاقبان ؛ والبحتري إنما جعل قوله : «العمر» مقام الحياة والبقاء ، وإنما قال : «العمر» لأجل القافية ؛ مع أنه مُنبئٌ عن مراده ؛ ولو أنه قال : ولا بدّ من ترك الحياة أو ترك الشباب لقام مقام قوله : «العمر» .

أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانى قال حدثنى على بن محمد الكاتب قال حدثنا أحمد بن عبيد الله قال : من معانى ابن الرومى التى فتهها قوله يذمّ من جمل مصيبة غيره مُنْسِية له مصيبتَه ، وعاب

(١) من المعلقة ، ديوانه : ٢٩ ؛ خبط عشواء ؛ أى تسير على غير قصد ؛ يقال : عشا يعشوا عشا إذا أصابه المشاء ؛ وهو السير على غير بصر .

مَنْ تَعَلَّلَ بِالتَّاسِيِّ بِمَا نَالَ غَيْرَهُ، وَهُوَ يَرِثِي شَبَابَهُ ، وَأَحْسَنَ :

يَا شَبَابِي وَأَيْنَ مَنِّي شَبَابِي ! آذَنْتَنِي أَيَّامُهُ بِانْقِضَابِ^(١)
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى نَعِيمِي وَلَهْوِي ! تَحْتَ أَفْنَانِهِ اللَّدَانِ الرَّطَابِ
وَمُعَزِّيَّ عَنِ الشَّبَابِ مُؤَسِّ بِمَشِيبِ اللَّدَاتِ وَالْأَصْحَابِ
قُلْتُ لَمَّا انْتَحَى يَمَدُّ أَسَاهُ^(٢) مِنْ مَصَابِ شَبَابِهِ كَمَصَابِ
لَيْسَ تَأْسُو كُلُّهُمْ غَيْرِي كُلُّوْمِي مَا بِهِ مَا بِهِ ، وَمَا بِي مَا بِي

ولابن الرومي :

[٢١١] / لَهْفِي عَلَى الدُّنْيَا وَهَلْ لَهْفَةٌ
قُبْحًا لَهَا قُبْحًا عَلَى أَنَّهَا تَنْصِفُ مِنْهَا إِنْ تَلَهَّفْتُهَا^(٣)
وَقَدْ يَعْزِيْنِي شَبَابُ مَضَى أَقْبَحُ شَيْءٍ حِينَ كَشَفْتُهَا
فَكَّرْتُ فِي خَمْسِينَ عَامًا مَضَتْ وَمَدَّةٌ لِلْعَيْشِ اسْلَقْتُهَا
أُجْهِلْتُهَا إِذْ هِيَ مَوْفُورَةٌ كَانَتْ أُمَامِي ثُمَّ خَلَقْتُهَا
فَفَرَحَةٌ الْمَوْهوبِ أُعِدِّمْتُهَا ثُمَّ مَضَتْ عَنِّي فُزِّقْتُهَا
لَوْ أَنَّ عَمْرِي مَائَةٌ هَدَنِي وَتَرَحَّةُ الْمَسْلُوبِ أَلْجَفْتُهَا
تَذَكَّرِي أَنِّي تَنْصَفْتُهَا

وله في هذا المعنى ، وقد تقدمت هذه الأبيات في الأمالي السالفة ، وقد أحسن في معناها كل ١٥

الإحسان :

كَفَى بَسْرَاجِ الشَّيْبِ فِي الرَّأْسِ هَادِيَا إِلَى مَنْ أَضَلَّتْهُ الْمَنَايَا لِيَا لِيَا^(٤)
أَمِنْ بَعْدِ إِبْدَاءِ الْمَشِيبِ مَقَاتِلِي لِأَمِي الْمَنَايَا تَحْسِينِي نَاجِيَا !
غَدَا الدَّهْرُ يَرْمِينِي فَتَدْنُو سِهَامُهُ لِشَخْصِي أَخْلِقُ أَنْ يُصْبَنَ سَوَادِيَا
وَكَانَ كَرَامِي اللَّيْلِ يَرْمِي وَلَا يَرَى فَلَمَّا أَضَاءَ الشَّيْبُ شَخْصِي رَمَانِيَا ٢٠

(١) ديوانه، الورقة ٤٢ (٢) أساة : جمع أسوة ؛ وهو الفدوة . (٣) ديوانه ، الورقة ٤٤

(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « لمن قد أضلته » .

مَجْلِسٌ ٤٧ تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَأِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ ؛ [آل عمران : ١٢٨] :

فقال : كيف جاءت ﴿أَوْ﴾ بعد مالا يجوز أن يعطف عليه ؟ وما الناصب لقوله تعالى : ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ وليس في الكلام ما يقتضى نصبه ؟

الجواب ، قلنا : قد ذكر في ذلك وجوه :

٥

أولها أن يكون قوله : ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ معطوفاً على قوله : ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا﴾ والمعنى أنه تعالى عَجَّلَ لكم هذا النصر ، وَمَنْحَكُم به ليقطع طَرَفًا من الذين كفروا ، أى قِطْعَةً منهم ، وطائفة من جمعهم أو يكتبهم ؛ أى يغلبهم ويهزمهم بكم فيخيب سعيهم ، وَيُكَذِّبَ فيكم ظنوتهم ، أو يعظمهم ما يرون من تظاهر آيات الله تعالى ، الموجبة لتصديق [٢١١] / نبيه صلى الله عليه وآله ، فيتوبوا ويؤمنوا ، فيقبلُ الله تعالى ذلك منهم ، ويتوب عليهم ، أو يكفروا بعد قيام الحجج ، وتأكيد البينات والدلائل ، فيموتوا أو يُقْتَلُوا كافرين ؛ فيعذبهم الله باستحقاقهم في النار ؛ ويكون على هذا الجواب قوله تعالى : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ معطوفاً على قوله تعالى : ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ؛ أى ليس لك ولا لغيرك من هذا النصر شيء ؛ وإنما هو من الله تعالى .

والجواب الثانى أن يكون ﴿أَوْ﴾ بمعنى «حتى» ، أو «إلا أن» ؛ والتقدير : ليس لك من الأمر

١٥

شيء حتى يتوب عليهم ؛ أو إلا أن يتوب عليهم ، كما قال امرؤ القيس :

بكي صاحبي لما رأى الدَّربَ دُونَهُ وَأَيَّقَنَ أَنَا لِاحِقَانٍ بِقَيْصَرَا^(١)
فَقُلْتُ لَهُ : لَأَنْبِكَ عَيْنَكَ إِنَّمَا نَحَاوِلُ مُلْكًا ، أَوْ نَمُوتَ فَنُعْذَرَا
أَرَادَ : إِلَّا أَنْ نَمُوتَ

وهذا الجواب يضعف من طريق المعنى ؛ لأن لقائل أن يقول : إن أمر الخلق ليس إلى
أحدٍ سوى الله تعالى قبل توبة العباد وعقابهم بعد ذلك ؛ فكيف يصح أن يقول : ليس
٥ لك من الأمر شيء إلا أن يتوب عليهم أو يعذبهم ؛ حتى كأنه إذا كان أحد الأمرين كان
إليه من الأمر شيء !

ويمكن أن ينصر ذلك بأن يقال : قد يصح الكلام إذا أُحمِلَ على المعنى ؛ وذلك أن قوله :
﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ معناه : ليس يقع ما تريده وتؤثره من إيمانهم وتوبتهم ، أو
ما تريده من استئصالهم وعذابهم ، على اختلاف الرواية في معنى الآية وسبب نزولها ؛ إلا بأن
١٠ يلطف الله لهم في التوبة فيتوب عليهم أو يعذبهم ؛ وتقدير الكلام : ليس ما تريده من توبتهم
أو عذابهم بك ، وإنما يكون ذلك بالله تعالى .

والجواب الثالث أن يكون المعنى : ليس لك من الأمر شيء أو من أن يتوب الله عليهم ؛
فأضمر « من » اكتفاءً بالأولى ، وأضمر « أن » بعدها لدلالة الكلام عليها واقتضاءها ، وهي
مع الفعل الذي بعدها بمنزلة المصدر ؛ وتقدير الكلام : ليس لك من الأمر شيء ومن توبتهم
١٥ وعذابهم .

ووجدت أبا بكر محمد بن القاسم الأنباري يظمن على هذا الجواب ويستبعده ، قال : لأنَّ الفعل
لا يكون محمولا على إعراب الاسم الجامد ، الذي لا نصرث له على إضمار « أن » مع الفعل / [٢١٢]
لأنه ليس من كلام العرب : « عجبت من أخيك ويقوم » ، على معنى : « عجبت من أخيك ومن
و

(١) ديوانه : ١٠٠ . الدرب : باب السكة الواسع ؛ وهو هنا كل مدخل إلى الروم فهو درب ؛
وصاحبه عمرو بن قبيصة الشاعر ؛ وكان رفيق امرئ القيس في رحلته .

أن يقوم» ، لأن أخاك اسم جامد محض ، لا يعطف عليه إلا ما شاكله . وقال : وهذا إذا يستقيم ويصلح في ردّ الفعل على المصدر ، كقولهم : «كرهت غضبك وأن يغضب أبوك» ؛ على معنى : «كرهت غضبك وأن يغضب أبوك» ، فيطرد هذا في المصادر ، لأنها تتأول بـ «أن» فيقول النحويون : «يعجبني قيامك» ، وتأويله : «يعجبني أن تقوم» ، قال : والاسم الجامد لا يمكن مثل هذا فيه . ٥

وليس الذي ذكره ابن الأنباري مستبعداً ، وإن لم يضعف هذا الجواب إلا من حيث ذكر فليس بضعيف ؛ وذلك أن فيما امتنع منه مثل الذي أجازته ؛ لأنه قد أجاز ذلك في المصادر ، وإن لم يجزه في غيرها .

وقوله تعالى : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ فيه دلالة الفعل ، لأن «الأمر» مصدر أمرت أمراً ؛ فكأنه تعالى قال : ليس لك من أن أمرهم أو تأمرهم شيء ، ولا من أن يتوبوا ، وجرى ذلك مجرى قولهم : «كرهت غضبك ويغضب أبوك» ، في رد الفعل على المصدر ؛ والوجه الأول أقوى الوجوه ؛ والله أعلم بمراده . ١٠

تأويل خبر

إن سأل سائل عن الخبر الذي يرويه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : «لأننا جشوا ولا تدأبروا ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه» .

الجواب ، قيل له : أما النجش فهو المدح والإطراء ، قال نابغة بنى شيبان يذكر الخمر :
وَتُرَخَّى بِالْ مَنْ يَشْرِبُهَا وَيُقَدَّى كَرَمَهَا عِنْدَ النَّجَشِ^(١)

١٥

أى عند مدحها ، ومنه النجش في البيع ؛ وهو مدح السلعة والزيادة في ثمنها من غير إرادة لشرائها ؛ بل ليقتدى بالزائد في زيادته غيره ؛ وأصل النجش استخراج الشيء والتنقيز عنه ، قال بعض الفقهاء :
عن

أَجْرَسُ لَهَا يَابْنَ أَبِي كِبَاشٍ^(١) فَمَا لَهَا اللَّيْلَةَ مِنْ إِنْفَاشٍ^(٢)
غَيْرَ الشَّرَى وَسَائِقٍ نَجَّاشٍ أَسْمَرَ مِثْلَ الْحَيَّةِ الْخَشْخَاشِ

والنجاش : هو المستثير لسيرها ، والمستخرج لما عندها منه ، ومعنى : أَجْرَسُ لَهَا ، أى
أَحْدُ لَهَا لتسمع / الحذاء فتسير ، وهو مأخوذ من الجرّس وهو الصوت ؛ ومعنى : [٢١٢]
الإنفّاش ، أراد أنها لا تُترك ترعى ليلاً ، والنفش أن ترعى الإبل ليلاً ، وقد أنفشتها إذا أرسلتها
بالليل ترعى .

والخشخاش : الخفيف الحركة السريع القلب .

والنجش فى البيوع يرجع معناه إلى هذا أيضاً؛ لأن الناجش يستثير بزيادته فى الثمن ،
ومدحه السلعة الزيادة فى ثمنها ؛ فيكون معنى الخبر على هذا : لا تناجشوا ، أى لا يمدح
أحدكم السلعة فيزيد فى ثمنها ، وهو لا يريد شراءها ليسمعه غيره فيزيده . ١٠

وقد يجوز أيضاً أن يريد بذلك : لا يمدح أحدكم صاحبه من غير استحقاق ليستدعى
منفعته ، ويستثير فائدته ؛ وهذا المعنى أشبه بأن يكون مراده عليه السلام ، لأن قوله : « ولا تدابروا »
أشدُّ مطابقة له .

ومعنى : « لا تدابروا » أى لا تهاجروا ويوتئ كل واحد صاحبه دُبْرَ وجهه ، قال
الشاعر : ١٥

وَأَوْصَى أَبُو قَيْسٍ بَأَنْ تَتَوَاصَلُوا وَأَوْصَى أَبُو كُرْمٍ، وَيَحْكُمُ! أَنْ تَدَابَرُوا^(٣)
فَكَأَنَّهُ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا تَهَادَحُوا وَتَتَوَاصَلُوا بِالْمَدْحِ الَّذِي لَيْسَ بِمُسْتَحَقٍّ، وَلَا تَهَاجَرُوا
وَتَتَقَاطَعُوا .

(١) اللسان (جرس) ؛ وفى حاشية الأصل : « صوت الجرّس ؛ وروى ابن السكيت : « أجرجش » ،
وأنكروا عليه : أجرجشت الشيء إذا لم تنعم دقه » .

(٢) حاشية الأصل : « نفشت الإبل : تفرقت فى المرعى ، وأنفشتها أنا ، أى ليس لها الليلة استراحة » .

(٣) اللسان (دبر) ، من غير نسبة .

فأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «كلُّ المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه»، فقد ذهب قوم إلى أن عَرَضَ الرجل إنما هو سلفه من آبائه وأمهاته؛ ومن جرى مجراهم.

وذهب ابن قتيبة إلى أن عَرَضَ الرجل نفسه، واحتج بحديث النبي صلى الله عليه وآله حين ذكر أهل الجنة فقال: «لا يبولون ولا يتغوطون؛ إنما هو عَرَقٌ يجرى من أعراضهم مثل المسك»؛ أي من أبدانهم؛ قال: ومنه قول أبي الدرداء: «أقرض من عَرَضِكَ ليوم فقرك» ٥ أراد مَنْ شتمك فلا تشتمه، ومن ذكرك بسوء فلا تذكره به، ودع ذلك قرضاً عليه ليوم الجزاء والقصاص.

واحتج أيضاً بحديث الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضَمْضَم! كان إذا خرج من منزله قال: اللهم إني قد تصدقت بعرضي على عبادك»؛ قال: فمعناه قد تصدقت بنفسى وأحلت من يمتابني، فلو كان العرض الأسلاف ماجاز أن يُحِلَّ مَنْ سَبَّ الموتى؛ لأن ذلك إليهم لا إليه.

قال: ويدل على ذلك أيضاً حديثُ سفيان بن عيينة: «لو أن رجلاً أصاب / من عرض رجل شتماً ثم تورّع من بعد؛ فجاء إلى ورثته بعد موته فأحلّوه له، ولم يكن ذلك كفارة له، ولو أصاب من ماله شيئاً ثم دفعه إلى ورثته؛ لكنّا نرى أن ذلك كفارة له».

١٥ قال: ويدل على أن عرض الرجل نفسه قول حسان:

هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ وعند الله في ذلك الجزاء^(١)
فإنّ أبى ووالده وعرضي لعرضِ مُحَمَّدٍ منكم وقاء

(١) ديوانه: ٩؛ يخاطب أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ويهجوه؛ وقبله:

ألا أبلغ أبا سفيان عنّي فأنت مجوفٌ نخبٌ هواءٌ
بأن سيوفنا تركتك عبداً وعبدُ الدار سادتها الإمام

والآيات في الاقتضاب: ٣٠٠؛ ونقل عن محمد بن الحسن بن دريد بسنده: «وأنشد النبي صلى الله عليه وسلم قصيدته التي أولها:

عَفَتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجَوَاءُ إلى عذراء منزلها خلاءٌ =

أراد : فإنَّ أبى وجدِّي ونفسي وقالا لنفس محمد، صلى الله عليه وآله .
وقال آخرون—وهو الصحيح : العَرَض موضع المدح والذم من الإنسان ، فإذا قيل : ذَكَرَ
عَرَضُ فلان ، فمعناه ذكر ما يرتفع به أو ما يسقط بذكره ، ويُمدح أو يذم به ، وقد يدخل
في ذلك ذكر الرجل نفسه ، وذكر آبائه وأسلافه ؛ لأن كل ذلك مما يمدح به ويذم ؛ والذي
يدل على هذا أن أهل اللغة لا يفرقون في قولهم : «شتم فلان عَرَضُ فلان» بين أن يكون
ذَكَرَهُ في نفسه بقبيح الأفعال ، أو شتم سلفه وآبائه ؛ ويدل عليه قول مسكين الدارمي :
رُبَّ مَهْزُولٍ سَمِينٍ عَرَضُهُ وَسَمِينٍ الْجِسْمِ مَهْزُولٍ الْحَسَبِ^(١)
فلو كان العرض نفس الإنسان لكان الكلام متناقضاً ؛ لأن السمين والهزال يرجعان إلى
شيء واحد ؛ وإنما أراد : رُبَّ مَهْزُولٍ كريمة أفعاله ، أو كريم آبائه وأسلافه ؛ وقد قال ابن
عبدل الأسدَى^(٢) :

١٠

= حتى انتهى إلى قوله :

يَجُوتُ مُحَمَّدًا وَأَجِبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجِزَاءُ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : جزاؤك على الله الجنة يا حسان ؛ فلما انتهى إلى قوله :

فإنَّ أبى ووالده وعِرْضى لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ

قال رسول الله صلى الله عليه : وقاك الله يا حسان النار ؛ فلما قال :

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتُ لَهُ بِنَدٍّ فَشَرُّكُمْ خَيْرُكُمْ الْفِدَاءُ

فقال من حضر : هذا أنصف بيت قالته العرب . (١) بعده :

كَسَبَتْهُ الْوَرِقُ الْبَيْضُ أَبَاً وَلَقَدْ كَانَ وَمَا يُدْعَى لِأَبٍ

وانظر الأغاني ١٨ : ٧٠ ، وأمالى القالى ١ : ١١٨ ، والآلى : ٣٥٢ .

(٢) من مقطوعة في أمالى القالى ٢ : ٢٦١ ، عدد أبياتها أربعة عشر بيتاً ؛ ومنها في حماسة أبي تمام — بشرح

المرزوقى ١١٦٣ — ١١٦٤ ستة أبيات ؛ وذكر القالى من خبر هذه الأبيات أنه "اجتمع الشعراء بباب

الحجاج ؛ وفيهم الحكم بن عبدل الأسدَى فقالوا : أصالح الله الأمير ! إنما شعر هذا في الفأر وما أشبهه ،

قال : ما يقول هؤلاء يابن عبدل ؟ قال : اسمع أيها الأمير ، قال : هات ، فأنشده الأبيات ؛ حتى انتهى

إلى قوله :

ولستُ بذى وجهين فيمنُ عرفتُهُ ولا البخلُ فأَعْلَمُ من سماءى ولا أرضى

وَأَيُّ لَاسْتَعْنِي فَمَا أَبْطَرُ الْغِنَى ، وَأَبْذُلُ مَيْسُورِي لِمَنْ يَبْتَغِي قَرْضِي ^(١)
وَأَعْسِرُ أَحْيَانًا فَتَشْتَدُّ عُسْرَتِي وَأَدْرِكُ مَيْسُورَ الْغِنَى وَمَعَى عِرْضِي
ولا يابق ذلك إلا بما ذكرناه .

قال سيدنا أدام الله تأييده: وجدت أبا بكر بن الأنباري قد ردّ على ابن قتيبة قوله هذا
هـ وطمعن على ما احتج به ، فقال في الحديث المروي عنه عليه السلام في وصف أهل الجنة : إن
المراد بالأعراض مغاير ^(٢) الجسد .

وحكى عن الأموي أنه قال : الأعراض المغاير التي تعرق من الجسد ؛ نحو الإبطين
وغيرهما ، وقال في حديث أبي الدرداء : معناه : من عابك / ، وذكر أسلافك ، فلا تجازيه ؛ ليكون
الله تعالى هو المثيب لك .

١٠ وقال في قول أبي ضمضم : معناه أنه أحلّ من أوصل إليه أذى بذكره وذكر آبائه فلم
يحلّ إلا من أمرٍ إليه .

وقال في قول حسان : المراد بعرضه أيضاً أسلافه ؛ كأنه قال : إن أبي ووالده وجميع
أسلاف الذين أمدح وأذم من جهتهم وقاء له عليه السلام ، فأتى بالعموم بعد الخصوص ؛ كما
قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ ؛ ر : ٨٧ ،
١٥ فأتى بالعموم بعد الخصوص ؛ ولم أجده ذكر في خبر سفيان بن عيينة شيئاً ؛ وتأويله يقرب
من تأويل خبر أبي ضمضم ، لأنّ من آذى رجلاً بسببه في نفسه ، أوسب سلفه وأدخل عليه
بذلك وضعاً ونقصاً لم يكن إلى ورثته بعد موته الإحلال من ذلك ، لأنّ الأذى لم يدخل
عليهم ، ولو كان داخلاً عليهم أيضاً مع دخوله على المسبوب لكان إحلالهم مما يرجع إلى غيرهم
لا يصح ؛ على أن في الإحلال من الضرر وسقوط العوض المستحق عليه ، وهل يسقط بإسقاط
٣٠ مستحقه أم لا ؟ فيه كلام ليس هذا موضعه ، وقد ذكرناه في مواضع .

== فلما سمع الحجاج هذا البيت فضله على الشعراء بجائزة ألف درهم في كل مرة يعطيهم .

(١) أبطر الغنى ، أى أبطر في الغنى حتى أذهب عن سنن الشكر . وأعرض ميسوري ؛ يريد يسري ؛

وضع اسم المفعول موضع المصدر . (٢) المغاير : معاطف الجلد ؛ جمع مقين .

وبعد، فلو سلّم لابن قتيبة أن المراد بالعرض في كلّ المواضع التي ذكرناها النفس دون السلف، أو سلّم له ذلك في بيت حسان خاصة؛ فإنه أقرب إلى أن يكون المراد به ما ذكره لم يقدح فيما ذكرناه؛ لأننا لم نقل: إن العرض مقصور على سلف الإنسان، بل ذكرنا أنه موضع الذم والمدح من الإنسان، ولا فرق بين سلفه ونفسه؛ فكيف يكون الاحتجاج بما المراد بالعرض فيه النفس طعناً علينا، وإنما ينفع ابن قتيبة أن يأتي بما يدل على أن العرض لا يستعمل إلا في النفس دون السلف، وكل شيء فيما المراد بالعرض فيه النفس، أو المراد به السلف فهو مؤكّد لقولنا في أن هذه اللفظة مستعملة في موضع الذم والمدح من الإنسان؛ وإنما يكون ما استشهدنا به، وما جرى مجراه؛ مما يدل على استعمال لفظ «العرض» في السلف حجة على ابن قتيبة؛ لأنه قصر معناها على النفس والذات، دون السلف؛ وهذا واضح بين بحمد الله.

أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم ١٠ قال: كان أبو عبيدة / معمر بن المثنى صفرياً^(١)، وكان يكتم ذلك؛ فأنشدني لعمران بن حطان^(٢): [٢١٤]

(١) في حاشيتي الأصل، ف: «الصفريّة: جنس من الخوارج، سمو بذلك لاصفرار وجوههم؛ وقيل: نسبوا إلى رجل اسمه صفار».

(٢) هو أبو سماك عمران بن حطان بن ذبيان السدوسي؛ رأس القعدة من الصفريّة، وخطيبهم وشاعرهم، أدرك جماعة من الصحابة ورؤي عنهم، ثم لحق بالشرعة، فطلبه الحجاج فهرب إلى الشام، فطلبه عبيد الملك بن مروان ففر إلى عمان، ولما طال عمره قعد عن الحرب، واكتفى بالتجريض والدعوة بشعره؛ وتوفي سنة ٨٤. وهذه الأبيات يقولها في رثاء أبي بلال مرداس بن أدية؛ وكان قد قتل في إمارة عبيد الله بن زياد، سنة ٦١؛ وهي برواية أبي العباس المبرد:

ياعينُ بكي لمرداسٍ ومصرعه	ياربّ مرداسٍ اجملني كمرداسٍ
تركتني هائماً أبكي لمرزاتي	في منزلٍ موحشٍ من بعد إيناسٍ
أنكرتُ بعدك ما قد كنتُ أعرفه،	ما الناس بعدك يامرداسٍ بالناسٍ
إمّا شربتُ بكأسٍ دار أوّلها	على القرونِ فذاقوا جرعة الكاس
فكلّ من لم يذقها شاربٌ عجلاً	منها بأنفاسٍ وردي بعد أنفاسٍ

وانظر الإصابة ٨١: ٥، والسكامل - بشرح المرصفي ٧: ٨٣.

أَنْكَرْتُ بِمَدِّكَ مَنْ قَدْ كُنْتُ أُعْرِفُهُ، مَا النَّاسُ بِمَدِّكَ يَا مِرْدَاسُ بِالنَّاسِ
إِمَّا تَكُنْ ذُقْتَ كَأْسًا دَارَ أَوَّلُهَا عَلَى الْقُرُونِ فذَاقُوا نَهْلَةَ الْكَاسِ
قَدْ كُنْتُ أَبْكِيكَ حِينًا قَدْ يَيْسْتُ نَفْسِي فَمَا رَدَّ عَنِّي عَبْرَتِي يَا سِي

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا ابن دريد قال حدثنا الأشناداني قال قال
التوزي : كنت إذا أردت أن أنشط أبا عبيدة سألته عن أخبار الخوارج فأبعج منه تبج
بحرٍ ؛ فجئته يوماً وهو مطرق ينسكت الأرض في صحن المسجد ؛ وقد قربت منه الشمس ،
فسلمت عليه فلم ير دد^(١) ، فتمثلت :

وَمَا لِلْمَرْءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ إِذَا مَا عَدَّ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ

— والبيت لقطري بن الفجاءة — فنظر إلى وقال : ويحك ! أتدري مَنْ يقوله ؟ قلت :

١٠ قطري ، فقال : اسكت ، رض^(٢) الله فاك ! فلا قلت : أمير المؤمنين أبو نعمة^(٣) ! ثم انتبه
فقال : اكنمها على ياتوزي ، فقلت : هي ابنة الأرض ، فأنشدني :

أَقُولُ^(٤) لَهَا إِذَا جَاشَتْ حَيَاءً مِنَ الْإِبْطَالِ وَيَحْكُ كَنْ تُرَاعِي^(٥)
فَإِنَّكَ لَوْ طَلَبْتَ حَيَاةَ يَوْمٍ عَلَى الْأَجَلِ الَّذِي لَكَ لَمْ تَطَاعِي^(٦)
فَصَبْرًا فِي مَجَالِ الْمَوْتِ صَبْرًا فَمَا نِيلُ الْخُلُودِ بِمُسْتَطَاعِ

(١) د ؛ ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف ، : « فلم يرد » (٢) حاشية الأصل (من نسخة) :
« فصر الله فاك » . (٣) هي كنية قطري بن الفجاءة بن مازن الخارجي ؛ كان زعيماً من زعماء الخوارج ؛ خرج
زمن مصعب بن الزبير سنة ٦٦ ، وبقى عشرين سنة يقاتل ويسلم عليه بالخلافة ؛ وكان الحجاج يسير إليه
جيشاً ، وهو يستظهر عليه ، إلى أن توجه إليه سفيان بن أبرد السكبي ، فظهر عليه وقتله سنة ٧٨ ، (ابن
خلكان ١ : ٤٣٠) . (٤) الأبيات في الحماسة — بشرح التبريزي ١ : ٩٦-٩٧ .

(٥) د ، ومن نسخة بحاشية الأصل : « وقد جاشت » . وفي حاشية الأصل (من نسخة) :
« وقد طارت حياء » ، ورواية الحماسة : « وقد طارت شعاعاً » ؛ الشعاع : التفرق ، والخطاب لنفسه ؛
ولن تراعي ، من الروع ، وهو الزرع . (٦) الحماسة : « بقاء يوم » .

وَمَا طُولُ الْحَيَاةِ بِثَوْبٍ مَجْدٍ فَيُطَوَّى عَنْ أَخِي الْخَنْعِ الْبِرَاعِ^(١)
 سَبِيلُ الْمَوْتِ مَنْهَجٌ كُلُّ حَيٍّ وَدَاعِيهِ لِأَهْلِ الْأَرْضِ دَاعٍ^(٢)
 وَمَنْ لَا يُعْتَبَطُ يَسَامُ وَيَهْمُ وَتُفَضُّ بِهِ الْمَنُونُ إِلَى انْقِطَاعِ^(٣)
 وَمَا لِلْمَرءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ إِذَا مَاعِدَةٌ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ

٥

فكبتها وقت لأنصرف ؛ فقال : اقعد ، ثم أنشدني :

إِلَى كَمْ تَعَارِيضِ السُّيُوفِ وَلَا أَرَى مُغَارَاتِهَا تَدْعُو إِلَى حِمَامِيَا^(٤)
 أَفَارِغُ عَنْ دَارِ الْخُلُودِ وَلَا أَرَى بَقَاءً عَلَى حَالٍ لِمَا لَيْسَ بَاقِيَا
 / وَلَوْ قَرَّبَ الْمَوْتَ الْقِرَاعُ لَقَدْ أَنَى لِمَوْتِي أَنْ يَدْنُو لِطَوْلِ قِرَاعِيَا
 أَغَادِي جَلَادَ الْعَالَمِينَ كَأَنِّي^(٥) عَلَى الْعَسَلِ الْمَآذِيَّ أَصْبَحُ غَادِيَا^(٦)

[٢١٤]
ظ

- (١) الحماسة : « ثوب عز » . الخنع : الجنب ، والبراع : الجبان الضعيف .
 (٢) حاشية ف (من نسخة) : « غاية كل حي » ، وهي رواية الحماسة .
 (٣) ف :

* وَيُفَضُّ بِهِ الْبَقَاءُ إِلَى انْقِطَاعِ *

ورواية الحماسة :

* وَتُسَلِّمُهُ الْمَنُونُ إِلَى انْقِطَاعِ *

- والاعتباط : أن الحي يموت من غير علة ؛ أي من لم يمت شابا مات هزما
 (٤) د ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « تعاريني » ، وفي حاشية الأصل ، ف : « المعارة ، بالعين
 المهملة : من العرى ، أي نلقاني السيوف عارية ، وبالعين المعجمة : من غرى به إذا أواح ، والمفارقة أيضا :
 المتابعة بين الشيعين ، يقال غاربت بين الشيعين ، إذا واليت بينهما » . وفي : « تعاريني » ، تحريف .
 (٥) د ، ومن نسخة مجاشيتي الأصل ، ف : « الملعين » ، بكسر اللام ، والمعلم : الفارس الذي علم
 مكانه في ساحة الحرب بعلامة أعلمها ؛ ومنه قول الشاعر :

فتمرت فوني أننى أنا ذا كُفُّ شالكٍ سلاحي في الحوادث معلِم

وقول الأخطل :

ما زال فينا رباط الخليل معلِمةً وفي كليبٍ رباط اللؤم والعارِ

(٦) المآذى : العسل الأبيض .

وَأَدْعُوْا الْكِمَاةَ لِلزَّالِ إِذَا الْقِنَا تَحَطَّمْ فِيمَا بَيْنَنَا مِنْ طِمَانِيَا
وَلَسْتُ أَرَى نَفْسًا تَمُوتُ وَإِنْ دَنْتُ مِنْ الْمَوْتِ حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ دَاعِيَا^(١)
فَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ : وَهَذَا الشَّعْرُ أَيْضًا لِقَطْرَى بْنِ الْفُجَاءَةِ .

- أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّكَّاتِبِ قَالَ أَخْبَرَنَا ابْنُ دُرَيْدٍ قَالَ أَخْبَرَنَا أَبُو حَاتِمٍ قَالَ :
- جِئْتُ^(٢) أَبَا عُبَيْدَةَ يَوْمًا ، وَمَعِيَ شَعْرُ عُرْوَةَ بْنِ الْوَرْدِ ، فَقَالَ . فَارْغُ كَحَمَلِ شَعْرِ فَقِيرٍ لِيَقْرَأَهُ
عَلَى فَقِيرٍ ، فَقُلْتُ : مَا مَعِيَ غَيْرُهُ ، فَأَنْشِدْنِي أَنْتَ مَا شِئْتَ ، فَأَنْشَدَنِي :
- يَارُبَّ ظِلِّ حِمَارٍ قَدْ وَقَيْتُ بِهِ مُهْرِي مِنَ الشَّمْسِ ، وَالْأَبْطَالُ تَجْتَلِدُ^(٣)
وَرُبَّ يَوْمٍ حَمَى أَرْعَيْتُ عَقْوَتَهُ خَيْلِي اقْتِسَارًا ، وَأَطْرَافُ الْقِنَا قِصْدُ^(٤)
وَيَوْمَ لَهْوٍ لِأَهْلِ الْخَفْضِ ظِلٌّ بِهِ لَهْوِي اصْطِلَاءُ الْوَاغَا وَنَارُهُ تَقْدُ^(٥)
مُشْهَرًّا مَوْفِي الْحَرْبُ كَاشِفَةٌ عَنْهَا الْقِنَاعَ وَبَحْرُ الْمَوْتِ يَطْرِدُ
وَرُبَّ هَاجِرَةٍ تَغْلِي مَرَا جِلْهَا نَحْرُهَا بِمِطَايَا غَارَةٍ تَخْدُ^(٦)
تَجْتَابُ أَوْدِيَةَ الْأَفْزَاعِ آمِنَةً كَأَنَّهَا أُسْدٌ يَقْتَادُهَا أُسْدُ^(٧)
فَإِنْ أُمْتُ حَتَفَ نَفْسِي لَا أُمْتُ كَمَا عَلَى الطَّعَانِ وَقَصُرُ الْمَاجِزِ الْكَمْدُ
وَلَمْ أَقُلْ لَمْ أُسَاقِ الْقَتْلَ شَارِبَهُ^(٨) فِي كَأْسِهِ وَالْمَنَايَا تُرْعَغُ وَرُدُّ
ثُمَّ قَالَ لَهُ : هَذَا الشَّعْرُ ! ؛ لَا مَاتِعِلُّونَ بِهِ نَفُوسَكُمْ مِنْ أَشْعَارِ الْخُنَّثِينَ . وَالشَّعْرُ
لِقَطْرَى .

(١) حاشية الأصل : « أَى مَلَكَا يَقْبِضُ رُوحَهُ وَيُدْعُوهُ » .
(٢) الخبر والأبيات فى أمالى القالى ١ : ٢٦٥ - ٢٦٦ ، وزهر الآداب - طبعة الحلبي ١٠٢٧ -
١٠٢٨ . (٣) د : « ظل عقاب » وفى حاشية الأصل : « روى ظل عقاب ، يريد بها الرأية » .
(٤) العقوة : الساحة ، والفصد : الفطع ؛ واحده قصدة . (٥) د ، ف ، وحاشية الأصل
(من نسخة) : « لذ ناره » . (٦) د : « نحرها » . وتخذ : تسرع . (٧) الأفزاع :
المخاوف ، وفى زهر الآداب : « بصطادها » . (٨) حاشية الأصل (من نسخة) : « ساقيه » .

أخبرنا علي بن محمد الكاتب قال قال أخبرنا ابن دريد قال : أخبرنا أبو حاتم قال : كان أبو عبيدة يأنس إلى في أول ما اختلفت إليه ، لأنه كان يظنني على رأيهم ويسألني عن خوارج سجستان - لأنه كان يظنني على رأيهم - وكنت أوهه أني على رأيهم ، فنالتني منه لذلك عناية خاصة ، فكان كثيرا ما ينشدني أشعارهم ، ثم يتمثل :

أولئك قومٌ إن بنوا أحسنو البنى وإن عاهدوا أوفوا ، وإن عقدوا شدوا (١) ٥

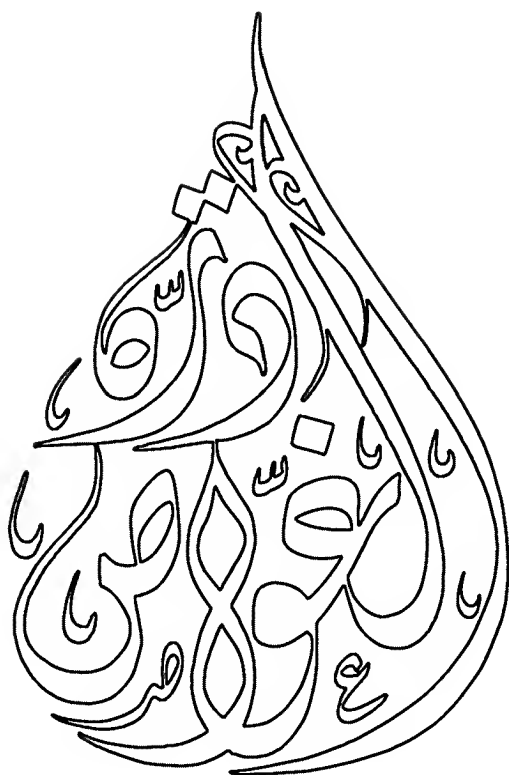
/ قال : وأنشدني يوما لرجل من طي من الخوارج :

لا كابن ملحان من شارٍ أخى ثقةٍ أو كابن علقمة المستشهد الشارٍ (٢)
من صادقٍ كنت أصفيه مخالصتي فباع دارى بأعلى صفقة الدار (٣)
إخوان صدقٍ أرجيهم وأحذرهم أشكو إلى الله إخواني وإحذاري
فصرتُ صاحبَ دنيا لست أملكها وصار صاحبَ جناتٍ وأنهارٍ ١٠

تم القسم الأول من كتاب غرر الفوائد ودرر القلائد للشريف المرتضى ، ويليهِ القسم الثانى إن شاء الله تعالى ، وأوله : تأويل آية ؛ إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ ... ﴾

(١) البيت للحطيفة ، ديوانه : ٢٠ . (٢) الشارٍ : واحد الشراة ؛ والخوارج تسمى نفسها بذلك ؛ كأنهم شروا أنفسهم لله ؛ أى باعوها ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾ أى يبيعه . وقال قطرى فى هذا المعنى :

رَأَتْ فِئَةً باعُوا الإِلَهَ نفوسهم بجناتٍ عدنٍ عنده ونعيم
(٣) فى حاشيتي الأصل ، ف : « دارى ، يعنى الدنيا التى كانت داره ؛ وهو فى قيد الحياة ؛ يعنى أنه باعها بصفقة رابحة ؛ أراد أنه استشهد وقتل ، فباع داره بدار فى الجنة . »



المجلس الأول

- تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦] ٥- ٢
تأويل الحديث: «من تعلم القرآن ثم نسيه لقي الله وهو أجذم» ٩- ٥
مسألة في القول بوجوب الأصلح عليه تعالى ١٠- ٩

المجلس الثاني

- تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ...﴾ [الإسراء: ٨٥] ١٢- ١١
تأويل قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا...﴾ [الحجر: ١٩] ١٥- ١٣
تفسير معنى «اللحن» عند العرب ١٦- ١٥
خبر أسير بني العنبر في بكر بن وائل ورسالته إلى قومه وشرح مافيه من
كنايات ١٧- ١٦
تأويل كلام علي بن أبي طالب: «من أحبنا أهل البيت فليستعد للفقير جلبابا
أو تحفافا» ٢٨- ١٧
ذكر بعض أخبار الشعراء المتقدمين ممن كان على مذاهب أهل العدل ٢١- ١٩
ذكر بعض أخبار الشعراء المتقدمين ممن كان على مذهب أهل الجبر ٢١-
مسألة في الاستدلال على نفي الرؤية بالأبصار ٢٤- ٢٢

المجلس الثالث

- تأويل قوله تعالى: ﴿فَالْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الشعراء: ٣٢] ٢٧- ٢٥
وقوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ، فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ...﴾ [الفصص: ٣١]
(٤١ - غرر - أول)

تأويل قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ ،

٢٨ - ٣٠

[الأعراف: ١٧٢، ١٧٣]

٣١ - ٣٦

تأويل الحديث : « ليس منا مَنْ لم يتغنّ بالقرآن » .

الكلام على قوله تعالى : ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾

٣٦ - ٣٨

[الفاتحة: ٢٢، ٢٣]

المجلس الرابع

تأويل قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْثِقَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾

٣٨ - ٤٢

[يونس: ١٠٠]

تأويل قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ ...﴾ [هود: ١٠٣، ١٠٤] ٤٣ - ٤٥

وقوله تعالى : ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥، ٣٦]

وقوله تعالى : ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧]

٤٥ - ٤٦

تأويل الحديث : « لاتسبوا الدهر فإن الدهر هو الله » .

٤٧ - ٤٨

مسألة في ذكر المنافع التي عرض الله الأحياء لها

المجلس الخامس

تأويل قوله تعالى : ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٨، ٢٩] ٤٩ - ٥٥

٥٥ - ٥٧

تأويل الحديث : « إن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ » .

٥٨

خبر حسد الفرزدق لليلي الأخيلية على أبيات قالتها

٥٩

خبره مع الكميت حين عرض عليه أبياتا له من قصيدة

٦٠ - ٦٢

خبره عند سليمان بن عبد الملك

٦٣ - ٦٥

خبر تنسكه في آخر عمره وما قاله من شعر في ذلك

٦٦ - ٦٧

عود إلى خبره مع الكميت

٦٧ - ٦٩

خبر مديحه لعل بن الحسين بن علي

المجلس السادس

تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾

[هود: ١١٨، ١١٩] ٧٥- ٧٠

تأويل الحديث: «مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت». ٧٦- ٧٥

خبر علي بن أبي طالب ومارية القبطية ، وتفسير ماورد فيه من غريب ٨١- ٧٧

ما قالته العرب في أحوال القمر، وتفسير ماورد في ذلك من الغريب ٨٦- ٨١

المجلس السابع

تأويل قوله: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى...﴾ [الإسراء: ٧٢]

تأويل الحديث: «تبقى الأرض أفلاذاً كبداها مثل الأسطوان». ٩٨- ٩٥

أبيات للخنساء في مدح أخيها ، ثم استطراد لذكر أبيات تشبهها ١٠٤- ٩٨

المجلس الثامن

تأويل قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [يوسف: ١٨] ١٠٧- ١٠٥

خبر قيس بن عاصم حين وفد على الرسول عليه السلام وشرح ماورد في ذلك من الغريب ١١٢- ١٠٧

بعض أخبار قيس بن عاصم ١١٤- ١١٢

قصيدة للمؤلف أجاز بها بيت أبي دهل: ١١٧- ١١٦

وأبرزتها من بطن مكة عند ما أصات المنادي بالصلاة فأعتما ١١٥- ١١٤

نسب أبي دهل وذكر بعض أشعاره

المجلس التاسع

تأويل قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٢٠]

إيراد طائفة من شعر العرب مما وقع فيه التكرار ١٢٧- ١٢٤

- ١٢٨-١٢٧ فصل في أخبار الدهريين والزنادقة المتهتكين ممن كانوا في صدر الإسلام
١٣٠-١٢٨ أخبار الوليد بن يزيد بن عبد الملك
١٣٢-١٣١ أخبار حماد الراوية
١٣٣-١٣٢ أخبار حماد بن الزرقان
١٣٤-١٣٣ أخبار حماد عجرد
١٣٧-١٣٤ أخبار ابن المقفع، وإيراد بعض كلامه
١٣٨-١٣٧ أخبار ابن أبي العوجاء
١٤١-١٣٨ أخبار بشار بن برد

المجلس العاشر

- ١٤٢- أخبار مطيع بن إلياس
١٤٤-١٤١ أخبار يحيى بن زياد الحارثي
١٤٦-١٤٤ أخبار صالح بن عبد القدوس
١٤٧-١٤٦ أخبار علي بن الخليل
١٤٨- الكلام على أن أصول مذهب أهل العدل مأخوذة من كلام علي بن أبي طالب
١٥٢-١٤٨ فقر من كلام علي بن أبي طالب والأئمة من أبنائه
١٦٢-١٥٢ أخبار الحسن بن أبي الحسن البصريّ وشيء من كلامه

المجلس الحادي عشر

- ١٦٥-١٦٣ أخبار واصل بن عطاء
١٦٩-١٦٥ مناظرة واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد في القول بالمنزلة بين المنزلتين
١٧٣-١٦٩ أخبار عمرو بن عبيد

المجلس الثاني عشر

- ١٧٦-١٧٣ عمرو بن عبيد وأبو جعفر المنصور
١٧٧-١٧٦ عمرو بن عبيد وهشام بن الحكم
-١٧٧ عمرو بن عبيد وسليمان بن علي
-١٧٧ كلام عمرو بن عبيد على القدر
١٨٣-١٧٨ أخبار أبي الهذيل العلاف وأخباره
١٨٥-١٨٣ خبر طرفة بن العبد والمتلمس الضبعيّ وحديث الصحيفة

المجلس الثالث عشر

- ١٨٧-١٨٦ أخبار بشر بن المعتمد وإيراد بعض أشعاره
١٨٩-١٨٧ أخبار إبراهيم بن إسحاق النظام وبعض أشعاره
١٩٤-١٨٩ اختبار لبید بهجائه للبقلة وخبره مع الربيع بن زياد عند النعمان
١٩٩-١٩٤ أخبار الجاحظ ونقف من كلامه

المجلس الرابع عشر

- ٢٠١-٢٠٠ تأويل قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تَوَكَّلُوا وَجُوهَكُمْ ... ﴾ [البقرة: ١٧٧]
٢٠٨-٢٠٧ خبر قيس بن زهير العبسي مع النمر بن قاسط
٢١١-٢٠٨ خير يوم داحس والغبراء وتفسير ما ورد في ذلك من الأمثال
٢١٤-٢١١ مقتل زهير بن جذيمة العبسيّ
٢١٤ خبر يوم الهباءة

المجلس الخامس عشر

- تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ النَّارِ الَّتِي يَنْعَقُ...﴾ [البقرة: ١٧١] ٢١٩-٢١٥
 خبر النبي عليه السلام حين دعى إلى مأدبة ومعه الحسين وهو صبي ، وتأويل
 ٢٢٠-٢١٩ ماورد من الغريب في ذلك
 ٢٢٢-٢٢٠ من كلام ابنة الخس وتأويل ماورد في ذلك من الغريب
 ٢٢٢ تأويل قول العرب: « جاءنا بطعام لا ينادى وليده » .
 ٢٢٢-٢٢٧ أخبار معن بن زائدة

المجلس السادس عشر

- تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ
 حَقٍّ﴾ [آل عمران: ٢١]. ٢٢٨-٢٣١
 ٣٣٢ باب في ذكر المعمرين وأشعارهم ومستحسن كلامهم
 ٢٣٢-٢٣٤ أخبار الحارث بن كعب المذحجي ووصيته حين الموت وشرح ماورد في ذلك
 ٢٣٤-٢٣٦ أخبار عمرو بن ربيعة المستوغر وإيراد بعض أشعاره
 ٢٣٦-٢٣٨ أخبار دريد بن زيد بن نهدي وشرح ما أورده من كلامه
 ٢٣٨-٢٤٣ أخبار زهير بن جناب وإيراد بعض أشعاره

المجلس السابع عشر

- ٢٤٤-٢٤٩ أخبار ذى الإصبع العدواني وحديثه مع بناته الأربع
 ٢٤٩-٢٥١ خبر عبد الملك بن مروان مع سعيد بن خالد الجدلي
 ٢٥١-٢٥٣ إيراد شعر لذي الإصبع وشرح ماورد في ذلك من الغريب
 ٢٥٣ ذكر معدى كرب الحميري وبعض شعره
 ٢٥٣-٢٥٦ أخبار الربيع بن ضبع الفزاري

المجلس الثامن عشر

- أخبار أبي الطمجان القيني وإيراد طائفة من شعره ٢٥٧-٢٦٠
أخبار عبد المسيح بن بقليلة الفسائي ٢٦٠-٢٦٣
أخبار النابغة الجعدي وإيراد طائفة من أشعاره ٢٦٣-٢٦٩

المجلس التاسع عشر

- مسألة تتضمن الرد على منكرى تطاول الأعمار وامتدادها ٣٧٠-٣٧٢
باب في الجوابات الحاضرة المستحسنة ٢٧٣-٢٧٩
قصيدة لأبي نواس وشرح ما ورد فيها من الغريب ٢٧٩-٢٨٢

المجلس العشرون

- عود إلى ذكر الجوابات المستحسنة ٢٨٣-٢٨٧
خبر قتيبة بن مسلم مع الحصين بن المنذر الرقاشي ٢٨٧-٢٨٨
بعض ما يروى من أجوبة أبي الأسود الدؤلي الحاضرة ٢٩٢-٢٩٤

المجلس الحادي والعشرون

- خبر سليمان بن عبد الملك مع يزيد بن أبي مسلم ٢٩٥
خبر صفوان بن الأهمم مع رجل من بني عبد الدار ٢٩٥
ما دار بين الفرزدق والحطيئة عند سعيد بن العاص ٢٩٦
من أجوبة أبي العيناء المسكينة ٢٩٩-٣٠٣
موازنة بين شعر لإبراهيم بن العباس الصولي وأوس بن حجر ٣٠٥-٣٠٦
أبيات للمتنخل الهذلي وشرح ما ورد فيها من الغريب ٦٠٦-٣٠٧

المجلس الثاني والعشرون

تأويل قوله تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ [الأعراف: ١٤٦]

٣١٧-٣٠٨

تأويل الحديث : « إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن... »

٣٢٣-٣١٨

المجلس الثالث والعشرون

تأويل قوله تعالى : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ [المائدة: ١١٦]

٣٢٧-٣٢٤

المجلس الرابع والعشرون

تأويل قوله تعالى : ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ﴾ [الأحزاب: ١٠]

٣٣٦-٣٢٨

المجلس الخامس والعشرون

تأويل قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُباتًا ﴾ [النبا: ٩]

٣٤٠-٣٣٧

تأويل الحديث : « إن الميت يمدب في قبره بالنياحة عليه » .

٣٤٣-٣٤٠

تأويل الحديث : « مامن أحد يدخله عمله الجنة ويُنجيه من النار... »

٣٤٥-٣٤٤

أبيات لعمر بن أبي ربيعة يقولها في الثريا بنت عبد الله

٣٤٧-٣٤٦

خبر عمر بن أبي ربيعة وابن أبي عتيق والثريا بنت عبد الله

٣٤٨-٣٤٧

المجلس السادس والعشرون

تأويل قوله تعالى : ﴿ فَغَشَّيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشَّيَهُمْ ﴾ [طه: ٧٨]

٣٥٠-٣٤٩

تأويل قوله تعالى : ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّفْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل: ٢٦]

٣٥٣-٣٥١

تأويل الحديث : « إن هذا القرآن مأدبة الله... »

٣٥٨-٣٥٤

ذكر أنواع المآدب وأسمائها وما ورد في ذلك من الشعر

٣٥٨-٣٥٥

أخبار متفرقة عن الأصمعي وحضور ذهنه عند إنشاء الشعر

٣٦٢-٣٥٨

المجلس السابع والعشرون

- تأويل قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنِ اللَّهِ ﴾ [التوبة : ٣٠] ٣٦٥-٣٦٣
- تأويل قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ... ﴾ [إبراهيم : ١٤] ٣٦٧-٣٦٥
- خبر النبي عليه السلام حين سمع رجلا ينشد شعراً لسويد بن عامر وتأويل ماورد فيه الغريب ٣٦٨-٣٧٠
- أبيات لرفيع الوالبي ٣٧٠-٣٧١
- أخبار عقيل بن علفة وإيراد طائفة من شعره ٣٧١-٣٧٤

المجلس الثامن والعشرون

- تأويل قوله تعالى : ﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ٣٧٦-٣٧٥
- تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا... ﴾ [البقرة : ١٨٩] ٣٧٩-٣٧١
- أبيات لهلال بن خثعم وشرح ماورد فيها من الغريب ٣٧٩-٣٨٠
- إيراد مقطعات مختلفة لحارثة بن بدر الغداني ٣٨٠-٣٨٣
- طرف من أخبار حارثة بن بدر وبعض نواذره ٣٨٣-٣٨٨

المجلس التاسع والعشرون

- تأويل قوله تعالى : ﴿ أَوَلَيْكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا... ﴾ [البقرة : ٢٠٢] ٣٨٩-٣٩٢
- تأويل قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [البقرة : ٢١٢] ٣٩٢-٣٩٤
- تأويل الحديث : « تَوَضَّعُوا مِمَّا غَيَّرَ النَّارَ » . ٣٩٥-٣٩٧
- بعض أخبار عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وطائفة من شعره ٣٩٧-٤٠١

المجلس الثلاثون

تأويل قوله تعالى : ﴿ قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ ۖ ﴾

٤٠٢-٤٠٥

[الأعراف : ٨٩]

٤٠٧-٤٠٥

تأويل الحديث : « خير الصدقة ما بقت غنى » .

٤١٠-٤٠٧

ذكر أبيات تروى لثابت قطنة وعروة بن أذينة

٤١١-٤١٠

أبيات للسيد المرتضى فى معنى أبيات ثابت قطنة وعروة بن أذينة المذكورة

٤١٢-٤١١

خبر عروة بن عبيد الله عن عروة بن أذينة وروايته أبياتا له

-٤١٣

عروة بن أذينة وسكينة بنت الحسين

٤١٤-٤١٣

أبيات لعروة بن أذينة فى الغزل

موازنة بين مقاله الكميّ بن زيد وعروة بن أذينة ونصر بن سيار

٤١٥-٤١٤

فى الحسد

المجلس الحادى والثلاثون

تأويل قوله تعالى : ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيَّانٍ ... ﴾

٤١٧

[البقرة : ١٠٢]

المجلس الثانى واللاثون

٤٣١-٤٢٦

تأويل الحديث : لو كان القرآن فى إهابٍ مامستته النارُ .

٤٣٣-٤٣١

من شعر الحسين بن مطير الأسدىّ

٤٣٤-٤٣٣

أبيات للسيد المرتضى فى معنى بيت للحسين بن مطير الأسدىّ

٤٣٧-٤٣٥

عود إلى شعر الحسين بن مطير الأسدىّ

المجلس الثالث والثلاثون

تأويل قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ... ﴾

٤٤٢-٤٣٩

[آل عمران : ٧]

٤٥١-٤٤٢

إيراد طائفة من محاسن شعر أبى حية النيرىّ وتفسير ما فيها من الغريب

المجلس الرابع والثلاثون

- تأويل قوله تعالى : ﴿ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ... ﴾ [يوسف : ٩٢] ٤٥٢-٤٥٤
- تأويل ماورد في حديث نهى النبي عليه السلام عن كسب الزمارة ٤٥٤-٤٥٧
- أبيات للمضرّب بن كعب بن زهير ٤٥٧-٤٥٩
- موازنه بين قول الرشيد: «قلب العاشق عليه مع معشوقه»، وقول طائفة من الشعراء ٤٥٩-٤٦٠
- أحسن ما قيل من الشعر في صفة امرأة عجزاء خميصة ، عن الأصمعيّ ٤٦٠-٤٦١
- خبر جعفر بن سليمان وحزنه على موت أخيه محمد ، واسترواحه لشعر ابن أراكّة ٤٦١-٤٦٢
- الثقفي
- تلطف الأصمعيّ بإنشاده شعر ابن هرمة عند إسماعيل بن جعفر، وقضاء ٤٦٢
- حاجته عنده بسبب ذلك
- أبيات لبشر بن خازم في الاعتذار، رواها الأصمعيّ للرشيد ٤٦٣

المجلس الخامس والثلاثون

- تأويل قوله تعالى : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ... ﴾ [الأنبياء : ٣٧] ٤٦٥-٤٧١
- طائفة من شعر مسكين الدارميّ وذكر بعض أخباره ٤٧١-٤٧٦

المجلس السادس والثلاثون

- تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ... ﴾ [يوسف : ٢٤] ٤٧٧-٤٨٢
- أخبار متفرقة لإبراهيم بن العباس الصوليّ وذكر طائفة من شعره ٤٨٢-٤٨٨

المجلس السابع والثلاثون

- تأويل قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ ... ﴾ [يوسف : ٣٣] ٤٨٩-٤٩٢
- تأويل الحديث : «من يتبع المشمعة يشمّع الله به» ٤٩٢-٤٩٤
- خبر الأصمعيّ مع عجزوز في سوق ضريبة حينما أنشدتها شعر بشر بن عبد الرحمن الأنصاريّ وأنشدته شعر ابن الدمينّة، وتفسير ما ورد في ذلك من الغريب ٤٩٤-٤٩٩

- ٤٩٩ خبر الأصمعيّ مع شاب بدوى فصيح من بنى عامر واستنشاده الشعر
٥٠٠-٤٩٩ خبر الأصمعيّ مع إسماعيل بن عمار الأعرابيّ
٥٠٠ خبر الأصمعيّ حين سافر إلى البصرة ؛ وسماعه لشعر استحسّنه ورواه
٥ ١ خبر الأصمعيّ مع أحد الطفيليين وما ورد في ذلك من الشعر

المجلس الثامن والثلاثون

- ٥٠٦-٥٠٢ تأويل قوله تعالى : ﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ ... ﴾ [هود: ٤٥، ٤٦]
٥٠٧-٥٠٦ من أفاكيه الأصمعيّ
٥٠٨-٥٠٧ تأويل الأصمعيّ لببت من شعر امرئ القيس
٥٠٩-٥٠٨ نقد الأصمعيّ لرواية ابن الأعرابيّ أبياتا رواها ولّد سميد بن سلم
٥٠٩ حديث الأصمعيّ عن بشار بن برد
٥١٠-٥٠٩ نقد بشار لشعر سمعه
٥١٠ أبيات لبشار يمدح فيها سليمان بن هشام بن عبد الملك
أبيات مختلفة في وصف الثغر واللون والعيون والنجيب والظلم والاعتذار، رواها
٥١٢-٥١١ الأصمعيّ

المجلس التاسع والثلاثون

- ٥١٥-٥١٤ تأويل قوله تعالى : ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ... ﴾ [التوبة: ٥٥]
رأى الشريف المرتضى في شعر مروان بن أبي حفصة ومختارات من محاسن شعره
٥٢٥-٥١٨ وموازنة بين قوله وقول غيره من الشعراء

المجلس الأربعون

- تأويل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ... ﴾
٤٣٠-٥٢٦ [الأنفال: ٢٤]

خبر حصن بن حذيفة مع أولاده حين طعنه كرز بن عامر ، وما روى له في ذلك

٥٣٢-٥٣٠

من شعر

عود إلى المختار من شعر مروان بن أبي حفصة ، وموازنة شعره بشعر غيره من

٥٣٦-٥٣٢

الشعراء

٥٣٧-٥٣٦

أبيات أبي تمام في وصف القلم

المجلس الحادي والأربعون

تأويل قوله تعالى : ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾ [التكوير: ٢٦-٢٩]

٥٤٠-٥٣٨

عود إلى المختار من شعر مروان بن أبي حفصة ، وموازنة شعره بشعر غيره من الشعراء

٥٤٩-٥٤٠

المجلس الثاني والأربعون

تأويل قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ... ﴾ [هود: ٢٠]

٥٥٢-٥٥٠

عود إلى المختار من شعر مروان بن أبي حفصة وموازنته بشعر غيره من الشعراء

٥٦٤-٥٥٣

المجلس الثالث والأربعون

تأويل قوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ ... ﴾ [س: ٧٥]

٥٦٦-٥٦٥

عود إلى المختار من شعر مروان بن أبي حفصة وموازنته بشعر غيره

٥٧٥-٥٦٦

من الشعراء

المجلس الرابع والأربعون

تأويل قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ ... ﴾ [الإسراء: ٤٧]

٥٧٧-٥٧٦

عود إلى المختار من شعر مروان بن أبي حفصة وموازنته بشعر

٥٨٩-٥٧٨

غيره من الشعراء

المجلس الخامس والأربعون

- ٥٩٣-٥٩٠ تأويل قوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص: ٧٨]
 وقوله : ﴿ إِنَّمَا نُنْطَمِعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ ﴾ [الإنسان: ٩]
 وقوله : ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٧]
 ٥٩٥-٥٩٣ قصة سفرة للمكتفى بالله في حراقة مع جماعة من الأدباء ؛
 واستنشاده شعر البحترى

- ٥٩٦-٥٩٥ أبيات لابن الرومي وموازنتها بشعر غيره من الشعراء
 ٦٠٢-٥٩٨ طائفة من أقوال الشعراء في مدح الشيب وتفضيله

المجلس السادس والأربعون

- ٦٠٥-٦٠٣ تأويل قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ... ﴾ [البقرة: ١٨٦]
 ٦١٤-٦٠٥ طائفة من أقوال الشعراء في ذم الشيب والتألم به والجزع منه

المجلس السابع والأربعون

- ٦١٨-٦١٥ تأويل قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ... ﴾ [النحل: ١٠]
 طائفة من أشعار البحترى في ذم الشيب والتألم من
 ٦٢٧-٦١٨ فقد الشباب

المجلس الثامن والأربعون

- ٦٣٠-٦٢٨ تأويل قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ... ﴾ [آل عمران: ٢٨]
 ٦٣٥-٦٣٠ تأويل حديث : « لاتناجشوا ولا تدابروا ... »
 ٦٣٥-٦٣٢ ذكر ماورد في اللغة من معاني « العِرض »
 ٦٣٩-٦٣٥ طائفة من أشعار قطرى بن الفجاءة
 ٦٣٩ أبيات لرجل خارجي من طي

مكتبة الدكتور والشيخ الطهطاوي

تصويبات

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤	١٩	ووبينه	وبينه
٥	٧	البيت	الحديث
٢١	٣	يكتب البيت هكذا :	
		استأثر الله بالوفاء وبإلا	مدل وولى الملامة الرجال
٣٧	٥	ولا يخون إلى	ولا يخون إلا
٥٢	١٦	إياه	إياه
٥٣	٦	الجازعين	الجازعين
٥٩	٢	عجاجة	عجاجة
٨٥	٢٢	صواب ما نقل عن حاشيتي الأصل ، ف :	« مايسير الإنسان ثم يبيت »
٩٧	١	يكتب بيت الخنساء هكذا :	
		أبعد ابن عمرٍ ومن آل الشريد	د حلت به الأرض أثقالها
١٠٦	٢٠	كذب	كذب، بالبدال المهملة
١١٠	١٧	اللهم	اللهم
١١١	١٥	كأن	كأنه
١١٦	١	أعجباً	أعجباً
١١٦	٢	للوداع	للوداع
١١٦	١٤	الزمار	الذمار
١٣٩	٧	القوم	القول
١٤٢	—	يحذف هذا العنوان : « تأويل آية »	

صفحة	سطر	خطا	صواب
١٨٧	٢	وإنه	وأنه
١٩٢	١٣	إني	وأنى
٢٠٧	١٢	جاءز	جاور
٢٠٨	٥	إنى	أنى
٢٢٦	١٥	مَعْنُ	مَعْنُ
١٥٦	٥	والآلى	والآلى
٢٥٧	١٤	المضرب	المضرب ، بالفتح
٣٨٧	٩	ولحارث	ولحارثة
٣٨٩	١٣	حُسْنًا	حُسْنٌ
٤٠٠	١٢	يكتب الشطر الأول هكذا :	

* لو شُقَّ عن قلبي قُرَى وسطه *

٤٣٤	٣	لا تُكْذِبَنَّ	لا تُكْذِبَنَّ
٤٣٦	٦	أفزارة	فزارة
٤٤٥	٦	وَرِيقُ	وَرِيقُ
٤٤٥	٧	وَرِيقَه	وَرِيقَه
٤٦٤	٦	يحب	يحب
٤٧١	٢٠	الرَّجُلِ	الرَّحْلِ
٥٤٤	١	الجدّ	الجدّ
٥٧٨	٥	لا يُؤْمِنُونَ	لا يُؤْمِنُونَ
٥٨٣	٥	باءت	بادت